جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الشيخ محمد عبده وآراؤه

في العقيدة الإسلامية - عرض ونقد

رسالة مقدمة
لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إعداد
حافظ محمد حسين الجعبري



إشراف
الأستاذ الدكتور سليمان دنيا

١٥

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

شكر وتقدير

رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي ، فقد وفقتني في اتمام هذا البحث ، واعنتني عليه . فالحمد لك اللهم والشكر فقد وفقت واعنت .

وبعد :

فعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " "١" .

وقوله عليه الصلاة والسلام : " ان اشكر الناس لله عز وجل اشكرهم للناس " . "٢"

فاني ازجي خالص شكرى وتقديرى لاستاذى الكبير الدكتور سليمان دنيا الذى منحني من وقته وتفكيره ونصحه الشي الكثير ، فله مني كل محبة وتقدير ، وادعو الله ان يسبغ عليه مزيدا من الصحة وطول العمر ،

كما واتقدم بالشكر الجزيل لجميع العاملين في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة " ام القرى " .

واشكر كل من كانت له يد من نصح او توجيه او ارشاد لي اثناء اعداد هذا البحث .

والله اسأل ان يوفقني ويوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

---

١ ـ رواه احمد في المسند (٢ : ٢٩٥) ، وابو داود (٤ : ٣٥٣) ، والترمذى وقال حديث صحيح . انظر تحفة الاحوذى (٦ : ٨٧) . جميعهم عن ابي هريرة .

٢ ـ رواه احمد في المسند (٥ : ٢١٢) عن الاشعث بن قيس .

المقدمـــــــة

============

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا . من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله .

قال الله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون) . "١"

وقال تعالى : (ياايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) . "٢"

وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلي ، يقول : " اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ، فاطر السموات والارض انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم" . "٣"

وبعد :

فقد اختلف الناس في الشيخ " محمد عبده " اختلافا شديدا ، بين قادح مبالغ في القدح ، ومادح مسرف في المدح .

---

١ ـ سورة الانفال ، اية (٢٧) .

٢ ـ سورة المائدة ، اية (٨) .

٣ ـ صحيح ، رواه الامام مسلم .

وقد دعاني ذلك الى ان اعرف حقيقة حال الرجل ، وما هو عليه في الواقع ونفس الامر • فهل هو من الغموض بحيث ضل الناس السبيل الى معرفته ؟ او هو متعدد الجوانب فشغل كل فريق بجانب وغفل عما عداه ؟ •

وان الرجال يعرفون من سلوكهم وسيرتهم ، ومن افكارهم واراثهم ، وان السلوك والسيرة تاريخ ، والتاريخ نقل ورواية ، وقلما يصل الامر فيه الى ابعد من ظنون ، على ان للمؤرخ اسلوبه في البحث ، ومنهجه في التمحيص ، وهما غير ما للباحث في العقيدة من اسلوب ومنهج •

وقد اخذت من التاريخ ما وسعني الاخذ ، ولم احاول — وانا باحث في العقيدة — ان اجاوز ما احسن الى مالا احسن ، فعولت في الجانب التاريخي على المؤرخين ، واذا كانوا قد اختلفوا فقد صورت اختلافهم ، ووقفت منهم موقفا محايدا • اذ قد بدا لي ان ذلك اقرب الى الانصاف •

فمثلا لما قال التاريخ (ان الشيخ محمد عبده دخل جمعية الماسونيين) • قال المبغضون انه اذا ماسوني ، وان الماسونية حرب على الاديان بعامة وعلى الاسلام بخاصة •

وقال المحبون انه دخلها دخول مستطلع ليعرف من امرها مالا يعرفه البعيدون عنها •

فوقفت انظر الى هؤلاء مرة لامكان صدق ما يقولون ، والى هؤلاء مرة لامكان صدق ما يقولون ايضا ، وليس لي الى مجاوزة الامكان سبيل ، خصوصا وانه لم يؤثر عنه — فيما اعلم — الكتابة عنها او الحديث بشأنها ، لا تأييدا ولا ردا •

وانا مع ذلك لا انفي ان يكون في قلبه لبعض مبادئها ميل ، ولكن من اين لي معرفة ذلك ؟

لهذا آثرت ان اتخلى عن هذا الجانب من المعركة لغيري ، مؤثرا الاكتفاء بتصوير ما دار فيها • والعلماء متهمون في طعن بعضهم على بعض ، وفي شهادة بعضهم على بعض ، (والامر كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : العلماء اشد تغايرا من التيوس في زروبها ••• وقول المتنافسين لا يقبل في بعضهم كما قرره

العلماء ، وجرى عليه علماء الجرح والتعديل من المحدثين) ، "١"

اما جانب الافكار والاراء فهو النافذة التي تطل على ما استقر في النفس واخلد اليه القلب واقتنع به العقل ، وقد اوليت هذا الجانب جل اهتمامي ان لم يكن كله ، وهذه هي الناحية التي افرغت فيها وسعي ، لانها الهدف المقصود في بحثي .

واذا كان الجانب التاريخي للشيخ محمد عبده تعرض للاخذ والرد ، فان جانبه الفكري والعقائدي تعرض للاخذ والرد كذلك ، الا ان الاخذ والرد في الجانب الفكري والعقائدي يمكن التحكم فيه ، والوصول الى راى يقبله المنصف ويرضاه العدل ، اذا سار البحث على اساس علمي سليم ، وتنزه عن الغرض وقصد به وجه الله تعالى .

وفي هذه الخطة سرت ، وعلى حول الله وقوته اعتمدت ، وجعلت الحق هدفي ، فاذا تأدى بي البحث اليه قبلته ، لا يهمني بعد ذلك ان يكون هذا الحق الذى ظهر لي هو في جانب من احب او في جانب من ابغض ، بل لا اعتبر نفسي مع الفريق الذى ظهر الحق معه ، لاني لم اقصد الى متابعته او الاخذ بوجهة نظره اذ كان الاتفاق بيننا في النهاية لا في البداية .

وقد اخذت المسائل على هذا النحو مسألة مسألة حتى انتهيت منها جميعا على هذا النسق .

وقد وجدتني في النهاية مع فريق في بعض المسائل ، ومع فريق اخر في بعضها الاخر ، ولا ادعي ان الصواب حالفني في كل خطوة خطوتها ، وفي كل مسألة بحثتها ، ولكني الى هذا قصدت ، وانما الاعمال بالنيات ، ولكل امرىء مانوى ، والمعصوم من عصم الله .

وقد كان حديثي عن الشيخ محمد عبده ، وضرورة مقارنة ما ورد عنه بما قاله السلف — رضي الله عنهم — فرصة لان اعرض وجهة نظر السلف فيما تعرض له الشيخ محمد عبده بالموافقة او بالمخالفة ، بل وان اتعرض لما لم يتكلم فيه الشيخ محمد عبده

---

١ — تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى ، لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩م ، ص ١٧ .

من وجهة نظر السلف ، استكمالا للبحث من حيث عرض صورة واضحة كاملة عن العقيدة الاسلامية الصحيحة •

ولقد رتبت الرسالة على اربعة ابواب وخاتمة •

اما الباب الاول :

========== فقد تكلمت فيه عن حياة الشيخ محمد عبده ، وجعلته في ستة فصول :

تحدثت في الفصل الاول عن عصره واهم مظاهر الحياة فيه : السياسة واهم احداثها ، والاقتصاد واهم مظاهره ، والثقافة وابرز ملامحها ، والادب واشهر رجاله ، والدين واوضح مفاهيمه ، والاجتماع واظهر صوره •

وتحدثت في الفصل الثاني عن اطوار حياة الشيخ محمد عبده وقسمتها الى طورين :

الطور الاول : ذكرت فيه مولده ، ونشأته ، وتعلمه •

والطور الثاني : ابرزت فيه بعضا من حياته العملية قبل النفي ، وفي المنفي ، وبعد عودته من منفاه الى وطنه •

وتحدثت في الفصل الثالث عن شخصيته واخلاقه •

وفي الفصل الرابع ترجمت لاشهر شيوخه ، وابرز تلاميذه ، فتحدثت عن الشيخ " درويش بن خضر " ، والشيخ " محمد عليش " ، والسيد " جمال الدين الافغاني " ، وبينت اثرهم على تكوين شخصيته ، وذكرت ابرز تلاميذه في ميدان الحياة العلمية والعملية ، فتحدثت عن السيد " رشيد رضا " ، والشيخ " محمد مصطفى المراغي " ، والشيخ " مصطفى عبد الرازق " ، واحمد لطفي السيد ، وقاسم امين ، وسعد زغلول •

وفي الفصل الخامس تحدثت عن ثقافته ومواهبه واثاره • فقد بينت مصادر ثقافته العربية والغربية ، وابرزت بعض مواهبه واهمها الشعر والمقالة ، وذكرت ما تركه الشيخ محمد عبده من التراث الفكرى الكبير المتمثل في دراساته وبحوثه الدينية والادبية والنفسية والاجتماعية •

وفي الفصل السادس وضحت مذهب الشيخ محمد عبده في الاصلاح ، ومنهجه في الدعوة والبحث ، وابرز ما ظهر في هذا الفصل اهداف تفكيره ، وجوانبه : الوطني والقومي ، والاجتماعي ، والتربوي ، والعقدى الذى هو موضوع هذه الرسالة .

واما الباب الثاني : فموضوعه الالهيات في فكر الشيخ محمد عبده ، وقد اشتمل هذا الباب بعد تعريف مجمل للالهيات على اربعة فصول :

بينت في الفصل الاول راى الشيخ محمد عبده في معرفة الله ، والطريق الموصل اليه ، واهم الطرق التي سلكها في اثبات وجوده ... ، ووضحت راى السلف في ذلك .

وفي الفصل الثاني ذكرت راى الشيخ محمد عبده في الوحدانية ، وسقت الادلة التي ذكرها في اثبات انه تعالى واحد لا شريك له ، ووضحت راى السلف في ذلك ، واشرت الى الجهات التي وافق فيها الشيخ محمد عبده السلف في هذا الموضوع .

وفي الفصل الثالث بينت راى الشيخ محمد عبده في صفات البارى عز وجل ، وكمالاته ، فوضحت رايه في الصفات الثبوتية ، خاصة صفات المعاني السبع : الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والكلام ، والسمع ، والبصر . اما الصفات الخبرية فبينت انه مع اهل التأويل فيها ، ثم وضحت راى السلف في الصفات ، خاصة الصفات الخبرية ، وموقفهم من التأويل ...

وفي الفصل الرابع تحدثت عن راى الشيخ محمد عبده في افعال الله تعالى ، فبينت رايه في تعليل افعال الله ، ورايه في خلق افعال العباد ، ورايه في حسن الافعال وقبحها ، وفي القضاء والقدر ، وفي جواز رؤيته تعالى في الاخرة . وذكرت ان رايه في ذلك يوافق مذهب السلف في معظم الاحيان .

اما الباب الثالث :

فموضوعه النبوات . وقد اشتمل هذا الباب بعد تمهيد يبين مجمل الامور التي يدور بحث النبوات حولها وموقعها في علم العقائد على خمسة

فصـــــول :

ذكرت في الفصل الاول تعريف الشيخ محمد عبده " للنبي " و " الرسول " ، والفرق بينهما .

وذكرت في الفصل الثاني المسالك التي رسمها الشيخ محمد عبده في بيان وجه الحاجة الى الرسالة .

وفي الفصل الثالث بينت راى الشيخ محمد عبده في الوحي ، وامكانه ، ووقوعه .

وفي الفصل الرابع سقت كلامه في وظيفة الرسل عليهم السلام .

وفي الفصل الخامس وضحت اعتقاده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورأيه في القران ، والمعجزات .

وفي هذا الباب وضحت راى السلف في النبوات ، والقران والمعجزات وبينت ما وافق الشيخ محمد عبده فيه السلف فابرزته ، وما خالف فيه السلف فبينته وحددته .

اما الباب الرابـــع :

=========== فموضوعه السمعيات . وقد اشتمل هذا الباب بعد التعريف بالسمعيات على ما يلي :

: اولا : راى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن .

ثانيا : راى الشيخ محمد عبده في الحقائق الغيبية التي اخبر الوحي بها ، مما يكون بعد الموت .

وقد حصرت هذه الحقائق في ثلاثة امور ، بينت راى الشيخ محمد عبده فيها ، وهـــي :

أ : ـــ راى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بالموت . وهذا يشمل رايه في فتنة القبر وسؤال الملكين ، ورايه في عذاب القبر ونعيمه .

ب :— راى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بالساعة واشراطها • وهذا يشمل رايه في اهم واشهر ايات الساعة وهي كما وردت في الحديث : الدخان ، الدجال ، الدابة ، طلوع الشمس من مغربها ، نزول عيسى بن مريم ، يأجوج ومأجوج ، ثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب ، واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم •

ج :— راى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بيوم القيامة واحداثه • وهذا يشمل :—

١ — راية في بداية يوم القيامة •

٢— راية في البعث والحشر •

٣ — رايه في العرض والحساب والجزاء •

٤ — رايه في الميزان والوزن •

٥ — رايه في الصراط والمرور عليه •

٦ — رايه في الجنة والنار والخلود في كل منهما •

ووضحت في هذا الباب راى السلف فيما تعرض له الشيخ محمد عبده بالموافقة او بالمخالفة ، وعرضت صورة واضحة عن السمعيات من وجهة نظر السلف ، استكمالا للبحث ، لان الشيخ محمد عبده لم يتكلم في هذا الباب كثيرا • بخلاف الباب الثاني والثالث •

اما خاتمـــة هذه الرسالة ، فقد رايت ان اوضح فيها موقف الشيخ محمد عبده من القضيتين التاليتين :

========

القضية الاولـــى هـــي :

راى الشيخ محمد عبده في حجية خبر الواحد في الامور والمسائل الاعتقادية •

القضية الثانيـــة هـــي :

راى الشيخ محمد عبده في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يتبع

ذلك من ذم البدع والخرافات ...

وبهذا اكون قد انهيت موضوع الرسالة التي اتقدم بها الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، بمكة المكرمة في جامعة " ام القرى " ، لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الاسلامية " فرع العقيدة "

واملي بالله كبير ان اكون قد احسنت اختيار هذا الموضوع ، واحسنت الكتابة فيه ، ووفقت فيه ، ووفيته ما هو جدير به من عناية واهتمام ، راجيا من الله تعالى ان يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وان ينفع به ابناء المسلمين ... فانه تعالى نعم المولى ونعم النصير ... والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

البـــــاب الأول

=============

" الشيخ محمد عبده ، عصره وحياته ومصادر ثقافته "

وفيه ستة فصول :

الفصل الاول : عصره .

الفصل الثاني : اطوار حياته .

الفصل الثالث : شخصيته واخلاقه .

الفصل الرابع : شيوخه وتلاميذه .

الفصل الخامس : ثقافته ومواهبه ومؤلفاته .

الفصل السادس : مذهبه في الاصلاح ومنهجه في الدعوة والبحث .

الفصـــــــل الاول

============

عصـــره واهم مظاهر الحياة فيـــه :

======================

تمهيـــــــــد :

============

من المعروف الثابت ان الظروف التي تحيط بشخص ما ، والبيئة التي يحيـا فيها ، لهما دخل كبير في تكييف حياته ، وطبعها بطابع خاص ...

فالشخصية انما تتكون وتبرز من خلال تلك البيئة التي تنشأ في ظلها ، وما القراءة ، والمطالعة ، والمدرسة ، والبيت ، والمجتمع ... وما يكون فيه من احوال سياسية واقتصادية واجتماعية ... ما كل اولئك الا عناصر هامة في تكويـن الشخصية ، وابرازها ، وتحديد اتجاهها ... فيقال : هذه شخصية اسلامية ، وهذه شخصية غير اسلامية ... وهكذا . "١"

فمن الضروري اذا للباحث ، الدارس لشخصية من الشخصيات ان يدرس الظروف والبيئة المحيطة بتلك الشخصية حتى يقف منها على العوامل التي ادت الى ظهورها ، وكان لها اثر في تكييف حياتها وتحديد سلوكها واتجاهها ...

والشيخ " محمد عبده " واحد من الشخصيات التي برزت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، وكان له اثر في الحياة المعاصرة ، وشأن بين الناس علـى اختلاف مللهم وطبقاتهم ...

---

١ ـ انظر كتاب : الشخصية الاسلامية ، للشيخ تقي الدين النبهاني ، مطبعـة دار السياسة ، بيروت (١ : ٥) وما بعدها .

فهو من مشاهير العلماء ، ورجال السياسة ، ودعاة الاصلاح ... ، شارك في الثورة "١" ، ونفي من وطنه ، واشتغل بالتدريس ، والقضاء والفتيا ، وكلها مناصب عالية في الدولة .

ولما كان لروح العصر الذى عاشه اثر واضح في سلوكه وفي تحديد هويته وشخصيته ... كان من الضرورى ان يسبق دراسة شخصه وموقفه من العقيدة الاسلامية دراسة عصره الذى عاش فيه ، ورسم ملامح بارزة لمختلف مظاهر الحياة في ذلك العصر السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والادبية ، والدينية ، والاجتماعية ـ من بداية القرن التاسع عشر الى نهايته لان ما حصل خلال هذه الفترة من تلك الاحوال كان له انعكاس على حياته ، وتأثير على خط سيره ، وتحديد لاتجاهه ....

ولد محمد عبده في فترة عصيبة تعد بحق من اعظم فترات التاريخ اثرا في الامة الاسلامية عامة ، وفي مصر بلد الازهر خاصة . "٢"

---

١ ـ في سنة ١٨٨١ م قام احمد عرابي ـ ضابط في الجيش المصرى ـ بثورة على الخديوى توفيق ، عرفت فيما بعد بالثورة العرابية .
انظر : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، لعبد الرحمن الرافعي ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩م .
وانظر : تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بروكلمان ، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي . ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ص ٥٩١ .

٢ ـ اقول هذا لان ما ينطبق على مصر ينطبق على غيرها من دول العالم الاسلامي .

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وخمس سنوات من القرن العشرين .

وسأرسم في هذا الفصل صورة واضحة لاهم مظاهر الحياة في هذه الفترة لانها هي التي كان لها اثر مباشر على الشيخ محمد عبده ، وكان له فيها دور بارز ملموس ، كما سنرى .

١ ـ الحياة السياسية واهم احداثها ، والاقتصادية واهم مظاهرها .

٢ ـ الحياة الثقافية وابرز ملامحها ، والادبية واشهر رجالها .

٣ ـ الحياة الدينية واوضح مظاهرها ، والاجتماعية واظهر صورها .

ونشرع في الكلام على هذه العناصر على هذا الترتيب في البلاد الاسلامية عامة وفي مصر بلد الشيخ محمد عبده على وجه الخصوص .

اولا : الحياة السياســـــية والاقتصاديـــــــة

كان عصر النهضة في اوربا قد اثمر في معظم قطاعات الحياة العلميــة ، والتطبيقية ، والاقتصادية ... وكان من آثار ذلك تعاظم نفوذ كثير من الدول الغربية واشتهارها في العالم ، وتطلعها الى بسط نفوذها على اكبر بقعة مـن الارض عن طريق الغزو المسلح والتوسع الاستعماري ، بحجة انتشال الامم والشعوب مما هي فيه من الجهل والتخلف ...

وبمقدار ما كانت الدول الغربية آخذة في التقدم والازدهار كانت الدول الاسلامية ، وفي مقدمتها الدولة العثمانية آخذة في التدهور والانحلال ."١"

يقول صاحب كتاب حاضر العالم الاسلامي " لوثروب ستوادارد " الامريكي : (ان سيطرة الغرب الحديثة على الشرق لا مثيل لها في التاريخ من حيث العظمة والخطورة ، والمدى والمجال ، فما كان لليونان وروميه من قبل من السيطرة المحدودة النطاق على بعض من العالم ، لا يعد بالاضافة الى ســيطرة الغرب اليوم شيئا مذكورا ، والغريب في حديث هذه السيطرة الغربية انهـــا بنت خمسة عقود من السنين لا اكثر ، بدأ سيلها يتدفق على الشرق منذ نحـو منتصف القرن التاسع عشر ، ومنذ ذلك الحين ، لم تزل وسائلها واسبابها تنتشر وتعم ، ذلك كالطرق ، والمسالك الحديدية ، والبرد ، والبرق ، والكتب ،

---

١ ـ انظر كتاب اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، الكتاب الاول للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب ، دار الفكر ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م ص ٦ ، ٧ .

والصحف ، والمجلات ، وكشيوع جديد الآراء والافكار المتوالية الازدياد في كل عصر شرقي) ا ه . "١"

وفي هذا العصر وصلت " المسألة الشرقية " قمتها ، تلك التي كانت عنوانا بارزا لخطط الغرب للسيطرة على العالم الاسلامي ، ونهب ثروته ، وكسر شوكته والعمل على اضعاف القوة السياسية للاسلام .

يقول الاستاذ العقاد مبينا ذلك وموضحا له : (وكانت المسألة الشرقية قد تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبية ، وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركة الرجل المريض ، فبعد ان كان الغرض من المسألة الشرقية انتزاع الاقطار المسيحية من املاك الدولة العثمانية اصبح هذا الغرض هو تقسيم اقطارها جميعا من مسيحية واسلامية ، وتبادل الاغضاء عن كل نصيب متفق عليه يقع في قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة ، وصاحبها على قيد الحياة) . ا ه "٢"

وظل النفوذ الغربي على العالم الاسلامي يزداد حتى وصل الى منتهى ما يصل اليه نفوذ قوي على ضعيف ، من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، فلم يقف استخدام هذا النفوذ عند حد الاستغلال الاقتصادي في كشف او استغلال موارد الثروة لاجل ، رفع مستوى الغرب وتقدم صناعته من جانب واضعاف مستوى المسلمين والحرص على تخلفهم من جانب اخر ، بل تعداه الى استخدام النفوذ العسكري للتنفيس عن الحقد الصليبي ضد المسلمين . "٣"

---

١ ـ حاضر العالم الاسلامي ، تأليف لوثروب ستوداردا الامريكي ، نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض ، دار الفكر للطباعة والنشر المجلد الثاني الجزء الرابع ص ٢ .

٢ ـ عبقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ، لعباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧١م ص ٨ .

٣ ـ انظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين ، بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٩م ص ٧ ومابعدها .

يقول لوثروب ستودارد الامريكي : — (وفي الواقع فان ذلك الفتح الاقتصادي قد كان العامل الاكبر في سرعة تقدم اوربا وبلوغها اوج الكمال وقمة العظمة اما امر اخضاع البلدان الشرقية فقد كان بعضه يتم على ايدي القوى العسكرية كحملة فرنسا على الجزائر ، وفتح روسيا لاواسط اسيا ، وغزو ايطاليا لطرابلس الغرب . وبعضه الاخر على يد الوسائل الاقتصادية الصرفة وذلك ما هو معروف ب " الفتح السلمي " اعني به : القبض على خناق بلاد شرقية مستقلة استقلالا مخترق السياج برؤوس الاموال الغربية تمد بها الدولة الفاتحة تلك البلاد على شكل القروض والامتيازات ، ومتى ما تم ذلك اخذت السيطرة السياسية تبدو شيئا فشيئا حتى تنتشر انتشارا يطبق على البلاد وعلى هذه الطريقة تم فتح مصر ، ومراكش ، وبلاد العجم ، بينما كانت الهند من قبل ذلك تستعمرها " شركة الهند الشرقية " بوسائل تجارية بحته ...) "١"

وبعد ان تحقق للمستعمر ما يريد ، وبسط سلطته في رقعة الشرق الاسلامي ، بدأ يفكر في الطريقة التي تؤهله للبقاء في المنطقة ، وتمكنه من العيش فيها بسلام ، وتضمن له تحقيق اهدافه وغاياته ...

وليس له هنا طريق لتحقيق ما يريد سوى الدخول الى معتقدات المسلمين وتغيير مفاهيمهم ، وتصوراتهم ، وتشويه التراث الاسلامي ، والتشكيك في الاسلام حتى يبعد المسلم عن دينه وعقيدته ...

وامام هذا الواقع المؤلم ظهر من الناس فريقان :

فريق نسب نفسه الى الاسلام زورا وبهتانا فنادى باتباع الغرب فيما وصل اليه ، والاخذ عنه ، غثه وسمينه . كما نادى بتقريب الاسلام ، وتأويل ما فيه مما يخالف الغرب ، فلاقى هؤلاء كل عون من المستعمر الغربي .

---

١ — حاضر العالم الاسلامي ، المجلد ٢ الجزء ٤ ص ٧ .

وكان من نتيجة ذلك ظهور صيحات تنادي بالوطنية ، وحب الوطـــن بالمعنى القومي الحديث في اوروبا ، الذى يقوم على التعصب لمساحة محدودة من الارض ، وتنادي بحرية خارجة عن حدود الدين باعتبارها حجر الزاوية في نهضة اية امة ، وفي تقدمها ، وتنادي بتحرير المرأة من قيود الدين ، وبالثورة علـى القديم ، واتباع النظم الاقتصادية الغربية واحلالها محل التشريع الاسلامي ، وايهام المسلمين انها تتفق مع احكام الاسلام ونظمه ٠ "١"

اما الفريق الثاني فقد اخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن الاسلام والوقوف في وجه الافكار ، والمبادئ الهدامة ، وتفهيم المسلمين حقيقة الاسلام والدعوة الى التمسك به ، على اكمل وجه ، ونبذ حضارة الغرب وثقافته ، ودفع حملات التشويه والتضليل ، ومواجهة المستعمر وتحديه ، وقد مثل هذا الفريق علماء وشيوخ الازهر الشريف المخلصين ومن هؤلاء الشيخ محمد عبده ٠ "٢"

---

١ ـ ومن هؤلاء حركة السيد احمد خان في الهند التي سماها تجديدا ، وحركة ميرزا غلام احمد ٠ / انظر كتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي تأليف الدكتور محمد البهي ص ٢٠ ، ٢١ ، الطبعة الخامسة دار الفكر بيروت ١٩٧٠م٠

ومنهم رفاعة رافع الطهطاوى في مصر ، وخير الدين التونسي في تونس ، انظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية ص ١٨ وما بعدها : / واتجاهات التفسير في العصر الحديث للدكتور عبد المجيد المحتسب ص ١٠ / واصول الفكر الغربي الحديث عند الطهطاوى للدكتور محمود فهمي حجازى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م٠

٢ ـ انظر كتاب : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٢٠ وما بعدها بتصرف ٠

ويرى البعض ان الشيخ محمد عبده وتلاميذه في مصر قاموا بدور التوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية ٠ / انظر اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص ١٧ ٠

ثانيا : الحياة الثقافيـــة والأدبيــــة

كانت الحياة الثقافية والادبية في عصر الشيخ محمد عبده ضعيفة المستوى وذلك بسبب اتصال الغرب المسيحي بالشرق الاسلامي ، اتصال اعتداء مسلح موجه ضد المسلمين من ناحية واتصال مسخ وتزييف للشخصية الاسلاميــة والتطورات الاسلامية والمفاهيم الاسلامية والسلوك الاسلامي من ناحية اخرى ، بقصد اضعاف المسلمين وتأويل وتحريف ما في الاسلام من مبادئ ونظم ... بما يوافق مدنيتهم الحديثة .

وكان من نتيجة هذا الهجوم على الدين والمتدينين انعدام المدارس والمعاهد والجامعات ، وقلة المعلمين والمتعلمين ، ولم يبق لطلاب العلوم مجال يعملون فيه سوى ما يسمى "بالكتاتيب" التي كانت تعنى بطالب العلم منذ طفولته ، وتحفظه القران ومبادئ العلوم ثم ينتقل بعد ذلك الى حلقات الجوامع ، او ملاحقة العلماء والتتلمذ عليهم ، او الدروس الخاصة في البيوت الموسرة القادرة على تحمل نفقات التعليم ... "١" .

يقول الاستاذ الندوى في وصف هذه الحالة : (ويبدو ان التخلف كان عاما في المجتمعات الاسلامية ، وان العالم الاسلامي كان مصابا بالجـــدب العلمي والشلل الفكرى ، لاننا نجد ان كتب المتقدمين رحلت عن حلقات العلـم وحلت محلها كتب المتأخرين التي غصت بالمتون والشروح والحواشي والتقريرات ولم يكن تخلف المسلمين في العلوم النظرية والحكمية "٢" والمدنية فحسب بل تخلفوا

---

١ ــ انظر كتاب : سيد قطب ، الشهيد الحي ، بقلم صلاح عبد الفتاح الخالدى مكتبة الاقصى ــ عمان ــ الاردن ــ الطبعة الاولى ١٤٠١ هـــ ١٩٨١م ، ص ٨٠ .

٢ ــ الفلســـــفية .

في صناعة الحرب ايضا فسبقتهم اوروبا باختراعاتها وقوة ابداعها وحسن تنظيمها ٠ "١"

الى جانب هذا وفي الجانب الاخر كانت هناك المدارس التبشيرية التابعة الى الغرب الصليبي ، وكان التعليم فيها بغير اللغة العربية ، غير ان بعض هذه المدارس كانت تعنى باللغة العربية لتخدع الناس وتوهمهم بأنها غيورة على العرب والعروبة بينما كان هذا حاصلا في المدارس التبشيرية كانت المدارس التركية تقلل من اهمية اللغة العربية ، وذلك تمهيدا وتشجيعا من المستعمر لكي يثور العرب على الدولة العثمانية ، واستدراجا ومطية لنفث الافكار الغربية الخبيثة في صفحات الكتب ، وحجر التدريس لتسميم العقول العربية ، وتشويه المعتقدات الاسلامية ، والسير بالطلاب في خط الانحراف المطلوب ٠ "٢"

ففي مصر مثلا اظهر سعيد باشا "٣" اهتماما بالغا بالمدارس الاجنبية ، المؤسسة بمصر بمعرفة الارساليات التبشيرية ، ومنح المساعدات السخية للراهبات في اديرة القاهرة والاسماعيلية ، ووهب الابنية الفخمة للارساليات

---

١ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لابي الحسن الندوى ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، الطبعة العاشرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م ص ١١ ، ١٢ ٠

٢ ـ انظر كتاب : رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته ، تأليف الدكتور احمد الشرباصي ص ٥٣ ـ ٧٩

٣ ـ الخديوى سعيد ، خليفة الخديوى عباس ، والخديوى لقب اطلق على ملوك مصر من ورثة محمد علي باشا ، وكان عصره بلاء على الشعب المصرى ، في جميع المجالات وخاصة في المجال الاقتصادى والقيم والاخلاق ٠
انظر كتاب : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر لعبد المحسن طه بدر ص ٢٣ ، ط ٢ / وكتاب : المسرحية في الادب العربي الحديث لمحمد يوسف نجم ص ٢٤ ، ٢٥ ، دار الثقافة بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٦٧م ٠

الامريكية ، وتبرع بسخاء للمدارس الايطالية . "١"

وازدادت حالة التعليم سوءا في عصره ، ويبدوا ان وراء ذلك رغبة في نفسه وهي ان يحكم مصر حكما صارما ما دام الشعب سادرا في ظلمات الجهل ، فقد قال لسكرتيره مرة : (ولم نعلم الشعب ؟ لكي يصبح الحكم عليه والتصرف فيه اعسر مما هو عليه ، ؟ دعهم في جهلهم فالامة الجاهلة اسلس قيادا في ايدى حاكميها) . "٢"

هذا نموذج لحال هذا العصر من الزمان ، ولقد كانت مصر اذا ما قيست الى الدول الاسلامية الاخرى الاسيوية منها والافريقية احسن حالا ، واطسى مقاما من الناحية التعليمية ، لان فيها الازهر الشريف ، الشجرة الطيبة يتفيوء ظلالها طلاب العلم ، ويقطف من ثمارها العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه .

وفي مواجهة ذلك كله كان الازهر بثقافته الاسلامية وجهوده في نشرها هنا وهناك يقاوم الثقافة الاجنبية ، والمبادىء والنظم الهدامة والشعارات البراقة المزيفة والمفاهيم الخاطئة التى سرت في جسم الامة الاسلامية سريان النار في الهشيم ، ويقف حاجزا منيعا دون انتشارها ، وسدا حصينا يصدها ويجعل مهمتها صعبة جدا وغير مأمونة ...

ومهمة الغرب المستعمر هي العمل على اضعاف وتوهين النشاط العلمي عند المسلمين في جميع المجالات ، وفي اسلامهم اولا وبالذات . والوصول به الى ادني درجات التفكير .

---

١ — انظر كتاب : تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، لالياس الايوبي ، مطبعة دار الكتب المصرية — القاهرة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٣م ص ٨٤ .

٢ — كتاب : حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، لجاك تاجر ، دار المعارف بمصر ١٩٤٥م ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

لذلك فقد استخدم كافة الوسائل في تحريف الفكر الاسلامي ، تحريفا يبعد المسلم عن التعاليم ، الاسلامية الصحيحة ويقربه من الافكار الغربية ، وهذه الوسائل يمكن ردها الى ما يلي :—

١ — تنشئة جيل جديد من ابناء المسلمين ، يربى تربية خاصة على اسس اوربية ليقترب من الاوربيين في طريقة التفكير ، والسلوك ، من امثال " رفاعة الطهطاوى " في مصر" و " خير الدين التونسي " في تونس اللذين كان لهما اثر كبير في نقل الافكار الاوربية الى المجتمع الاسلامي في مصر وتونس والترويج لها بشكل يدعو الى العجب ... "١"

يقول الدكتور محمد محمد حسين : (ولكن اهمية الطهطاوى وخير الدين ترجع الى انهما قد جلبا هذه البذور الغربية والقياها في التربة الاسلامية) . "٢"

٢ — في تشويه الاسلام واعادة عرضه بحيث يبدو متفقا مع الفكر الغربي ، او قريبا منه ، وفي هذا خطر على الاسلام واهله ، لان فيه تأويلا للنصوص ، وتحريفا لها ، مما يؤدى بالمسلمين الى الفرقة والاختلاف ،

---

١ — انظر الاسلام والحضارة الغربية ص ١٧ الطبعة الاولى بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .
وانظر الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى دراسة وتحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣م .
وانظر : رفاعة رافع الطهطاوى تأليف الدكتور جمال الدين الشيال ، دار المعارف بمصر ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ١٩٧٠م .
٢ — الاسلام والحضارة الغربية ص ١٧ .

وهو ما يريده اعداء الاسلام ، وقد حصل لولا ان الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ هذا الدين من ايدى العابثين ، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه . "١"

٣ ـ الدور الذى لعبه النصارى المقيمون في ظل الدولة العثمانية ، الذين كانت تتعلق امالهم بالعيش في جو غير اسلامي ، لان الدين الاسلامي يفرض عليهم امورا يصعب عليهم الانفلات منها ، والعمل بحرية لاستكمال مصالحهم .

فأنشئوا الصحف والمجلات ، والكتب التي كان معظمها يروج للمذاهب الاجتماعية والتربوية المنقولة من كتب الغرب وثقافته .

وقد برز هذا الدور في صورتين :ـ

الاولــــى :

========= قيام بعض العملاء بحركة سموها تقدمية ـ هدفها تقرير سلطة المستعمر ، وموافقته في كل جديد يدخله على الاسلام .

ويمثل هذه الصورة " السيد احمد خان " في الهند ، " وميرزا غلام احمد " زعيم لحركة القاديانية "٢" ، "ومولاى محمد علي " ، " وخواجه

ـ

---

١ ـ انظر : اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص ١٠ ، ١١ ، نقلا عن الاسلام والحضارة الغربية ص ١٩ وما بعدها .

٢ ـ ولد ميرزا غلام احمد سنة ١٨٤٠م ، من اصل سلالة مغولية ، تلقى تعليمه في بيته على معلمين : فضل الهي ، وفضل احمد ، ادعى النبوة وقال ان عيسى حل فيه ، وكذلك محمد ، توفي سنة ١٩٠٨م /
انظر : كتاب القادياني والقاديانية ، دراسة وتحليل ابو الحسن الندوى ص ٢٢ ـ ٢٩ ، الدار السعودية للنشر الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م / وانظر كتاب : المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ، للدكتور عبد الرحمن عميرة الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م ص ٢٧٥ وما بعدها .

كمال الدين " زعيم الحركة الاحمدية . "١"

الثانيـــــة :

======== قيام بعض المستشرقين بابراز الخلافات المذهبية ، وتعميق الفجوات والثغرات بين طوائف المسلمين وشيعهم ، بقصد تشكيك المسلمين في دينهم ، وتمكين المستعمر في الديار الاسلامية من ضمان استمرار بث الروح الصليبية ، والافكار الكهنوتية في الكتب والمؤلفات التي تقدم بالمجان للمسلمين . "٢"

وفي مقابل هاتين الصورتين برز اتجاه فكرى اسلامي معاكس ، تمثل في حركة اسلامية هدفها مقاومة الاستعمار الغربي ، وتحطيم وسائله ، ورد كل دخيل على الاسلام ، وبيان وضوح المنهج الاسلامي والفكر الاسلامي وشموله .

هذا الاتجاه كان يمثله الازهر الشريف الذى دعا الى تمسك المسلمين باسلامهم كما ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والتثقف بثقافة الاسلام ، وعدم انصهار ابناء المسلمين في بوتقة الفكر الغربي ، والتحذير من الوقوع في شركه واحابيله .

يقول لوثروب : (ان الامم الاسلامية في الشرق لم تقبل على انتحال الافكار والاراء الغربية انتحالا شديدا مأخوذا به الى حد امتزاجه بطبائعها واخلاقها ...) "٣" كان ذلك بفضل الله اولا ثم بقوة الازهر وصموده .

---

١ ـ حركة منشقة عن الحركة القاديانية ، حاولت التوفيق بين الاسلام والمسيحية ، اظهرت نشاطا كبيرا في مجال التبشير في العالم العربي والاسلامي كفلسطين وباكستان . / انظر الموسوعة العربية الميسرة البرت ريحاني ، واخرون من الاساتذة ، دار الشعب بالقاهرة ، ومؤسسة فرنكلين ، الطبعـــــة الثانية ١٩٧٢م ص ٢٣ .

٢ ـ انظر الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي الطبعة الخامسة ١٩٧٠م ، دار الفكر بيروت ص ٢٩ وما بعدها .

٣ ـ حاضر العالم الاسلامي المجلد ٢ الجزء ٤ ص ٣ .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام تلك المحاولة الفكرية لتوضيح المفاهيم الاسلامية بغية الملاءمة بينها وبين روح العصر ، واحداثه المتلاحقة المتجددة ، دونما خروج عن دائرة الاسلام ، كتلك المحاولة التي قام بها " محمد اقبال " "١" في الهند ، والشيخ محمد عبده في مصر .

---

١ — الشاعر الاسلامي محمد اقبال (١٨٧٣ — ١٩٣٨) باكستاني ولد في مدينة سيالكوت درس الفلسفة والادب ، واشتغل بالمحاماة دعا الى نبذ التصوف الذي يؤدي الى انامة الامة . وله عدة مؤلفات باللغة الاردية .
/ انظر : الموسوعة العربية الميسرة باشراف محمد شفيق غربال ، دار الشعب مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

ثالثا : الحياة الدينية والاجتماعيـــــة

=========================

ما ان استقرت اقدام المستعمر الغربي فوق الارض الاسلامية ، حتى اخذ يفكر بكل حيلة ووسيلة لتوهين عقيدة المسلم ، وتفكيك الروابط الاسلامية وتجزئ المجتمع الاسلامي ، وطمس الشعائر ، واظهار البدع ، والتشجيع على تعاطي المحرمات والكبائر ...

فكتبوا الكتب ، ونشروا الرسائل ، ووزعوا المنشورات ، والقوا المحاضرات للطعن في الاسلام ، والتشكيك فيه وفي صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، عدا عن السباب ، والصاق التهم به والكذب عليه ، ...

والحقيقة ان المستعمر نجح في اسلوبه هذا ، وحقق كثيرا مما اراد ، فانسلخ كثير من الناس عن دينهم ، وشوهت صورة الاسلام ، وصورة المجتمـــع الاسلامي ، وصارت العبادات ضروبا من الاوهام والعادات في غالبية البلاد ، وعند كثير من الناس .

والكاتب الامريكي لوثروب استطاع ان يشخص الحالة الدينية عند كثير من المسلمين في هذه الفترة فقال (١) :ـ

(واما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من ارباب الصلوات ، وكثر عدد الادعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكيـــن

---

١ ـ حاضر العالم الاسلامي ، لوثروب ستودارد المجلد الاول ، الجزء الاول ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج الى قبور الاولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القران ، فصار يشرب الخمر والافيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل ، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الاسلام ، فصار الحج المقدس الذى فرضه النبي "١" على من استطاع ضربا من المستهزآت ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة الى الارض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الاسلام لغضب واطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يلعن المرتدون وعبدة الاوثان) ا . هـ

هذا من الناحية الدينية ، اما الناحية الاجتماعية فقد ضيق المستعمر الغربي سبل المعيشة على المسلمين ، وشدد وطأته عليهم ، واضر بهم من كل جهة ، فكان من نتيجة ذلك ، انتشار البطالة ، وقلة الانتاج ، وتضييق السبيل على من يطلب الرزق ، ورافق ذلك انتشار السرقة ، ونفي وسجن كل من تسول له نفسه من علماء المسلمين ورؤسائهم ، العمل على مقاومة الاستعمار وكبح جماحه ،

---

١ — لم يفرضه النبي عليه السلام ، بل فرضه الله سبحانه ، والنبي مبلغ ، وقد قال : " يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا " رواه احمد ومسلم والنسائي .

انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الفقهية المقرونة بالادلة الشرعية تأليف عبد العزيز المحمد السلمان . من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد — السعودية — الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م الجزء الثاني ص ٢٠٠ .

وهذه شهادة من لا يدين بالاسلام ، ودينه النصرانية .

يقول لوثروب : "١"

(ما اشبه غالب الدول النصرانية في سلوكها هذا الذى ما برحت سالكته منذ عدة سنوات ازاء الامم الشرقية ، بعصابة من اللصوص يهبطون على الحلل "٢" الآمنة ، اهلها ضعفاء ، عزل ، فيثخنون فيهم ثم ينقلبون بالغنائم والاسلاب ، ما بال هذه الدول لا تنفك تدوس حقوق الامم المجاهدة في سبيل النهضة .... ؟ وعلام هذا العسف الذى تضرب به الشعوب المستضعفة ؟ وهذا الجشع الكلبي ، لانتياش ما بين ايديها وما خلفها ؟ ان هذه الدول الغربية النصرانية هي بعملها هذا مؤيدة للدعوى الباطلة ان القوى الشاكي السلاح يحق له الانقضاض على الضعيف الاعزل ، وآتية بالبرهان القاطع على ان مكارم الاخلاق والاداب الاجتماعية لا شأن لها البتة حيال القوة المسلحة . اجل ، ان هذه الدول قد تجردت عن كل حسنة في معاملة الشعوب الشرقية تجردا لم يسبق له مثيل حتى بين اشد الجيوش الشرقية همجية في الزمن القديم) . "٣"

ومن ناحية اخرى ، فقد نجح المستعمر الغربي ايضا في اختيار فريق من الناس ، لبسوا لباس الاسلام ، ونطقوا باسمه ، وفي نفوسهم غل وحقد على اهله وفي قلوبهم زيغ وزندقة ، سخرهم لمصلحته في افساد دين المسلمين ، وعقيدتهم ،

---

١ ــ حاضر العالم الاسلامي المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص ١٢ .
٢ ــ يقصد المحلة ، اى المكان او المنطقة .
٣ ــ لم يبين مقصده بجيوش الزمن القديم ، فان كان المغول فصحيح ، اما الفتوحات الاسلامية فسيرتها عطرة من حيث العدل والامانة والرحمة ، .... الخ .

وفي توهين الرابطة الاسلامية بينهم ، وتبديد جمعهم ، وتشتيت شملهم ، من هؤلاء كما ذكرنا سابقا " احمد خان " و " ميرزا غلام احمد "...

أما الأول فقد تنصر ارضاء لاسياده الانجليز ، ثم ظهر بمظهر الطبيعيين ، ولقب نفسه بالطبيعي ، ، واستمال بعض الشبان الطائشين ، فرأى فيه الانجليز خير وسيلة لتحقيق غرضهم ، فعززوه وكرموه .

وكان من اعماله : تفسير القرآن الكريم حرف فيه الكلم عن مواضعه ، واشترى بآيات الله ثمنا قليلا ، فأنكر المعجزات والخوارق ، الحاصلة على يد مدعي النبوة صلى الله عليه وسلم ولكنه مع ذلك ظل يقر بختم النبوة والرسالة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما الثاني : فقد ادعى انه المهدى ، وقال ان عيسى ومحمد عليهما السلام حلا فيه فهو نبي "١" والغى فريضة الجهاد ، واوجب طاعة الانجليز باعتبارهم اولي الامر الحاكمين .

وهو اول مؤسس للمذهب القادياني ، الذى نشأ منه فيما بعد ما يسمى بالحركة " الاحمدية " وهي تختلف عن القاديانية في انها تنظر الى " ميرزا " على انه مصلح ديني لا نبي . "٢"

وبمساعدة المستعمر لهذه الحركات وغيرها ، شهد العالم الاسلامي كله فرقة في العقيدة والدين ، وفي القيادة والولاء ، وتغير اتجاه كثير من الناس ، وفسدت فطرهم ، وانحرفت تصوراتهم ، اضف الى هذا ، الجهد ، المتواصل

---

١ — انظر كتاب : كبرى اليقينيات الكونية تأليف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٠هـ ص ٣٣٤ — ٣٣٥ .

٢ — انظر كتاب : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٣٧ وما بعدها .

الذى بذله المستشرقون في ابراز الخلافات المذهبية وتعميق الفجوات بين طوائف المسلمين ، من الوجهة الشعوبية ، او الجغرافية ، او من ناحية نظام الحكم ... مع شرح كثير من الافكار والمبادئ الاسلامية شرحا مشوها ، بالاضافة الى تربية جيل جديد يمجد القيم المسيحية ، والاخلاق المسيحية ، والعادات المسيحية ، والحضارة المسيحية ، والانظمة المسيحية ، وكل ما هو مسيحي ، ويدعو الى تقليدها بحجة انها لاتتعارض مع الاسلام . "١"

حصل هذا في معظم البلاد الاسلامية ولا زالت اثاره شاخصة في ... العالم الاسلامي حتى وقتنا اليوم . "٢"

ولكن المستعمر الغربي واعوانه واجهوا موجة عنيفة من قبل المسلمين ، في جميع الاقطار المستعمرة ، فتصدى فريق من العلماء لهذه الجبهة المعادية ، بكل ما يملكون فانبرت فرقة تنقد نظرياتهم وافكارهم وتنقضها ، واخرى وضعت منهجا فكريا اسلاميا لتقوية عقيدة المسلمين ، وثالثة هبت للدفاع عن الشعب وحقوقه ، واسترجاع ما سلب منه .

وكان الشيخ محمد عبده في مصر من الذين دافعوا ونقدوا وخططوا ، وله في ذلك مواقف وآراء ، وسأبين هذا في الفصول القادمة باذن اللـــه تعالـــى .

---

١ ــ انظر : الاسلام والتجديد ، تأليف تشارلز آدمز ، ترجمة عباس محمود ، مطبعة الاعتماد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥م ص ١٠ وما بعدها .
وانظر : الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني . جمع وتحقيق محمد عمارة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ص ٢٥٠ وما بعدها .

٢ ــ انظر كتاب : مذكرات قليني فهمي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ص ٧ وما بعدهـــا .
وانظر : تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ، =
الطبعة ...

" عصر الضعف الاسلامي العام "

====================

واقصر الكلام على عصر الشيخ محمد عبده فأقول :-

انه عصر الضعف الاسلامي العام : السياسي ، والاقتصادى والثقافي ، والادبي ، والاجتماعي ... الخ .

وفي هذا العصر دخلت الدول الغربية موحدة طابعها الاستعمار والسياسة ، وقوامها العلوم والفنون والصناعات ، والثروة والنظام ... وامور اخرى غيرها بما يمكن لفئة قليلة ان تغلب فئة كبيرة في وقت قصير .

فباتت الامة الاسلامية بفعل هذا الاستعمار امة مغلوبة على امرها ، تتقاذفها التيارات من كل جانب ، وتتقاسم الدول ديارها وهي غارقة في بحار من الجدليات والاوهام والخيالات ...

يتكلم الشيخ رشيد رضا عن حال الناس في هذا العصر وما يقتضيه من التجديد ، يقول :-

(اتسعت مسافة الخلف بين الشعوب في العلم والعمل ووسائلهما ، واشتدت الحاجة الى تجديد الحياة في المتخلفة منها عن المتقدمة ، لا ينهض بمثله امثال اولئك المجددين القدماء بالوسائل القديمة وحدها ، ولا يطمح اليه صوفي يستمد قوته من الاموات ، ويتكل على الكرامات ، ويغتر بالمنامات ، ولا يطمع في تذليل صحابه واقتحام عقابه غريق في بحار النظريات العقلية ، ومفترق الافكار بنظريات الفلسفة ، ولا يطلع ثناياه ، ويجتلي خفاياه ، منقطع الى كتب الشرائع واستنباط احكام الوقائع ، يتسامى اليه من تعلم العلوم والفنون العصرية تعليما

= الطبعة الثانية ١٩٧١م ، ص ١٠ وما بعدها .

وانظر : حديث عيسى بن هشام ، لمحمد ابراهيم المويلحي ، مطبعة مصر ، الطبعة الرابعة ص ٤٠ وما بعدها .

آليا ليكون احد العمال في دائرة من دوائر الحضارة او ديوان من دواوين حكومتها) .[١]

وليس يبلغ واصف لحال هذا العصر ما بلغه النبي صلى الله عليه وسلم حين مثل حال المسلمين وقد تألبت عليهم امم قوية بالعلم والنظام والفن والعمل والسلاح والتعاون تستلب ملكهم ... فقال :

" يوشك أن تداعى عليكم الامم كما تداعى الاكلة الى قصعتها " فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل انتم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ، وسينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن " قال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ ، قال " حب الدنيا وكراهية الموت ".[٢]

صدقت ياسيدى يارسول الله صلى الله عليك وسلم ....

فهذه الدول تتداعى علينا بجيوشها ، ومذاهبها وثقافتها وآدابها ، فتستولي على افكارنا وعلى بلادنا وعلى ثرواتنا وتفكك وحدتنا وتجمعنا وتسرف في العمل على انحلال اخلاقنا وقيمنا ، فانصرفنا عن الحق الى الباطل حتى صارت الدنيا اكبر همنا والموت من اشد اعدائنا ... لولا بقية من ايمان احتفظت بها ارض الجزيرة العربية بجوار البيت الحرام ، والازهر الشريف في مصر ، وفي بعض المدن الاسلامية ، ليتم الله نوره ولو كره الكافرون .

---

١ ـ تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، تأليف محمد رشيد رضا ، الطبعة الاولى ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١م . الجزء الاول صفحة " هـ " .

٢ ـ الحديث صحيح ، رواه ابو داود في السنن والبيهقي في دلائل النبوة من حديث ثوبان رضي الله عنه .

الفصـــل الثاني : أطوار حياتـــه

======================

يمكن تقسيم حياة الشيخ محمد عبده الى طورين :ـ

الطور الاول :

======== ومدته عشرون عاما ،

مولده ، ونشأته ، وتعليمه ، يبتدأ بمولده سنة ١٨٤٩م / ١٢٦٦ هـ حتى اول لقاء له مع السيد جمال الدين الافغاني سنة ١٨٦٩م ،

الطور الثانـي :

========= طور حياته العملية ، ومدته ستة وثلاثون عاما ، من سنة ١٨٦٩م حتى وفاته سنة ١٩٠٥م ٠

ويقسم هذا الطور الى ثلاث مراحل على النحو التالي :ـ

١ ـ مرحلة ما قبل النفي ، وتمتد من سنة ١٨٦٩م ـ ١٨٨٢م ،

٢ ـ مرحلة النفي ، وتمتد من سنة ١٨٨٢م ـ ١٨٨٩م ٠

٣ ـ مرحلة ما بعد عودته من منفاه الى وطنه وتمتد من سنة ١٨٨٩م الى وفاتـه سنة ١٩٠٥ م ٠ رحمه الله ٠

ولنبتدئ بالكلام على " الطور الاول " من سنة ١٨٤٩م حتى سـنة ١٨٦٩م ٠

١ ـ قريتـــه :ـ

============= ولد الشيخ محمد عبده ب " حصة شبشير " من قـرى اقليم الغربية ، ولكنه شب وترعرع في قرية اخرى تسمى " محلة نصر " من قـــرى مركز " شبراخيت " باقليم " البحيرة " حيث عاش والده ، وعاشت اسرته ٠"١"

---

١ ـ انظر كتاب : عبقرى الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده تأليف الاستاذ : عباس محمود العقاد ص ٦٥ ٠

واذا كانت دراسة حياة اى انسان لابد ان تستوعب كل مراحل حياته ، وتبين المؤثرات في كل مرحلة فمن الضرورى معرفة مؤثرات قرية الشيخ محمد عبده على الطور الاول من حياته وعلى بقية مراحل حياته ...

أقول : ان قرية الشيخ محمد عبده كغيرها من قرى القطر المصرى ، تمتاز بخصب أرضها ، وطيب اهلها ، وجمال منظرها ، مما يكون له اثر كبير في تكوين شخصية الطفل ، ونفسيته ، وهذا هو السبب المباشر في ان غالبية الزعماء والقادة والمفكرين هم من الارياف ، لصفاء الحياة هناك وساطتها والبعد عما في المدينة من تعقيدات تعكر الحياة ... ،

وهكذا كان لقرية الشيخ محمد عبده الاثر الكبير في تكوين شخصيته ونفسيته ، وسلوكه ، فكان خصب الفكر ، دسم الانتاج ، كبير العقل ، جرئ القلب ، قوى الشخصية ، شديد الاعتداد بنفسه ، الا انه كان حاد الطبع عصبي المزاج ، بخلاف ابناء الارياف الذين يكتسبون من بيئتهم الهدوء والسكينة . "١"

٢ — أصلـــــه :—

===============

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله التركماني ، من اسرة تنتمي الى بيت " التركمان " .

فهو اذا تركماني الاصل بلا خلاف ، جاء جده الى مصر وسكن فيها ، ولا نعرف سبب مجيء جده اليها ...

يقول الشيخ محمد عبده : (كنت اسمع المداحين من اهل بلدتنا يلقبون بيتنا ببيت التركمان فسألت والدى عن ذلك فأخبرني ان نسبنا ينتهي الى جد تركماني ، جاء من بلاد التركمان في جماعة من اهله ، وسكنوا في الخيام بمديرية " البحيرة " مدة من الزمن ، ثم اتفق ان اتصل بهم شيخ يسمى " عبد الملك " لا

---

١ — انظر : تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٤٠٤ ، ٤٠٥) . =

يعرف نسبه ، ولكنه كان معتقدا ان له كرامات تنسب اليه ، واتخذ له خلوة في المحل الذي اسست فيه قرية " محلة نصر " فلما توفي رأى جدنا ومن كان من اهل بيت الشيخ وبيت اخر يسمى بيت " الفرنوالي " ان يبنوا له قبة ثم يقيموا لهم بيوتا من البناء حول تلك القبة ويسكنوها) . "١"

٣ - اسـرته :-
==============

تحدث الشيخ محمد عبده ، عن اسرته ، ومكانتها في القرية ، ومركز والده فقال : "٢"

(أول ما علمت من انا ، ومن والدى ، ومن والدتي ، ومن هم اقاربي ، وجيران بيتي ، عرفت اني ابن " عبده خيرالله ") .

وبعد أن يبين مدى احترامه لابيه وحبه له يقول :

(وجدت والدى يقرى الضيف ، ويؤوب الغريب ، ويفتخر باكرام النزيل ، وذلك كان يزيد منزلته من نفسي علوا ، وأنا لا أفهم من هذا الا انه شيء يفتخر به بدون أن أعقل له علة ...) .

= وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا القسم الاول ، ص ٥ ، ٦ ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الاولى ١٩٥٨م - ١٣٧٧ هـ .

١- انظر : الاعمال الكاملة للامام (٢ : ٣٢٤) .

٢- كتب الشيخ محمد عبده سيرته هذه في اخريات ايامه ، في شكل ترجمة موجزة لحياته ، طلبها منه الكاتب الانجليزى " بلنت " .

/ انظر الاعمال الكاملة للامام (٢ / ٢٣٧) .

والشيخ محمد عبده يعتقد ان والده لهذا العمل كان اعظم رجل في القرية (وكان يمدني في اعتقادى هذا رؤيتي لبعض الحكام كناظر القسم " مأمور المركز " وحاكم الخط " معاون المركز " ينزلون عندنا ، ولا ينزلون في بيت العمدة مع انه كان اوسع رزقا من والدى ، واكثر دورا وارضين) .

ومع هذا فقد كان والده حاد الطبع عصبي المزاج قاسيا في معاملة اعدائه (وكنت اعقل من صغرى ما كان عليه والدى من ثباته في عزيمته وشدته في المعاملة ، وقسوته على من يعاديه ...) .

كما حدثنا عن اسرة والدته قائلا :

(وهو بيت كبير في بلدة تسمى " حصة شبشير " في الغربية يعرف ببيت عثمان ، وكان كبيره اذ ذاك جدى " ابراهيم عثمان " الكبير)

وعن والدته قال : (اما والدتي فكانت منزلتها بين نساء القرية لا تنزل عن مكانة والدى ، وكانت ترحم المساكين ، وتعطف على الضعفاء ، وتعد ذلك مجدا وطاعة لله وحمدا) .

وعن اخوته واخواته قال : (ولم يولد له منها — يعني والديه — غيرى الا بنتان احداهما تسمى " زمزم " وهي بكره ، وتوفيت قبل ولادتي ، والاخرى تسمى " مريم " وهي لم تمت حتى تزوجت وانا في اخر سني طلب العلم) .

وحدثنا عن اعمامه فقال :

(عرفت لي عما يسمى " بهنسي " ، ولا اعرف من احواله شيئا لانه مات قبل ان احفظ عنه ، وكان لوالدى ابن عم يسمى " ابراهيم " ولم يكن له بين الناس ما يذكر به) .

وعن جده لابيه قال :

(جدى لابي كان يسمى " حسن خيرالله " ، توفي عن ابي

وعمي " بالهواء الاصفر " الذى فتك بسكان القطر المصرى في اواسط القرن الماضي "١" .
ويقال انه كان له قبل موته من بني عمه وذوى عصبته نحو اثني عشر رجلا .
وشى بهم واش من بيت اخر جاء البلدة وسكن فيها . وحسد اهل الحسب من
سكانها . فسعى بأهل هذا البيت — بيت خير الله — عند الحكام . بحجة
انهم ممن يحمل السلاح . ويقف في وجه الحكام واعوانهم عند تنفيذ المظالم .
فأخذوا جميعا . وزجوا في السجون واحدا بعد واحد . ومن دخل منهم السجن
لا يخرج الا ميتا . وكان جدى " حسن " شيخا بالبلدة وهو الذى بقي من
البيت مع ابن اخيه ابراهيم) الذى سبق ذكره .

هذه هي أسرة الشيخ محمد عبده . التي رأى النور في جوها .
والحنان في احضانها . والقوة بين اذرعها ...

اسرته جمعت بين الوجاهة الريفية . والعدالة الاجتماعية .
والتحدى المستمر للظالم . ... وكان كل من في القرية ينظرون لوالده بعين
الاكبار والاجلال . حيث تبوأ مركز الصدارة في القرية . لدرجة ان كان هو العمدة
الفعلي للبلد وان لم يكن العمدة الرسمي لان جميع موظفي الدولة الذين يعملون في
القرية كانوا يترددون عليه باستمرار .

فلا غرابة اذن في ان يشعر الشيخ محمد عبده ان والده يمتاز عن غيره
بذلك المركز المرموق (ووقر في نفسي احترام والدى . ونظرت اليه اجل الناس
في عيني ...)

ويقول : (وقد اخذت عنه ما عدا القسوة) .

ولقد غرست هذه المشاعر في نفسه معاني العزة والكرامة . وهي المعاني

---

١ — اى اواسط القرن التاسع عشر . واذا كان يعني بالقرن الهجرى وهو الارجح
فانه منتصف القرن الثالث عشر الهجرى .

التي صاحبته طيلة حياته رحمه الله • "١"

٤ ــ نشأته وتربيته ومشاهد من حياتـــــه :ــ

==============================

في هذا العصر الذى وصفنا فيه حالة الامة الاسلامية ، عاش الشيخ محمد عبده ، وفي هذه القرية الجميلة الهادئة ــ الا من بعض الاحداث ــ نشأ وترعرع ، وفي ساحات وملاعب حاراتها درج ، وفي احضان تلك الاسرة الكريمـــة تربى ، وبين اعمامه واخوته "٢" قضى احلى ايام حياته ، ايام الطفولة التي لا تنسى •••

لقد رسم الشيخ محمد عبده صورة حية ، تنطق بجميع مراحل نشأتـــه وتربيته وطلبه للعلم ، منذ تعلمه القراءة والكتابه حتى انهى العقد الثانـــي من عمره •

لذلك احببت ان انقل كل ما كتبه هو عن نفسه وكفاني ان اضع بعـــض العناوين المناسبة لبعض الفقرات الواردة ، واشرح ما غمض منها •••

أ ــ تربية قويمة ونشأة صالحـــة :ــ

==========================

حرص والدا الشيخ محمد عبده على ان يربياه التربية القويمة ، وينشآه النشأة الصالحة ، ليكون انسانا صالحا ، مستقيما ، وليحقق الآمال التي يرجوانها منه ، يقول :ــ

---

١ ــ انظر : كتاب الاعمال الكاملة للامام (٢ / ٣٢١ ــ ٣٣٤) •
وانظر : تاريخ الاستاذ الامام (١ / ٩٥٢) •

٢ ــ كان للشيخ محمد عبده اخ من امه " الشيخ مجاهد " ، واخوان من ابيه " علي " و " محروس " •
انظر : الاعمال الكاملة (٢ / ٣٢٨) •
وعبقرى الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ص ٦٥ •

(تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدى ثم انتقلت الى دار حافظ للقران ، قرأت عليه وحدى جميع القران أول مرة ، ثم أعدت القراءة حتى اتممت حفظه جميعه في مدة سنتين ، ادركني في ثانيتهما صبيان من أهل القرية جاءوا من مكتب اخر ليقرأوا القران عند هذا الحافظ ، بعد ذلك حملني والدى الى طنطا ، حيث كان اخي لامي الشيخ " مجاهد " لاجود القران في المسجد الاحمدى ، لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية) . "١"

ب — في دروس العلـــــــم :—

======================

(ثم في سنة احدى وثمانين "٢" ، جلست في دروس العلم ، وبدأت بتلقي " شرح الكفراوى على الاجرومية " في المسجد الاحمدى بطنطا ، وقضيت سنة ونصفا لا افهم شيئا لرداءة طريقة التعليم ، فان المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية او فقهية لا نفهمها ، ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لا يعرفها فادركني اليأس من النجاح ، وهربت من الدروس ، واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة اشهر ، ثم عثر علي اخي ، فأخذني الى المسجد الاحمدى ، واراد اكراهي على طلب العلم فأبيت ، وقلت له ، : قد ايقنت ان لا نجاح لي في طلب العلم ، ولم يبق علي الا ان اعود الى بلدى ، واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل اقاربي ، وانتهى الجدال بتغلبي عليه ، فأخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى " محلة نصر " على نية ان لا اعود الى طلب العلم ،

---

١ — توافق سنة ١٨٦٢ ميلادية .

٢ — والف ومائتين ، ١٢٨١ هـ — ١٨٦٤م .

وتزوجت في سنة ١٢٨٢هـ "١" على هذه النية .

(فهذا اول اثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا ، وهي بعينها طريقته في الازهر ، وهو الاثر الذى يجده خمسة وتسعون في المائة ممن لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السهيل في التعليم "٢" ، غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تغشهم انفسهم ، فيظنون انهم فهموا شيئا ، فيستمرون على الطلب الى ان يبلغوا سن الرجال ، وهم في احـــلام الاطفال ، ثم يبتلى بهم الناس ، وتصاب بهم العامة ، فتعظم بهم الرزية ، لانهم يزيدون الجاهل جهالة ، ويضللون من توجد عنده داعية الاسترشاد ، ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين نفع النـــاس بعلمه) . "٣"

ج — عودة الى طلـــب العلـــم :

=======================

يقول الشيخ محمد عبده عن نفسه (بعد ان تزوجت باربعين يوما جاءني والدى ضحوة نهار ، والزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم ، وبعد احتجاج وتمنع واباء لم اجد مندوحة عن اطاعة الامر ، ووجدت فرسا احضر لي فركبته ،

---

١ — توافق ١٨٦٥م .

٢ — يقصد سبيل القاء المعلم على الطلاب ما يعرفونه ولا يعرفونه دون ان يراعي درجتهم واستعدادهم للفهم .

٣ — ان الشيخ محمد عبده يتخذ من حاله مقياسا يقيس به حال غيره ، ويعمم حكمه بناء على ذلك ، وما سوء البلية وعظم الرزية الا بمخالفة منهج الازهـــر القديم وطريقة حفظ المتون . وبعض علماء الازهر القريبين من عصر الشيخ محمد عبده ممن لا يزالون على قيد الحياة يؤكدون هذا ، ومنهم الاستاذ المشرف .

واصحبني والدى بأحد اقاربي ـ وكان قوى البنية شديد البأس ـ ليشيعني الى محطة " ايتاى البارود " التي اركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا .

كان اليوم شديد الحر ، والريح عاصفة ملتهبة سافياء "١" تحجب الوجه بشبه الرمضاء "٢" لم استطع الاستمرار في السير ، فقلت لصاحبي : اما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ، ولا بد من التعريج على قرية انتظر فيها ان يخف الحر . فأبى على ذلك فتركته ، واجريت الفرس هاربا من مشادته "٣" ، وقلت : اني ذاهب الى " كنيسة اورين " "٤" ، وقد فرح بي شبان القرية لانني كنت معروفا بالفروسية واللعب بالسلاح ، واملوا ان اقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه .

أدركني صاحبي ، وبقي معي الى العصر ، وارادني على السفر ، فقلت له : خذ الفرس وارجع ، وسأذهب صباح الغد ، وان شئت قلت لوالدى انني سافرت الى طنطا ، فانصرف واخبر بما اخبر ، وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتي وبدلت فيها رغبة غير رغبتي) .

د ـ مع الشيـــــخ درويــــش : "٥"

=====================

(ذلك أن أحد أخوال أبي وأسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء " ليبيا " ، ووصل في أسفاره الى " طرابلس الغرب " وجلس الى

---

١ ـ السافياء : الغبار المتطاير وقت شدة الحر بفعل الرياح .
٢ ـ الرمضاء : لهب يلفح الوجه من شدة الحر .
٣ ـ مشادته : مخاصمته ومجادلته مما قد يؤدى الى ان يشد الواحد الاخر .
٤ ـ بلدة في مصر غالب سكانها من خؤولة أبيه .
٥ ـ سنترجم له فيما بعد .

السيد محمد المدني "١" والد الشيخ "ظافر" المشهور ، الذى كان قد سكن "الآستانة" وتوفي بها ، وتعلم عنده شيئاً من العلم ، واخذ عنه الطريقة "الشاذلية" "٢" ، وكان يحفظ "الموطأ" وبعض كتب الحديث ، ويجيد حفظ القران وفهمه ، ثم رجع من اسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلح الارض وكسب الرزق بالزراعة .

وان هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها ، في "الكنيسة" "٣" وبيده كتاب يحتوى على رسائل كتبها السيد "محمد المدني" الى بعض مريديه بالاطراف "٤" بخط مغربي دقيق ، وسألني أن أقرأ له فيها شيئاً لضعف بصره فدفعت طلبه بشدة ، ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت منه اشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدى رميته الى بعيد ، ولكن الشيخ تبسم وتجلى في الطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى اخذت الكتاب وقرأت منه بضعة اسطر ، فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت بعبارة واضحة تغالب اعراضي فتغلبه وتسبق الى نفسي ، وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية ، فرميت الكتاب وانصرفت اليهم .

---

١ ـ من مشايخ الدرقاوية ، وهي طريقة صوفية ، وهو من نسل الامام الحسن ، فقيه مالكي . / انظر كتاب : الامام محمد عبده ، لعبد الحليم الجندى ص ٩ .

٢ ـ اتباع ابي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المتوفي سنة ٦٥٦ هـ وهو من نسل الامامين الحسن والحسين رضي الله عنهما ، نشأ في بلاد المغرب ، وساح في البلاد الاسلامية ، واستقر بمصر ، حيث مات ودفن على شاطيء البحر الاحمر ، وكان فقيها مالكيا . / انظر الامام محمد عبده لعبد الحليم الجندى ص ٩ .

٣ ـ القرية المسماة "بكنيسة اورين" .

٤ ـ في الجهات المتباعدة .

بعد العصر جاءني الشيخ بكتاب ، وألح علي في قراءة شيء منه ، فقرأت وفسّر ، ثم تركته الى اللعب ، وفعل في اليوم الثاني كما فعل في اليوم الاول .

اما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ له فيه وهو يشرح لي معاني ما اقرأ نحو ثلاث ساعات لم امل فيها ، فقال لي : انه في حاجة الى الذهاب الى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها ، فطلبت منه ابقاء الكتاب معي ، فتركه ومضيت اقرأه ، وكلما مررت بعبارة لم افهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها ، الى ان جاء وقت الظهر ، وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب ، وهوى يلتذه ينازعني الى البطالة . وفي عصر ذلك اليوم سألته عما لم افهمه ، فأبان معناه على عادته ، وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة في المطالعة والميل الى الفهم .)

هـ ــ مفتاح سعادتي :

==================

(وكانت هذه الرسائل تحتوى على شيء من معارف الصوفية ، وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الاخلاق ، وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا .

لم يأت علي اليوم الخامس الا وقد صار ابغض شيء الي ما كنت احبه من لعب ، ولهو ، وفخفخة ، وزهو ، وعاد احب شيء الي ما كنت ابغضه من مطالعة وفهم ، وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الى ما كنت احب وزهدونني في عشرة الشيخ رحمه الله ، فكنت لا احتمل ان ارى واحدا منهم ، بل افر من لقائهم جميعا كما يفر السليم من الاجرب .

وفي اليوم السابع سألت الشيخ : ما هي طريقتكم ؟ فقال : طريقتنا الاسلام . فقلت : اوليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ قال : لو كانوا مسلمين

لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الامر ، ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب ".

هذه الكلمات كانت كأنها نارا احرقت جميع ما كان عندى من المتاع القديم — متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة ، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون ، وان كنا في غمرة ساهين — سألته : ما وردكم الذى يتلى في الخلوات او عقب الصلوات ؟ فقال : لا ورد لنا سوى القران ، نقرأ بعد كل صلاة أربعة أرباع "١" مع الفهم والتدبر ، قلت: اني لي ان افهم القران ولم اتعلم شيئا ؟ قال : أقرأ معك ويكفيك ان تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك بالتفصيل ، واذا خلوت فاذكر الله — على طريقة بينها — واخذت اعمل على ما قال من اليوم الثامن ، فلم تمض علي بضعة ايام الا وقد رأيتني اطير بنفسي في عالم اخر غير الذى كنت اعهد ، واتسع لي ما كان ضيقا ، وصغر عندى من الدنيا ما كان كبيرا ، وعظم عندى من امر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا وتفرقت عني جميع الهموم ولم يبق لي الا هم واحد وهو ان اكون كامل المعرفة ، كامل ادب النفس ، ولم اجد اماما يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ الذى اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ، ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيد ، هذا هو الاثر الذى وجدته في نفسي من صحبة احد اقاربي وهو الشيخ " درويش بن خضر " من اهل " كنيسة اورين " من مديرية " البحيرة " . وهو مفتاح سعادتي ، ان كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا ، وهو الذى رد لي ما كان غاب من غريزتي ، وكشف لي ما كان خفي عني مما اودع في فطرتي) .

---

١ — الجزء الواحد = ٨ أرباع ، و = ٢ حزب ، وكل حزب = ٤ أرباع والربع = يعني ربع الحزب ويساوى ثمن الجزء . فالاربعة أرباع = حزب أو نصف جزء .

وفي اليوم الخامس عشر مرّ بي احد سكان بلدتنا " محلة نصر " فأخبرني ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني ، فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في " الكنيسة " فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم، لانني لو كنت اقمت له الف دليل على انني وجدت في مهربي مطلبه ومطلبي لما اقتنع ٠)

و — من جدّ وجد :
============ (ذهبت الى طنطا ، وكان ذلك قرب اخر السنة الدراسية، في شهر جمادى الاخرة من سنة ١٢٨٢ هـ "١" ، لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنته فعاقه الحزن عليها عن اتمام (شرح الزرقاني على العزية) ، وآخر عرض له عارض منعه عن اتمام (شرح الشيخ خالد على الاجرومية) فأدركت كلا منهما في اوائل الكتاب الذى كان يدرس ، وجلست في الدرسين ، فوجدت نفسي افهم ما اقرأ وما اسمع والحمد لله ٠ "٢"

وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لا طالع معهم قبل الدروس ما سنتلقاه ٠

وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت اطالع بين الطلبة واقرر لهم معاني (شرح الزرقاني) ، فرأيت امامي شخصا يشبه ان يكون من اولئك الذين يسمونهم " بالمجاذيب " فلما رفعت راسي اليه قال ما معناه : ما احلى حلوى مصر البيضاء فقلت له : واين الحلوى معك ؟ فقال : سبحان الله من جدّ وجد ، ثم انصرف فعددت ذلك القول منه الهاما ساقه الله الي ليحملني على طلب العلم في مصر دون طنطا ٠

---

١ — توافق سنة ١٨٧٥ م ٠

٢ — هو الان يفهم ما يقرأ وما يسمع من المشايخ بعد مالم يكن يفهم ، فما تغير المشايخ ، ولا تغير العلم ، ولكن تغير هو بزوال الحجب التي كانت تحول بينه وبين المشايخ وعلومهم ٠

وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر ، وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة .

وفي أواخر كل سنة دراسية كنت اذهب الى " محلة نصر " لاقيم بها شهرين — من منتصف شعبان الى منتصف شوال — وكنت عند وصولي الى البلد أجد خال والدى الشيخ " درويشا " قد سبقني اليه ، فكان يستمر معي يدارسني القران والعلم الى يوم سفرى ، وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له ما درست فيقول : ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست شيئا من مبادئ الهندسة ؟ وهكذا . وكنت اقول له : بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر ، فيقول : — طالب العلم لا يعجزه عن تحصيله فى اى مكان ، فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها ، فتارة كنت " ١ " اخطئ في الطلب واخرى اصيب الى ان جاء المرحوم السيد " جمال الدين الافغاني " الى مصر اواخر سنة ١٢٨٦ هـ "٢" .)

ز — حســـن الصحبـــة :

=================

(وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ ، واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية والكلامية ، وادعو الناس الى التلقي عنه كذلك واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل ، ويزعمون ان تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة ، وقد يهوى بالنفس في ضلالات تحرمها خيرى الدنيا والاخرة ، فكنت اذا رجعت الى بلدى عرضت ذلك على الشـــيخ

---

١ — سنترجم له فيما بعد .
٢ — توافق ١٨٦٩ ميلادية ، وهي الزيارة القصيرة الاولى لمصر ، وكان في طريقه الى الحجاز ، ثم عاد بعد ذلك ليقيم بمصر من سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٨٧٩م .

" د رويش " فكان يقول لي : ان الله هو العليم الحكيم ، ولا علم يفوق علمه وحكمته ، وان اعدى اعداء العليم هو الجاهل ، واعدى اعداء الحكيم هو السفيه ، وما تقرب احد الى الله بأفضل من العلم والحكمة "١" ، فلا شيء من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه ، الا ما يسميه بعض الناس علما وليس في الحقيقة بعلم كالسحر ، والشعوذة ونحوهما اذا قصد من تحصيلهما الاضرار بالناس) . "٢"

" تعليـــــق " :
=============

الى هنا وينتهي الحديث عن الطور الأول من حياة الشيخ محمد عبده ، واذا كان لي من كلمة اقولها فهي :

كان لوالد الشيخ محمد عبده فضل كبير عليه ، اذ انه استفاد منه حسن التربية والتعليم ، ولو لم يكن له من عمل سوى تحفيظه القران الكريم ، ودفعه لطلب العلم لكفى ذلك فضلا من والد على ولده .

كما كان للشيخ " د رويش " فضل على الشيخ محمد عبده ، اذ انه فتح له الطريق الى تحصيل العلم ، واعاده اليه ، اضف الى ذلك بعض العلوم التي حفظها عنه . ولكني ارى انه كان له اثر سلبي عليه وهو انه تسبب في احداث وتكوين فجوة بينه وبين علماء الازهر الشريف ، لان الشيخ محمد عبده الذى نشأ نشأته الدينية في بيت أبيه ، وأمه ، وفي قريته ، كان من المتوقع له ان يسير في طريق الازهر وعلى نهج شيوخ وعلماء الازهر ، ولكن اتصاله بالشيخ " د رويش " اوجد عنده الرغبة في د راسة الفلسفة والمنطق ، والاهتمام بمثل هذه العلوم ، فأخذ الشيخ محمد عبده منها بما اثار سخط الساخطين عليه .

---

١ — الانسان يتقرب الى الله بالطاعات ويبتعد عنه بالمعاصي ، بعد العلم بهما ، قال الشاعر : وعالم بعلمه لم يعملن : معذب قبل عباد الوثن .
وقال آخر :
لو كان للعلم من دون التقى شرف — لكان افضل خلق الله ابليس .

٢ — انظر كتاب : تاريخ الاستاذ الامام الجزء الاول ، وقد نقله عنه الكاتب محمد عمارة في كتاب الاعمال الكاملة للامام ، الجزء الثاني ص ٣٢٨ — ٣٢٣ .

الطور الثانـــــي :

====== " وهو طور حياته العملية من سنة ١٨٦٩م ـ ١٩٠٥م "

==========================

١ ـ مرحلة ما قبل النفي ١٨٦٩ ـ ١٨٨٢ م .

==========================

أهم أحداث هذه المرحلة هي :ـ

==================

أ :ـ في قاعة الامتحان :ـ

================ (عرضت نفسي على مجلس الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هـ وابتليت في الامتحان اشد الابتلاء ، لتعصب الاكثر من اعضائـــه مع المرحوم " عليش " "١" وكان يعاديني على الغيب ، اتباعا لآراء من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة ، وكانوا قد اجمعوا امرهم على ان لا يمنحوني درجة ما في العلم ، وجرت امور قبل الامتحان يطول شرحها ، ولكن كان امر الله اغلب ، فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية ، وصرت مدرسا من مدرسي الجامع الازهر ، واخذت اقرأ العلوم الكلامية والمنطقية ...) "٢" .

ولعل السبب الغالب في هذا الابتلاء ، هو ان علماء الازهر الشريف كانوا يرونه : فروجا يصيح بين الديكة ، حيث انه ابتدأ التدريس في حلقات الازهر قبل ان يدخل الامتحان وينال الشهادة العلمية المطلوبة ، مما أوغر صدور بعض زملائه ممن هم دونه ، فوشوا به .

---

١ ـ سنترجم له فيما بعد .

٢ ـ انظر : الاعمال الكاملة للامام (٢ : ٣٣٤) .

أما قصة عدائه مع أساتذته فلأنه لم يكن يصبر على طريقة الازهريين في التدريس ، ولا على العلوم التي يدرسونها ، وكان يطالبهم بتدريس كتب المنطق مثل " ايساغوجي " ، وكتب الفلسفة ، بل انه كان يتحداهم فيدرسها لبعض الطلبة امام اساتذته .

وسبب آخر هو علاقته مع جمال الدين الافغاني ، وتبنيه لآرائه ، وافكاره .

ب : — في مدارس الحكومة :

====================

وفي سنة ١٨٧٨م "١" ، عين مدرسا للتاريخ بمدرسة دار العلوم ، وكان فيها عاملا نشيطا ، فقرأ على طلابها مقدمة الفيلسوف الاسلامي " ابن خلدون " رحمه الله . "٢"

وألف لهم كتابا في علم الاجتماع سماه : " علم الاجتماع والعمران " ، ضاعت أصوله ولم ير النور بعد .

وعين الشيخ محمد عبده بعدها مدرسا في مدرستي الالسن والادارة ، كان يدرس فيهما العلوم العربية على طريقته التجديدية ، بالاضافة الى ما كان يقوم به من التدريس في الجامع الأزهر .

---

١ — سنة ١٢٩٥ هجرية .

٢ — العلامة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الاشبيلي الاصل ثم التونسي ثم القاهري المالكي (ولي الدين ابو زيد) عالم ، اديب ، مؤرخ ، اجتماعي ، حكيم ، ولي كتابة السر بمدينة فاس ، وولي قضاء المالكية بالقاهرة . رحل الى عدة بلاد منها غرناطة ، واعتقل فيها ، من مؤلفاته : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ولباب المحصل في اصول الدين . مات في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ ودفن فيها .

انظر : معجم المؤلفين (٥ : ١٨٨) .

جـ :ـ في التنظيمات السياســـــية :ـ

==========================

اشترك مع استاذه السيد جمال الدين في التنظيمات السياسية السرية التي أنشأها الافغاني بمصر ، فدخل في عدة جمعيات "١" ، ومع بعض الاحزاب "٢" ، وكان له فيها دور كبير ، وأثر بارز ملموس ، وكان لها فيه أثر أيضا ، لانه لا يعقل ان ينتمي الانسان الى جهة ما ، دون ان يكون لهذه الجهة سلطة — ولو بسيطة — على طريقة تفكيره ، وسلوكه ، او قل على شخصيته ودعوته الاسلامية .

---

١ ــ أشهرها : الجمعية الماسونية ، التي كانت تخفي حقيقتها الصهيونية ، ونواياها الخبيثة ، وكانت تهدف الى اقامة حكومة عالمية ، برئاسة احبار هيكل سليمان ، وعندما تحقق الشيخ محمد عبده من مهادنتها للاستعمار وصلاتها بالنفوذ الاجنبي ، خاب امله فيها ، فخرج منها ، ودعا الى مقاطعتها وبين اهدافها ونواياها ، وكشف بعض اسرارها .
انظر كتاب : تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٨١٩ ، ٨٧٣) .
وكتاب : اسرار الماسونية ، او السر المصون في شيعة الفرمسون ، للاب لويس شيخو ، دار منشورات البصري ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م ص ١٩٥ .
وكتاب : جذور البلاء ، تأليف الاستاذ عبد الله التل ، دار الارشـــاد بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧١م ص ١٣٧ .
وكتاب : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، محمد محمد حسين ، القاهرة ، المطبعة النموذجية ، ط ٢ ، ١٣٨٢ هـ / ص (١ : ٣٠٨) .
٢ ــ منها : " الحزب الوطني الحر " الذى كان يدعو الى القومية الفرعونية تحت شعار " مصر للمصريين " .
انظر كتاب : الاعمال الكاملة (١ : ٣٦٧ ــ ٣٧٠) .
وكتاب : جمال الدين الافغاني ، لمحمود ابو رية ، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ص ١٢٣ .

ى ـ : في ادارة المطبوعات والجريدة الرسـمية :ـ
==============================

في سنة ١٢٩٦ هـ ـ ١٨٧٩ م ، عزل الشيخ محمد عبده من مدرسة الالسن الخديوية ، كما عزل من منصب التدريس في مدرسة دار العلوم بالقاهرة ، ويبدو ان السبب في هذا هو صلته بالسيد جمال الدين الافغاني الذى نفي من مصر في نفس الفترة ، والذى لم يكن الخديوى توفيق راضيا عنه ، بعد ان كان في يوم من الايام موضع امله في مصر (انك انت موضع املي في مصر ايها السيد) "١" ثم طرده فيما بعد منها ، "٢"

وبعد عام تقريبا صدر العفو عن الشيخ محمد عبده واستدعي من قريته " محلة نصر " بعد ان فرضت عليه الاقامة الجبرية فيها ، ومنع من الخروج منها ، "٣" وعين الشيخ محررا في صحيفة " الوقائع المصرية " ، ثم عين في نفس السنة رئيسا لتحريرها ، وتولى مسؤولية الرقابة على المطبوعات فيها ، "٤"

هـ : ـ في المجلس الاعلى للمعارف العموميـة :
==============================

في سنة ١٢٩٨ هـ ـ ١٨٨١ م انشيء المجلس الاعلى للمعارف العمومية ، ومهمته الحكم الفصل في ادارة المعارف ، وعين الشيخ محمد عبده عضوا فيه ،

---

١ ـ تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، لجرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (٢ / ٧٧) ،

٢ ـ انظر : قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر من ١٧٩٨ ـ ١٩٤٥م ، رسالة دكتوراه اعدها عادل محمد محمود ابو عمشة ، اشـراف الاستاذ : السعيد السيد عبادة ، مطبوعة على الالة الكاتبة ١٤٠١ / ١٩٨١م ص ٧٦ ،

٣ ـ انظر مقالة بعنوان (موقفي من الثورة) للشيخ محمد عبده ضمن الاعمـال الكاملة للامام (١ : ٥٦٣) ،

٤ ـ نفس المصدر ص ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ،

وفي هذه الفترة ، انقطع عن العمل في التدريس ، وابعد عن الازهر ، وعمل بالصحافة وكان له نشاط سياسي ، وميل الى الثورة فيما بعد ، وذلك بحكم عمله الصحافي ، وانخراطه في السلك السياسي .

و : — مع الثـــوار :

كلنا يعرف الثورة العرابية ، وما كان لها من اثر على الحياة المصرية .. فما هو موقف الشيخ محمد عبده منها ؟

لم تكن الثورة في بادئ الامر من رأيه ، بل كان من المعارضيـــن البارزين لها ، وكان يرى في قيام الثورة ، نكسة تحل بالبلاد ، وبلادا اجنبية ستحتل بلاده .

(لم تكن الثورة من رأيي ، وكنت طامعا بالحصول على الدستور في ظرف خمس سنوات ، فلم اوافق على عزل " رياض باشا " ، وقبل مظاهرة عابديـــن بعشرة ايام التقيت " بعرابي " في دار " عصمت " ... فنصحت عرابي بالاعتدال وقلت له : اني ارى ان بلادا اجنبية ستحتل بلادنا ، وان لعنة الله ستقع علـــى رأس من يكون السبب في ذلك ...) . "١"

ثم انضم وبقية اعضاء " الحزب الوطني الحر " الى الثورة ، وذلك بعد مظاهرة " عابدين " المشهورة سنة ١٨٨١م ، والقى بكل قواه فيها ، ويذكر رشيد : انه كان حلقة الوصل بين الثورة والانجليز ، وانه كثيرا ما كان ينصح عرابي بالتريث ، وقد قال لعرابي مرارا : عليك بالهدوء والسكينة ، وانا اضمن لك اكثر ما تطلـــب في بضع سنين ونهاه عن محاربة الانجليز . "٢"

---

١ — المصدر السابق ص ٥٦٤ .

٢ — تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٤٩) .

ولكن بدء مرحلة انحياز الشيخ محمد عبده للثورة ، الفعلي كان سنة ١٨٨٢م ، بعد ان رأى التهديد الفعلي ، الانجليزى الفرنسي ، ضد الحركة الوطنية في مصر .

يقول : (ولكن لما منح الدستور انضممنا جميعا الى الثورة لكي نحمي الدستور ، ولكن عرابي لم يتمكن من ضبط الجيش ، وكانت عند الضباط مطامع عديدة) . "١"

وشاء الله ان تفشل الثورة ، وسجن الشيخ ثلاثة اشهر ، ثم حكم عليه بالنفي خارج البلاد ثلاث سنوات بدأت في ٢٤ / ١٢ /١٨٨٢ م ، وامتدت الى ما يقرب من ست سنوات . "٢"

وبهذا المشهد من حياته يكون قد دخل مرحلة اخرى جديدة من مراحل حياته ، هي مرحلة البعد عن الاهل والوطن . " النفي " .

---

١ — انظر الاعمال الكاملة (١ : ٥٦٤) .

٢ — الامام محمد عبده ، تأليف عبد الحليم الجندى ، سلسلة اعلام الاسلام ، دار المعارف بمصر ص ٢٣ — ٢٥ .

٢ ـ مرحلة النفي : (١٨٨٢ ـ ١٨٨٩ م) .

===============================

كان نصيب الشيخ محمد عبده ، بعد هزيمة الثورة العرابية النفي خارج البلاد ، وما جزاء الداعية المخلص الا القتل أو النفي أو السجن .

واذا كان قتل الداعية شهادة ، وسجنه خلوة ، فان نفيه يكون سياحة ، والله سبحانه وتعالى يقول : " قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم مشركين " . " ١ "

سار الشيخ محمد عبده الى بيروت في ١٣ صفر سنة ١٣٠٠ للهجرة ، الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢م . وقد بلغ من العمر اربعة وثلاثين سنة .

أ : ـ في بيـــروت :

===========

في بيروت احدى مدن بلاد الشام المشهورة حلّ الشيخ محمد عبده ضيفا على خاصة اهلها ، فلاقي من الاجلال والاكرام ما يلاقيه القادة ، والزعماء ، المنتصرون ، او كما قال رشيد : " ابناء الوطـن العائدون الى بلادهم بعد طول غربتهم " . " ٢ "

كانت المدة التي اقامها هناك نحو عام ، عمل خلالها على اخراج الانجليز من مصر ، وكان له نشاط بارز في محافل سوريا ، ولبنان ، وعلاقة وطيدة مع رجالات القطر السوري آنذاك . الى ان دعاه استاذه الافغاني الى اللحاق به في باريس العاصمة الفرنسية سنة ١٨٨٣م .

---

١ ـ سورة الروم اية (٤٢) .

٢ ـ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٢٧٥) .

ب : — في باريـــــس :

============ من حجرة صغيرة متواضعة فوق سطح احد المنازل في العاصمة الفرنسية ، اصدر الشيخان جريدة (العروة الوثقي) ، وقد سميت بهذا الاسم ، لتكون لسان حال جمعية " العروة الوثقى " الناطقة باســـم المسلمين • "١"

اظهر الشيخ محمد عبده نشاطا بارزا خلال هذه الفترة فشغل منصـــب رئيس تحرير الجريدة او المحرر الاول لها ، كما شغل منصب نائب رئيس الجمعية ، ومارس العمل التنظيمي السرى فيها ، وقد سمحت له هذه الصفة ان يتنقــل كثيرا بين البلدان الاوربية والشرقية ، فزار لندن بغية الالتقاء بكبار القادة والمفكرين ، ووجوه البرلمان ، والصحافة ، داعيا الى وجوب جلاء الانكليز عن مصر •

وذكر رشيد رضا في كتابه تاريخ الاستاذ الامام ، ان الشيخ محمد عبده دخل مصر مختفيا سنة ١٨٨٤م ، اثناء اشتداد ثورة المهدى في السودان ، "٢"

كما باشر في هذه الفترة قيادة عمل الجمعية السرية ، وكتب عددا مـــن الرسائل الى بعض فروع التنظيم ، ثم عاد الى باريس ثانية الى ان توقف اصدار الجريدة ففكر في العودة الى بيروت •

---

١ — جمعية العروة الوثقي ، جمعية سرية قامت في بلاد الشرق ، خاصة مصـــر والهند ، الغرض منها اعادة الحكم الاسلامي على قاعدة الخلافة الراشدة ، ولها نظام خاص وقانون خاص لا يطلع على اسرارها الا خواص رجالها • / تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٣٠٠ — ٣٠٦) •

٢ — يقال لها الثورة المهدية ، قام بها محمد المهدى ، من لبب جزيرة في دنقلا لمقاومة وطرد المستعمر ، قضى الانكليز عليها سنة ١٨٩٦م • انظر كتاب : مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط ، للدكتور مكي شبيكة طبعة ١٩٧٢ ص ٥ وما بعدها • / وانظر : المهدوية في السودان • ب• م • هولت ترجمة الدكتور جميل عبيد ، دار الفكر العربي ص ٢٥٠ وما بعدها •

ج : ـ عودة الى بيروت :

=================

بعد توقف " العروة الوثقى " عن الصدور ، يئس الشيخ محمد عبده من العمل السياسي كوسيلة لنهضة الامة الاسلامية ، ولعن السياسة الا ما كان منها بشأن جمعية " العروة الوثقى " وذلك بحكم الصلات التي لا زالت قائمة بينه وبين السيد جمال الدين الافغاني •

فغادر باريس الى بيروت سنة ١٨٨٥م على امل العودة الى مصر ثانية •

وفي بيروت مارس العمل الثقافي والتربوي والفكري الى جانب قليل من العمل السياسي وكان له نشاط بارز في تقريب وجهات النظر بين الاديان • "١"

د : ـ مفتاح الفرج :

================

" صالون الاميرة نازلي فاضل " "٢" يعرفه كثير من رجال السياسة ، والوزراء وعلية القوم في مصر ، في القرن الماضي •

---

١ ـ يقال انه اسس جمعية سرية للتقريب بين الاديان ، شارك فيها رجال الدين ممن ينتمون الى الاديان السماوية في حدود ما ورد في القران بشأن اهل الكتاب •

انظر : الاعمال الكاملة للامام (١ : ٢٦) •

٢ ـ بنت مصطفى فاضل اخي اسماعيل وولي عهده ، اهتم والدها بتربيتها فدرست على ايدى جماعة من الاساتذة الاوربيين ، تزوجت من خليل باشا وزير خارجية السلطان ، كانت تتقن الانجليزية والفرنسية والالمانية والتركية الى جانب العربية • (ـ)

عرفت الصالونات الاوروبية ، والتقت من خلالها بكبار رجال السياسة (ـ) ، ولما عادت الى مصر نقلت معها فكرة الصالونات المختلطة ، حيث فتحت صالونها لرجال السياسة وكبار الدولة ، في مصر ، وافسحت المجال للافغاني =

واللورد " كرومر " : من رواد هذا الصالون ، يقضي فيه معظم وقته . "١"

أما "سعد زغلـــول " فوكيلها الشرعي . "٢"

ظل " سعد زغلول " تلميذ الشيخ محمد عبده على اتصـــال مستمر بالشيخ محمد عبده اثناء نفيه ، فذكر استاذه في مجلس " نازلي فاضل "

= وتلاميذه امثال الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول (ـ) ، وكان الافغاني يسعى لدى السلطان كي يمنحها وساما ، لمنزلتها في قلبه لدرجة ان الافغاني رد على الشيخ محمد عبده حين سأله عما اذا كانت موجـــودة في الاستانة ام لا ، بقوله :

(وأما تمثالي الكمال والجمال حضرة " البرنس " التي لها من قلبي المنزل الاسنى والمقام الابهي ، فلا اعلم من امرها شيئا) . (ـ)

ويبدو انها كانت مولعة بالسياسة لدرجة ان قال عنها الشيخ محمد عبده (فاشتغال هذه المرأة بالسياسة كاشتغال السيد جمال الدين بها) . (ـ)

(ـ) مجلة " فتاة الشرق " ، لبيبة هاشم ، القاهرة ، ١٩٠٦م ، السنة الثامنة (٤ : ١٥١) .

(ـ) مجلة " المقتطف " ، يعقوب صروف ، وفارس نمر ، القاهرة ١٨٧٦م حزيران ١٩٣٧م ص ٢٩

و(ـ) المجلة " المصرية " ، السنة الاولى العدد الرابع نيسان ١٩٣٧م ، ص ٧ .

و(ـ) تاريخ الاستاذ الامام ط ١ (١ : ٨٩٧) .

(ـ) نفس المرجع (١ : ٨٩٥) .

١ ـ انظر كتاب : سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، تأليف عبد الخالق لاشين دار المعارف بمصر ١٩٧١م ص ٣٥ .

٢ ـ انظر مذكرات محمد فريد ، حققه دكتور رؤوف عباس حامد ، مطبعة الجبلاوي ، الناشر عالم الكتب القاهرة ١٩٧٥ ، القسم الاول ص ١٢٨ .

التي كانت مقبولة الرجاء عند كرومر ، فضغط على الخديوى توفيق وارغمه ان يصدر عفوا عن الشيخ محمد عبده ، على الرغم من اتهامه للخديوى بالخيانة اثناء نفيه . "١"

واشترط الانجليز على الشيخ محمد عبده شرطا ان هو عاد الى مصر ، وهو الا يشتغل بالسياسة ، فقبل ، ولما عاد من المنفى اصدر تصريحا لعن فيه السياسة "٢" .

ثم عمل على تقريب وجهات النظر بين الشعب والحكومة ، وبين الشريعة الاسلامية والحضارة الغربية . مما سنبينه في المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة ما بعد عودته من منفاه الى وطنه .

---

١ — انظر كتاب : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ، لاحمد امين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م ص ٣٣٦ .

٢ — انظر كتاب : المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام . لانور الجندى ، مطبعة الرسالة ١٣٨١ هـ ١٩٦١م ص ٤٦ . وانظر : تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٨٩٥) .

٣ ـ مرحلة ما بعد عودته من منفاه الى وطنه : (١٨٨٩م ـ ١٩٠٥م) :
==

انتهت رحلة العذاب التي وصفناها ، والتي من ابرز سماتها القلق واليأس والحزن ، والشكوى والالم ... عند بوابة صالون " نازلي فاضل " وبفضل من التلميذ " سعد " .

ووجد الشيخ محمد عبده نفسه في طريق جديد ، يحتاج منه الى مزيد من الفكر والروية ، فسار في هذا الطريق بخطى ثابتة ، واذا به يتحول كلية من حال الى حال ، واذا بأحاسيسه ومشاعره ، وافكاره ، تولد ولادة جديدة وتتكيف مع الوضع الجديد واذا به انسان اخر واضح الملامح والسمات ، مقطوع الصلة بالماضي الذى وصفنا ، ولا يكاد المرء يصدق ان الشيخ محمد عبده الذى عرفه بالامس هو نفسه الشيخ الذى يعرفه اليوم ، بل يكاد يجزم انهما شخصان مختلفان .

هذا في مجال السياسة ، اما في بقية المجالات التربوية والثقافية والاجتماعية وغيرها ، فقد بقي الشيخ على ما كان عليه .

ويزول الاستغراب وتنتهي الحيرة اذا علمنا ان السياسة في هذه الايام تحتاج الى المراوغة والمرونة والذكاء اكثر من حاجتها الى القوة والاعتماد على الجيوش . وهذه هي سبيل الشيخ اليوم ، ولعل الشرط الذى بينه وبين " اللورد كرومر " سبب اخر في بعده عن السياسة ، وممارسته اعمالا غيرها .

ويمكن سرد اهم مشاهد حياته في هذه المرحلة على النحو التالي :ـ

١ ـ لما عاد الشيخ محمد عبده الى مصر عمل على عقد صلات مباشرة مع اللورد كرومر لسوء العلاقات مع الخديوى ، وانعدام الود بينهما .

واهم حدث في هذه الصلات : وضع لائحة لاصلاح التربية والتعليم بمصر .

٢ — اراد الشيخ محمد عبده ان يعود الى عمله في " دار العلوم " مدرسا ، فرفض الخديوى خوفا على الاجيال من آرائه وافكاره ، وعينه قاضيا بعيدا عن القاهرة وعن التدريس .

٣ — ظل الشيخ ينتقل من محكمة الى اخرى ، ثم ارتقى الى منصب مستشار في محكمة الاستئناف سنة ١٨٩١م.

٤ — ساءت علاقته بالسيد جمال الدين الافغاني ، ويبدو ان السبب في ذلك هو موقف الشيخ من السياسة ، والانجليز ، الى حد ان غضب عليه الافغاني ، واتهمه بالخوف والجبن ، وكان يبعث اليه برسائل يعنفه فيها على سوء ما فعل .

ولما مات الافغاني امتنع الشيخ عن رثائه في الصحف ، واكتفي بالحزن عليه وقال كلمته المشهورة :

(والدى اعطاني حياة يشاركني فيها " علي ، ومحروس " . والسيد جمال الدين اعطاني حياة اشارك بها محمدا وابراهيم وموسى وعيسى ، والاولياء والقديسين .

ما رثيته بالشعر لانني لست بشاعر ، ما رثيته بالنثر لانني لست بناثر ، رثيته بالوجدان والشعور لانني انسان اشعر وافكر) . ؟

ومن قال ان الشيخ محمد عبده لا يحسن صنعة الشعر والنثر ؟ فانه لا يعرف الشيخ محمد عبده ، لذلك فاني ارجح ان يكون سبب امتناعه عن رثائه ، هو : فساد الصحبة وانقطاع العلاقة ، واختلاف السبل .

٥ — وبعد موت الخديوى توفيق وتولي الخديوى عباس حلمي الثاني السلطة قامت حالة من الوفاق بين الشيخ وبين القصر . عمل الشيخ خلالها في مجال الاصلاح التربوى والتعليمي ...

ودخل ممثلا للحكومة في مجلس ادارة الازهر برئاسة الشيخ " حسونة النواوى " .

٦ ـ اصطدمت سياسة الوفاق هذه بعاملين اساسيين :

اولهما : مهادنة الشيخ للانجليز ، ومصاحبته الاكيدة " لكرومر " .

ثانيهما : مقاومة الشيخ اطماع الخديوى في استبدال بعض اراضيه بأخرى من ارض الاوقاف .

وانتهت حالة الوفاق الى حالة الحذر ، ووصلت في نهايتها الى حد العداء بسبب اجتماع الشيخ " بعرابي " بعد عودته من المنفي على مائدة الغداء في منزل صديقيهما " بلنت " "١" .

٧ ـ اشترك الشيخ في تأسيس " الجمعية الخيرية الاسلامية " ، وتولى رئاستها بعد انشائها بثماني سنوات .

٨ ـ وقبل ان يصير رئيسا للجمعية بسنة ، عين في منصب " مفتى الديار المصرية " ، واصبح عضوا في مجلس الاوقاف الاعلى ، وعضوا في مجلس شورى القوانين .

٩ ـ اسس " جمعية احياء العلوم العربية " لاحياء التراث العربي الاسلامي ، وكان له نشاط بارز في الصحف والمجلات والمحافل والندوات والكتب والمطبوعات .

١٠ ـ وفي يوم ١١ يوليو سنة ١٩٠٥م "٢" ، مات الشيخ محمد عبده ، رحمه الله واسكنه في جناته .

وقد مات في مدينة الاسكندرية ، عن عمر يناهز السابعة والخمسين عاما ، قضاها في ثلاث مراحل كما وصفنا باختصار ، وترك خلفه ثلاث بنات . ولم يكن

---

١ ـ انظر مذكرات " بلنت " سنة ١٩٠١م ، ٢ نوفمبر ، عن "كوكب الشرق " في ٢٢ أغسطس ١٩٣٢م . نقله الاعمال الكاملة (١ : ٣٠) .

٢ ـ توافق ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ هـ .

له عقب ذكر .

عاش الشيخ محمد عبده رائدا ، ومات رائدا والرواد في تاريخ الانسانية قليلون بل نادرون .

أما طبيعة هؤلاء الرواد فكما بين لنا الشهيد سيد قطب في افراح الروح "١" قال :

(ان الرواد دائما ، كانوا وسيكونون هم اصحاب الطاقات الروحية الفائقة ، هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة المقدسة التي تنصهر في حرارتها كل ذرات المعارف ، وتنكشف في ضوئها طريق الرحلة ، مزودة بكل هذه الجزئيات ، قوية بهذا الزاد ، وهي تغذ السير نحو الهدف البعيد ، هؤلاء هم الرواد الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشاملة ، المتعددة المظاهر في : العلم والفن والعقيدة والعمل ...

انهم قليلون في تاريخ البشرية ... بل نادرون . ولكن فيهم الكفاية ... فالقوة المشرفة على هذا الكون هي التي تصوغهم ، وتبعث بهم في الوقت المقدر المطلوب) .

---

١ ـ افراح الروح ، سيد قطب ، الدار العلمية ، بيروت ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

الفصـــل الثالـث : شخصيته واخلاقـــه

=========================

ان الدارس لسيرة الشيخ محمد عبده في مختلف مراحل حياته ، منذ طفولته الى موته ، والمتتبع لارائه وافكاره ، واثاره ، والمطلع على مشاهد حياته ... يستطيع ان يتخيل له صورة واضحة القسمات ، تبدو فيها بوضوح ملامـــح شخصيته ، وتبرز فيها العوامل المختلفة المؤثرة في نفسيته ، وعقليته ، واظهر ما فيها سجاياه ، واخلاقه .

والشيخ محمد عبده قد يبدو لك من بعيد على خلاف ما لو رأيته مـن قريب . وان تقويم الشخصيات امر في غاية الصعوبة .

وبحكم دراستي لشخصية الشيخ محمد عبده ، فقد اطلعت على معظم ما كتب عنه وقيل فيه . وتوصلت الى النتيجة التالية ، وهي :-

ان حقيقة الامر في شخصيته واخلاقه لا تزال تحتاج الى مزيد من الاستطلاع والتشخيص ، والى استجواب كثير من العلماء المخلصين . اعني من هم قريبون منه في الزمن ممن تتلمذوا عليه او تتلمذوا على ايدي تلاميذه ومعاصريه . فربما تساعد هذه الطريقة على ان نرسم صورة واضحة له ، ونزيل ما يحيط به من غموض وتناقض فيما اجتمع حوله من اخبار .

فبينما ينزله رشيد ، وسعد ، وقاسم ، والعقاد ومن معهم منزلة المجتهد في الدين ، ويرفعونه الى اعلى درجات البطولة والاخلاص ... اذا كثيرون يتهمونه بالمروق من الدين والانحراف عن سبيل المسلمين ، بل وتسخير الدين لخدمة اعدائه ومحاربيه .

فاذا تركنا هؤلاء واولئك ممن قد يجد الباحث سبيلا الى رميهم بالتحيـــز والمحاباة له ، او التزمت والتحامل عليه ، وسلكنا المسلك الصحيح في تقويم شخصيته ،

واخلاقه ، كان في وسعنا ان نرسم صورة واضحة المعالم لشخصية الشيخ محمد عبده ونفسيته وسجاياه ، ثم نبرزها امام الاعين بكامل اوصافها ومتطلباتها ، لا نزيد في ذلك ولا ننقص .

وسأحاول في هذه العجالة ان ارسم صورتين مختلفتين للشيخ محمد عبده من وجهتي النظر المشار اليهما .

١ ــ الصورة الاولــــى :ــ

===================

ذكر الشيخ رشيد رضا في المقصد السابع من الفصل السابع ، في " تاريخ الاستاذ الامام " ما ملخصه : "١"

" ان الله طبع هذا الرجل على عزة النفس وعلو الهمة ، هبة ووراثـــة وتربية ، مما حدا بأستاذه الافغاني ان يخاطبه قائلا : (قل لي اى ابناء الملوك انت) .

وهو ابن فلاح يسكن قرية متواضعة ، لكنه ترفع عن المداهنة ، والتملق ، والنفاق ، واعرض عمن يعارضه في مقاصده وان كان من الكبراء العظماء . (ولــو اختبروه ناظرين بعين الانصاف لرأو حقيقة التواضع مع الرفعة كيف تكون ، ولــرأو كيف كان يخدم الفقير ويساعد المسكين ... ويتجافى جنبه عن مضجعه) كما قال رشيد .

ولكن الخديوى كان يقول : (انه يدخل علي كأنه فرعون) .

كان مهيب الطلعة ، حسن المعاشرة ، وقور المجلس ، لطيــــف الحديث ، دقيق الملاحظة من نظر اليه بديهة هابه ، ومن عاشره معرفـــة احبه ، ...

---

١ ــ بتصرف : عن ، تاريخ الاستاذ الامام للشيخ رشيد رضا (١ / ٩٥٠ / ــ ٩٧٠) .

كان سليم الصدر ، صافي القلب (ما انتقم من مسيء ، ولا سعى في ضرر احد واذا استنجده احد انجده ، واذا استرفده ارفده ولو كان منه مبغضيه او قد تكلم فيه ...) .

كثيرا ما كان يلتمس الحجة لغيره ، او يحمل كلامه على حسن قصد ، ويحسن الظن به ، ويتغاضى عن الشر ، فيصنع المعروف مع من لا يعرفه ، لا يؤذى احدا ، ولا يضمر الشر لاحد ، يعفو عمن ظلمه ، ويدفع بالتى هي احسن ، وكان يعجبه قول افلاطون (استصلاح العدو خير من استهلاكه) . "١"

ولما كان بيده تصريف بعض الامور وهو في المناصب العالية ، كان يضع كل رجل في المكان الذى يناسبه ، لا يقبل الرشوة ، ولا يرقي من لا يستحق الترقية ولو كان من تلامذته واصدقائه ، ...

وفي نفس الوقت كان وفيا لاصدقائه وتلاميذه ، يهتم بهم كثيرا ، يدفع الشر عنهم ما استطاع ، ويسوق الخير اليهم بقدر المستطاع ، وكان اصدقاؤه وتلاميذه يجلونه ويحترمونه ، ويبادلونه الوفاء والاخلاص ، مما حدا برشيد ان يصفه فيقول : (انه اوفى الاوفياء لاصدقائه) .

وهو في الشجاعة شجاع ، لا يبالي بتهديد ورد اليه ، ولو بالقتل ، ولم يكن احد يتجرأ على ان يقول له : اخطأت فكيف يتجرأ على ان يمد يده ليقتله . "٢"

وهو في الكرم كريم ، يكتم الصدقة ويخفي البذل ، ويكثر العطاء ، كان يدخن ثم ترك التدخين ، وجعل ما كان ينفقه فيه صدقة (ولم يكن في ايام السراء ابسط يدا منه في ايام الضراء) . "٣"

---

١ ـ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٥٢) .
٢ ـ نفس المصدر (١ : ٩٦٠) .
٣ ـ نفس المصدر (١ : ٩٦٦) .

وهو من اهل المروءة والنجدة ، و (لا يزال في الناس كثير من اهل المعروف والمروءة ، ولكننا لا نعرف احدا ، لا يشك من يعرفه في نجدته اياه اذا عراه خطب بكل ما يقدر عليه في نفسه او في تأثيره عند غيره كما كان يفعل هذا الرجل لمن يلتحد اليه) . "١"

اما عاداته ، فمخالفة لعادات علماء مصر ، كما خالف ملبوسه ملبوسهم ، كتطويل الاردان ، وتوسيعها ، وجر الاذيال — الا في العمامة .

كان يكره ان تقبل يده ، بل يصافح الناس مصافحة ، ومنع الطلاب من تقبيلها بعد الدرس كما هي عادتهم مع اساتذتهم في الازهر .

كان يحتذى النعال المدنية دون سائر العلماء ، — انيقا في لبسه — يركب الخيل احيانا ، ويمشي على رجليه احيانا . كما كان يأكل الطعام في الشوارع اذا جاع ... ويعلل ذلك تعليلا طريفا .

يقول رشيد : (ومشينا مرة من الازهر قاصدين سكة الحديد ، فلما جاوزنا شارع الموسكي ، مال الى دكان فاشترى منها قليلا من البسكويت ، وطفق يأكل منه بلطف ، بعد خروجنا من السوق ، فقلت له مازحا ، : امفتي الديار المصرية يأكل في الطريق ؟ قال : اما قرأت انه قيل "لديوجين" الفيلسوف : لماذا تأكل في الطريق ؟ فقال : لانني اجوع في الطريق . ، ونحن قد فاتنا عشاء الدار الان فنكتفي بهذا) . "٢"

ونحن نكتفي بهذا القدر من الرسم ، ونأتي الى ختام الصورة فنضع عليها اللمسات الاخيرة التى تطل على القارئ المتفحص ، والمشاهد المتأمل ، فنقول :

---

١ — نفس المصدر (١ : ٩٦٩) .

٢ — تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٧٢) .

ان في الشيخ محمد عبده عدة خصال منها : الصدق ، والامانة ، والجدية ، والحركة ، والعصامية والعزة ، والشجاعة والكرم ، والمثالية والنزاهة ، والعناد في الحق ، والتواضع له ، ومنها : حبه ووفاؤه ، واخلاصه وتجرده ، ويقظته وجرأته ، وسمو روحه ورضا نفسه ، والعمق في فكرته ، والشمول في معالجتها ، وغير ذلك من السمات الواضحة في شخصيته والتي سيرت خطاه في حياته ، وحددت مواقفه ، وحددت للناس اخلاقه .

٢ — الصورة الثانيـــــــــة :

====================

الصورة الثانية له على العكس تماما في كل شيء ، في صدقه ، وامانته ، ومثاليته ونزاهته ، واخلاصه وتجرده ، ... الى آخر ما ذكرنا من صفات في الصورة الاولى .

وقد كان المصور في هذه المرة ، غيره في المرة الاولى ، انه من رجال الازهر ومن اصدقاء الشيخ ايضا ، انه الشيخ " الجنبيهي " "١" ، واحد من علماء الازهر المعروفين بالصلاح والتقوى ... ومعه الشيخ " النبهاني " "٢"

---

١ — نسبة الى " جنبيه " قرية في اقليم البحيرة ، كان الشيخ الشنقيطي متزوجا اخته ، وله عدة مؤلفات من بينها : " الرزايا المصرية " ، " بلا يسا بوذا " ، توفي سنة ١٩٢٥ م / الاعلام للزركلي .

٢ — يوسف بن اسماعيل النبهاني ، نسبته الى بني نبهان " من عرب البادية " بفلسطين " تعلم في الازهر ، وعمل في القضاء ، في بيروت ، ذهب الى الاستانة ، وسافر الى المدينة مجاورا ولما نشبت الحرب العالمية الاولى عاد الى قريته ، وتوفي بها سنة ١٩٣٢م .

/ الاعلام للزركلـــــي .

الازهري ايضا ، وشيخ الاسلام ، " مصطفي صبري " ، "١" وقد حمل اللـواء من بعد هؤلاء في هذا اليوم الكاتب الاسلامي " محمد محمد حسين " "٢" .

في هذه الصورة ، نجد الشيخ محمد عبده ضالا لا يعرف الصـــراط المستقيم ، حائرا في معظم امور الدين ، مغرورا وهو اجهل من الجاهلين ، ذا لسانة وسفه ، نقد مزايا الادباء ، وشذ عن مناهج الفضلاء ، متلبسا بعنـاد واصرار شيطاني ، لا يعلم ما يقول ، ولا يقدر عاقبته ولا يستطيع ان يقيم على صحته دليلا . "٣"

وايضا نجد الشيخ " الجنبيهي " يتهمه بالخيانة ، ولم يكن نفيه الا خطة لرفع شأنه ، واعلاء كلمته ، ولخداع الناس به ، وليفتن به اهل بلاد الشام . "٤"

وهو في حقيقة الامر جبان ، متقاعس عن الجهاد ، ممالئ للاستعمار ...

ووصل الامر بالشيخ الجنبيهي الى حد اتهامه بالكفر ولمن يستغرب هذا يقول : (ولا غرابة في ذلك لان الله تبارك وتعالى جعله من الائمة الذيـن

---

١ ــ من العلماء المعاصرين ، سياسي وفقيه ، احد اعضاء المجلس النيابي ، ومجلس المبعوثين في الدولة العثمانية ، شغل منصب نائب الصدر الاعظم في رئاسة الوزراء بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الاولى .
/ الاعلام للزركلي .

٢ ــ انظر كتاب : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ص ٣٠٠ ــ ٣٢٥ .
وانظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٣ ــ ١٠٨ .

٣ ــ انظر كتاب : بلايا بوذا تأليف الجنبيهي ص ٢٨ ، نقله محمد محمد حسين في كتابه الاسلام والحضارة الغربية ص ٨٧ .

٤ ــ انظر نفس الكتاب ص ٥٢ ، نقله محمد محمد حسين في نفـــس الكتاب ص ٩٢ .

يسارعون في الكفر) •

اما الشيخ " النبهاني " فقد كان ارحم به من " الجنبيهي " فقد ذكر انه دخل في الجمعية الماسونية وانه ممن حق عليه قول الحق سبحانه :

" واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون • "١"

ولكن هذه الرحمة تلاشت في ديوانه المسمى ، ب " ديوان العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية " "٢" حين ذهب الى ابعد بكثير مما ذهب اليه الشيخ " الجنبيهي " ، في ذم الشيخ محمد عبده ، بل في الاسراف في ذمه وقدحه ، بل في تكفيره وضلاله ، والتحذير من كتبه ومؤلفاته وخاصة تفسيره القران الكريم •

وسوف اقتطع للقارئ مقطعين فقط من قصيدته الرائية المشهورة ، حتى تتضح الرؤية ، كلية في هذه الصورة • وهي مما لا غنى لنا عن كتابتها ، لتظهر المقارنة الدقيقة بين الصورتين •

أ ـ المقطع الاول :

============== في بيان صداقته " لكرومر " ، وتأييده الانجليز ، والاقتداء بهم ، وبيان كفره ، وضلاله ، يقول :

تولع بالدنيا وصير دينـــــه	اليها على ما فيه من خفة جسرا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكـــن	يسارا سعى يعدو اليها من اليسرى
فمن جهة يدعى الامام ويقتـــدى	بأعمال اهل الكفر من جهة اخــرى
يذم خيار المسلمين وعندمـــا	يرى حاجة للكفر يستحسن الكفـــرا
لكيما يقال الشيخ حر في ضميره	فيبلغ عند القوم مرتبة اخـــرى

---

١ ـ سورة البقرة (١١ ـ ١٢) •

٢ ـ انظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية ص ٩٨ ـ ١٠٢ ، نقلا عن هذا الديوان ص ٣٧٠ ـ ٤٠٠ بتصرف •

وايد اعداء الهلاد بسعيه ... واوهم اهل الجهل ان بهم خيرا .
فمن رهبة او رغبة كم سعى له ... طغام من الجهال اكسبهم خسرا
والقى لهم د رسا يخالف حكمه ... بأزهرها المعمور دين ابي الزهرا
وقد ضل في القران مع عظم شوره ... كما خبطت عشواء في الليلة القمرا
احذ ر كل الناس من كتب د ينه ... وبالرد والاعراض تفسيره احرى

ب : المقطع الثاني :
================ في فساد سيرته ، وانحلال اخلاقه اثناء اقامته
في بيروت يقول :

يعا شر نسوان النصارى ولا يرى ... بذلك من بأس وان كشف السترا
ويأكل معهم كل ما يأكلونه ... ويشربها حمراء ان شاء او صفرا
ويفتي بحل المسكرات جميعها ... اذا هي بالاسماء خالفت الخمرا
ويأكل مخنوقا ويفتي بحله ... لئلا يقولوا انه ارتكب الوزرا
وتحليله لبس البرانيط والربا ... به بعض اهل العلم قد الحق الكفرا
وقد كنت في " لبنان " يوما صحبته ... لقرب غروب الشمس من ضحوة كبرى
وصليت فرض الظهر والعصر بعده ... لديه وما صلى هو الظهر والعصرا
وقبل غروب الشمس صاحب شيخه ... لقرب العشا ايام جاورت في مصرا
ولم اره ادى فريضة مغرب ... فقاطعت شيخ السوء من اجلها الدهرا

أما الشيخ " مصطفى صبرى " فقد قال ان الشيخ محمد عبده قرب كثيرا من الازهريين الى اللادينيين خطوات ، ولم يقرب اللادينيين الى الدين خطوة ، وهو الذى ادخل الماسونية في الازهر بواسطة شيخه الافغاني ، كما انه هو الذى شجع قاسم امين على ترويج السفور في مصر ." ١ "

---

١ — انظر كتاب : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباد ة المرسلين ، مصطفى صبرى (١ : ١٣٣) .

وهنا ايضا نكتفي بهذا القدر من الرسم ، ونأتي الى ختام الصورة فنجدها صورة سوداء مظلمة ، لا ترى فيها نقطة بيضاء ، او شبه بيضاء ، وهذه الصورة انما تدل على فساد الاصل الذى تنطبق عليه تمام الانطباق ، وعلى عدم وجود خطوط محددة ينتهي اليها ، لا يتعداها ، الامر الذى ادى الى سوء سيرته وفساد اخلاقه .

وخير لي ، ان اترك القارئ والمشاهد امام هاتين الصورتين ، من ان اغمض احدى عيني عن صورة ، وانظر بالاخرى الى الاخرى ، والله سبحانه وتعالى يقول :

" تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون " . "١"

---

١ ـ سورة البقرة (١٣٤ ، ١٤١) .

الفصل الرابع :- " شيوخه وتلاميذه "

قلنا فيما مضى ان دراسة شخصية الشيخ محمد عبده ، ونفسيته ، وسلوكه ، لابد من ان تستوعب جميع مراحل حياته منذ نشأته الى حين وفاته ، وتبين مؤثرات كل مرحلة عليه .

فمن الضروري اذن ان نعرف شيوخه الذين اثروا عليه في بداية حياته ، واثناء نشأته ، وفي عنفوان شبابه ، ونبين اثرهم على تكوين شخصيته التي نحن بصدد معرفتها .

ونذكر ثلاثة من اشهر اساتذته ومربيه وهم :-

" الشيخ درويش بن خضر " ، الشيخ محمد عليش ، " والشيخ جمال الدين الافغاني " ، وقد رتبتهم حسب اقدميتهم في تعليم الشيخ محمد عبده وتربيته .

ونذكر ايضا تلاميذه الذين اثر عليهم ، بمبادئه وافكاره ، ومنهجه وسلوكه ، .

وسنمضي هنا بذكر ابرز تلاميذه في ميدان الحياة العلمية والعملية وهم : " رشيد رضا " ، " محمد مصطفى المراغي " ، " مصطفى عبد الرازق " ، " احمد لطفي السيد " ، " سعد زغلول " .

ولا يعني هذا ان هؤلاء وحدهم هم شيوخه ، وتلاميذه ، فالشيخ محمد عبده تلقى العلم من الكثيرين من العلماء "١" ، والقى العلم على الكثيرين

---

١ ـ منهم الشيخ " حسن الطويل " الذى علمه الفلسفة والمنطق ، والشيخ محمد البسيوني الذى علمه الادب العربي وقواعد اللغة .

من الطلاب ، وانما اقتصرنا على ذكر هؤلاء ، لانه كان لهم نشاط بارز في جميع مجالات الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والدينية .... ولان اولئك هم اكثر من اثروا عليه في تكوين شخصيته وهؤلاء هو اكثر من اثـــر فيهم ، وكان عاملا قويا في تكوين شخصياتهم .

ونحاول ان نبين الصورة الحقيقية لكل واحد منهم على حدة ونبين الى اى حد كان الشيخ محمد عبده رائدا في حياته . وبانيا بعـــد موتـــه .

ولنبتدىء بذكر شيوخه اولا ...

١ ـ " شـــــيوخه "

وهؤلاء يقسمون الى قسمين :ـ

أ : شيوخه الذين كان لهم فضل تنشئته وتربيته وتعليمه ... حتى العقد الثاني من عمره . وهم :

" الشيخ درويش بن خضر " و " الشيخ محمد عليش ".

ب : أستاذ الريادة والسيادة ، السيد : " جمال الدين الافغاني ".

١ ـ " درويش بن خضر " :

احيانا تنطبق الاسماء على مسمياتها تمام الانطباق ، والشيخ " درويش " من الذين تنطبق اسماؤهم عليهم تماما . فقد كان درويشا ، لا بمعنى الدروشة التي يفهمها كثير من الناس ، ولكن بمعناها الاصلي الدال على قوة العبادة وكثرتها ، وكثرة القراءة والذكر والمداومة عليها .

هذا الدرويش كان كثير الاسفار ، وخاصة في الصحراء الغربية ، رحل الى مدينة " طرابلس الغرب " "١" وجلس الى احد شيوخها المشهورين ويدعى " محمد المدني " والد الشيخ المعروف " ظافر الطرابلسي ". وتعلم عنده بعض العلوم ، واخذ عنه الطريقة " الشاذلية " ، وعاد الى قريته .

حفظ موطأ الامام " مالك " "٢" رحمه الله ، وبعض كتب الحديث ، واجاد حفظ القران وفهمه ، وكان هذا الدرويش يشتغل بما يشتغل به اهل القرية

---

١ ـ احدى المدن الجماهيرية الليبية اليوم .

٢ ـ امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه ، ابو عبد الله واحد الائمة الاربعة عند اهل السنة واليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته في المدينـــة =

من فلاحة الارض وكسب الرزق بالزراعة .

أ : " اللقاء الأول " :

================ يصف الشيخ محمد عبده أول لقاء بينه وبين الشيخ

" درويش " فيقول :

(جاءني هذا الشيخ صبيحة الليلة التي بتها في " الكنيسة " "١" .

وبيده كتاب يحتوى على رسالة كتبها السيد " محمد المدني " الى بعض مريديه بالاطراف . بخط مغربي دقيق . وسألني ان اقرأ له فيها شيئا لضعف بصره . . . فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها . ونفرت منه اشد النفور . ولما وضع الكتاب بين يدى . رميته الى بعيد . ولكن الشيخ تبسم وتجلى في الطف مظاهر الحلم . لم يزل بي حتى اخذت الكتاب . وقرأت منه بضعة اسطر . فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت . بعبارة واضحة تغالب اعراضي فتغلبه . وتسبق الى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية . فرميت الكتاب وانصرفت اليهم) . "٢"

وتبع هذا اللقاء لقاءات اخرى . ظل الشيخ يقرأ له وهو يشرح تلك الرسائل التي تحتوى على معارف الصوفية . وكلا مهم في اداب النفس وترويضها على مكارم

= المنورة . كان صلبا في دينه بعيدا عن الامراء والملوك . صنف الموطأ . وله رسالة في الوعظ وله ايضا تفسير غريب القران . توفي سنة ١٧٩ هـ .
انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠ : ٥) / والاعلام للزركلي : (٦ : ١٢٨) .

١ ــ البلدة المسماة " كنيسة اورين " .

٢ ــ انظر فصل " سيرته " ضمن الاعمال الكاملة (٢ / ٣٣٠) .

الاخلاق ، وتطهيرها من دنس الرذائل ، وتزهيدها في الباطل من مظاهر الحياة الدنيا ... حتى جاء اليوم الذى صار احب شيء اليه ما كان يبغضه من مطالعة وقراءة ، وابتدأ يطرح على الشيخ اسئلة تتعلق بالطريقة الصوفية ، وما فيها من اذكار واوراد ، والشيخ يجيب على جميع اسئلته بأسلوب المعلم الرزين والمرشد الامين .

يقول الشيخ محمد عبده : (ولم اجد اماما يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ الذى اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد الى اطلاق التوحيد ... هذا هو الاثر الذى وجدته في نفسي من صحبة احد اقاربي وهو الشيخ " درويش خضر " ... وهو مفتاح سعادتي ... وهو الذى رد لى ما كان غائبا من غريزتي ، وكشف لي ما كان خفي عني مما اودع في فطرتي) "١"

ب — " نقلة بعيـــدة ":
==============

قلنا فيما مضى ان الشيخ محمد عبده ، ترك الدراسة ، واحب اللهو واللعب مع لداته ، "٢" بعيدا عن عين والده ، وهذه الفترة القصيرة التي مر بها الشيخ محمد عبده يحق لي ان اسميها ب " رحلة الضياع " ، وهي مما يحصل مع معظم الطلاب في سني التعليم الاولى ، لان الاطفال في هذه الفترة يحبون اللعب اكثر من اى شيء آخر ، والشيخ محمد عبده واحد منهم .

ولو استمر الشيخ محمد عبده في رحلة الضياع التي وصفها هو نفسه في سيرته لقضى عمره كله في ضياع ، قلقا ، حائرا ، يسأل ولا يجد جوابا ، ولا يجد .

---

١ — نفس المصدر (٢ / ٣٣١) .
٢ — اصدقاؤه الذين في عمره ، ويقال بالنسبة للانثى اترابها .

لقلبه ولا لنفسه راحة وسكونا ، ولظل يبكي ويصرخ ، ويتعذب ويتألم مثل كثير من الناس الذين فاتتهم فرصة التعليم ، ولطواه التاريخ مثل ما يطوى ملا يين البشر من غير ان يشعر بهم أحد .

ولكن الله قدر له امرا آخر ، ورسم له طريقا جديدا ، واعد له مهمة كبرى ، من اول لحظة عرف فيها " د رويشا " ، فاذا به يسير في الطريق الجديد ، بخطى ثابتة متزنة ، واذا به يتحول كلية من حال الى حال ، كل شي فيه تغير حسه ، وشعوره ، وقيمه ، وافكاره ، وتصوراته ، ومفاهيمه ... كأنه ولد من جديد ، وتكيف مع الوضع الجديد ، واذا به انسان اخر جديد . كل ذلك من السر الجديد الذى كشفه له " الشيخ د رويش " رحمه الله .

فأقبل الشيخ محمد عبده على القران ، وعاش في ظلاله ، ودرس معانيه ومراميه ، كما درس بعض معارف الصوفية وادابها ، فاذا به يعيش في دنيا غير التي كان يعيش .

يقول : (فلم تمض علي بضعة ايام الا وقد رأيتني اطير بنفسي في عالم اخر غير الذى كنت اعهد ، واتسع لي ما كان ضيقا ، وصغر عندى من الدنيا ما كان كبيرا ، وعظم عندى من امر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا وتفرقت عني جميع الهموم ...) . "١"

ج : — حسن الصحبة" :

================ (وكنت عند وصولي الى البلد اجد خال والدى الشيخ " د رويشا" قد سبقني اليه ، فكان يستمر معي ، يدارسني القران ، والعلم الى يوم سفرى ، وكل سنة كان يسألني ، ماذا قرات ؟ فاذكر له ما درست ، فيقول : ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست شيئا من مبادئ الهندسة ؟ وهكذا ، وكنت اقول له : بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في

---

١ — الاعمال الكاملة ، فصل في سيرة الشيخ محمد عبده (٢ / ٣٣١) .

الازهر ، فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في اى مكان ، فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها ...) "١"

هكذا كان العلماء ، فيما مضى ، يعطون بهمة عالية ، وروح طيبة ونفس مشرقة اخاذة ، ولا يبخلون بعلمهم على من يطلبه ، ويعطون من وقتهم لمن اراد ان يعيش معهم وفي كنفهم ، ولا يصلح العالم الا بهذا ، ولا يكون عالما الا اذا ظهر علمه بين الناس .

ولكني آخذ عليه انه كان يحثه على دراسة المنطق والفلسفة "٢" التي قد تؤدى بدارسها — غير المتمرس — الى زعزعة عقيدته الصحيحة ، وقد تهوى بالنفس فى ضلالات تحرمها خيرى الدنيا والاخرة . هذا وقد كان الشيخ محمد عبده صغيرا ، لا يقوى على فهمها ومعرفة ما يصلح منها ومالا يصلح من خلال المنظار الاسلامي .

---

١ — فصل في سيرته ، ضمن الاعمال الكاملة (٢ / ٣٣٢) .

٢ — المنطق : ألة عاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره ونصدق فيه ، هكذا عرفه ابن سينا ، وهذا الفن انما دخل على الاسلام بعد اتساع الدولة الاسلامية ودخول كثير من الامم في الاسلام ، وخاصة ما كان من جهة اليونان انظر كتاب : المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم ، عوض الله جاد حجازى — الطبعة الرابعة ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة ، صفحة ٢٣ . / وانظر كتاب النجاة لابن سينا ص ٣ .
اما الفلسفة فالمراد منها الحكمة ، وهي من العلوم النظرية التي تعتمد على العقل والفكر .
انظر كتاب : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، لعمر فروخ ، الطبعة الثانية — المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢م .

وهذا لا ينقض قولنا : ان الشيخ " درويشا " هو الذى اعاد الشيخ محمد عبده الى الجادة وحببه في العلم والمثابرة عليه ، وانه انقذه بالقران ، وعلمه الطريقة الصحيحة في تلاوته ، وارشده الى اقصر الطرق في فهمه ، وتدبره وخلصه من قيود التقليد الى اطلاق التوحيد ـ حسبما قال الشيخ محمد عبده واخرجه من عالم الزهو واللهو الى عالم العبادة والزهادة ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ولم ينقطع حبل الاتصال بينهما الى ان مات الشيخ " درويش " سنة ١٢٨٩ هـ . "١" رحمه الله تعالى .

وكان ممن اثنى عليه من الكتاب ، " احمد امين " في كتابه : " من زعماء الاصلاح ... "

قال : (وشخصية الشيخ " درويش " من الشخصيات اللطيفة التي تظهر في البيئات المصرية على قلة ... وهي شخصية متصوفة ، تمتاز بنور البصيرة اكثر مما تمتاز بسعة العلم ، تعرف الدنيا وشؤونها ، وتزهد في قيمتها عن علم لا عن غباء ، وخير عبادتها ذكر الله بالقلب لا باللسان ولا بالاوراد ، تعمل في الدنيا كما يعمل اهلها ولكن في رفق وتسامح ، وميل الى الخير ، هي شخصية من اولئك الذين يرون الدنيا جسرا الى الاخرة ، فلا بد ان يعبر الجسر في امان ، يألمون لغفلة الناس وطغيان المادة عليهم ، وتورطهم في المفاسد ، ويشفقون عليهم ، ويعملون ما امكنهم لانقاذهم في هوادة ، يشع النور في قلوبهم على وجوههم ، فيكون منظرهم وتصرفهم وحركاتهم وسكناتهم منظرا جذابا يستدعي الحب والاعجاب) . "٢"

---

١ ـ توافق ١٨٧٣ ميلادية .

٢ ـ من زعماء الاصلاح محمد عبده تأليف احمد امين ، مؤسسة الخانجي ـ بالقاهرة سنة ١٩٦٠م. ص ١٤ .

٢ ــ " محمد عليـــش " :

================ ان ما قاله " احمد امين " مثنيا به على

شخصية الشيخ " درويش " يصح ان يقال هنا .

لان الشيخ " محمد عليش " من الشخصيات الاسلامية النادرة في

المحافظة على الدين من البدع والخرافات ، ومن كل دخيل على الاسلام .

وضح الاستاذ العقاد قدر الشيخ عليش ، قال :ـ

(وقد كان الشيخ " محمد عليش " رجلا صالحا عفيفا عن المطامع

الدنيوية التي كانت تستهوى طلاب المظاهر من علماء عصره . وكان مخلصا صادق

النية في كراهة البدع التي يخش منها على الدين) . "١"

كان له كبير فضل في تعليم الشيخ محمد عبده بعض العلوم الدينية في

الازهر الشريف .

درّس الفقه المالكي ، وله في ذلك كتب وشروح نذكر منها :

ــ شرحه على مختصر خليل .

ــ فتح العلي المالك على مذهب الامام مالك .

ــ مجموع فتاوى عليش .

" فروج يصيح بين الديكة " ؟

================

كان الشيخ محمد عبده لا يزال طالبا في الازهر الشريف ، وكان يقوم

الى جانب هذا بالقاء الدروس في بعض مساجد القاهرة . "٢"

ولما كان قد درس الفلسفة والمنطق بين يدى بعض الاساتذة ،

وفي مقدمتهم " جمال الدين الافغاني " ، وبرز في هذا الفن ، احب ان لا يحرم

---

١ ــ عبقرى الاصلاح والتعليم الشيخ محمد عبده ، عباس محمود العقاد

ص ١٤٠ .

٢ ــ وهو مسجد محمد بك ابو الذهب .

طلبة العلم من الانتفاع به ، فصار يدرس شرح العقائد النسفية في علم الكلام ، وبعض ما درسه في الحكمة والمنطق .

وحصل ان احد التلاميذ ، وشى به عند الشيخ " محمد عليش " فأبلغه أن طالبا بالازهر يحضر على " جمال الدين " ، ويقرأ كتب المعتزلة والمتكلمين ، يدرس العقائد النسفية "١" للتلاميذ ، وانه يرجح مذهب المعتزلة "٢" على مذهب الاشاعرة . "٣"

فاستدعاه الشيخ " عليش " ، وكلمه في ذلك ، ودار بينهما الحوار التالــــي "٤" :ـــ

---

١ ــ متن صغير الحجم ، مؤلفه عمر بن محمد النسفي ، شرحه السعد التافتازاني ، وقد كتب عليه مجموعة كبيرة من الحواشي ، وهو في غاية الاختصار / انظـــر العقائد النسفية مطبعة ونشر مكتبة المثنى ــ بغداد .

٢ ــ من الفرق الاسلامية ، اول من اطلق عليها هذا الاسم " الحسن البصري " حينما قال : اعتزلنا واصل بن عطاء ، وقيل : لاعتزالهم قول الامة . وقيل غير ذلك ، ولهم آراء خاصة في العقيدة وهم اصحاب الاصول الخمسة : التوحيد ، العدل ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

/ انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ١١٥ / وانظر الفصل لابن حزم مكتبة المثنى ببغداد ص (١ : ١٥٤) / تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة (١ : ١٣٨) .

٣ ــ اصحاب ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنهم ، والاشاعرة يقتصرون على الصفات الالهية السبع الثبوتية اللازمة لذاته تعالى والتي لا يتصف بضدها .

انظر / الملل والنحل للشهرستاني (١ : ١١٩) ، مطبعة المثنى ببغداد .

٤ ــ انظر الاعمال الكاملة (٣ : ١٩٢) .

عليش : بلغني انك تقرأ شرح العقائد النسفية دروسا • ؟

محمد عبده : نعم ! •

عليش : وبلغني انك رجحت مذهب المعتزلة على مذهب الاشاعرة • ؟

محمد عبده : اذا كنت اترك تقليد الاشعرى فلماذا اقلد المعتزلي ؟ اذن اترك تقليد الجميع واخذ بالدليل •

عليش : اخبرني الثقة بذلـــــك •

محمد عبده : هلم الثقة الذى يشهد بذلك ، ؟ فليفرق امامنا هنا بين المذهبين وليخبرنا ايهما رجحت •

عليش : او مثلك يفهم شرح العقائـد ؟

محمد عبده : الكتاب حاضر وانا حاضر ، فسلني ان شئت •

وانتهي مشهد الحوار ، وكان مشهدا رائعا ، من أوضح سماته الحدة في الكلام ، والجدية في الحديث ، والصدق في القول •

واستغرب " الشيخ عليش " ، ومن معه هذا الموقف من الطالب " محمد عبده " ، وكثرت مراجعته على الحاضرين ، وقالوا للشيخ " عليش " كلاما ، أوغر صدره ، واثقل همه وغمه ، مما زاد الموقف حدة ، وخطورة ، واحتدم الجدال بين الطرفين فعمد الشيخ " عليش " الى عصاه وضرب بها الطالب " محمد عبده " على رأسه ، فسقطت عمامته ، وشفى صدر استاذه •

هذه هي نهاية المشهد الصاخب بين استاذ وتلميذه ، بطل هذا المشهد " شيخ معمم يحمل في يده عكازا " " وتلميذ معمم ايضا يحمل فى يده كتابا " ، والجمهور يشاهد من بعيد كل احداث القصة •

انه بلا شك مشهد حي يمثل الصراع بين القديم والحديث ، او قل بيـن الشريعة الاسلامية بصفائها وسهولتها ، وبين كلام الفلاسفة والمناطقة بصعوبته وتعقيداته ••• وهو الصراع الذى لا نزال نعاني منه الى اليوم •

وكان من اثر ذلك ان الشيخ محمد عبده لما عاد في اليوم التالي ليواصل علمه احضر معه عصا ، استعدادا للمقاومة ، مما يصح ان نقول انه جرأة من الشيخ " محمد عبده " على من لا يحق له ان يعصيه ...

وان تعجب فعجب قوله : (اذا جاء الشيخ بعكازه فله العصا)

وظل الشيخ محمد عبده على عداء مع الشيخ " عليش " ، يحكي الشيخ محمد عبده ان اثره قد ظهر في قاعة الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هـ حين عرض الشيخ محمد عبده نفسه على مجلس الامتحان وابتلي فيه اشد الابتلاء (لتعصب الاكثر من اعضائه مع المرحوم " عليش ") .

ويذكر السبب في هذا العداء وهو الذي عده الشيخ محمد عبده : (اتباعا لآراء من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة) حتى ظن انهم لن يمنحوه درجة ما في العلم ، لولا امر الله الغالب .

وفي سنة ١٢٩٩ هـ "١" مات الشيخ " عليش " ، بعد ان ترك في نفس الشيخ محمد عبده اثرا ظل يلازمه طول حياته :

انه الحقد على الازهريين ، وطريقتهم ، ورميهم بالتقليد والجمود والسير بالدين الى الوراء (لذلك كان عنيفا في حديثه عن الازهريين ، يلوم ويعتب في حدة وعنف ، وله في ذلك كلمات متناثرة يصادفها القارئ في مواضع من كلامه) . "٢"

---

١ — توافق ١٨٨٢ م .

٢ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا (١ : ٧) .

٣ ـ " جمال الدين الافغانـــــي ":

==========================

(ان ابي وهبني حياة يشاركني فيها " علي " و " محروس " والسيد جمال الدين وهبني حياة اشارك فيها محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والاولياء والقديسين) .

" محمد عبده "

لقد عرفنا في الفصل الثاني والده " عبده بن حسن خير الله التركماني " ... الذى كان سببا في مجيئه الى الدنيا ...

ونريد ان نعرف من هو هذا الرجل الذى وهبه حياة يشارك فيها الانبياء والاولياء والقديسين ...

أ : ـ " أصلــه ونســبه ":

==================

روى في نسبه واصله انه " ايراني " ينتمي الى مذهب الشيعة. بينما زعم هو انه سني من بلاد " الافغان " ، وانه شريف النسب حسيني الجد .

وقد اورد الدكتور " محمد محمد حسين " الادلة على انه ايراني شيعي اخفى اصله ونسبه تعمية على اهل السنة في البلاد التي ينزل فيها حتى يتسنى له ان يلعب نفس الدور الذى لعبته الاسماعيلية "١" في الدعوة الى خلافة اهل بيت النبوة . "٢"

من هذه الادلة :ـ

١ ـ ذكر ابن اخته المدعو " ميرزا لطف الله خان " "٣" انه من بلدة " اسد اباد "

---

١ ـ طائفة باطنية ، تتستر وراء التشيع لآل البيت .

٢ ـ انظر الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٤ ، ٨٣ .

٣ ـ وكان يلازمه في كثير من زياراته لايران .

بالقرب من " همذان " ، وانه شيعي ولم يكن حنفي المذهب .

٢ — ذكر الشيخ محمد عبده انه كان في الحقيقة فارسيا ، وانه انتسب للافغان لسببين :—"١"

الاول : ان يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السني لا الشيعي .

الثاني : ان يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها في الخارج .

٣ — ذكر احد العلماء "٢" ثبوت تشيعه في دوائر الدولة الرسمية ، جاء هذا في رسالة بعثها هذا العالم الى " رشيد رضا " بتاريخ ٢٩ رجب ١٣١٦ هجرية .

قال فيها : (اني ارى جريدتك طافحة بشقاشق المتأفغن " جمال الدين " الملفقة ، وقد تدرجت به الى الحسينية التي يزعمها زورا ، وقد ثبت في دوائر الدولة رسميا انه " مازندارى " من اجلاف الشيعة ، وهو مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية) . "٣"

ويقول الشيخ " مصطفى عبد الرازق " "٤" في مقدمته لكتاب " العروة الوثقى " : (هذا خلاف لا سبيل الى تمحيصه ، فان ما يتعلق بنشأة " جمال الدين " وحياته قبل اتصال الشيخ " محمد عبده " به سنة ١٨٧١ م ، هو على قلة مصادره مخاط بغموض واضطراب) . "٥"

---

١ — انظر كتاب " العروة الوثقى " — المقدمة — تأليف جمال الدين ، ومحمد عبده ، الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م — دار الكتاب العربي — بيروت ص ١٨ .

٢ — هو الشيخ " ابو الهدى " / انظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٠) .

٣ — نفس المصدر ونفس الصفحة : وانظر كتاب : " رشيد رضا " لاحمد الشرباصي ص ١٤٣ .

٤ — من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وسنترجم له فيما بعد .

٥ — انظر مقدمة كتاب " العروة الوثقى " ص ٢ .

ويبدو من كلام الشيخ " مصطفى " ان حقيقة هذا الامر قد انكشفت للشيخ " محمد عبده " بعد اتصاله به ...

فهو يقول : (ويدل على هذا ا قول الشيخ " محمد عبده " في فاتحة تعريبه لرسالة " الرد على الدهريين قال : ويحملني على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل ما رايناه من تخالف الناس في امره ، وتباعد ما بينهم في معرفة حاله ، وتباين صوره في مخيلات اللاقفين لخبره ، حتى كان حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه ، او قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله "). "١"

وقد اعترف الشيخ " محمد عبده " في نفس " العروة الوثقى " انه من شيعة الفرس .

ويظهر ان الذى اوقع في هذا اللبس هو " البلدة " التي منها " السيد جمال " هل هي " اسعد اباد " من اعمال كابل في افغانستان ؟ ام انها " اسد اباد " من اعمال همذان في ايران ؟

ولعل السيد " جمال الدين " قد استغل هذا التشابه بين البلدتين ، فاخفى تشيعه وادعى انه من اهل السنة .

واما زعمه انه شريف ينتسب الى " الحسين " رضي الله عنه ، فقد يكون له طريق الى الصحة ، وقد يكون من اختراعه للتزيد في الفضل ، وان كنت استبعد قوله ، لانه لا دليل عليه ، ولان من يكذب على الناس في بلده خليق ان لا يصدق في نسبه .

ب : ـ " لقاؤه بالشيخ " محمد عبده " واثره فيه " :

=====================================

نزل جمال الدين مصر سنة ١٨٧٠م ، بدعوة من " رياض باشا " عندما اجتمع به في الاستانة ، فقررت له الحكومة المصرية راتبا شهريا ، مقداره " عشرة جنيهات " . "٢"

---

١ ـ نفس الكتاب ، ونفس الصفحة .

٢ ـ انظر زعماء الاصلاح لاحمد امين ص ٦٩ .

حاول ان يدرس في الازهر فلم يستطع ، لكره الازهريين له ، فاتخذ له بيتا في " حارة اليهود " مالبث ان صار منتدى للعلماء والطلاب ومنهم — محمد عبده ، عبد الكريم السلمان ، ابراهيم اللقاني ، ابراهيم الهلباوى ، سعد زغلول — ثم اتخذ من " مقهى " قرب " الازبكية " مجلسا له يلتقي فيه مع طلابه حتى الفجر "١" يلتقي فيه مع هؤلاء ومع غيرهم مثل : محمود سامى البارودى ، عبد السلام المويلحي ، ابراهيم المويلحي ، علي مظهر ، سليم النقاش ، اديب اسحاق . حيث كانوا يسألونه عن ادق المسائل ، فيجيب عليها . "٢"

احب السيد " جمال الدين " مصر ، واحب منها " محمد عبده " يقول : (مصر احب بلاد الله الي ، وقد تركت لها في الشيخ محمد عبده ، طودا من العلم الراسخ ، وعرمرما من الحكمة والشمم ، وعلو الهمم ، واني لبذهب بي العجب ويأخذ مني كل مأخذ ، عندما ارى المصريين في جمود واولي الهمة منهم في قعود ...) . "٣"

وقال مرة وهو يوصي بمصر : (حسبكم محمد عبده من وصي امين) . "٤"

ولقد كانت نظرة السيد " جمال الدين " صائبة ، فيه وكان " محمد عبده " امينا على حكمة استاذه وقائما على مذهبه ...

---

١ — انظر كتاب : جمال الدين الافغاني تاريخه ورسالته ومبادئه ، محمود ابو رية ص ٤٥ .

٢ — انظر : زعماء الاصلاح لاحمد امين ص ٧٠ — ٧٣ .

٣ — خاطرات جمال الدين الافغاني الحسيني ، لمحمد باشا المخزومي ، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م ص ١٩ .

٤ — عبقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ، العقاد ص ١٠٣ .

يقول محمد الفاضل بن عاشور : (وكان في مقدمة المنتسبين اليه والاخذين عنه من هو عضده في عمله ، والقائم على حكمته ومذهبه الاصلاحي من بعده الاستاذ الامام " محمد عبده ") . "١"

والحديث عن الاثر الذى تركه " الافغاني " في شخصية الشيخ " محمد عبده " يطول كثيرا ولا تكفي صفحات قليلة في كتابة شيء كثير .

والمهم هنا ان نقول :ـ

أن الشيخ " محمد عبده " لم يكن في الحقيقة الا اثرا من آثار السيد " جمال الدين " .

وما من مناسبة يذكر فيها اسم " الافغاني " الا وتهتز ألسنة الذاكرين " بمحمد عبده " فكأن هناك اتصالا روحيا بين الشخصيتين ، أو اتفاقا سريا يحتم اجتماع الشيخين .

لقد تشربت روح الشيخ محمد عبده الحكمة والمعرفة من روح استاذه (فلم ينفذ الى لباب المعارف الا بتوجيهه ، ولم يتذوق روح حكمتها الا بنفحاته ، فلا عجب أن يكون بما اتيح له من رفقته وما تأتي له من تشرب أفكاره وهضمها والتصرف فيها تصرف الايضاح والضبط والتركيب والتحرير صورة منه تشرب روحه ، وتنفس حكمته ، واسس مباني عمله على القواعد التي وضعها " الجمال " بيده) "٢"

يقول الشيخ محمد عبده : (وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم ١٢٨٧ هـ "٣" واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية والكلامية ، وادعو الناس الى التلقي عنه كذلك) . "٤"

---

١ ـ التفسير ورجاله ، لمحمد الفاضل بن عاشور ، الطبعة الثانية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ص ٢٣٠ .

٢ ـ نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ ـ توافق ١٨٧٠ ميلادية .

٤ ـ ترجمة سيرته ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده (٢ : ٣٣٢) .

ولعل هذه الصحبة ، وتلك المودة ، بينهما ، هي التي جلبت للشيخ " محمد عبده " الصاعب وابعدته كثيرا عن طريق الازهر ، وصيرته حديث المشايخ والطلاب فيه ـ هو وشيخه ـ "١"

(واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل) .

والشيخ محمد عبده يرى ان اثره لم يقتصر عليه وعلى بعض جلساء الشيخ الافغاني ، بل تمداه ، ليعم مصر بأسرها ، وكأن لم يكن في مصر الازهر " ام العلوم " الا الاستاذ الافغاني ، ولكن كما يقولون ـ: الحب يعمي ويصم .

يقول الشيخ " محمد عبده " في ترجمة سيرة الافغاني وبيان اثره :ـ

(عظم امر الرجل في نفوس طلاب العلوم ، واستجزلوا فوائد الاخذ عنه ، واعجبوا بديثه ، وادبه ، وانطلقت الالسن بالثناء عليه ، وانتشر صيته في الديار المصرية .

ثم وجه عنايته لحل عقل الاوهام عن قوائم العقول ، فنشطت لذلك الباب واستضاءت بصائر ، وحمل تلامذته على العمل في الكتابة ، وانشاء الفصول الادبية والحكمية ، والدينية ، فاشتغلوا على نظره ، وبرعوا ، وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه ، وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكرى ، وخيرى باشا ، ومحمد باشا سيد احمد ، على ضعف فيه ، ومصطفى باشا وهبي على اختصاص فيه .

ومن عدا هؤلاء فانما ساجعون في المراسلات الخاصة ، واما مصنفون في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شاكلها .

---

١ ـ نفس المصدر ص ٣٣٣ .

ومن عشر سنوات ترى كتبة في القطر المصري لا يشق غبارهم ، ولا يوطأ مضمارهم ، واغلبهم احداث في السن شيوخ في الصناعة ، وما منهم الا من اخذ عنه او عن احد تلامذته ، او قلد المتصلين به ، ومنكر ذلك مكابر ، وللحق منابذ) "١"

واني ارى ان الشيخ " محمد عبده " قد غض الطرف عن الجانب الآخر من حياة استاذه والاثر الذى تركه في مصر ، وهو موقف يؤخذ عليه ، وسأبين هذا الاثر ، وذلك لاهميته بين الناس ، واستحقاقه ذلك ... ، فاقـــول :ـ

انضم جمال الدين الافغاني الى المحفل الماسوني الاسكتلندى في القاهرة وكان يضم كثيراً من علية القوم "٢" ، فأراد ـ كما يقول رشيد رضا ـ (أن يربي فيها رجالا يعرفون كيف يحفظون بلادهم ، وانفسهم ، فوجه همه الى استخدام الماسونية ، في تعليم تلامذته ما لا يمكن التصريح به الا في جمعية سرية ، فدخل في الماسونية ودخل معه تلامذته النابغون ، فجعل بهم قوة للمصريين ، وصار رئيس محفلهم ، ولكنه كان غالبا ما يتكلم في مضادة الانجليز ، لما كان من زحفهم على بلاده ، ولما كان يعتقد من طمعهم في مصر ... فقاوموه حتى اضطروه الى ترك الماسونية مع كبار حزبه ...) . "٣"

---

١ ـ ترجمة سيرة جمال الدين ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده (٢ : ٣٤٩ ـ ٣٥٠) .

ـ وانظر كتاب : مذكراتي في نصف قرن لاحمد شفيق باشا . الجزء الاول مطبعة مصر . الطبعة الاولى ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤م . (١ : ١١٠ ـ ١١١) .

٢ ـ انظر من زعماء الاصلاح محمد عبده ، احمد امين ص ٧٩ .

٣ ـ نفس المصدر ص ٧٣ ، / وانظر المنار ، الجزء الخامس ، ايار ١٩٠٣ ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

ولما ترك المحفل الاسكتلندى انشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنساوى ، دعا اليه مريدية من العلماء والوجهاء ، وبلغ عدد المشتركين فيه نحو ثلاثمائة عضو ، من نخبة المفكرين والناهضين المصريين ... فكان لذلك هزة في الاندية والمجتمعات كما قال احمد امين . "١"

والماسونية كانت في نظر الافغاني شيئا مثاليا ، ومثالا يحتذى به ، ولكنه سرعان ما لاحظ انها تستغل لاهداف خاصة خلاف ما كان ينتظر منها .

يقول : (كنت انتظر ان اسمع وارى كل عجيبة غريبة ، ولكن ما كنت لاتخيل ان الجبن يمكنه ان يدخل بين اسطوانتي المحافل الماسونية ، اذا لم تدخل الماسونية في سياسة الكون ، وفيها كل بناء حر ، واذا الات البناء التي في يدها لم تستعمل لهدم القديم ، ولتشييد معالم حرية صحيحة ، واخاء ومساواة ، وترك صروح الظلم والعتو والجور ، فلا حملت يد الاحرار مطرقة حجارة ولا قامت لبنايتها زاوية قائمة ...) . "٢"

ويعبر الافغاني عن خيبة امله في الماسونية بأن القائمين عليها تسيطر عليهم الانانية وحب الرئاسة والاهواء ... (ولكن مع الاسف ارى ان جراثيم الاثرة والانانية وحب الرئاسة والعمل من جماعات بمقتضى اهوائهم ، وخضوع الشرق عن بعد سحيق ، يعتوره تهديد ووعيد ، وغير ذلك من الامور التي ما تأسست الماسونية الحرة الا لملاشاتها ...) "٣"

---

١ ــ من زعماء الاصلاح ص ٧٣ . / وانظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٤٠) .

٢ ــ الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، تحقيق الكاتب محمد عمارة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ص ٥٢١ ، (مقالة بعنوان " نقد الماسونية " وهي منقولة عن كتاب : خاطرات جمال الدين الافغاني) .

٣ ــ الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ص ٥٢١ .

والموسف حقا ان يصر الافغاني ان يبقى ماسونيا عاملا بدل ان يهجرها ويهاجمها ويحذر الناس من مغبة الوقوع في حبائلها "١" ... على الرغم من اعترافه بأنها رموز غير مفهومة وانها من اساطير الاولين التي تخل بعقيدة الداخل فيها (فالماسونية على شكلها هذا وتقاليدها ليست فقط قديمة العهد ، بل هي لم تزل في المهد ، ولسوف اذا اصرت واصر ابناؤها على الوقوف عند حد رموز اكثرنا لا يفقه معناها ولا المراد من وضعها انها ستختنق في المهد ولا تدرج منه ، ماسونيتكم ايها الاخوان لا تتجاوز " كيس اعمال وقبول اخ " يتلى عليه من اساطير الاولين ما يمل ويخل في عقيدة الداخل ، ويسقط مكانة الماسونية في عينيه ، انتم اليوم بين رئيس ومرؤوس ، تابع ومتبوع ، شرق يأمر ومستشرق يرضخ ، مال يجمع وجزية للشرف تؤدى ، وليس من عمل يدل على ادنى اثر من الحياة للماسونية في الشرق ..) "٢"

ويبدو لي ان انغماسه فيها ، وعمله في السياسة لم يتح له ان يتشدد مع تلاميذه ويربيهم تربية خلقية ودينية فكان كثير منهم غير متدينين . "٣"

نذكر الى جانب هذا ان الافغاني اول من نادى بأن " مصر للمصريين " "٤" فجذب اليه هذا الشعار عددا من مريديه من اليهود والنصارى ، وهذا يعني ان الافغاني احل رابطة الوطن محل رابطة الدين .

والى جانب ذلك كان الافغاني يؤمن بوحدة الاديان الثلاثة واتفاقها وعدم تخالفها كما يبدو من قوله : (واما ما نراه من اختلاف اهل الاديان ، فهو صنع رؤساء بعض تلك الاديان الذين يتجرون بالدين) وهذا يعني الشعار الثاني للماسونية وهو " الاخاء " .

---

١ ـ انظر العروة الوثقى ص ٢٥ .

٢ ـ الاعمال الكاملة لجمال الدين ص ٥٢٢ .

٣ ـ انظر كتاب الاسلام والتجديد ، تشارلز ادمز ص ١٠ ، ٩٥ .

٤ ـ انظر : جمال الدين الافغاني لمحمود ابو رية ص ١٢٣ .

ويؤمن ايضا بالاشتراكية (التي ستؤدى حقا مهضوماً لاكثرية من الشعب العامل) "١"

— حسب قوله — •

ويقول ايضا عن الثورة البرجوازية الفرنسية — التى عاش العالم في حرارتها اجيالا متعددة ، وعن الثورة الاشتراكية المنتظرة •

(والدعوة لطلب الحرية في فرنسا ، وهي دعوة ومطلب حق ، كم صادف اهلوها من المحن ، وكيف استحر فيها القتل ، وسالت الدماء •

واليوم فالعالم يقدرهم ، ولسوف يقتدى بهم ، وهكذا دعوى الاشتراكية •• وان قل نصراؤها اليوم فلا بد ان تسود في العالم ، يوم يعم فيه العلم الصحيح ويعرف الانسان انه واخاه ، من طين واحد ، او نسمة واحدة ، وان التفاضل انما يكون بالانفع من المسعى للمجموع) • "٢"

فهو الى جانب حبه للاشتراكية وتأييده لها ، ودعوته اليها ، يتنبأ لها مستقبلا تعم فيه الارض •

فهي اذن حتمية ، وكلامه هذا قريب الشبه من التفسير المادى للتاريخ عند الشيوعية "٣" ، (فلا بد ان تسود في العالم) •

---

١ — خاطرات جمال الدين ، لمحمد باشا المخزومي ص ١٨٩ / وانظر الاعمال الكاملة لجمال الدين ص ٨٨ •

٢ — خاطرات جمال الدين ص ٢١١ •

٣ — انظر كتاب : نقض اوهام المادية الجدلية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر — بدمشق الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م • ص ٢١٢ •

وفيه ايضا جملة من مبادئ الشيوعية فى هذا العصر ، تجده فى قوله (وان التفاضل انما يكون بالانفع من المسعى للمجموع) وهو قريب الشبه من قولهم : (من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته) .

وفي قوله : (ويعرف الانسان انه واخاه من طين واحد او نسمة واحدة) فيه اشارة الى قولهم ، ان الشيوعية ستقيم حكومة عالمية كل الناس فيها شركاء في كل شيء .

ولعل الافغاني ايضا اول من نادى باشتراكية الاسلام ، وان الاسلام دين اشتراكي ، لانه يذهب الى ان اول من دعا الى الاشتراكية هو الصحابي الجليل " ابو ذر الغفاري " "١" .

ويقول الافغاني (كل اشتراكية تخالف في روحها واساساتها اشتراكية الاسلام "٢" فلا تكون نتيجتها الا ملحمة كبرى ، وسيل الدماء ، وسيل العرم من

---

١ — صحابي جليل — جندب بن جنادة ، اسلم بمكة قديما ثم رجع الى قومه ثم هاجر الى المدينة وهو اول من حيا بتحية الاسلام روى له عن النبي صلى الله عليه وسلم مائتان وواحد وثمانون حديثا ، مات بالربذة سنة احدى وثلاثين / انظر رياض الصالحين للنووي ، تحقيق محيي الدين الجراح ص ٥٤ .

٢ — الاولى ان نبتعد عن مثل هذه المصطلحات " اشتراكية الاسلام " " ديمقراطية الاسلام " ... لان الاسلام هو الاسلام ، انه وان كان يلتقي مع بعض هذه المذاهب في بعض النقاط فلا يعني هذا انه مثلها ، لوجود الفرق الاساسي بين الاسلام وغيره وهو ان الحاكم والمشرع والمعبود في الاسلام هو الله ، وفي غير الاسلام هو غير الله . فبدلا من ان نقول الاشتراكية الاسلامية ، نقول : " التضامن الاجتماعي في الاسلام " أو " التكافل الاسلامي " ... الخ . انظر كتاب العدالة الاجتماعية في الاسلام ، سيد قطب ، طبعة دار الشروق ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م .

الأبرياء ، ومن تخريب لبناء لا يشاد عليه شيء ينتفع به احد من الخلق) . "١"

وبعد :ـ فهل كان للسيد جمال تأثير على شخصية الشيخ " محمد عبده "

في هذا المجال ؟

والجواب نعم "٢" . ولعل هذا هو السبب في اهمال الشيخ " محمد عبده "

لهذا الجانب من تاريخ استاذه والله اعلـــم .

---

١ ـ خاطرات جمال الدين ص ٢٠٣ .

٢ ـ استطيع ان اقول في غير مجانبة للحق ان الشيخ محمد عبده تأثر بفكر استاذه جمال الدين الافغاني فكان خادما لاهدافه يرى بعينيه ويعمل بعقله ، ويكتب بوحيه ... فدخل الماسونية وانشأ جمعية سرية هدفها التقريب بين الاديان الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام .

اضف الى ذلك ما درسه الشيخ محمد عبده من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وما كان له من اثر في تكوين شخصيته العلمية .

ـ تاريخ الاستاذ الامام الجزء الاول ، الصفحات (٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٨١٩ ، ٨٧٣) .

ـ الاعمال الكاملة للامام الجزء الاول ، ص ٣٥ .

ـ جذور البلاء ، الاستاذ عبد الله التل ص ١٣٧ .

ـ اسرار الماسونية لويس شيخو ص ١٩٥ .

ـ رائد الفكر المصرى محمد عبده ، عثمان امين ، الطبعة الثانية ص ٤٠ .

ـ الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، محمد محمد حسين (١ : ٣٠٨) .

ـ اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، دكتور عبد المجيد المحتسب (١١٥ ـ ١١٩) .

٢ ـ تلاميـــــذه

==============

تمهيــــد :ــ

==============

لا شك ان الشيخ " محمد عبده " صاحب مدرسة فكرية تربوية ...

تخرج منها كثير من القادة ، والزعماء والمفكرين ، واصحاب الاقلام ، ورجـــال السياسة والحكم ...

كان " الشيخ محمد عبده " هكذا لانه كان رائدا ومرشدا ومربيا والرواد في تاريخ البشرية قليلون ...

هذا الرائد ، شهد له بالريادة اهل السياسة ، والاجتماع ، والادب ، والصحافة ، ورجال الدين "١" ، ورجال الاقتصاد ...

فكان من هؤلاء :

سعد زغلول ، وحسين رشدى ، وعبد الخالق ثروت ، وعدلي يكن في مجال السياسة والحكم .

واحمد لطفي السيد ، ومنصور فهمي ، ومحمود عزمي ، في حقل الصحافـــة .

وحافظ ابراهيم ، ومصطفى المنفلوطي ، وعبد الرحمن البرقوقي ، في الادب .

وطلعت حرب في الاقتصاد .

وقاسم امين في الاجتماع .

وفي الازهر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ المراغي .

أما رشيد رضا الطرابلسي فأشهر من ان يعرف .

وسأترجم فقط لخمسة من هؤلاء ، هـــم :

---

١ ـ أعني علماء الشريعـــة .

١ ـ رشيد رضا
٢ ـ الشيخ المراغي .
٣ ـ مصطفى عبد الرازق
٤ ـ احمد لطفي السيد .
٥ ـ قاسم امين .

واشير الى سادس ، هو " سعد زغلول " .

وقد اكتفيت بالحديث عن هؤلاء لانهم اشهر تلاميذه ، الذين حملوا اللواء من بعده ونشروا مذهبه ، ودعوا اليه ، ... الامر الذى ادى الى تحول كبير في مجرى الحياة المعاصرة في عامة العالم الاسلامي ، وفي مصر على وجه الخصوص .

وفي التعريف بهؤلاء تعريف بالاثر الذى تركه الشيخ محمد عبده بعده ، والطراز الخاص بمدرسته ، والطابع الذى تشكلت به الحياة العامة .

وهؤلاء التلاميذ قسمان :

أ : رجال دين ، تخصصوا في دراسة وتدريس الشريعة ...

ب : رجال سياسة واقتصاد واجتماع ...

من الصنف الاول : الشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ محمد مصطفى المراغي ، والشيخ مصطفى عبد الرازق .

ومن الصنف الثاني : احمد لطفي السيد ، وقاسم امين ، وسعد زغلول .

أ = الصنف الاول :

==============

١ — " محمد رشيد رضا " :

================

في قرية القلمون من جبل لبنان ، ولد الشيخ " محمد رشيد رضا " بتاريخ ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ "١"،"٢"

التقى بالشيخ " محمد عبده " سنة ١٨٩٨ م ، اللقاء الثالث الذى صيره تلميذا للشيخ محمد عبده .

اما اللقاء الاول فقد حصل في طرابلس الشام بعد عودة الشيخ من اوروبا .

وتم اللقاء الثاني ايضا في طرابلس سنة ١٨٩٤ م ، وكان الشيخ محمد عبده يصطاف هناك ، فلازمه رشيد ليل نهار ووثق علاقته به . واحبه كما يحب والده ، وهو اول من اطلق عليه لقب " الاستاذ الامام " ، وكان يؤمن ان الشيخ محمد عبده هو (بقية رجال المسلمين) . "٣"

---

١ — توافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٦٥ م .
٢ — رشيد رضا عصره وحياته ومصادر ثقافته ، الدكتور احمد الشرباصي ص ١٠٢ .
٣ — انظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٩٥) .

١ — " ترجمان افكاره " :

==================

وثق الشيخ محمد عبده برشيد فجعله ترجمان افكاره ، وكان يحبه كثيرا ، ويؤثره على غيره حتى انه قال مرة لصديقه الشيخ " عبد الكريم سليمان " ،

(اما ان تكف عن السيد رشيد ، واما ان استغني انا عن صحبة اربعين سنة) "١" .

وكان الشيخ عبد الكريم ، اراد النيل من اخلاص السيد رشيد للشيخ محمد عبده .

وقال :—

(ان الله بعث بهذا الشاب ليكون مددا الحياتي ، ومزيدا في عمري ، ان في نفسي امورا كثيرة اريد ان اقولها او اكتبها للامة ، وقد ابطيت بما شغلني عنها ، وهو يقوم ببيانها الان ، كما اعتقد واريد ، واذا ذكرت له موضوعا ليكتب فيه ، فانه يكتبه كما احب ، ويقول ما كنت اريد ان اقول ، واذا قلت له شيئا مجملا ، يبسطه بما ارتضيه من البيان والتفصيل ، فهو يتم ما بدأت ، ويفصل ما اجملت ، وقد رأيت في سفري هذا من آثار عمله وتأثيره ، ما لم اكن اظن ولا احسب ، فهو قد انشأ لي احزابا واوجد لي تلاميذ واصحابا .....) "٢"

وعن الرابطة الروحية بينهما يقول رشيد : (علاقتي بالاستاذ روحية اصلاحية محضة) "٣" .

---

١ — الاعمال الكاملة للامام محمد عبده (٣ : ١٣١) .
٢ — الاعمال الكاملة للامام (٣ : ١٣١) .
٣ — تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٠١١) .

وفي موضع آخر يقول : (طاربي هذا العشق الروحي بعد وفاة السيد " جمال الدين " الى الاستاذ الامام ، وكان قد علم بحبي له ، وظن انه كحب الالوف من الناس للعلماء والفصحاء ، والكتاب ، والخطباء ، وبعد محاورات ومسامرات كثيرة تتابعت من اواخر رجب الى العشرة الاخيرة من شوال ، علم ان هذا الحب نوع آخر لم يعرف له ضريبا الا حبه للسيد " جمال الدين ") . "١"

وعن علاقتهما في المعاشرة العادية يقول رشيد (ولكثرة ما يراني الناس معه كما كاللازم والملزوم اللذين لا ينفك احدهما عن الاخر) . "٢"

وعن حياتهما العملية قال رشيد :ـ (كنا كروح واحدة في جسدين ، كان يكاشفني بجميع افكاره واسراره في علاقته بالحكومة ، والخديوى ، واللورد كرومر ، ورئيس النظار ، وفي اعماله في الازهر ، ومجلس الشورى ، ومجلس الاوقاف الاعلى ويعهد الي بكتابة بعض المقالات في الجرائد لتأييد رأيه ، وتفنيد آراء مخالفيه) . "٣"

٢ ـ " الوارث الاول " :

================

يقول الامير شكيب ارسلان عن الشيخ رشيد رضا : (وهو الأولى بأن يخلف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مشروعه) . "٤"

ومحمود سامي البارودى صديق قديم للشيخ " محمد عبده " : قال له مرة :ـ (ان السيد جمال الدين قد تركك لنا ، فقمت بالاصلاح بعده ، خير قيام ، واني لخائف ان تنقطع السلسلة بعدك ، فبشرني هل عندك احد ترجوا ان يتصل بنه سير الاصلاح ؟

---

١ ـ نفس المصدر ص ١٠١٢ .

٢ ـ نفس المصدر ص ١٠١٣ .

٣ ـ نفس المصدر ص ١٠١٦ .

٤ ـ حاضر العالم الاسلامي ، لوثروب ستودارد (١ : ٢٨٣) .

قال : نعم ، عندى شاب سورى يقوم بذلك ، وسأرسله اليك لتتعارفا) "١" .

ويقول صاحب كتاب : " التفسير والمفسرون " ، الشيخ محمد حسين الذهبي :ـ

(ان الشيخ رشيد هو الوارث الاول لعلم الاستاذ الامام اذ انه اخذ عنه فوعى ما أخذ ، والف في حياته ، وبعد وفاته ، فكان لا يحيد عن منهجه ، او ينحرف عن افكاره) . "٢"

٣ ـ " المدافـــع الاول " :

==================

كان الشيخ رشيد متفقا في الجملة مع استاذه في العقيدة والفكر والرأى والخلق والعمل ، وكان يدافع عنه دفاع الابن عن ابيه عند تعرضه للخطر ، ويرد على منتقديه ، وايضا على الذين ينتقدون الافغاني ويوجهون اليه التهم .

فمثلا : حين ترجم السيد " سليم العنجوري " للسيد جمال ذكر انه كان (يكثر من شرب الشاى والتبغ ، واذا تعاطى مسكرا فقليلا من الكونياك)"٣"

والشيخ رشيد الذى اورد هذا القول : يرد عليه ويبرر فعله بقوله (ولم نسمع حتى من اعدائه انه كان يشرب المسكرات ، فان لم يكن ما قيل من شربه لقليل من الكونياك الا فرية ، فيحتمل ان يكون له شبهة ، كأن يكون رآه الناقل يشرب شيئا ، يشبه الكونياك ، او يكون شرب ذلك القليل تداويا "٤" فظنه الناظر عادة .

---

١ ـ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٩٥) .

٢ ـ التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ص ٢٤٢ ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢م .

٣ ـ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٤٩) .

٤ ـ ان التداوى بالمحرمات يحرم لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " ما جعل =

وهذه الشبهات كثيرة ، وقع لي منها ما ظن به من لا يعرفني الا بالسماع انني افطر في رمضان متعمدا) . "١"

ومثلا : لما اجتمع الشيخ " يوسف النبهاني " بالشيخ رشيد سنة ١٣٢٦ هـ "٢" ، ذاكره بشأن " الشيخ محمد عبده " وقال له : (من المعلوم المسلم انه كان يترك كثيرا من الصلوات بلا عذر ، وانا نفسي رافقته من وقت الضحى الى قبيل المغرب ، عند رجل كان دعانا في جبل لبنان ، فلم يصل الظهر ولا العصر ، ولم يكن له عذر ، بل كان بكمال الصحة ، ورآني صليت الظهر والعصر ولم يصلهما) . "٣"

فسلم الشيخ رشيد تركه لبعض الصلوات ، وقال في الجواب عنه (لعل مذهبه يجوز الجمع في الحضر) . "٤"

= الله شفاء امتي فيما حرم عليها " . وما جوزه رشيد هو القول الثاني للشافعي ، وهو خلاف مذهب احمد ومالك وابي حنيفة . / انظر كتاب : الافصاح عن معاني الصحاح ، ليحيى بن محمد بن هبيرة ، المؤسسة السعيدية بالرياض (٢ : ٢٧٠) .

١ ـ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٥٣) .

٢ ـ توافق ١٩٠٨م .

٣ ـ العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية ، يوسف بن اسماعيل النبهاني ، ص ٣٤ وما بعدها .

٤ ـ يجوز عند مالك الجمع في الحضر للمطر في المغرب والعشاء دون الظهر والعصر وعند الشافعي واحمد يجوز ايضا الظهر والعصر . وقال ابو حنيفة : لا يجوز ذلك على الاطلاق ، الا بعرفة والمزدلفة في حق المحرم .

انظر : الافصاح عن معاني الصحاح (١ : ١٥٧ ـ ١٥٨) .

ولم يقل احد من الائمة ان الظهر والعصر يجمعان مع المغرب والعشاء .

٢ ـ " محمد مصطفى المراغي "

ولد الشيخ " المراغي " " بالمراغة " من " جرجا " من " صعيد مصر " عام ١٨٨١م ، ونشأ كما ينشأ الطلاب من ابناء الصعيد حفظ القران وارتقي في الدرس حتى دخل الازهر الشريف ، فدرس فيه وتتلمذ على " الشيخ محمد عبده " .

كان " المراغي " اخلص اخوان الشيخ محمد عبده ومريديه ، وذلك بسبب مكابدته في سبيل ما يسمى " باصلاح الازهر " .

فقد استطاع ان يرسم طريقا جديدا للازهر ، وان يغير الكثير من مناهج التعليم و وطرائقه ، وهو المراد " باصلاح الازهر " .

كان الشيخ " محمد عبده " من المعجبين به ، فرشحه للقضاء في السودان ، فوليه سنة ١٩٠٤م .

وفي السودان قامت بينه وبين الانجليز صلات ومودة ، فتعلم لغتهم ، وتشرب من افكارهم وآرائهم ... فأحضر الى مصر واسندت اليه مشيخة الازهر سنة ١٩٢٨م .

ويبدو انه فرض فرضا في هذا المنصب ، رغما عن الملك فؤاد وعن المشايخ الازهريين ، فحدثت ضجة ، قام بها الازهريون بحجة انه لا يصلح لهذا المنصب ، وليس اهلا له ... الى ان استقال بعد عام تقريبا ، لهذا السبب ، ولعدم استجابة الملك فؤاد لبرنامجه الاصلاحي . "١"

ظل المراغي بعيدا عن مشيخة الازهر حتى سنة ١٩٣٥م ، فولي المشيخة من جديدا ، وبقي هناك عشر سنوات ، انشأ خلالها ، كلية اللغة العربية وكلية اصول الدين وكلية الشريعة ، واوفد البعوث الازهرية الى البلاد الاوروبية ، واحيا تقليد

---

١ ـ عن الاستاذ المشرف .

الشيخ " محمد عبده " في التدريس " بالرواق العباسي " ." ١ "

يقول " المراغي " في حفل تكريم اقيم له ، بمناسبة عودته للازهر الشريف عام ١٩٣٥م : (لا ننسى ذلك الكوكب الذى انبثق منه النور ، الذى نهتدى به في حياة الازهر العامة ، ويهتدى به علماء الاقطار الاسلامية في فهم روح الاسلام وتعاليمه ، ذلك الانسان الذى نشر الحياة العلمية ، والنشاط الفكرى ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القران ، وعبد الطريق لتذوق سر العربية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا يبنيان الا على العلم والتقوى " ٢ " ، ومكارم الاخلاق ، وذلك الرجل الذى لم تعرفه مصر الا بعد ان امعن في التاريخ " الاستاذ الامام محمد عبده " قدس الله روحه وطيب ثراه ...) . " ٣ "

شهد العلماء بتلمذته ، وتقمص شخصية شيخه ، فقال الشيخ شلتوت رحمه الله : (ان الشيخ المراغي ما خرج بروحه وعلمه وعقله وتفكيره عن ان يكون تلميذ الاستاذ الامام " محمد عبده " .) " ٤ "

ويقول صاحب كتاب " مناهج المفسرين " : (واظهر نبوغا وذكاء وجدا في التحصيل والدرس ، ولازم دروس الاستاذ الامام " محمد عبده " ونهل من معينه وهو يعد من مدرسته) . " ٥ "

---

١ ـ الامام محمد عبده ، للجندى ص ١٧٠ .

٢ ـ وذلك في قول الشيخ محمد عبده (سريت للمجد هونا غير ذى عجل : على اساس من التقوى اراعيه) .

٣ ـ تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، بقلم انور الجندى ، الطبعة الاولى ١٩٧٠م ص ٨٨ .

٤ ـ الامام محمد عبده ، عبد الحليم الجندى ص ١٧٠ .

٥ ـ مناهج المفسرين ، تأليف الدكتور : منيع عبد الحليم محمود . الطبعة الاولى ١٩٧٨م ص ٣٣٩ .

ويقول " الجندى " في تراجم الاعلام المعاصرين : (والحق ان الامام " محمد مصطفى المراغي " ثمرة من ثمار الازهر ، ورائد طريق اليقظة الاسلامية ، والتجديد ، والاصلاح ، والاجتهاد وانه خطوة تالية لاستاذه الامام " محمد عبده ") . "١"

ويقول الشيخ الذهبي رحمه الله : (لم نعرف من رجال هذه المدرسة رجلا تاثرا بروح الاستاذ الامام ، ونهج على طريقته من التجديد ، واطراح التقليد ، والعمل على تنقية الاسلام من الشوائب التي الصقت به ، وتنبيه الغافلين عن هديه وارشاده مثل الاستاذ الاكبر الشيخ " محمد مصطفى المراغي " رحمة الله ورضوانه عليه) . "٢"

" انفع الناس بعلمك تكن عالما " :

========================

يذكر الشيخ المراغي " وصية " اوصاه بها الشيخ محمد عبده ليلة سفره الى السودان لتولي القضاء في احدى مدنها فيقول :-

(ودعته ليلة سفرى الى السودان لتولي قضاء مديرية " دنقلة " فمما قال لي : انصحك بأن تكون للناس مرشدا اكثر من ان تكون قاضيا ، واذا استطعت ان تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم ، فان الاحكام سلاح يقطع العلاقات ، بين الاسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجروح .

---

١ ـ تراجم الاعلام للمعاصرين ص ٤٣٢ .

٢ ـ التفسير والمفسرون ، للشيخ الذهبي ص ٢٥٦ .

وسألني هل تعرف تعريف " العلم " ؟ فقلت نعم : وكنت احفظ اذ ذاك اكثر تعاريف العلم ، فسردت بعضها .

قال : اسمع مني تعريفا مفيدا : " العلم هو ما ينفعك وينفع الناس "

وقال : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت : لا . قال : اذا انت لست بعالم فانفع الناس بعلمك تكن عالما .) . " ١ "

جلس الناس يستمعون الى الشيخ المراغي في المساجد ، وتلاحقت دروسه في كل مكان ، وانتفع الناس بعلمه حتى وافته المنية سنة ١٩٤٥م ، فخلف من بعده مشيخة الازهر تلميذ آخر من تلاميذ الشيخ " محمد عبده " ، لا يقل اهمية عن الشيخ " المراغي " انه الشيخ " مصطفى عبد الرازق " .

---

١ — تراجم الاعلام للمعاصرين ص ٤٢١ — ٤٢٢ .

٣ - " مصطفى عبد الرازق "

في صعيد مصر ايضا ، في قرية " ابي جرج " من اعمال " المنيا " ، ولد الشيخ " مصطفى عبد الرازق " عام ١٨٨٢ م .

ونشأ كما نشأ " المراغي " طفلا صعيديا ، كغيره من اطفال القرية ، المصرية المحافظة ، وتعلم في الازهر الشريف ، حتى نال الشهادة العالمية وعين مدرسا في القضاء الشرعي .

تتلمذ في الازهر على الشيخ " محمد عبده " ، فسمع دروسه ، وتلقى توجيهاته ، وارشاده ، وخاصة ما يتعلق منها في الادب .

يقول الشيخ مصطفى : (وطالعت بارشاد " محمد عبده " ، " ديوان الحماسة " ، " ونهج البلاغة " ، ضمنا ما كان خبا من نزوعي الادبي ...) . "١"

أ :- " تأثره بالشيخ محمد عبده " :

اما الاثر الذي تركه الشيخ " محمد عبده " في هذا التلميذ فيرويه هو نفسه وهو يصور حالة الازهر يومئذ فيقول :-

(لم تكن دراستي في الازهر على طول مدتها بالتي تشبع رغبتي في العلم ، وتحقق لروحي ما تتطلع اليه من الاطمئنان ، ولكن الدروس التي كنت احضرها في الازهر على الاستاذ " محمد عبده " كانت تنسيني ما اشعر به من مرارة ، وتصد عن نفسي السأم واليأس ، اللذين كانا يساورانها اذ ذاك ، فلما انقطع رضوان الله عليه عن التدريس في الازهر عاودني هذا اليأس وذاك السأم ، واسودت دنيا الدراسة في الازهر امام عيني فكرهت المضي فيها ، بيد اني رأيت ان لا اتركها قبل

---

١ - تراجم الاعلام المعاصرين ص ٤٥٦ .

ان استنير برأى الاستاذ الامام ، فبعثت اليه بكتاب فيه :

اني نظرت فى امرى بعد ان قضيت ما قضيت في " الجامع الازهر " واضعت ما اضعت من صحتي وشبابي ، في طلب العلم فلم اجد ثمنا لما بذلت ، الا حشدا من الصور والخيالات لا تضيء البصيرة ولا تبعث العزيمة ، ولا تمد للسعادة في الحياة الدنيا ولا في الحياة الاخرى ...

طلبت السبيل الى العلم النافع فما وجدت الدليل ، ولا اهتديت السبيل وقد هدتني اليك خاتمة المطاف ، وفاتحة الالطاف ، فجئتك اسألك ان تعلمني مما علمك الله ...

وها انذا ابسط يد الرجاء اليك ، ولم ابسط لغيرك يدا ، وارفع اليك امنيتي في الحياة ، وقد وضعت املي ببابك ، ومثلك من لا يخيب ببابه الامل..

فاستدعاني الامام وقال لي : " ان الحق معك ، وقد مربي مثل حالتك ، وغاية ما استطيع ان ارشدك اليه ، - قبل نيلك شهادة الازهر ، - هو ان تعنى الى جانب دراستك الازهرية بالتزود من الدراسات الادبية ".

واختار لي طائفة من الكتب لاطالعها في اوقات فراغي ، وما اشك ان هذا التوجيه الصائب كان له اثر كبير في ثقافتي الادبية ، اذ صار مني ميلا الى هذه الناحية كان يغذيه والدى رحمة الله عليه). "١"

ب - " ثقافتــه الغربيـــــة " :

==========================

سافر الشيخ " مصطفى " الى باريس ، شيخا ازهريا معمما ، يغدو ويروح بين الباريسيين ، بكل فخر واعتزاز ، على رأسه تاج الازهر ، يتباهى به على اعين الناس ، لا يمنعه من لبسه ، زينة باريس ، ومفاتنها ...

---

١ - تراجم الاعلام المعاصرين ص ٤٥٦ وما بعدها .

وفي " السوربون " "١" ، تلقي دروس علم الاجتماع على "

" دوركايم " "٢" ثم التحق في " ليون " بمدرسة اللغات الشرقية .

جـ ـ العودة الى مصـــر " :

==================

عاد الى مصر عام ١٩١٤م ، واشترك في تحرير " الجريدة "

" والسياسة الاسبوعية " . ثم عين سكرتيرا عاما للمعاهد الدينية ، ثم مفتشا

بالمحاكم الشرعية ، ثم استاذا بالجامع الازهر .

ولي الشيخ " مصطفي " وزارة الاوقاف مرات ، وتولى مشيخة

الازهر بعد وفاة الشيخ " المراغي " سنة ١٩٤٥م .

سار على درب استاذه الامام محمد عبده في اصلاح الازهر

نحو عامين الى ان توفاه الله سنة ١٩٤٧م ، وان لم يكن له في توجيه سياسة

الازهر اثر بارز .

---

١ ـ جامعة السوربون ، من اعظم واشهر الجامعات في اوروبا ، وقد درس فيها عدد كبير من المبتعثين العرب .

٢ ـ يهودى نمساوى ، صاحب نظرية " العقد الاجتماعي " ، وهو استاذ " طه حسين " وغيره من الادباء المصريين .

ب : " تلاميذه من الصنف الثانـــــي "

==========================

رجال السياسة والاقتصاد ، والاجتماع ...

١ ـ احمد لطفي السيد ...

٢ ـ قاسم اميـــن ...

٣ ـ سعد زغلـــــول ...

١ ـ " احمد لطفي الســـــيد "

=====================

" الخليفة الأول " :

============

كان اللقاء الاول بين " احمد لطفي " والشيخ محمد عبده ، سنة ١٨٩٤م وهو ما زال طالبا ، في مدرسة الحقوق ، حين انتدب الشيخ محمد عبده للاشتراك في امتحان الطلبة المقبلين على التخرج ، ومن بينهم " احمد لطفي السيد " .

وهذا يعني انه صحبه في المرحلة النهائية في مدرسة الحقوق .

يقول احمد لطفي : (ومنذ ذلك اليوم لزمته) . "١"

يرى الدكتور " عثمان امين " ان " احمد لطفي " يعد بحق خليفة الاستاذ الامام في نضاله الوطني ، وثورته الاجتماعية ، وانطلاقه للاصلاح ...

---

١ ـ انظر كتاب رشيد رضا صاحب المنار ، الشرباصي ص ٢٧٠ ، نقلا عن كتاب : احمد لطفي السيد (استاذ الجيل) تأليف الدكتور / حسين فوزى النجار ، المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ص ٤٨ .

وانه مكمل لرسالته في ميادين السياسة ، والاخلاق ، والاجتماع ، ... .

اول ما برز اسمه في صحيفة " الجريدة " لسان حال " حزب الامة " ، وقد عرفت هذه الصحيفة في عهد اشرافه عليها باصرارها على الدفاع عن دعوة الاصلاح والتجديد التي نادى بها " الشيخ محمد عبده " ...

ومن ناحية اخرى يرى الدكتور " عثمان امين " ان احمد لطفي السيد قد كمل بالفعل رسالة الشيخ محمد عبده في وجه آخر من وجوه الدعوة الى التنبيه والتنوير "١" ، حيث اسهم مع سعد زغلول ، وقاسم امين في مواصلة الجهود لتحقيق امنية الشيخ محمد عبده ، في انشاء جامعة مصرية الى جانب الازهر الشريف . "٢"

٢ ـ قاســـــــم أميـــن

==================

ولد قاسم امين لاب " تركي " وام " مصرية " سنة ١٨٦٣م . "٣"

تلقى تعليمه الابتدائي في الاسكندرية ، ثم رحل مع اسرته الى القاهرة ، ودخل المدرسة " التجهيزية " ـ القسم الفرنسي ـ .

التحق بمدرسة الحقوق والادارة ، ونال شهادة " الليسانس " وهو في العشرين من عمره .

اتجه الى العمل بالمحاماة ، فعمل في مكتب " مصطفى فهمي " للمحاماة .

---

١ ـ هي في الحقيقة دعوة الى التنوية والتمتيم ، تلك التي دعا اليها قاسم امين .

٢ ـ المصدر السابق ص ٢٧٠ نقلا عن كتاب احمد لطفي السيد ص ٣٤ ، ٣٥ .

٣ ـ انظر معجم المؤلفين ، لمحمد رضا كحالة .

أ ـ " في باريــس ":

================

سافر الى فرنسا سنة ١٨٨١م ، في بعثة دراسية ، وانتظم في جامعة " مونبلييه " .

التقى بالشيخ محمد عبده في باريس حوالي سنة ١٨٨٣ ، وكان مترجما له ، اثناء اقامته في باريس ، وجعله عضوا في جمعية " العروة الوثقى " " ١ "

قرأ قاسم لكل من " نيتشه " ، " وداروين " ، " وماركس " .

عاد الى مصر ، فعمل في سلك القضاء فبرز اسمه ولكن على نطاق ضيق .

ب ـ " في مصــــر ":

================

عمل قاسم بعد عودته الى مصر ، في سلك القضاء ، في وظيفة نائب قاض ، في الاستئناف ، مع " سعد زغلول " وبقرار واحد عام ١٨٩٢م " ٢ " .

وكان تعيين " سعد " امرا ادهش كثيرا من قضاة المحاكم الابتدائية واغضبهم " ٣ " .

ومن هذا التاريخ بدأت صلة قاسم بسعد تزداد قوة على حد قول سعد (فاختلطنا مع بعض اختلاطا شديدا ، وتلازمنا تلازما عظيما ، فلم يمر يوم لم نأكل فيه معا ، وكلما عرض لاحد امرا او فصل مهما كان ، حادث فيه الاخر عند اول اجتماع معه) . " ٤ "

---

١ ـ قاسم امين ، تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ص ٤٧ .

٢ ـ سعد زغلول لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٢ .

٣ ـ انظر مذكرات محمد فريد القسم الاول ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ، (لانهم يرون انه قلا يستحق هذا قبل ان يتدرج اليه ، وهم احق به منه) .

٤ ـ سعد زغلول لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٣ .

ج : ـ " في الطريق الى صالون نازلي فاضـــل " :

===================================

ولما كان سعد ركنا مهما في صالون " نازلي فاضل " ، نظرا لصلته القوية بها فقد قاد صديقه قاسم امين معه ، وهناك التقي قاسم بالشيخ " محمد عبده " ثانية ، وصارا صديقين حميمين تحت سقف واحد .

وفي هذه الفترة ظهر كتاب باللغة الفرنسية للدوق " داركور " تناول فيه مختلف مظاهر الحياة في مصر بالنقد والتجريح ." ١ "

ولما كان قاسم اكثر اعضاء الصالون فهما للفرنسية ، وكانت للصدمة التي شعر بها من تناولهم الاتهام قوية ، فقد كلف قاسم برد الاتهامات التي الصقها الكاتب الفرنسي ، بمصر والمصريين ، فكال للمؤلف الصاع صاعين وثلاثة ، ورد هجومه على الحضارة الاسلامية ، والنظام الاجتماعي في مصر . " ٢ "

ويبدو ان دفاع قاسم عن مصر والمصريين ، لم يكن نابعا من صميم قلبه ، وانما كان يقصد الدفاع عن " الذات " فقط ذات مصر والمصريين ، لانه مصري احب مصر واهل مصر ، والا لما تراجع عن افكاره وأرائه التي ضمنها كتابه الاول " الرد على الدوق داركور " ، والف كتاب " تحرير المرأة " واتبعه بكتاب " المرأة الجديدة " اللذين كان لهما اكبر الاثر في سفور المرأة المصرية .

د : ـ " محمد عبده وقاســـم " :

=========================

الحديث عن الاثر الذى تركه الشيخ محمد عبده " في قاسم امين " على جانب كبير من الاهمية ، ذلك ان " قاسم امين " تعرض الى هجمة من البرنس نازلي فاضل لان الرد في نظرها لم يكن في صف النهضة النسائية التي تتزعمها ،

---

١ ـ قاسم امين ، تأليف ماهر حسن فهمي ص ١٠٠ ـ ١٠٥ .

٢ ـ الاعتصام ، العدد التاسع ، آب / اغسطس ١٩٧٩م ص ١٨ .

ففكرت في تكليف شخص آخر "١" ان يرد على " قاسم " .

ولكن الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول وغيرهما ، توسطوا في الامر ، على ان يتقدم " قاسم " بالاعتذار الى " نازلي " ، ففعل ، ثم عاد يتردد على صالونها . "٢"

وفي هذه الاثناء تزوج قاسم من " فتاة تركية كانت تحت رعاية مربية انجليزية " . "٣" فكان لهذا الزواج اثره على تفكير قاسم .

وتوسط " قاسم " لصديقه " سعد " فزوجه من ابنة استاذه " مصطفى فهمي " رئيس النظار ، "٤" فأصبحت زوجة قاسم ، وزوجة سعد صديقتين ، حتى ان زوجة قاسم كانت توسط عائلة سعد عندما تغضب من زوجها ، او يغضب منها . "٥"

وعندما تصدى قاسم امين ، لموضوع المرأة ثانية ، وجد من الشيخ " محمد عبده " كل تشجيع .

ويتردد ان الشيخ محمد عبده له ضلع في اخراج هذا الكتاب "٦" فقد اجتمع قاسم امين به ، وتلا عليه بعض فصول كتابه " تحرير المرأة " في

---

١ — فارس نمر صاحب المقطم / انظر الاعتصام ص ١٩ .

٢ — الاعتصام ، العدد التاسع ، آب / اغسطس ١٩٧٩ م / ص ١٨ — ١٩

٣ — قاسم امين ، ماهر حسن فهمي ، ص ٦٩ .

٤ — سعد زغلول ، سيرة وتحية ، تأليف عباس محمود العقاد ، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م ص ٥٢٨ .

٥ — قاسم امين ، ماهر حسن فهمي ص ١٥٨ — ١٥٩ .

٦ — ويقال : ان اللورد كرومر هو صاحب الفكرة في هذا الكتاب / انظر كتاب قاسم امين ، لماهر حسن فهمي ص ١٥٨ .

جنيف عام ١٨٩٧م . "١"

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل تعداه لدرجة ان الشيخ محمد عبده اتخذ من " المنار " مجلة تؤيد " قاسم امين " فكلف رشيد رضا ، ليمدح هذا الكتاب ويثني عليه ويتهم المعارضين من الازهر الشريف بالثرثرة والسير على غير هدى . "٢"

هـ : ـ " المرأة الجديدة " :

====================

اثارت الآراء التي عرض لها قاسم امين في " تحرير المرأة " ثائرة كثير من المفكرين في عصره ، وشغلت الصحافة ، وكان رد الفعل تجاه كتابه متفاوتا فبينما ايده بعض المفكرين ، ندد آخرون بما جاء فيه .

= تحت عنوان " علاقة محمد عبده بالكتاب " قال محمد عمارة : (والرأى الذى أومن به والذى نبع من الدراسة لهذه القضية ، هو ان هذا الكتاب انما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده ، وقاسم امين ، وان في هذا الكتاب عدة فصول ، قد كتبها الاستاذ الامام وحده وعدة فصول اخرى كتبها قاسم امين ثم صاغ الاستاذ الامام الكتاب صياغته النهائية) .
انظر الاعمال الكاملة للامام محمد عبده (١ : ٢٥٢) .

١ ـ قاسم امين ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

٢ ـ الغريب ان " المنار " اول صحيفة بادرت الى تأييد قاسم امين ، فقالت : ((ان اكثر المنتقدين يسيرون على غير هدى ، ويثرثرون بما تمليه عليهم خيالاتهم التي اثارتها اهواؤهم وعاداتهم)) .
انظر : قاسم امين ، لماهر حسن فهمي ص ١٧١ .

ومن المنددين " الشيخ محمد احمد حسنين البولاقي " الذى الف كتابا في الرد عليه اسماه " الجليس الانيس في التحذير عما في تحرير المرأة من تلبيس " . "١"

ومنهم " محمد فريد وجدى " الذى وضع كتابا اسماه " المرأة المسلمة " "٢" ردا على كتاب قاسم .

ومنهم : " محمد طلعت حرب " في كتابه " تربية المرأة والحجاب " "٣"

أما موقف الصحافة فكان يتأرجح بين التأييد الذى لا حد له ، وبين المعارضة لبعض جوانب دعوته ، وحملت صحيفة " اللواء " "٤" لواء المعارضة وفتحت صفحاتها لاقلام المعارضين .

أما صحيفة " المؤيد " "٥" ، و " مجلة المنار " "٦" ، وجميع المجلات التي يحررها النصارى الذين يعيشون في الارض " الفساد " . "٧" فكانت تؤيد الكتاب وصاحبه .

وهكذا وجد قاسم امين نفسه بين فئتين من الناس ، فئة تؤيده وعلى

---

١ — الجليس الانيس فى التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس " تأليف محمد احمد حسنين البولاقي مطبعة المعارف الاهلية ، ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م ص ٣ وما بعدها .

٢ — المرأة المسلمة ، تأليف محمد فريد وجدى . الطبعة الاولى ، مطبعة الترقي ١٣١٩ هـ / ١٩٠١م ص ٥ وما بعدها .

٣ — تربية المرأة والحجاب ، تأليف محمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٢٣ هـ . ص ٩ وما بعدها .

٤ — اللواء ، مصطفى كامل ، القاهرة ١٩٠٠م / في ٣١ يناير كانون ثاني ١٩٠١م وفي ٢٤ ، ٢٧ فبراير ، شباط ١٩٠١م .

٥ — المؤيد ، الشيخ علي يوسف ، القاهرة ١٨٨٩م / ٣٠ سبتمبر ايلــول ١٨٩٩ م .

٦ — المنار ، السنة الثانية الاعداد ١٨ ، ٢٤ سنة ١٨٩٩م .

٧ — منها : — مجلة الضياء ، ابراهيم اليازجي القاهرة ١٨٩٨ م .

رأيهما الشيخ محمد عبده ، وتلميذه رشيد ، وأخرى تعارضه وتنتقده يمثلها علماء الازهر وبعض المخلصين .

فأخرج كتابه الثالث " المرأة الجديدة " عنادا واستكبارا ، واستمرارا في دعوته اصر فيه على الاخذ بالقيم الغربية ، والقسوة في الحكم على الحضارة الاسلامية والسخط على المعارضين من العلماء والمشايخ ... "١"

وهكذا ذاع صيته في الافاق حتى صار يطلق عليه محرر المرأة والمصلح الاجتماعي قاسم امين .

أما سعد ، فالظاهر انه اراد ان يكمل سيرة قاسم امين في ضرورة تحرير المرأة ، فأظن انه شارك " قاسما " افكاره في الكتاب الثاني الذى اهداه قاسم اليه . "٢"

واعتبر نفسه من انصار تحرير المرأة ، وبالفعل عمل على سفور المرأة حتى لقب بلقب الزعيم السفوري الجليل . "٣"

ويبدو ان تصرفاته الطائشة هي التي جعلت رشيد رضا يصفه " بالتفرنج " في قوله :

(ثم ان سعدا دخل في اطوار التفرنج في معيشته وافكاره الاجتماعية والقانونية ، وغلبت النزعة الوطنية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية) . "٤"

= : ـ والمقتطف ، ليعقوب صروف ، وفارس نمر ، القاهرة ١٨٧٦م .
: ـ انيس الجليس ، الكسندرة افرينوه ، الاسكندرية ١٨٩٨م .

١ ـ انظر رسالة : قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر ص ٨٢ ـ ١٢٠ ، بتصرف .

٢ ـ اثار الزعيم سعد زغلول ، جمع وترتيب محمد ابراهيم الجزيرى ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧م (١ : ٦٨ ـ ٧٣) .

٣ ـ صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة ، تأليف الدكتور طه وادى ، مركز كتب الشرق الاوسط ١٩٧٣م ص ٤٠ .

٤ ـ الاسلام والتجديد ، لتشارلز ادمز ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

الفصل الخامس : ثقافة الشيخ محمد عبده ، مواهبه ، اثاره

===================================

وهو ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : مصادر ثقافته واثرها على فكره .

المبحث الثاني : مواهبـــه .

المبحث الثالث : تراثه الادبي والفكري .

١ ــ " مصادر ثقافتـــه " :

=================

وهي ثلاثـــة :ــ

أ ــ القرية وما تعلمه فيها .

ب ــ مصادر ثقافته العربية .

جـ ــ مصادر ثقافته الغربية .

أ : " في القريـــة "

=============

في جو القرية المصرية ، نشأ الشيخ محمد عبده ، وفي " محلة نصر " تلقى دراسته الاولية ، وفي غرفة صغيرة اسمها " الكتاب " تعلم مبادئ القراءة والكتابة ، وعلى يد حافظ للقران ، حفظ كتاب الله ،

وفي الطريق الى " المسجد الاحمدي " بطنطا ، تلقى لونا اخر جديدا من المعرفة امتاز به عن معظم لداته ، فتعلم صفاء القلب ، وسمو الروح وتهذيب النفس ، وتوكيد اواصر الاخوة والمحبة .

في قريتين ، قريبتين ، " محلة نصر " و " كنيسة اورين " جمع لونين من المعرفة :

١ ــ في قريته : حفظ القران فاستفاد بذلك زادا ثقافيا جديدا ، بالاضافـة

الى تقويم لسانه وحسن بيانه .

٢ — وفي قرية الشيخ " درويش " : تعلم الصوفية التى تسمو بالروح وتهذب النفس ...

فهو بهذين اللونين استطاع ان يكون معرفة عقلية للعلوم الاسلامية ، ومباشرة عملية لتهذيب النفس وترويضها ...

كان في هذه المرحلة لا يقنع بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقف في تحليله عند حلقة من حلقات اسبابه ، بل يرجع الى اسبابه الاولى ويصمد للتعرف على نتائجه الاخيرة .

يقول الاستاذ سليمان دنيا : (والشيخ محمد عبده رجل كبير العقل ، جرئ القلب ، يستطيع ان يفهم ما يقوله الناس على الوجه الذى ارادوه ، ولا يتهيب ان يقول فيه ما يبدو له انه حق ، وهو الى جانب كبر عقله وجرأة قلبه ، قد اتيح له من الفراغ ما ملأه بالقراءة والاطلاع) . "١"

---

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا القسم الاول ، الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨م دار احياء الكتب العربية ص ٨ .

ب ـ مصادر ثقافته العربيــــــــة

=======================

وصل الشيخ محمد عبده الى " القاهرة " ، ليتم دراسته في " ازهرها " ومعه حصيلة علمية ، بز فيها لداته ، وتفوق على معظم اقرانه .

وهناك في الازهر راح ينهل من معين الثقافة الصافي ، فدرس القواعد العربية من نحو وصرف وعروض ، والبلاغة بأقسامها .

كما درس التاريخ الاسلامي ، وعصر الصحابة والتابعين ، والدولة الاموية والعباسية حتى تاريخ الدولة العثمانية .

ودرس علوم الدين الاسلامي : الفقه واصوله ، والحديث ورواته والتفسير والمفسرين ومناهجهم ، والقران وعلومه واعجازه ...

لم يقنع الشيخ محمد عبده بهذا ، وكان يرى انه غير كاف في تنمية ملكة الطالب ، وتكوين عقليته ، نتيجة للتشجيع الذى وجده من الشيخ درويش على التزود بالفلسفة والمنطق والهندسة والرياضيات .

وفي ضوء ذلك لجأ الى الشيخ " حسن الطويل " ليعلمه الفلسفة ، والمنطق ، والى الشيخ " محمد البسيوني " ليعلمه الادب العربي وقواعد اللغة على غير الطريقة التى تدرس في الازهر .

كان الشيخ محمد عبده لا يزال يبحث عن معلم يركن اليه ليدرس له الحكمة واخيرا ساقت الصدف السيد " جمال الدين " فتعلم منه الحكمة وعلـــم الكلام ، وعلم الاصول ، وعلوما اخرى .

كان الشيخ محمد عبده في هذه المرحلة مثال الطالب الواعي ، الذى يتقن كل ما يدرس ، ويتفاعل معه ، ويتأثر به ، حتى غلب زملاءه ، وصاح في جنبات الازهر ، وبين اعمدة المساجد بدعوته الى الاصلاح وعقيدته ... الى ان نال الشهادة الازهرية ، وحاز على الدرجة الثانية .

يقول الدكتور " محمد البهي " : (وهكذا جمع الشيخ محمد عبده في معرفته بين بيئة القرية وبيئة المدينة ، وبين المعرفة العقلية ، والتهذيب الروحي الصوفي المتزن) . "١"

---

١ ـ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ١٣٠ .

جـ ـ مصادر ثقافته الفرنسيـــــــة

خرج الشيخ محمد عبده من الازهر الى الحياة العملية ، بحصيلة علمية كبيرة وبثقافة دينية وغير دينية ، واسعة .

ولما تحصل له كل هذا ، بدأ مرحلة جديدة من مراحل تفكيره ، فتناول الازهر الشريف بالنقد واخذ ينقده ، وينقد علماءه ، وينقد كتب الدراسة وطرق التدريس .

كما ابتدأ يعي ما حوله من سوء السياسة ، والاقتصاد والاجتماع بسبب الاحتلال الاجنبي للبلاد .

ولما قامت الثورة العرابية وشارك فيها دفاعا عن الدستور ، نفي الى بيروت ، وهناك التقى بكبار رجال الفكر والادب ، فزادت حصيلة ما عنده من علوم الى ان تم استدعاؤه الى باريس ليعمل من هناك بجانب استاذه السيد " جمال الدين " .

وفي باريس اقبل على تعلم اللسان الفرنسي ، فتعلم لغة القوم ، واتقنها وكان من افصح الناس نطقا بها ، وفهما لها ، حتى انه ترجم كتاب " التربية " للفيلسوف الفرنسي " هربرت سبنسر " .

وقد شهد بفصاحته وحذقه للغة الفرنسية " قاسم امين " ، "١"
(وكان في الذروة من المصريين الذين حذقوا اللغة الفرنسية فهما ونطقا وانشاءا ..)

ويقال : انه املى في اثناء مرضه الاخير مقالة باللغة الفرنسية ، نشرت في بعض المجلات الفرنسية .

---

١ ـ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٠٣١) .

ولقد كان اثر الثقافة الغربية على فكرة كبيرا ، بل وعلى نفسه ، واحاسيسه ، فأراد ان يطوع كل شيء في مصر لما يشعر به في نفسه وما يمليه عليه فكره ...

يقول الاستاذ سليمان دنيا :—

(عاش الشيخ محمد عبده في الازهر وبين الازهريين ، فكان ازهريا مثلهم ، يفهم الكتب الازهرية ، ويتعمق معانيها ومراميها ، كما يفهمون ويتعمقون ، ولكنه عاش الى جانب ذلك مع الناس خارج الازهر ، فانفعلت نفسه بالمجتمع ، مثلما انفعلت بالبيئة الازهرية .

وربما كانت نفس الشيخ محمد عبده ، سريعة الانفعال والتأثر ، فانطبع فيها اثر من هذا ، واثر من ذاك ، وتفاعل الاثران ، فكان منهما مزيج عكس على المجتمع شيئا من اثر الحياة الازهرية ، وعكس على الازهر — او حاول ان يعكس — شيئا من اثر الحياة الخارجية .

ويظهر ان هذا التكوين الثنائي قد خلق متاعب للشيخ محمد عبده ، اذ حاول ان يرضي احاسيسه كلها ، فينقل شيئا من الازهر الى المجتمع ، وينقل شيئا من المجتمع الى الازهر .

اقصد انه ربما حاول ان يقرب بين الازهر والمجتمع ، بين دنيا الناس ودينهم ، وعساه لقي معارضة شديدة ، من الناس خارج الازهر ، كما لقي معارضة من الناس في داخل الازهر .) "١"

كل ذلك حصل بفعل الثقافة الغربية ، التي اخذت عليه عقله وتفكيره ، وظهر اثرها في سيرته وسلوكه .

---

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين القسم الاول ص ٥ .

وحاصل ذلك كله ان الشيخ محمد عبده ، ملئ علما ، يصح ان يقال عنه ، " موسوعة علمية " جمعت من العلوم ، بشتى انواعها ، اشياء كثيرة جدا .

(فأما علوم اللغة العربية فقد بلغ منها ان كان ادق الناس فهما للقران والحديث ، ولغيرهما من فصيح الكلام ، وبليغ الكتاب ، وخطب الخطباء ...

أما العلوم العقلية : فقد ارتقى فيها الى ان صار فيلسوفا ، اعترف له بذلك من يعتد بمعرفتهم . "١"

وأما علوم التصوف : فكان فيها من الراسخين ، "٢" ...

وأما العلوم الشرعية : فقد كان فيها اماما مجتهدا ...

وأما العلوم العصرية : فكان يعرف منها الرياضيات ، ويلم بالطبيعيات ، ويتقن الفلسفة العقلية ، وعلوم التربية والنفس والاخلاق والاجتماع ، وتواريخ الملل ، والامم ومذاهبها ، وكان يطالع دائما ما يصدر عند الافرنج من المصنفات في هذه العلوم ، وفي شأن الاسلام ، وكان قد عزم على تعلم اللغة الالمانية وشرع فيه لان الالمان سبقوا غيرهم في جميع العلوم ...

وقد درس علم الخط المسند ، وكتب فيه كتابا لاجل تحقيق التاريخ العربي القديم .) "٣"

---

١ _ كالاستاذ المشرف في كتابه (محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين) .

٢ _ قراءة الفتوحات المكية كما قرأ تاريخ ابن الاثير / انظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٠٣١) .

٣ _ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١٠٣١) .

٢ ـ " مواهبـــــــه "

==================

حبا الله الشيخ " محمد عبده " مواهب كثيرة ، فكان ذكيا المعيا ، استطاع بما حباه الله ان يحسن استخدام هذه المواهب ، وان يقويها بالمطالعة والبحث والتفكير ، فغدا شاعرا مع الشعراء ، واديبا مع الادباء ، وكاتبا مع اصحاب الاقلام وقائدا مع القواد ، ومصلحا مع المصلحين ، وناقدا وفيلسوفا ، وخطيبا ، ومتصوفا ، وباحثا ، ومحللا ، ومرشدا ، وموجها ، ومربيا ..

ان الناظر الى تراثه يتملكه العجب من المساحة العريضة الفسيحة التي جعلها ميدانا له ، والتي اجاد فيها بما قدمه للناس من عرض بارع دقيق .

ولا اريد ان اطيل البحث فأقدم للقارئ جميع ما انتجه الشيخ محمد عبده في المجالات المختلفة ، فان ذلك يحتاج الى سنين طويلة ، وفي الحقيقة انه يستحق ان يفرد في كل مجال بدراسة مستقلة لخصب انتاجه ودسامته ...

ويكفينا ان نشير اشارات خاطفة الى ابرز مواهبه ، فمنها : الشعر ، والمقالة ، ونترك بقية مواهبه لبحث الباحثين ...

أ ـ الشيخ " الشاعر " :ـ

ب ـ الشيخ " الكاتب " :ـ

أ : الشيخ محمد عبده الشاعر :ـ

==================

لم يكن الشيخ " محمد عبده " مكثرا من قول الشعر ، فلم اعثر له على الكثير منه ، وكل ما عثرت عليه له قصيدة نظمها وهو في السجن ، عندما قبض عليه عقب فشل الثورة العرابية "١" ، وبعض ابيات قالها عندما احس بدنو اجلـــه

---

١ ـ انظر الاعمال الكاملة للامام (١ : ٤٦٨ ـ ٤٧٤) .

في مرضه الاخير . "١"

ولكن شعره على قلته يدل على ان له فيه موهبة ، ولعله لم يكثر منه

تأسيا بقول الامام الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى : لكنت اليوم اشعر من لبيد

او ليس هو القائل :

سريت للمجد هونا غير ذى عجل : على اساس من التقوى اراعيه

وهو القائل :

وقمت للحق اجلو من مطالعه : نورا وكان غمام الظلم يخفيه

وهو الذى يقول على فراش الموت :

ويخرج وهي الله للناس ظاريا : عن الرأى والتأويل يهدى ويلهم "٢"

وقصيدته التي نظمها وهو في السجن تربى على مائة بيت ، من الشعر

يصور فيها :ـ

١ ـ مذهبه في الاصلاح .

٢ ـ مذهب العرابيين وتطلعاتهم .

٣ ـ علاقته بالعرابيين اثناء الثورة .

٤ ـ ما حدث للثورة من فشل ، ولجيشها من هزيمة .

ومطلع قصيدته يقول فيه :

مالي يعنف قلبي من تغاضيه دهر يبالغ في عجب وفي تيه

---

١ ـ نفس المصدر (٢ : ٣٣٧) .

٢ ـ هذا البيت ، من قصيدة انشدها قبيل وفاته ، وهو على فراش الموت :

يقول فيها :

ولست ابالي ان يقال محمد : ابل او اكتظت عليه المآتم

ولكنه دين اردت صلاحه : احاذر ان تقضي عليه العمائم *

لقد قام الشيخ " محمد عبده " مع الثوار ، وسار سيرهم ، وقاتل معهم ضد عدوهم اعتقادا منه ان عزته في عزة بلاده ، وايمانا منه ان مجده في مجدها ... ، يقول :

مجدى بمجد بلادى كنت اطلبه : وشيمة الحر تأبى خفض اهليه

ولما آل امر الجيش الى الفوضى ، خشي الشيخ " محمد عبده " على وطنه من العدو الاجنبي ، يقول :

فولولت مهجتي حزنا على وطني : وقلت خطب لعلي ان اجليه

لقد امل الشيخ في وضع قاعدة اصلاحية ، يسير الناس بمقتضاها فيسعدون

يقول :

وكان لي امل في وضع قاعدة : لكل نوع من الاعمال تحويه

ويأخذ القوم طرا في مناهجهم : ان لا يجوروا عن المشروع او فيه

حتى يكون نظاما كل سيدهم : بمقتض الالف مع فهم يزكيه

ويأخذ العلم والتهذيب مأخذه :: من النفوس فتزحو من دراريه

ويصبح العدل طبعا من جبلتنا : ويشهد الكون انا من مواليه

هذى سبيلي حببت السير فيها على : رغم الانوف من البله المعاتيه

وعن مذهب العرابيين قبل ان ينضم اليهم ... يقول :

قامت عصابات جند في مدينتنا : لعزل خير رئيس كنت راجيه "١"

= وللناس آمال يرجون نيلها : اذا مت ماتت واضمحلت عزائم

فيارب ان قدرت رجعى قريبة : الى عالم الارواح وانفض خاتم

فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا : رشيدا يضيء النهج والليل قاتم

يماثلني نطقا وعلما وحكمة : ويشبه مني السيف والسيف صارم

ويخرج وحي الله للناس عاريا : عن الرأى والتأويل يهدى ويلهم

١ — الاشارة الى رياض باشا ناظر النظار الذى طلب عرابي خلعه في يوم عابدين ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١م.

قاموا عليه لامر كان سيدهم "١" ... يخفيه في نفسه والله مبديه

كان الرئيس حليف العدل منقبة ... وسيد القوم يهوى الجور يأتيه

وعن علاقته مع زعماء الثورة ونصحه لهم يقول :

لووا رؤوسهم عجبا بقوتهم ... واستكبروا النصح ان يصفوا لساقيه

مزجت بالهزل جدي عل يعجبهم ... كوالد الطفل يلهيه بمرضيه

ولم يزالوا حيارى في ترددهم ... حتى دهاهم ابو الهيجا بداهيه

ويصف معركة " التل الكبير " ، ومصير الجيش المهزوم فيقول :—

ساق النظام على الاشتات عسكره ... فصبح التل طودا من سواريه

منا قتيل ومنا هائم جزعا ... قلبي الجريح فهلا من يداويه ؟

في موقع الشرق كانت شر هزيمتهم ... والشرق ضأن وذئب الغرب راعيه ؟

وقائد الجند وافانا بلحيته ... يسيل رعبا وثوب العار كاسيه

وسلم السيف واستجدى بغفلته ... عفوا من الحنق المغزو خديويه

ويختتم قصيدته بالحديث عن الايام ومصائبها ، وعن الثبات ومصافاته ، وانه خير وسيلة لعلاج المحن والمصائب ... حتى يدرك الموت كل انسان ...

ان المنايا سهام الله سددها ... وليس يخطىء سهم الله مرميه

---

١ — اى سيد الجند والمراد احمد عرابي .

ب ـ " الشيخ محمد عبده الكاتـــــب ":

=========================

مقالات الشيخ محمد عبده تربى على " الخمسين " مقالة كتبها بنفسه ونشرها في الصحف ، واغلبها نشر في " الوقائع المصرية ".

فهو اذا كتب في الادب اديب ، وفي السياسة سياسي ماهر ، وفي البدع والخرافات تراه محاربا شجاعا ، وفي العلم تراه عالما ، وفي النقد ناقدا ، وفي المجتمع يعرف الداء فيضع له الدواء ، وهو في الدين فقيـــه فطن ... وفي كل شيء له باع طويل ، ورأى حصيف ، ونظـــرة فاحصة فهو اذن صاحب فكر مستنير .

فمن مقالاته مثـــلا : "١"

" مقابلة الشكر بالشكر " و " عادات المآتم " و " التملق " و " الخرافات " و " العفة ولوازمها " و " حاجة الانسان الى الزواج " و " ما اكثر القول وما اقل العمل " و " الحشيش " و " وضع الشيء في غير محله " و " الصياح خلف الجنائز " و " الوطنية " و " مصر والحبشة " و " نيل المعالي بالفضيلة " و " الحياة السياسية " و " الشورى والاستبداد " و " الناس من خوف الذل في ذل " و " لا تتم نكاية الاعداء الا بخيانة الاصدقاء ".

ولو ابرزنا كل ما قاله الشيخ محمد عبده ، ـ وهذا ما لا نستطيعه هنا لتبين لنا المساحة العريضة التي جال فيها فكره ، وتحدث بها قلمه * وهـــذا يدل على الموهبة العظيمة التي كان الشيخ يتمتع بها في الكتابة ، الموهبة الـــتي فاق بها الكثير من الناس والتي يتمناها الكثيرون منهم ، انها فضل الله يختص به من يشاء .

---

١ ـ انظر الاعمال الكاملة للامام (١ : ٢٤).

٣ ـ تراثه الادبي والفكـــــــــري

عرفنا ان الشيخ محمد عبده ظل يكتب المقالات المتنوعة في مختلف المجالات مدة طويلة ، وهذه المقالات مملوءة بالعلوم المفيدة التي تدل على موهبته في فن الكتابة والخطابة .

كذلك ترك لنا الشيخ محمد عبده تراثا فكريا كبيرا يتمثل فى دراساته وبحوثه العميقة ، الادبية والدينية ، والنفسية والاجتماعية ...

ويمكن تقسيم هذا التراث الى قسمين :

القسم الاول : مقالاته المختلفة التي بثها في المجلات والجرائد وخاصة " الوقائع المصرية " والتي استمرت طيلة حياته ، منها الادبية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والنفسية ، واغلبها اسلامية .

القسم الثاني : مؤلفاته وكتبه المطبوعة .

قلت : ليس في مقدوري ان اتحدث عن القسم الاول من تراثه ، لمساحته الواسعة ولان كل نوع منها يستحق دراسة خاصة .

اما القسم الثاني فسوف اذكر فيه مؤلفاته ، وتعليقاته ، وشروحه ، حسب تاريخ تأليفها على وجه التقريب ، مع ذكر تعريف موجز بهذه الكتب .

" كتبه المطبوعـــــة : "

١ ـ " رسالة الواردات " : وهي رسالة في الكلام على طريقة الصوفية واسلوبهم . وهي اول تأليفه .

٢ ـ " رسالة في وحدة الوجود " : بين فيها مراتب الوجود وتعددها من وجه ، ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر .

٣ ـ " تاريخ اسماعيل باشا " : مجموعة فصول نشرت في جريدة " الطائف " .

٤ ـ " فلسفة الاجتماع والتاريخ " : وهو الكتاب الذى الفه وهو يدرس مقدمة ابن خلدون فى مدرسة دار العلوم وقد ضاعت اصوله . ويعتبر مفقودا .

٥ ـ " حاشية عقائد الجلال الدواني " : في علم الكلام ، وتحقيق مسائله وتحرير الخلاف بين المتكلمين ، وبيان ما هو لفظي منه وما هو حقيقي وقد اهتدى في كثير من ابحاثها الى ان الحق في العقائد هو مذهب السلف .

٦ ـ " شرح نهج البلاغة " : وهو شهير ، وسبب شرحه تيسر فهمه وحمل طلبة العلم على مطالعته لتحصيل ملكة البلاغة ، من كتاب تفيض البلاغة منه فيضا .

٧ ـ " شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني " : وهو الوحيد الذى شرحها ، ولم يعرف لغيره شرح عليها .

٨ ـ " شرح البصائر النصيرية " : في المنطق ، وهو شرح وجيز ، اطلق عليه لفظ التعليقات وقد قرأه دروسا في الجامع الازهر .

٩ ـ " نظام التربية والتعليم في مصر " : وهي رسالة موجزة في الطريقة المثلى لتربية المصريين ، وتعليمهم ، وهي من احسن ما كتب في موضوعها .

١٠ ـ " رسالة التوحيد " : من اشهر كتبه ، بل اشهرها ، قرأها دروسا في بيروت ثم في الازهر وترجمت الى اللغة الفرنسية ، وطبعت .

١١ — " تقرير المحاكم الشرعية " : ضمنه كثيرا من الفوائد الادارية ، والاجتماعية ، والادبية وهو كتاب مفيد للقضاة والحكام .

١٢ — " الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية " : وهي مقالات كتبها لمجلة المنار ، غرضه منها ، تنبيه المسلمين وارشادهم الى اسباب تأخرهم ، وضياع مجدهم ، وزوال ملكهم ، والى طرق الخلاص ، ووسائل الصلاح .

١٣ — " تفسير سورة العصر " : القاه دروسا على علماء ووجهاء الجزائر ، ثم دونه في كتاب مستقل .

١٤ — " تفسير جزء عم " كتبه في بعض أسفاره الصيفية الى اوروبا وكان تمامه في مدينة " جنيف " بسويسرا سنة ١٣٢١ هـ ، وقد كتبه ليقرأ في مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ، ولينتفع به اساتذتها ، وطلابها .

هذه هي مؤلفاته التي اتمها ، وله ابحاث اخرى بدأها ولم يتمها مثل بحث " العلم وتأثيره في الارادة والاختيار " . "١"

" تفســــير المنار " :

===============

من آثار الشيخ محمد عبده في التفسير ، تلك الدروس التي القاها في الازهر الشريف على تلاميذه ومريديه تحقيقا لرغبة تلميذه رشيد رضا كما

---

١ — انظر تاريخ الاستاذ الامام (٢ : ١٨٤) ، الطبعة الاولى سنة ١٣٢٤ هـ .

هو مذكور في مقدمة تفسير المنار ٠ "١"

وقد ابتدأ الشيخ محمد عبده دروس التفسير في غرة المحرم من سنة ١٣١٧هـ

ففسر سورة الفاتحة ، والبقرة ، وال عمران ، واول سورة النساء ، وتوقف عند

قوله تعالى ، من هذه السورة " ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله

بكل شيء محيطا " ٠ آية (١٢٦)

وكان ذلك في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ ٠

وهذه الدروس تعد اثرا من اثاره في التفسير ، وان لم يدون هو

شيئا منها ، بل قيدها عنه طلابه ، وخاصة " محمد رشيد رضا " الذى يوضح

ذلك في مقدمة تفسير " المنار " يقول :—

(وكنت اكتب في اثناء الدروس مذكرات اودعها ما اراه أهم ما قاله ،

واحفظ ما اكتب ، لاجل ان ابيض ، وامده بكل ما اتذكره في وقت الفراغ ، ولم

البث ان اقترح علي بعض الراغبين في الاطلاع ، عليه ، من قراء المنار في البلاد

الاسلامية ، ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر ، ان انشره في المنار ،

فشرعت في ذلك ، في أول المحرم سنة ١٣١٨ هـ ، وذلك في المجلد الثالث من

المنار ، وكنت اولا اطلع الاستاذ الامام على ما اعده للطبع ، كلما تيسر ذلك ،

بعد جمع حروفه في المطبعة ، وقبل طبعه ، فكان ربما ينقح فيه بزيادة قليلة ،

او حذف كلمة او كلمات ، ولا اذكر انه انتقد شيئا مما يراه قبل الطبع ، بل كان

راضيا بالمكتوب ، بل معجبا به ، على انه لم يكن كله نقلا عنه ، ومعزوا اليه ،

بل كان تفسيرا للكاتب ، من انشائه ، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جل ما

استفاده منها ، لذلك كنت اعزو اليه القول المنقول عنه ، اذا جاء بعد كلام لي

في بيان معنى الاية او الجملة على الترتيب ، فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لي

---

١ — انظر تفسير المنار (١ : ١٢) ٠

بعده قلت في بعثه : (اقول) .

ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ كل ما اكتبه اما قبل طبعه ، وهو الغالب واما بعده ، وهو الاقل ، لم اكن أرى حرجا فيما أعزوه اليه ، مما فهمته منه وان لم اكن كتبته عنه في مذكرات الدرس ، لان اقراره اياه ، يؤكد صحة الفهم ، وصدق العزو) "١" أ . هـ .

وكان للشيخ محمد عبده ـ فيما فسر من كتاب الله ـ وقفات عالج فيها بعض مشكلات القران ، ودفع بها بعض ما اثير حوله من شكوك "٢" .

وذلك مثل شرحه اية (٧٨) واية (٧٩) من سورة النساء .

١ ـ قال تعالى : " اينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ، وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا " .

٢ ـ وقال تعالى : " ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا " .

وقد جمع بينهما وحاول التوفيق بين ما يظن فيهما من تناف ، وتضاد ، وهو نسبة افعال العباد تارة الى الله تعالى ، وتارة الى العبد ، وسيأتي بيانه في الباب الثاني من هذه الرسالة بمشيئة الله تعالى .

---

١ ـ تفسير المنار (١ : ١٥) ، الطبعة الرابعة .
٢ ـ التفسير والمفسرون ، تأليف محمد حسين الذهبي (٣ : ٢١٨ ـ ٢٢٠) .

ومثل شرحه لقوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد ، وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ، ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم " . "١"

وقد رد قصة الغرانيق ، وفند ما بني عليها من تفاسير ، تقدح في عصمة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وتضعف الثقة بالوحي الذى تكفل الله بحفظه ، قال تعالي : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ". "٢"

وله ايضا من البحوث : تفسير لقصة زيد بن حارثة ، وزينب بنت جحش ، رد فيه ما الصق بها من احاديث باطلة ، تصور النبي صلى الله عليه وسلم بصورة الرجل الشهواني وابطل ما اثير حول هذه القصة من مطاعن رمي بها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم زورا ، وبهتانا . "٣"

---

١ ــ سورة الحج الايات (٥٢ ــ ٥٥) .

٢ ــ سورة الحجر اية (٩) .

٣ ــ انظر كتاب : اتجاهات التفسير في العصر الحديث (١ : ١٠٦) .

الفصل السادس : " مذهبه في الاصلاح ومنهجه في الدعوة والبحث "

===

قلت في الفصل الثاني - اطوار حياة الشيخ " محمد عبده " -

انه بدأ حياته العلمية ، وهو صغير السن ، فحفظ القران الكريم ، وعاشر اهل التصوف .

ولما دخل الازهر ، عاشر الازهريين فترة طويلة ، فدرس العلوم العربية ، والشرعية ... الخ .

وحين قدم السيد "جمال الدين الافغاني " الى مصر ، لازمه الشيخ " محمد عبده " وتلقى من العلوم الحكمية ، والمنطقية ، ... الخ .

وفي المنفى التقى بكبار رجال الفكر ، الاسلامي ، وبعض المفكرين الغربيين ، وسمحت له الظروف ان يتعلم الفرنسية ، وان يطلع بها على شيء من ثقافة أهلها .

ولما عاد من منفاه ، تقلد عدة مناصب في الدولة ، فأكسبه ذلك خبرة في شؤون العمل ، والعمال ، واطلع على نظم الحياة في مصر وقوانينها ، فتكون له بذلك رصيد ضخم من العلم والمعرفة في جوانبها المختلفة ، فاستحق بذلك ان يلقبه رشيد رضا بلقب " الاستاذ الامام " ، وان يعده الاستاذ عباس العقاد " عبقرية الاصلاح والتعليم " ، وان يعتبره الدكتور عثمان امين " رائد الفكر المصرى " ، وان يعده الاستاذ احمد امين " من زعماء الاصلاح " اما الاستاذ محمد حسين الذهبي فقد عده " رائد اللون الادبي الاجتماعي للتفسير في العصر الحاضر " .

والشيخ محمد عبده ، لم يستقر على مذهب بعينه ، ولم يلتزم منهجا معينا ، فهو مع الصوفية صوفي ، ومع الفلاسفة فيلسوف ، ومع الادباء اديب ، ... انه شخصية مستقلة قائمة بذاتها وقد اعطى عقله حريته في البحث والفهم والنقد .

يقول الاستاذ : " سليمان دنيا " : (وكذلك كان الشيخ محمد عبده رحمه الله ، فهو لم يقنع بما قنع به كثير من المؤلفين ، من حكاية آراء العلماء من قبله ، وتصوير وجهة نظرهم ، ليقوم بدور هو اشبه بالتبليغ فقط) ، "١"

ومنهجه الذى سنبينه هنا ، استقى مصادره من كتب السلف ، والاشاعرة ، والمعتزلة ، والفلاسفة ، والمتصوفة ، وبعض ما اطلع عليه من كتب الغربيين بعد تعلمه الفرنسية .

فلا غرابة اذن ان يكون مع السلف مرة ، وضدهم مرة ثانية .

ولا غرابة ايضا ان يكون مع المعتزلة في مسائل ، وان لا يكون معهم في مسائل اخرى .

ولا غرابة ايضا ان يكون مع المتصوفة في وجوب ترويض النفس وتهذيبها وان يأخذ عليهم تهذ هم لما احله الله ، وعزوفهم عن الدنيا ، وعن الواقع .

ولا غرابة ايضا ان يكون مع الكلاميين في استخدام القضايا المنطقية وان يرميهم بالانزلاق الى السفسطة احيانا .

فهو بهذا قد سلك مسلكا مستقلا في التفكير النظرى والفهم العميق والتدقيق والتطبيق في سبيل ما دعا اليه واراده ... "٢"

ولكي ازيد الامر وضوحا ، واتعرف على منهجه في الاستدلال بعامة وفي الجانب العقدى بخاصة لا بد ان ادرس اهداف تفكيره ، وجوانبه .

---

١ ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، القسم الاول ص ٨ .

٢ ـ انظر عبقرى الاصلاح والتعليم ص ١٨٨ ـ ٢١٦ بتصرف .

اولا : " اهداف تفكيره " :

================

أ : تحرير الفكر من التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف ، على اساس من القران والسنة .

ب : العودة الى النطق بالفصحى ، واصلاح اساليب الكتابة في جميع المجالات .

ج : التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

يصور الشيخ محمد عبده اهداف تفكيره ، وما دعا اليه ، فيقول : "١"

(وارتفع صوتي بالدعوة الى امرين عظمين :

الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على

===== طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف "٢" ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى الذى وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وانه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث في اسرار الكون داعيا الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتعويل عليها في ادب النفس ، واصلاح العمل .

كل هذا اعده امرا واحدا وقد خالفت في الدعوة اليه راى الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منها جسم الامة :

— طلاب علوم الدين ، ومن على شاكلتهم ،

— وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم .

---

١ — انظر تاريخ الاستاذ الامام (١ : ١١ ، ١٢) .

٢ — لم يلتزم الشيخ محمد عبده بهذا ، وسلك مسلكا مستقلا ، جمع فيه بين طريقة السلف ، وطرق الفلاسفة والمتكلمين ، كما سنرى في هذه الرسالة .

أما الامر الثانــــــي :
=============

فهو اصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها ، او فيما تنشره الجرائد على الكافة ، منشأ او مترجما من لغات اخرى ، او في المراسلات بين الناس .

وكانت اساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجه الذوق ، وتنكره لغة العرب :

الاول :—
====== ما كان مستعملا في مصالح الحكومة ، وما يشبهها ، وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات ، رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده الى لغة من لغات العالم ، لا في صورته ولا في مادته ...

والنوع الثاني :—
========= ما كان يستعمله الادباء والمتخرجون من الجامع الازهر وهو ما كان يراعى فيه السجع وان كان باردا ...

(الامر الثالث) :
========== وهناك امر آخر كنت من دعاته ، والناس جميعا في عمى عنه ، وبعد عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذى تقوم عليه حياتهم الاجتماعية .

وما اصابهم الوهن والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه وذلك هو : التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة .

نعم : كنت فيمن دعا الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها ، دعوناها الى الاعتقاد بأن الحاكم وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطؤون ، وتغلبهم شهواتهم ، وانه لا يرده عن خطأه ، ولا يقف طغيان شهوته الا نصح الامة له

بالقول والفعل) أ . هـ .

ثانيا : " جوانب تفكيــــــره " :

========================

نشط الشيخ محمد عبده في دعوته ، وحارب على عدة جبهات ، وسخر ما عنده من امكانيات .... فكانت النتيجة تلك المدرسة الاصلاحية التي اسسها ، والتي تدرس فيها العلوم بشتى انواعها ، واولئك التلاميذ الذين تخرجوا منها وعملوا في معظم مجالات الحياة ، وكان لهم اثر كبير في مصر ، وفي بعض الاقطار المجاورة ، وهذا التراث وهو - رغم قلته - يعد بحق اوضح اثر تركه الشيخ محمد عبده في هذا المجال .

وبغض النظر عما في هذه المدرسة ، مما يؤخذ على الشيخ محمد عبده ، فاني اسجل له تعدد جوانب نشاطه في دعوته .

فالي جانب نشاطه الفكري في الجانب العقدي نشط في الجانب القومي وفي السياسة الوطنية ، كما نشط في الجانب الاجتماعي ، في الكشف عن عيوب المجتمع ، وبيان مقوماته ، كما نشط في الجانب التربوي ببيان اقوم السبل لايجاد المسلم الصالح الذي يتمشى مع روح العصر وشكله .

ولست هنا بسبيل ان اتحدث عن كل هذه الجوانب ، فان المقام يفرض علي ان اقصر حديثي - في هذه العجالة - على منهج الشيخ محمد عبده فيما يتصل بالجانب العقدي ، لان هذا الجانب هو موضوع الرسالة المهم .

غير اني سأقف بالقارئ وقفات قصار عند بقية الجوانب لتحصل عنده صورة كلية وان كانت اجمالية عن : الشيخ " محمد عبده التركماني " .

١ ـ الجانب القومي والوطني :

====================

تناول الشيخ محمد عبده في هذا الجانب ضرورة شعور كل مواطن بوطنه ، ومعرفة الصلة الوثيقة ، والرابطة الاكيدة التي تربطه به .

كما تناول في هذا الجانب نظام الشورى في الحكم ، وضرورته لاصلاح الراعي والرعية ، كما نبه الى الصلة بين ما يشرع من قوانين وبين احوال البلاد القائمة وعاداتها وتقاليدها ... "١" .

وبالجملة فهذه امور يرى الشيخ "محمد عبده" انها حقائق هامة يجب على كل مواطن ان يحرص عليها ، ويدافع عنها لان بها مقومات شخصيته — كانسان — ووجوده .

والمعروف ان ديار الاسلام هي وطن كل مسلم ، ويجب على كل مسلم ان يحافظ على وطنه ، ويدافع عنه .

وليس يعني كلام الشيخ "محمد عبده" بالوطن والوطنية وحب الوطن ، المعنى القومي الحديث ، والذى جاء من اوربا ، وهو : التعصب لمساحة محدودة من الارض ، تتخذ وحدة وجودية يرتبط تاريخها القديم بتاريخها المعاصر ليكونا شيئا وحدا متكاملا له شخصية مستقلة تميزها عن غيرها من البلاد الاخرى . "٢"

ولكن يعني تأكيد الرابطة بين المواطن ووطنه ، وتوثيق الصلة بين الحاكم والمحكوم على اساس من الحب ، والشورى ، والعدل .

---

١ ـ تاريخ الاستاذ الامام (٢ : ١٩٩) وما بعدها .

٢ ـ اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص ١٠ .

٢ ـ الجانب الاجتماعـــي :

نبه الشيخ " محمد عبده " الى ضرورة التربية الجماعية على اساس رعاية التعاليم الاسلامية والمثل الاسلامية والقيم الاسلامية والتمسك بالاخلاق الفاضلة المؤدية الى الاتحاد ...

يقول : (الا ان الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع ، واوراق وجذوع ، وجذور ، : هي الاخلاق الفاضلة بمراتبها ، فعلى المسلمين ان يربوا انفسهم تربية اسلامية حقيقية ليجنوا تلك الثمرة ... وبغير ذلك كل امل باطل ، وكل الاماني احلام واوهام ، وكل احتجاج بغير سعي عجز) . "١"

وطالب " الشيخ " بمساهمة الاغنياء في تعليم الفقراء ، وفتح المدارس والمعاهد ، حتى تتسع دوائر التعليم ، ومن ثم تعم التربية وتتهذب النفوس .

ومن ناحية اخرى يرى الشيخ " محمد عبده " ان المجتمع بحاجة الى موجهين ، خلت ثقافتهم من عوامل الضعف والجمود ، المؤدى الى القصور في التعليم .

وحمل الشيخ محمد عبده ، على الازهر وعلمائه ، وحاول ان يقرب بين دنيا الناس ودينهم فلقي معارضة شديدة ، شوهت فيما بعد سيرته .

يقول الاستاذ سليمان دنيا :ـ

(ربما حاول ان يقرب بين الازهر والمجتمع ، بين دنيا الناس ودينهم ولعله لقي معارضة شديدة ، من الناس خارج الازهر ، كما لقي معارضة من الناس في داخل الازهر .

---

١ ـ تاريخ الاستاذ الامام (٢ : ٤٦٩) / انظر الاعمال الكاملة ج ١ ص ١٣٠ ـ ١٤٩ .

فالناس في خارج الازهر ، تنقصهم الروح الدينية التي تدخل في حياتهم عناصر من العزة والكرامة ، والشمم والاباء ، تعلو بهم عن سفاسف الامور ، والانحدار في مسالك الحيوان والاعجم .

والناس في داخل الازهر ، لا يحاولون ان يتصرفوا في بضاعتهم تصرفا يجذب الانظار اليها ، ويحبب الناس فيها ، ويعرفهم بمقدار الحاجة اليها .

هكذا كان المجتمع المصرى وكان الازهر في عهد " الشيخ محمد عبده " كلاهما لا يحاول الالتقاء بالاخر ، فلا الازهر يحاول محاولة جدية ان يدنو من المجتمع ولا المجتمع يحاول ان يدنو من الازهر .

وظلا كذلك كالماء في البئر ، والظمآن على شاطئه .

فلا الماء يصعد من تلقاء نفسه الى الظمآن ، ولا الظمآن يحتال على الاغتراف من ماء البئر .

ومثل هذه الحال ، تفرض على المصلح ان ينظر الى كلتا الجهتين ، ولقد عمل الشيخ محمد عبده في كلا الميدانين ، وكان له في كل منهما اثر) . "1"

٣ — الجانب التربوى :

=================

دعا الشيخ " محمد عبده " الى محاربة الحزبية والمذهبية والتقليد الاعمى ، وبين ان لها اثرا سيئا ليس فقط على وحدة الجماعة الاسلامية وتماسكها ، بل ايضا على دينهم الذى يشوه سمعته انتسابهم اليه وبخلافاتهم لتوجيهاته كما جاء في الكتاب والسنة .

---

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، القسم الاول ص ٥ — ٦ .

كما دعا الى محاربة كتب المتأخرين التي الفت في عهد الركود والضعف لما لها من آثار سيئة على التوجيه ولانها حجبت العقل الاسلامي من ان يرى الحياة المعاصرة فيسايرها في احداثها وتطوراتها ...

يقول : (وما دمنا مقيدين بعبارات هذه الكتب المتأخرة ، والمتداولة ، ولا نعرف الدين والعلم الا منها فلا نزداد الا جهلا) . "١"

ويقول : (ان الناس تحدث لهم باختلاف الزمان امور ووقائع لم ينص عليها في هذه الكتب ، فهل توقف سير العالم من اجل كتبهم ؟ هذا لا يستطاع)"٢"

ومن ناحية اخرى دعا الى احياء التراث القديم ، كأساس يجب ان يقوم عليه اى اصلاح ، وتبنى عليه نهضة الشرق في مسايرته للحياة المعاصرة .

ولقد اسهم بنفسه في احياء هذا التراث .. فيما عمل ، ودعا ، ووجه .

٤ ـ " الجانب العقـــــدى " :

===================

لم يستقر الشيخ محمد عبده على مذهب معين من المذاهب المعروفة ، ولم يلتزم منهجا معينا يسير عليه .

لذلك يخطىء من يقول انه سلفي ، او يدعي انه فيلسوف او صوفي ، او متكلم يسلك في الاستدلال على العقائد مسلك المتكلمين .

انه شخص مستقل ، نهج منهجا مستقلا فأعطى عقله حريته الكاملة في البحث والفهم والنقد ... ثم في الايمان والعمل .

---

١ ـ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٤٣) .

٢ ـ تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٤٤) .

والذى لا شك فيه عندى ان الشيخ محمد عبده سلك في العقيدة مسلكا جمع فيه بين مناهج السلف والفلاسفة والمتكلمين ، اى اخذ فيه ما راقه من كل منهم .

فهو على طريقة السلف ، في اشياء ، ومع الفلاسفة والمتكلمين في اشياء اخرى .

والسبب في ذلك انه عول على العقل كثيرا ، وقال انه هو الطريق الاكيد لكل عقيدة يراد اعتقادها .

فهو مع السلف في معظم امور الغيب ، خاصة في الامور السمعية التي تكون بعد الموت ، كالبعث والحشر ، والعرض والميزان ، والحساب ، والصراط ، والجنة والنار ، الا في بعضها ، فانه كان يسلك طريق المتكلمين في التأويل .

كما اول الميزان : بالقدر والقيمة عند الله .

واول الكوثر : بالهدى والرشاد .

وله رأى في ان البعث يكون للارواح "١" ، لكنه فيما بعد رأى ان البعث يكون للارواح والاجساد ، وترك مسلك الصوفية والالهيين من الفلاسفة في كيفية البعث .

وسنرى ذلك كله مفصلا ومبينا في الباب الاخير من هذه الرسالة .

وهو مع السلف في النبوة وامكانها ، وشروط النبي ، وصفاته ، وفي المعجزة وامكانها وشروطها ، ودلالتها ، وفي اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي ان القران معجزة الاسلام الخالدة ، واثبات ماله صلى الله عليه وسلم معجزات وردت في القران او بطريق الخبر المتواتر .

---

١ — انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، القسم الاول ص ١٢ — ١٧ .

ولا يخالف السلف الا في بعض المعجزات ، المروية بطريق خبر الواحد ، لان خبر الواحد عنده ليس حجة في الامور الاعتقادية . "١"

وهو مع السلف في قضية افعال الله تعالى :ـ

في تعليل افعال الله ، وخلق افعال العباد ، والقضاء والقدر ، وفي جواز رؤيته سبحانه وتعالى .

اما في طريق معرفة الله ، واثبات وجوده ، فهو مع السلف ومع غيرهم ، بمعنى انه جمع بين منهج السلف والفلاسفة والمتكلمين .

فهو مع السلف في معرفة الله بطريق الفطرة والنظر . ومع الفلاسفة في طريقتهم في البرهنة والاستدلال بأن :ـ الموجود ان كان واجبا فهو المطلوب ، والا استلزمه لاستحالة الدور والتسلسل . والواجب هو الله تعالى . "٢"

ومع المتكلمين في قولهم :ـ ان الاجسام وما يجرى مجراها حادثة وحدوثها يقتضي بالضرورة ان لها محدثا . وهو الله تعالى .

ولا يفوتني ان انبه الى امر مهم ، اعتقد انه السبب في بعد الشيخ " محمد عبده " عن منهج السلف في بعض المسائل . وهو ان الشيخ محمد عبده ، بالغ في الاعتماد على عقله ، حتى جاوز به حده ، فحكمه في كل شيء ووكل اليه حل جميع المشاكل التي قد تواجه الانسان .

---

١ ـ سيوضح هذا الامر في الخاتمة .

٢ ـ وهذا الطريق ضعيف ، سترى ضعفه فيما بعد .

يقول الدكتور سليمان دنيا :

(وعندى ان الشيخ محمد عبده اذا كان لم يقص العقل حقه ، فهو قد جاوز به حده) "١"

فكان بذلك فيلسوفا سلك سبيل الفلاسفة ، (فان سبيل الفلاسفة ان يتخذوا عقلهم طريقا الى اية عقيدة يعتقدونها ، فالمقدمات العقلية اولا والنتائج ثانيا واخيرا) . "٢"

هذا هو سبيل الفيلسوف وبغيره لا يكون المرء فيلسوفا .

واليك هذا النص الذى رسم فيه الشيخ محمد عبده منهجه ، وقال : انه الطريق الى رضوان الله تعالى :—

(والحق الذى يرشد اليه الشرع والعقل ان يذهب الناظر المتدين الى اقامة البراهين الصحيحة على اثبات صانع واجب الوجود ، ثم منه الى اثبات النبوة ، ثم يأخذ كل ما جاءت به النبوات بالتصديق والتسليم ، بدون فحص فيما تكنه الالفاظ ، الا فيما يتعلق بالاعمال على قدر الطاقة .

ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده ، بالبراهين الصحيحة ، كان ما ادت اليه ما كان . لكن بغاية التحرى والاجتهاد .

ثم اذا فاء من فكره الى ما جاء من عند ربه ، فوجده بظاهره ملائما لما حققه فليحمد الله على ذلك . والا فليطرق عن التأويل ويقول : " آمنا به كل من عند ربنا " "٣" فانه لا يعلم مراد الله ونبيه الا الله ونبيه .

---

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٩) .
٢ — نفس المصدر ص ٥٩ .
٣ — سورة آل عمران اية (٧) .

فعلى هذا المنوال يكون نسجه ، فيبوء من الله برضوان ، حيث اسس عقائده ، على السديد من البراهين ، واستقبل الاخبار الالهية بالقبول والتسليم وتناولها بقلب سليم) . "١"

وان الشيخ محمد عبده بهذا يضع الدين الوارد عن طريق الوحي في المرتبة الثانية ، ويضع العقل في المرتبة الاولى ، حيث حكم بضرورة الاخذ بما يتأدى اليه العقل اذا اختلف مع النص ، ولم يعط النص من عناية اكثر من ان يقول له :

(انك من عند الله) .

وان الشيخ محمد عبده بهذا يرسم طريق النجاة بأن : (يأخذ المرء طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده ، بالبراهين الصحيحة كان ما ادت اليه ما كان) .

(ذلكم هو كل ما في الامر ، اما النصوص الالهية ، وما تنطوي عليه من آراء ، فأمرها دائر بين : ان تكون موافقة لما تأدت اليه هذه البراهين . او ان تكون مخالفة لها .

والامر في كلتا الحالين سهل يسير ، في نظر الشيخ محمد عبده .

فانها ان كانت موافقة ، فقد كفى الله المؤمنين القتال .

وان كانت مخالفة فلا قتال ايضا ، لانه يكتفي بأن يقول ، آمنت بما جاءت به الى جانب الايمان بما تأدت اليه البراهين) . "٢"

---

١ — المصدر السابق ص ٥٨ — ٥٩ .

٢ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، الاستاذ سليمان دنيا ، (١ : ٥٩) .

يقول الاستاذ سليمان دنيا :ــ

(ولا يخدعنا قول الشيخ محمد عبده " فليطرق عن التأويل ،

ثم يقول : آمنا به كل من عند ربنا " فان ذلك ايمان بالفاظ جوفاء لا

لا معنى لها ، ما دام قد آمن من طريق آخر بآراء تعارض هذه الالفاظ

معارضة تامة) . "١"

ذلكم هو سبيل الفلاسفة ــ كما قلت ــ اما سبيل السلف ــ الذى ارتفع صوت الشيخ محمد عبده بالدعوة اليه ، بينما آمن من قلبه بخلافه ــ فانهم بعد ان يثبتوا وجود الصانع ، بطريق الفطرة ، مستعينين بالادلة التي يرشدهم اليها من يدعي انه رسول الله ، وبعد اثبات الصانع يثبتون صدق النبوة بالعقل ايضا .

ثم اذا صح عندهم هذان الاصلان تلقوا ما اتاهم من عند الله على ما تفيده عبارات النصوص مفوضين غير مؤولين ولا مشبهين .

هذا هو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم .

واين هذا من ذاك ؟ "٢"

---

١ ــ نفس المرجع ص ٦٠ .

٢ ــ بتصرف : انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين .

(١ : ٥٨ ــ ٦١) .

الباب الثاني

================

" الالهيات "

يشتمل هذا الباب بعد تعريف مجمل " للالهيات " على أربعة فصول ، هي :

١ ـ الفصل الأول : وجود الله تعالى .

٢ ـ الفصل الثاني : وحدانية الله تعالى .

٣ ـ الفصل الثالث : صفات الله تعالى وكمالاته .

٤ ـ الفصل الرابع :: أفعال الله تعالى .

تعريف " الالهيـــــات " :

============ " الالهيات " : جمع " الهية " . وهـــي نسبة للصفة .

يقال : هذا علم الهي ، وصفة الهية ، واله بيّن الالهية . " ١ "

" واله " : من اله بمعنى عبد ، على وزن " فعال " بمعـنى " مفعول " . لأنه يألـوه اى معبود .

ويجمع " الاله " على " آلهــة " " ٢ " .

واذا اطلق لفظ " الاله " فالمقصود هو " الله " جل جلاله .

ولفظ " الاله " وضع في الأصل لكل معبود ، لكن غلب " بأل " " ٣ " على المعبود بحق " ٤ " ، وهو " الله سبحانه وتعالى .

---

١ ـ لسان العرب لابن منظور ، مطابع كونستاتس ماس ، طبعة مصورة عن بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (١٧ : ٣٥٩) .
وانظر : المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية ، مطبعة دار الكتـب ١٩٧٠ م (١ : ٤٤٢) .

٢ ـ مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م ص ٢٢ .
وانظر : القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادى ، مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة (٤ : ٢٨٠) .
وانظر : المصطلحات الاربعة بين المودودى ومحمد عبده ، لعبد المتعال الجبرى ، الطبعة الثانية ، دار الاعتصام للطباعة والنشر ص ١٣٦ .

٣ ـ الأفضل أن يقال : اختص " بأل " لأن الغالب في شيء قد يستعمل على قلة في شيء غيره . وكلمة " الله " لا تستعمل في غير الحـق اطلاقا .

٤ ـ لسان العرب ، ابن منظور (١٧ : ٣٦١) ،
المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية (١ : ٤٤٠) . =

جاء في تفسير المنار : لفظ الجلالة علم على ذات واجب الوجود "١".

" والالهيات " : اصطلاح يطلق على كل ما يتعلق بذات اللـــــه ، وصفاته ، وافعاله "٢".

وعلماء العقيدة يبحثون تحت هذا العنوان " الالهيات " ، في الـذات الالهية وتنزيهها ، وفي وحدانية الله ، وفي أسمائه وصفاته وأفعاله ."٣"

وانا على طريقة علماء العقيدة في البحث في موضوع " الالهيات في فكـر الشيخ محمد عبده " .

ولقد قسمت البحث في هذا الباب الى اربعة فصـــــول ، هـــــي :ـ

= دائرة المعارف الاسلامية ، لجماعة من المستشرقين ، نقلها الـــى العربية محمد ثابت الفندى ، انتشارات جهان ـ طهران بوذر جمهرى (٤ : ٢٨٦) .

١ ـ تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، (١ : ٤٤ ، ٤٦) .

٢ ـ المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية (١ : ٤٤٣) .

ـ والمعجم الوسيط ، اخراج ابراهيم مصطفى ، اشرف على طبعـــــه عبد السلام هارون (١ : ٢٥) .

ـ ومحيط المحيط ، بطرس البستاني ، لبنان ، مؤسسة جواد للطباعة ، ص ١٥ .

ـ وشرح المواقف في علم الكلام ، السيد الشريف علي بن محمد بن علـــي الجرجاني ، تحقيق الدكتور احمد المهدى ، مكتبة الازهر ، دار المحامي للطباعة ـ الموقف الخامس في الالهيات .

٣ ـ انظر المواقف ، لعضـــد الدين الايجــــي ، الموقف الخامـــس في الالهيات .

وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن ابي العز الحنفي علي بن علي .

١ ـ الفصل الاول : وجود الله تعالى .

٢ ـ الفصل الثاني : وحدانيتـه .

٣ ـ الفصل الثالث : صفاته وكمالاته .

٤ ـ الفصل الرابع : أفعاله تعالى ، وكونه موجدا وخالقا لافعال العباد أم لا .

ولسوف أعرض رأى الشيخ " محمد عبده " في كل فصل على حـــدة ، ثم أنقد ما يستحق النقد منه ، في ضوء مذهب السلف ، وجمهـــور العلماء ، وأبين الى اى حد كان الشيخ " محمد عبده " متمشـــيا مع هؤلاء العلماء . رضي الله عنهم أجمعين .

===

الفصـــل الاول : " وجود الله تعالى "

===========

أ : معرفة الله .

ب : اثبات وجوده .

أ : " معرفة اللـــه "

==============

رأى الشيخ " محمد عبده " :

================== يرى الشيخ " محمد عبده " أن الواجـــب العيني على كل مكلف ، هو اليقين من اى طريق اخذ .

وان ما دار من خلاف بين علماء الأصول "١" في اول ما يجب على كـــل مكلف ، لا طائل تحته ، ولا حاجة الى الاكثار من الكلام فيه ، فان الجميـــع متفقون على ان المقصود من المكلف هو المعرفة بربه خالقا وصانعا . فلا حاجـة الى النزاع في مقدمات هذه المعرفة ، هل هي النظر "٢" ، أو القصد الى النظر "٣" ، أو جزوءه .. الى آخر هذا الكلام "٤" .

---

١ — أصول العقيدة ، وعلم الكلام .

٢ — وهو قول المعتزلة ، والاستاذ ابو اسحق الاسفرائيني ، قالوا : اول واجب على المكلف هو النظر في معرفة الله ، اذ المعرفة موقوفة عليـــه ، وما توقف عليه الواجب فهو واجب .
انظر كتاب : شرح الاصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن احمـد ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م ، مطبعة الاستقلال الكبرى ص ٥٢ — ٥٥ .
وانظر كتاب : مذاهب الاسلاميين ، دكتور عبد الرحمن بـــدوى ، طبعة بيروت ، دار الملايين ، (١ : ٣٧٩ ، ٣٩٦) .

٣ — وهو قول امام الحرمين ، والقاضي ابو بكر ز ، وابن فورك ، قالوا : اول واجب على المكلف هو القصد الى النظر ، لتوقف الافعال الاختيارية واجزائها على القصد
انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، دكتور سليمان دنيا ، القسـم الاول ص ٢٠٩ .

٤ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، دكتور سليمان دنيا ، (١ / ٢١٠) .

يقول الشيخ " محمد عبده " (وحاصل الكلام ان الواجب العيني هو اليقين من اى طريق اخذ .

وقد كان ذلك حاصلا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وانما احتيج الى طريق التفصيل بعد ذلك ، لردع المعاندين ، مخافة على عقول القاصرين) "١" .

وحكم الاشتغال بمثل هذه المسائل " فرض كفاية " يقوم به البعض ، للذود عن الاسلام ، ولردع ارباب الكفر ، والطغيان ... الخ .

يقول : (ومثل هذا يجب كفاية ، خصوصا في زماننا هذا ، الذى قد قام فيه القسيسون على ساق ، واخذوا يدعون الناس الى التنصر في الاسواق ، واخذت كلمة الكفر في الطغيان ، ووهت من كلمة الحق أركان ، والناس عن هذا غافلون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، فنسأل الله تعالى ان يؤيد هذا الدين بروح المعرفة ، وان يقطع دابر ارباب الجهالة والسفه) . "٢"

ولكن الشيخ " محمد عبده " في موضع نقاشه لآراء العلماء يميل الى قول الاشاعرة ويؤيده ، ويقول انه حقيق بالقبول ، وقد اتفق عليه المليون وجماهير الحكماء "٣" .

قال الشيخ الاشعرى "٤" :

اول الواجبات هو معرفة الله تعالى بما يحصل اليقين الذى لا

---

١ ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٠٩) .

٢ ـ نفس المصدر ص ٢٠٩ .

٣ ـ نفس المصدر ص ٢١١ .

٤ ـ أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعرى المنتسب الى ابي موسى الاشعرى رضي الله عنه ، وهو مؤسس مذهب الاشاعرة ، من الائمة المتكلمين المجتهدين ولد في البصرة ، حمل لواء المذهب المعتزلي ، ثم رجع عنه وجاهر =

يحتمل النقيض بوجه •

وبعبارة اخرى : هو معرفة الله تعالى ، اذ يتفرع عليها ، وجوب الواجبات ، وحرمة المنهيات" ١ "•

لقد انتصر الشيخ " محمد عبده " لهذا الرأى وقال : انه لا سبيل الى وجوب معرفة الله تعالى ، الا طريق الشرع الحنيف •

وتصدى لرأى المعتزلة القائلين : ان اول واجب هو النظر في معرفة الله ، اذ المعرفة موقوفة عليه ، وما توقف عليه الواجب فهو واجب •

وقد برهنوا على هذا بقولهم :ـ

ان شكر المنعم واجب ، وشكر المنعم لا يتصور من الشاكر ، الا بعد معرفة المنعم ، ومعرفته انما تكون بالنظر • فالنظر مما تتوقف عليه المعرفة التي يتوقف عليها الشكر ، الذى هو واجب •

فالنظر مما يتوقف عليه الشكر بالواسطة ، وما توقف عليه الواجب فهو واجب ، فالنظر واجب •

وكل ذلك احكام عقلية ، فوجوبه عقلي ، وهو المطلوب •

فقـــال :ـ

ان استدلال المعتزلة هذا بارد للاسباب التاليه :ـ

= بخلافه ، بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب اشهرها (مقالات الاسلاميين) توفي في بغداد سنة ٣٢٤ هـ •
انظـــر : تاريخ المذاهب الاسلامية ، للشيخ محمد ابو زهـــرة ، دار الفكر العربي (١ : ١٨٠) •

١ ـــ انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٠٩)

١ — أما أولا :— فلأن مقدمته الاولى ليست برهانية ، بل هي خطابية مشهورة .

٢ — وأما ثانيا :— فانهم ان ارادوا : ان العقل حاكم بأن شكر المنعم واجب ، بمعنى انه يترتب عليه الثواب والعقاب .... فلا نسلم هذا ، فان العقل ليس له سبيل ان يعلم هذه الامور .

وان ارادوا : ان العقل حاكم بأن شكر المنعم واجب ، بمعنى انه حسن ولازم ، فلا نزاع في ان مثل هذا يمكن ان يعلم بطريق العقل ، فليكن النظر واجبا بهذا المعنى ولا ضير فيه .

٣ — واما ثالثا :— فلأن العقل يحكم بأن فقيرا لو وجد في سبيله قرطاسا من الذهب ولا يعلم من اين هذا ، ولا من اتى به ، فلا يجب على هذا الفقير ان يفتش عمن اتى به حتى يسدى اليه نفعا او شكرا .

ولو انه قابل هذا المحسن بالاساءة ، لا يذم ، لعدم علمه بأنه محسن .

ولو ان المحسن سلب احسانه عنه ، مع علمه بأنه لا يعرفه ، كان سفيها اذ لم يخبره بأنه المحسن .

بل هذا الصنع دليل على ان المحسن غير طالب للمقابلة والشكر ، ولو كان طالبا لذلك ، ولم يظهر نفسه ، فقد سفه نفسه .

ومن لم يعلم له الها ، ولا خالقا ، ولم يدر ان للعالم صانعا من اصله ، ولم يشهد الاحسان ، والاساءة الا من بني نوعه ، وكان محصلا لرزقه من صنعته ، وكسب يده ، فكيف يجب عليه شكر ، أو عبادة ، أو معرفة ، الا من طريق ما يرى ان تحصيل العلم كمال ، ومن اعظم الكمالات علم مبدأ العالم ، وما يشبه ذلك .

بل لو علم صانعه وخالقه ، وانه الرازق ، لم يجب عليه شكره الا بايجاب منه ، وايذان بأنه يطلب منه ذلك .

كيف وهو لا يعلم ماذا يليق بذلك المنعم من انواع التعظيم والشكر .

فربما كان ما يظنه شكرا ، كفرا .

فلا بد في ذلك من معلم صادق يخبره بما يرضاه ذلك المنعم

من انواع الشكر على ما علمه ، فلا سبيل الى ذلك الا طريق الشرع . " ١ "

هذا القول من الشيخ " محمد عبده " هو نفس ما ذهب اليه

الاشاعرة ، فان وجوب معرفته تعالى لم يثبت من طريق العقل ، لان علم

مثل هذا مما لا يهتدى العقل الى معرفته .

بل لابد فيه من مخبر صادق ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ،

وكذلك علم الامور الحسية " ٢ " ، فانها لا تكتسب بطريق النظر ، بل لابد

فيها من الحس أو الاخبار .

" دور العقل في معرفة الله تعالى " :

==================== يوضح الشيخ " محمد عبده " في

" رسالة التوحيد " مقدار الصلة بين العقل وبين معرفة الله ، ومدى تفاوت

الناس في عقولهم في معرفة الله ، كما يبين مدى احتياج العقل الى

النبوة في معرفة كثير مما لا يستقل العقل بمعرفته .

فيقول :-

(وليست عقول الناس سواء في معرفة الله تعالى ، ولا في معرفة

حياة بعد هذه الحياة ، فهم وان اتفقوا في الخضوع لقوة اسمى من قواهم ،

وشعر معظمهم بيوم بعد هذا اليوم ، ولكن افسدت الوثنية عقولهم وانحرفت

بهم عن مسلك السعادة ، فليس في سعة العقل الانساني في الافراد كافة ان

يعرف من الله ما يجب ان يعرف ...

---

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٠١) .

٢ - كالجنة والنار ، وما فيهما من النعيم والعذاب .

لهذا كله كان العقل الانساني محتاجا في قيادة القوى الادراكية والبدنية الى ما هو خيرله في الحياتين ، الى معين يستعين به في تحديد احكـــام الاعمال ، وتعيين الوجه في الاعتقاد بصفات الالوهية ، ومعرفة ما ينبغــي ان يعرف من احوال الاخرة ...) "١"

" ادراك حقيقـــــة الباري " :
================== يرى الشيخ " محمد عبده " ان ادراك حقيقة الباري سبحانه وتعالى غير ممكن .

وهذا الرأي انما استمده من الفلاسفة الاسلاميين ، منهم الشيخ " ابو نصر الفارابي " "٢" الذي برهن على استحالة العلم بحقيقة الواجب . بقوله :ـ

(ان علمنا بحقيقة من الحقائق موقوف على العلم بجميع لوازمها ، حتى نميز العرضي من الذاتي ، ونحصر كلا منهما ، وذلك غير ممكن ، فانا الـى اى حد وصلنا يحكم العقل بجواز ذاتي غير ما علمنا ، لم نصل اليه حكما حقيقيا ، وجوازا واقعيا ، فعلمنا بحقيقة من الحقائق محال ، فعلمنا بحقيقة الواجب محال بالاولى ، وانما ندرك الاشياء بالخواص واللوازم) "٣" .

---

١ ـ رسالة التوحيد الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٩٦) .

٢ ـ فيلسوف اسلامي ، يعرف بالمعلم الثاني ، تركي الاصل ، من اكبر فلاسفة المسلمين ، ولد في " فاراب " على نهر جيحون ، رحل الـــى بغداد ومصر والشام ، كان يحسن اليونانية ، واكثر اللغات الشرقية ، مات بدمشق سنة ٣٣٩ هـ /
انظر البداية والنهاية (١١ / ٢٢٤) / والاعلام للزركلـــــي (٧ : ٢٤٢) .

٣ ـ انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ١٩٤) .

يسلك الشيخ " محمد عبده " مسلكا برهانيا علميا في بيان هذه الحقيقة لكنه لا يخلو من الكلام عليه ، وفيه مجال للتعقيب عليه ...

فهو يريد ان يقول : ان للعقل حدا لا يتعداه ، وهو الوصول الى معرفة عوارض بعض الاشياء التي له مجال في معرفتها ، ثم التوصل بذلك الى معرفة مناشئها .

اما الوصول الى معرفة الاشياء ، وتصورها بالكنه والحقيقة فغير ممكن ، وليس له من القوة ما يحقق ذلك .

واليك نص كلامه : (اذا قدرنا عقل البشر قدره ، وجدنا غاية ما ينتهي اليه كماله ، انما هو الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت الادراك الانساني حسا كان أو وجدانا ، أو تعقلا ، ثم التوصل بذلك الى معرفة مناشئها ، وتحصيل كليات لانواعها ، والاحاطه ببعض القواعد لعروض ما يعرض لها ، اما الوصول الى كنه وحقيقة فمما لا تبلغ قوته ، لان اكتناه المركبات انما هو باكتناه ما تركبت منه ، وذلك ما ينتهي الى البسيط الصرف، وهو لا سبيل الى اكتناهه بالضرورة ، وغاية ما يمكن عرفانه منه ، هو عوارضه واثاره) .

ويضرب الشيخ " محمد عبده " مثل " الضوء " حيث لم يستطع العلماء حتى الآن التوصل الى معرفة حقيقته ، ولا الى تحديد معنى الاضاءة نفسه .

يقول :-

(خذ اظهر الاشياء واجلاها ، كالضوء : قرر الناظرون فيه له احكاما كثيره ، فصلوها في علم خاص به ، ولكن لم يستطع ناظر ان يفهم ما هو ولا ان يكتنه معنى الاضاءة نفسه ، وانما يعرف من ذلك ما يعرفه كل بصير له عينان ، وعلى هذا القياس) .

ويرى الشيخ (محمد عبده) أيضا ان الاشتغال في معرفة الكنه والحقيقة لا فائدة منه ، بل يعود على صاحبه بالخسران ...

يقـــول :

(ثم ان الله لم يجعل للانسان حاجة تدعو الى اكتناه شيء مـــن الكائنات وانما حاجته الى معرفة العوارض والخواص ، ولذة عقله ، ان كـــان سليما ، انما هي تحقيق نسبة تلك الخواص الى ما اختصت به ، وادراك القواعد التي قامت عليها تلك النسب .

فالاشتغال بالاكتناه اضاعة للوقت ، وصرف للقوة الى ما سبقت اليه) .

ثم ان الشيخ " محمد عبده " اراد ان يقرب هذا المعنى الى الافهام ، فلجأ الى ضرب مثل آخر هو " نفس " الانسان التي بين جنبيه . فقـــــال :ـ

(اشتغل الانسان بتحصيل العلم بأقرب الاشياء اليه ، وهي نفسه ، ارد ان يعرف بعض عوارضها ، وهل هي عرض او جوهر ؟ هل هي قبـــل الجسم او بعده ؟ هل هي فيه او مجردة عنه ؟ ... كل هذه صفات لم يصل العقل الى اثبات شيء منها ، يمكن الاتفاق عليه .

وانما مبلغ جهده انه عرف انه موجود حي ، له شعور وارادة ، وكل ما احاط به بعد ذلك من الحقائق الثابته فهو راجع الى تلك العوارض التي وصل اليها ببديهته .

أما كنه شيء من ذلك ، وكيفية اتصافه ببعض صفاته ، فهو مجهـــول عنده ولا يجد سبيلا للعلم به) .

ثم قال : اذا كان هذا هو الحال مع بعض المخلوقات ، فكيف يكون حال العقل مع خالقه تعالى ...؟

(هذا هو حال العقل الانساني مع ما يساويه في الوجود ، او ينحط عنه ، بل وكذلك شأنه فيما يظن من الافعال انه صادر عنه كالفكر وارتباطـــه بالحركة والنطق ، فما يكون من امره بالنسبة الى ذلك الوجود الاعلى ؟ مـــاذا

يكون انده هاشه ؟ بل انقطاعه "١" اذا وجه نظره الى مالا يتناهى من الوجود الازلي الابدى ؟) •

ثم يقول : أن النظر في صحيفة هذا الكون يقود الى معرفة الله تعالى ، وذلك لمن صفت نفوسهم ، وسلمت عقولهم ، وانجلت فطرهم ...

(النظر في الخلق يهدى بالضرورة الى المنافع الدنيوية ، ويضيء للنفس طريقها الى معرفة من هذه آثاره ، وعليها تجلت انواره ، والى اتصافه بما لولاه لما صدرت عنه هذه الاثار على ما هي عليه من النظام) •

وهنا يضع الشيخ " محمد عبده " اللمسات الاخيرة ، ويقرر النتيجة الاكيدة التي يريد ان يتوصل اليها من وراء هذا البحث فيقول :—

(اما الفكر في ذات الخالق ، فهو طلب للاكتناه من جهة ، وهو ممتنع على العقل البشرى ، لما علمت من انقطاع النسبة بين الوجودين ، ولاستحالة التركيب في ذاته ، وتطاول الى مالا تبلغه القوة البشرية من جهة اخرى •

فهو عبث ، ومهلكة ، لانه سعي الى مالا يدرك ، ومهلكة لانه يؤدى الى الخبط في الاعتقاد ، لانه تحديد لما لا يجوز تحديده ، وحصر لما لا يصلح حصره) أ • هـ "٢"

---

١ — الانقطاع هنا بمعنى " العجز " •

٢ — بتصرف عن رسالة التوحيد الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده (٣ : ٣٧٩ — ٣٨٠) •

تقويم كلام الشيخ " محمد عبده " :

==================== لقد سلك الشيخ " محمد عبده " مسلكا مستقلا في معرفة الله ، فلم يتقيد بمذهب ، من المذاهب ، ولم يخرج عمـــا يمليه عليه عقله ، ويصل اليه تفكيره .

فلا غرابة ان يكون مع السلف تارة ، ومع الاشاعرة تارة اخرى ، ولا غرابـة ان يستمد بعض آرائه من الفلاسفة وغيرهم . فهو صاحب فكر حر مستقل كمـــا ذكرت .

وهو هنا مع الاشاعرة في قولهم انه لا سبيل الى معرفة الله تعالى الا بالشرع ، ولا بد لذلك من مخبر صادق ، وهو النبي .

ومع السلف في قولهم بوجوب النظر في مخلوقات الله ، لان الانسان خلق مستعدا ، وفي مكنته ومقدوره ان ينظر ويستنتج ، وذلك ما ميز الله به الانسان عن بقية المخلوقات .

وهو مع الفلاسفة حين استمد منهم فكرة : استحالة التركيب في ذاتـــه سبحانه ، وهذا خلاف مذهب السلف وجمهور المتكلمين على ما قرره الغزالي "١" وشيخ الاسلام ابن تيمية "٢" رحمهما الله تعالى ، مما سنبينه بعد قليل باذن الله .

---

١ ـ محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ابو حامد ، حجة الاسلام ، فيلسوف متصوف ، له نحو مائتي مصنف ، ولد بخراسان سنة ٤٥٠ هـ ورحل الــى الشام والحجاز ومصر ، وغيرها ، نسبته الى صناعة الغزل ، او الى غزلـه من قرى " طوس " مات سنة ٥٠٥ هـ / الاعلام للزركلي (٧ : ٢٤٧) .

٢ ـ احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي ابو العباس ، شـــيخ الاسلام ، نشأ في دمشق ورحل الى مصر ، سجن عدة مرات في سبيـــل الدعوة الى الله ، وصنف كثيرا من كتبه في السجن ، ثم منع من ذلــك ، كان كثيرا البحث في فنون الحكمة . داعية اصلاح في الدين ، آية فــي =

والصواب هو : ما ذهب اليه السلف في معرفة الله تعالى وهو ان الله سبحانه وتعالى ، خلق الانسان مستعدا ، وفيه قوة - حينما يصل الى درجة البلوغ الى ان يبحث ويستنتج ، ويستدل في الشؤون الدينية ، وهذا الاستعداد وهذه القوة ، مما لا يصح ان يرتاب فيه .

فان كل انسان يشعر اذا بلغ مبلغ الرجال ، ان فيه هذه القوة ، بل ، هذا هو ما ميز الله به الانسان عن بقية المخلوقات .

وقد استدل السلف رضي الله عنهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه ابو هريرة رضي الله عنه :

قال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " "١"

ولنستمع لشيخ الاسلام ابن تيمية - شيخ المذهب السلفي - حين سئل عن المراد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((كل مولود يولد على الفطرة..)) الحديث ، قال : - (على السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة) "٢"

ويقول في تفسير قول الله عز وجل " اقرأ باسم ربك الذى خلق " "٣" ،

= التفسير واصوله مات في السجن في قلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ / دائرة المعارف الاسلامية (١ : ١٠٩) .

١ - الحديث متفق عليه رواه البخارى ومسلم بروايات متعددة / انظر البخارى في كتاب الجنائز ، ومسلم في باب القدر .

٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ، وابنه محمد الطبعة الاولى سنة ١٣٨١هـ (٤ : ٢٤٥) .

٣ - سورة العلق اية (١) .

وقوله : " اقرا وربك الأكرم " "١" :ـ

(ذكر في الموضعين بالاضافة التي توجب التعريف ، وأنه معروف عند المخاطبين ، إذ الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق ، وان المخلوق مع انه دليل ، وانه يدل على الخالق ، لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال ، ومعرفته فطرية مغروزة في الفطرة ضرورية بديهية اولية) "٢" .

ومع هذا فان السلف رضي الله عنهم ، يوجبون النظر في الكون والانسان على السواء ، لان في ذلك عاملا من عوامل تجلية الفطرة ، اذ النظر فيهما يؤدى قطعا الى ما تنطق به الفطرة البشرية من معرفة الحقيقة العليا ، وهو الرب تعالى .

كما ان الامر الالهي بالنظر في الايات الكونية ـ ومنها الانسان يشهد لهذه الفطرة البشرية . وذلك في كثير من الايات القرانية .

قال تعالى : " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت " . "٣"

وقال تعالى : " افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " "٤".

---

١ ـ سورة العلق اية (٣).
٢ ـ مجموع الفتاوى (١٠ : ٣٢٤) .
٣ ـ سورة الغاشية الايات من (١٧ ـ ٢٠) .
٤ ـ سورة ق الايات من (٦ ـ ٨) .

وقال عز وجل : " افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ""١" .

وقال : " فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فانبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وابا ، متاعا لكم ولانعامكم " . "٢"

وقال : " فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ""٣".

فالامر بالنظر شاهد صدق على ان الانسان في مكنته ومقدوره ان ينظر ويستنتج ، والشيخ محمد عبده مع السلف في هذا ، يقول في رسالة التوحيد :ـ

(لقد امر الكتاب بالنظر واستعمال العقل فيما بين ايدينا من ظواهر الكون ، وما يمكن النفوذ اليه من دقائقه ، تحصيلا لليقين بما هدانا اليه ، ونهانا عن التقليد بما حكى من احوال الامم في الاخذ بما عليه اباؤهم ... فالتقليد مضلة يعذر فيها الحيوان ، ولا يجمل بحال الانسان)"٤"

ولكنه لا يقف عند هذا بل يتعداه الى قول الاشاعرة : ان معرفة الله لا سبيل لها الا الشرع ، ولا بد في ذلك من النبي .

---

١ ـ سورة يوسف اية (١٠٩) / الروم اية (٩) / فاطر اية (٤٤)
غافر اية (٨٢) / محمد اية (١٠) .

٢ ـ سورة عبس الايات من (٢٤ ـ ٣٢) .

٣ ـ سورة الطارق الايات من (٥ ـ ٧) .

٤ ـ رسالة التوحيد ، الامام محمد عبده ، القاهرة ، مكتبة الجامعة الازهرية
١٣٨٦ هـ سنة ١٩٥٦م ص ١٥ .

" الرأى المختار في هذا الموضـــــوع "

=====================

وانا اميل مع السلف رضي الله عنهم في هذا ، وأؤيده ، وأؤكده بالحقائق التالية :

اولا :

==== هذه القوة اصيلة عند كل انسان ، يجدها الانسان غير المتدين كما يجدها أعلى الناس تفكيرا ، واعظمهم تعقلا ، وستبقى أصيلة في النفوس متطورة بتطور الانسانية ، متجاوبه مع درجة الثقافه التي يبلغها الانسان نفسه وستزداد فيه هذه القوة كلما أرتقى بفكرة ، واتسعت ابحاثه ودراساته .

ثانيا :

===== حتى ان الطفل الصغير فيه هذه النزعة الفكرية ، وهذا مـــا اثبته علماء النفس — ان صح التعبير — عند كثير من الاطفال .

يقول العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز :— (فان كثيرا من الاطفال ذوى الفطر السليمة ، لا يقنعون بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقفون في تعليله عنـد حلقة من حلقات اسبابه ، وغاياته القريبة ، بل يصعدون دائما الى اسبابـــه الاولى ، ويسترسلون في تعريف نتائجه الاخيرة ، فهذه صورة مصغرة من تلــك النزعة الفكرية الانسانية التي هي ابدأ في حركة وتقدم يأبيان الوقوف والجمود) . "١"

ثالثا :

==== لقد اخذ التفكير في الموضوعات الدينية ، هل لهذا العالــم رب وخالق ؟ مساحة كبيرة من التفكير البشرى ، لا فرق في ذلك بين جنـــس ،

---

١ — كتاب : الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، دكتور محمــد عبد الله دراز ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م ، ص ٩٧ .

وجنس ، حتى اشد الناس همجية واقربهم الى الحياة الحيوانية •

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين : (ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى اشدها همجية واقربها الى الحياة الحيوانية وان الاهتمام بالمعنى الالهي ، وبما فوق الطبيعة ، هو احدى النزعات العالية الخالدة للانسانية) "١" •

رابعا :

===== هكذا كان اجماع الناس في التفكير البشرى ، خاصة فيما يتعلق بالموضوعات الدينية وهو اجماع ينادى به الواقع الملموس ، في كل زمان ومكان •

هذه القوة اذن ، هي القوة التي حباها الله للانسان ، وهي قوة الفطرة الالهية في الناس جميعا •

يقول " دراز " : (ما هذه اذا تلك القوة الغلابة التي لا تزيدها المقاومة الا عنفا ، واشتعالا • والتي تقهر في النهاية انصارها ، واعداءها على السواء ؟ •

أليست هي قوة الفطرة ألتي تورق وتثمر كلما عاودها الربيع فبلل ثراها وسقى اصولها ؟

بلى ، وان هذا الربيع قد تكفي منه قطرة ، وربما تبلور في نظرة ، فما هي الا طرفة من تأمل الفكر ، او لحظة من يقظة الوجدان ، أو أزمة من صدمات العزم ••• فاذا أنت تسبح بخيالك في عالم الغيب ••) "٢" للوصول الى الحقيقة العلوية الفطرية والتعرف عليها بوضوح •

---

١ ـ نفس المصدر ص ٨٤ •

٢ ـ الدين ص ٩٧ •

خامسا :

====== بعد الاعتراف بأن الانسان خلق مستعدا لان يفكر ويستنتج في مرحلة معينه وفي سن معينة ، سواء أكان استنتاجه هذا صوابا أم خطأ ، نقول :ـ

ان الانسان مع هذا الاستعداد الفطرى للنظر ، والتفكير ، والاستنتاج ، قد فطره الله على الايمان برب خالق في حدود هذا المفهوم ، دون ما وراءه من التفاصيل الدينية التي جاء بها الانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين •

سادسا :

======= بقي لي وقفة قصيرة مع قول الشيخ " محمد عبده " السابق وهو أن (النظر في الخلق يهدى بالضرورة الى المنافع الدنيوية ، ويضيء للنفس طريقها الى معرفة من هذه آثاره ، وعليها تجلت انواره) •

هذا القول ، مضافا اليه قوله "١" في تفسير ، قوله تعالـــى : " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقـــــوم يعقلون " "٢" يزيد الامر جلاء ، ووضوحا ، ويدخل الشيخ " محمد عبده " في ركب السلف رضي الله عنهم أجمعين فيكون فكر الشيخ " محمد عبده " موافقا لفكر السلف في هذا الموضوع ، ويصبح تقرير رأى الشيخ " محمد عبده " هكذا :ـ

ـ ان معرفة البارى تعالى يشعر بها كل انسان في اعماق نفسه ، وتنادى بها فطرته التي فطره الله عليها • ولكن هذه الفطرة قد تتعرض لمـــا

---

١ ـ سيأتي بأكمله في الفصل الثاني ، عند التدليل على وحدانيته تعالى •
٢ ـ سورة البقرة اية (١٦٣) •

يحجبها عن طريق الاهتداء الى الله ، لكن الانسان في كل حين لا يبعد عن سماع نداء الفطرة من داخله ، لان الله تعالى اودع في الفطرة ما يهديها الى خالقها عند اول انذار .

وأما بقية التفاصيل فلا سبيل الى معرفتها الا بارسال الرسل ، صلوات الله عليهم أجمعين . وان ما جاء به الرسل ، وما يدركه العقل يلتقيان عند نقطة واحدة لايقاظ الفطرة وتنبيهها وتوجيهها .

قال تعالى : " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " "١" .

يقوى هذا ويدعمه ، ما لخصه السيد رشيد رضا من حديث للاستاذ الامام في احد دروسه . قال :

(ان الشعور بوجود اله يتصرف في الاكوان تصرفا غيبيا ، فوق تصرف المخلوقات بما يكون من افضاء الاسباب الى المسببات ، قد عرف في جميع البشر من ادنى القبائل الهمجية الى ارقى الشعوب المدنية ، فهو شعور يستوى فيه الحفاة العراة في صحاري افريقيا وجزائر المحيط ، وفلاسفة اليونان في الماضي ، وفلاسفة الافرنج الآن ، وقد عرف في الفريقين عن قدماء الامم كالمصريين ، والكلدانيين والهنود ، كما هو معروف في هذا العصر .

ومثل هذا الاتفاق بين الشرقي والغربي والشمالي والجنوبي في جميع الازمان من غير تواطؤ ولا تقليد ، ولا تلقين ولا تعليم لا يعقل الا أنه فطرى في البشر) "٢" .

---

١ ــ سورة القمر الايات (١٧ ، ٢٢ ، ٣٢) .

٢ ــ الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٨٦) وقال : لخص الشيخ رشيد رضا هذه السطور من حديث للاستاذ الامام في احد دروسه .

ولا يفوتني أن أنبه الى قول الشيخ " محمد عبده " (لاستحالة التركيب في ذاته) .

فهذه الفكرة ربما ابعدته قليلا عن مذهب السلف ، لانها فكرة فلسفية صرفه ، استمدها من اقوال بعض الفلاسفة الاسلاميين الذين تأثر بهم الى حد كبير .

فهو لم يذهب بعيدا في قوله هذا عما ذهب اليه الكندى "١" ، في الاستدلال على الوحدانية ، وهو ايضا مسلك الفيلسوف ابن رشد "٢" في كتابه " مناهج الادلة " .

وهاك ملخص ما قالوه :ـ

(ان محدث العالم واحد لا شريك له ولا تركب في ذاته ، ولو فرض ان العالم مخلوق ، لاكثر من اله ، لكانوا مركبين من صفة تعمهم ، ومن جملة اوصاف تميز كلا منهم ، والتسليم بوجود الصفات تسليم بوجود الكثرة في كل اله ، فيجب ان نقف على العلة في وجود التركيب في كل اله ، ولو فرض وجود علة ، وجب البحث عن علة لهذه العلة وهكذا دواليك ، ولا يمكن الانتقال في سلسلة العلل فيجب الوقوف عند حد ، فيلزمنا القول بوجود اله برئ من كل كثرة أو

---

١ ـ أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندى ، فيلسوف العرب ، درس الفلسفة والمنطق والهندسة والحساب والموسيقى والنجوم وغيرها ، وله كتب ومؤلفات فيها .

انظر الفهرست لابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ص (٣٥٧ ـ ٣٦٥) .

٢ ـ محمد بن احمد بن محمد بن رشد الاندلسي ابو الوليد ، الفيلسوف من اهل قرطبة ، درس لارسطوا ، وترجم معظم كتبه الى العربية ، صنف اكثر من خمسين كتابا ، كان دمث الاخلاق ، حسن الرأى ، اتهمه خصومه بالزندقة ، مات في مراكش ودفن في قرطبة سنة ٥٩٥ هـ / شذرات الذهب (٤ : ٣٢٠) .

تركيب لأن الكثرة في كل الخلق وليست فيه البتة) "١" •

ولست هنا بسبيل الرد على هذا القول والاعتراض عليه ، ولسوف يأتي هو والرد عليه عندما نتحدث عن رأى الشيخ محمد عبده في الوحدانية باذن اللـــــــه •

---

١ ــ التفكير الفلسفي في الاسلام ، لعبد الحليم محمود ، الطبعة الثانية ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٨م
(٢ : ٣٢٠) •

ب : اثبات وجود الله تعالى "

================

مسلك الشيخ " محمد عبده " :

===================== لقد سار الشيخ " محمد عبده " في الاستدلال على وجود البارى في طريقين :-

الاول : اثبات وجود الممكن ، والممكن يقتضي بالضرورة وجود الواجب وهو الله سبحانه .

الثاني : اثبات حدوث العالم ، وحدوث العالم يقتضي بالضرورة أن له محدثا وهو الله سبحانه .

واليك البيان :-

١ - الطريق الأول : " دليل الامكان " :

============ قسم الشيخ " محمد عبده " العلوم الى ثلاثة اقسام ، هي :-

١ - ممكن لذاته : وهو مالا وجود له ولا عدم من ذاته ، وانما يوجد لموجد . ويعدم لعدم سبب وجوده .

٢ - واجب لذاته : وهو ما كان وجوده لذاته من حيث هي .

٣ - مستحيل لذاته : وهو ما كان عدمه لذاته من حيث هي .

ثم شرع الشيخ " محمد عبده " في بيان حكم المستحيل ، وهو أن لا يطرأ عليه وجود ، وان العدم من لوازم ماهيته من حيث هي .

وانتقل الى بيان احكام الممكن وهي :-

أ - الممكن لا يوجد الا بسبب ولا ينعدم الا بسبب .

ب : الممكن ان وجد يكون حادثا .

ج : الممكن لا يحتاج في عدمه الى سبب وجودى .

د : الممكن كما يحتاج للسبب في وجوده يحتاج اليه في بقائه .

ثم انتقل الى البرهنة على ان الممكن موجود قطعا فقال :ـ

(نرى أشياء توجد بعد أن لم تكن ، واخرى تنعدم بعد ان كانت ، كأشخاص النباتات والحيوانات .

فهذه الكائنات : اما مستحيلة أو واجبة أو ممكنة .

لا سبيل الى الاول ، لان المستحيل لا يطرأ عليه الوجود .

ولا الى الثاني ، لان الواجب له الوجود من ذاته ، وما بالذات لا يزول فلا يطرأ عليه العدم ، ولا يسبقه ، فهي ممكنة ، فالممكن موجود قطعا) "١".

وفي النهاية أخذ يستدل على وجود الواجب ، بعد أن أثبت قطعية وجود الممكن فقال :ـ

(جملة الممكنات الموجودة ، ممكنة بداهة ، وكل ممكن محتاج الى سبب يعطيه الوجود ، فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها الى موجد لها ،

فاما أن يكون عينها : وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه .

واما أن يكون جزأها : وهو محال لاستلزامه ان يكون الشيء سببها لنفسه ولما سبقه ، ان لم يكن الأول .

ولنفسه فقط ان فرض أول ، وبطلانه ظاهر .

فوجب ان يكون السبب وراء جملة الممكنات ، والموجود الذى ليس بممكن هو الواجب .

اذ ليس وراء الممكن الا المستحيل والواجب ،

والمستحيل لا يوجد فيبقى الواجب .

---

١ ـ رسالة التوحيد الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٦٨) .

فثبت ان للممكنات الموجودة موجدا واجب الوجود .

وايضا الممكنات سواء كانت متناهية او غير متناهية قائمة بوجود .

فذلك الوجود :ـ اما ان يكون مصدره ذات الامكان وماهيات الممكنات وهو باطل لما سبق في احكام الممكن ، من أنه لا شيء من الماهيات الممكنة بمقتض للوجود .

فتعين ان يكون مصدره سواها ، وهو للواجب بالضرورة)» "١"

٢ ـ الطريق الثاني : " حدوث العالم "

== ==============

لقد سار الشيخ " محمد عبده " شوطا طويلا في هذا الطريق ، وتكلم كثيرا في هذا الموضوع ، فأورد مقالات الفلاسفة ، وحللها وناقشها ، وبين ان الناس في ذلك فريقان :ـ

١ ـ فريق قال بحدوث العالم ، وهؤلاء أصابوا .

٢ ـ وآخر قال بقدمه ، وهؤلاء اجتهدوا فأخطؤا في نظرهم ، ولم يسددوا مقدمات أفكارهم .

ولا شك عندى في أن الشيخ " محمد عبده " كان فيلسوفا كبيرا ، ماهرا وهو يشقق القول ويبرهن على حدوث العالم ، ويرد على الحكماء والفلاسفة .

فلم يترك مسألة الا وتراه يدلي بدلوه فيها ، فجاء برهانه في غاية الدقة ، وقوة الملاحظة ، وبديع الكلام ...

---

١ ـ نفس المصدر ص ٣٦٩ .

وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، للدكتور سليمان دنيا (١ : ١٥٤ ـ ١٥٥) ، (١ : ٢٥١).

وجملة ما استدل به على حدوث العالم هو :ـ

هذا العالم واجب الحدوث ، لأن لكل معلول علة ، وذات العلة مباينة لذات المعلول ، ولا بد أن يكون وجود المعلول في الآن الثاني لوجود العلة حتى تتحقق الافادة والاستفادة .

لأن معنى العلة : ما هو معطي الوجود .

ومعنى المعلول : ما هو مستفيد الوجود من غيره .

وبعبارة أخـــرى :

ان هذا العالم لابد وان يكون واجب الحدوث ، لان لكل حادث محدث .

والحادث غير المحدث قطعا .

والمحدث سابق للحادث بالضرورة حتى يكون هناك مفيد ومستفيـد ، وحتى تتصور الافادة .

وبعبارته هو يقول :ـ

(وأما وجوب حدوثه ، فلأنا لا نعلم من معنى العلة الا ما هو معطي الوجود ، ولا من معنى المعلول الا ما هو مستفيد الوجود من غيره ...

ومن البين أنه لابد ان تكون ذات العلة ، مباينة لذات المعلـول ، حتى يتحقق المفيد والمستفيد ، وتتصور الافادة .

والمستفيد بذاته ليس واجدا ما يستفيده ، اذ لو كان واجدا لــه ، لم تتحقق الاستفادة ، اذ تكون تحصيل الحاصل ، وهو محال .

وليس المفاد ههنا الا نفس الذات المعلولة ، ووجودها .

واذا كان المفاد مسلوبا ، فقد كان الذات معدوما .

وافادتها اخراجها من العدم .

فاذن : رجع معنى الافادة الى اخراج الممكن من العدم الى الوجود .

والاخراج من العدم يستدعي سبق العدم .

فما من ممكن ومعلول الا وقد سبق وجوده عدمه ، سبقية لا تجتمع
مع المسبوقية . اذ لو اجتمعا للزمه كونه مخرجا من العدم ، في حال كونه
لم يكن فيه .

اى في حال وجوده وهو تحصيل الحاصل .

والحاصل أن البداهة شاهدة بأن اعطاء شيء لشيء ، في آن كون
ذلك الشيء حاصلا للمعطى له ، انما هو تحصيل حاصل .

بل لابد أن يتحقق حال للمعطى له ، لم يكن له المعطى حتى
يتصور اعطاء ، وهذا ظاهر .

فقد ثبتت كلية المقدمة القائلة : العالم حادث ، وهو
المطلوب) . "١"

===

---

١ ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين . دكتور سليمان دنيا ،
(١ : ١٧٩ ـ ١٨٠) .

" التعليق على مسلك الشيخ محمد عبده "

=========================

لقد سلك الشيخ محمد عبده في الاستدلال على وجود الباري عز وجل مسلكين هما :-

الاول : مسلك الفلاسفة

وخلاصته : الموجود إن كان واجبا فهو المطلوب ، والآ استلزمه ، لاستحالة الدور "١" والتسلسل "٢".

الثاني : مسلك جمهور المتكلمين .

وخلاصته : هذا العالم حادث ، ولا بد له من محدث ، هو الله تعالى .

١ - مناقشة المسلك الاول :

=================== أما هذا المسلك فقد قلد فيه الشيخ محمد عبده ، جمهور الفلاسفة ، في الاستدلال على وجود الواجب . وهو مسلك

---

١ - الدور : معناه أن الموجد المؤثر قد أوجد شيئا هو المعبر عنه "بالأثر" ، وان يكون ذلك الاثر هو الموجد للمؤثر فيه . بمعنى ان يتوقف الشيء على نفسه .

٢ - التسلسل : معناه ان يتوقف كل موجود على موجد ، وهذا الموجد يتوقف على آخر يوجده ، وذلك على موجد أيضا الى مالا نهاية . بلا نتيجة .

انظر كتاب : الله بين الفطرة والدليل بقلم الشيخ محمد حسن الياسين ، المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م ص ٢٢ .

لا يخلو من النقد والاعتراض عليه .

لأن الشيخ محمد عبده يريد أن يقول :ـ

ان الموجود اما واجب لذاته أو ممكن .

لأن الموجود اما ان تستلزم وتقتضي حقيقته الوجود ، بحيث يأبى العدم ولا يقبله ، او لا تقتضي حقيقته الوجود ولا تستلزمه بل الوجود والعدم اليها سواء .

فالاول هو الواجب لذاته .

والثاني هو الممكـــن .

ولما كانت جملة الممكنات ، ممكنة . والممكن لا يوجد الا بسبب يمنحه الوجود . فهذا لا يخلو من أحد احتمالات ثلاثة :

الأول : اما ان يكون عينها ،

الثاني : اما ان يكون جزأها ،

الثالث : اما ان يكون غيرها .

والاول باطل ، وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه ، ولأن الشيء لا يكون علة لنفسه .

والثاني باطل ، وهو محال ايضا لاستلزامه ان يكون الشيء سببا لنفسه ، ولما سبقه اذا كان ذلك الجزء علة لجميع السلسلة .

فثبت الثالث ، ووجب ان يكون السبب وراء جملة الممكنات . والخارج عن جملة الممكنات واجب بالذات . فثبت المطلوب .

وهنا يتعارض قول الشيخ " محمد عبده " : " ان احتياج الممكن الى اجزائه يؤدي الى احتياج الشيء الى نفسه وهو باطل " . مع قول الفلاسفة في الواجب: " انه يتركب من ذات وصفات ، ولا يجوز ان يتركب من أجزاء ، وحاجته الى اجزائه هي حاجته الى نفسه ، وحاجة الواجب الى نفسه ليست مستحيلة ".

كان الأولى بالشيخ " محمد عبده " وهو يركب سنن الفلاسفة أن يدلل على وجود البارى عز وجل بأسلوب سهل يسير من غير تعقيد ولا تضييق .

فيقول مثلا "١" :ـ

هل خالق العالم واجب لذاته أو ممكن كسائر المخلوقات ؟

والجواب : ان هذا الصانع الخالق لابد ان يكون واجبا لذاته ، والا كان ممكنا قطعا . فلا يصلح خالقا .

لأنه وقد فرض ممكنا لا وجود له من حيث ذاته كما هو حقيقة الممكن . فهو من حيث ذاته فاقد الوجود ، واذا فلا يكون مانحا لغيره الوجود ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه أو كما يقول أهل الفقه : "ان الايجاد بعد مرتبة الوجود " .

بمعنى : أن الحديث عن الايجاد انما يكون بعد ثبوت الوجود ، اذ لا يعقل ايجاد شيء الا بعد وجود ذلك الشيء .

فان قيل : لعل وراء هذا الخالق الممكن ، خالقا آخر منحه الوجود وأوجده ، فيصلح اذا ان يكون خالقا ومانحا الوجود لهذا العالم .

ويجاب عليه : ذلك الخالق الاخر ان كان ممكنا لا يصلح ان يمنح الوجود لغيره لانه وقد فرضناه ممكنا فلا وجود له من حيث ذاته كما هو حقيقة الممكن . واذا فلا يمنح الوجود لغيره .

وان كان واجبا لذاته كان هو الخالق الواجب لذاته فيكون هو الاله المطلوب .

---

١ ـ من كلام الشيخ محمد يوسف الشيخ رحمه الله ، في محاضرة ألقاها على طلاب السنة التحضيرية في مادة " نصوص عقيدة " لعام ١٣٩٧هـ / ١٣٩٨ هـ .

فان قيل : نختار ان الخالق الثاني ممكن •

فيرد عليهم بأنه لا يصلح ان يمنح الوجود للخالق الاول لأنه وقد فرضناه ممكنا فهو فاقد الوجود لذاته •

فان قيل : ان وراء الخالق الثاني خالقا ثالثا ممكنا أيضا منح الوجود للخالق الثاني •

قلنا : ومن منح الخالق الثالث الوجود ؟

قالوا : منحه خالق رابع ، وهكذا الى مالا نهاية • فليس هناك خالق واجب الوجود لذاته كما هو معروف في العقيدة الاسلامية •

ويجاب على قولهم هذا بما يلي :ـ

ان هذا يعني وجود سلسلة من الخالقين كل فرد منها ممكن •

اذا كل فرد منها لا وجود له من حيث ذاته • فهو فاقد الوجود من حيث ذاته •

اذا فلا يكون اى فرد من هذه السلسلة خالقا ، واذا لا مخلوق أصلا لانه لا خالق •

وهذا باطل مشاهدة وحسا ، فهناك ارض مخلوقة ، وسماء مخلوقة ، وحيوان مخلوق ، ونبات مخلوق •••• الى آخر المخلوقات •

وخلاصة القول :

اذا كان هناك مخلوق ، فلا بد في النهاية من خالق واجب الوجود لذاته • والا فلا مخلوق اصلا وهو باطل مشاهدة وحسا •

واذا كان هناك خالق واجب لذاته فقد ثبت الاله والالوهية • وهذا هو المطلوب •

والا لزم أحد أمرين

الأول : الدور : وهو باطل لأنه ينتهي الى توقف الشيء على نفسه •

الثاني : التسلسل : وهو باطل لأنه لا يوصل الى نتيجة •

ولما كان الدور والتسلسل باطلين ، فقد ثبت أنه لابد من الاقرار بوجود صانع

موجد واجب الوجود لذاته ، وهو الله تعالى .

٢ ـ مناقشة المسلك الثاني :ـ

أما المسلك الثاني فقد سلكه كثير من العلماء ، كأبي منصور الماتريدي "١" ، وابن حزم الظاهري "٢" ، وعضد الدين الايجي "٣" ، والقاضي عبد الجبار "٤" من المعتزلة ، وهؤلاء جميعا على اختلاف مذاهبهم ، وتباين طرقهم واستدلالاتهم في اثبات المحدث فانهم اتفقوا في النتيجة النهائية وهي :ـ

---

١ ـ انظر كتابه : التوحيد ، تحقيق الدكتور فتح الله خليف ، طبعة دار المشرق بيروت لبنان ـ ص ١٢ .

٢ ـ انظر كتاب : ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه ، للشيخ محمد ابو زهرة ، ص ٢٢ دار الفكر العربي .

٣ ـ انظر كتاب : المواقف ص ٥ الموقف الخامس ، بشرح الجرجاني . عبد الرحمن بن احمد بن عبد الغفار البكري الايجي الشيرازي . عضد الدين . كان اماما في المعقولات ، والمعاني والبيان ، والنحو ، أشهر مؤلفاته : المواقف ،والعقائد العضدية ، وجواهر الكلام . توفي سنة ٧٥٦ هـ

انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين ابي نصر عبد الوهاب ابن علي السبكي . تحقيق محمود محمد الطناجي ، وعبد الفتاح الحلو ، الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥م عيسى البابي الحلبي (١٠ : ٤٦ ـ ٤٧) .

٤ ـ انظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٩٤ ـ ٩٦ . وانظر كتاب : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، دار الكتب العلمية ، تحقيق الدكتور رشاد سالم (١ : ١٠٧) .

" هذا العالم حادث ولا بد له من محدث هو الله تعالى "

وهذا المسلك الذى أخذه الشيخ محمد عبده عن المتكلمين ، لا يتعارض دليله مع العقل السليم ، ولا يتنافي مع الشرع الحنيف •

وقد استدل به السلف بطريقة علمية مختصرة هي :ـ

اننا نشاهد من حدوث الحوادث ، حدوث المخلوقات من حيوان ونبات وجماد •••• الى آخرها • وهي ليست ممتنعة حيث وجدت ، ولا هي واجبة الوجود بنفسها لانها كانت بعد ان لم تكن •

فحدوثها دليل على المحدث لها ، المخالف لما هي عليه ، وهو الله تبارك وتعالى • "١"

وهذه الطريقة كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية شرعية وعقلية •

فهي شرعية :

لأن القرآن ارشد اليها وبينها ، وهدى الناس اليها في كثير من آياته :

قال تعالى : " ويقول الانسان أ اذا مامت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا " "٢"

وقال : " وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم ، قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق

١ ـ انظر شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ، تقديم حسنين محمد مخلوف ، دار الكتب الحديثة الطبعة الاولى ص ١٥ ـ ١٦ •
وانظر : شرح حدوث النزول ، لابن تيمية ص ٢٨ المكتب الاسلامي الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م •

٢ ـ سورة مريم الايات (٦٦ ، ٦٧) •

علـــيم "١".

وهي عقليـــه :

لأن العقل السليم استطاع ويستطيع أن يتنبه اليها ، ويدركها من غير أن يرشده اليها شرع حنيف . "٢"

وحاصله :

أن اثبات وجود الله أمر في غاية اليسر والسهولة . لا يحتـاج الى مقدمات ونتائج ، ولا يكون بهذا التعقيد الذى قد لا يفيد القارئ شيئا ، ولا يقربه الى الايمان خطوة .

ومع تحفظي من المسلك الأول الذى سلكه الشيخ محمد عبده ، وهو مسلك الفلاسفة ، وقبولي للمسلك الثاني وهو مسلك المتكلمين ، فانني أرى أن طريق القران الكريم هي أقوى الطرق وأسهلها وأقربها الى عقول العامـة فضلا عن الخاصة في اثبات وجود الله سبحانه . وذلك ببيان عظمته في خلقه وسيطرته على كل ما في العالم ، وبيان عنايته ورعايته لما في الكون ، واتقانـه لكل ما فيه من قوى ونواميس ، وسنن وقوانين ... الخ .

وهذا الطريق استخدمه الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون ، ومن تبعهم ، ولا يزال يستخدمه كثير من المسلمين الى يومنا هذا .

وهو الطريق الذى أؤيده وأسير عليه ، لأنه الاولى ، والأسلم وبه يثاب العبد ، ويجزى الخير الكثير .

---

١ — سورة يس الايات (٧٨ ، ٧٩) .

٢ — انظر كتاب : النبوات ، لابن تيمية ، ص ٤٨ ، مكتبة الريـاض الحديثـــة .

" الرأى المختار في الاستدلال على البارى تعالـــى "

===========================

وأنا على طريق القران في الاستدلال على الخالق عز وجل ، لأن في القران براهين عقلية واضحة ، يفهمها الجميع ، تقود الى الحق والى صـــراط مستقيم .

قال تعالى : " وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " "١"

لذلك كله ، وحتى لا أنهج سبيل الفلاسفة وغيرهم ، اخترت طريق القران الكريم . الطريق الوحيد الذى يهدى من اتبعه سبل السلام ، ويصل به الى معرفة البارى عز وجل على اكمل وجه .

وهذا الذى اخترت ، هو طريق السلف أيضا ، فهم يصرحون بأن وجود الله أمر فطرى ، تشهد به الفطر السليمة من غير دليل .

وايضا : فان اثبات وجود الله من حيث هو موجود لم يكن هدفا من الأهداف القرانية ، ولا مما جاء به الرسل عليهم السلام ، لأنه سبحانه أبين وأظهر من ان يجهل فيطلب الدليل على وجوده . وهذا ما صرح به كبار أئمة السلف وعلمائهم .

قال حجة الاسلام أبو حامد الغزالي : (بعث الانبياء ـ صلوات الله عليهم ـ لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا " لا اله الا الله " وما أمروا أن يقولوا : لنا اله ، وللعالم اله ، فان ذلك كان مجبولا في فطرهم من مبدأ نشوئهم ، وفي عنفوان شبابهم ، ولذلك قال عز وجل " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله " "٢" . وقال : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطـــر

---

١ ـ الانعام اية (١٥٣) .

٢ ـ لقمان اية (٢٥) ، الزمر اية (٣٨) .

الناس عليها "١".

فاذا في فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن اقامة البرهان) "٢".

وسمع الامام ابن القيم رحمه الله "٣" ، شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :ـ

كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء ؟

وانه كثيرا ما كان يتمثل بهذا البيت :ـ

وليس يصح في الاذهان شـــيء ، اذا احتاج النهار الى دليــــل "٤"

قال ابن القيم : (ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها) "٥".

---

١ ـ الروم آية (٣٠)

٢ ـ احياء علوم الدين ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفـــة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ (١ : ١٠٥).

٣ ـ محمد بن أبي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي . الشهير بابن القيم ، ركن من اركان الاصلاح الاسلامي ، وأحد كبار العلماء ، تتلمذ لشيخ الاسلام ابن تيمية ، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، وأهين وعذب بســــببه مات سنة ٧٥١ هـ / الاعلام (٦ : ٢٨٠).

٤ ـ هذا البيت من كلام أبي الطيب المتنبي . انظر ديوانه بشرح العكبـــرى المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، تحقيق مصطفى السقا ، وابراهـــيم الأبيارى ، وعبد الحفيظ شلبي ، طبعة سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م ، مصطفى البابي الحلبي بمصر . (٣ : ٩٢) وفيه بدل " الاذهان " " الافهام ".

٥ ـ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، لابن القـــيم ، دار الفكر العربي (١ : ١٦٠).

وهناك من انحرفت فطرهم ، فقالوا : ان العالم لم يزل ، وهم الدهرية. "١"
وقد رد القران عليهم بما يضطرهم الى الاعتراف بالحق ، والرجوع الى الصواب .

وفي عصرنا هذا وجد من ينكر الله تعالى ، ويتهم الدين بأنه مخدر للشعوب وذلك تحت تأثير المذاهب الهدامة ، بسبب تعارض الدين ، وعقيدة الاله مع صالح هذه المذاهب أو مبادئها ...

والقران الكريم في معرض الحديث عن البارى عز وجل ، والاستدلال عليه سلك مسلكين متوازيين متقابلين .

فهو اذ يرد على من انحرفت فطرهم أو اختفت بسبب عوامل أخفت فيهم هذه المعرفة الالهية ، يوجه الناس الى النظر في الكون الفسيح للتعرف على عظمة الله وقدرته ، واحكام صنعه واتقانه ، وعنايته التامة بكل ما في العالم من تناسق ، وتضامن ، وانسجام وائتلاف ، وترابط بين اجزائه ووحداته ...

١ ـ المسلك الاول : الرد على من انحرفت فطرهم :
==============

أقول : ان تحقق التدين الاجمالي أمر مركوز في النفوس . وان معرفة الرب والاقرار به خالقا وصانعا فطرة فطر الله الناس عليها ، لا فرق في هذا بين مسلم ويهودى ، ونصراني ... وملحد .

---

١ ـ طائفة قديمة تنكرت الصانع وزعمت ان العالم قديم ، ولم يزل الحيوان من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون ، فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر ، اوكما يقولون : ارحام تدفع وارض تبلع والمهلك هو الدهر . / انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

الا ان هذه الفطرة قد تختفي وراء غواش طارئة ، أذكر منها :ـ

١ ـ تلك الشبهات المختلفة ، والأفكار الخبيثة التي يشيعها الملاحدة ، والاباحيون في مختلف العصور ، وفي كل مكان ، صدا عن سبيل الله ، وتحللا من الشرائع والأديان ، ومن القيم النبيلة ، ومكارم الأخلاق ، ولا سيما تلك المذاهب الحديثة كالشيوعية "١" ، والعلمانية "٢"، والعقلانية "٣" .... الخ ، التي تسعى في اصرار عنيد الى هدم المثل العليا الفاضلة ، تدعو أول ما تدعو الى نبذ الدين والكفر برب العالمين . "٤"

---

١ ـ انظر نقض أوهام المادية الجدلية ، للبوطي .

٢ ـ معناها : اقامة الحياة على غير اساس من الدين / انظر كتاب : العلمانية نشأتها وتطورها واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، سفر عبد الرحمن ، دار مكة للطباعة والنشر ١٤٠٢ / ١٩٨٢م ، ص ٢١ ـ ٢٤ ، الطبعة الاولى .

٣ ـ التي تؤمن بما يقع تحت مجهر الحس والعقل فقط ، وتنكر ما وراء الطبيعة او ما يسمى بالميتافيزيقا .

٤ ـ انظر كتاب : الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الاوروبيين ، اشرف على تحريره جون كلوفر ترجمة الدمرداش عبد الحميد سرحان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١م ص ٣٣ .

٢ ـ انصراف الانسان الى ملذاته و وشهواته ، لا سيما تلك التي حرمها الله تعالى وحث على تركها الرسل الكرام . بل ان الانسان في مشاغله المباحة الضرورية ينس في كثرتها ، وقسوتها ما استكن في نفسه من الفطرة ، خصوصا اذا توفرت له البيئة الفاسدة التي هي من اشد العوامل خطورة على الفطرة . "١"

٣ ـ التقليد والتعصب الأعمى للمذهب ، وفي ذلك ابطال شرف العقل ومكانته ، لأنه انما خلق للتأمل والنظر ، وفيه ايضا حجر على المواهب واقفال لمنافذ المعرفة . "٢"

٤ ـ المبالغة في تعظيم بعض المخلوقات وتقديسها ، الى حد عبادتها والتوجه اليها ، وهذا يخفي في الانسان ما فطر عليه من عقيدة الخالقية والربوبية وتقديسها . "٣"

تلك هي بعض العوامل التي قد تختفي وراءها الفطرة ، والتي لو انقشعت ، لظهرت الفطرة واضحة جلية ، ولرجع الانسان بفطرته الى ربه .

---

١ ـ انظر كتاب : عقيدة المسلم ، للشيخ محمد الغزالي ص ١٧ .

٢ ـ انظر كتاب : مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، محمد المجذوب ، ط ٢ ، دار الاعتصام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م ص ٢٢ .

٣ ـ انظر كتاب : دستور الاخلاق في القران ، محمد عبد الله دراز ، تعريب وتحقيق وتعليق الدكتور : عبد الصبور شاهين ، مراجعة الدكتور السيد محمد بدوى ، مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية ، الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م ص ١٩٨ / وانظر كتاب : تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء ، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزى ، تحقيق خير الدين علي ، بيروت ، دار الوعي العربي ص ٦٩ .

ولقد جاء في القران ما يرد على هؤلاء في كثير من الايات . فقد رد على الدهرية :

قال تعالى : " وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر " . "١"

فكذبهم وقال :

" وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون " "٢" .

اى ان قولهم هذا مبني على الظن والتخمين ، لان من كان يريد الحق يكفيه النظر الى حدوث الحياة في الاجسام ، وفي هذا الدليل الكافي على ان هناك موجدا للحياة ، ومنعما بها وهو الله سبحانه .

وان ظهور الحياة في حد ذاته دليل للاقناع بوجود الاله الخالق .

قال تعالى : " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له " "٣" .

وقال : " فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق " "٤"

وقال : " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت " . "٥"

وقد رد الله عليهم بضرورات فكرية ، وايات فطرية .

منهـــا :ـ

١ ـ قوله تعالى حاكيا قول رسل الامم المنكرة للخالق : " قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض " . "٦"

---

١ ـ سورة الجاثية اية (٢٤) .

٢ ـ سورة الجاثية اية (٢٤) .

٣ ـ سورة الحج اية (٧٣) .

٤ ـ سورة الطارق الايات (٥ ـ ٦) .

٥ ـ سورة الغاشية اية (١٧) .

٦ ـ سورة ابراهيم اية (١٠) .

فهو سبحانه لا يحتمل الشك ، لظهور الادلة وشهادتها عليه •

٢ ـ قال تعالى : " الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ، ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد " " ١ "

٣ ـ وقال تعالى : " ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين " " ٢ "

٤ ـ وقال تعالى : " قل أئنكم تكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين " " ٣ "

٥ ـ وقال تعالى : " ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير " " ٤ "

٦ ـ وقال تعالى : " اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء " " ٥ "

٧ ـ وقال تعالى : " قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار " " ٦ "

٨ ـ وقال تعالى : " أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين " " ٧ "

٩ ـ وقال تعالى : " ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون " • " ٨ "

---

١ ـ سورة ابراهيم اية (١٩) •
٢ ـ سورة المؤمنون اية (١٧) •
٣ ـ سورة فصلت اية (٩) •
٤ ـ سورة الشورى اية (٢٩) •
٥ ـ سورة الاعراف اية (١٨٥) •
٦ ـ سورة الرعد اية (١٦) •
٧ ـ سورة النمل اية (٦٤) •
٨ ـ سورة الروم اية (٢٠) •

١٠ _ وقال تعالى : " أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد "[١]

هذا غيض من فيض من ايات الله الدالة على الخالق سبحانه ،

وهي أدلة بينه في نفسها ، لا تحتاج الى فلسفة متفلسف ، أو كلام متكلم .

هذا وان الوقوف على الاختراع الحقيقي في الموجودات يهب قطعا معرفة المخترع وهو الله سبحانه .

وقد أكد الله سبحانه هذا بقوله : " أم خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون "[٢]

هذه الاية الكريمة تضطر المتفكر ، المتمعن فيها الى الاعتراف بأن الشيء لا يخلق نفسه ، ولا يخلق من غير خالق . فلا هذا ولا هذا بل هو الله خالق كل شيء ابتداء واعادة . "٣"

قال تعالى : " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا "[٤]

---

١ _ سورة ق اية (١٥) .

٢ _ سورة الطور الايات من (٣٥ _ ٣٦) .

٣ _ انظر تفسير ابن كثير " تفسير القران العظيم " ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠م (٦ : ٢٦٩ ، ٤٣٦) ، وانظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه التأويل ، وهو تفسير القران الكريم ، لمحمود بن عمر الزمخشري . مطبعة الاستقامة ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ _ ١٩٥٣م (٢ : ٣٦٩) ، (٣ : ٥١٢ _ ٥١٣) ، (٤ : ٢٥) .

٤ _ سورة الانسان الايات من (١ _ ٢) .

وهي ايضا دليل واضح يفهمه كل من اوتي نصيبا من التفكير ، وسمح لعقله أن ينظر فيها من غير تقييد أو تقليد ، بعيدا عن التعصب الأعمى والمكابرة البغيضة .

وله أن يقول فيها كما نقول :ـ

يستنكر الله في هذه الاية حالتين وفرضين ، هما :

١ ـ يستنكر ان يخلقوا من غير خالق .

٢ ـ ويستنكر ان يخلقوا أنفسهم .

وهذا الذى استنكره واضح البطلان بالضرورة . اذ كيف يخلق الشيء من العدم من غير خالق وموجد ؟ .

وأبعد من هذا ان يخلقوا أنفسهم .

فالخالق بداهة غير المخلوق ، بل هو متقدم عليه ، فكيف يكون المخلوق هو الخالق ؟ .

وكيف يتقدم الشيء على نفسه ؟

فالنتيجة الحتمية أنه لا بد لهم ـ بل لكل مخلوق ـ من خالق آخر غيره .

وهكذا ، جرى الكتاب المبين في عديد من اياته البينة أن يستدل بالخلق على الخالق .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(ان الاستدلال بهذه الطريقة فطرى بديهي ، مستقر في النفوس لا يمكن لأحد أن ينكره ، يقول :ـ أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ فهذا ممتنع في بداهة العقل . أم هم خلقوا أنفسهم ؟ ، فهذا أشد امتناعا . فعلم ان لهم خالقا خلقهم وهو الله سبحانه .... وقد ذكر الدليل بصيغة استفهام الانكار ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس لا يمكن لاحد انكارها ، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون

محدث أحدثه ، ولا يمكنه أن يكون هو أحدث نفسه) . "١"

والاستدلال بهذه الطريقة ، وبهذا الاسلوب ، استدلال عقلي ايضا لا ينكره الا مسلوب العقل ، أو غافل ، أو معطل جاحد .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

(فسل المعطل الجاحد ما تقول في دولاب دائر على نهر ، قد أحكمت آلاته واحكم تركيبه ، وقدرت الاته أحسن تقدير ، وقد جعل على حديقة عظيمة فيها من انواع الثمار والزروع ، يسقيها حاجتها ، وفي تلك الحديقة من يلم شعثها ، ويحسن مراعاتها ، اترى ذا اتفاقا "٢" من غير فاعل ، ولا قيم "٣" ولا مدبر ؟ أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان ؟ وما الذى يفتيك به وما الذى يرشدك اليه ؟) "٤"

وان من اكثر الايات القرانية دلالة ووضوحا في الاستدلال ، اية سورة العلق ، وهي قوله تعالى :

(اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق) "٥".

---

١ ـ الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، طبعة بومباى ، ١٩٦٨م ، ص (٥٢ ـ ٥٣) .

٢ ـ يعنى صدفة .

٣ ـ القيم : الخادم الذى يرعى شؤون الحديقة .

٤ ـ كتاب : مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم والارادة ، لابن القيم ، طبعة القاهرة ١٣٢٣ هـ (١ : ٢٢٥) .

٥ ـ سورة العلق الايات من (١ ـ ٢) .

فهذه أول اية من اول سورة انزلت في القران الكريم "٢" ، تضع الانسان مباشرة امام كثير من الاسئلة والتساؤلات التي لا مناص ازاءها من الاقرار ، والتسليم بمقصودها الا وهو الاعتراف بالخالق .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

فذكرت الخلق مطلقا ومقيدا ، لتنبه الانسان في كل أحواله ان هذا الخلق لابد له من خالق ، ثم ذكرت خلق الانسان من علقة ، ليكون الانسان نفسه هو الدليل الذى يستدل به على خالقه ، وهذا دليل فطري يعرفه كل فرد من داخل نفسه . "٢"

وهكذا يتفق السلف "٣" ، ومعهم جمهور غفير من المتكلمين "٤" ، وبعض الفلاسفة "٥" من المسلمين ، على أن أدلة القران في الاستدلال على وجود الله هي ادلة سمعية ، وعقلية ، وشعورية ونفسانية فطرية ، لا يسع الانسان السوى ، صاحب العقل السليم والنفس المطمئنة ، والاحساس الحي الا ان يسلم بها تسليما ، ويقول ربي الله خالق كل شيء .

---

١ - انظر كتاب الثقافة الاسلامية ، تأليف نخبة من العلماء المسلمين ، تقديم الدكتور راشد الراجح الشريف ، جامعة ام القرى ، المستوى الثاني ص (١٠) / ومجموع الفتاوى ج ١٦ ص ٢٥٤ .

٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ١٦ (٢٦٠ : ٢٦٢) بتصرف ، تصوير الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .

٣ - انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد ، تأليف الدكتور محمود احمد خفاجي ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م (١ : ١٥٤) .

٤ - انظر : الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني ، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م (٣ : ٧٩ - ٨٠) .

٥ - انظر : مناهج الادلة في عقائد الملة ، ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد ، مع مقدمة محمود قاسم وتحقيقه ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

٢ ــ المسلك الثاني : العناية الالهية بما يرى في العالم :

==============

النظر الى هذا الكون الفسيح ، وما فيه من اتقان وابداع ، ونظام دقيق رتيب ، يشهده اجمالا جميع الناس ، لا فرق بين عالمهم وجاهلهم .... ويشهده تفصيلا اولئك الذين تخصصوا في كثير من العلوم الكونية كعلم الفلك ، وعلم الطب ، وعلم الحيوان والنبات ، وعلم طبقات الارض ، وعلم الفضاء في العصر الحاضر ... الخ .

لقد اكتشف هؤلاء من أسرار الكون وآياته ، ما خفي على جماهير الناس ، وعامتهم ، وصدق الله العظيم " سنريهم اياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد " "١" .

فان هذه النظرات في الانفس والافاق ، تشهد بما لهذا الكون من رب وصانع ، ومن هنا كان هذا العامل ، منبها للفطرة ، حيث ينتهي هذا النظر الى النتيجة التى فطر الناس عليها .

ونتكلم في هذا المسلك القرآني بشيء من التفصيل ، فنقول :

ان الحس المجرد ، بواسطة العين ، وما تراه من سماء مرفوعة بغير عمد ، امتلأت بالكواكب والنجوم ، كل منها يتحرك في مدار لا يخطيء " لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " "٢" .

وأرض مبسوطة فيها البحار والانهار ، والجبال والسهول والوديان وفي بطنها ألوان من المعادن كثيرة " وفي الارض ايات للموقنين " . "٣"

---

١ ــ سورة فصلت اية (٥٣) .
٢ ــ سورة يس اية (٤٠) .
٣ ــ سورة الذاريات اية (٢٠) .

كل ذلك يكفي الناظر الى الالتفات الى موجد ذلك ومبدعه .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

(فالايات المخلوقة والمتلوة ، فيها تبصرة ، وفيها تذكرة ، تبصرة من العمى ، وتذكرة من الغفلة ، فيبصر من لم يكن عرف فيعرف ، ويذكر من عرف ونسي) "١" .

وفي عجائب الكون آيات وآلاء ، واسرار وحكم ، ... ادهشت الباحثين حتى حيرتهم ، ولفتت انتباه السالكين حتى أوصلتهم الى ربهم ، فهذا البدوى البسيط ، استجاب لنظرة الى السماء والارض ، فما اروع ما قال : " ان البعرة تدل على البعير ، واثر الاقدام يدل على المسير ، فهيكل علوى بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة ، أما يدلان على اللطيف الخبير ؟ بلى .

يقول الاستاذ ابو الحسن الندوى :

(ان هذا الكون ملئ بالأسرار ، ملئ بالعجائب ، وان جماله ليبهر الألباب ، ويثير الدهشة والاستغراب) "٢"

ويقول الاستاذ دراز :

(فما ظنك بقصر السماء سقفه ، والارض قراره ، والجبال اوتاده والنبات زينته ، والشمس والقمر والنجوم مصابيحه ... او لا يكون احق بلفت النظر الى بارى ومصور حي قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى) "٣"

---

١ ـ كتاب : الايمان ، لابن تيمية ، تصحيح وتعليق محمد خليل هراس ، دار الطباعة المحمدية ص ٢٠٠ .

٢ ـ كتاب : النبوة والانبياء في ضوء القران ، ابو الحسن الندوى ص ١٣٧ .

٣ ـ كتاب : الدين ، محمد عبد الله دراز ص ١٢٢ .

أفلا يكون هذا اكبر شاهد على صدق الفطرة ، وان لهذا الكون صانعا ، فالتقى النظر والفطرة ، فتضافرت الفطرة والنظر الى هدف واحد وهو ان لهذا العالم صانعا مدبرا ، فكان النظر مجليا للفطرة حيث ينتهي النظر الى ما فطر عليه ،

ولنستمع الى ما قاله علماء الغرب المتخصصون في هذا الموضع "١":

١ - يقول أ . كريس موريسون "٢" : (لو أن حجم الكرة الارضية كان أكبر مما هو عليه أو أصغر ، ولو أن سرعتها كانت مختلفة عما هي عليه ، لكانت أبعد أو أقرب من الشمس مما هي عليه ، ولكانت هذه الحالة ذات اثر هائل في الحياة ، من كل نوع ، بما فيها حياة الانسان ، ولما أمكن وجود الحياة فوقها) "٣"

٢ - يقول فرانك ألن : "٤"

---

١ - انما استشهد بأقوالهم لان كثيرا من المرتدين من ابناء جلدتنا ، درسوا في الغرب نظريات داروين ، وماركس ، وهيجل ، وفرويد ... ، ولكي أقول لهؤلاء : شهد شاهد من أهله .

٢ - رئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك ، ورئيس اكاديمية العلوم فيها .

٣ - كتاب : العلم يدعو الى الايمان ، تأليف كريس موريسون ، ترجمة محمد صالح فلكي ، تصدير احمد حسن الباقوري ، تقديم احمد زكي ، الطبعة السادسة ، نيويورك ، القاهره مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ١٩٧١م ص (٥٣) .

/ وانظر : في ظلال القران لسيد قطب ، الطبعة الخامسة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م (٣ : ٢٥٥ - ٢٥٨) .

٤ - عالم الطبيعة البيولوجية ، دكتوراة من جامعة كورنك ، استاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتو بكندا ، اخصائي في ابصار الألوان والبصريات الفسيولوجية ، وانتاج الهواء السائل حائز على وسام تورى الذهبي للجمعية الملكية بكندا .

(ان البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية ،
وهي تتكون من خمسة عناصر : الكربون ، والايدروجين ، والنيتروجين ،
والاكسجين ، والكبريت ، ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد
(٤٠,٠٠٠) ذرة . أما الذرة فهي مؤلفة من جزئيات كهربائية سالبة ، وموجبة
والموجبة يطلق عليها اسم البروتون ،
والسالبة يطلق عليها اسم الالكترون ، وبعض الذرات فيها زيادة على ذلك شحنة
متعادلة تسمى " نيترون " ، والبروتون ، والنيترون يشكلان نواة الذرة ،
بينما الالكترون يشكل كواكبها السيارة التي تدور حولها بسرعة هائلة ، وحركة
اهليجية) "١"

يكفي هذا من علماء أجانب ، خصصوا معظم وقتهم للاطلاع والبحث ،
وصدق الله العظيم " أأنتم اشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ،
واغطش ليلها واخرج ضحاها ، والارض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها
ومرعاها ، والجبال ارساها متاعا لكم ولأنعامكم " "٢"

أما الانســـــان :
========== ففي خلقه اتقان واحكام ، وهو أقرب وأظهر من بقية المخلوقات
ومن ثم ، صيغ الأمر بالنظر في الاية في صورة الاستفهام الذى يشعر باللــــوم
والتقصير ،

---

١ - عن كتاب : الله يتجلى في عصر العلم ص ١٢ .
وانظر : كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، للشيخ نديم
الجسر ، الطبعة الثالثة بيروت ، المكتب الاسلامي - لبنان ١٣٨٩هـ
- ١٩٦٩م .
٢ - سورة النازعات الايات من (٢٧ - ٣٣) .

قال تعالى : " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " ." ١ "

فان أقرب شيء الى الانسان نفسه ، فاذا نظر فيها وجد آثار التدبير فيه ظاهرة ، والعناية الالهية تامة .

ومن أظهر ما يدركه المدرك ما جعل الله في الانسان من عينين واذنين وفم ، وفتحات البول والغائط وقد هيأها الله لتؤدى ما جعل اليها من اعمال ، فكملها بما يصونها مما يؤذيها ، لتؤدى مهمتها ، وقد وضعها في أماكن على وضع تبدو منه جميلة " فتبارك الله أحسن الخالقين " . " ٢ "

وقوام الانسان جميل ورشيق قال تعالى : " لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم " . " ٣ " ومهيأ لعمارة الارض والعيش فيها الى الاجل المحتوم ، قال تعالى " هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها " . " ٤ "

يمشي ، ويقعد ، يتحرك ويسكن ، خلق فيه القدمين والساقين ، والفخذين ثم الجذع وعلى جانبيه الذراعان ، ثم العنق ثم الرأس ، وفيه من الحواس الظاهرة والباطنه ما هو في امس الحاجة اليه :

قال تعالى : " ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين " " ٥ ".

وقال تعالى : " والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " . " ٦ "

---

١ ـ سورة الذاريات اية (٢٠) .
٢ ـ سورة المؤمنون اية (١٤) .
٣ ـ سورة التين اية (٤) .
٤ ـ سورة هود اية (٦١) .
٥ ـ سورة البلد الايات (٨ ـ ١٠) .
٦ ـ سورة النحل اية (٧٨) .

فكل مفكر يدرك في الانسان وخلقه ، اتقانا واحكاما بينا ، ويدرك تمام الادراك ان وراء هذا الاتقان الظاهر والاحكام البين أسرارا من الحكم ،

ومن ثم كان النظر في الأنفس عاملا ينبه الفطرة ، حيث انه يسوق الى ما تنطق به وهو الرب تعالى .

قال الشيخ الاشعرى رحمه الله :

(الانسان اذا فكر في خلقته من أى شيء ابتدأ ، وكيف دار في أطوار الخلقة ، طورا بعد طور ، حتى وصل الى كمال الخلقة ..... عرف بالضرورة أن له صانعا) "١"

وقال الامام ابن الجوزى "٢" رحمه الله :

(من أكبر الادلة على وجود الخالق ، ان هذه النفس الناطقة المميزة ، المحركة للبدن ، على مقتضى ارادتها ، والتي دبرت مصالحها ، وترقت الى معرفة الأفلاك ، واكتسبت ما امكن تحصيله من العلوم وشاهدت الصانع في المصنوع فلم يحجبها ستر وان تكاثف ، ولا يعرف مع هذا ماهيتها ، ولا كيفيتها ولا جوهرها ولا محلها ، .... ولا يفهم من اين جاءت ، ولا يدرى اين تذهب ، ولا كيف تعلقت بهذا الجسد ، وهذا كله يوجب عليها ان لها مدبرا

---

١ — انظر : الملل والنحل ، للشهرستاني ، الناشر مكتبة المثنى ببغداد (١ : ١١٩) .

٢ — ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزى ، احد كبار العلماء ، جمع نحوا من ثلاثمائة مصنف ، عالم بالتفسير والحديث ، والتاريخ والحساب والنجوم والطب ، والفقه . اثنى عليه كثير من العلماء ، كابن تيمية ، والحافظ الذهبي ، وابن خلكان توفي سنة ٥٩٧ هـ ببغداد ، ودفن بالقرب من مدفن احمد بن حنبل . / انظر مقدمة كتاب صيد الخاطر .

وخالقا تعرفه ، وكفى بذلك دليلا عليه) "١"

وأنا لا استطيع أن أحصي كل شيء عن الانسان ، وما زال العلم عاجزا عن معرفة كنهه . فهناك علم الاجنة ، وعلم الوراثة ، وعلم الانسجة ، وعلم التشريح وعلم الشكل الخارجي ... وعلوم اخرى غيرها ، يقف اصحابها مبهورين امام ايات الله في الانسان ، وكلما ازداد الانسان علما ، كلما ظهر جهله . "٢"

يقول ابن تيمية رحمه الله :

(والاستدلال على الخالق بخلق الانسان في غاية الاستقامة والحسن ، هي طريقة عقلية صحيحة ، وهي شرعية ، دل عليها القران ، وهدى الناس اليها وبينها وارشد اليها) "٣"

وصدق الحق تعالى قال :

١ ـ " أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون " "٤"

٢ ـ " فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق " "٥"

٣ ـ " ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون " "٦"

---

١ ـ كتاب : صيد الخاطر ، لابن الجوزى ، مراجعة وتعليق الشيخ علي الطنطاوى ، تحقيق ناجي الطنطاوى ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م ص ٢٢٧ .

٢ ـ انظر كتاب : الانسان ذلك المجهول تأليف الكسيس كارل ، تعريب شفيق أسعد فريد ، بيروت ١٩٧٤م.

وانظر كتاب : الطب محراب الايمان ، لخالص جلبي ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م.

٣ ـ كتاب : النبوات ، لابن تيمية ص ٥٢ الطبعة السلفية .

٤ ـ سورة الواقعة اية ٥٨ .

٥ ـ سورة الطارق الايات (٦ ـ ٧)

٦ ـ سورة الروم ايـــة (٢٠).

٤ ـ " والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكـــم

السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " "١"

٥ ـ " الذى خلقك فسواك فعدلك في اى صورة ما شاء ركبك " "٢"

وأقسم بثلاثة محال بعث في كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم ،

اصحاب الشرائع الكبار "٣" فقال :

" والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الامين ، لقـــد

خلقنا الانسان في أحسن تقويم " "٤"

===

---

١ ـ سورة النحـــل اية (٧٨) .

٢ ـ سورة الانفطار الايات (٧ ـ ٨) .

٣ ـ انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علـــــي الصابوني ، دار القران الكريم ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١ هـ ، المجلد الثالث ، ص ٦٥٤ .

٤ ـ سورة التين الايات (١ ـ ٤) .

" آيات قرآنيــــــة تجمع بين المســــلكين "

==========================

في القران الكريم ايات كثيرة جدا ، جمعت بين دليلي الخلــق والعناية •

خذ مثلا : قول الحق تبارك وتعالى :

١ — " ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكــم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من الســماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتــم تعلمون " "١"

في هذه الاية تنبيه على دلالة الخلق ، واشارة الى العنايــة الالهية الدالة على الخالق •

فان المقطع الاول من الاية " الذى خلقكم والذين من قبلكم " يفيد الاول والمقطع الاخير " الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم " يفيد الثاني •

٢ — " الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار " "٢"

في هذه الاية ايضا تنبيه على دلالة الخلق ، وتنبيه على العناية الالهية بالانسان ، الدالة على الخالق المسخر •

---

١ — سورة البقرة الايات (٢١ — ٢٢) •

٢ — سورة ابراهيم الايات (٣٢ — ٣٣) •

فان صدر الاية " الله الذى خلق السموات والارض " يفيد الأول .
وبقية الاية " وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الانهار ... " الى اخر الاية " يفيد الثاني .

٣ — " واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون " . "١"

ففي احيائه تعالى للارض الميتة بالنبات اشارة الى الخلق ، وفي اخراجه منها ما يؤكل وبه قوام الحياة عليها ، تنبيه على دلالة العناية الالهية بهذا الانسان

٤ — " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يوقنون " "٢"

٥ — " واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون . واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " "٣"

---

١ — سورة يس اية (٣٣) .
٢ — سورة البقرة اية (١٦٤) .
٣ — سورة يس الايات (٣٣ — ٤٠) .

٦ — " يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ، ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ومن اياته ان تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون " "١"

٧ — " خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون

---

١ — سورة الروم الايات (١٩ — ٢٥) .

أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان اللـــه لغفور رحيم "١" .

ففي هذه الايات ، وغيرها ، تنبيه على دلالة الخلق ، وعلى مدى عناية الله سبحانه بالمخلوق البشرى .

وفيها بيان كرمه تعالى عليه بأن جعل بقية المخلوقات طوع ارادته ، وفي خدمته الا بعضها مما لا يقدر عليه الانسان .

ونحن نرى كيف أن الانسان يستفيد من نزول الماء ، وحلول الليل ، ومجيء النهار ، وضياء القمر ، وشروق الشمس ، وزينة الكواكب ، وركوب البحر والجمال ، والخيل ، والبغال ، والحمير ، .... الى اخر هذه النعـم التي لا تعد ولا تحصى .

انها ايات ربانية ، عقلية واضحة وفي غاية اليسر والبساطة ، وتصلح لجميع المستويات العقلية ، وليس فيها اى تعقيد يفر منه الناس .

انه مسلك قرانى فريد جمع فيه بين المسلكين ، ومنهج مستقل أغنى به الناس عن منهج الفلاسفة والمتكلمين ، وهو منهج عقلي شرعي واضح متميز ، دل

---

١ — سورة النحل الايات (٣ — ١٨) .

عليه القرآن وهدى الناس اليه . "١"

---

١ — بتصرف عن :

كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ، دكتور محمود احمد خفاجي (١ : ١٥٨ — ١٦٣) .

كتاب : مناهج الادلة في عقائد الملة لابن رشد مع مقدمة محمود قاسم وتحقيقه ص ١٥٠ — ١٥٢ .

كتاب : جامع البيان عن تأويل القران للطبرى ، تحقيق وتخريج محمود شاكر ، دار المعارف بمصر ، وطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان (١٦ : ٣٢٦) .

كتاب : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، أو نقض تأسيس الجهمية لابن تيمية ، تصحيح وتكميل محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ (١ : ١٧٤ — ١٧٦)

كتاب : التبيان في اقسام القران لابن القيم ، تصحيح طه يوسف شاهين ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ص ٢١٧ .

الفصـــل الثاني : " وحدانية الله تعالى " :
==========

مقدمــــة :
========= توحيد الله سبحانه وتعالى ، من أهم الاركان التي قامت عليه رسالات الرسل ، عليهم السلام ، وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك الى الله عز وجل . "١"

قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون " . "٢"

وقال تعالى : " ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " . "٣"

وفي هذا الفصل سأبين رأى الشيخ " محمد عبده " في : الوحدانية ، وتفرد المولى عز وجل بالألوهية ، وادلته على ذلك ، ثم انقد ما يستحق النقد منها على ضوء كلام السلف ، واهل الحق جميعا رضي الله عنهم .

" رأى الشيخ محمد عبده في الوحدانية "
========================= تحدث الشيخ " محمد عبده " في وحدانية الله ، كثيرا عند تفسيره قول الحق سبحانه وتعالى " والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم " . "٤"

وقول الحق ايضا " الله لا اله الا هو الحي القيوم ... " "٥"

---

١ ـ انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٤ .
٢ ـ سورة الانبياء اية (٢٥).
٣ ـ سورة النحل اية (٣٦).
٤ ـ سورة البقرة اية (١٦٣).
٥ ـ سورة البقرة ايـة (٢٥٥).

كما بين في " رسالة التوحيد " المعنى المراد بالوحدانية ، وقال انها مما يجب لله تعالى ذاتا ووصفا وافعالا .

وفي هذا الفصل ، سأقتصر على الكلام ، في : " الوحدانية في الذات" فقط مرجئا الحديث عن الصفات ، والافعال الى الفصلين اللاحقين ، وذلك لأهمية كل واحد ، واستحقاقه فصلا خاصا .

١ — رأيه وأدلتـــــه :
==================

أ : — رأيه العقلي في اثبات الوحدة :
============= بمعنى عدم تعدد الذات الواجبـــة .

يرى الشيخ محمد عبده ان مما يجب الاعتقاد به : استحالة التركيب في حقه تعالى ، ويعزو ذلك للاسباب التالية :— "١"

١ — لانه تعالى لو تركب لتقدم وجود كل جزء من اجزائه على وجـــود جملته التي هي ذاته .

وكل جزء من أجزائه ، غير ذاته بالضرورة ، فيكون وجوده جملة محتاجا الى وجود غيره .

٢ — ولانه تعالى لو تركب لكان الحكم له بالوجود موقوفا على الحكـم بوجود أجزائه ولا مرجح لان يكون الوجوب له دون كل جزء مـن اجزائه ، بل يكون الوجوب لاجزائه ارجح فتكون هي الواجبـة دونه .

---

١ — انظر : رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ، (٣ : ٣٧٠) .

ويرى الشيخ محمد عبده ايضا : استحالة ان يقبل الواجب القسمة لانه لو قبل ذلك لعاد الى غير وجوده الواجب ، وصار الى وجودات متعددة فيكون ذلك قبولا للعدم او تركبا وكلاهما محال . "١"

هذا رأيه وادلته في اثبات ذات واجبة غير متعددة ، وهو مسلك عقلي اقتفى فيه طريق الفلاسفة ، فان هذا هو عمدتهم فيما يدعونه من التوحيد ، وهو حجة باطلة كما سترى .

ب : ــ رأيه الشرعي في اثبات اله واحد .

============

يرى الشيخ " محمد عبده " ان في القرآن الكريم كثيرا من الايات التي تشير الى ان في الكون ، من الايات ما يدل على وحدانية الله تعالى .

وأظهر هذه الايات واشهدها قوله تعالى " والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم . ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون" . "٢"

قال : وهذه الايات اجناس :ــ "٣"

(١ ، ٢) : الأول والثاني :

========== منها خلق السموات والارض ، ففيه ايات بينات كثيرة الانواع يدهش المتأملين بعض ظواهرها . فكيف حال من اطلع على ما اكتشف العلماء من عجائبها ، الدال على ان ما لم يعرفوه اعظم مما عرفوه منها . ؟

---

١ ــ نفس المصدر (٣ : ٣٧١) .

٢ ــ سورة البقرة الايات (١٦٣ ــ ١٦٤) .

٣ ــ انظر تفسير المنار (٢ : ٥٧ ــ ٦٤) ، بتصرف . الطبعة الثالثة .

تتألف هذه الاجرام السماوية من طوائف يبعد بعضها عن بعض بما يقدر بالملايين ، وألوف الملايين من سني سرعة النور ، ولكل طائفة منها نظام كامل محكم ، ولا يبطل نظام بعضها نظام الاخر ، لان للمجموع نظاما عاما واحدا يدل على انه صادر عن اله واحد ، لا شريك له في خلقه وتقديره ، وحكمته وتدبيره ، واقرب تلك الطوائف الينا ما يسمونه " النظام الشمسي " نسبة الى شمسنا هذه التي تفيض انوارها على ارضنا ، فتكون سببا للحياة النباتية والحيوانية فيها ، والكواكب التابعة لهذه الشمس مختلفة في المقادير والابعاد ، وقد استقر كل منها في مداره وحفظت النسبة بينه وبين الاخر ، بسنة الهية منتظمة حكيمة يعبرون عنها بالجاذبية العامة ، ولولا هذا النظام لانفلتت هذه الكواكب السابحة في افلاكها تصدم بعضها بعضا ، وهلكت العوالم بذلك ،

فهذا النظام اية على الرحمة الالهية ، كما انه آية على الوحدانية ،

هذه هي السموات تشير الى اياتها عن بعد ، (وفي الارض ايات للموقنين) "١" ، في جرمها ، وماداتها ، وشكلها ، وعوالمها المختلفة من جماد ونبات وحيوان ، فلكل منها نظام عجيب ، وسنة الهية مطردة في تكوينها وتوالد ما يتوالد من احيائها ، وغير ذلك حتى لو دققت النظر في انواع الجمادات من الصخور المختلفة الانواع ، والجواهر المتعددة الخواص والالوان لشاهدت من النظام فيها ومن انواع المنافع في اختلافها وتنوعها ما تعلم به علم اليقين انها ترجع في ذلك الى ابداع اله حكيم ، رؤوف رحيم ، لا شريك له في الخلق والتدبير ،

---

١ — سورة الذاريات اية (٢٠) ،

٣ ـ الجنس الثالث :

========= قوله " واختلاف الليل والنهار " .

وهو ان يجيء احدهما ، فيذهب الاخر ، ويطول هذا فيقصد ذلك وكل ذلك بحسبان ، مطرد في جميع الاقطار والبلدان ، ومثله اختلاف الفصول باختلاف مواقع العرض والطول .

وقد ذكر هذه الاية بعد خلق السموات والارض ، لان هذا الاختلاف هو اثر مقابلة الارض للشمس ، وحركتها بازائها ، وتفصيل ذلك مشروع في محله من العلم الخاص بهذه المسائل .

وفي المشاهد من اختلاف الليل والنهار ، والفصول وما للناس في ذلك من المنافع والمصالح ايات بينات على وحدة مبدع هذا النظام المضطرد ورحمته بعباده ، يسهل على كل احد ان يفهمها وان لم يعرف اسباب ذلك الاختلاف وتقديره .

وفي القران بيان لذلك في مواضع كثيرة كقوله تعالى : " وجعلنا الليل والنهار ايتين ، فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة ، لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا " . "١"

فهذه الاية تهدي الى ما في اختلاف الليل والنهار من المنافع العامة ، وفي معناها ايات اخرى ، قال تعالى : " يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل " . "٢"

وقوله تعالى : " يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا " . "٣"

وصفوة القول في هذا المقام ان اختلاف الليل والنهار أثر من آثار النظام الشمسي . وقلنا ان ذلك النظام يدل على وحدة واهبة ومقدره ، ونقول ان اشاره

---

١ ـ سورة الاسراء اية (١٢) .

٢ ـ سورة الزمر اية (٥) .

٣ ـ سورة الاعراف اية (٥٤) .

تدل على ذلك ايضا .

٤ — الجنس الرابـــع :—

=============== قوله : " والفلك التي تجرى في البحر " .

واما كون الفلك اية فلا يظهر بادى الرأى كما يظهر كونها رحمة من قوله " بما ينفع الناس " أى في اسفارهم وتجاراتهم ، وما يعرف في هذا العصر بالمشاهدة والاختبار اكثر مما كان يعرف في العصور السالفة ، اذ كانت الفلـــك شراعية ، فلم يكن البخار يسير أمثال هذه البواخر والبوارج العظيمة التي تحكي مدنا كبيرة ، فيها جميع المرافق التي يتمتع بها المترفون ، والملوك ، في البر من الارائك والسرر والحمامات وغير ذلك ، أو قلاعا وحصونا فيها أقتل الات الحرب .

وكل ذلك رحمة الاله الذى خلق هذه الاشياء ، وهدى اليهــا الانسان ، فلا بد لفهم كونها آية على وحدانيته ، من فهم طبيعة الماء ، وطبيعة قانون الثقل في الأجسام ، وطبيعة الهواء ، والريح ، وزد على ذلك معرفة طبيعة البخار والكهرباء التي هي العمدة في سير الفلك الكبرى ، في زماننا ، فكل ذلك يجرى على سنن الهية مضطردة منتظمة ، تدل على انها صادرة عن قوة واحدة هي مصدر الابداع والنظام وهي قوة الاله الواحد الحكيم الرحمن الرحيم .

٥ — الجنس الخامس :—

=============== قوله : " وما انزل الله من السماء من ماء " هذا هو الماء في كونه مطرا وفي كونه سببا للحياة ، وهو اية في كيفية وجوده وتكونه ، فانه يجرى في ذلك على سنة الهية حكيمة تدل على " الوحدة " والرحمة .

ثم انه اية في تأثيره في العوالم الحية ايضا ، فان هذا النبات يسقى بماء واحد هو مصدر حياته ، ثم هو مختلف في الوانه وطعومه ، وروائحه ، فتجد في الارض الواحدة نبتة " الحنظل " مع نبتة " البطيخ " متشابهتين في الصورة متضادتين في الطعم ، وتجد في " النخلة " وتمرها ما تذوق حلاوة ولذة ،

وتجد في جانبها شجرة " الليمون " الحامض ، " والنارنج " في ثمرها ما تعرف حموضة وملوحة ، وتجد بالقرب منها شجرة " الورد " لها من الرائحة ماليس " للنخلة " ، وما يخالف في أريجه زهر " النارنج " ، بل يوجد في الشجر ما له زهر ذكي الرائحة ، فاذا قطعت الغصن الذى فيه هذا الزهر تنبعث منه رائحة خبيثة •

فتلك السنن التي يتكون بها المطر وينزل ، جارية بنظام واحد دقيق ، وكذلك طرق تغذى النبات بالماء هي جارية بنظام واحد ، فوحدة النظام وعدم الخلل فيه تدل على ان مصدره واحد ، فهو من هذه الجهة يدل على الوحدانية الكاملة ، ومن جهة ما للخلق فيه من المنافع والموافق يدل على الرحمة الالهية الشاملة ، وقل مثل هذا فيما بث الله تعالى في الارض من كل دابة فانها ايات على الوحدة •

٦ ــ الجنس السادس :

=============== قوله " وتصريف الرياح :

وتصريف الرياح تدبيرها ، وتوجيهها على حسب الارادة ووفق الحكمة والنظام ، فهي تهب في الغالب من احدى الجهات الاربع ، وتارة تأتي نكباء "١" بين بين ، وقد تكون متناوحة "٢" اى تهب من كل ناحية ، ومنها العقيم ومنها الملقحة للنبات وللسحاب ، واذا هبت حارة في بعض الاماكن والاوقات فهي تهب عقب ذلك لطيفة الحرارة اوباردة ، وكل ذلك يجرى على سنة حكيمة تدل على وحدة مصدرها ورحمة مدبرها •

٧ ــ الجنس السابع :ــ

=============== قوله : " والسحاب المسخر بين السماء والارض " •

اى الغيم المذلل المسحوب في الجو لانزال المطر في البلاد المختلفة •

---

١ ــ اى مائلة عن مهبها •

٢ ــ اى اشتدت في هبوبها •

ذكر السحاب هنا بعد ذكر تصريف الرياح ، لانها هي التي تثيره وتجمعه وهي التي تسوقه الى حيث يمطر ، وتفرق شمله احيانا فيمتنع المطر .

ولم يذكره عند ذكر الماء ، مع انه سببه المباشر ، ليرشدنا الى أنه في نفسه آية ، فانه يتكون بنظام ، ويعترض بين السماء والارض بنظام ، فهو في ظاهره آية تدهش الناظر الجاهل بالسبب ، لو لم يألف ذلك ويأنس به ، وانما يعرفها معرفتها من وقف على السنن الالهية في اجتماع الاجسام اللطيفة وافتراقها ، وعلوها وهبوطها ، وهو ما يعبر عنه العلماء بالجاذبية ، وهي انواع : جاذبية الثقل ، والجاذبية العامة ، وجاذبية الملاصقة ، وغيرها . أ . هـ

وبعد ان انتهى الشيخ " محمد عبده " من تفسير الاية ، والاستدلال بما فيها من ايات كونية على وحدة الله تعالى ، ورحمته ، قال :

(ومن لا يعرف اسرار هذه الكائنات ، وانما ينظر الى ظواهرها ، فيراها كما تراها العجماوات ، فهو لا يفهم معنى كونها ايات ، لانه اهمل آلة الفهم التي امتاز بها وهي العقل ، ولذلك اخبر الله تعالى عن هذه الاجناس كلها ان فيها آيات لقوم يعقلون ، فانهم هم الذين ينظرون في اسبابها ، ويدركون حكمها واسرارها ويميزون بين منافعها ومضارها ، ويستدلون بما فيها من الاتقان والاحكام ، والسنن التي قام بها النظام على قدرة مبدعها وحكمته ، وفضله ورحمته وعلى استحقاقه للعبادة دون غيره من بريته ، وبقدر ارتقاء العقل في العلم والعرفان ، يكمل التوحيد في الايمان ، وانما يشرك بالله اقل الناس عقلا واكثرهم جهلا) أ . هـ .

===

مناقشة رأى الشيخ محمد عبده في الوحدانية أ –

===============================

أقول : لما أثبت الشيخ " محمد عبده " الواجب ، على طريقة الفلاسفة والمتكلمين ، أخذ يثبت وحدانيته فقال رأيه العقلي السابق في اثبات الوحدة بمعنى بساطته وعدم تركبه في الخارج ، وعدم تركبه في الخارج يقتضي عدم تركبه في العقل لأن الحقيقة العقلية صورة من الحقيقة الخارجية .

وفي اثبات اله واحد لا شريك له ، تكلم الشيخ محمد عبده ، كلاما وافيا لا غبار عليه ، فقد أثبت الاله الواحد على طريقة القران الكريم في نفي الشريك عن الله تعالى ، وهو مسلك طيب احمده عليه .

ولا أريد أن أضيف جديدا الى هذا المسلك ، فان الشيخ محمد عبده لم يترك لأحد مجالا للتعقيب عليه ، وسأكتفي ببيان المعنى الاجمالي للتوحيد عند السلف في حينه .

وما جاء في " رسالة التوحيد " يحتاج الى توجيه ، ووجه نظمه ان يقال : واجب الوجود لا تركيب فيه ، وما لا تركيب فيه فهو واحد ، فواجب الوجود واحد ، وانما قلت لا تركيب فيه ، لان المركب مفتقر الى ما تركب منه ، وما تركب منه ، غيره . وواجب الوجود لا يفتقر الى غيره ، فواجب الوجود لا تركيب فيه . "1"

أما ما ذكره الشيخ " محمد عبده " في " رسالة التوحيد " ، فهو كلام نقله عن بعض المتكلمين في اثبات الوحدة ، منهم الشيخ شمس الدين محمد بن الاصفهاني "2" ، حيث قال : (والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه

---

1 – انظر شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ص ٢٣ .

2 – محمد بن محمود بن عبد الله الكافي الاصفهاني . الامام المتكلم المشهور الذى قيل انه لم يدخل الى الديار المصرية احد من رؤوس علماء الكلام مثله ، ولد بأصفهان سنة ٦١٦ هـ ، رحل الى بغداد واشتهر بالفقه والعلوم ، ورحل =

والا لما كان واجب الوجود لذاته ضرورة افتقاره الى ما تركب منه) "١".

وقد تصدى له شيخ الاسلام ابن تيمية ، وذكر أن أصل كلامه مأخوذ من كلام أبي عبد الله الرازى "٢" وقد سلك فيه مسلك المتفلسفة كابن سينا "٣" وامثاله .

ثم قال : (فان هذا هو عمدتهم فيما يدعونه من التوحيد وهو حجة باطلة ... وقد تفطن لفساد هذه الحجة من تفطن لها من الفضلاء كأبي حامد الغزالي وغيره وذلك من وجوه :ـ نكتفي بذكر ثلاثة منها :ـ

(احدها) :
======== أن يقال قول القائل : انه يلزم افتقاره الى ما ركب منه ، وذلك ينافي وجوب الوجود ممنوع ، لان غاية ما فيه : ان ما ركب منه جزء من أجزائه . وقول القائل ان المركب مفتقر الى جزئه ليس بأعظم من قوله : انه مفتقر الى كله ، فان الافتقار الى المجموع أشد من الافتقار الى بعض المجموع ،

= الى دمشق والقاهرة ، وعمل فيها قاضيا ، له من المؤلفات : شرح المحصول القواعد في العلوم العربية ، اصول الفقه ، اصول الدين ، المنطق والجدل ، قال الذهبي : له يد طولى في العربية والشعر . مات سنة ٦٨٨ هـ . / انظر شرح الاصفهانية ص ٣ ، ١٧٢ .

١ ـ شرح الاصفهانية ص ٣ .

٢ ـ محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكرى ، فخر الدين الرازى ، الامام ـ المفسر ، اشتهر بعلمه في المنقول والمعقول ، وعلوم الاوائل ، رحل الى خوارزم ، وبلاد ما وراء النهر ، وكان واعظا بارعا في اللغتين العربية والفارسية ، مات سنة ٦٠٦ هـ / الاعلام للزركلي (٧ : ٢٠٣) .

٣ ـ الحسين بن عبد الله بن سينا ، ابو علي ، شرف الملك ، الفيلسوف الرئيس ، صاحب التصانيف في الطب والمنطق ، والطبيعيات والالهيات ، اصله من بلخ ، مولده في احدى قرى بخارى ، قال ابن القيم وابن تيمية انه من اهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين ، صنف نحو مائة كتاب ، =

فالمفتقر الى المجموع مفتقر الى كل جزء منه ، والمفتقر الى جزء منه لا يلزم ان يكون مفتقرا الى الجزء الاخر ، ومعلوم ان افتقاره الى الجميع هو افتقاره الى نفسه ، وهو معنى قوله واجب بنفسه ، فعلم ان وجوبه بنفسه لا يوجب الافتقار المنافي لوجوب الوجود .

(الوجه الثاني) :

========== أن يقال : وجوب الوجود الذى دل عليه الدليل ينفي ان يفتقر أو أن يكون مفتقرا الى شيء خارج عن نفسه ، اذا كانت الممكنات لابد لها من موجود غير ممكن ، موجود بنفسه ، وهذا ينفي ان يفتقر الى شيء خارج عن نفسه .

فلو قيل انه موجود بنفسه ، مستغن عن غيره ، وانه مفتقر الى غيره للزم الجمع بين النقيضين .

فأما ما هو داخل في مسمى نفسه فليس هو شيئا خارجا عن نفسه حتى يقال : افتقاره اليه ينافي وجوده بنفسه .

(الوجه الثالث) :

=========== ان يقال : قول القائل واجب الوجود بنفسه هل يقتضي ان يكون مفتقرا الى نفسه أم لا يقتضي ذلك ؟

فان اقتضاه كان افتقاره الى جزئه أولى وأحرى بالالتزام ، فلا يكون ممتنعا .

وان قيل لا يقتضيه ، قيل : وكذلك التركيب لا يقتضي أن يكون المركب مفتقرا الى جزئه ، فانه اذا كانت نفسه لا توجد الا بنفسه ولم يحسن ان يقال هو

= انظر لسان الميزان (٢ : ٢٩١) / وفيات الاعيان (١ : ١٥٢) الاعلام (٢ : ٢٦١) .

مفتقر الى واحد منها ، اذ المركب ليس الا الاجزاء وصورة التركيب) "١" .

وثمة قضية أخرى ، تعرض لها الشيخ " محمد عبده " في رسالة التوحيد استلزمها الحديث عن الوحدة الذاتيه ، وهي : " الوحدة في الوجود وفي الفعل " حسبما قال . "٢"

ويعني بها : التفرد بوجوب الوجود ، وما يتبعه من ايجاد الممكنات . "٣"

أحب في هذا الفصل أن أتناولها ، وأعلق عليها ، لأن الشيخ محمد عبده استند فيها الى بعض الايات القرانية ، التي تشير الى معنى كلامه ، وتؤيد نتيجة ما استدل به كقوله تعالى " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا " "٤".

قال الشيخ محمد عبده : "٥"

(واما الوحدة في الوجود وفي الفعل ، ونعني بها التفرد بوجوب الوجود ، وما يتبعه من ايجاد الممكنات ، فهي ثابته .

لانه لو تعدد واجب الوجود ، لكان لكل من الواجبين تعين "٦" يخالف تعين الآخر بالضرورة ، والا لم يتحصل معنى التعدد ، وكلما اختلفت التعينات ، اختلفت الصفات الثابتة للذوات المتعينة ، لان الصفة انما تتعين وتنال تحققها الخاص بها بتعين ما تثبت له بالبداهة ، فيختلف العلم والارادة باختلاف الذوات الواجبة . اذ يكون لكل واحدة منها علم وارادة يباينان علم الاخرى وارادتها ويكون لكل واحدة علم وارادة يلائمان ذاتها وتعينها الخاص بها .

---

١ — شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ، ص ١٩ — ٢٩ .
٢ — اما الحديث عن افعال الله فقد خصصت له فصلا مستقلا .
٣ — انظر رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٦) .
٤ — سورة الانبياء اية (٢٢) .
٥ — المصدر السابق ، نفس الجزء ، ونفس الصفحة .
٦ — كيان ، أو ذات .

هذا التخالف ذاتي ، لأن علم الواجب وارادته لازمان لذاته من ذاته ، لا لأمر في الخارج ، فلا سبيل الى التغير والتبدل فيهما كما سبق ٠

وقد قدمنا ان فعل الواجب انما يصدر عنه على حسب علمه وحكم ارادته ، فيكون فعل كل صادرا على حكم يخالف الاخر مخالفة ذاتية ٠

فلو تعدد الواجبون لتخالفت افعالهم بتخالف علومهم وارادتهم ، وهو خلاف يستحيل معه الوفاق ، وكل واحد بمقتضى وجوب وجوده وما يتبعه من الصفات له السلطة على الايجاد في عامة الممكنات ٠ فكل له التصرف في كل منهما على حسب علمه وارادته ، ولا مرجح لنفاذ احد القدرتين دون الاخرى ، فتتضارب افعالهم حسب التضارب في علومهم وارادتهم ، فيفسد نظام الكون ، بل يستحيل ان يكون له نظام ، بل يستحيل وجود ممكن من الممكنات ، لان كل ممكن لابد ان يتعلق به الايجاد على حسب العلوم والارادات المختلفة ، فيلزم ان يكون للشيء الواحد وجودات متعددة ، وهو محال ٠

فلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، ولكن الفساد ممتنع بالبداهة ، فهو جل شأنه واحد : لا شريك له في وجوده ولا في افعاله) أ ٠ هـ ٠

" مناقشـــة وتعليق " :

============= ان هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده في اثبات وحدة الله في الوجود وفي الفعل ، ليس بغريب على دارس العقيدة الاسلامية ٠

فهذا الذى ذكره هو ما اشتهر عند المتكلمين واهل النظر بدليل التمانع ومعناه باختصار :

انه لو كان للعالم صانعان ٠ فان العقل يجوز اتفاقهما ، كما يجوز اختلافهما ٠ فعند اختلافهما : مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ، ويريد الاخر تسكينه ٠ أو يريد أحدهما احياءه ، ويريد الاخر اماتته :

فاما أن يحصل مرادهما ،

أو مراد أحدهما ٠

او لا يحصل مراد واحد منهما •

والأول ممتنع لانه يستلزم الجمع بين الضدين •

والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم من الحركة والسكون ، أو من الموت والحياة

وهو ممتنع • ويستلزم ايضا عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون الها • "١"

واذا حصل مراد أحدهما دون الاخر كان هو الاله ، والاخر ليس باله ••

---

١ ـ انظر : شرح الطحاوية ، الطبعة السادسة ص ٧٨ •

وانظر : شرح المواقف في علم الكلام ، الموقف الخامس في الالهيات ، للشريف الجرجاني (٦٨ ـ ٧١) •

وانظر : احياء علوم الدين ، للغزالي ، مؤسسة الحلبي وشركاه القاهره ١٣٨٧ هـ (١ : ١٠٨)

وانظر : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص (٢٧٧ ـ ٢٧٨)•

وانظر : المغني في ابواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور ، محمد مصطفى حلمي والدكتور ابو الوفا الغنيمي ، ال المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر (٤ : ٢٧٥)•

وانظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، لأبي بكر الطيب الباقلاني تحقيق زاهد الكوثري ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر ١٣٨٢ / ص ٣٤ •

وانظر : الشامل في اصول الدين ، ابو محمد الجويني ، والد امام الحرمين تحقيق الدكتور علي سامي النشار ، وفيصل بديرعون ، وسهير محمد مختار ، دار المعارف بالاسكندرية ص ٣٥٢ •

وانظر : التوحيد ، ابو منصور الماتريدى ، تحقيق الدكتور فتح الله خليف ، طبعة دار المشرق ، بيروت ، لبنان ص (٢٠ ـ ٢١) •

وهذا الدليل ، انما استند فيه المتكلمون الى قوله تعالى :

" لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " وتابعهم في ذلك الشيخ محمد عبده .

ودليل التمانع هذا دليل عقلي على اثبات وحدة الصانع ، وتفرده بالألوهية .

أما الاية القرآنية ، فليس فيها ما يثبت ذلك مباشرة ، وانما تشير اليه ، وتؤيد نتيجة الدليل ، والنتيجة هي فساد السموات والارض حالة تعدد الالهة .

وقد ذكر الاستاذ : محمد يوسف الشيخ رحمه الله "١" ، أن بعض المتكلمين يرى أن قوله تعالى " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " حجة اقناعية للمسترشد وان لم تفد افحاما للجاحد . وتفصيل ذلك كما يلي :

قال الأستاذ :ـ "٢"

(قال الباحثون : ان الفساد في الاية يحتمل أمرين :

الاول : عدم تكون السموات والارض وعدم خلقهما .

الثاني : خروج السموات والارض عما هما عليه من هذا النظام الحاصل بالفعل .

١ ـ فان كان المراد الاول فتقرير الدليل هكذا :

لو تعددت الالهة لم تتكون السموات والارض لكن عدم تكونهما باطل .

---

١ ـ مدرس مادة " العقيدة " بجامعة الملك عبد العزيز سابقا ، له باع طويل في الفلسفة وعلم الكلام ، مات سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

٢ ـ مذكرة مادة " العقيدة " لطلاب السنة التحضيرية بجامعة ام القرى ، سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .

في هذا الدليل مقدمتان :

الاول : لو تعددت الالهة لم تتكون السموات والارض •

الثانية : ان عدم تكونهما باطل •

اما الاولى : فلأنه اذا تعددت الالهة ، فهل تتكون السموات والارض

بمجموع قدريتهما تعاونا ، أو بكل منهما استقلالا ، أو

باحداهما فقط ؟

والاول باطل : لأن شأن الاله كمال القدرة •

والثاني باطل : لأنهما اذا تكونتا باحداهما استقلالا ، فاذا تكونتا

مرة ثانية بالاخرى لزم تحصيل الحاصل •

والثالث باطل : لانه يلزم الترجيح بلا مرجح ، لأن كلا من الالهين

تام القدرة وجميع الممكنات بالنسبة الى كل منهما على سواء •

واذا كانت هذه الفروض الثلاثة باطلة لزم عدم تكون السموات والارض ، على تقدير

تعدد الالهة •

أما المقدمة الثانية ، القائلة :

ان عدم تكونهما باطل ، فهذا ما يشهد به الحس والمشاهدة •

اذا تعدد الالهة لزمه باطل ، وما ادى الى الباطل فهو باطل ، فالتعدد

باطل • فثبت نقيضه وهو وحدة الاله تعالى •

٢ ـ وان كان المراد الثاني ، فتقرير الدليل هكذا :

لو كان في السموات والارض الهة غير الله ، لاختلفوا وتنازعوا ،

واذا حصل هذا ، فسدت السموات والارض واختل النظام الذى صار العالم فيه

كشخص واحد استقرت فيه الحياة للانسان والحيوان والنبات الى غير ذلك مما ظهر

وخفي • لكن العالم لم يطرأ عليه الفساد والخلل ، بل ما زال في نظام تام •

" لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون "[١]

---

١ ـ سورة يس اية (٤٠) •

" ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور " . "١"

كل ذلك بنظام دقيق وقوانين صحيحة .

اذا لو تعددت الالهة ، لاختلفوا وتنازعوا ، ولو حصل ذلك لفسدت السموات والارض ، لكن الفساد باطل ، فبطل ما أدى اليه وهو التعدد ، فالاله واحد .

" اعتراض وتوجيـــــه ":

=============== واعترض البعض على هذا التصوير ، بما يجعله حجة اقناعية غير يقينية كما يلي :

انا لا نسلم أنه اذا تعددت الالهة يلزم فعلا ان يختلفوا ، ويتنازعوا بل يجوز ان يتفقوا وحينئذ لا فساد .

غاية الأمر انه يغلب على الظن كما جرت به العادة أنه اذا تعدد الرؤساء اختلفوا وتنازعوا ، ولكن العقل ـ بقطع النظر عن العادة ـ يجوز اتفاقهم .

فالاستدلال بالاية ظني مبني على ما جرت به العادة من الاختلاف فعلا عند تعدد الرؤساء .

لهذا عدل بعضهم عن التصوير الظني الى تصوير الاية تصويرا آخر ، بحيث تفيد اليقين . قالوا :

معنى الاية : لو كان فيهما الهة غير الله لامكن ان يختلفوا ويتنازعوا ، ولو امكن ذلك ، لامكن ان تفسد السموات والارض ، لكن امكان الفساد باطل ، بالحس والمشاهدة ، فما ادى اليه وهو تعدد الالهة باطل .

وفي هذا التصوير لم يلاحظ اختلاف الالهة فعلا ، بل الملاحظ فيه امكان الاختلاف بينهم ، وهذا الامكان قطعي يحتمه العقل .

" اعتراض وتصويب " :

========== هذا التصوير لم يسلم من الاعتراض عليه ، فقد اعترض البعض عليه بقولهم :

انا نسلم ان امكان الاختلاف عند التعدد قطعي ، وما يلزمه من امكان الفساد قطعي ايضا •

لكن : هل امكان الفساد باطل حتى يكون ما ادى اليه باطلا ، وهو تعدد الالهة ؟

كلا • بل امكان الفساد صحيح ، لان العالم ممكن يجوز عليه الوجود والعدم ، والنظام والفوضى ، والفساد والاختلال ، بل الفساد سيقع فعلا •

قال تعالى " يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب " • "١"

وقال تعالى " اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت " • "٢"

وقال تعالى " اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت " • "٣"

وقال تعالى " يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا للـه الواحد القهار " • "٤"

وقال تعالى " اذا زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت الارض اثقالها وقال الانسان مالها " • "٥"

---

١ ــ سورة الانبياء اية (١٠٤) •
٢ ــ سورة الانفطار الايات (١ ــ ٤) •
٣ ــ سورة التكوير الايات (١ ــ ٣) •
٤ ــ سورة ابراهيم اية (٤٨) •
٥ ــ سورة الزلزلة الايات (١ ــ ٣) •

فما معنى هذه الايات الا خراب السموات والارض ؟

اذا ، فهذا التصوير فاسد لا يصار اليه ٠

والصواب

===== في معنى الاية هو التصوير الاول ، والاستدلال حينئذ بالاية ظني ، ولا ضير في ذلك ، فقد سيقت الاية لاقناع الجماهير وعامة الناس بالوحدانية ، وليس بعيدا ان يكون في مناهج القران ما هو ظني ، فان القران نزل لجميع البشر ، فهو يخاطب كل طائفة بما يتفق مع مستواها العقلي ، وهذا مبدأ قرره القران الكريم ٠ قال تعالى :

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن "٠ "١"

فان قيل :

ان العقائد الدينية لا يكفي فيها الظن ، بل المطلوب فيها العلم واليقين ٠

قال تعالى " فاعلم انه لا اله الا الله "٠ "٢"

وقال تعالى " وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا "٠ "٣"

يجاب عليه :

بأن الناس في الاستفادة من هذه الادلة الظنية الخطابية فريقان :

أ : فريق لا يستفيد منها الا الظن فحسب ، وهؤلاء هم الطائفة الممتازة من البشر الذين اوتو حظا وافرا من العقل والفكر ، فمثل هؤلاء نظروا في هذا الدليل

---

١ ـ سورة النحل اية (١٢٥) ٠

٢ ـ سورة محمد اية (١٩) ٠

٣ ـ سورة النجم اية (٢٨) ٠

بعمق فاهتدوا الى ان الاختلاف بين الالهة بالفعل حتى تفسد السموات والارض انما هو بحكم المادة فحسب ، فهو حكم ظني كسائر الاحكام المادية .

أما العقل فيجوز اتفاقهم ، فلا يلزم الفساد ، ومن هنا كان مبلغ ما يفيده هذا الدليل عندهم انما هو الظن فحسب .

ب ـ : وفريق آخر يستفيد منه العلم واليقين ، وهم الجمهور وعامة الناس ، الذين منحوا حظا عاديا من العقل والفكر ، فلا يتعمقون في تفكيرهم كاولئك الممتازين ، فلا يفرقون بين المادة وحكم العقل .

فتعدد الالهة عندهم ، وفي مستوى تفكيرهم يستلزم الاختلاف والنزاع قطعا فيلزم الفساد قطعا ، فيعلمون انه اله واحد قطعا ، وهذا هو المطلوب .

" برهان التمانع " :

=========== وهنا يقال :

اذا ، فقد اغفل القران الكريم اقناع الممتازين بهذه العقيدة بالدليل القطعي .

يرد عليه :

ان هذه الاية البينة ، كما تقنع بظاهرها الصريح الواضح الجماهير وعامة الناس بالوحدانية ، تشير وترشد الطائفة الممتازة الى حجة قطعية تنادي بالوحدانية .

تلك الحجة هي : برهان التمانع .

وتقريره هكذا :

لو كان فيهما الهة غير الله لامكن بينهما التمانع والتعارض ، كأن يريد أحدهما حركة شيء بينما يريد الاخر سكونه . لكن امكان التمانع باطل ، وهو محال ، واذا أدى تعدد الالهة الى باطل كان التعدد باطلا .

في هذا الدليل مقدمتان :

الاولى : ان تعدد الالهة يستلزم امكان التمانع •

الثانية : ان امكان التمانع باطل •

اما الاولى ، فواضحة قطعية •

نعم : التمانع بالفعل عند التعدد ظني جرت به العادة ،

لكن امكان التمانع لازم قطعا عند التعدد •

اما الثانية ، وهي ان امكان التمانع باطل ، فلأن التمانع محال لا ممكن •

وبيانه هكذا :

ان التمانع كما صورنا : ان يريد احدهما حركة شيء ، ويريد الاخر سكونه •

نقول : هذا التمانع محال • لانه لا يخلو الحال من احد احتمالات ثلاثة :

وهــــي :

أ : ان ينفذ مراده هما •

ب: ان لا ينفذ مراد واحد منهما •

ج: ان ينفذ مراد احدهما دون الاخر •

والكل محال •

أما الأولى : فلأنه يستلزم اجتماع الحركة والسكون ، وهو محال ، لأنه اجتماع النقيضين •

أما الثاني : فلأنه يستلزم ارتفاع النقيضين ، الحركة والسكون ، وهو محال • كما يستلزم محالا آخر ، وهو عجز الالهين •

أما الثالث : فمحال ، لأنه يستلزم الترجيح بلا مرجح ، ويلزم عليه عجز الاله الذى لم ينفذ مراده •

ونجمل هذا الدليل هكذا :

ان تعدد الالهة يستلزم امكان التمانع ، وامكان التمانع باطل ، لأنه محال .

فالتعدد أدى الى باطل ، فيكون باطلا ، واذا كان التعدد باطلا كان الاله واحدا .

فالاية اذا : اقناع للجماهير صراحة ، واقناع للخواص الممتازين ، من هذا الوجه) أ . هـ .

وحاصل الكلام أن يقال :

ان في الاية الكريمة الدليل الكافي على اثبات وحدانية الله تعالى ، سواء حصل هذا بدليل التمانع ونفي صدور الفعل الواحد عن فاعلين ، حيث ان الفعلين من نوع واحد اذا اجتمعا على محل واحد فسد المحل ضرورة . أو حصل بطريق آخر غيره . "١"

وبعد : فهذه هي طريقة المتكلمين ، في اثبات وحدة الصانع . وهذا هو الشيخ محمد عبده يسير في نفس الطريق ، ويسلك نفس المسلك .

يضاف الى ذلك ما ذكره سابقا عند تفسير قوله تعالى :

"والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم " .

والاية التي تليها ، وقد سبق الحديث عنه .

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٦ .
وانظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧)

" المعنى الاجمالي للتوحيد عند السلف "

==================== التوحيد عند سلف الامة : هو افراد ا

الله بالعبادة وحده ، لتفرده بالخلق ، وهذا هو الذى جاء به الشرع الحنيف ودعت اليه الرسل الكرام ، وبه يكمل ايمان المسلم .

وهذا يقتضي اخلاص الدين لله ، ومحبته ، وخوفه ، ورجاءه ، والتوكل عليه ، والثقة به ، والطاعة له ، والرضا به ، الها واحدا لا اله الا هو ، وخلع ما عداه من الالهة المزيفة .

وهذا النوع من التوحيد يسمى توحيدا في الطلب والقصد . أو التوحيد الارادى الطلبي .

وهناك نوع اخر من التوحيد الذى دعت اليه الرسل ، وهو التوحيد في الاثبات والمعرفة . أو ما يسمى ب : التوحيد العلمي الخبرى الاعتقادى المتضمن اثبات صفات الكمال لله وحده ، وتنزيهه عن الشبيه والمثل ، وعن كل ما لا يليق بجلاله .

والتوحيد المطلوب اولا هو توحيد الالهية المتضمن توحيد الربوبية ، لا العكس . لان من يعجز عن الخلق لا يصلح ان يكون الها .

ولا يتم احد التوحيدين الا بالآخر ، فهما متلازمان تلازم الظهر للبطن ، كوجهي عملة واحدة ، لا يقوم احدهما من غير الآخر .

وقد دل القران الكريم على هذين النوعين من التوحيد في آيات كثيرة ، منها :

١ ـ من الايات الدالة على النوع الاول : التوحيد الطلبي القصدى .

أ : قال تعالى " قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا انا عابد ما عبدتم ، ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين " . "١"

---

١ ـ سورة : الكافرون واياتها ست .

ب ـ : قال تعالى " قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ". "١"

ج : قال تعالى : " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، الا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .." "٢"

د : قال تعالى : " قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ". "٣"

هـ : قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلك الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون ". "٤"

و : وقال تعالى : " قل ياأيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين ". "٥"

ز : وجملة سورة (الانعام) "٦".

---

١ ـ سورة ال عمران اية (٦٤) .

٢ ـ سورة الزمر الايات (١ ـ ٣) .

٣ ـ سورة الزمر الايات (٦٤ ـ ٦٥) .

٤ ـ سورة يونس اية (٣) .

٥ ـ سورة يونس اية (١٠٤) .

٦ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٨ .

٢ ـ من الايات الدالة على النوع الثاني : توحيد الاثبات والمعرفة

أ : قال تعالى : " قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ". "١"

ب : قال تعالى : " الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ". "٢"

جـ : قال تعالى : " هو الله لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ". "٣"

د : قال تعالى : " هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم" "٤"

هـ : قال تعالى : " الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ". "٥"

ويدخل في معنى النوع الثاني " توحيد الاسماء والصفات " ومعناه ان يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف "٦" أو تعطيل "٧" ومن غير تكييف "٨" ولا تمثيل "٩" .

---

١ ـ سورة الاخلاص واياتها اربع .

٢ ـ سورة طه اية (٨).

٣ ـ سورة الحشر الايات (٢٢ ـ ٢٣).

٤ ـ سورة الحديد اية (٣).

٥ ـ سورة ال عمران الايات (١ ـ ٢).

٦ ـ التحريف : هو التغيير والتبديل ، واصطلاحا تغيير الفاظ الاسماء الحسنى والصفات العلى ، ومعانيهما ، وهو ينقسم الى تحريف لفظ مثل استوى باستولى وتحريف معنى كمثل اليدين بالنعمة .

٧ ـ التعطيل ماخوذ من العطل الذى هو الخلو والفراغ والترك . والمراد بالتعطيل هنا : نفي الصفات الالهية وانكار قيامها بذاته تعالى .

٨ ـ التكييف : تعيين المكنه ، يقال كيف الشيء اى جعل له كيفية معلومة .

٩ ـ التمثيل : هو التشبيه وهو ينقسم الى قسمين :

الأول : تشبيه المخلوق بالخالق كتشبيه اليهود والنصارى عزيرا =

والعلاقة بين انواع التوحيد الثلاثة هي علاقة تلازم وتضمن وشمول ٠

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الالوهية ٠

وتوحيد الالهية متضمن لتوحيد الربوبية ٠

وتوحيد الاسماء والصفات شامل للنوعين فهو يقوم على افراد الله تعالى بكل ما له من الاسماء الحسنى ، والصفات العليا التي لا تنبغي الا له ٠

فهذه الانواع الثلاثة متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضا ، ولا ينفع احداها بدون الاخر ، كما لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الالهية ، وكذلك لا يصح توحيد الالهية بدون توحيد الربوبية ، فلا يكمل لاحد توحيده الا باجتماع انواع التوحيد الثلاثة ٠ "١"

= وعيس بالله ٠

الثاني : تشبيه الله بخلقه بأن يقال له وجه كوجه المخلوق ، ويد كيده ٠٠٠

انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية تأليف عبد العزيز المحمد السلمان ، من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث العلمية بالرياض ، الطبعة العاشرة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ، ص (٣٩ ـ ٤٢) ٠

١ ـ في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤) ٠

الفصــــل الثالث : صفات الله تعالى وكمالاته :

=================================

تمهيـــــد :

======= يبحث علماء اصول العقيدة ، في موضوع الصفات الالهية عن صنفين من الصفات الثبوتية .

(الأول) صفات وكمالات جاء بها الكتاب المبين ، والوحي الآمين ، ونادى بها العقل السليم . ككونه تعالى قادرا ، ومريدا ، وعالما ، وحيا ، وسميعا ، وبصيرا ، ومتكلما .

فقد جاء القران في " القدرة " فقال : " قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء " . "١"

وجاء في الارادة ، فقال : " فعال لما يريد " . "٢"

وجاء في العلم ، فقال : " عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " . "٣"

وجاء في الحياة ، فقال : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " . "٤"

وجاء في السمع ، والبصر ، فقال : " وهو السميع البصير " . "٥"

وجاء في الكلام فقـــــال : " وكلم الله موسى تكليما " . "٦"

وكما شهد القران بهذه الصفات ، فقد أرشد العقل اليها ، وثبتت بالدليـــل العقلي كما سيأتي بيانه ان شاء الله .

---

١ ـ سورة ال عمران اية (٢٦).

٢ ـ سورة البروج اية (١٦).

٣ ـ سورة الرعد اية (٩).

٤ ـ سورة البقرة اية (٢٥٥).

٥ ـ سورة الشورى اية (١١).

٦ ـ سورة النساء اية (١٦٤).

(الثاني) : صفات جاء بها القرآن والسنة كالوجه ، والعين ، واليد ، والاصبع ، والساق ، والقدم ، ... وكان موقف العقل من هذا الصنف خطيرا ... وانقسم الناس من هذا الصنف الى فريقين :

أ : فريق من الناس اثبت هذا الصنف له تعالى ، على نمط ما في الحوادث والممكنات .

فله تعالى وجه كوجه الانسان ، ويد كيده ، وعين كعينه .. الى اخر هذه الصفات . وهؤلاء هم المشبهة . "١"

ب : الفريق الثاني ذهب الى استحالة ان يكون له وجه كالوجوه ، وعين كالاعين ، ويد كالايدى البشرية ، كما قال المشبهة .

بل نزهوا الله سبحانه عن هذا وتبرؤا من التشبيه وأهله .

ثم اختلف هؤلاء المنزهون بعد هذا التنزيه فيما هو المراد بهذه الصفات . وما معناها ؟

١ — فمنهم من فوض العلم بالمراد اليه تعالى ، واثبت لله سبع صفات فقط ، وهؤلاء هم الاشاعرة . مع ايمانهم القطعي بصفات اخرى زائدة على الصفات السبع كالقدوس ، والسلام ، والمؤمن ، والرازق .... الى اخر هذه الصفات ، ولهم في هذا الاقتصار تخريج جيد ، لا حاجة لذكره هنا .

---

١ — انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٣ ، ٢٣٩ ، الطبعة السادسة
وانظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٣٩ .
وانظر : شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، محمد خليل هراس ، مراجعة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، ص (٢٣) .
وانظر : الرسالة التدمرية ، مجمل اعتقاد السلف ، تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق الاستاذ زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي بيروت ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ . بيروت . ص ١١ وما بعدها .

٢ — ومنهم من صور المراد بهذه الصفات في معنى يليق بجلاله وعظمته ، وزاد على ذلك صفات اخرى كالخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، العظيم ... الخ

وهؤلاء هم علماء السلف رضوان الله تعالى عليهم . "١"

ويمكن تقسيم الصفات الالهية ، عند السلف والاشاعرة كما يلي :—

أولا : تقسيم السلف : "٢"

يقسم السلف رضي الله عنهم ، الصفات الى قسمين : "٣"

صفات ذاتية ، وصفات فعلية .

وكل منها ، تقسم الى قسمين ، فيكون المجموع اربعة اقسام على هذا النحو :—

أ : الصفات الذاتية ، وهي الصفات الملازمة للذات المقدسة ، فلا تنفك عنها ، وهي قسمان :

ا — صفات عقلية : كالقدرة والارادة والعلم ...

ب — صفات خبرية : كالوجه ، والعين ، واليدين ...

ب : الصفات الفعلية ، وهو الامور المتعلقة بمشيئة الله وارادته .

وهي قسمان :

ا — صفات عقلية : كالخلق ، والرزق ، والاعطاء ، والمنع ...

٢ — صفات خبرية : كالنزول ، والمجيء ، والاستواء ...

---

١ — مذكرة مادة العقيدة الاسلامية ، اعداد الاستاذ محمد يوسف الشيخ .

٢ — انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ١٠٥ .

وانظر : الاسئلة والاجوبة الاصولية ، لعبد العزيز السلمان ص ٥٧ ، الطبعة العاشرة .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص (١٢٧ — ١٢٨) الطبعة السادسة .

٣ — باعتبار لزومها للذات وعدم لزومها .

ثانيا : تقسيم الاشاعرة :

=========== يقسم الاشاعرة رضي الله عنهم الصفات الى اربعة

اقسام : "١"

نفسية ، وسلبية ، ومعاني ، ومعنوية ٠

١ ـ نفسية : وهي الوصف الدال على الذات ، دون معنى زائد عليه ، وهي " الوجود " ٠

٢ ـ سلبية : وهي الصفات التي تنفي عن الله تعالى مالا يليق بجلاله ، كالقدم ، والبقاء ٠

٣ ـ صفات المعاني : ويقصد بها ما يدل على معنى زائد على الذات وهي الصفات السبع السابقة الذكر ٠

٤ ـ الصفات المعنوية : ويقصد بها الاحوال الثابته للذات ، اذا قامت بها المعاني عند من يثبت الاحوال ، ككونه عالما ، وكونه قادرا وكونه مريدا ٠٠٠ الخ ٠ "٢"

أما الشيخ محمد عبده ، فيقسم الصفات الى :

اولا : صفات البرهان : وهي ما ارشد اليه البرهان ، وجاءت به الشريعة الاسلامية ، لتأييده والدعوة اليه ٠

---

١ ـ باعتبار مفهومها ٠

٢ ـ انظر رسالة : ابن حزم وموقفه من الالهيات ، اعداد الطالب : احمد الناصر الحمد ، اشراف الدكتور عبد العزيز عبيد ، جامعة ام القرى ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ، فصل الصفات نقلا عن كتاب الشامل في اصول الدين للجويني ص ٣٠٨ ، وحاشية البيجورى على متن السنوسية مطبعة دار الكتب العربية ص ١٩ ، وحاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية ، مطبعة الاستقامة ص ٥٩ ٠

كالقدم : بمعنى ان يكون الواجب قديما ازليا •

والبقاء : بمعنى ان لا يطرأ عليه عدم •

ونفي التركيب : بمعنى الوحدة ذاتا ووصفا ووجودا وافعالا •

والحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والاختيار •

ثانيا : الصفات السمعية :

==================== وهي ما جاء ذكرها على لسان الشرع ، ولا يحيلها العقل ، لكن لا يهتدى اليها النظر وحده ، ويجب الاعتقاد بأن الله متصف بها اتباعا لما قرره الشرع ، وتصديقا لما اخبر به •

وهي صفة الكلام ، وصفة السمع ، وصفة البصر • "١"

وهذا تقسيم للصفات من حيث ثبوتها ، فهي اما عقلية ايدها الشرع والادى بها ، او شرعية ، جاءت على لسان الشرع ، والعقل لا يحيلها •

اما الصفات الخبرية التي جاء بها القران والسنة كالوجه ، والعين واليد ، ••• الخ فان الشيخ محمد عبده ، لا ينكرها ، لكنه يفوض العلم بالمراد منها الى الله تعالى ، ويقتصر على ما ذكره من صفات البرهان ، والصفات السمعية • كما فعل الاشاعرة رضى الله عنهم اجمعين • لكنه يرى ان الكلام في مثل هذه الصفات لا بد له من فائدة يحمل عليها لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى • "٢"

---

١ ــ انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٠ ــ ٣٧٧) •

٢ ــ انظر الاعمال الكاملة للامام (٤ : ١٣٠) •

" العلاقة بين الذات والصفـــات "

==================

نطرح هذا السؤال :

هل الصفات عين الذات ، أو غيرها ، أو لا هي ولا غيرها ؟

وما رأى الشيخ " محمد عبده " في ذلك ؟

وللاجابة على هذا السؤال نقول :ـ

لقد عرف الشيخ محمد عبده قدر نفسه ، ومبلغ علمه حين سلك في هذا الموضوع مسلكا استطاع فيه ان يفلت من طريق الجدل الذى وقع فيـــه الفلاسفة والمتكلمون ، وان يسير في طريق يبعده عن هذا الطريق ، بقدر ما يقربه من طريق السلف ، وجمهور اهل الحديث والتفسير رضي الله عنهـــم أجمعين .

ولقد اعمل الشيخ " محمد عبده " فكره ، واستفرغ وسعه ، في مناقشة معظم المذاهب في الصفات ، والرد عليها ، وخاصة مذهب الفلاسـفة الاسلاميين ، ومذهب المعتزلة من اهل الكلام ، ومن ثم وصل الى النتيجـــة النهائية التالية :ـ

١ ـ في شرحه على العقائد العضدية : "١"

قال : (والواجب عليك شرعا ان تعتقد انه عالم ، قادر ، مريد ... الى اخر الصفات وانه موصوف بالعلم ، والقدرة ، وغيرهما ، على ما يفهمه الناظر ، من الآثار ، وليس لك ان تنظر فيما وراء ذلك ، فانك قاصر عن ان تدركه) .

---

١ ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٣٣٢) .

٢ — في رسالة التوحيد : "١"

أ : قال : (فيكفينا من العلم بها ان نعلم انه متصف بها ، اما ما وراء ذلك فهو مما يستأثر هو بعلمه ، ولا يمكن لعقولنا ان تصل اليه ، ولهذا لم يأت الكتاب العزيز ، وما سبقه من الكتب الا بتوجيه النظر الى المصنوع ، لينفذ منه الى معرفة وجود الصانع ، وصفاته الكمالية ، اما كيفية الاتصاف بها ، فليس من شأننا ان نبحث فيه) .

ب : قال : (فالذى يوجبه علينا الايمان هو ان نعلم انه موجود ، لا يشبه الكائنات أزلي ، ابدى ، حي ، عالم ، مريد ، قادر ، منفرد في وجوده ، وفي صفاته ، وفي صنع خلقه ، وانه متكلم ، سميع ، بصير ، وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع باطلاق اسمائها عليه .

أما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية ، وكون السمع والبصر ، غير العلم بالمسموعات والمبصرات ، ونحو ذلك من الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب فمما لا يجوز الخوض فيه ، اذ لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه .

والاستدلال على شيء منه بالالفاظ الواردة ضعف في العقل ، وتغرير بالشرع ، لان استعمال اللغة ، لا ينحصر في الحقيقة ، ولئن انحصر فيها فوضع اللغة لا تراعى فيه الوجودات بكنهها الحقيقي ، وانما تلك مذاهب فلسفة ان لم يضل فيها امثلهم فلم يهتد فيها فريق الى مقنع .

فما علينا الا الوقوف عندما تبلغه عقولنا ، وان نسأل الله ان يغفر لمن آمن به ، وبما جاء به رسله ممن تقدمنا) .

---

١ — رسالة التوحيد : انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٨٠ — ٣٨١) .

٣ - في تفسير القران : "١"

قال : (فاذا جاء في نصوص الكتاب او السنة شيء ينافي ظاهره التنزيه فللمسلمين فيه طريقتان :

احداهما : طريقة السلف ، وهي التنزيه كقوله تعالى " ليس كمثله شيء" "٢" وقوله عز وجل " سبحان ربك رب العزة عما يصفون " "٣" ، وتفويض الامر الى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك ، مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في اخلاقنا واعمالنا واحوالنا ، ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ، ويصورها لمخيلاتنا .

والثانيــــة : طريقة الخلف وهي التأويل .

يقولون : ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا يخرج شيء منها عن المعقول .

فاذا جزم العقل بشيء ، وورد في النقل خلافه ، ويكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ، وعالم الغيب ، واننا نسير في فهم الايات على كلا الطريقتين ، لانه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) .

---

١ - انظر الاعمال الكاملة للامام (٤ : ١٢٩ - ١٣٠) .
٢ - سورة الشورى اية (١١) .
٣ - سورة الصافات اية (١٨٠) .

٤ — في تفسير جزء عم : "١"

قال : (فنحن مأمورون ان نعرف الله جل شأنه بأنه القادر ، العالم ، الحكيم ، الذى شهدت بصفاته هذه آثاره في خلقه ، التي ذكرها في وصف نفسه في قوله : " الذى خلق فسوى " "٢" ولا ندخل في هذه — الصفات معنى مما لا يليق به ، كما ادخل الملحدون الذين اتخذوا من دونه شركاء له ، او عرفوه بما يشبه به خلقه ، وانما توجه الينا الامر بتسبيح الاسم دون تسبيح الذات "٣" ليرشدنا الى ان مبلغ جهدنا ، ومنتهى ما تصل اليه عقولنا ان نعرف الصفات بما يدل عليها ، اما الذات فهي أعلى وأرفع من ان تتوجه عقولنا اليها الا بما نلحظ من هذه الصفات التى تقوم عليها الدلائل وترشد اليها الايات) .

هذا هو مجمل ما توصل اليه الشيخ محمد عبده في الكلام في الصفات وهو كما يبدو لي كلام في غاية الدقة ، ولمعرفة قيمته ارى ان القي الضوء على مذهب السلف في الصفات . وتحديد العلاقة بينها وبين الذات .

---

١ — تفسير جزء عم الموجود ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٨٧) .
٢ — سورة الاعلى اية (٢) .
٣ — يقصد الامر في قوله تعالى : " سبح اسم ربك الاعلى " ، سورة الاعلى اية (١) .

" مذهب السلف في الصفات "

================

للعلماء في تحديد مذهب السلف في الصفات اقوال متعددة : "١"

((القول الاول)) :

يرى الامام ابن الجوزى رحمه الله ان السلف كانوا مفوضة "٢" •

وينسب هذا الرأى الى الامام احمد بن حنبل "٣" رضى الله عنه •

فقد ذكر في كتابه : " مناقب احمد " ان عقيدة الامام احمد تتلخص في الايمان والتسليم فيما جاء وصفا لله تعالى على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم ، بلا تأويل ولا تشبيه ، ولا كيف ولا معنى ،

((القول الثانـــــي)) :

ير

---

١ - انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٢٥ - ٢٢٨) •

٢ - بمعنى انهم كانوا يفوضون معاني الالفاظ التي جاءت بها النصوص الى اللـه تعالى ، ويقرؤونها تلاوة فقط ، ولا يثبتون ما تضمنته من صفات ، لانهم يرون ان هذا من المتشابه الذى لا يعلمه الا الله تعالى •

٣ - شيخ اهل السنة ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني ، الذهلي ، المروزى ، البغدادى ، احد الاعلام ببغداد ، وشيخ الاسلام في عصره ، وناصر السنة ، وقامع البدعة ، كان اماما في الحديث وفنونـه ، واماما في الفقه ، واماما في الورع ، مات في ثاني عشر من ربيع الاول سـنة ٢٤١ هـ وقد جاوز سبعا وسبعين سنة • / انظر طبقات الحفاظ لعبـد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م ص ٤٣١ •

يرى حجة الاسلام الغزالي رحمه الله ان السلف كانوا يؤولون تأويـلا اجماليا "١" . ونسب هذا الرأى الى الامام احمد رضي الله عنه . "٢"

((القول الثالـــث))

وهو قول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : فهو يرى ان السلف كانوا يفهمون معاني النصوص ، ويثبتون لله ما تضمنته من صفات ، ثم يفوضون علم كيفيتها الى الله عز وجل .

ولقد اختار هذا الرأى كثير من اتباع الشيخ وتلاميذه ، اشهرهم الامام ابن القيم رحمه الله .

" تقرير مذهب السلف "

============ قرر شيخ الاسلام مذهب السلف الصالح هذا بما يدل عليه كلامهم ، واستشهد بجواب الامام مالك رضى الله عنه لمن سأله عن كيفية الاستواء في قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " . "٣"

قال : (الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول) .

فان " مالكا " رحمه الله تعالى لم ينف حقيقة الصفة ولكنه نفى علم الكيفية .

وأما قول كثير من السلف في ايات الصفات واحاديثها : امروها كما جاءت بلا كيف ، فليس مرادهم به : الايمان باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه ،

---

١ ــ بمعنى انهم يصرفون النصوص عن ظاهرها ، ثم يقفون عند ذلك ، فلا يحددون معنى ما يؤول اليه اللفظ ، بل يقولون لا ندرى ما اراده الله ورسوله مع علمنا ان ظاهر ذلك غير مراد .

٢ ــ انظر كتاب : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، ابو حامد الغزالي ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، طبعة البابي الحلبي ١٩٦١م ص ١٨٤ .

٣ ــ سورة طه اية (٥) .

ولا اثبات لما تضمنه من صفة والا كان قولهم بلا كيف لا معنى له ، فان من ينفي الصفة لا يحتاج ان يقول : بلا كيف ، بل المراد من قولهم ، أمروها كما جاءت . الامر بابقاء دلالتها على ما هي عليه ، فانها الفاظ دالة على معاني فلو كانت دلالتها منتفية لوجب ان يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد ان الظاهر منها غير مراد .

ولا يقال حينئذ بلا كيف . اذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول . وكذلك قال الامام احمد زعيم اهل السنة في عصره : لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه او بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القران ، والحديث . "١"

ويرى ابن تيمية رحمه الله ان اسماء الله تعالى وصفاته كلها " توقيفية " لا يجوز لنا ان نطلق شيئا منها على الله في حالتي الاثبات او النفي الا بتصريح من الشرع ،

قال : (ما أثبته الله ورسوله اثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفيناه ، والالفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي ، فنثبت ما اثبتته النصوص من الالفاظ والمعاني ، وننفي ما نفته النصوص من الالفاظ والمعاني)"٢"

وقال الامام ابن القيم :

(ونقول هو الحكيم ولا نقول هو العاقل ، ونقول هو خليل ابراهيم ولا نقول هو صديق ابراهيم وان كان المعنى واحدا . لانا لا نسميه ، ولا نصفه ،

---

١ ـ انظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٢٧) نقلا عن كتاب : مذهب ابن تيمية في صفات الله . للدكتور خليل هراس ، طبعة الامام ص (١٢٦ ـ ١٢٧) .

٢ ـ نفس المرجع (١ : ٢٢٩) نقلا عن منهاج السنة (٢ : ٤٤٣) ، تحقيق الدكتور رشاد سالم ، والرسالة التدمرية ص ٤٥ ، ومجموعة الرسائل الكبرى ـ الفرقان بين الحق والباطل (١ : ١٠٢) .

ولا نطلق عليه الا بما سمى به نفسه) . "١"

ويؤكد ابن القيم انه لا يصح لاحد ان يشتق لله تعالى من كل فعل من أفعاله اسما له ، وانما يقتصر على ما ورد في الشرع .

فيقول : (ودخل في اسمائه سبحانه " الواجد " دون الموجد وهو بمعنى ذو الوجد والغنى . فان الموجد صفة فعل ، وهو معطي الوجود ، كالمحيي معطي الحياة ، وهذا الفعل لم يجيء اطلاقه في افعال الله ولا في الكتاب ولا في السنة . فلا يعرف اطلاق اوجد الله كذا وكذا ، وانما الذى جاء خلقه وبرأه ، وصوره واعطاه ، ونحو ذلك .

فلما لم يكن يستعمل فعله ، لم يجيء اسم الفاعل منه في اسمائه الحسني فان الفعل أوسع من الاسم ، ولهذا اطلق على نفسه افعالا لم يتسم منها بأسماء الفاعل ، كأراد ، وشاء ، واحدث ، ... ولم يسم بالمريد ، والشائي ، والمحدث ... كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن وغير ذلك من الأسماء التي اطلق افعالها على نفسه .

فباب الافعال اوسع من باب الاسماء ، وقد اخطأ اقبح الخطأ من اشتق له من كل فعل اسما ، وبلغ بأسمائه زيادة عن الالف فسماه : الماكر والخادع ، والكائد ، والفاتن ، ونحو ذلك) . "٢"

وبناء عليه استطيع ان اقول : ان الشيخ محمد عبده مع السلف في هذه المسألة ، ومع ما قرره ابن تيمية وتلميذه .

---

١ — نفس المرجع (١ : ٢٣٠) نقلا عن : اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ٥٧ .

٢ — نفس المرجع (١ : ٢٣١) نقلا عن : مدارج السالكين (٣ : ٤١٥).

فهو يرى أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، وما يجب له أو يمتنع عنه ، لا سبيل الى ادراكها بالعقل (والواجب عليك شرعا ان تعتقد أنه عالم ، قادر ، مريد ... الى آخر الصفات وليس لك ان تنظر فيما وراء ذلك فانك قاصر عن ان تدركه) لأنها من شؤون الغيب التي لا تدخل في نطاق وظيفة العقل ، وانما وظيفته في ذلك ان يفهم ما تضمنته النصوص من معاني اسماء الرب وصفاته (فيكفينا من العلم بها ان نعلم انه متصف بها ، اما ما وراء ذلك فهو مما يستأثر هو بعلمه ، ولا يمكن لعقولنا أن تصل اليه) .

وقوله : (واما كيفية الاتصاف بها فليس من شأننا ان نبحث فيه) .

وهو يرى أيضا : انه لا يجوز التعويل في اثبات الاسماء والصفات او نفيهما على غير ما جاء به الرسل الكرام ، ومن رجع في شيء من ذلك الى القضايا العقلية ، أو الاستحسان بالرأى او غير ذلك فقد قال على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، وضل عن سواء السبيل ، فنسأل الله له المغفرة .

(فما علينا الا الوقوف عند ما تبلغه عقولنا ، وان نسأل الله ان يغفر لمن آمن به وبما جاء به رسله ممن تقدمنا) .

وفي قول الشيخ " محمد عبده " في الاستدلال على شيء من الصفات ممن اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب بالالفاظ الواردة في اللغة انه (ضعف في العقل وتغرير بالشرع لان استعمال اللغة لا ينحصر في الحقيقة ..) بمعنى آخر : انه يجب علينا ان نؤمن بما ورد في اللغة أوصافا أو أسماء له في كتابه أو سنة رسوله مع تفويض علمها الى الله تعالى وحده .... نظر ، فهو لا يتفق فيه مع مقررى مذهب السلف .

ويكفي للرد عليه ما ورد لهم من كلام في منع المجاز والتأويل ، وسيأتي بيانه فيما بعد باذن الله .

ونسوق نصا للامام ابن القيم في هذا المقام ، يثبت فيه الحقيقة المتبادرة

من ظاهر النص الوارد في صفات الله واسمائه ، اذ لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الداعي الى الله على بصيرة (ان يكون قد اخبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله بما الهدى في خلاف ظاهره ، والحق في اخراجه عن حقائقه ، وحمله على وحشي اللغات ، ومستكرهات التأويلات وان حقائقه خلال ، وتشبيه ، والحاد ، وان الهدى والعلم في مجازه واخراجه عن حقائقه)، "١"

اما ما ورد في رسالة التوحيد وهو قوله : (اما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية، وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات ونحو ذلك من الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب ، فمما لا يجوز الخوض فيه ، اذ لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه) .

فغير مسلم له فيه ، لان مذهب السلف في الصفات واضح كل الوضوح ، وهو مبني على ثلاثة اسس هي : "٢"

١ ـ صفات الله قديمة .

٢ ـ صفات الله قائمة بذاته .

٣ ـ صفات الله زائدة عن ذاته .

وحتى تتكون الصورة الواضحة الجلية لتحديد العلاقة بين الذات والصفات الالهية ، أرى أن أوضح معنى كل واحد من هذه الأمور ..

١ ـ صفات الله قديمة :ـ

=================== يرى علماء السلف ان صفات الله تعالى قديمة، كلها فقد ورد عن الامام احمد رضى الله عنه انه قال : من قال ان الله عز وجل لم يكن موصوفا ، حتى وصفه الواصفون ، فهو بذلك خارج عن الدين . "٣"

---

١ ـ انظر في العقيدة الاسلامية ، ص ٢٤٤ ، نقلا عن : مختصر الصواعق المرسلة (١ : ٦) .
٢ ـ نفس المرجع ص ٢٤٦ . الجزء الاول .
٣ ـ نفس المرجع (١ : ٢٤٦) نقلا عن اعتقاد احمد ، ابو الفضل التميمي (٢ : ٢٣٨) ملحق طبقات الحنابلة .

قال شارح الطحاوية : (ان الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال ، صفات الذات ، وصفات الفعل ، ولا يجوز ان يعتقد ان الله وصف بصفة بعد ان لم يكن متصفا بها ، لان صفاته سبحانه صفات كمال ، وفقدها صفة نقص ، ولا يجوز ان يكون قد حصل به الكمال بعد ان كان متصفا بضده ، ولا يرد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها ، كالخلق ، والتصوير والاماتة ، والاحياء ، والقبض ، والبسط ، والطي ، والاستواء ، والاتيان ، والمجيء ، والنزول ، والغضب ، والرضا ، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، وان كنا لا ندرك كنهه ، وحقيقته التي هي تأويله ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، ولكن اصل معناه معلوم لنا) "١" .

فقدم صفاته تعالى ، اذن لا ينفي قيام الحوادث في ذاته ، ولا يتعارض معه ، بل يرى ابن تيمية ان ذلك ضرورة لا مناص منها لفهم كثير من النصوص التي تدل على حدوث احاد تلك الصفات ، بصراحة لا تقبل التأويل .

ويرى ان الصفات قديمة ، الا ان منها ما هو قديم الجنس حادث الاحاد بمعنى ان الصفة قديمة ولكن تحدث في ذاته تعالى آحادها ، وذلك مثل العلم والسمع ، والبصر ، والكلام .

ويفصل شارح العقيدة الطحاوية في حلول الحوادث بالرب تعالى المنفي في علم الكلام فيقول :

(فان اريد بالنفي انه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة ، اولا يحدث له وصف متجدد لم يكن — فهذا نفي صحيح . وان اريد به نفي الصفات الاختيارية من انه لا يفعل ما يريد ، ولا يتكلم بما شاء اذا شاء ولا انه يغضب ويرض لا كأحد من الورى ولا يوصف بما وصف به

---

١ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٧ .

نفسه من النزول والاستواء والاتيان كما يليق بجلاله ، وعظمته — فهذا نفي باطل) . "١"

وذهب السلف أيضا الى ان كل ما وصف به تعالى من افعاله الاختيارية ، فهو قائم به ، وان هذا ما دل عليه العقل ، واقتضته اللغة .

فاللغة ليس فيها ان من اوجد شيئا في غيره كان متصفا بذلك الشيء ، فلا يقال لمن اوجد حركة في جسم من الاجسام انه متحرك بهذه الحركة ، بل الجسم الذى قامت به الحركة هو المتحرك ، لانه لا يشتق لمحل اسم من صفة لم تقم به .

كما ان العقل يقتضي ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل ولا يتأتى ان يكون حكم هذه الصفة عائدا على غير ذلك المحل . فالحياة ، والعلم ، والقدرة اذا قامت بمحل كان ذلك المحل حيا عالما قادرا ، ولا يكون الحي حيا بحياة تقوم بغيره ولا العالم عالما بعلم يقوم بغيره ، ولا القادر قادرا بقدرة تقوم بغيره .

وكذلك الامر في الافعال ، فلا يكون باتفاق العقلاء متحركا بحركة تقوم بغيره ، بل المتحرك هو من قامت به الحركة ، وطرد هذا انه لا يعقل فاعل الا من يقوم به الفعل . "٢"

وابن تيمية يرى ان هذا ما دل عليه الشرع والعقل فهو يقول :

(فان قلتم لنا : فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب . قلنا لكم نعم ، وهذا قولنا الذى دل عليه الشرع والعقل ، ومن لم يقل ان البارى يتكلم ويريد ويحب ويبغض ويرضى ويجيء ، فقد ناقض كتاب الله . ومن قال انه لم يزل ينادى

---

١ — نفس المصدر ص ١٢٩ .

٢ — انظر : في العقيدة الاسلامية ص ٢٥٠ — ٢٥١ نقلا عن منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢ : ٢٩٣) تحقيق الدكتور رشاد سالم .

موسى في الازل فقد خالف كلام الله مع مكابرة العقل ، لان الله تعالى يقول " فلما جاءها نودي " "١" وقال : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " "٢" ، فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال فقيام الحوادث بذات الله لم ينكره احد من السلف والائمة ، ونصوص القران تتضمن ذلك مع صريح العقل) "٣"

٢ — صفات الله قائمة بذاته :

يرى السلف ان صفات الله تعالى ، ليست قائمة بنفسها وانما هي قائمة بذاته سبحانه وتعالى ، لان الصفات لا تقوم الا بموصوف ،

ورأوا أنه لا يصح ان تقوم صفات الله تعالى بغيره ، والا لما صح وصف الله بها ، بل كانت صفات من قامت به ٠

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(فيمتنع أن تقوم هذه الصفات الا بموصوف قائم بنفسه ، ولا يجوز ان تقوم صفات الله بأنفسها بل بموصوف ، وكذلك صفات العباد ، لا يجوز ان تقوم بأنفسها بل بموصوف) ٠ "٤"

ويقول : (وايضا فالرسل الذين خاطبوا الناس ، واخبروهم ان الله تعالى قال ، ونادى وناجى ، ويقول ، لم يفهموهم ان هذه مخلوقات منفصلة

---

١ — سورة النمل اية (٨) ٠

٢ — سورة يس اية (٨٢) ٠

٣ — انظر : المرجع السابق ص ٢٥٤ ، نقلا عن منهاج السنة النبوية (١ : ٢٢٤) ،

وعن كتاب : الصواعق المرسلة ، لابن القيم (١ : ٢٦٣) ٠

٤ — انظر في العقيدة الاسلامية (١ : ٢٥٧) نقلا عن منهاج السنة النبوية (٢ : ٤٧٩) ٠

عنه ، بل الذى افهموهم اياه ان الله تعالى نفسه هو الذى يتكلم والكلام قائم به لا بغيره ..

وبالجملة : لا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم الا من يقوم به القول والكلام ولا يعقل في لغة احد ، لا لغة الرسل ولا غيرهم ، ولا في عقل احد ان المتكلم يكون متكلما بكلام لم يقم به قط ، بل هو بائن عنه ، اخبره في غيره ، كما لا يعقل انه متحرك بحركة خلقها في غيره ، ولا يعقل انه متلون بلون خلقه في غيره ... وطرد ذلك انه لا يعقل انه مريد بارادة احدثها في غيره ، ولا محب ، وراض ، وغضبان ، وساخط ، برضى ومحبة وغضب ، وسخط ، خلقه في غيره) .

ويخلص الى القول بأن (الكلام والقدرة والعلم وسائر الصفات انما يتصف بها من قامت به) . "١"

ويؤكد الامام ابن القيم هذا فيقول : (ان اتباع الرسل الذين نقلوا هذا الباب عنهم ، اثبتوا لله صفة الكلام ، كما أثبتوا له سائر الصفات ، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها ، لا كما يقوله بعض المكابرين انه خلق الكلام لا في محل ، ومحال قيامها بغير الموصوف بها ، وكما يقوله المكابر الاخر ، انه خلق في محل ، فكان هو المتكلم به دون المحل) . "٢"

٣ — صفات الله زائدة عن ذاته :
===================== يرى محرروا مذهب السلف ، ومقرروه ان الصفات الالهية ، كالقدرة ، والعلم ، والارادة ... معان قائمة بالذات

---

١ — نفس المرجع ، (١ : ٢٥٨) نقلا عن منهاج السنة النبوية (٢ : ٢٩٠ — ٢٩١) .

٢ — نفس المرجع :/ نقلا عن مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣ : ٢٩٣) .

زائدة عليها .

قال ابن تيمية ، حاكيا مذهب جمهور مثبتة الصفات الذين يقولون بأن لله تعالى صفاتا زائدة عن ذاته :

(واما جمهور مثبته والصفات فيقولون : لا يكون عالما ، الا بعلم ، ولا قادرا الا بقدرة اى يمنع ان يكون عالما من لا علم له ، وان يكون قادرا من لا قدرة له ، وان يكون حيا من لا حياة له ، ولا ريب ان هذا معلوم ضرورة فان وجود اسم الفاعل بدون مسمى المصدر ممتنع ، وهكذا كما لو قيل : مصل بلا صلاة ، وصائم بلا صيام ، وناطق بلا نطق) . "١"

وعارض منكرى الصفات ، ودلل على فساد رأيهم ، وقال ان الذات بدون صفات لها امر لا وجود له في الاذهان ، وليس لها وجود في الخارج ، فان الذهن قد يفرض أحيانا المحال ويتخيله ، فانه لا يمكن وجود شيء قائم بنفسه في الخارج لا يتصف بصفة ثبوتية اصلا ، (ففرض ذاته بدون صفاته اللازمة الواجبة له فرض ممتنع) . "٢"

وقال شارح الطحاوية : (ولهذا كان أئمة السنة رحمهم الله تعالى ، لا يطلقون على صفات الله وكلامه انه غيره ، ولا انه ليس غيره ، لان اطلاق الاثبات قد يشعر ان ذلك مباين له ، واطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو ، اذا كان لفظ الغير فيه اجمال ، فلا يطلق الا مع البيان والتفصيل :

فان اريد به ان هناك ذاتا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها — فهذا غير صحيح .

وان اريد به ان الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة — فهذا حق . ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن

---

١ — منهاج السنة النبوية (٢ : ٣٨٨) .

٢ — نفس المصدر ص ٣٩٠ .

الصفات ، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال ، الثابتة لها ، لا تنفصل عنها ، وانما يفرض الذهن ذاتا وصفة كلا وحده . ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة ، فان هذا محال .

ولو لم يكن الا صفة الوجود ، فانها لا تنفك عن الموجود ، وان كان الذهن يفرض ذاتا ووجودا . يتصور هذا وحده ، وهذا وحده ، لكن لا ينفك احدهما عن الاخر في الخارج) . "١"

فالسلف رضي الله عنهم يرون أن اثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج . وان كان الذهن قد يفرض المحال ويتخيله ، وهذا كما يقول السلف " غاية التعطيل " .

وهو بمنزلة من يقول : أثبت انسانا لا حيوانا ولا ناطقا ، ولا قائما بنفسه ، ولا بغيره ، ولا له قدرة ولا حياة ولا حركة ولا سكون ولا .... ولا .

أو قال : اثبت شجرة لا ساق لها ولا جذع ، ولا ثمر ولا ورق ولا غير ذلك فان من يقول هذا يثبت ما لا حقيقة له في الخارج ولا يمكن تصوره .

وقد أستدل السلف بأصل اللغة فقالوا :

ان لفظ " ذات " في اصل معناها لا تستعمل الا مضافة .

تقول : ذات وجود ، ذات قدرة ، ذات ارادة ... الى اخر ذلك

وقالوا : يشهد لهذا ما ورد في القران الكريم :-

١ - قال تعالى " عليم بذات الصدور " . "٢"

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٩ .

٢ - سورة ال عمران اية (١١٩) ، (١٥٤) / وسورة المائدة اية (٧) / وسورة الانفال (٤٣) / وسورة هود اية (٥) / ولقمان اية (٢٣) / وفاطر اية (٣٨) / والزمر اية (٧) / والشورى اية (٢٤) / والحديد اية (٦) / والتغابن اية (٤) / والملك اية (١٣) .

٢ ـ وقال تعالى : " فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم " . "١"

وايضا : فقد كثر استعمالها مضافة عند العرب وفي اشعارهم ، فيقولون : " ذات الاله " ، وذات كذا بمعنى صاحبة كذا ، وهي تأنيث ذو وهو اصل معناها . "٢"

وفي الاسلام استعملها الشعراء كخبيب بن عدى ، وحسان بن ثابت رضي الله عنهم ، فكانوا يقولون : " وذلك في ذات الاله " "٣" ، " يجاهد في ذات الاله " . "٤"

فلا يتصور انفصال الذات عن الصفات ، ووجود ذلك في الذهن شيء فرضي له كما يفرض عرض يقوم بنفسه لا بغيره ، وصفة لا تقوم بغيرها ، فما هو قائم بنفسه فلا بد له من صفة ، وما كان صفة فلابد له من قائم بنفسه متصف به ، وقد سلم المنازعون انهم لا يعلمون قائما بنفسه لا صفة له ، سواء سموه جوهرا او جسما او غير ذلك .

ويقولون : وجود جوهر معرى عن جميع الاعراض ممتنع " . "٥"

---

١ ـ سورة الانفال اية (١) .

٢ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

٣ ـ من قول الصحابي الجليل خبيب بن عدى ، حين قتلوه طعنا ، ووجهوه بخلاف جهة الكعبة ،

قال : ولست ابالي حين اقتل مسلما على اى جنب كان في الله مصرعي .
وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على اوصال شلو ممـــزع .

انظر : بدائع الفوائد ، لابن القيم ، طبعة دار الطباعة المنيرية ، بيروت (٢ : ٦) .

٤ ـ من قول شاعر الاسلام حسان بن ثابت ، وهو ينشد النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذى فوق السموات من عـل
وان أخا الاحقاف اذ قام فيهم يجاهد في ذات الاله ويعـــدل

انظر : شرح الطحاويـــة ص ٣١٥ .

٥ ـ شرح الطحاوية ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(ولهذا كان السلف والائمة يسمون نفاة الصفات معطلة ، لان حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى ، وان كانوا هم لا يعلمون ، أن قولهم مستلزم للتعطيل بل يصفونه بالوصفين المتناقضين ، فيقولون هو موجود ، قديم ، واجب ثم ينفون لوازم وجوده ، فيكون حقيقة قولهم ، موجود ليس بموجود ، حق ليس بحق ، خالق ليس بخالق ، فينفون عنه النقيضين ، اما تصريحا بنفيهما ، واما امساكا عن الاخبار بواحد منهما) . "١"

والامام ابن القيم قرر انه لابد من اثبات صفات الكمال لله تعالى ، وانها معاني زائدة على ذات الاله ، فقال :—

(ان أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله ، فهي مشتقة من الصفات ، فهي أسماء وأوصاف ، لأنها لو لم تدل على معاني زائدة وأوصاف ، لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها ، لكن الله أخبر عنها بمصادرها ، واثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ، كقوله تعالى : " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " "٢" فعلم ان القوة من أسمائه ، ومعناه الموصوف بالقوة ، فلولا ثبوت القوة لم يكن قويا .

وايضا لو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يسغ أن يخبر عنه بأفعاله ، فلا يقال : يسمع ، ويرى ، ويعلم ، ويقدر ، ويريد .

فان ثبوت احكام الصفات فرع ثبوتها ، فاذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها .

وايضا لو لم تكن اسماؤه ذوات معان واوصاف ، لكانت جامدة ، كالاعلام المحضة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به ، فكانت كلها سواء ، ولم يكن فرق بين مدلولاتها .

---

١ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٥ : ٣٢٦ — ٣٢٧) .
٢ — سورة الذاريات اية (٥٨) .

وهذه مكابرة صريحة ، وبهت بين ، فان من جعل اسم القدير هو معنى اسم السميع البصير ، ومعنى اسم التواب هو معنى اسم المنتقم ، ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع ، فقد كابر العقل واللغة والدين ، فنفي معاني أسمائه من اعظم الالحاد فيها) . "١"

هذا ما قرره علماء السلف ، وقد ردوا على من خالفهم من المعتزلة وغيرهم الذين نفوا ان يكون لله تعالى صفات زائدة عن ذاته ، بحجة أنه :

لو كان لله تعالى صفات قديمة زائدة على ذاته سبحانه ، لشاركت الله في أخص وصف له ، ولتعدد القدماء ، وهذا يتنافى مع الوحدانية الواجبة لله تعالى .

وقد حكم الله تعالى على النصارى بالكفر لقولهم : " ان الله ثالث ثلاثة" وقال " وما من اله الا اله واحد " "٢" لا صفات له زائدة على ذاته الواحدة ، ومن هنا كان التوحيد هو الأصل الأول في أصول المعتزلة . "٣"

فقالوا :

ان الممنوع هو وجود ذوات قديمة متعددة ، لان هذا هو الشرك المنافي للتوحيد وقد حكم الله تعالى بكفر النصارى لأنهم قالوا بوجود ذوات متعددة يستحق كل واحد منها ان يعبد ، فقالوا : " ان الله ثالث ثلاثة " فقال الله تعالى ردا عليهم : " وما من اله الا اله واحد " ولم يقل ما من قديم الا قديم واحد .

---

١ — مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين (١ : ٢٨ — ٢٩)

٢ — سورة المائدة اية (٧٣) .

٣ — انظر : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٨٢ وما بعدها .
وانظر : الملل والنحل للشهرستاني (١ : ٤٤) .
وانظر : نهاية الاقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ، تحقيق وتحرير وتصحيح : ألفرد خيوم ص ٢٠١ .

وقد رأيت ما قاله شارح الطحاوية : (ان الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة ، والذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها) .

ويقول أيضا :

(وقد يقول بعضهم : الصفة لا عين الموصوف ولا غيره ، هذا له معنى صحيح ، وهو ان الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها ، وليست غير الموصوف ، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد .

فاذا قلت : اعوذ بالله ، فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه .

واذا قلت اعوذ بعزة الله ، فقد عذت بصفة من صفات الله تعالى ولم أعذ بغير الله) "١"

وقال : (وهذا المعنى يفهم من لفظ الذات) .

وقد ذكرت قبل قليل اصل معنى الذات ، وانها لا تستعمل في اصل معناها الا مضافة ويستشهد شارح الطحاوية على ما قال بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" . "٢"

---

١ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

٢ — الحديث صحيح ، اخرجه مسلم رقم (٢٢٠٢) ونصه بتمامه : عن عثمان بن ابي العاص الثقفي أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا في جسده منذ اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا ، وقل سبع مرات : اعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد واحاذر " ورواه مالك في " الموطأ " (٢ : ٩٤٢ / ٩) ، وعند ابو داود رقم (٣٨٩١) والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .=

وبقوله ايضا : " اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " . "١"

ولا يعوذ عليه السلام بغير الله ، وكذا قال صلى الله عليه وسلم : " اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، واعوذ بك منك " . "٢"

وقال صلى الله عليه وسلم : " ونعوذ بعظمتك ان نغتال من تحتنا " . "٣"

وقوله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات " . "٤"

وقد ذكر ذلك أيضا شيخ الاسلام ابن تيمية ، مستشهدا بقول أئمة السلف ومنهم الامام أحمد رضى الله عنهم .

قال :

(وقد نص الائمة كأحمد بن حنبل وغيره ، على ان القائل اذا قال : الحمد لله ، أو قال : دعوت الله وعبدته ، اوقال : عذت بالله ، فاسم الله متناول لذاته المتصفة بصفاته ، وليست صفاته زائدة على مسمى أسمائه الحسنى) . "٥"

= بلفظ : " اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد " دون لفظة احاذر ، وكذلك رواه احمد والحاكم وقال : صحيح الاسناد . / انظر شرح الطحاوية ص ١٣٠ .

١ ـ صحيح اخرجه مسلم (٢٧٠٨) ، وابو داود (١٨٩٨ ، ٣٨٩٩) ، وسنده صحيح .

٢ ـ رواه مسلم وغيره وهو من ادعية السجود .

٣ ـ صحيح اخرجه ابو داود (٥٠٧٤) ، واحمد (٢ : ٢٥) بسند صحيح وهو من ادعية الصباح والمساء .

٤ ـ حديث ضعيف رواه ابن اسحق بسند ضعيف معضل . انظر شرح الطحاوية ص ١٣١ .

٥ ـ مجموع الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ، تعليق الشيخ محمد رشيد رضا (٥ : ٥١) .

ويرى السلف ايضا أن كل صفة من الصفات ملا زمة للاخرى لا تنفك عنها

يقول ابن تيمية :

(فان البارى تعالى خالق لكل ما سواه ، فله تعلق بمخلوقاته ، وذاته ملازمة لصفاته ، وصفاته ملازمة لذاته ، وكل من صفاته اللازمة ملازمة لصفته الاخرى) "١"

ولا يصح عند السلف اطلاق لفظ الغير على الصفات لما فيه من الاجمال الموهم للشركة ، ولا لفظ العين لانه يوهم نفيها .

وأساس ذلك أنه لا يصح في مسألة الصفة أن تستعمل الالفاظ التي لم يرد بنفيها ولا اثباتها شيء في الكتاب والسنة .

وهذا ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية :

قال : (فاذا لا نطلق على صفاته أنها غيره ولا انها ليست غيره على ما هو عليه ائمة السلف كالامام احمد بن حنبل وغيره ، وهو اختيار حذاق المثبتة كابن كلاب وغيره ، ومنهم من يقول : أنا لا اطلق عليها أنها ليست هي هو ، ولا أطلق عليها أنها ليست غيره) . "٢"

وبعد :

فقد بينت مذهب السلف رضوان الله عليهم في العلاقة بين الذات الالهية ، وصفاتها ، وقلت انهم يثبتون لله تعالى أوصافا قديمة قائمة بذاته ، زائدة عليها ، حسبما ورد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة .

---

١ ــ منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، تحقيق دكتور رشاد سالم (٢ : ٩٦) .

٢ ــ مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥ : ٥٠)

وانظر مجموع الفتاوى (٥ : ٣٢٦) ، (٦ : ٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦)

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

وانظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٥٥) وما بعدها .

وبذلك : فقد أعطوا تصورا واضحا لتحديد العلاقة بين الذات ، والصفات الالهية ، في الفكر الاسلامي .

وبناء عليه ، وعلى ضوء ما قرره السلف أستطيع أن أقول :ـ

ان الشيخ " محمد عبده " توقف في موضوع زيادة الصفات على الذات ولم يعط القارئ ، تصورا واضحا في ذلك ، بل تركه رهين قوله : (أما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات ونحو ذلك من الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب ، فمما لا يجوز الخوض فيه ، اذ لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه) "١" من غير ان يذكر شيئا مما قاله السلف في هذا الموضوع ، ويبين مذهبهم فيه .

وأنا لا اعيب على الشيخ " محمد عبده " أن يتوقف في مثل هذه المسألة فان المرء يتوقف عن الشيء عند شعوره بالعجز عن التمادى فيه ، ولكن الذى آخذه عليه هو ما علل به هذا التوقف ، فقد علله بأمرين :ـ

الامر الأول : العجز البشرى عن الوصول الى تحديد كنه هذه العلاقة بين الذات الالهية وصفاتها .

يقول : (اذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل اليه) "٢"

ويقول : (فانك قاصر عن ان تدركه) "٣" .

ويقول : (ولا يمكن لعقولنا ان تصل اليه) "٤"

---

١ ـ رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٨٠ ـ ٣٨١) .
٢ ـ نفس المصدر ونفس الصفحة .
٣ ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٣٣٢) .
٤ ـ رسالة التوحيد / انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٨٠) .

ويقول : (ومنتهي ما تصل اليه عقولنا ان نعرف الصفات بما يدل عليها أما الذات فهي اعلى وارفع من ان تتوجه عقولنا اليها) "١"

ولو كلف الشيخ " محمد عبده " نفسه في البحث ، عن وجهة نظر السلف في هذا الموضوع ، واستعمل عقله في فهم مقصودهم ، لتبين له ان الانسان يستطيع ان يحدد نوعية العلاقة القائمة بين ذات الله وصفاته ، في ضوء ما ورد من اخبار على لسان الشرع ، بل ان العقل واللغة يدلان على هذا .

الأمر الثاني :

انه اعترض على من التمس أدلة من السمع لايضاح هذه العلاقة معللا اعتراضه هذا بأن القران الذى نزل بلغة العرب ليس قاصرا في استعمالاته على الحقيقة وحدها . لكنه يتجاوزها الى المجاز .

وحتى على فرض اقتصاره على الحقيقة فان الواضع للالفاظ لا يراعي كنه الحقائق ، وما هياتها ، كما هي عليه في نفس الأمر ، بل يراعي ما يفهم منها في عرف الناس واصطلاحاتهم .

وهذا غير مسلم للشيخ " محمد عبده " ، ولن اقبله منه بحال ، لأن القران كلام الله ، لا ككلام البشر ، والله سبحانه يعرف حقائق الاشياء وما هياتها ، والبشر لا يعرفون ، واذا استعمل الالفاظ في الدلالة فانه يستعملها فيما يدل على الحقائق والماهيات الاصلية . "٢"

هذا هو عين الرأى الذى نهت عليه السلف مع من يدعون المجاز في القران .

فالواجب عندهم على كل مسلم أن يعلم ويعرف ان كل لفظ موجود في

---

١ — تفسير جزء عم ، الموجود ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٨٧).

٢ — سوف يأتي بحث الحقيقة والمجاز ، بعد قليل عند البحث في الصفات الخبرية .

كتاب الله مقيد بما يدل على معناه ، وليس في القران شيء من ذلك المجاز ، بل كله حقيقة . لانه ليس هناك ضابط مميز لما هو حقيقة ، ولما هو مجاز ، بل يجوز ان يدعى المجاز فيما هو حقيقة ، والحقيقة فيما هو مجاز .

وايضا : فالسلف ينتهون الى انه لا يجوز اخضاع لغة القران لتقسيم اللفظ الى لفظ على الحقيقة ، ولفظ على المجاز ، لان هذا التقسيم لم يكن معروفا عند المتقدمين ، وما كانوا يستعملونه ، وانما هو محدث ، استحدث بعد القرون الثلاثة الاولى . "١"

وبناء على ذلك يقرر السلف ان جميع الصفات الالهية يجب ان تظل على حقيقتها ولا داعي لصرفها عن ظاهرها استنادا لما يأتي :-

١ — التتبع اللغوى :

فان من يستقصي لغة العرب في عصر الاستشهاد ، لا يجد من يقول بتقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز .

٢ — العرف السائد في اللغة :

فالعرف الذى كان سائدا بين العرب ، وقت نزول القران ، لم يعرف هذا التقسيم ، فلم يقل به احد من الصحابة ، وكان خطاب القران للناس نصا في معناه ، من غير تجوز ولا تأويل ، بناء على التداول المعروف في الخطاب في لغتهم .

٣ — ان تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز يستلزم القول بأن اللغات وضعية ، وهذا قول لا يمكن لاحد لن يقدم الدليل عليه .

٤ — يوجد نوع من التجوز في الاستعمال اللغوى لبعض الالفاظ المتواطئة التي هي من قبيل المشترك اللفظي .

---

١ — انظر : في العقيدة الاسلامية (١ : ٢٦٦) .

والتجوز في التعبير بهذا اللفظ المعين عن هذا المعنى أو ذاك ليس تجوزا في الدلالة ، بمعنى ان لا يكون حقيقة في احدهما مجازا في الاخر ، بل هو حقيقة فيهما ، والتجوز انما هو في التعبير فقط .

ومن هذا النوع الفاظ مثل " العين ، " واليد " فهذه الألفاظ يوجد قدر مشترك بين عامة موارد ها في الاستعمال ، ولهذا كانت حقيقة في معناها المراد . "١"

هذا هو المنهج الواضح الذى سار عليه السلف ومن تبعهم ، قد عرفنا في ضوئه نقاط الالتقاء ، والافتراق بينهم وبين الشيخ محمد عبده .

والآن أريد أن ادرس الصفات الالهية في فكر الشيخ محمد عبده ، وأعرضها على منهج السلف الذى تفهم في ضوئه هذه الصفات ، لأرى ، هل الشيخ محمد عبده مع السلف في تحديد معنى الصفات أم لا ؟

===

---

١ ـ انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٢٨٥) نقلا عن كتاب : ابن تيمية وموقفه من التأويل ، للدكتور الجليند ، طبع مجمع البحوث العلمية ص ٣٧٩ .

١ ـ " الحياة "

========

يذهب الشيخ محمد عبده الى أنه مما يجب ان يكون لله تعالى صفة الحياة .

معناها :

===== وبيان معناها أنها صفة لله تستتبع العلم والارادة . "١"

أو : (انما معنى الحياة بالنسبة اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة ، أى الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة) "٢" .

اثباتها :

====== استدل الشيخ محمد عبده على انه تعالى " حي " بوجوه :

الاول : قوله تعالى " الله لا اله الا هو الحي القيوم " . "٣"

وجه الاستدلال :

قال : وأما الحي فهو ذو الحياة ، وهي مبدأ الشعور والادراك والحركة والنمو ، وذلك كمثل النبات والحيوان ، فان كلا منهما حي وان تفاوتت الحياة فيهما ، فكانت في النبات اكمل منها في الحيوان .

والحياة بهذا المعنى مما ينزه الله تعالى عنه ، لانه محال عليه .

ويستبعد الشيخ محمد عبده تفسير الجلال "٤" " الحي " بالدائم

---

١ ـ رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٢) .

٢ ـ انظر تفسير المنار المجلد الاول ، عند قوله تعالى " الله لا اله الا هو الحي القيوم " .

٣ ـ سورة البقرة اية (٢٥٥) .

٤ ـ تفسير الجلالين ص (٤٥) ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، جلال الدين محمد بن احمد المحلي ، الطبعة الثالثة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م .

البقاء ، ويقول انه لا يفهم من اللفظ مطلقا ، ويقرر ان معنى الحياة بالنسبة اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة .

الوجه الثاني : عقلي :

وهو : ان الحياة مصدر النظام ، وناموس الحكمة ، وهي كمال للوجود ، ولو لم تثبت له هذه الصفة ، لكان في الممكنات ما هو اكمل منه وجودا ، والمعلوم انه اعلى الموجودات واكملها .

وايضا : الواجب هو واجب الوجود وما يتبعه ، فكيف لو كان فاقدا للحياة يعطيها ؟

فالحياة له ، كما أنه مصدرها .

" مناقشة مذهب الشيخ محمد عبده "

==================== في بيان مفهوم الحياة قال الشيخ محمد عبده : انها صفة تستتبع العلم والارادة .

ولا ندرى هل يريد بالاستتباع في قوله تستتبع الاستلزام ؟ لكن يرد على ذلك انه ليست الحياة دائما تستلزم العلم والارادة ، فالحيوان مريد غير عالم ، والنبات لا مريد ولا عالم وكلاهما حي .

ولو فسرنا الاستتباع بمعنى ان العلم والارادة تابعان في الدرجة والتعقل للحياة ، بمعنى أنه لا يعقل ان غير الحي يكون عالما أو مريدا . لكان ذلك أولى . ولعله يريد ذلك .

ويؤيده ما ذكره في تفسير قوله تعالى " الله لا اله الا هو الحي القيوم" فقد استبعد ان يكون الحي هو دائم البقاء ، وقال انه لا يفهم من اللفظ مطلقا ، وذلك لان دوام البقاء لا يستلزم الحياة كالجماد مثلا اذا دامت بقاؤه .

ولا أسلم للشيخ محمد عبده قوله : الواجب هو واهب الوجود وما يتبعه ، فكيف لو كان فاقدا للحياة يعطيها ؟ .

لأنه يصلح للبشر ، ففاقد الشيء من البشر لا يستطيع أن يعطيه لكن بالنسبة لله ، يستطيع ان يعطي ما هو كمال وما هو نقص ، مع أن النقص ليس فيه .

فقضية ان فاقد الشيء لا يعطيه هي من المشهورات وليست من العلوم الصحيحة .

أما بقية كلامه في بيان مفهوم واثبات صفة الحياة لله تعالى . فهو موافق لما عليه السلف ، وكثير غيرهم .

فقد اثبتوا الله صفة حياة حقيقية أزلية لائقة بكماله وجلاله . "١"

فهو سبحانه وتعالى حي ، وله حياة يباين بها صفة من ليس بحي .

أدلة السلف :

======== استدل السلف على مذهبهم هذا بالكتاب ، واجماع أهل الأديان ، والعقل .

١ ــ الكتاب الكريم :

============ ورد في الكتاب ذكر " الحي " الذى فيه معنى الحياة لله تعالى ، في الايات التالية :

---

١ ــ انظر : الفقه الأكبر في التوحيد ، لمحمد بن ادريس الشافعي ، الطبعة الاولى ، المطبعة الادبية ، بالازبكية على نفقة احمد افندى ، ص ١٤ .

وانظر : الفقه الأكبر لابي حنيفة النعمان بن ثابت ، بشرح عبد الكريم تتان نشر وتوزيع مكتبة الغزالي ، ومكتبة ابن الفارض حماة ، ص ١٠ .

وانظر : منهج ودراسات لايات الاسماء والصفات ، لمحمد الامين الشنقيطي ، طبع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، توزيع الجامعة الاسلاميـــة بالمدينة المنورة ص ٦ .

أ : قال تعالى : " الله لا اله الا هو الحي القيوم "• "١"

ب : قال تعالى : " الم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم "• "٢"

جـ : قال تعالى : " وعنت الوجوه للحي القيوم "• "٣"

د : قال تعالى : " وتوكل على الحي الذى لا يموت وسبح بحمده "• "٤"

هـ : قال تعالى : " هو الحي الذى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين "• "٥"

وجه الاستدلال :

هذه الايات تفيد بأن الله حي ، وهذا يدل على أنه لا يكون حيا الا بحياة هي صفة من صفاته • وهي صفة كمال ، بل هي مستلزمة لجميع صفات الكمال ، وكل كمال لا نقص فيه ثبت لمخلوق ، وامكن ان يتصف به الخالق فهو أولى به • "٦"

قال شارح الطحاوية ما معناه :

ان الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها ، وان اسم الحي انتظم صفات الكمال ، ثم انتظام وعليه مدار الاسماء الحسنى كلها ، واليه ترجع معانيها • "٧"

---

١ ـ سورة البقرة اية (٢٥٥) •
٢ ـ سورة ال عمران الايات (١ ـ ٢) •
٣ ـ سورة طه اية (١١١) •
٤ ـ سورة الفرقان اية (٥٨) •
٥ ـ سورة غافر اية (٦٥) •
٦ ـ انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٨٩ •
٧ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٢٥ •

٢ ـ اجماع اهل الاديان :

============== ذكر كثير من العلماء "١" أن أهل الاديان السماوية وغيرهم ، استدلوا على ان الله تعالى " حي " .

وقال العلماء : ان اثبات ذلك مما اتفق عليه الكل . "٢"

٣ ـ العقـــل :

============ قال السلف : ثبت أنه تعالى قادر عالم فمن كان كذلك فهو حي .

أما المقدمة الاولي : فدليلها ما يأتي في بحث العلم والقدرة واثباتهما لله تعالى

وأما المقدمة الثانية : فلأنه لا يتصور قادر عالم ليس حيا ، بمعنى انه يستحيل قيام العلم والقدرة بغير الحي .

فثبتت النتيجة وهي اثبات صفة الحياة لله تعالى . "٣"

وهذا الدليل العقلي معناه عند ابن تيمية أن من شرط من يتصف بالعلم والقدرة ان يكون حيا ، اذ أن ما ليس بحيي يمتنع ان يكون عالما ، والعلم

---

١ ـ انظر شرح المواقف ، الموقف الخامس في الالهيات ص ١٢٩ . / وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١ : ٤٤) .

٢ ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، لابن تيمية ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ومحمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م (١ : ١٤ ـ ١٥) .

وانظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٦٠ وما بعدها .

٣ ـ انظر كتاب : المعتمد في اصول الدين . لأبي يعلى ، محمد بن الحسين ابن خلف الحنبلي ، تحقيق الدكتور / وديع زيدان حداد ، دار المشرق بيروت ـ لبنان ص ٤٧ .

بهذا ضروري وهذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ، ولا غائبا ، فتقدير عالم بلا حياة ممتنع بصريح العقل . "١"

هذا هو مذهب السلف وجمهور العلماء في إثبات صفة الحياة لله تعالى . وبيان مفهومها . وهو مذهب واضح .

لكن الشيخ محمد عبده في بيان مفهوم الحياة قال : انها مبدأ العلم والقدرة ،

ثم قال : اي الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة ، وقبلها قال : انها صفة تستتبع العلم والارادة .

وقد ناقشت هذا القول ، وبقي على أن أقول :

أن أراد الشيخ محمد عبده بالحياة انها صفة توجب صحة الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة ، فهو مع جمهور اهل السنة .

اما اذا اراد بالحياة انها صحة الاتصاف بالعلم والقدرة والارادة فقط ، دون غيرها من الصفات فهذا لا بد له من مرجح ، لان الحياة كما يصح معها الاتصاف بالعلم والقدرة والارادة يصح معها الاتصاف بالسمع والبصر والكلام ..

ولعل الشيخ محمد عبده قد ذكر العلم والارادة والقدرة في تعريف الحياة للتمثيل لا للحصر . فان للحياة خواص متعددة ، منها صحة الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام أو ببعض ذلك أو بجميعه فيكون الشيخ محمد عبده بذلك قد عرفها بالرسم باحدى خواصها ، فيكون قد أخذ العلم والارادة والقدرة في التعريف للتمثيل ، لانه يجوز ان تعرف الحياة بخاصة اخرى كصحة الاتصاف بالسمع أو البصر مثلا . "٢"

---

١ — انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٢٦ .

٢ — من مذكرات الشيخ محمد يوسف الشيخ في مادة " العقيدة " لسنة ١٣٩٨ هـ .

٢ - العلـــــم

===============

تعريفـــه ، وثبوتـــه :

================== يذهب الشيخ محمد عبده الى انه مما يجب ان يكون لله تعالى " صفة العلم " .

أ : تعريفـــه :

========== وقد بين الشيخ محمد عبده المراد به فقال : ويراد بـــه : "١" ما به انكشاف شيء عند من تثبت له تلك الصفة . اى مصدر ذلك الانكشاف منه .

ب - ثبوتـــه :

========== وقد استدل الشيخ محمد عبده على ثبوت تلك الصفـــة بالاستدلالات التالية :

١ - الاستدلال الاولى : قال :

======================

ان العلم من الصفات الوجودية التي تعد كمالا في الوجود ، ويمكـــن ان تكون للواجب ، وكل ما كان كذلك ، وجب ان يثبت له ، فواجب الوجود عالم .

٢ - الاستدلال الثانـــي : قـــال :

==========================

ان البداهة تقضي بأن العلم كمال في الموجودات الممكنة ، ومعلـــوم ان من الممكنات من هو عالم ، فلو لم يكن الله عالما لكان في الموجودات الممكنة ما هـــو اكمل منه ، وهو محال عليه تعالـــى .

وهذا استدلال بقياس الاولى ، وهو طريق اثبات الكمال للـــه .

---

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٢) .

٣ ـ الاستدلال الثالـــث : بالعقـــل

==============================

قال : أن الله هو مصدر العلم ، وهو واجب العلم فى عالـــم الامكان ، ولا يقبل العقل ان مصدر الشيء يفقده .

وفي الرد على هذا يرجع الى ما قلناه في التعليق عليه تحت الكلام على صفة الحياة .

٤ ـ القسم الرابع من الاســـتدلال :

==========================

قال : ما نشاهده فى نظام الممكنات من الاحكام والاتقان ، ووضع كل شيء في موضعه ، يدل على ان مصدره هو العالم بكل شيء الذى أعطـى كل شيء خلقه ثم هدى .

وفي الختام : يرى الشيخ محمد عبده ان علم الواجب من لـــوازم ذاته ، وهو محيط بكل ما يمكن علمه ، وعلمه تعالى لا يفتقر الى شيء ما وراء ذاته ، فهو ازلي ، أبدى ، غني عن الآلات .

ويقول : ما يوجد من الممكنات فهو موافق لما انكشف بذلك العلـم والا لم يكن علما .

" مناقشـــة كلام الشيخ محمد عبده " :

========================

قول الشيخ محمد عبده ، في صفة العالم ، فى غاية الصراحـــة والوضوح لم يخرج فيه عن مذهب السلف فى هذه الصفة ، الا في نقاط بسيطة لى عليها بعض الملاحظات ، سوف اذكرها خلال هذه المناقشـــة .

فمن ناحية التعريف : ذكر العلماء تعريفا للعلم الالهي ، وهو صفة

قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها جميع المعلومات على وجه الاحاطه والشمول •

ومعنى الانكشاف : الظهور والايضاح • وتميز العلم بهذا عن القدرة لان القدرة بها الايجاد والاعدام ، لا الانكشاف •

وتميز عن الكلام لان الكلام لافادة المخاطب لا الانكشاف •

وتميز عن الارادة لان الارادة بها التخصيص لا الانكشاف •

وتميز عن الحياة لان الحياة ليست صفة تعلق •

والمعلومات : ما شأنها أن تعلم سواء كانت واجبة أو مستحيلة أو ممكنة وبهذا تميز العلم عن السمع والبصر لانهما انما ينكشف بهما بعض المعلومات وهي المبصرات والمسموعات •

ومن ناحية ثبوت علمه تعالى : فقد استدل العلماء على اتصافه تعالى بالعلم بأدلة من الكتاب الكريم ، وبالمعقول • على النحو التالي :

١ ـ الاستدلال بالكتاب :

=====================

تحدث الكتاب المبين في علم الله تعالى وصفا واثباتا ، في كثير من الايات ، اذكر منها :

١ ـ قوله تعالى : " لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه " • "١"

٢ ـ قوله تعالى : " فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله " • "٢"

٣ ـ قوله تعالى : " يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض " • "٣"

٤ ـ قوله تعالى : " ويعلم ما في السموات وما في الارض " • "٤"

---

١ ـ سورة النساء اية (١٦٦) •
٢ ـ سورة هود ايـة (١١٤) •
٣ ـ سورة البقرة اية (٢٥٥) •
٤ ـ سورة ال عمران اية (٢٩) •

٥ ـ قوله تعالى : " يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور " . "١"

٦ ـ قوله تعالى : " عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين " . "٢"

٧ ـ قوله تعالى : " ان الله بكل شيء عليم " . "٣"

والايات الدالة على اضافة العلم اليه كثيرة جدا في القران ، وكذا الايات التي تدل على اتصافه بالعلم .

فهو عالم بعلم قائم بذاته ، قديم ازلي متعلق بمعلومات غير متناهية . "٤"

٢ ـ الاستدلال بالمعقول :

=================

قالوا : ان الذي يعلم كل شيء ، لابد ان يعلمه بعلم ، اذ من غير المعقول ان يكون عالما بلا علم . فهو عالم بعلم . "٥"

وايضا : فان من المخلوقات من هو عالم ، والعلم صفة كمال ، وكل كمال اتصف به المخلوق ، فالخالق متصف به من باب أولى .

ثم ان كل علم في المخلوقات فهو منه تعالى ، فهو واهب العلم في عالم الامكان ويستحيل ان يكون مبدع الكمال وواهبه عاريا منه ، بل هو أحق

---

١ ـ سورة سبأ اية (٢) .

٢ ـ سورة سبأ اية (٣) .

٣ ـ سورة العنكبوت اية (٦٢) .

٤ ـ انظر : شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٢٥ .

وانظر : الاربعين في اصول الدين ، للغزالي ، تحقيق محمد مصطفى ابو العلا ، مكتبة الجندي ، ص ١٦ .

٥ ـ انظر كتاب : الابانة عن اصول الديانة ، للاشعري مطبوعات الجامعة الاسلامية =

به ، وهو احق بكل كمال ، واولى بالتنزه عن كل نقص . "١"

أقول :

==========

تحدث القران الكريم عن علم الله تعالى مرشدا الى قسمين من اقسام الاستدلال عليه هما :

القسم الاول : الاستدلال بما يرى في هذا الكون من اتقان الصنع واحكامه ، فقد عرض القران بدائع هذا الكون العظيم على الناس ليرشدهم الى ما فيه من وجوه الاتقان والاحكام ، كما مر معنا سابقا .

وحاصله : أن العالم متقن محكم لانه يسير بنظام دقيق لم يطرأ عليه خلل واضطراب في لحظة من عمره المديد ، وما كان كذلك فصانعه العليم الخبير .

وهذا القسم من الاستدلال ذكره الشيخ محمد عبده في القسم الرابع من الاستدلال .

القسم الثاني :

========== ارشد القران الى دليل مختصر مفيد قال " الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " "٢" .

فالله سبحانه وتعالى هو الخالق ، وهو قادر يفعل بالقصد والاختيار ومن كان كذلك فهو عالم ، فانه لا يتصوران يقصد الله شيئا ويختاره الا اذا علمه .

= ١٩٧٥ م ص ٤٠ .

وانظر : الفقه الاكبر للشافعي ص ١٢ .

١ — انظر : شرح الطحاوية ص ١٤٨ .

وشرح الاصفهانية ص (٢٤ — ٢٦) .

٢ — سورة تبارك اية (١٤) .

الى هنا وصل الشيخ محمد عبده مع السلف وجمهور العلماء في اثبات صفة العلم لله تعالى فهو لا يختلف معهم في مفهوم هذه الصفة ولا في الاستدلال عليها ، وان كان استدلالهم عليها اتم واكمل .

وهو معهم في قوله (فهو ازلي ابدى غني عن الالات) لا يفتقر الى شيء ما وراء ذاته . اذ ان ادراك الجزئيات المتشكلة وغير المتشكلة بالات جسمية انما هو في الحوادث ، دون الواجب تعالى ، وقياس الواجب تعالى على الحادث قياس فاسد في هذا .

أما قوله : (ما يوجد من الممكنات ، فهو موافق لما انكشف بذلك العلم والا لم يكن عالما) ، فان من يريد به : ان علم الله تعالى محيط بالممكنات فقط يكون قوله فاسدا ، وذلك من وجوه :

أحدها : ان علم الله تعالى يعم المفهومات كلها ، واجبة ومستحيلة وممكنة وانه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، كما قال تعالى

أ : " لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون " . "١"

ب : " لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة " . "٢"

بل ان المولى عز وجل يعلم نفسه ، وذلك باعتبار انه متصف بصلاحيته لان يعلم . فيكون بهذا الاعتبار عالما . وباعتبار انه يتصف بصلاحيته لان يعلم يكون معلوما .

ولا شك انه سبحانه وتعالى بالاعتبار الاول مغاير لنفسه بالاعتبار الثاني .

---

١ — سورة الانفال اية (٢٣) .

٢ — سورة التوبة اية (٤٧) .

والدليل على علمه تعالى بمعلومات غير متناهية : انه لو لم يتعلق علمه بجميع المعلومات لكان كماله بالنسبة الى ما لم يتعلق به علمه من المعلومات انقص بالنسبة الى حال من تعلق به علمه من المخلوقين وهو محال .

يقول ابو يعلى في المعتمد :

(انه قد ثبت انه تعالى قادر في كل وقت على خلق حوادث اكثر مما فعلها ابدا ، ولا يجوز ان يأتي عليه زمان لا يصح ان يخلق فيه شيئا . اذ لو جاز ذلك عليه افضى الى عجزه ، واذا ثبت ان مقدوراته غير متناهية ثبت ان معلوماته كذلك ، لانها لو لم تكن كذلك افضى الى جواز الجهل عليه ويتعالى عن ذلك) . "١"

والشيخ محمد عبده انما اراد به ان الله تعالى عالم بعلم لا حد له ، هو صفة من صفاته ، وهو بذلك موافق للسلف .

والدليل على ان الله تعالى عالم بعلم لا حد له هو صفة انكشاف له ، انه لا يخلو من احتمالات ثلاثة :

أ : ان يكون تعالى عالما بذاته .

ب : ان يكون تعالى عالما بعلم هو ذاته .

جـ : ان يكون تعالى عالما بعلم ليس ذاته .

والاول باطل : لنفي صفة العلم نهائيا عنه تعالى ، واثبات ذات بلا صفات ، وهو خلاف مذهب السلف ، وهو محال لعدم وجود ذات فى الخارج غير متصفة بالصفات .

والثاني باطل : لاثبات ذات هي بعينها صفة ، او صفة هي بعينها ذات ،

وهذا لا يصح . لان الذات غير الصفة ، والذات شيء ، والصفة شيء

---

١ — المعتمد في اصول الدين ، ص ٤٩ .

آخـــر .

فثبت الثالث : وهو ان الله سبحانه عالم بعلم ليس ذاته ، بل هو صفة قائمة به ينكشف له بها جميع المعلومات على وجه الاحاطة والشـــمول .

وفي هذا المعنى يقول الشيخ الاشعري :

(ان الذات بذاتها ليست بعالمة ، الا بانضمام مغايرها في الوجود وهو صفة العلم) . "١"

وفي كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل : (فأعلمنا الله أنـه انزل القران بعلمه ، واخبرنا جل ثناؤه ان انثى لا تحمل ولا تضع الا بعلمه ، فأضاف الله جل وعلا الى نفسه العلم الذى اخبرنا انه انزل القران بعلمـه ، وان انثى لا تحمل ولا تضع الا بعلمه ، فكفرت الجهمية وانكرت ان يكون لخالقنا علم مضاف اليه من صفات الذات تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علـــوا كبيرا .

فيقال لهم : خبرونا عمن هو عالم بالاشياء كلها اله علم ام لا ؟ .

فان قال : الله يعلم السر والنجوى ، وهو بكل شيء عليم .

قيل له : فمن هو عالم بالسر والنجوى وهو بكل شيء عليم ، اله علم ام لا علم لـــه ؟ .

فلا جواب لهم لهذا السؤال الا الهرب ، فبهت الذين كفروا ، والله لا يهدى القوم الظالمين) . "٢"

---

١ ــ انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٤٥٣) .

٢ ــ كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، تأليف الامام محمد بن اسحق بن خزيمة ، راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس ، دار الكتب العلميــــة ــ بيروت ــ لبنان ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨م ، ص ١٠ .

٣ — الارادة

=========

الصفة الثالثة التي اثبتها الشيخ محمد عبده لواجب الوجود " الارادة ".

تعريفها :

======= عرفها الشيخ محمد عبده بأنها : الصفة التي تخصص فعل العالم بأحد وجوهه الممكنة .

أدلتـــه :

======== استدل الشيخ محمد عبده على ثبوت هذه الصفة لله تعالى بما يلي :

اولا :

==== ثبت بالدليل ان الله تعالى هو واهب وجود الممكنات ، كما ثبت ايضا انه عالم . وان ما يوجد من الممكن لابد ان يكون على وفق علمه .

ومن كان كذلك ثبت بالضرورة انه مريد ، لانه انما يفعل على حسب علمه .

ثانيا :

===== ان كل موجود انما وجد بقدر مخصوص ، وصفة معينة ، في وقت محدود ، ومكان محدود ، وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة . وتخصيصها كان على وفق العلم بالضرورة . ولا معنى للارادة الا هذا .

انكـــار :

======= وقد انكر الشيخ محمد عبده على الذين عرفوا الارادة بأنها : مابه يصح للفاعل ان ينفذ ما قصده ، وان يرجع عنه .

وقال : ان ذلك محال في جانب الواجب ، وعلل ذلك بأن هذا المعنى من توابع النقص في العلم ، فتتغير على حسب تغير الحكم ، وتردد الفاعل بين البواعث على الفعل او الترك . "١"

---

١ — انظر رسالة التوحيد ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٤).

الى هنا . ينتهي مذهب الشيخ محمد عبده في صفة الارادة ، وهو في رأيي لا يخلو من بعض النقاط التي تحتاج الى توضيح ، وزيادة بيان ، وسأقوم بعرض مذهبه على مذهب السلف وجمهور العلماء ، لأرى كم هو موفق في بيان مفهوم الارادة ، واين يلتقي مع ائمة السلف الصالح في تحديد وبيان هذه الصفة .

أقـــول :

لا شك عندي في ان الشيخ محمد عبده ، قد أفاد في عرض مفهوم صفة الارادة لله تعالى . لكنه وضع نفسه في مركز الدائرة ، التي يلف حولها كثير من الحكماء والمعتزلة في بيان وتحديد معنى الارادة .

فالارادة كما هي عند الشيخ محمد عبده هي : الصفة التي تخصص فعل العالم بأحد وجوهه الممكنة .

وهذا التعريف يحتاج . الى توضيح :

فان أراد الشيخ انها انما تعني علمه تعالى بالحكمة فيما يصدر عنه من الممكنات ، فهو مع الحكماء في هذا .

وان اراد انها انما تعني علمه تعالى بنفع فيما يصدر عنه من الممكنات فيكون بذلك قد وافق ابا الحسين البصري المعتزلي ، وجماعة من رؤساء الاعتزال ." ١ "

ولعلي ، استطيع ان أقول : ان الشيخ محمد عبده قصد بهذا التعريف عين ما ذهب اليه اهل السنة في المعنى المراد بالارادة ، لان معناها واضح بين ، يكاد يكون بديهيا ، لا يخفى على من هو مثل الشيخ محمد عبده من العلماء .

فالارادة انما تعني قصد الشيء واختياره ، ولا شك ان هذا المعنى الواضح للارادة مغاير للمعنيين السابقين ، لان العلم بالحكمة او العلم بالمنفعة قد

---

١ — من مذكرات مادة " نصوص عقيدة " للشيخ محمد يوسف الشيخ رحمه الله لسنة ١٣٩٨ هـ .

يكون احدهما هو الداعي للاختيار الذى يدعو اليه ، لا الاختيار .

وفرق واضح بين الاختيار وبين الداعي اليه .

ولعل ما يؤيد هذا ان الشيخ محمد عبده استحال في جانب الواجب تعالى ان يكون معنى ارادته : (ما به يصح له ان ينفذ ما قصده وان يرجع عنه) .

لان هذا يقتضي الاضطراب في مراده تعالى على حسب تغير الحكم وتردد الفاعل بين البواعث على الفعل وتركه . حسب قول الشيخ محمد عبده .

وبناء عليه يستقر رأى الشيخ محمد عبده ، مع رأى أهل السنة في ان الارادة : صفة قديمة زائدة على ذاته تعالى يختار بها بعض الممكنات دون بعض .

ولكن تعليل الشيخ محمد عبده : (بعد ما ثبت ان واهب وجود الممكنات هو الواجب وانه عالم ، وان ما يوجد من الممكن لابد ان يكون على وفق علمه ثبت بالضرورة انه مريد) غير مستقيم تماما ، فهو يعلل بهذا اثبات وجود صفة الارادة ولكن الناظر في التعريف الذى ذكره اهل السنة يجد انه لا وجود له في تعليل الشيخ محمد عبده لثبوت الارادة .

والشيخ محمد عبده مع السلف في متعلق الارادة بالممكنات فقط . دون الواجب والمحال .

وذلك لان الارادة اذا تعلقت بالواجب فاما ان تخصصه بالوجود من الفاعل او بالعدم منه وكلاهما باطل .

اما الواجب : فلأنه موجود لذاته وحقيقته ، فلا معنى لتخصيصه بوجود من غيره ، ولا معنى لتخصيصه بالعدم من غيره لانه لا يقبل العدم .

واما المستحيل : فلأنه معدوم لذاته وماهيته فلا معنى لتخصيصه بالعدم من غيره ، ولا معنى لتخصيصه بالايجاد من غيره لانه لا يقبل الوجود .

اما ادلة ثبوت الارادة عند الشيخ محمد عبده ، فهي من الادلة العقلية التي استدل السلف بها على ثبوت صفة الارادة .

فمما استدل السلف به واورده الشيخ محمد عبده :ـ

١ ـ ان الله سبحانه وتعالى " عالم " وهو بكل شيء عليم ، فاذا لم يكن عالما بشيء اصلا ، كان موصوفا بضد ذلك من الجهل وغيره ، فيستحيل ان يكون الله تعالى لم يزل موصوفا بضد الارادة كالسهو والغفلة وغيرهما ، لان هذا يقتضي ان لا يريد شيئا على وجه من الوجوه ، لان الله تعالى اذا كان لم يزل متصفا بضد الارادة ، وجب ان لا يكون قديما ، ومحال عدم القديم وحدوثه ، فاذا استحال عدمه ، وجب ان لا يريد البارى شيئا على وجه من الوجوه ، وذلك فاسـد .

واذا فسد هذا صح ان البارى لم يزل مريدا . "١"

ثانيـا :
====== ما يرى في هذا الكون من التخصيصات ، فكل ما في العالم فهو على قدر مخصوص ، وصفة معينة ، من طول وعرض وارتفاع ، ولون ، وطعم ، ورائحة ، وعلم ، وسمع ، وبصر ، وله وقت ومكان محدودان ، وهو ممكن ، ويمكن ان يكون على خلاف ما هو عليه ، وهو ليس واجب الوجود بنفسـه .

ومعلوم ان الذات المجردة عن الارادة لا تخصص ، فلابد من صفة وراء الذات بها كان التخصيص ، وتلك الصفة هي " الارادة " ، "٢"

ومما زاده السلف من الادلة ، ولم يذكره الشيخ محمد عبده :ـ

---

١ ـ كتاب : اللمع ، لعلي بن اسماعيل بن اسحق الاشعرى ، صححه وقدم له : الدكتور حموده غرابة ، مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ١٩٥٥م ص ٣٧ بتصـرف .

٢ ـ انظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٥ : وغاية المرام في علم الكلام ، لسيف الدين الامدى تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ، القاهرة ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص ٥٨ وما بعدها .

ثالثا :

===== ان الله سبحانه وتعالى لو لم يكن ذا ارادة ، لاستحال منه ترتيب الافعال ووضعها مواضعها اللائقة بها ، ولاستحالة ذلك ممن ليس بعالم فأفعاله المرتبة دليل على انه سبحانه مريد ذلك بارادة هي صفة من صفاته . "١"

هذا الدليل في حقيقته لا يخرج عن دليل الشيخ محمد عبده السابق ، والاختلاف في اللفظ فقط ، والمعنى واحد .

رابعا :

===== ان من المخلوقات من يتصف بالارادة ، كالانسان مثلا ، ومنها الذى لا ارادة له كالجماد . وعدم الارادة صفة نقص ، وثبوتها صفة كمال ، وكل كمال هو في المخلوق مستفاد من الخالق ، فالخالق به أحق وأولى . "٢"

وهذا الدليل هو ما اشتهر عند السلف بقياس الأولى ، لان الله تعالى له المثل الاعلى فلا يستوى هو والمخلوق في قياس تمثيلي ، ولا في قياس شمولي ، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به احق ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فتنزه الخالق عنه أولى .

والذى عليه السلف رضي الله عنهم ان الارادة صفة قديمة زائدة على ذاته تعالى ، يختار بها بعض الممكنات دون بعض .

فهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، امتثالا لقوله سبحانه وتعالى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" . "٣" فلا يماثله شيء لا في

---

١ — انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، لابن تيمية (٢ : ١١٩) والمعتمد لابي يعلى ص ٧٣ .

٢ — المرجع السابق لابن تيمية (٢ : ١١٩) / وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٩ .

٣ — سورة الشورى آية (١١) .

ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله •

يقول السلف : ان الارادة على نوعين :ـ "١"

النـــــوع الاول :

========== ارادة كونية ، ترادفها المشيئة ، وهي تتعلق بكل ما يشاء الله فعله فهي شاملة لجميع الموجودات • وهي ما يسميها المحققون من اهل السنة : ارادة : قدرية ، كونية ، خلقية •

ومن هذا النوع قوله تعالـــــى :ـ

أ : " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعـل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " • "٢"

ب : " وقوله تعالى عن نوح عليه السلام " ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم " • "٣"

ج : " ولكن الله يفعل ما يريــــد " • "٤"

النوع الثانـــــــي :

============ الارادة الدينية الشرعية الامرية ، وهذه تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه • اى المتضمنة للمحبة والرضا •

---

١ ـ انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ، لبنان ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م ص ٣٢ ، ٢٧٠ •

وانظر : شرح الطحاوية ص ١١٦ •

وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦ : ١١٥) •

٢ ـ سورة الانعام اية (١٢٥) •

٣ ـ سورة هـــود اية (٣٤) •

٤ ـ سورة البقرة اية (٢٥٣) •

كقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " . "١"

وقوله تعالى : " يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم " . "٢"

وقوله تعالى : " والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما . يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا " . "٣"

وقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم . " "٤"

وقوله تعالى : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا " . "٥"

ومن حيث تعلق الارادة فقد قسمها شيخ الاسلام ابن تيمية الى اربعة أقسام هي : "٦"

القسم الاول :

========== ما تعلقت به الارادتان ، الكونية والدينية . وهو كل ما وقع في الوجود من الاعمال الصالحة ، فان الله تعالى اراده ارادة دين وشرع فأمر به واحبه ، ورضيه ، واراده ارادة كون فوقع ولولا ذلك لما كان .

---

١ ـ سورة البقرة اية (١٨٥) .
٢ ـ سورة النساء اية (٢٦) .
٣ ـ سورة النساء الايات (٢٧ ـ ٢٨) .
٤ ـ سورة المائدة اية (٦) .
٥ ـ سورة الاحزاب اية (٣٣) .
٦ ـ في العقيدة الاسلامية (١ : ٢٩٤) نقلا عن منهاج السنة (٢ : ٢٩) الطبعة الاميرية .

القسم الثانـــــي :

============ ما تعلقت به الارادة الدينية فقط وهو ما امر الله به من

١ .. الاعمال الصالحة ، فعصى ذلك الكفار والفجار ، فتلك كلها ارادة دين وهو يحبها ويرضاها وقعت او لم تقع .

القسم الثالـــــث :

============= ما تعلقت به الارادة الكونية فقط ، وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي ، فانه لم يأمر بهـــا ولم يرضاها ولم يحبها ، لانه لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ، ولو لا مشيئته وقدرته متعلقة بها لما كانت ولما وجدت .

الرابع من الاقسام :

=========== التى لم تتعلق به هذه الارادة ولا هذه ، فهذا ما لم يكن من انواع المباحات والمعاصي .

ويذهب السلف ايضا الى ان ارادة الله تعالى قديمة ، وينقسم جنسها الى مذموم ومحمود . بمعنى انها قديمة النوع حادثة الآحاد .

يقول ابن تيمية في هذا المعنى :

(ان الله تعالى لم يزل مريدا بارادات متعاقبة ، فنوع الارادة قديم ، واما ارادة الشيء المعين فانما يريده في وقته) . "١"

وهذه الارادة ينقسم جنسها الى محمود كالصدق والعدل ، والـــ مذموم كالكذب والظلم . "٢"

---

١ ــ انظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (٦ : ٣٠٣) .

٢ ــ انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٣٢ ، ٢٧٠ .
وانظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٥ .
وانظر مجموع الفتاوى (٦ : ١٤٢) .

والله سبحانه لا يوصف الا بما هو محمود ، فمن اسمائه الحكيم ، الرحيم ، والمؤمن ، والرؤوف ، والحليم ، والفتاح ونحوه مما يتضمن معـــنى الارادة .

وتنزه الحق سبحانه نفسه عن بعض انواع الارادة في كثير من الايات:

كقوله تعالى : " وما الله يريد ظلما للعباد " . "١"

وكقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " . "٢"

وقوله تعالى : " يريد الله ان يخفف عنكم " . "٣"

وقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج " . "٤"

" ادلة السلف على قدم ارادة الله تعالـــــى " :

==========================

الادلة على قدم ارادة الله تعالى كثيرة ، ذكر السلف منها :

١ ـ قال تعالى : " ذو العرش المجيد فعال لما يريد " . "٥"

وجه الاســـــتدلال :

============ ان الفعل والارادة في الاية متلازمان ، فما اراد ان يفعل فعل وما فعله سبحانه فقد اراده . فهو سبحانه يفعل بارادة ، ولم يزل كذلك . لانه انما ذكر فعله لما يريد في معرض المدح والثناء على نفسه ، وهذا من كمال الحق سبحانه ، ولا يصح ان يكون عادما لهذا الكمال في وقت من الاوقات ازلا وابدا . "٦"

---

١ ـ سورة غافر اية (٣١) .

٢ ـ سورة البقرة اية (١٨٥) .

٣ ـ سورة النساء اية (٢٨) .

٤ ـ سورة المائدة اية (٦) .

٥ ـ سورة البروج الايات (١٥ ـ ١٦) .

٦ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص (١٣٧ ـ ١٣٨) .

٢ — ان الله تعالى اذا لم يتصف بالارادة اتصف بضدها ، كالسهو والغفلة ويستحيل ان يكون الله تعالى لم يزل موصوفا بضد الارادة ، لانه اذا كان لم يزل موصوفا بضد الارادة وجب ان لا يكون قديما ، ومحال عدم القديم وحدوثه . "١"

٣ — ان القول بنفي الارادة القديمة يلزم منه التعطيل ، بمعنى ان الله سبحانه وتعالى لم يزل غير مريد ثم صار مريدا .

ولا يلزم من قدم الارادة قدم المراد ، بل ان المراد متأخر عن الارادة .

وبالجملة :

فان السلف رضي الله عنهم يثبتون الارادة لله تعالى ، صفة قديمة ، ويقولون ان الاسماء الحسنى الثابتة لله تعالى دالة على وصفه تعالى بالصفات ، فهو مريد بارادة . "٢"

وهم متفقون ايضا على القول بأن الله سبحانه وتعالى " مريد " لأن معناه حق ، ولانه لا يعقل ان يكون المتصف بارادة قائمة به ليس مريدا . فالله سبحانه لا يفنى ولا يبيد ولا يكون الا ما يريد . "٣"

---

١ — انظر : اللمع ، للاشعرى ص ٣٧ وما بعدها .

٢ — انظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٥ .

وانظر: شفاء العليل لابن القيم ص ٢٧١ .

٣ — انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٦ ، ٨ ١٣٧ .

وانظر: المرجعين السابقين ، نفس الصفحات .

وانظر: رسالة الارادة والامر ، لابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (١ : ٣٢٦) .

٤ ــ القـــــدرة

============

مذهب الشيخ محمد عبده في القدرة :

======================

ذهب الشيخ محمد عبده الى أنه مما يجب لله تعالى من الصفات :

" القدرة " .

تعريفهـــــا : "١"

======== عرفها الشيخ محمد عبده بقوله : انها صفة بها الايجاد والاعدام".

وفي شرحه على العقائد العضدية قال :

(أقول : ومن الصفات الكمالية التي يجب أن يتصف بها الحق الواجب

تعالى انه قادر على جميع الممكنات . اى قادر على احداث كل فرد من افراد

الممكنات على الاطلاق ، بدون استثناء) . "٢"

وانما قال الشيخ " على احداث " لان علة الاحتياج عنده هي الحدوث

لا الامكان .

وقال " كل فرد " لما ان المراد ان لا يخرج فرد من افراد الممكنات

عن قبوله للتأثر عن البارى تعالى ، لا انه قادر على ان يوجد جميع الممكنات

بأسرها ، فانه من المحالات لان الممكنات غير متناهية ، وايجاد مجموع ما لا يتناهى

محال . "٣"

اثباتهـــــا :

=========== أ : من النقل : ففي كثير من الايات كقوله تعالى :ـ

---

١ ــ رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٥) .

٢ ــ انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٤٥٦) .

٣ ــ نفس المصدر ونفس الصفحـــــة .

١ — " ان الله على كل شيء قدير " . "١"

٢ — " ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير " . "٢"

وجه الاستدلال :

========== هذه الايات فيها دلالة واضحة على اثبات صفة القدرة لله تعالى ، فهو على كل شيء قدير ، فالقدرة صفة قديمة ملازمة له .

ب — من العقل :

==============

قال : (لما كان الواجب هو مبدع الكائنات على مقتضى علمه وارادته ، فلا ريب يكون قادرا بالبداهة لان فعل العالم المريد فيما علم واراد ، انما يكون بسلطة له على الفعل ولا معنى للقدرة الا هذا السلطان) . "٣"

" مناقشة مذهب الشيخ محمد عبده في القدرة " :

================================

لا شك ان الشيخ محمد عبده مع السلف في تعريف " القدرة " وفي اثباتها صفة لله تعالى ،

فقد اقام عليها البرهان من النقل والعقل ، اما النقل ففي كثير من الايات التي فسرها "٤" ، والتي تفيد هذه الصفة الثبوتية لله تعالى .

---

١ — سورة البقرة اية (٢٠) .

٢ — سورة ال عمران اية (١٨٩) .

٣ — انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٥) .

٤ — انظر تفسير الشيخ محمد عبده للقران ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٤ : ٩٦) ، (٥ : ١٤٨) .

واما العقـــل : فبداهته تقضي بأن الشيء الموجود على وفق العلـــم والارادة لا بد أن يكون له موجدا قادرا ، لان من علم واراد وفعل انما يأتي فعله هذا بسلطة له عليه ، وهذه السلطة هي القدرة .

أما ما جاء له من كلام على الحاشية العضدية فغير مسلم ، بالنسبة لقوله : ان الله تعالى غير قادر على ايجاد مجموع مالا يتناهى من الممكنات ، بمعنى عدم قدرته على ايجاد جميع الممكنات لانها غير متناهية .

وسوف ارد على هذا في نهاية عرضي لمذهب السلف في هذه الصفة .

مذهب الســـــلف :

==============

قال صاحب الطحاوية : ــ (ذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء اليه فقير وكل امر عليه يسير) . "١"

قال الشارح :ــ (ذلك اشارة الى ثبوت صفاته في الازل قبل خلقه) .

فالسلف يثبتون القدرة : صفة قديمة ملازمة للذات المقدسة ازلا وابدا ، قائمة بها لا تنفك عنها .

ويقررون ثبوت هذه الصفة لله تعالى في كثير من الايات في القرآن ، وفي السنة .

أما القـــــران :

============

فقوله تعالى : " ان الله على كل شيء قدير " . "٢"

وقوله تعالى : " وكان الله على كل شيء مقتدرا " . "٣"

---

١ ــ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٢ .

٢ ــ سورة البقرة اية (٢٠) .

٣ ــ سورة الكهف اية (٤٥) .

وقوله تعالى : " انه كان عليما قديرا " . "١"

وقوله تعالى : " قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم " . "٢"

وقوله تعالى : " ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير " . "٣"

وقوله تعالى : " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " . "٤"

وقوله تعالى : " اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة " . "٥"

وقوله تعالى : " عند مليك مقتدر " . "٦"

وأما السـنة :

==========

فكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاستخارة : " اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، واسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب " . "٧"

وجه الاسـتدلال :

==============

هذه الايات فيها دلالة واضحة على اثبات صفة القدرة لله تعالى ، كما هي في الحديث ايضا . والايات والاحاديث في هذا الباب كثيرة ، ولا يعقل ان يكون قادرا الا من له القدرة التامة ، القائمة به كما قال تعالى " وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا " . "٨"

---

١ — سورة فاطر اية (٤٤) .
٢ — سورة الانعام اية (٨٥) .
٣ — سورة ال عمران اية (١٨٩) .
٤ — سورة الذاريات اية (٥٨) .
٥ — سورة فصلت اية (١٥) .
٦ — سورة القمر اية (٥٥) .
٧ — انظر : صحيح البخارى — كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة (١ : ١٤٤) ، (٤ : ٧٨ ، ١٩٥) .
وسنن الترمذى — (٢ : ٣٤٥ — ٣٤٦) .
ومسند الامام احمد — (٣ : ٣٤٤) .
٨ — سورة فاطر اية (١١) .

قال شارح الطحاوية : (فنبه الله تعالى في اخر الاية على دليل انتفاء العجز ، وهو كمال العلم والقدرة ، فان العجز انما ينشأ اما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل ، واما من عدم علمه به ، والله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وهو على كل شيء قدير ، وقد علم ببداءه العقول والفطر ، كمال قدرته وعلمه ، فانتفى العجز لما بينه وبين القدرة من التضاد ، ولان العاجز لا يصلح ان يكون الها ، تعالى الله عن ذكر ذلك علوا كبيرا) . "١"

وفي تعريف القدرة يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(ان القادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل) . "٢"

بمعنى انه متمكن من الامرين : الفعل والترك ، يقع كل واحد منهما باختياره ومشيئته فابن تيمية اخذ الاختيار والمشيئة في تعريف القادر ، كما ان الشيخ محمد عبده اخذ العلم والارادة فى تعريفه .

وبناء عليه استطيع ان اضع الدليل العقلي على قدرته تعالى فأقول : "٣"

ان العالم حادث ، وفاعله تعالى قديم ، فصدور هذا العالم بهذا النظام الخاص دون غيره من النظم ، وفي هذا الوقت الخاص دون غيره من الاوقات السابقة او اللاحقة عن هذا الفاعل القديم ، لابد له من مرجح يرجح حدوثه على هذا النظام دون غيره ، كما يرجح ايضا حدوثه في ذلك الوقت دون غيره من

---

١ — شرح العقيدة الطحاوية (١١١) .

٢ — شرح العقيدة الاصفهانية (٢٥) .

٣ — من مذكرات مادة " نصوص عقيدة " للاستاذ محمد يوسف الشيخ ، بتصرف .

الاوقات .

ذلك المرجح هو اختيار الله ان يوجد العالم كذلك على هذا النظام الخاص وفي ذلك الوقت الخاص .

فاذا اوجد الله هذا العالم على هذا النظام الخاص في هذا الوقت الخاص دون غيرهما كان مصحح ذلك ومرجحه على غيره انما هو اختياره ومشيئة ايجاده على هذا النظام وفي ذلك الوقت .

فثبت انه تعالى يفعل او لا يفعل باختياره ومشيئته .

ويرد على كلام الشيخ محمد عبده في شرحه على الحاشية العضدية بأن يقال : ان جميع الممكنات داخلة تحت قدرته تعالى .

فقد ذهب السلف واهل الحق جميعا الى ان قدرته تعالى يمكن ان تتعلق بكل ممكن .

والدليل على ذلك : ان المقتضي للقادرية ذاته تعالى ، والمصحح للمقدورية هو الامكان . والذات الاقدس نسبتها الى جميع الممكنات على سواء . فقدرته تعالى يمكن ان تتعلق بكل ممكن .

ومعنى هذا الدليل : ان قدرة الله تعالى تتعلق بكل الممكنات بلا استثناء ، المتناهية وغير المتناهية خلافا لما يقوله الشيخ محمد عبده .

قال شارح الطحاوية :

(واما اهل السنة فعندهم ان الله على كل شيء قدير ، وكل ممكن فهو مندرج في هذا ، واما المحال لذاته "١" فهذا لا حقيقة له ولا يتصور وجوده ولا يسمى شيئا باتفاق العقلاء ، ومن هذا الباب : خلق مثل نفسه ، واعدام نفسه وامثال ذلك من المحال) . "٢"

---

١ — هو الممتنع لذاته مثل كون الشيء الواحد موجودا ومعدوما في حال واحدة . اما المحال المطلق : فهو ما اوجب على ذات الباري تعالى تغييرا في ذاته او صفاته . وهذا غير داخل تحت القدرة ، وهو المشهور عند اهل العلم .

٢ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٣ .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة ، فان ما شاء الله كان ، ولا يكون شيء الا بقدرته ، وما تعلقت به القدرة تعلقت به المشيئة فانه لا يكون شيء الا بقدرته ومشيئته . وما جاز ان تتعلق به القدرة جاز ان تتعلق به المشيئة وكذلك بالعكس ، وما لا فلا .

وقوله تعالى : " ان الله على كل شيء قدير " "١" اى على كل ما يشاء ، فمنه ما قد شيء فوجد ، ومنه مالم يشأ لكنه شيء في العلم بمعنى انه قابل لان يشاء ، فقوله على كل شيء قدير " يتناول ما كان شيئا في الخارج والعلم ، وما كان شيئا في العلم فقط ، بخلاف ما لا يجوز ان تتناوله المشيئة وهو الحق تعالى ، وصفاته او الممتنع لنفسه) . "٢"

وبناء على كلام شيخ الاسلام احمد بن تيمية فانه يتحصل لي خطأ قول الشيخ محمد عبده (لا انه قادر على ان يوجد جميع الممكنات بأسرها) ، وفساد استدلاله لان قدرة الله تعالى تتعلق بجميع الممكنات ما فعله وما لم يفعله ، والا كان الله عاجزا وهو نقص في حقه تعالى يتنزه الله عنه .

وقد علمنا ايضا ان قدرته تعالى لا تتعلق بما هو محال فبقي ان قدرته تتعلق بكل ممكن وهو ما ايدته الادلة السابقة ، ويؤكده قول العلماء : يجب علينا ان ننزه الخالق عما نزه عنه نفسه فنفاه عن نفسه ، كالظلم والكذب والسهو ، والغفلة ..... الخ .

---

١ — سورة البقرة اية (٢٠) .

٢ — انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٨ : ٣٨٣) .

والذى نقول عن القدرة انها : صفة من صفات ذات الله تعالى فهو قادر بقدرة قديمة قائمة بذاته متعلقة بجميع المقدورات غير متناهية بالنسبة الى ذاتها ولا بالنظر الى متعلقاتها . "١"

تعليـــــق :

===========

هل صحيح ما يقوله الشيخ محمد عبده : ان ثبوت العلم والارادة والقدرة يستلزم بالضرورة ثبوت الاختيار ؟

ان الشيخ محمد عبده ينفي عن الله تعالى ان يكون مكلفا من قبل غيره بفعل شيء ما او تركه .

وينفي عنه ايضا ان يصدر عنه شيء من غير شعور منه به .

لكن الشيخ محمد عبده يثبت ان ما يصدر عنه كائنا هو صادر بطريق اللزوم على نحو ما يقول به الحكماء ويسمونه " العناية الالهية ".

ثم انه يلاحظ عليه ايضا انه يريد ان يثبت لله تعالى ارادة واختيارا كأمرين متغايرين . وهذا خلاف ما عليه السلف . اذ المعروف عندهم وعند غيرهم من العلماء ان الاختيار ثمرة للارادة ، وان البارى سبحانه اذا اختار شيئا فله ارادة يختار بها ذلك الشيء قال تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار ". ٢

يقول الشيخ محمد عبده : (ثبوت هذه الصفات الثلاث يستلزم بالضرورة ثبوت الاختيار . اذ لا معنى له الا اصدار الامر بالقدرة على مقتضى العلم وعلى حكم الارادة .

---

١ ــ انظر شرح المواقف ، للشريف الجرجاني ، ص ٩٥ .

٢ ــ سورة القصص اية (٦٨) .

فهو الفاعل المختار ، ليس من افعاله ولا من تصرفه في خلقه ما يصدر عنه بالعلية المحضة والاستلزام الوجودى بدون شعور ولا ارادة .

وليس من مصالح الكون ما يلزمه مراعاته لزوم تكليف ، بحيث لو لم يراعه لتوجه عليه النقد ، فيأتيه تنزها عن اللائمة تعالى عن ذلك علوا كبيرا ..

ويقول :

(ولكن نظام الكون ومصالحه العظمى انما تقررت له بحكم انه اثر الوجود الواجب الذى هو اكمل الوجودات وارفعها .

فالكمال في الكون انما هو تابع للكمال المكون . واتقان الابداع انما هو مظهر لسمو مرتبة المبدع ، وبهذا الوجود البالغ اعلى غايات النظام ، تعلق العلم الشامل ، والارادة المطلقة ، فصدر ويصدر على هذا النمط الرفيع) . "١"

نعـــم :

ان اراد الشيخ محمد عبده ان لله تعالى علم كاشف ، وارادة مختارة وقدرة منفذة ، فهو الحق الذى لا مرية فيه . لان الله سبحانه وتعالـــى مريد مختار يخلق ما يشاء ويختار .

اما ان اراد ان لله تعالى صفة اختيار مغايرة لصفة الارادة ، فهـــو ما الوهم عليه ولا اقبله منه . لان معنى الارادة واضح بين تشهد به البديهة

انها القصد الى الشيء واختياره . وقد تأيد ذلك بالتنزيل الحكيم

قال تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار " . "٢"

وقال تعالى : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون" . "٣"

---

١ ــ رسالة التوحيد / انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٥) .
٢ ــ سورة القصص اية (٦٨) .
٣ ــ سورة يســـــن اية (٨٢) .

فله سبحانه قدرة يقدربها ايجادا واعداما ، وله علم يعلم به . وكذلك اذا اختار شيئا فله ارادة يختاربها ، وهي كما عرفها أهل السنة : صفة قديمة لله تعالى ، زائدة على ذاته ، يختاربها بعض الممكنات دون بعض . والله أعلم .

======

٥ ـ صفة الكـــــــلام

=============

١ ـ ((مذهب الشيخ " محمد عبده ")) :

=========================

اثبت الشيخ " محمد عبده " لله تعالى صفة "الكلام " ، قال :ـ (فمن تلك الصفات صفة الكلام) . "١"

ولم يبين الشيخ محمد عبده مفهوم هذه الصفة ، ولم يحدد معناها ، كما فعل بالنسبة الى صفة العلم ، وصفة الارادة ، وصفة القدرة ، وغيرها مـــن الصفات .

وانما رد على قول من قال : (ان الله تعالى متكلم ، والمتكلم من اتصف بالكلام ، فقد ثبت انه تعالى متصف بالكلام ، والله تعالى لا يتصف بحادث فوجب ان يكون الكلام قديما) . "٢"

فقال : بأنا لا نسلم ان المتكلم من قام به الكلام ، بل المتكلـــم هو من احدث الكلام في شيء اخر ، ضرورة انا نطلق المتكلم حقيقة على " زيد " المتلفظ بلفظ كذا ، مع ان اللفظ ليس الا صوتا مخصوصا ، والصوت كيفية من كيفيات الهواء ، وقائمة بالهواء ، فالمتكلم كل من احدث هذه الكيفية المخصوصة في الهواء .

وقد استدل الشيخ محمد عبده على ثبوت هذه الصفة للحق تعالى ، بأن الله كلّم بعض انبيائه كما ورد في الكتاب والسنة ، وان القران نطق بأنه كلام الله سبحانه وتعالى .

---

١ ـ رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٧) .

٢ ـ انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٨٣) .

وتعرض الشيخ محمد عبده لاخطر قضية مر بها علماء السلف ، وأهل السنة في القرن الثالث الهجري ، وهي قضية " خلق القران " ، وادخل نفسه في هذا الباب ، والقى بدلوه في الدلاء ، ولكن في غير الماء الذى يستقي منه اهل السنة فتابع المعتزلة مؤثرا رأيهم ، ومؤكدا ان هذا غاية ما دعا الدين الى اعتقاده وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

فقـــال :

(فمصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لابد ان يكون شأنا من شؤونه ، قديما بقدمه ، أما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم ، فلا خلاف في حدوثه ، ولا في انه خلق من خلقه ، وخصص بالاسناد اليه لاختياره له سبحانه في الدلالة على ما اراد بلاغه لخلقه ، ولانه صادر عن محض قدرته ظاهرا وباطنا ، بحيث لا مدخل لوجود اخر فيه بوجه من الوجوه سوى ان من جاء على لسانه مظهر بصدوره) .

ويرى الشيخ محمد عبده ان القول بخلاف ذلك مصادرة للبداهة ، وتجروء على مقام القدم بنسبة التغير والتبدل اليه .

ويقرر ان ما يقرأه القارئ من الايات القرانية تحدث وتفنى بالبداهة كلما تليت .

ويشنع على من يقول بقدم القران المقروء ويقول (انه أشنع حالا واضل اعتقادا من كل ملة جاء القران نفسه بتضليلها والدعوة الى مخالفتها) .

ويصرح بأن (ليس في القول بأن الله اوجد القران بدون دخل لكسب بشر في وجوده ما يمس شرف نسبته) .

بل يرى الشيخ محمد عبده ان ذلك غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ، فهو السنة ، وهو ما كان عليه النبي واصحابه ، وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

ويرى أيضا أن موقف الامام أحمد رضى الله عنه من مسألة " خلق القران " منشوه مجرد التحرج ، والمبالغة في التأدب مع الله ، (فيجل مقام مثل الامام احمد بن حنبل عن ان يعتقد ان القران المقروء قديم وهو يتلوه كل ليلة بلسانه ويكيفه بصوته) • "١"

بل ويدعي الشيخ محمد عبده ان القول بقدم كلام الله ، هو مذهب جماعة من الحنابلة ، خلافا لما عليه الجمهور •

فيقول عن كلام الله : (اى الالفاظ والحروف التي يطلق عليها كلام الله ، باعتبار ما دلت عليه ، وهي حادثة عند عموم الفرق ، ما خلا جماعة من الحنابلة) • "٢"

ويذهب الشيخ محمد عبده الى ابعد من هذا حين يثبت للـه صفة الكلام التي هي منبع لافاضة الاقوال المقدسة على النبيين — عليهم الصلاة والسلام •

ويرى ان هذه الاقوال المقدسة انما كان منبع فيضها (ذلك الوصف الحقيقي القائم بذاته الذى هو الحب الحقيقي ، لمفيض ما فيه الصلاح الحقيقي لجملة العالم) "٣" •

وهذا كلام غير مبين ، ولانه من اقوال بعض الصابئة والمتفلسفين ، راح الشيخ محمد عبده يقول :

---

١ — انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٨) •

٢ — انظر : نهج البلاغة للامام علي ، ص ١٢١ ، اختيار الشريف محمد الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، الجزء الاول ، منشورات مكتبة الاندلس ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤م •

٣ — انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٠٢) •

(وهذا قول مجمل فاطلب تفصيله من غير هذا الكتاب ، بل تحته سر عجيب ، فأدخل يدك في جيبك تخرج اية اخرى ، فافهم) . "١"

" مناقشـــــة هذا المذهب " :
====================

لعل أقرب ما يصح أن أصف به الشيخ محمد عبده في هذا المذهب الذى ذهب اليه ، انه كان اعتزاليا متطرفا "٢" ، لم يستطع ان يتقرب من مذهب السلف خطوة واحدة في هذه المسألة .

على أن موقف الشيخ محمد عبده من مسألة " خلق القران " هو دون ماله بصددها في مسألة الفيض ، او ما يسمى " بنظرية الفيض " .

ودعني اناقش كلامه نقطة ، نقطة ، من غير ترتيب ...

فقوله : ان لله صفة حقيقية قائمة بذاته تكون منبعا لافاضة الاقوال المقدسة على النبيين ، ويطلق على هذه الصفة لفظ الكلام ... شبيه بقول الصابئة والمتفلسفة الذين يقولون ان كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني ، اما من العقل الفعال عند بعضهم او من غيره ، كما هو معلوم عندهم وهـــو ما يسمى بنظرية الفيض . "٣"

وهو كما ترى كلام هراء ! ، لا يمت الى الحقيقة في شيء . كما انه خلاف قول الجمهور ، وعلى رأسهم أئمة السلف رضى الله عنهم .

لذلك فاني لا أريد أن أكون من الخاصة الذين يصعدون لطلب تفصيل

---

١ ـ انظر : نفس المرجع ، ونفس الصفحة .
٢ ـ انظر كتاب : العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة ص ٥٧٥ .
٣ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ .

هذا الكلام من غير هذا الكتاب ، ليضعوا ايديهم على السر العجيب بعد ان يدخلوا ايديهم في جيوبهم لكي تخرج اية اخرى .

بل اقول ان هذا الرأى هو احد تسعة اقوال باطلة ، ضلت الحق ، الذى دلت عليه الادلة من الكتاب والسنة لمن تدبرها ، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة . "١"

وانتقل لمناقشة قوله : ان كلام الله يعني الالفاظ والحروف .

فالالفاظ والحروف : هي التي يطلق عليها كلام الله ، عنده . وهي حادثه .

وهذا كلام غير سليم لأن للناس في مسمى الكلام عند الاطلاق أربعة أقوال هي :ـ

١ ـ اسم اللفظ فقط ، والمعنى ليس جزء مسماه ، بل هو مدلول مسماه . وهذا قول جماعة من المعتزلة . وهو عين قول الشيخ محمد عبده كما ترى .

٢ ـ اسم للمعنى فقط ، واطلاقه على اللفظ مجاز ، لأنه دال عليه . وهذا قول ابن كلاب ومن معه .

٣ ـ انه مشترك بين اللفظ والمعنى ، وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية .

٤ ـ انه يتناول اللفظ والمعنى جميعا ، كما يتناول لفظ الانسان : الروح والجسد معا وهذا هو قول السلف . "٢"

وشيخ الاسلام يؤكد هذا في كلامه في كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم . "٣"

ولشارح الطحاوية كلام طويل في الرد على المخالفين .

---

١ ـ نفس المرجع ونفس الصفحة .

٢ ـ نفس المرجع ص ١٩٧ .

٣ ـ انظر : مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣ : ٥٥) .

ثم انتقل لمناقشة قوله : (انا لا نسلم ان المتكلم من قام به الكلام ، بل المتكلم هو من أحدث الكلام في شيء آخر) .

فأقول : قوله هذه مردود ، وقد استمر هذا الرأى من المعتزلة، وقد أبطله السلف وشنعوا على من قال به ، واعتبروه مبتدعا في دين الله مالم يأذن به الله .

يقول مقرر مذهب السلف ابن تيمية رحمه الله :

(وكانوا أول ما أظهروا بدعتهم قالوا : ان الله لا يتكلم ولا يكلم، كما حكي عن الجهد "١" ، وهذه حقيقة قولهم ، فكل من قال القران مخلوق فحقيقة قوله ان الله لم يتكلم ، ولا يكلم ، ولا يأمر ، ولا ينهى ، ولا يحب . فلما رأو ما في ذلك من مخالفة القران والمسلمين قالوا : انه يتكلم مجازا ، يخلق شيئا يعبر عنه لا انه في نفسه يتكلم . فلما شنع المسلمون عليهم قالوا : يتكلم حقيقة ولكن المتكلم هو من احدث الكلام ، وفعله ولو في غيره . فكل من أحدث كلاما ولو في غيره كان متكلما بذلك الكلام حقيقة .

وقالوا : المتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام وهذا الذى استقر عليه قول المعتزلة) . "٢"

وقد مر معنا ان الكلام صفة من صفات الله تعالى ، وصفات الله تعالى قديمة قائمة بذاته زائدة عليه . فلا يكون الله سبحانه متكلما بكلام يقوم في غيره ، وكذا سائر الصفات .

---

١ ــ الجعد بن درهم ، ثم صاحبه الجهم بن صفوان ، وكلاهما قتل ، بسبب هذا . / انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٦٠ .

٢ ــ شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص (٦٠ ــ ٦١) .

يقول ابن تيمية :

(اذ المتكلم من قام به الكلام ، فلا يكون متكلما بكلام يكون في غيره كسائر الصفات ، والافعال ، فانه لا يكون عالما بعلم يقوم بغيره ، ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره ولا حيا بحياة تقوم بغيره ، وكسائر الموصوفين فان الشيء لا يكون حيا عالما قادرا ، بحياة او علم او قدرة تقوم بغيره ، ولا يكون متحركا او ساكنا بحركة او سكون يقوم بغيره ، كما لا يكون متلونا بلون يقوم بغيره) . "١"

ونبه شيخ الاسلام الى ان المعتزلة يموهون على الناس فيقولون أجمع المسلمون على انه الله متكلم ، ولكن اختلفوا في معنى المتكلم هل هو من فعل الكلام او من قام به الكلام .

قال شيخ الاسلام : (وما زعموه من ان المتكلم يكون متكلما بكلام قائم بغيره ، قول خرجوا به عن العقل والشرع واللغة) . "٢"

وكان قدماء الصفاتية من السلف والائمة ، والكلابية ، والكرامية ، والاشعرية ، يحققون هذا المقام ويثبتون ضلال الجهمية من المعتزلة وغيرهم .

ثم اتى شيخ الاسلام بأربعة مسائل اكد فيها مذهب السلف ، مسألتان عقليتان ، ومسألتان سمعيتان لغويتان :

(الاولى) : ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل فكان هو الموصوف بها فالعلم والارادة والقدرة والكلام والحركة والسكون اذا قام بمحل كان ذلك المحل هو العالم المريد القادر المتكلم المتحرك الساكن ...

(الثانية) : ان حكمها لا يعود على غير ذلك المحل ، فلا يكون عالما بعلم يقوم بغيره ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره ، ولا متكلما بكلام يقوم بغيره ولا متحركا بحركة تقوم بغيره .

---

١ ــ شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٦٢ .

٢ ــ نفس المصدر ص ٦٣ .

وهاتان عقليتـــان .

أما السمعيتان اللغويتان ، فهما :—

(الثالثة) : انه يشتق لذلك المحل من تلك الصفة اسم اذا كانت تلك الصفة مما يشتق لمحلها منها اسم ، كما اذا قام العلم أو القدرة أو الكلام بمحل . قيل عالم ، أو قادر أو متكلم بخلاف أصناف الروائح التي لا يشتق لمحلها منها اسم .

(الرابعـــة :) : انه لا يشتق الاسم لمحل لم يقم به تلك الصفة ، فلا يقال لمحل لم يقم به العلم أو القدرة أو الارادة أو الكلام أنه عالم أو قادر أو متكلم .

ويعجبني في الرد على الشيخ محمد عبده ، ما الزم به الامام عبد العزيز المكي "١" بشرا المريسي بين يدى الخليفة المأمون ، بعد ان تكلم معه ملتزما ان لا يخرج عن نص التنزيل ، والزمه الحجة ، بعد ان دار بينهما هذا النقاش : "٢"

قال بشر : ياأمير المؤمنين ، ليدع مطالبتي بنص التنزيل و يناظرني بغيره ، فان لم يدع قوله ويرجع عنه ويقر بخلق القران الساعة ، والا فدمي حلال .

قال عبد العزيز : تسألني أم أسألك ؟

قال بشر : اسأل أنــت .

---

١ — هو عبد العزيز بن يحيى الكناني ، احد الفقهاء من اصحاب الشافعي ، قدم بغداد ايام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في خلق القرآن بحضرة الخليفة المأمون ، وصنف كتاب " الحيدة " اثبت فيه نص مناظرتــه لبشر ، لكن في ثبوت هذه المناظرة نظر ، فانه تفرد بروايتها محمد بن الحسن بن ازهر الدعاء ، وقد اتهمه الخطيب بأنه يضع الحديث ، وذكر الذهبي أنه هو الذى وضعها / الميزان (٣ : ٤٤) ، شمس الديـن الذهـــبي .

٢ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

قال عبد العزيز : يلزمك واحدة من ثلاث لابد منها ، اما ان تقول : ان اللـه خلق القران ـ وهو عندى انا كلامه ـ في نفسه ، او خلقه قائما بذاته ونفسه ، او خلقه في غيره ؟

قال بشـــــر : اقول خلقه كما خلق الاشياء كلها .

وحاد عن الجواب فقال المأمون : اشرح انت هذه المسألة ودع بشرا فقد انقطع.

فقال عبد العزيز: ان قال : خلق كلامه في نفسه فهذا محال ، لان الله لا يكون محلا للحوادث المخلوقة ، ولا يكون فيه شيء مخلوق .

وان قال : خلقه في غيره فيلزم في النظر والقياس ان كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلامه . فهو محال ايضا لانه يلزم قائله ان يجعل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله .

وان قال : خلقه قائما بنفسه وذاته فهذا محال ، لا يكون الكلام الا من متكلم كما لا تكون الارادة الا من مريد ، ولا العلم الا من عالم ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته . فلما استحال من هذه الجهات ان يكون مخلوقا علم انه صفة لله .

ولا اريد ان اقف مع هذا الكلام اكثر من ذلك فانه ليس بيت القصيد في الموضوع بل انتقل الى بقية كلامه في مسألة " خلق القران " ، الذى يخطو به الشيخ محمد عبده خطوة اجرأ من سابقتها .

انه فيما سبق ـ كما رأينا ـ يلتزم القول بنظرية الفيض ، الفلسفية . ويقول ايضا ان المتكلم هو من احدث الكلام في شيء آخر غيره .

اما في مسألة " خلق القران " فيلتزم الشيخ محمد عبده ، قول المعتزلة ايضا ، ويذهب الى ان القران كلام الله المخلوق .

وخلاصة ما قال هـــــو :

١ ــ ان مصدر الكلام المسموع عن الحق سبحانه قديم .

٢ ــ اما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم فحادث .

٣ ــ الايات التي يقرؤها قارئ القران تحدث وتفنى كلما تليت .

٤ ــ القول بأن الله خلق القران غاية ما دعا الدين الى اعتقاده .

٥ ــ مذهب الامام احمد القول بخلق القران . لكنه كان لا ينطق بهذا حتى لا يقع في الحرج ، ومبالغة في التأدب مع الله .

وهذا من الشيخ محمد عبده موقف لا احمده له . لانه مع الاعتراف لـه بالجرأة ليس اجرأ ولا اشجع من الامام احمد بن حنبل ، الذى اهين وسجن وعذب وظل ثابتا على رأيه يقول : القران كلام الله القديم ، ليس بمخلوق ، وهو صفة من صفاته . وهذا غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ومن قال بغير هذا فقد اوقع نفسه في الحرج ، وبالغ في الجرأة على الله .

" الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالـوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم " . "1"

وحتى لا ينخدع احد بكلام الشيخ محمد عبده ، ويظن ان الامام احمد كان ينطق بما لا يعتقد ، وان عموم الفرق تقول بحدوث كلام الله ، خلا جماعة مـن الحنابلة . فاني اسوق اليك مذهب السلف ، واهل السنة في مسألة كلام الله ، المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران الكريم ، ثم المتلو :

---

١ ــ سورة ال عمران الايات (١٧٣ ــ ١٧٤) .

والمسموع منه ، ثم المكتوب في المصاحف ، ثم ما اضيف الى الخلق من القراءة والكتابة ... فهو الحكم الوحيد بين ايدينا ، القاضي بالحق بين الامام احمد واتباعه من الحنابلة ، وبين الشيخ محمد عبده ، واساتذته من المعتزلة .

اولا : " القران كلام الله ليس بمخلـــوق " :

============================

حكى الطحاوى رحمه الله قال : (وان القران كلام الله ، منه بدا ، بلا كيفية قولا ، وانزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وايقنوا انه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه واوعده بسقر حيث قال تعالى " سأصليه سقر " "١" فلما اوعد الله بسقر لمن قال " ان هذا الا قول البشر " "٢" علمنا وايقنا انه قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر) "٣".

والذى يفهم من كلام الشيخ الطحاوى رحمه الله تعالى ان القران كلام الله انزله على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام ، وهـــو المتكلم به ابتداء ، لم يخلقه في غيره ، وفي ذلك رد على الشيخ محمد عبده الذى يزعم ان القران خلقه الله منفصلا عنه .

وقال الامام احمد رضى الله عنه : (كلام الله من الله ليس ببائــن منـــه) . "٤"

---

١ ــ سورة المدثر اية (٢٦) .
٢ ــ سورة المدثر اية (٢٥) .
٣ ــ شرح العقيدة الطحاوية ص (١٧٩) .
٤ ــ انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص (٦) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (اتفق سلف الامة وائمتها على ان كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود) . "١"

ومعنى قولهم " منه بدأ " : اى هو المتكلم به لم يخلقه في غيره .

ومعنى قولهم " اليه يعود ": ما جاء في الاثار ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه اية .

وقد تكلم الله القران باللفظ والمعنى بصوت نفسه بلا كيفية (اى لا تعرف كيفية تكلمه به قولا ليس بالمجاز) . "٢"

قال تعالى : " وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) . "٣"

فبين الله تعالى ان الكلام المسموع هو كلامه ، وهو عين ما سمعه جبريل من ربه وهو عين ما سمعه محمد من جبريل ، وهو عين ما سمعه الصحابة منه صلى الله عليه وسلم . وهو عين ما نقرأه نحن وهو الذى بين دفتي المصحف ، وما في الصدور كله كلام الله غير مخلوق . "٤"

لعل في كلام العلماء هذا مقنع للشيخ محمد عبده ، والا فهاك من كلام الله ما يقنع .

---

١ ــ نفس المرجـــع ص (٥) .

٢ ــ شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ .

٣ ــ سورة التوبة اية (٦) .

٤ ــ انظر كتاب : خلق افعال العباد والرد على الجهمية واصحاب التعطيل ، لمحمد بن اسماعيل البخارى مطبعة ومكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٣٩٠ هـ ص ٧ .

قال الله تعالى : " قل نزله روح القدس من ربك بالحق " . "١"

وقال تعالى : " نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين " . "٢"

وقال تعالى : " قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بأذن الله " . "٣"

وقال تعالى : " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا " . "٤"

وقال تعالى : " انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين " . "٥"

وقال تعالى : " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " . "٦"

وقال تعالى : " والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق " . "٧"

والايات في هذا كثيرة فيها اخبار من الله تعالى انه نزل القران بواسطة جبريل عليه من لدنه تعالى على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على الحقيقة ، وليس شيء نزل من القران مخلوق . "٨"

---

١ ـ سورة النحل اية (١٠٢) .
٢ ـ سورة الشعراء الايات (١٩٣ ـ ١٩٥) .
٣ ـ سورة البقرة اية (٩٧) .
٤ ـ سورة الاسراء اية (١٠٦) .
٥ ـ سورة الدخان اية (٣) .
٦ ـ سورة الزمر اية (١) ، وسورة الجاثية اية (٢) ، وسورة الاحقاف اية (٢)
٧ ـ سورة الانعام اية (١٠٢) .
٨ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ .

ثانيا : الكلام المتلو والمسموع :

اما هذا فلا خلاف في حدوثه - على مذهب الشيخ محمد عبده - ولا في انه خلق من خلقه . (وان ليس معنى القران او الكلام الا هذه الالفاظ المقروءة بالالسن ، المكتوبة في المصاحف المتفق على حدوثها) . "١"

وكل ما ورد في النصوص من ان القران غير مخلوق فمؤولة بغير " مختلق " وان قول الانبياء عن الله انه متكلم فمؤولة ايضا بأنه مجاز او ما يشبهه . "٢"

والحق : ان هذا الكلام هو اخر ما استقر عليه المعتزلة ، وهو اخر قولهم في هذه المسألة ، وهم يموهون على الناس فيقولون " اجمع المسلمون " ، "المتفق على حدوثها " ، " ولا خلاف في ذلك " . "٣"

فجاء الشيخ محمد عبده ، ونقل هذا عنهم ، وزعم ان عقله دله عليه وهداه اليه ، وادعى ان هذا غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ، وهو السنة ، وهو ما كان عليه النبي واصحابه ، وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

أقول : ان دعوى اتفاق العلماء ، واهل المذاهب على حدوث الكلام المسموع والمقروء ، باطلة . بل الحاصل تنازعهم في هذا ، والسلف على خلافه . واليك تقرير مذهبهم :

---

١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٠١) .
٢ - انظر نفس الكتاب ونفس الصفحة .
٣ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص (٦١) .
وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

يقول السلف ان كل من تكلم بكلام نسب هذا الكلام اليه ان كان هو اول من ابتدأه ، وان جرى هذا الكلام على لسان غيره ، فتبقى نسبة الكلام اليه حتى بعد مماته ، ولو ردده غيره بصوته وحركاته . وان من يسمع هذا الكلام يقول انه كلام من ابتدأه لا من نقله وبلغه .

يقول شارح الطحاوية في هذا المعنى :

(والكلام كلام من قاله مبتدئا لا من قاله مبلغا ، ومن سمع قائلا يقول : " قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل " . "١" قال : هذا شعر امرئ القيس .

ومن سمعه يقول " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى " . "٢" قال : هذا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وان سمعه يقول : " الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين " . "٣" قال : هذا كلام الله . ان كان عنده خبر ذلك ، والا قال لا ادري كلام من هذا ؟ ولو انكر عليه احد ذلك لكذب .

ولهذا من سمع من غيره نظما او نثرا ، يقول له : هذا كلام من ؟ هذا كلامك او كلام غيرك ؟ . "٤"

---

١ — عجز البيت : بسقط اللوى بين الدخول فحومل ، وهو من المعلقات العشر .

٢ — الحديث متفق عليه ، روى بطريق التواتر ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو اول حديث في صحيح البخاري ، وفي الاربعين النووية ، وتكملته " فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه " .

٣ — سورة الفاتحة الايات (٢ — ٥) .

٤ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

ويقول شيخ الاسلام مؤكـــدا :

(اذا قرأ الناس كلام الله تعالى فالكلام في نفسه غير مخلوق اذا كان الله قد تكلم به . واذا قرأه المبلغ لم يخرج عن ان يكون كلام الله ، فان الكلام كلام من قاله مبتدئا امرا يأمر به او خبرا يخبره ليس هو كلام المبلغ له عن غيره اذ ليس على الرسول الا البلاغ المبين .

واذا قرأه المبلغ فقد يشار اليه من حيث هو كلام الله فيقـال : هذا كلام الله ، مع قطع النظر عما بلغه به العباد من صفاتهم ، وقد يشار الى نفس صفة العبد كحركته وحياته ، وقد يشار اليهما .

فالمشار اليه الاول غير مخلوق ، والمشار اليه الثاني مخلوق ، والثالث : منه مخلوق ومنه غير مخلوق) . "١"

وحقيقة كلام الله الخارجية : هي (ما يسمع منه او من المبلغ عنه ، فاذا سمعه السامع علمه وحفظه . فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ ، فاذا قاله السامع فهو مقروء له متلو ، فاذا كتبه فهو مكتوب له مرسوم . وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه . والمجاز يصح نفيه فلا يصح ان يقال : ليس في المصحف كلام الله ، ولا : ما قرأ القارئ كلام الله) . "٢"

ويستشهد شارح الطحاوية بقوله تعالى : " وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله "٣" . فهو لا يسمع كلام الله من الله ، وانما يسمعه من مبلغه عن الله .

---

١ ـ انظر رسالة ابن حزم وموقفه من الالهيات و" صفة الكلام " في الباب الثاني ، نقلا عن كتاب مذهب السلف القويم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ، (٣ : ٥٨ ـ ٥٩) .

٢ ـ شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٤ .

٣ ـ سورة التوبة اية (٦) .

قال الشارح : (والاية تدل على فساد قول من قال : ان المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله ، فانه تعالى قال : " حتى يسمع كلام الله " "١" ، ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله . والاصل الحقيقة) . "٢"

ويذهب الشارح الى ان من قال : ان المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله ، او حكاية كلام الله ، وليس فيها كلام الله ، فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الامة وكفى بذلك ضلالا .

وليس ادل على ان الشيخ محمد عبده يحكي عين مذهب المعتزلة من هذا الذى ذكرت ، بل انه يؤول كل ما ورد في نصوص الائمة والعلماء في قولهم " غير مخلوق " " بغير مختلق " . وقد يطلق بعض المعتزلة على القران انه غير مخلوق ، ومرادهم انه غير مختلق "٣" ، فهو ادعاء باطل . بل هو حق وصدق ، ولا ريب ان هذا المعنى منتف باتفاق المسلمين . "٤"

===

---

١ ـ سورة التوبة اية (٦) .

٢ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٤ .

٣ ـ بمعنى : مفترى مكذوب .

٤ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

ثالثـــا : المكتوب في المصاحـــف :

والسلف ايضا يقررون ان ما هو مكتوب في المصاحف ، كلام الله غير مخلوق ومثله المكتوب في التوراة الربانية والانجيل الرباني والزبور ايضا فكلها من كلام الله حقيقـة .

وهذا ظاهر من كلام الامام ابي حنيفة النعمان رضى الله عنه في الفقـه الاكبر ، فانه قال : (والقران في المصاحف مكتوب ، وفي القلوب محفوظ ، وعلى الالسن مقروء ، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل ، ولفظنا بالقـران مخلوق ، والقران غير مخلوق) . "١"

وما في القران من مداد ، وخطوط واشارات وتشكيلات ، ورسـومات ، وورق وما يخرج من حروف الهجاء في الهواء ، وكل ما هو من كسب العبد وفعلـه فمخلوق . وما ليس بفعله فغير مخلوق .

وهذا المعنى مغاير لمعنى قول القائل : فيه كلام الله . وفرق كبير بين قولنا : المراد في المصحف بخط فلان وكتابته وقولنا فيه كلام الله ، ومن لم يتنبه للفرق بين هذين المعنيين فقد ضل ولم يهتد للصواب . وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ ، والمقروء الذى هو قول البارى .

(ولو ان انسانا وجد في ورقة مكتوبا : " الا كل شي ما خلا الله باطل ". "٢"

---

١ ــ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٩ .

٢ ــ البيت من كلام لبيد بن ربيعة وتكملته : وكل نعيم لا محالة زائل . — الا نعيم الجنة — .

من خط كاتب معروف لقال : هذا من كلام " لبيد " حقيقة ، وهذا خـط فلان حقيقة ، وهذا كل شيء حقيقة ، وهذا خبر حقيقة ولا تشتبه هذه الحقيقة بالاخرى) . "١"

والدليل على ان ما كان من فعل العبد فهو مخلوق قول الرسول صلى الله عليه وسلم " زينوا القران بأصواتكم " . "٢"

ففيه ان لقراءة القران زينة ، وزينته الصوت العذب الحسن ، الذى تخشع له النفوس ، وتوجل منه القلوب ، وتذرف منه العيون .

فصاحب الصوت الندى يضفي بصوته على القران زينة وحلاوة ، وكل هذا مخلوق ، أما القران كلام الله فغير مخلوق .

وقد طلب الرسول عليه السلام من قارئ القران ان يرفع صوته بـه ويحسنه ، وان يبكي وهو يقرأه ، فان لم يبك يتباكى . وفعل القارى هـذا كله مخلوق ، ونطقه وصوته بالقران غير القران . فكلام الله غير مخلوق ، وما نسب الى العبد فمخلوق .

وهذه قاعدة شريفة ، وهي اصل من اصول الدين ، دل عليـه القران ، وايدته السنة ، وشهدت به الفطرة .

---

١ ـ شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٢ .

٢ ـ صحيح البخارى (٤ : ٢١٦) .

" تنبيـــــــه " :

===========

ليس في وسعي أن أتجاهل ما ذكره لي الاستاذ المشرف علـــــى هذه الرسالة . "١"

فقد ذكر لي أن أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده "٢" ، راجعــــه في هذه المسألة ، وذكر له كلام السلف ، وطلب منه ان يرجع عن رأيــــه هذا لكي تكون رسالة التوحيد ، رسالة سلفية خالصة ، فوافق الشيخ علـــى هذا ، وأوصاه أن يحذف هذا الرأى في الطبعة الثانية ، أو المقبلــــة ، وبقي على هذا الى أن أماته الله قبل أن تتحقق وصيته في حياته ، فحققـــت بعد موته ، وتم حذف كلامه المخالف ، أسأل الله له المغفرة .

---

١ ــ الاستاذ الدكتور : ســـليمان دنيا .

٢ ــ لعلّه يكون : الشيخ محمد رشيد رضـــا .

(٦ ، ٧) : السمع والبصر

" مذهب الشيخ محمد عبده " :

يذهب الشيخ محمد عبده الى انه مما ثبت لله تعالى بالنقل :

صفة البصر ، وهي ما به تنكشف المبصرات .

وصفة السمع ، وهي ما به تنكشف المسموعات .

فهو سبحانه السميع البصير .

قال الشيخ محمد عبده : (يجب على كل مسلم ان يعتقد ان[1]

هذا الانكشاف للمبصرات والمسموعات ليس بآلة جارحة ، ولا حدقة ولا باصرة) .

وفي شرحه على " العقائد العضدية " : اثبت لله تعالى

صفتي السمع والبصر ، وبين مفهوم كل صفة فقال :

(والسميع من قام به صفة السمع ، والبصير من قام به صفة البصر) .

وفي اثباتهما قال :

ولما وجب ان يتصف بجميع صفات الكمال وجب ان يكون سميعا

بصيرا) .

وايضا ، استدل على ثبوت هاتين الصفتين بما ورد من نصوص في القران الكريم

تفيد بصراحة ثبوت السمع والبصر لله تعالى .

وقرر الشيخ محمد عبده ان هاتين الصفتين مغايرتان للعلم ،

وليس معناهما العلم بالمسموعات ، والعلم بالمبصرات ، كما يقوله بعض الفلاسفة .

---

١ — أنظر رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٧٨) .

ورد على قول من قال : ان هاتين الصفتين ينكشف بهما المسموع والمبصر بعد حدوثه ، فقال :

(ان للواجب تعالى علم بالكائنات قبل وجودها على وجه ليس يساوى ادراك المحسوس بالحاسة ، وله ادراك لها بعد وجودها على وجه اجلى وارفع ، كما يحصل لنا من العلم بالشيء قبل رؤيته ، والعلم به بعد رؤيته ، اذ الثاني اعلى وارقى من الاول) . "١"

ويقـــول :—

(هذا الادراك الاجلى ، والانكشاف الاعلى ، الذى يحصل للبارى ، بعد حدوث المحسوسات ، اما ان يكون حاصلا له قبل الحدوث ايضا ، او لا ، على الثاني : هو نوع من الانكشاف اعلى واكمل ، فيكون للبارى تعالى كمال حادث ، ويكون بدونه ناقصا ، وهو محال .

وايضا : اكملية الانكشاف ، انما تكون بكشف ما لم يكن منكشفا عند فقدان هذا الاكمل فيلزم الجهل عليه تعالى ، وهو محال .

وان كان الاول : اى انه حاصل له قبل حدوث المحسوسات ، فليس الا تعلق الصفة الازلية ، وهي العلم بجميع الكائنات على الوجه الأكمل ، اذ لا تفاوت بين ما هو مبصر أو مسموع وما هو معقول فيما هو قبل الوجود ، بل الكل معقول) .

ثم يضع الشيخ محمد عبده القاعدة الأساسية في هذه المسألة ، ويقـــول انها الأصوب للمسلم ، ويطلب منه أن يدقق الفكر ولا يلتفت لما هوس به الجهلــة في هذا المقام .

فيقـــول :

(فالأصوب الرجوع الى أن مبدأ الانكشاف فى الواجب شيء واحد متعلــق

---

١ — انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٠٠) .

بجميع الأشياء على وجه لا يتصور ما هو أجلى وأعلى منه ، ولا ضرورة الى تكثير مباديه في ذاته تعالى ...

ومثل هذا يقال ، في المذوقات ، والمشمومات ، والملموسات ؛

غايته ، لا يصح اطلاق اسمائها على الباري تعالى ؛

لعدم ورود الشرع بها ،

ولا يهام الفاظها الجسمية ،

فدقق الفكر ، ولا تلتفت لما هوس به الجهلة ، في هذا المقام ، من التمشدق ، بالاوضاع اللغوية والمقالات غير البرهانية) ." ١ "

" تقويم هذا المذهب " :

لا شك أن الشيخ محمد عبده هنا مع أهل الاثبات قاطبة ، من أهل السنة والجماعة من السلف والأئمة ، وأهل الحديث والفقه ، وأهل التصوف ، وبعض المتكلمين من الصفاتية ، وطائفة من المعتزلة البصريين .

فهؤلاء جميعا يثبتون لله صفتي السمع والبصر ، والسميع والبصير من أسمائه سبحانه ، وله سمع يسمع به ، وبصر يبصر به على نحو يليق بجلاله وكماله ." ٢ "

فهو معهم في بيان مفهوم السمع والبصر ، وفي اثباتهما ؛

وهو معهم في الرد على ما قالته بعض الطوائف من ان المراد بسمعه تعالى وبصره مجرد العلم بما يسمع ويرى .

---

١ ــ انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٠٠) .

٢ ــ انظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص (٧٣) .

ومعنى السميع والبصير عند السلف يبينه شارح العقيدة الواسطية

بقولـــه :

(ومعنى السميع : المدرك لجميع الاصوات مهما خفتت فهو يسمع السر

والنجوى ، بسمع هو صفة لا يماثل أسماع خلقه .

ومعنى البصير : المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما

لطفت أو بعدت ، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار ، وهو من فعيل بمعنى

مفعل ، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه على الوجه الذي يليق به) ."١"

وكان رد الشيخ محمد عبده في محله ، على من ذكر ان سمعه وبصره

تعالى هما العلم بالمسموع والمبصر ، لا ادراك آخر غيره .

والسلف وأهل السنة لهم طريقة أخرى في الرد على هؤلاء ، القائلين :

ان السمع والبصر اذا كانا غير العلم بالمسموع والمبصر ، فهما تأثر الحاسة البصريـــة

والسمعية بالمسموع والمبصر .

أو ادراك للنفس مشروط بهذا التأثر ، ومثل ذلك محال في حقـــه

تعالى . "٢"

وليضا : سمعه وبصره اما قديمان فيلزم المسموع والمبصر . اذ سمع

وبصر بلا مسموع ومبصر باطل .

فاذا كان سمعه وبصره قديمين لزم قدم المسموع والمبصر وهو باطل .

واما ان يكون سمعه وبصره حادثين فيلزم قيام الحوادث بذاته ،

وهو باطـــل . اهـ .

---

١ ـ شرح العقيدة الواسطية ص ٤٩ ، ٥٠ .

٢ ـ انظر : الفرق بين الفرق ، للبغدادى ص ١٨١ .

وانظر : أصول الدين ، له ايضا ص ٩٦ ، الطبعة الاولى ، مطبعة

الدولة ، استانبول ١٣٤٦ / ١٩٢٨م .

هـــي :

١ — ان صفاته تعالى مخالفة في الحقيقة لصفات الممكنات .

فان سلمنا ان السمع والبصر في الممكنات ماقالوه ، فلانسلم ان سمع

الله تعالى وبصره هو تأثر الحاسة بالمسموع والمبصر .

٢ — ان سمعه وبصره تعالى قديمان ، ولا يلزم قدم المسموع والمبصر لأن

سمعه وبصره صفتان قديمتان لكل منهما على حادث .

فالبصر قديم يبصر به المبصرات عند حدوثها ، والسمع قديم يسمع بـــه

الاصوات عند حدوثها .

أقول : لا شك ان ماورد من نصوص في القران وفي السنة انما يفيـــد

قطعا انه تعالى يسمع ويبصر .

ولا شك ايضا ان الادراك السمعي والبصرى مغايران للادراك العلمي .

وهذا حقيقة قول السلف ، وايده الشيخ محمد عبده .

فقد توصف لك مدينة " مكة المكرمة " فتدركها ادراكا علميا فحسب .

ثم قد يهيأ الله لك زيارة البيت العتيق ، فترى مكة ، فيحصل لك قطعا ادراك

آخر غير الادراك الأول وأجلى منه .

اذا علمنا ذلك ، فهل نحيل على الله تعالى السمع والبصر ، ونؤول ما

ورد من السمع مثل قوله تعالى " وهو السميع العليم " "١" ، وقوله تعالـــى :

" انه بكل شيء بصير " "٢" ، وقوله تعالى " وهو السميع البصير " . "٣"

---

١ — سورة البقرة اية (١٣٧) / سورة الانعام اية (١٣) ، واية (١١٥)

/ سورة الانبياء اية (٤) / سورة العنكبوت اية (٥) ، واية (٦٠) .

٢ — سورة الملك اية (١٩) .

٣ — سورة الشورى اية (١١) .

بالعلم بالمسموع والمبصر ، لاستحالة ان يكون له تلك الحواس الجسمية . أو نثبتهما له تعالى لورود النص بهما ، لكن مع الجزم بأنهما في حقه تعالى ليسا بحاسة جسمية على نمط ما في الحوادث ؟؟

الراجح الثاني ، فقد جاء في الكتاب المبين الاخبار بأنه تعالى سميع بصير ، كما جاء فيه الاخبار بأنه تعالى عليم ، وتكرر كلاهما في الكتاب ، وليس هناك ما يبرر تأويل السمع والبصر في حقه تعالى ، الا ما ذكره بعض الطوائف وقد علمت بطلانه .

واذن ، فلا وجه لهذا التأويل ، بل يجب بقاء الصفتين على ظاهرهما ، لكن مع الجزم بأنهما ليسا بحاستين جسميتين ، على نمط ما في الحوادث .

فالحق اذا ، مع السلف ، واهل السنة ، وهو ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده .

واليك بعض ما استدل به اهل الحق في حقهم :

اولا : من السمع . — بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة .

ثانيا : العقل . — اذ العقل مؤيد للنقل ومؤازر له .

١ — الادلة النقليـــــة :

=================

وهي ما في الكتاب والسنة من آيات واحاديث وصفته تعالى بأنه سميع بصير ، ولا يجوز ان يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى ، لان الله فرق بين العلم وبين السمع والبصر ، كما فرق بين السمع وبين البصر . (وهو لا يفرق بين علم وعلم لتنوع المعلومات) . "١"

---

١ — شرح العقيدة الاصفهانية ص ٧٤ .

أ : من القرآن الكريـــــم :

================

قال تعالى : " واما ينزغنك من الشيطا ن نزغ فاستعذ بالله انه هـو السميع العليم " . "١"

وقال تعالى : " وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم " . "٢"

وقال تعالى : " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ا ن الله سميع بصير " . "٣"

وقال تعالى : " لقد سمع الله قول الذين قالوا ا ن الله فقير ونحـن أغنيــاء " . "٤"

وقال تعالى : " ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون " . "٥"

وقال تعالى : " الذى يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم " . "٦"

وقال تعالى : " الم يعلم بأن الله يرى " . "٧"

ذكر الله تعالى فى هذه الايات سمعه لاقوالهم ورؤيته لافعالهم وعلمه بأحوالهم (ليتناول باطن احوالهم) . "٨"

وقال لموسى وهارون : " انني معكما أسمع وأرى " . "٩"

---

١ ــ سورة الاعراف اية (٢٠٠) .
٢ ــ سورة البقرة اية (٢٢٧) .
٣ ــ سورة المجادلة اية (١) .
٤ ــ سورة آل عمران اية (١٨١) .
٥ ــ سورة الزخرف اية (٨٠) .
٦ ــ سورة الشعراء الايات (٢١٨ ــ ٢٢٠) .
٧ ــ سورة العلق اية (١٤) .
٨ ــ شرح العقيدة الاصفهانية ص ٧٤ .
٩ ــ سورة طه اية (٤٦) .

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ على المنبر قول الحق تعالى : " ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ". "١"

فوضع ابهامه على اذنه وسبابته على عينيه . "٢"

ولا ريب ان مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق .

فلو كان السمع والبصر هما العلم لم يصح ذلك . "٣"

قال الامام ابن القيم رحمه الله : (وانما وضع ابهامه على اذنيه دفعا لتوهم اي متوهم) . "٤"

وقد بينت عند تعريف صفة العلم ان المعلومات ما شأنها ان تعلم ، سواء كانت واجبة او مستحيلة او ممكنة .

وبهذا تميز العلم عن السمع والبصر ، لانهما انما ينكشف بهما بعض المعلومات ، وهي المبصرات والمسموعات . "

فلا يجوز ان يكون كل معلوم مسموعا او مبصرا ، فثبت الفرق بين العلم وبين السمع والبصر بالدليل والنظر .

ب : من السنة النبويـــــة :ـ

==================

١ ـ روى ابن خزيمة قال : حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن وهب قال : حدثنا عمي قال : حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثني

---

١ ـ سورة النساء اية (٥٨) .

٢ ـ رواه ابو داود . / انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٧٤ .

٣ ـ انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٧٤ .

٤ ـ انظر مختصر الصواعق المرسلة ، لابن القيم (١ : ٧٢) .

عروة بن الزبير : " ان عائشة رضي الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت . فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وانا بقرن الثعالب . فرفعت رأسي فاذا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادى فقال : يامحمد : ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني أمرك ، وبما شئت ، ان شئت ان اطبق عليهم الأخشبين "١" فعلت .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ". "٢"

٢ — روى ابن خزيمة ايضا حديث ابي موسى الاشعرى رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فلما اقبلنا واشرفنا على المدينة كبر الناس تكبيرة رفعوا بها اصواتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان ربكم ليس بأصم ولا غائب ".

وفي رواية ثانية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان ربكم ليس بأصم ، انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ".

وفي رواية ثالثة قال : " أيها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون قريبا ". "٣"

---

١ — جبلان في مكة ، الاول : ابو قبيس ، والثاني : الذى يقابله .

٢ — كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٤٨ ، والحديث متفق عليه .

٣ — انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٤٩ .

٣ ـ ومثله عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فجعلنا لا نصعد شرفا ، ولا نهبط في واد ، الا رفعنا اصواتنا بالتكبير ، فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ايها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم ما تدعون أصم ولا غائبا ، فانما تدعون سميعا بصيرا ، ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته ، يا عبد الله بن قيس "١" الا علمك كلمة من كنوز الدنيا : " لا حول ولا قوة الا بالله " ، "٢"

٤ ـ خبر عائشة رضي الله عنها " سبحان ربي وبحمده وسع سمعه الأصوات "ان المجادلة "٣" تشكو الى النبي صلى الله عليه وسلم فيخفى علي بعض كلامها ، فأنزل الله " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها " .

وفي رواية ثانية قالت : " سبحان من وسع سمعه الأصوات" ، "٤"

هذه النصوص ، يفيد مجموعها ان الله سبحانه وتعالى يسمع ما يتكلمون ، ويبصرهم فهو ليس بأصم ولا غائبا ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

---

١ ـ هو راوى الحديث ابو موسى الاشعري رضي الله عنه .

٢ ـ انظر صحيح البخاري . كتاب الدعوات ، باب " لا حول ولا قوة الا بالله " .

٣ ـ هي خولة بنت ثعلبة .

٤ ـ انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب لابن خزيمة ص ٤٥ .
وانظر : مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٤٥٨) .

٢ ـ الأدلــة العقليـــــة :ـ

=====================

ما سبق من الأدلة السمعية هو احدى الطرق التي اتبعها الناس في اثبات كونه تعالى سميعا بصيرا •

وقد سلك الناس طرقا اخرى غير طريق النقل في اثبات ذلك • ذكرهـــا شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الأصفهانية "١" • وردها الى ثلاث طرق هـــي :ـ

(الطريـــق الأول) :

==============

ان الله سبحانه وتعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف بضد ذلك وهو العمى والصمم • كما قالوا مثل ذلك في الكلام •

وذلك لأن المصحح لكون الشيء سميعا بصيرا متكلما هو الحياة • فاذا انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك •

فالجمادات لا توصف بذلك لانتفاء الحياة فيها •

واذا كان المصحح هو الحياة كان الحي قابلا لذلك • فان لم يتصف به لزم اتصافه بأضداده • بناء على ان القابل للضدين لا يخلو من اتصافه بأحد همـــا اذ لو جاز خلو الموصوف عن جميع الصفات المتضادات لزم وجود عين لا صفة لها • وهو وجود جوهر بلا عرض يقوم به •

وقد علم بالاضطرار امتناع هذا • ولهذا أطبق العقلاء من أهل الكـــــلام والفلسفة وغيرهم على انكار زعم تجويز وجود جوهر خال عن جميع الاعراض • وهو الذى يحكى عن قدماء الفلاسفة من تجويز وجود مادة خالية عن جميع الصور • "٢"

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٧٤ ـ ٨٨ •

٢ ـ نفس المرجع ص ٧٤ •

(الطريـق الثانـــي) :

لأهل النظر في اثبات السمع والبصر ان السمع والبصر من صفات الكمال . فان الحي السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير ، كما أن الموجود الحي أكمل من موجود ليس بحي ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالـم . وهذا معلوم بضرورة العقل .

واذا كانت صفة فلو لم يتصف الرب بها لكان ناقصا والله منزه عن كل نقص . وكل كمال محض لا نقص فيه فهو جائز عليه ، وما كان جائزا عليه من صفات الكمال فهو ثابت له ، فانه لو لم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غيـر نفسه ، فيكون مفتقرا الى غيره في ثبوت الكمال له ، وهذا ممتنع اذا لم يتوقـف كمال الا على نفسه ، فيلزم من ثبوت نفسه ثبوت الكمال لها ، وكل ما ينزه عنه فانه يستلزم نقصا يجب تنزيهه له .

وايضا فلو لم يتصف بهذا الكمال لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمـل منه . ومن المعلوم في بدائه العقول ان المخلوق لا يكون اكمل من الخالق . ويبين ابن تيمية ان الله سبحانه وتعالى يجوز أن يستعمل في حقـه قياس الأولى ، كما جاء بذلك القران ، وهو الطريق التي كان يسلكها السلف والائمة . فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به ، وكل نقص ينزه عنه مخلـوق فالخالق أولى ان ينزه عنه . "١"

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٨٥ .
وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام (٦ : ٨٨) .

(الطريــق الثالـــــث) :

==================

أن نفي هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حي أو جماد وكل من انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ولا يخلقه ، ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعى كما قال الخليل " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا " "١" وقال : " هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " ، "٢"

وقد عاب الله المشركين اذ يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يتكلم ، ولا يهدى الى سواء السبيل ، ولا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ...

قال تعالى : " واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين " ، "٣"

وقال تعالى : " فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي ، افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا " ، "٤"

وهذا لانه من المستقر في الفطر ان ما لا يسمع ولا يبصر لا يكون ربا معبودا ، كما ان ما لا يغني شيئا ولا يهدى ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا ...

كذلك من المستقر في العقول ان ما لا يسمع ولا يبصر ناقص عن صفات الكمال ومن المعلوم بالفطرة ان الخالق أبعد عن هذه النقائص والعيوب من كل ما ينفى عنه ،

---

١ ـ سورة مريم اية (٤٢) .
٢ ـ سورة الشعراء الايات (٧٢ ـ ٧٤) .
٣ ـ سورة الاعراف اية (١٤٨) .
٤ ـ سورة طه الايات (٨٨ ـ ٨٩) .

وان اتصافه بهذه العيوب من اعظم الممتنعات . "١"

واختم الكلام هنا بما أثاره بعض العلماء ، وعلق عليه الشيخ محمد عبده في شرحه على " العقائد العضدية " ، وهو : هل لله تعالى ادراك الملموسات والمشمومات والمذوقات ؟

ولعل الذى أثار هذه المسألة هو ماورد في الكتاب المبين في انه تعالى سميع بصير ، فهو اذا يدرك المسموعات والمبصرات ، فهل له ان يدرك بقية المحسوسات ؟ .

١ ـ ذهب القاضي ابو بكر الباقلاني ، وامام الحرمين واتباعهما الى ان له تعالى ادراكا يدرك به المشمومات ، وادراكا يدرك به المذوقات ، وادراكا يدرك به الملموسات .

واستدلوا على ذلك بأن هذه الادراكات كمالات يصح ان يتصف بها كل حي ، فاذا لم يتصف بها الله تعالى اتصف بضدها وهو نقص محال عليه تعالى .

٢ ـ وذهب فريق آخر الى نفي الادراكات الخاصة عنه تعالى .

واستدلوا على ذلك ، بأن لهذه الادراكات لوازم لا تنفك عنها ، كاتصال المدرك بهذه المدركات والانفعال بها لذة أو ألما وكل ذلك محال على الله تعالى .

٣ ـ وذهب فريق ثالث الى أنه يجب التوقف في هذا الموضوع ، اى لا ندرى اله تعالى تلك الادراكات ام لا .

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الأصفهانية ص ٨٧ .
وانظر مجموع الفتاوى (٦ : ٨٩) .

وقالوا : ان ادلة الفريقين متعارضة ، والمعتمد في أمثال هذه الصفات هو السمع ولم يرد نقل بهذه الادراكات .

ويرى الاستاذ محمد يوسف الشيخ رحمه الله أن الحق الذى لا مرية فيه أن اثبات هذه الادراكات الثلاثة على نمط ما هو معروف في الحوادث محال .

ونفي الادراك بها مطلقا محال . لأن فيه جهالة بها ، فلم يبق الآ ادراكها على وجه لا يستلزم محالا ، وذاك ما يجب له تعالى والآ لزم الجهل .

أما البحث في أن هذا الادراك مغاير للعلم أو هو نفس العلم فالبحث عنه عبث لا ينتهي الى فائدة . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . "١"

---

١ — من مذكرات مادة " نصوص عقيدة " لسنة ١٣٩٨ هـ .

الصفـــات الخبريـــة

===============

تمهيـــــد :

============

لكي نعرف مذهب الشيخ " محمد عبده " في الصفات الخبريـة ، فاني أرى أن أعرض باختصار مجمل آراء الفرق الاسلامية فيما جاء في نصوص القـرآن الكريم أو السنة الشريفة مما يفيد بظاهره مماثلة الله للحوادث والممكنات .

لقد اجمعت الامة الاسلامية على ان الله تعالى منزه عن مشابهـة المخلوقات وقد ثبت ذلك بما لا يدع مجالا للظن ، وقد قام البرهان من النقـل والعقل على هذا .

فالمماثلة بين الواجب والممكن منفية سواء كانت في الذات أو في الصفات قال تعالى " ليس كمثله شيء " . "١"

فاذا كان هذا التنزيه حقا هو ما يؤمن به السلف واهل السنة ، والمعتزلة ، وأهل الحق جميعا ، تلبية لهذا النص المحكم " ليس كمثله شيء " ، فماذا تفهم فيما جاء في الكتاب والسنة مما يفيد بظاهره مماثلة الله للحوادث والممكنات ... ؟

أقول : جاء في الكتاب المبين أنه تعالى مستو على العرش :

قال تعالى : " الرحمن على العرش استوى " . "٢"

كما جاء فيه أيضا اثبات الاستواء للحوادث والممكنات :

---

١ ـ سورة الشورى اية (١١) .

٢ ـ سورة طـــه اية (٥) .

قال تعالى : " واستوت على الجودى " . "١"

وقال تعالى : " فاذا استويت انت ومن معك على الفلك " . "٢"

وجاء في الكتاب أيضا اضافة الوجه اليه تعالى :

قال تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " . "٣"

وقال تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " . "٤"

كما جاء فيه ايضا اضافة الوجه الى الحوادث :

قال تعالى : " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة " . "٥"

وقال تعالى : " فول وجهك شطر المسجد الحرام " . "٦"

كما جاء ايضا اضافة اليد اليه تعالى :

قال تعالى : " يد الله فوق أيديهم " . "٧"

وقال تعالى : " ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى " . "٨"

وقال تعالى : " والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " . "٩"

---

١ ـ سورة هود اية (٤٤) .
٢ ـ سورة المؤمنون اية (٢٨) .
٣ ـ سورة الرحمن اية (٢٧) .
٤ ـ سورة القصص اية (٨٨) .
٥ ـ سورة عبس الايات (٣٨ ـ ٣٩) .
٦ ـ سورة البقرة اية (١٤٤) .
٧ ـ سورة الفتح اية (١٠) .
٨ ـ سورة ص اية (٧٥) .
٩ ـ سورة الزمر اية (٦٧) .

كما اضاف اليد الى الحوادث :

قال تعالى : " فوق ايديهم " ، "١"

وقال تعالى : " غلت ايديهم " ، "٢"

وجاء ايضا اضافة العين اليه تعالى :

قال تعالى : " تجرى بأعيننا " ، "٣"

وقال تعالى : " ولتصنع على عيني " ، "٤"

كما أضاف العين الى الحوادث :

قال تعالى : " ألم نجعل له عينين " ، "٥"

وجاء في الكتاب أيضا اضافة الجنب اليه تعالى :

قال تعالى : " يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله " ، "٦"

كما أضاف الجنب الى الحوادث :

قال تعالى : " الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم " ، "٧"

وقال تعالى : " والصاحب بالجنب " ، "٨"

وجاء في السنة اضافة الاصبع اليه تعالى :

---

١ ـ سورة المائدة اية (٦٤) .
٢ ـ سورة القمر اية (١٤) .
٣ ـ سورة طـه اية (٣٩) .
٤ ـ سورة البلد اية (٨) .
٥ ـ سورة الزمر اية (٥٦) .
٦ ـ سورة الزمر اية (٥٦) .
٧ ـ سورة ال عمران اية (١٩١) .
٨ ـ سورة النساء اية (٣٦) .

قال صلى الله عليه وسلم : " ان قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الله عز وجل " . "١"

وفي رواية اخرى : " ان قلوب العباد كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ... " الى اخر الحديث .

ان العلماء في الجواب عن هذا فريقان :

أ : فريق كيس يخش الزلل فيؤمن بما جاء به الكتاب والسنة مقتنعا بالتنزيه وحده ، دون استظهار للمراد وبحث عنه وتعرف عليه :

قال تعالى : " والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا " . "٢"

بل ذلك المراد مما استأثر الله بعلمه :

قال تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله " . "٣"

مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في دنيانا ، ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ، ويصورها لمخيلاتنا .

وهذا هو مذهب علماء السلف وأئمتهم ، فقد قالها الامام مالك كلمة جامعة وترجمة صادقة لهذا المنهج الناصح : (الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) . "٤"

---

١ ـ انظر صحيح مسلم (٤ : ٢٠٤٥) / كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٨١ / والمستدرك للحاكم (٤ : ٣٢١) / سنن الترمذي (٤ : ٤٤٨) / سنن ابن ماجة (١ : ٧٣) / ومسند الامام احمد (٢ : ١٦٨) .

٢ ـ سورة ال عمران اية (٧) .

٣ ـ سورة ال عمران اية (٧) .

٤ ـ انظر كتاب نقض المنطق لابن تيمية ، ص ٣ ، الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ .

وروى عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن "١" شيخ مالك ، رحمهما الله ،
لما سئل عن قوله تعالى : " الرحمن على العرش استوى "، "٢" قال :
الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله تعالى الرسالة
وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغ وعلينا التصديق . "٣"

وجاء بعد الامام مالك شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، وتلميذه ابن قيم
الجوزية "٤" ليقررا مذهب السلف في تفصيل وايضاح . "٥"

يقول ابن القيم رحمه الله :

(تنازع الناس في كثير من الأحكام ، ولم يتنازعوا في ايات الصفات
واخبارها في موضع واحد .
بل اتفق الصحابة والتابعون على اقرارها وامرارها مع فهم معانيها

---

١ ـ المعروف بربيعة الرأى ، او أبو عثمان ربيعة بن ابي عبد الرحمن ، ادرك جماعة من الصحابة وعنه اخذ مالك بن انس ، كان فقيه اهل المدينة . قال عنه مالك : ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأى . توفي سنة ١٣٦هـ .
انظر : وفيات الاعيان (٢ : ٢٨٨) / وميزان الاعتدال (٢ : ٤٤)
وشذرات الذهب (١ : ١٩٤) .

٢ ـ سورة طـه اية (٥) .

٣ ـ انظر : شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٣٢ .

٤ ـ اسم المدرسة التي كان يعمل فيها والد الامام ابن القيم .

٥ ـ انظر مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣ : ١٥) وما بعدها .
وانظر مجمل اعتقاد السلف ص ٤٧ وما بعدها . ـ المسمى بالرسالة التدمرية .

واثبات حقائقها ، وهذا يدل على أنها اعظم النوعين بيانا ، وأن العناية بها أهم ، لأنها من تمام تحقيق الشهادتين واثباتها من لوازم التوحيد ، فبينها الله ورسوله بيانا شافيا لا يقع فيه لبس للراسخين في العلم •

وايات الاحكام لا يكاد يفهم معناها الا الخاصة من الناس ، وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام • أعني فهم اصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية) • "١"

ب : وفريق آخر ، وهم المعتزلة ومن شايعهم ابوا ان يقفوا هذا الموقف ، بل حددوا ما جاء في هذه الايات والأحاديث بمفاهيم لا يمتنع عقلا وصف الله بها ، وقالوا :

ان مثل هذه الايات من الكتاب ، وهذه الاحاديث من السنة جاءت كما جاء غيرها بلسان عربي مبين •

فاذا كان ظاهرها المعهود في الحوادث والممكنات ممتنعا في جانب الله تعالى ، فهناك المجاز والكناية في اساليب العرب وكلامهم ، وهناك علوم البلاغة والبيان قد فصلت فيها قواعد المجاز والكناية اوضح تفصيل • وهناك محاورات العرب ومساجلاتهم في مثل هذه المعاني وتلك الشؤون • فلنسترشد بكل اولئك في بيان المراد من هذه الايات والاحاديث • "٢"

---

١ ـ مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (١ : ٢١) •

٢ ـ انظر : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، للاشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م ، مكتبة النهضة المصرية (١ : ٢٣٥) •

وانظر : اساس التقديس في علم الكلام ، للرازي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥م ص ١٤٠ •

وبعبارة أخرى أقول :

ان هذا الفريق هو الذي يسميه البعض " بالخلف " ، أو أهل الكلام ، وهؤلاء عمدوا الى الأخذ بالتأويل فهم يقولون :

أن قواعد الدين الاسلامي وضعت على أساس العقل ، فلا يخرج شيء منها عن المعقول . فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه ، ويكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

ج : ولا يفوتني أن أنبه الى فريق ثالث من الناس اثبت هذا الصنف من الآيات والاحاديث ، لله تعالى ، على نمط ما في الحوادث والممكنات .

فله تعالى وجه كوجوهنا ، ويد كأيدينا ، وعين كأعيننا ، وجنب كجنوبنا واصبع ، وقدم ، وساق كالتي للبشر ... وهؤلاء هم المشبهة قبحهم الله . "١"

وقد رد الطحاوى على هؤلاء بقوله :

(وتعالى عن الحدود والغايات والاركان والاعضاء والادوات) .

قال الشـــارح :

والشيخ رحمه الله أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة كداود الجواربي وامثاله ، القائلين : ان الله جسم ، وانه جثة واعضاء ، وغير ذلك ، . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . "٢"

---

١ ــ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وان الدلالات المجازية انما تفيد الظن فحسب ، والمقام هنا مقام العلم واليقين ،
فلا مكان للظن والتخمين " وان الظن لا يغني من الحق شيئا " . "١"

ثم ان طريق السلف ، ومنهجهم في فهم الايات والاحاديث واضح تماما
ولا يمكن الجمع بينه وبين طريق المعتزلة ومن شايعهم ، وهو مما يفهمه الناس ،
وتتحقق منه الفائدة ، فلا داعي يدعو الى التأويل وغيره ما دامت النصوص قد
فهمت .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان الشيخ محمد عبده لم يكن
محقا في قوله : وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض ... الخ
والحق انه كان يسير على طريقة اهل التأويل في الصفات الخبرية .
يدل على هذا قوله في كتاب : " الاسلام والرد على منتقديه " تحت عنوان
" التوحيد " .

قال : (وما ورد من الفاظ الوجه واليدين والاستواء ونحوها له معان
عرفها العرب المخاطبون بالكتاب ، ولم يشتبهوا في شيء منها ، وان ذاته
وصفاته يستحيل أن تبرز في جسد أو روح أحد من العالمين) . "٢"
ويدل عليه أيضا : رأيه الصريح في بعض أمور الغيب مما يكون بعد
الموت .

المخالف لطريقة السلف ، والمتناقض مع قوله : وانا على طريقة السلف ... الخ
وسأبين هذا في موضعه في الباب الرابع باذن الله تعالى .

---

١ ـ سورة النجم اية (٢٨) .
٢ ـ انظر الدين الاسلامي ، أو الاسلام والرد على منتقديه ، ضمن الأعمال
الكاملة (٣ : ٤٤٠) .

هذا ما بدا لي ، ولعله هو الصواب .

وإذا كان لابد من التوفيق فاني أقول : قد يفهم من كلام الشيخ محمد عبده أن التأويل ليس عقيدة له ، ولا مبدأ يتمسك به ويدعو اليه ... وانما عقيدته التي يطمئن لها قلبه ، ويستقر عليها جنانه هي عقيدة السلف رضوان الله عليهم ، فهي الاحق بالقبول ، وطريقتهم هي الاولى بالاتباع ، وان اولى الناس بقبولها والتمسك بها هم العلماء ، وان العلماء هم ورثة الانبياء ...

ولكن الشيخ محمد عبده يرى ان العالم ، والعلماء معرضون للاسئلة والمناقشة والمقابلة من الناس ممن تختلف درجاتهم في العلم والمعرفة ، ويتفاوتون في الذكاء ، فيجدون انفسهم احيانا مضطرين الى ان يخرجوا قليلا عن مبدأ السلف في التفهيم ، لان مبدا السلف انما يطمئن قوى الايمان ، الذى عنده نوع من التفويض والتسليم لله عز وجل .

أما ضعيف الايمان ، أو المتشككون ممن بهرهم عصر العلم فانهم يحتاجون الى شيء يدخل في مجال وضمن دائرة افهامهم ، بتعبيد مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وطريقة الخلف — من وجهة نظر الشيخ محمد عبده — تفي بهذا الغرض والله أعلم .

وفي نظرى ان الشيخ محمد عبده ان لم يرد هذا الذى قلت ، فهو مخطأ ، اذ لا يمكن الجمع بين الطريقتين .

وأيضا : فلا داعي يدعوه الى التأويل ، وليس مهما ان يفهم الناس المنحرفون اذا كان هذا يودى الى خروج عن الحق ، والحق أحق أن يتبع سواء فهمه الناس او لم يفهموه ، لان العلة حينئذ فيهم ، والمرض آت من وجهتهم ، وما هي الا حجب الفطرة التي ابعدتهم عن الحق ، فاذا زالت تنبهوا فعرفوا الحق فاتبعوه " فطرة الله التي فطر الناس عليها " . "١"

---

١ — سورة الروم اية (٣٠) .

وحتى يتبين الحق ، ونعلمه ، أرى أن القي نظرة خاطفة على موقف السلف من التأويل ، ومنهجهم في الصفات الخبرية ، ثم أتعرض لاهم ما اشتهر منها ، وابين مذهبهم فيها ، وبذلك يرتفع الشك ، ويزول الالتباس ، وتعود الفطرة الى ما فطرت عليه .

موقف السلف من التأويل :

===================

لقد عالج السلف رضوان الله عليهم قضية التأويل علاجا ناجعا ، معتمدين في ذلك على اساس من القران والسنة . فما اتفق مع الوحي اقروه ونبهوا اليه ، وما لم يتفق نبذوه مهما كان مصدره .

فهم يرون أن التأويل بالمعنى الذى عرف واشتهر عند المتأخرين من المتكلمين ، والاصوليين ، والفلاسفة ، لم يكن معروفا عند الصحابة والتابعين ومن تبعهم . وهو :

صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى آخر يحتمله اللفظ لدليل يقترن به مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي . "١"

لذلك نرى شيخ الاسلام ومن تبعه ، يركزون على دحض التأويل بهذا المعنى بالادلة الدامغة ، والبراهين القاطعة ، ويشددون القول في الانكار عليه .

ويذهبون الى ان المعروف من معاني التأويل عند السلف معنيان :

---

١ ـ انظر مجموع الفتاوى (٢ : ٣٥) ، وانظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٧١) نقلا عن ابن الاثير في : النهاية في غريب الحديث (١ : ٨٠) .
وعن ابن رشد في : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٨ .

(الاول) : التأويل بمعنى الحقيقة الخارجية ، والأثر الواقعي المحسوس لمدلول الكلمة .

اذا الكلام نوعان :

انشــاء ، وخبر .

أما الانشاء : فالتأويل فيه أمرا كان أو نهيا هو في الأمر فعل المأموربه .

وفي النهي : ترك المنهي عنه .

مثال ذلــك :

قول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده " سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لي " يتأول القران . "١"

وأما الاخبار : فهو نفس الحقيقة المخبر عنها الموجودة في الخارج .

وهذا يشتمل على اخبار الله عن امور الغيب كالبعث والقيامة والحساب والميزان ، والصراط ... الى آخر ما يكون بعد الموت .

ومن هذا النوع الكلام في الصفات . وهذا لا يعلم حقيقته كيفا الا الله عز وجل ، وصدق الله " وما يعلم تأويله الا الله " . "٢"

(الثانــي) التأويل بمعنى التفسير والبيان ، وهو اصطلاح قدامى المفسرين "٣"

---

١ — متفق عليه ، اخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، (٢ : ٥٠) ، وفي صحيح البخاري (٢ : ١٥٩) .

٢ — سورة ال عمران اية (٧) .

٣ — كابن جرير الطبري في تفسيره في كل اجزائه .

وأهل الفقه والحديث ، وهو الذى استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم حين دعا لعبد الله بن عباس "١" فقال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ".

ولذلك لما كان ابن عباس يقرأ قوله تعالى : " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن أم الكتاب ، واخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ". "٢"

كان يقول : " أنا ممن يعلم تأويله " ، اى تفسيره وبيانه "٣"

يتضح من هذا ان السلف كانوا يفهمون التأويل بهذا المعنى ، وهو التفسير المطلوب المحمود ، وما عداه غير جائز في القرآن والسنة .

ويرى ابن تيمية : ان التأويل بهذا المعنى ، هو الذى سار عليه السلف ، لانه لابد من فهم كلام الله ، وفهم ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم .

واستشهد على ذلك بقول مجاهد : " عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته ، أقف عند كل آية وأسأله عنها ".

---

١ — عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقه والحكمة في الدين ، وكان يقال له حبر هذه الامة . كان عمر بن الخطاب يقربه مع الصحابة تقديرا لسداد رأيه وبلغ علمه ، تولى الامارة على البصرة في عهد علي ثم أمضى آخر أيامه في الطائف ومات فيها سنة ٦٨ هـ .
انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٢ : ٣٣٠) .

٢ — سورة ال عمران اية (٧) .

٣ — انظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٧٢ ، ٨٠) . ومجموع الفتاوى (١٧ : ٣٦٧ — ٣٧٠) .

وقال ابن مسعود : " ما في كتاب الله اية الا وأنا أعلم فيما نزلت ".

وقال الحسن البصري : " ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم ما أراد الله بها ".

وقال الشعبي : " ما ابتدع قوم بدعة الا في كتاب الله بيانها ".

ونخلص من ذلك كله الى ان السلف رضي الله عنهم فهموا ما في القرآن ، من غير التأويل المعروف — وفسروه ، وبينوه للناس .

كما بينوا ، وبرهنوا على ان كلام الله لا يتعارض بحال مع العقل السليم ، والفطرة الصحيحة ، وكتب شيخ الاسلام : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، او درء تعارض العقل والنقل وناقش من يدعون التعارض بين العقل والنقل ، ونقد المأولين وقال في تفسير سورة الاخلاص :

" والعقل الصريح دائما موافق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخالفه قط ، فان الميزان مع الكتاب والله انزل الكتاب بالحق والميزان . لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا فيه لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه .

فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمحيرات العقول ، ولا تخبر بمحالات العقول ". "١"

والآن ، وبعد أن عرضت لك المنهج السلفي الذى تفهم في ضوئه الصفات الخبرية ، أرى أن اوضح لك مذهبهم في بعض ما اشتهر من هذه الصفات ، ودار حوله جدل طويل بين السلف والخلف ، تطبيقا لهذا المنهج ، حتى يكتمل البحث ، وتتجلى الحقيقة .

---

١ — انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٨٢) نقلا عن شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص ، المطبعة المحمدية بالقاهرة ص ١٥٥ .

وسأعرض نماذج منها فيما يأتي : "١"

١ — ما يوهم الجهة والمكان ، كالاستواء والنزول .

٢ — ما يوهم نسبة الاعضاء لله تعالى ، كالوجه ، واليمين ، واليد ، والساق ، والقدم ، ... الخ

٣ — ما يوهم انه تعالى ينفعل بانفعالات وعواطف كالمحبة والكراهية والبغض .

---

١ — انظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٣١٨) .

١ - ما يوهم كونه تعالى في جهة :

==================

أ : الاستواء .

ب : النزول .

أ : الاستـــواء

=========

مذهب السلف :

============== مذهب السلف في الاستواء ان الله تعالى مستو على عرشه بذاته حقيقة استواء يليق بجلاله ، وكماله .

وينفي السلف ان يكون معنى الاستواء القعود ، والمماسة ، أو أى معنى آخر يوجب حدوثه .

وليس معناه ايضا : الاستيلاء . كما يقول أهل التأويل .

وحقيقة الاستواء عند السلف ، العلو والارتفاع .

فان فعل الاستواء إذا عدى بالحرف " على " لا يفهم منه الا ذلك .

ولهذا روى البخارى عن ابي العالية ، ومجاهد تفسير الاستواء بالعلو والارتفاع .

ورد السلف على اهل التأويل بأن الله سبحانه اخبر عن استوائه على عرشه في سبعة مواضع من القران الكريم ، وكلها جاءت بلفظ " استوى " ، مما يدل اعظم دلالة على انه تعالى اراد بالاستواء حقيقة معناه الذى هو العلو والارتفاع .

---

١ - انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمه ص ١٠١ .

١ ـ قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ". "١"

٢ ـ قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم أستوى على العرش ". "٢"

٣ ـ قال تعالى : " الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش " "٣"

٤ ـ قال تعالى : " الرحمن على العرش استوى ". "٤"

٥ ـ قال تعالى : " الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ". "٥"

٦ ـ قال تعالى : " الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ". "٦"

٧ ـ قال تعالى : " هو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ". "٧"

وبعد ان ذكر صاحب " اضواء البيان " "٨" هذه الايات وبين ما تشتمل

---

١ ـ سورة الاعراف اية (٥٤) .
٢ ـ سورة يونس اية (٣) .
٣ ـ سورة الرعد اية (٢) .
٤ ـ سورة طـه اية (٥) .
٥ ـ سورة الفرقان اية (٥٩) .
٦ ـ سورة السجدة اية (٤) .
٧ ـ سورة الحديد اية (٤) .
٨ ـ الشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله ، صاحب كتاب : أضواء البيان في تفسير القران بالقران .

عليه من تمدح الرب تعالى بتلك الصفات التي لا تليق الا به ، اتهم من ينفي بعض صفات الله بالتأويل ، " بالجهل والهوس " فقال :

(فالشاهد ان هذه الصفة التي يظن الجاهلون انها صفة نقص ، ويتهجمون على رب السموات والارض بأنه وصف نفسه بصفة نقص ، ثم يسببون عن هذا ان ينفوها ، ويؤولوها مع ان الله جل وعلا تمدح بها وجعلها من صفات الجلال والكمال مقرونة بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال ، وهذا يدل على جهل وهوس من ينفي بعض صفات الله جل وعلا بالتأويل) . "١"

وايضا : فالاحاديث الواردة في ذكر استوائه تعالى على العرش كثيره "٢" اذكر بعضها بعد قليل باذن الله .

ومما استدل به السلف الايات السبعة الواردة في القرآن الكريم ، التي تفيد معنى العلو والارتفاع .

ووجه الاستدلال هو ان استواء الخالق على العرش جاء في جميع هذه الايات مقيدا بحرف الجر " على " .

واذا قيد بهذا الحرف فلا يحتمل الاستواء من المعاني الا العلو والارتفاع وما في معناه .

ولا يكون الاستواء بمعنى الانتهاء الا اذا جاء مطلقا .

---

١ ـ منهج ودراسات لايات الاسماء والصفات ص ١٧ .

٢ ـ انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص (١٠١ ـ ١١٥) / وشرح الاصفهانية ص ٢٨ .

وانظر كتاب : حادى الارواح الى بلاد الافراح ، لابن القيم ، تصحيح محمود حسن ربيع الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢م ، مطبعة محمد علي صبيح واولاده ص (٢٤٠ ـ ٢٤٥) .

يقول الامام ابن القيم :

(ان لفظ الاستواء في كلام العرب الذى خاطبنا الله تعالى بلغتهم ،

وأنزل بها كلامه نوعان :

مطلق ، ومقيد ٠

فالمطلق : مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله " ولما بلغ اشده واستوى " ٠ "١"

وهذا معناه كمل وتم ٠

واما المقيد فثلاثة اضرب :

(احدها) : مقيد " بالى " كقوله تعالى : " ثم استوى الى السماء " ، واستوى فلان الى السطح والى الغرفة ، وقد ذكر الله سبحانه هذا المعدى " بالى " في موضعين من كتابه في البقرة وفي سورة فصلت ٠

١ ـ قال تعالى : " هو الذى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء " ٠ "٢"

٢ ـ قال تعالى : " ثم استوى الى السماء وهي دخان " ٠ "٣"

وهذا بمعنى العلو والارتفاع باجماع السلف ٠

(الثاني) : مقيد " بعلى " كقوله تعالى : " لتستووا على ظهوره " ٠ "٤"

وقوله تعالى : " واستوت على الجودى " ٠ "٥"

وقوله تعالى : " فاستوى على سوقه " ٠ "٦"

---

١ ـ سورة القصص اية (١٤) ٠

٢ ـ سورة البقرة اية (٢٩) ٠

٣ ـ سورة فصلت اية (١١) ٠

٤ ـ سورة الزخرف اية (١٣) ٠

٥ ـ سورة هود اية (٤٤) ٠

٦ ـ سورة الفتح اية (٢٩) ٠

وهذا ايضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال باجماع أهل اللغة •

(الثالث) : المقرون بواو " مع " "١" التي تعدى الفعل الى المفعول معه •

نحو : استوى الماء والخشبة ، بمعنى ساواها •

وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ، وليس فيها معنى " استولى " البتة • ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وانما قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية) • "٢"

يؤيد هذا الذي ذهب اليه الامام ابن القيم — أحد تلاميذ مدرسة السلف — ما أورده الحافظ محمد بن اسحق بن خزيمة من نصوص قرانية ، واحاديث نبوية دلت على علو الله عز وجل في السماء ، وارتفاعه فوق العرش ، وانه فوق ملائكته ، وفوق ما في السموات وما في الارض مما خلق الله • "٣"

قال تعالى : " أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ، أم أمنتم من في السما • ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير " • "٤"

وقال تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " • "٥"

وقال تعالى : " يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي " • "٦"

وقال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده " • "٧"

---

١ — المشتهرة بواو المعية •

٢ — مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، مختصر الموصلي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، (٢ : ٣٢٠) •

٣ — انظر كتاب التوحيد ص (١١٠ — ١٢٥) •

٤ — سورة الملك الايات (١٦ — ١٧) •

٥ — سورة فاطر اية (١٠) •

٦ — سورة ال عمران اية (٥٥) •

٧ — سورة الانعام اية (١٨) •

وقال تعالى : " ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون "." ١ "

قال ابن خزيمة : (والايات في هذا كثيرة فسبحان ربي الأعلى) .

ومن الاحاديث :

١ — حديث الجارية التي قالت للرسول صلى الله عليه وسلم : (الله في السماء) ، وقالت له (أنت رسول الله) .

روى مسلم بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : كانت لي جارية ترعى غنما لي قبل " أحد " ، فاطلعت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وانا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون ، لكني صككتها صكة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي .

قلت : يا رسول الله : أفلا أعتقها ، قال : ائتني بها ، فأتيته بها فقال لها : " أين الله " ؟ قالت في السماء ، قال : " من أنا " ؟ قالت : انت رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : " اعتقها فانها مؤمنة "." ٢ "

---

١ — سورة النحل اية (٥٠) .

٢ — انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص (١٢١ — ١٢٥) ، وشرح العقيدة الواسطية ص ٨٨ ، وصحيح مسلم (١ : ٣٨١ — ٣٨٢) ، ومسند احمد (٢ : ٢٩١) ، وسنن الدارمي (٢ : ١٨٧) ، وموطأ الامام مالك (٢ : ٧٧٦ — ٧٧٧) .

٢ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادى ؟

قالوا : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون " ، "١"

والاحاديث في هذا الباب كثيرة ، يفهم منها ان الله تعالى في السماء بذاته ، فوق عرشه فوق سماواته ، بائن من خلقه كما قال السلف رضوان الله عليهم .

فهم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ولا تعطيل .

ولقد قالها الامام مالك رحمه الله كلمة جامعة ، لما سئل عن قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " قال :

(الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة) . "٢"

وحاصل الكلام في الاستواء : ان المولى عز وجل اخبر في سبع مواضع في القران الكريم باستوائه على العرش . وهي قطعية في معناها لا تحتمل تأويلا ،

---

١ ـ انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص (١١٧ ـ ١١٨) ، وشرح العقيدة الواسطية ص (٨٩ ـ ٩٠) ، وصحيح البخارى (١ : ٧٧) ، (٢ : ١٤٥) ، وصحيح مسلم (١ : ٤٣٩) ، وموطأ مالك (١ : ١٧٠) .

٢ ـ انظر كتاب : نقض المنطق لابن تيمية ص ٣ . وانظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص ٨٧ .

لأن لفظ " استوى " في اللغة اذا عدى " بعلى " لا يفهم منه الا العلو والارتفاع .

لهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات ، ذكرها الامام ابن القيم في قصيدته النونية ، فقال :–

فلهم عبارات عليها اربع : قد حصلت للفارس الطعان
وهي " استقر " وقد " علا " وكذلك : " ارتفع " الذى ما فيه نكران
وكذاك قد " صعد " الذى هو رابع : وابو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره : ادرى من الجهمي بالقرآن

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبربه سبحانه عن نفسه من أنه مستو على عرشه ، بائن من خلقه .، بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه ، كما قال الامام مالك وروى عن شيخه ربيعة الرأى ، وعن الامام أحمد (الاستواء معلوم والكيف مجهول .

وأما ما يشغب به أهل التعطيل ، من ايراد اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء . فهي لا تلزم أهل السنة والجماعة ، لانهم يقولون بأن فوقيته على العرش كفوقية المخلوق على المخلوق .

واما ما يحاولون به صرف هذه الايات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات الفاسدة ، كتفسيرهم استوى : باستولى ، او حملهم " على " على معنى " الى " واستوى بمعنى قصد ... الى آخر ذلك كله ، فكلها تشغيب بالباطل وتغيير في وجه الحق . "١"

---

١ – انظر : شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص (٨٧ – ٨٨) بتصرف .

ب : النـــزول

=========

وما أثبته السلف — رضوان الله عليهم — من الصفات الخبريـــة ،

خبر النزول .

فقد ثبت ذلك من عدة طرق ، وروى حديث النزول : ابو بكر ، ،

وعلي ، وابو هريرة ، وابن مسعود ، ... ورواه عن الرسول صلى الله عليـه

وسلم اكثر من عشرين صحابيا ، وتواتر ذلك عنهم .

(نص الحديـــث) :

================

عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليـه

وسلم قال : " ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ،

فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟

من يستغفرني فأغفر له ؟ " "١" اهـ

يقول شارح العقيدة الواسطية :

(الكلام على هذا الحديث من جهتين :

(الاولى) : صحته من جهة النقل ، وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمـه

الله انه متفق عليه .

ويقول الذهبي : ان احاديث النزول متواترة تفيد القطع ، وعلى

هذا فلا مجال لانكار او جحود .

---

١ — رواه مسلم في صحيحه (١ : ٥٢١) / وفي كتاب التوحيد ص

١٢٦ .

(الثانية) : ما يفيده هذا الحديث ، وهو اخباره صلى الله عليه وسلم بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة ...

ومعنى هذا ان النزول صفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته ، فهو لا يماثل نزول الخلق ، كما ان استواءه لا يماثل استواء الخلق) . "١"

وذكر شارح الواسطية نصا لابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص ، هو (فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله بأنه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة ، وانه يدنو عشية عرفة الى الحجاج ، وانه كلم موسى في الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ، وانه استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها . لم يلزم من ذلك ان تكون هذه الافعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الاعيان حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل مكان آخر .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عز وجل ، على الكيفية التي يشاء ، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب وفي السنة ويقفون عند ذلك ، فلا يكيفون ولا ينفون ، ولا يعطلون ، ويقولون ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخبرنا أنه ينزل ، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل ، وقد علمنا انه فعال لما يريد ، وانه على كل شيء قدير) . "٢"

فالسلف اذا يرون ان النزول والمجيء والاتيان من صفات الله تعالى حقيقة لا مجازا ، فهو سبحانه ينزل ويجيء ويأتي على شكل يليق به ، فلا يشبه ما يكون من خلقه ، ولا يلزمه ما يلزمهم اذا نزلوا أو جاءوا .

---

١ — شرح العقيدة الواسطية ص ١١٠ / وانظر مجموع الفتاوى (٥ : ١٠٣ — ١٠٤) .

٢ — شرح العقيدة الواسطية ص ١١٠ / انظر مجموع الفتاوى (٥ : ١٠٣ ، ١٠٤)

وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله ينزل الى السماء الدنيا ، كما تقدم .

والمفهوم منها النزول الحقيقي ، وليس فيها ما يدل على أن المراد بهذا النزول المجاز ، كما قاله البعض ، ونسب هذا القول الى الامام احمد بن حنبل ، فقد روى عنه انه قال في قوله تعالى : " وجاء ربك "" ١ " ، معناه : وجاء امر ربك .

وهذه الرواية رواها عن الامام احمد ، ابو علي حنبل بن اسحق " ٢ " ، وهي انهم لما احتجوا عليه في المحنة بالقول بخلق القرآن ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم " تجيء البقرة وال عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان " ٣ " أو فرقان من طير صواف " . " ٤ "

وقالوا له : لا يوصف بالاتيان والمجيء الا مخلوق ، فعارضهم بأن المراد : مجيء ثواب سورتي البقرة وال عمران ، ثم عارضهم بقوله تعالى : " هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظل من الغمام " " ٥ " . قال :ـ انما يأتي

---

١ ـ سورة الفجر اية (٢٢) .

٢ ـ حنبل بن اسحق بن حنبل بن هلال الشيباني ، ابو علي ، من حفاظ الحديث ، عمه الامام احمد بن حنبل ، سمع المسند من الامام احمد ، وله عدة مؤلفات في التاريخ ، والفقه .
وله : محنة الامام احمد . توفي في مدينة " واسط " سنة ٢٧٣ هـ .
انظر : شذرات الذهب (٢ : ١٦٣ ، ١٦٤) .
وانظر : الاعلام للزركلي (٢ : ٢٨٦) .

٣ ـ واحدها غياية ، وهي كل ما أظل الرأس من سحاب وغيره / انظر مختار الصحاح ص ٤٨٨ .

٤ ـ انظر صحيح مسلم (١ : ٥٥٣) ، ومسند الامام احمد (٥ : ٢٤٩) .

٥ ـ سورة البقرة اية (٢١٠) .

أمره . "٢"

ان شيخ الاسلام ابن تيمية يعلق على هذه الرواية بأن " حنبل " نقل هذا ، ولم ينقل هذا غيره ممن نقل مناظرته في المحنة كابنه عبد الله بن أحمد "٢" وغيره .

ويقول الامام ابن القيم : انها غلط على الامام احمد ، فان " حنبل " تفرد بها عنه . وهي رواية شاذة ، مخالفة لجادة مذهبه .

لهذا فان هذه الرواية ليست محل اتفاق بين العلماء .

والصواب ان النزول والمجيء يحملان على الحقيقة عند السلف ، لان الله تعالى يخبر عن نفسه انه ينزل الى السماء الدنيا ، لا عن غيره ، كالملائكة ، وكأمر الله أو رحمته .

وفرق كبير بين نزول الله ، ونزول الملائكة ، وايضا بين نزول الله ومعه تحل الرحمة والامر ، وبين نزول الرحمة والامر فقط .

---

١ ـ انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٥٥ .
وانظر مختصر الصواعق المرسلة (٢ : ٤٠٦) .

٢ ـ ابو عبد الرحمن ، عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عالم بالحديث وعلله ، وهو من كبار العلماء المؤلفين ، رتب مسند ابيه ، توفي سنة ٢٩٠ هـ .
انظر : مناقب الامام احمد بن حنبل ، لابن الجوزي ، الطبعة الثانية ، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ، ص ٣٠٦ .

٢ - ما يوهم نسبة الأعضاء إلى الله تعالـــى

=======================

أ : الوجه .

ب : العين .

جـ : اليد .

د : الاصابع .

هـ : الساق .

و : الرجل أو القدم .

أ : الوجـــــه

===============

يثبت السلف رضي الله عنهم صفة الوجه لله تعالى ، ويقرر أئمتهـم أن لله تعالى وجها لا يشبه وجوه المخلوقين . ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة من القرا ن والسنة .

وفي كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل يقرر ابن خزيمة مذهب السلف من اهل الحجاز وتهامة ، واليمن ، والعراق ، والشام ، ومصر فيقـــول :

(فنحن وجميع علمائنا من اهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر مذهبنا انا نثبت لله ما اثبته لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا ، من غير ان نشبه وجه خالقنا بوجه احد من المخلوقين ، وعز ربنا عن ان نشبهه بالمخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز عن ان يكون عدما كما قاله المعطلون ...

وقال الله عز وجل " وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه

الأعلى "١" ، "٢"

فالسلف يثبتون لله وجها هو صفة من صفاته حقيقة ، على وجه يليق به سبحانه . لا يفنى وجه الله ولا يلحقه الهلاك ، ولا يشبه وجه احد من خلقه ، ولا يشبهه وجه من الوجوه تعالى وتقدس . "٣"

أدلة السلف :

===============

وقد استدلوا بأدلة من القران والسنة أذكر منها :

١ ـ من القران :

============

قال تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " . "٤"

قال تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " . "٥"

قال تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " . "٦"

قال تعالى : " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " . "٧"

---

١ ـ سورة الليل الايات (١٩ ـ ٢٠) .

٢ ـ كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٠ ، ١١ .

٣ ـ انظر : شرح العقيدة الواسطية ص ٦٥ .

٤ ـ سورة القصص اية (٨٨) .

٥ ـ سورة الرحمن اية (٢٧) .

٦ ـ سورة الكهف اية (٢٨) .

٧ ـ سورة الانعام اية (٥٢) .

وجه الاستـــدلال :

=============

يرى السلف أن هذه الايات وغيرها تضمنت اثبات صفة الوجه لله عز وجل • فله سبحانه وجه باق لا يفنى ولا يهلك هو غاية ما يصبوا اليه المؤمنون من عباده •

ويرد السلف على من خالفهم من المأولين ، الذين يقولون وجهه تعالى بذاته ••• بأنه لولم يكن له سبحانه وجه حقيقة لما جاز استعماله في معنى الذات ، لان اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن ان يستعمل في معنى اخر الا اذا كان المعنى الاصلي ثابتا للموصوف حتى يمكن للذهن ان ينتقل من ذلك الملزوم الى لازمه •

قالوا : على أنه يمكن دفع مجازهم هذا بطريق آخر غيره فيقال : انه اسند البقاء الى الوجه ويلزم منه بقاء الذات بدلا من ان يقال : اطلق الوجه واراد الذات •

فقد ذكر البيهقي نقلا عن الخطابي انه تعالى : لما اضاف الوجه الى الذات ، واضاف النعت الى الوجه فقال : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " دل على ان ذكر الوجه ليس بذات وان قوله " ذو الجلال والاكرام " صفة للوجه والوجه صفة للذات • "١"

ولا يلزم عند السلف ان يكون الوجه الحقيقي الذى هو صفة من صفاته تعالى هو المراد في جميع الايات التي نسبت الوجه اليه سبحانه • بل يأتي في كل مكان بحسب ما وضع له • فتارة يأتي بمعنى الجهة كما في قوله تعالى :

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٥ •

" فاينما تولوا فثم وجه الله " . "١"

فالمقصود هنا الجهة التي تستقبل في الصلاة .

قال شيخ الاسلام مؤكدا وموضحا :

(هذا قد قال فيه طائفة من السلف : فثم قبلة الله ، اى فثم جهة الله ...

والمراد بـ " وجه الله " وجهة الله ، والوجه والجهة والوجهة الذى لله يستقبل في الصلاة) . "٢"

٢ ـ من السـنة :

===============

أ : ورد في كتاب التوحيد لابن خزيمة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " مثل المجاهد في سبيل الله ابتغاء وجه الله مثل القائم المصلي حتى يرجع المجاهد " . "٣"

ب ـ وقال صلى الله عليه وسلم : " من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه " . "٤"

ج : وقال صلى الله عليه وسلم : " من صام يوما في سبيل الله ابتغاء وجه الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا " .

---

١ ـ سورة البقرة اية (١١٥) .
٢ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية (٣ : ١٤٤) ، مطابع المجد .
٣ ـ كتاب التوحيد ص ١٣ ، انظر صحيح البخارى (٤ : ٢٠٣) .
٤ ـ كتاب التوحيد ص ١٣ ، نقله من مسند الامام احمد ، ومن سنن ابي داود عن ابن عباس .

د : وعن جابر قال : لما نزلت هذه الاية عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم " قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بوجهك ".

" أو من تحت ارجلكم ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بوجهك الكريم ".

" أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ". "١"

قال : " هاتان اهون وايسر ". "٢"

هذا ، وقد اورد الحافظ بن خزيمة اكثر من عشرين حديثا فى هذا

الباب .

وقال : (هذا باب طويل ، لو استخرج فى هذا الكتاب اخبار

النبي صلى الله عليه وسلم التي فيها ذكر وجه ربنا جل وعلا لطال الكتاب ،

وقد خرجنا كل صنف من هذه الاخبار في مواضعها في كتب مصنفة ...) "٣"

وحاصله : ان في هذه الاحاديث الدليل على اثبات صفة الوجه

لله تعالى حقيقة وان تأويله بالذات او بغيرها فيه حمل للكلام على غير معناه

الحقيقي ، وهذا مالا يقبله السلف رضي الله عنهم .

---

١ ــ سورة الانعام اية (٦٥) .

٢ ــ انظر كتاب التوحيد ص ١١ ، وصحيح البخارى (٣ : ٩٢) ،
(٤ : ١٨٦ ، ١٩٦) ، وسنن الترمذى (٥ : ٢٦١ ، ٢٦٢) .

٣ ــ كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ١٨ .

ب : العيــن

===========

يرى السلف رضى الله عنهم ، ان الذكر الحكيم قد ورد بلفظ " العين" بالافراد ، " والاعين " ابالجمع ، مضافين الى المولى عز وجل .

قال تعالى : " والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني " . "١"

وقال تعالى : " تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر " . "٢"

ويرون ان لله تعالى عينين يرى بهما جميع المرئيات ، وهما صفتان حقيقيتان له ، على وجه يليق بجلاله وكماله .

وهما ليسا بجارحتين ، ولا مركبتين ، كما نرى ونشاهد في أعين المخلوقات . بل هما عينان حقيقيتان لا كالأعين ، لائقتان به سبحانه .

(فواجب على كل مؤمن ان يثبت لخالقه وبارئه ما اثبت الخالق البارى لنفسه من العين ، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبت في محكم تنزيله) . "٣"

يقول شارح الواسطية :

(يثبت الله سبحانه لنفسه عينا يرى بها جميع المرئيات ، وهي صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به ، فلا يقتضي اثباتها كونها جارحة مركبة من شحم وعصب وغيرهما) . "٤"

==

---

١ ـ سورة طـه اية (٣٩) .

٢ ـ سورة القمر اية (١٤) .

٣ ـ كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ص ٤٢ .

٤ ـ شرح العقيدة الواسطية ، ص ٦٨ .

ادلة السـلف :

=============

وقد استدل السلف على مذهبهم هذا بالكتاب والسنة .

١ - من الكتـاب :

================

قال تعالى : " واصنع الفلك بأعيننا ووحينا " . "١"

وقال تعالى : " تجرى بأعيننا " . "٢"

وقال تعالى : " والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني " . "٣"

وقال تعالى : " واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا " . "٤"

وجـه الاستدلال :

================

قال السلف : ان من كمال التوحيد ان نثبت لله تعالى صفة العين الحقيقية كما هو مذكور في الايات ، حتى لا يقع احد فى التعطيل أو التأويل ... وظاهر الايات يفيد اثبات صفة العين والاعين لله عز وجل ، فنؤمن به كما ورد .

٢ - من السـنة :

================

أما السنة فقد ورد فيها عدة أحاديث أذكر منها :

---

١ - سورة هود اية (٣٧) .
٢ - سورة القمر اية (١٤) .
٣ - سورة طـه اية (٣٩) .
٤ - سورة الطور اية (٤٨) .

أ : ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم المسيح الدجال "١" بين ظهراني الناس فقال : " يا أيها الناس ان ربكم ليس بأعور ، ولكن المسيح الدجال اعور ، عينه اليمنى كأنها عنبة طافية ". "٢"

ب : روى مسلم بسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من نبي الا وقد حذر امته الاعور الكذاب ، الا انه اعور وان ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كفر ". "٣"

وفي رواية اخرى عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنذركم الدجال ، اما انه اعور عين اليمنى ، وان ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه ك ف ر يقرأه كل مؤمن يقرأ ، وكل مؤمن لا يقرأ ". "٤"

وجه الاستدلال بهذه الاحاديث :
====================

هذه الاحاديث تدل على اثبات العينين لله تعالى ، وتنفي عنه العور ، اذ هو نقص في حقه والله منزه عن النقص . وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فانه ينفي في هذه الاحاديث العور عن الله الذي هو نقص في حقه ، وهو سبحانه الكامل الذي لا يعتريه النقص .

---

١ — سيأتي الحديث عنه في الباب الرابع باذن الله .
٢ — انظر كتاب التوحيد (ص ٤٣) ، وقد اورد ابن خزيمة ستة احاديث في هذا المعنى .
٣ — الحديث متفق عليه ، رواه مسلم (٤ : ٢٢٤٨) ، وفي صحيح البخاري (١ : ١٩١) ، (٢ : ١٧٣) ، وفي سنن ابي داود (٤ : ١١٦) ، وفي سنن الترمذي (٤ : ٥١٤) ، وفي سنن ابن ماجه (٢ : ١٣٥٣) ، وفي مسند احمد (٣ : ٢٢٨).
٤ — انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ٤٤ .

ويرفض السلف تأويل المأولين ، وتفسير العين بأى شيء يخالف كونها صفة حقيقية لله تعالى ، ويقولون : ان اى تفسير لها سواء كان بالرؤية أو بالحفظ أو بالرعاية فهو نفي وتعطيل ، لا يجوز في حق المولى عز وجل .

يقول شارح الواسطية :

(وتفسير المعطلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفي وتعطيل ، وأما افرادها في بعض النصوص ، وجمعها في البعض الاخر فلا حجة لهم فيه على نفيها ، فان لغة العرب تتسع لذلك ، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع ، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين ...) . "١"

وقال : (على انه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها الا بالنسبة لمن له عين حقيقة ، فهل يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا ان الله يتمدح بما ليس فيه ، فيثبت لنفسه عينا وهو عاطل عنها ؟ وهل يريدون ان يقولوا : ان رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها ، بل هو يراها بذاته كلها كما تقول المعتزلة : انه قادر بذاته ، مريد بذاته ، عالم بذاته ... ؟) . "٢"

ويقول العلماء ان هذا الذى ذهب اليه المأولون (تعطيل للتوحيد وتكذيب بأسماء الله عز وجل وصفاته ، حيث أعطوا ذلك لفظا ، ولم يحصلوا قولا في المعنى) . "٣"

---

١ ـ شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ٦٨ .

٢ ـ نفس المرجع ص ٦٩ .

٣ ـ انظر الابانة عن اصول الديانة ، لعلي بن اسماعيل بن اسحق الاشعرى ص ٤٠ .

وانظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٣٢٩) .

ويثبت العلماء صحة مذهب السلف بما ورد من الآيات السابقة كقوله تعالى : " تجرى بأعيننا " ، وقوله تعالى " ولتصنع على عيني " ، ويقولون : (لا يصح حمل ذلك على أن المراد بقوله " على عيني " بمرأى ومشهد مني) .

وقوله : " تجرى بأعيننا " اى بحفظنا وكلاءتنا . لان الله كان رائيا له مشاهدا له قبل هذه الحالة . وكذلك كان حفظه وكلاءته له قبل وجود الجريان . ومنه قوله تعالى : " قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن " "١" ، "٢"

وحاصل الكلام : أن مذهب اهل السنة والحديث ، وكبار علماء السلف ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية "٣" ، هو اثبات صفة العين لله تعالى على وجه يليق بكماله وجلاله على الحقيقة من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل .

---

١ ـ سورة الانبياء اية (٤٢) .

٢ ـ انظر كتاب : المعتمد في اصول الدين لأبي يعلى ص ٥١ .

٣ ـ انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ص ١٣٠ .

ج : اليـــــد

============

مذهب الســــلف :

==============

الذى يراه السلف أن " اليد " صفة حقيقية لله تعالى ، تليق بجلال المولى تعالى ، وكماله .

ويد الله لا تشبه شيئا ، ولا يشبهها شيء ، وهي ليست كيد المخلوق ، كما أنها ليست متركبة من لحم ، وعظم ، ودم .

ولا تحمل اليد على القدرة أو النعمة أو غيرهما . "١"

والذى يؤمن به السلف هو ما أعلمهم الله به ورسوله من أن لله يدا ، ويدين ، وهو ما ورد في محكم تنزيله :

قال تعالى : " يد الله فوق أيديهم " . "٢"

وقال تعالى : " فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون " . "٣"

وقال تعالى : " وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير " . "٤"

وقال تعالى : " تكذيبا لليهود الذين قالوا " يد الله مغلولة " ، " بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " . "٥"

---

١ ــ انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص ٦٦ .

٢ ــ سورة الفتح اية (١٠) .

٣ ــ سورة يس اية (٨٣) .

٤ ــ سورة ال عمران اية (٢٦) .

٥ ــ سورة المائدة اية (٣٨) .

وورد ذكر " اليدين " بالتثنية في قوله تعالى : " بل يداه مبسوطتان "

وقال عز وجل لابليس " ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى " . "١"

وورد ذكر " الايدى " بالجمع في قوله تعالى : " أو لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون " . "٢"

وجه الاستدلال بهذه الايـــات :

====================

قال السلف : ان المراد من هذه الايات وأمثالها ان لله تعالى يدا ، حقيقية ، ويدين وايدى . وأن ما ورد بصيغة الجمع يأتي في لغة العرب بمعنى المثنى كقوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " . "٣" اى : يداهما .

وقوله تعالى : " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما " . "٤" اى : قلباكما . "٥"

والاحاديث الواردة في ذكر اليد كثيرة اذكر منها :

١ ـ جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسى : انت ادم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، واسجد لك ملائكته ، واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض ... " الى اخر الحديث . "٦"

---

١ ـ سورة ص اية (٧٥) .
٢ ـ سورة يس اية (٧١) .
٣ ـ سورة المائدة اية (٣٨) .
٤ ـ سورة التحريم اية (٤) .
٥ ـ انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ .
٦ ـ الحديث متفق عليه ، انظر صحيح البخارى (٣ : ١٠٧) ، وصحيح مسلم (٤ : ٢٤٠٣) .

٢ - وعن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " التقى ادم وموسى ، فقال موسى : انت الذى خلقك الله بيده ، واسجد لك ملائكته ، ونفخ فيك من روحه ، وامرك بأمر فعصيته ، فأخرجتك من الجنة . فقال له آدم : قد اتاك الله التوراة ، فهل وجدت فيها كتب علي الذنب قبل أن أعمله ؟ قال نعم : فحج أدم موسى ، عليهما السلام " . "١"

٣ - وفي صحيح البخارى ، في حديث الشفاعة قال صلى الله عليه وسلم : " فيأتون آدم فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه " . "٢"

٤ - وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة قال : " سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك ، ولا اله غيرك ... " وفيه قال : " لبيك وسعديك والخير كله في يديك " . "٣"

وجه الاستدلال :

==============

قال السلف : هذه الاحاديث تفيد : اثبات اليد ، واليدين حقيقة لله تعالى ، على ما يليق به ، ولا نترك هذا ونحمل اليد على القدرة أو

---

١ - رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه (٤ : ٢٠٤٢ ، ٢٠٤٣) .
٢ - سوف يأتي هذا الحديث بتمامه في الباب الرابع باذن الله ، عند الحديث عن الشفاعة العظمى يوم القيامة .
٣ - الحديث صحيح رواه مسلم عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

غيرها . ونكتفي بما ورد في النص كما هو من غير زيادة أو نقصان ، وبدون تأويل أو تحريف أو تشبيه أو تعطيل .

يقول شارح الواسطية :

(ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة فان الاشياء جميعا ، حتى ابليس خلقها الله بقدرته ، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها) . "١"

وفي حديث عبد الله بن عمر "٢" رضي الله عنه : " ان الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيديه : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ".

فتخصيص هذه الاشياء الثلاثة بالذكر مع مشاركتها لبقية المخلوقات في وقوعها بالقدرة دال على اختصاصها بأمر زائد .

وأيضا : فلفظ " اليدين " بالتثنية لم يعرف استعماله الا في اليد الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة ، فانه لا يسوغ ان يقال : خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين ، على أنه لا يجوز اطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما ، الا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة ، ولذلك لا يقال : للريح يد ، ولا للماء يد ...) . "٣"

---

١ ـ شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص ٦٦ .

٢ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب ، العدوى القرشي ، ولد سنة ثلاث من البعثة ، وهاجر وهو ابن عشر سنين ، روى عن بعض الصحابة ، وروى عنه عدد من التابعين واشتهر بورعه وتقواه وكثرة عبادته ، مات سنة ثلاث وسبعين للهجرة .

انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر (٢ : ٣٤٧) .

٣ ـ انظر : شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ .

يقول الامام الأشعري رضي الله عنه :

(وليس يجوز في لسان العرب ، ولا في عادة اهل الخطاب ، ان يقول القائل ، عملت كذا بيدى ، ويعني به النعمة ، واذا كان الله عز وجل انما خاطب العرب بلغتها ، وما يجرى مفهوما في كلامها ، ومعقولا في خطابها ، وكان لا يجوز في لسان اهل البيان ان يقول القائل : فعلت بيدى ، ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى قوله عز وجل "بيدى" النعمة وذلك أنه لا يجوز ان يقول القائل : لي عليه يد بمعنى لي عليه نعمة ...)"١"

ثم يتساءل أهل العلم من السلف (كيف يتأتي حمل اليد على القدرة أو النعمة مع ما ورد من اثبات الكف والاصابع واليمين والشمال والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون الا لليد الحقيقية) ؟ . "٢"

وحاصل الكلام : أن السلف يؤمنون بما نصت عليه الايات القرانية والاحاديث النبوية الشريفة ، وهو اثبات صفة اليد ، واليدين ، صفة ذاتية له سبحانه على شكل يليق بجلاله وكماله ، وهي يد ليست جارحة ، ولا مركبة من أجزاء أو من مادة أو من صورة ، أو مما يقبل الانقسام ، وايضا هي يد ليست بمعنى القدرة أو النعمة ، بل يد لا كالايدى ، واثباتها يكون على الحقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

---

١ ـ في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٣٣١) نقلا عن كتاب : الابانة للاشعرى ص ٤١ .

٢ ـ شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ .

د : الأصابـــــع

=================

مذهب الســـــلف :

============

يثبت السلف رضوان الله عليهم صفة الاصابع لله تعالى ، حقيقة لمن غير تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا تشبيه .

فالأصابع : صفة من صفات الرحمن على شكل يليق بجلاله وكماله .

وقد ثبتت هذه الصفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونحـــن نثبت ما أثبته الرسول لله رب العالمين ، وننفي ما نفاه ، من غير دخل منا في شي ء .

هكذا قال السلف في الأصابع ، معتمدين على سنة الرسول صلى اللـــه عليه وسلم .

ادلتهـــــــــم :

===========

وقد استدلوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما استدلوا به ، أذكر :-

١ ـ عن أم المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها ، انها كانت تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه " اللهم يامقلـــب القلوب ثبت قلبي على دينك " .

قالت : فقلت يا رسول الله : وان القلوب لتتقلب ؟ قال : " نعم : ما من خلق الله من بني آدم الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله ، فان شاء أقامه وان شاء أزاغه " . " ١ "

---

١ ـ كتاب التوحيد ص ٨٠ ، وانظر صحيح مسلم (٤ : ٢٠٤٥) ، =

٢ – روى البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد ، ان الله يمسك السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والجبال على اصبع ، والشجر على اصبع ، والخلائق على اصبع ثم يقول : انا الملك .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ :

" وما قدروا الله حق قدره " . "١"

وفي رواية اخرى : " فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له " . "٢"

هذا ، وقد اورد الحافظ ابن خزيمة عدة احاديث في هذا المعنى ، في كتابه التوحيد تحت باب : (ذكر امساك الله تبارك وتعالى اسمه ، وجل ثناؤه ، السموات والارض وما عليها على اصابعه) .

وتحت باب : (اثبات الاصابع لله عز وجل)

وقال : (جل ربنا عن ان تكون اصابعه كأصبع خلقه ، وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه) . "٣"

هذا هو مذهب السلف في الاصابع ، وادلتهم ، وقد نفوا ان يكون معنى اصابع الرحمن اى الجارحة ، لان الجوارح من صفات الاجسام المخلوقة ، وهي لا تكون الا مركبة ، وهو ما يستحيل في حقه تعالى .

= وسنن الترمذى (٤ : ٤٤٨) ، (٥ : ٥٣٨) ، وسنن ابن ماجة (١ : ٧٣) ، والمستدرك للحاكم (٤ : ٣٢١) .

١ – سورة الزمر اية (٦٧) .

٢ – انظر كتاب التوحيد من (٧٦ – ٧٨) ، صحيح البخارى (٣ : ١٣٠) ، (٤ : ٢١١) ، صحيح مسلم (٤ : ٢١٤٧) ، سنن الترمذى (٥ : ٣٧١) ، مسند احمد (١ : ٣٧٨ ، ٤٢٩) .

٣ – كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ٧٦ .

كما نفوا ان تكون الاصابع الالهية بمعنى النعمة ، لعدم استقامة المعنى في الاحاديث السابقة ، اذ كيف يصح أن يقال : ان قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الله ؟ والا فلا حاجة لان يدعو بالتثبيت او يخاف الرسول على نفسه .

كما لا يصح ان يقال في الحديث الثاني : أن الله يمسك السموات على نعمة والارضين على اخرى ، والجبال على ثالثة ، والشجر والخلائق ...

ولا يقال : ان ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم من قول الكتابي كما يحتمل الرضا ، يحتمل الانكار .

لان الحديث في روايات اخرى ، يقول : " تعجبا وتصديقا له " ، ولا يجتمع التصديق مع الانكار في مثل هذه الحالة .

وقد ذكر الحافظ ابن خزيمة في " كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل " الرد الكافي والجواب الشافي على قول من قال ان ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم قد يحمل على الانكار على هذا الكتابي .

فقال :

(قد أجل الله قدر نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصف الخالق البارى بحضرته بما ليس من صفاته ، فيسمعه فيضحك عنده ، ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكا تبدو نواجذه تصديقا وتعجبا لقائله .

لا يصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته) "١"

ثم ان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الحبر الكتابي يعتبر تقريرا له على مقالته ، والا لما سكت الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ، ولأنكر

---

١ — كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة ص ٧٦ .

عليه ، وبين الصحيح في هذا الأمر .

وحاصل الكلام ان يقال :

ان السلف رضي الله عنهم يثبتون لله تعالى الاصابع صفة ذاتية حقيقية ، ليست بجارحة ، ولا مركبة ، ولا هي النعمة ولا غيرها ، بل اصابع بلا كيف ولا كم ، لا تشبه شيئا ، ولا يشبهها شيء ، بل على كيفية تليق بجلاله وكماله ، لا نعلمها فنؤمن بها من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل .

هـ : الســـاق

==========

مذهب السلف وأدلتهم :

==============

يثبت السلف رضي الله عنهم " الساق " صفة حقيقية من صفات ذاته تعالى ، على شكل يليق بجلاله وكماله . ويلغون أن تكون بمعنى آخـر كما يقول اهل التأويل انها : الشدة ، والهول يوم القيامة . "١"

وقد استدل السلف على مذهبهم هذا بآية وحديث .

اما الآية فقوله تعالى : " يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون " . "٢"

وأما الحديث : فعن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم قال في خبر رؤية الله عز وجل يوم القيامة على صورته الحقيقية : " ... فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها اول مرة ، فيقـول : انا ربكم . فيقولون : انت ربنا ، فلا يكلمه الا الانبياء . فيقول : هل بينكـم وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون : الساق . فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كـل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء ، وسمعة ، فيذهب كيما يسجد ، فيعود ظهره طبقا واحدا " . "٣"

وذلك تفسير قوله تعالى " فلا يستطيعون " .

---

١ ــ انظر كتاب : حادى الارواح الى بلاد الافراح لابن القيم ، ص ٢٠٩ ، ٢١٣ ، توزيع دار الباز بمكة المكرمة .

٢ ــ سورة القلـــم اية (٤٢) .

٣ ــ متفق عليه ، رواه البخارى (٤ : ٢٠١) ، ورواه مسلم (١ : ١٦٧) انظر : حادى الارواح ص ١٠٩ ، ٢١٣ .

وجه الاستدلال بالاية والحديث :

====================

قال السلف : ان الاية تضمنت اثبات صفة الساق لله تعالى حقيقة ، يؤيده ما ورد في الحديث " فيكشف عن ساقه " ، ولا يمكن حمل الساق على الشدة ، لان ذلك يودى الى اختلال المعنى ، فيصير : يوم يكشف عن شدة ، وهذا غير صحيح لانه تحصيل حاصل • لان القوم في شدة ما بعدها شدة •

أما الحديث ، فلأن القوم في شدة أصلا ، ولان الله طلب من القوم آية يعرفونه بها ، فأسرعوا الى القول ، وقالوا : الساق • ولو كان المعنى الشدة ، لقالوا : كشف الشدة التي نعيش فيها •

فلما قالوا : الساق ، وتم كشفه تبين انه المقصود •

وحاصل الكلام ان يقال :

ان مذهب السلف : اثبات صفة الساق للرب عز وجل ، على وجه يليق به كما وصف به نفسه في الاية ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح •

وليست الساق بمعنى الجارحة أو المركبة ••• وليست ايضا بمعنى الهول أو الشدة يوم القيامة لعدم ورود النص بهذا •

(و) : القدم أو الرجـــل

==================

جاء في السنة وصف الله تعالى بصفة القدم .

قال صلى الله عليه وسلم : " ان جهنم لا تمتلئ حتى يضع فيها قدمـــه " . "١"

والقدم أو الرجل نفس الصفة ، لورود الحديث بلفظ ، " القدم " تارة ، وبلفظ " الرجل " اخرى . فيكون المعنى واحدا .

قال صلى الله عليه وسلم : " واما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها فتقول قط قط " "٢"

وقد اورد الحافظ ابن خزيمة عدة احاديث صحيحة في " باب ذكر اثبات الرجل لله عز وجل " "٣" ورد معظمها بلفظ " القدم " . مما يدل على ان صفة " الرجل " هي نفس صفة " القدم " لله عز وجل .

ومذهب السلف على أن لله تعالى قدما حقيقية ، هي صفة مـــن صفاته الخبرية التي لا نعلم كنهها ، بل نفوض علم حقيقتها الى الله ، ونؤمن بما ورد به النص من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل .

فهي قدم لا تشبه اقدام المخلوقات ، وهي ليست جارحة ولا مركبة ، كما انها لا تعني " الجماعة أو الطائفة أو القوم " كما جاء في اللغة "٤" ،

---

١ ـ صحيح مسلم : (٤ : ٢١٨٦) .

٢ ـ وفي صحيح البخاري : " حتى يضع رجله فتقول " . / انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب لله عز وجل ص ٩٤ . والرجل بمعنى القدم .

٣ ـ كتاب التوحيد ص ٩٠ .

٤ ـ انظر لسان العرب لابن منظور (١٣ : ٢٨٩) .

وقاله أهل التأويل . "١"

ادلة السلف من السـنة :

==================

استدل السلف على اثبات هذه الصفة لله ، بالسنة .

ومما استدل به السلف من الاحاديث الصحيحة ، أذكر :

١ ـ عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " تحاجت النار والجنة . فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فما لي لا يدخلني الا الضعفاء الناس ، وسقطهم وعجزهم . فقال الله للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادى . وقال للنـار : انت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها . فأمـا النار : فلا تمتلئ . فيضع قدمه عليها فتقول : قط ، قط ، فهنـاك تمتلئ ، ويزوى بعضها الى بعض " . "٢"

وفي رواية اخرى عن ابي هريرة " فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله " .

٢ ـ عن أنس بن مالك "٣" رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

---

١ ـ انظر : المعتمد في اصول الدين لأبي يعلى ص ٥٤ ،
وانظر : الشامل في اصول الدين ، للجويني ص ٥٦٢ ؟

٢ ـ رواه مسلم في صحيحه (٤ : ٢١٨٦) ، وانظر صحيح البخارى (٤ : ٢٠٤) .

٣ ـ انس بن مالك بن النضر بن النجار الانصارى الخزرجي ، خادم رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ، خدمه عشر سنوات ، واكثر من الرواية عنه ، نزل البصرة ومات فيها ، وهو اخر من مات من الصحابة فيها سنة ٩١ هـ .
انظـر : الاصابة في تمييز الصحابة (١ : ٧١) .

وسلم أنه قال : " لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول : قط ، قط وعزتك • ويزوى بعضها الى بعض "• "١"

وهناك أحاديث كثيرة رويت بطرق متعددة عن كثير من الصحابة بهذا المعنى • "٢"

وجه الاستدلال :

==============

قال السلف : هذه أحاديث صحيحة تثبت لله صفة القدم والرجل وهما بمعنى واحد ، فنثبت ما اثبته الرسول لرب العزة وننفي ما نفاه عنه ، وهو هنا يثبت صفة القدم لذات المولى على الحقيقة كما اثبت له من قبل الساق واليد والاصبع ••• ولا يفهم من الاحاديث الا هذا •

وقد استبعد السلف حمل هذه الاحاديث على غير الصفة الحقيقية ، وقالوا : ان تأويل القدم أو الرجل بالجماعة أو القوم أو الطائفة كما ورد في اللغة غير صحيح ، ولا ينطبق على ماالله من صفات •

وعللوا ذلك : لعدة أسباب منها :

١ - ليس في اثبات القدم أو الرجل ، صفة حقيقية لله ، نقص في حقه • بل هي كغيرها من الصفات القائمة به التي لا تليق الا بجلاله وكماله •

٢ - جاء الحديث الشريف بلفظ " ويزوى بعضها الى بعض " بمعنى يقرب بعضها الى بعض حتى تضيق على من فيها فتمتلئ بهم •

---

١ - متفق عليه • رواه مسلم (٤ : ٢١٨٧) : وانظر صحيح البخاري (٣ : ١٣٧) •

٢ - انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٩٠ - ١٠٠ •

فلو أن المقصود بوضع القدم أو الرجل ، وضع الجماعة أو القوم ٠٠٠ الخ ٠
لقال في الحديث " يلقي " فيها حتى تمتلي" ، لان الجماعة تلقي فيها القاء ٠
ولا يقال " فيزوى " لعدم تمام المعنى ٠

٣ — ليس من المعقول ان يخلق الله للنار اقواما فيعذبهم ، لان مقتضى عدله أن لا يعذب احدا من غير ذنب اقترفه ٠

٤ — جاء وضع القدم في النار وفاء منه تعالى بوعده في قوله : " لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين " ، "١"

فقد ذكر الرسول عليه السلام في الحديث أن " لكل واحدة منكما ملؤها " ، لذلك خلق للجنة خلقا ، واسكنهم فيها بفضله وكرمه ، على حين وضع قدمه في النار فامتلأت ٠

وحاصل الكلام ، أن يقال :

يثبت السلف رضوان الله عليهم صفة القدم أو الرجل لله تعالى ، على الحقيقة ويؤمنون بما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله كما ورد من غير تأويل ٠

ولا يفهم من هذه الاحاديث استحالة وضع قدمه في النار ، لأنه ربها ومليكها وهو الذى خلقها وجعل عليها ملائكة من مخلوقاته لا تضرهم باذن الله ، فتعالى الله خالق كل شي وهو على كل شي قدير ٠

---

١ — سورة السجدة اية (١٣) ،
وسورة هود اية (١١٩) ٠

٣ ـ ما يوهم أن له تعالى عواطف وينفعل بانفعـــالات

================================

أ : محبة الله .

ب : بغضـــه .

الله سبحانه وتعالى يحب ، ولا يحب ، ويبغض ويكره ويسخط ... مما يوهم أنه تعالى ينفعل بانفعالات ، وان له عواطف .

فالمحبة ، والبغض صفتان الهيتان حقيقيتان له عز وجل على وجه يليق بجلاله وكماله .

هذا ما يقرره علماء السلف ، ويثبتونه لله تعالى على الحقيقة ، ويؤمنون به . على أساس من القران والسنة . "١"

أدلتهـــم :

=========

استدل السلف على ثبوت هاتين الصفتين لله تعالى بالقران والسنة .

أ ـ من القـــران :

============

قال تعالى : " أن الله يحب المتقين " . "٢"

قال تعالى : " والله يحب المحسنين " . "٣"

قال تعالى : " والله يحب الصابرين " . "٤"

---

١ ـ انظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة (١ : ٣٣٢ـ ٣٣٥) .

٢ ـ سورة البقرة اية (٧٦) .

٣ ـ سورة ال عمران اية (١٣٤) .

٤ ـ سورة ال عمران اية (١٥٩) .

قال تعالى : " ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص " . "١"

قال تعالى : " لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم " . "٢"

قال تعالى : " ان الله لا يحب كل مختال فخور " . "٣"

قال تعالى : " والله لا يحب الفساد " . "٤"

قال تعالى : " ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين " . "٥"

قال تعالى : " وغضب الله عليه ولعنه " . "٦"

قال تعالى : " ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط اعمالهم " . "٧"

قال تعالى : " ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين " . "٨"

٢ ـ من السنة :

===============

١ ـ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال : اني احب

---

١ ـ سورة الصف اية (٤) .
٢ ـ سورة النساء اية (١٤٧) .
٣ ـ سورة لقمان اية (١٨) .
٤ ـ سورة البقرة اية (٢٠٥) .
٥ ـ سورة القصص اية (٧٧) .
٦ ـ سورة النساء اية (٩٣) .
٧ ـ سورة محمد اية (٢٨) .
٨ ـ سورة التوبة اية (٤٦) .

فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبريل . ثم ينادى في السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه اهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول في الارض .

واذا ابغض عبدا دعا جبريل فيقول : اني ابغض فلانا فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم توضع له البغضاء في الارض " . "١"

٢ — قال صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان الى الرحمن ، ثقيلتان في الميزان ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " . "٢"

٣ — قال صلى الله عليه وسلم : " ما من الكلام شيء احب الى الله عز وجل من : الحمد لله ، وسبحان الله ، والله اكبر ، ولا اله الا الله ، هن اربع فلا تكثر عليهن ، لا يضرك بأيهن بدأت " . "٣"

٤ — عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " . "٤"

٥ — عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ابغض الرجال الى الله الالد الخصم "٥" " . "٦"

---

١ — متفق عليه . رواه البخارى (٢ : ١٤٤) ، (٤ : ٤٠ ، ٤١) ، ومسلم (٤ : ٢٠٣٠) وسنن الترمذى (٥ : ٣١٧) ، وموطأ مالك (٢ : ٩٥٣) ومسند الامام احمد (٢ : ٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٤١٣) ، (٥ : ٢٠٩ ، ٢٦٣) .

٢ — متفق عليه .

٣ — صحيح ، رواه مسلم .

٤ — صحيح ، رواه البخارى .

٥ — شديد الخصومة / انظر مختار الصحاح ص ٥٩٥ .

٦ — متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم .

٦ ـ عن البراء بن عازب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الانصار : " من احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله " • "١"

٧ ـ وهناك احاديث كثيرة يظهر فيها حب الله لعباده ، المؤمنين ، والمجاهدين ، ومن يرضي والديه ، والعبد المحترف ، كما يظهر فيها كرهه للمنافقين ، والعاصين ، واهل الجدل ، ومن يكثر السؤال ، ومن يضيع المال •••

وجه الاستدلال بالقران والسنة :

===================

قال السلف : تضمنت هذه الايات ، والاحاديث الصحيحة اثبات افعال له تعالى ناشئة عن وجود صفتين من صفاته القائمة بذاته هما : صفة المحبة وصفة البغض •

ومحبته تعالى لبعض خلقه ، او بغضه لهم ، صفتان له حقيقيتان ، قائمتان به ، وهما من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته •

فهو : يحب ويكره ، ويرضى ويسخط ، على ما تقتضيه الحكمة البالغة ، على ما يليق بجلاله وكماله • ولا يقتضي ذلك نقصا ولا تشبيها ، كما يكرم من يحبه ، ويثيبه ، ويبعد من يبغضه عن حضرته ، ويعاقبه اذا عصاه • "٢" بفضله وعدله كما يحب ويرضى سبحانه •

---

١ ـ متفق عليه ، رواه البخاري ومسلم •

٢ ـ انظر : شرح العقيدة الواسطية ص ٥٤ •

الفصل الرابع : أفعال الله تعالى

يشتمل هذا الفصل على المباحث التالية :

المبحث الاول : تعليل أفعال الله تعالى .

المبحث الثاني : خلق أفعال العباد .

المبحث الثالث : حسن الأفعال وقبحها .

المبحث الرابع : القضاء والقدر .

المبحث الخامس : جواز رؤيته تعالى في الاخرة .

١ - تعليل أفعال الله تعالى

مذهب الشيخ محمد عبده :

ذهب الشيخ محمد عبده الى ان الحق سبحانه لا يفعل شيئا الا لعلة ، وأن أفعاله تعالى لا تخلو من حكمة ، وأن حكمة كل عمل : هي ما يترتب عليه مما يحفظ نظاما أو يدفع فسادا خاصا كان أو عاما .

هذه العلة التي يفعل الله لاجلها ، انما هي من ايجاده ، ومن فعله باختياره لان افعاله تعالى ، صادرة عن علم وارادة ، وكل ما صدر عن علم وارادة فهو صادر عن الاختيار ، وما صدر عن الاختيار ليس بواجب على المختار لذاته . "١"

---

١ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٨٢) .

الدليل على هذا المذهب :

=============== يبرهن الشيخ محمد عبده على مذهبه هذا بقوله :

اولا : (من القواعد الصحيحة المسلمة عند جميع العقلاء ، أن أفعال العاقل تصان عن العبث ، ولا يريدون من العاقل الا العلم بما يصدر عنه بارادته . ويريدون من صونها عن العبث انها لا تصدر الا لامر يترتب عليها ، يكون غاية لها ، وان كان هذا في العاقل الحادث ، فما ظنك بمصدر كل عقل ، ومنتهى الكمال في العلم والحكم ؟ كلها مسلمات لا ينازع فيهما أحد) .

ثانيا : ان من ينظر الى صنع الله الذى اتقن كل شيء ، واحسن خلقه ، يجده مشحونا بالحكم ، وهذه الحكم لا تخلو من امرين :

اما ان تكون معلومة له مرادة مع الفعل ام لا .

الامر الثاني باطل .

لانه اذا كانت الحكم غير معلومة له ، لكان الله متهما بقصور في علمه .

ولانه اذا كانت الحكم غير مرادة له ، لكان الله متهما بالغفلة .

وحاش لله أن يتهم بالسهو والغفلة ، أو يتصف بعدم انكشاف جميع المعلومات له على وجه الاحاطة والشمول .

فيجب الاعتقاد بأن أفعاله تعالى يستحيل ان تكون خالية من الحكمة . "١"

والاصل الذى يرجع اليه كل وارد في هذا الباب قوله تعالى :

" وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين " . "٢"

---

١ — نفس المصدر ص ٣٨٤ .

٢ — سورة الانبياء اية (١٦ ، ١٧) .

مناقشة هذا المذهب :

أرى أن الشيخ محمد عبده مع جمهور الناس في هذه المسألة ومنهم السلف ، والفلاسفة ، والمتكلمين وبعض الفرق الخارجة عن الاسلام .

وهو عين مذهب السلف القائلين : ان الله تعالى فعل المفعولات كلها لحكمة ، ارتضاها . وهو يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها ، قد يكشفها لبعض الناس ، وقد يخفيها عنهم ، والامور الخاصة التي يفعلها تكون لحكمة خاصة ، والامور العامة تكون لحكمة عامة كارسال الرسل ، ومنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فان ارساله كان رحمة للعالمين .

قال تعالى : " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين " . "١" ، "٢"

ودليل الشيخ محمد عبده على مذهبه يوافق بعضا مما قاله الامام ابن القيم في " شفاء العليل " .

فقد استدل ابن القيم على مسألة تعليل افعال الله تعالى بنيف وعشرين نوعا من الادلة ، كلها من كتاب الله وسنة رسوله ، الا النوع الاخير فقد كان دليلا عقليا تماما كما قال الشيخ محمد عبده .

يقول الامام ابن القيم :

(ان تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل اما ان يكون لعدم علم الفاعل بها او بتفاصيلها ، وهذا محال في حق من هو بكل شي عليم .

واما بعجزه عن تحصيلها ، وهذا ممتنع في حق من هو على كل شي قدير .

---

١ ـ سورة الانبياء اية (١٠٧) .

٢ ـ انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ١٩٠ .

واما لعدم ارادته ومشيئته الاحسان الى غيره ، وايصال النفع اليه ، وهذا مستحيل في حق ارحم الراحمين . ومن احسانه من لوازم ذاته فلا يكون الا محسنا منعما منانا .

واما لمانع يمنع من ارادتها ، وقصدها ، وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد .

واما لاستلزامها نقصا ومنافاتها كمالا ، وهذا باطل ، بل هو قلب للحقائق وعكس للفطر ، ومناقضة لقضايا العقول ...) . "١"

وايضا : فقد تكلم ابن القيم عن الكون وما فيه من الحكم الالهية والعناية الربانية ، واستدل بما في الكون من الحكم الالهية على وجود الحكمة في فعله ، وانه سبحانه يفعل بمشيئته واختياره ، وقدرته وارادته ...

وانتهى الى القول : (وهذا قول جمهور اهل الاسلام واكثر طوائف النظار ، وهو قول الفقهاء قاطبة الا من خلى الفقه ناحية ، وتكلم بأصول النفاة ، فمادى فقهه اصول دينه) . "٢"

ومن خلال البحث والاطلاع تبين لي ان الامام ابن القيم كان حامل لواء السلف ، في اثبات تعليل افعال الله تعالى .

ولا مانع عندي من ذكر بعض انواع الادلة التي اوردها في تعليل افعال الله لذلك اخترت ثمانية انواع ، واكتفيت بها لان ما عداها من الانواع راجع اليها ، او قريب منها ...

---

١ ـ شفاء العليل ص ٢٠٤ .

٢ ـ نفس المصدر ص ٢٠٦ .

١ - (النوع الاول) :

================

التصريح بلفظ " الحكمة " ، وما تصرف منه ، كقوله تعالى " حكمة بالغة " . "١"

٢ - (النوع الثاني) :

================

اخباره تعالى انه فعل كذا لكذا ، وانه امر بكذا لكذا كقوله تعالى " ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض " . "٢"

وقوله تعالى : " الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شي علما " . "٣"

وقوله تعالى : " جعل الله البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شي عليم " . "٤"

وقوله تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " . "٥"

وقوله تعالى : " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه " . "٦"

---

١ - سورة القمر اية (٥) .

٢ - سورة المائدة اية (٩٧) .

٣ - سورة الطلاق اية (١٢) .

٤ - سورة المائدة اية (٩٧) .

٥ - سورة النساء اية (١٦٥) .

٦ - سورة البقرة اية (١٤٣) .

وقوله تعالى : " وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام "• "١"

وقوله تعالى : " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون "• "٢"

وحتى لا يعترض معترض على اللام هنا ، فيقول : هي لام العاقبة،

وان ما بعدها ليس هو الغاية المطلوبة ، لكن لما كان الفعل منتهيا اليه وكان هو عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل ، وهي في الحقيقة لام العاقبة •

رد الامام ابن القيم ، فقال :

(ان الجواب من وجهين :

(احدهما) :ان لام العاقبة انما تكون في حق من هو جاهل أو هو عاجز عن دفعها •

فالاول كقوله تعالى : " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ". "٣"

والثاني كقول الشاعر :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب "٤"

وأما من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، فيستحيل في حقه دخول هذه اللام ، وانما اللام الواردة في احكامه وافعاله لام الحكمة والغاية المطلوبة •

(الثاني) : افراد كل موضع من تلك المواضع — يقصد الايات التي قيل ان اللام فيها لام العاقبة — بالجواب) •

وقد أجاب عليها واحدة واحدة مما يطول شرحه ، ولا حاجة لنا به •

---

١ — سورة الانفال اية (١١) •

٢ — سورة النحل اية (٨) •

٣ — سورة القصص اية (٨) •

٤ — لا أعلم قائله ، ويروى بدل ذهاب : تراب •

٣ — (النوع الثالث :)

=============== الاتيان ب " كي " الصريحة في التعليل .

كقوله تعالى : " ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم " . "١"

وقوله تعالى : " ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها أن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " . "٢"

فعلل سبحانه في الاية الاولى اعطاء كل ذى حق حقه كي لا يتداولـه ناس دون ناس .

واخبر في الاية الثانية ان كل شيء مكتوب عنده بعلمه وقدرته لكي لا يحزن الناس على مفقود ولا يفرحوا بموجود ، لان كل ذلك مكتوب ومحفوظ .

٤ — (النوع الرابع) :

=============== ذكر المفعول له ، او المفعول لاجله .

كقوله تعالى : " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء " "٣" اى لاجل البيان .

وقوله تعالى : " ولقد يسرنا القران للذكر " "٤" اى لاجل الذكر .

٥ — (النوع الخامس) :

=============== ذكر ما هو من صرائح التعليل وهو قوله " من اجل " .

كقوله تعالى : " من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغيـــر

---

١ — سورة الحشــــر اية (٧) .
٢ — سورة الحديـــد الايات (٢٢ — ٢٣) .
٣ — سورة النحـــل ايـــة (٨٩) .
٤ — سورة القمـــر الايـــات (١٧ ، ٢٢ ، ٣٢) .

نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا "." ١ "

٦ ـ (النوع السادس) :

================= انكاره سبحانه على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية .

كقوله تعالى : " أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون "." ٢ "

وقوله تعالى : " أيحسب الانسان ان يترك سدى " . " ٣ "

وقوله تعالى : " وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق "." ٤ "

وقوله تعالى : " وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا "." ٥ "

هذه الايات تضمنت الحكمة من خلق الانسان ، والسموات والارض ، وما بينهما ، فهو قد خلقها غير لاعب ولا عابث ، بل بالحق وهو الحكم التي لاجلها خلق ذلك كله .

٧ ـ (النوع السابع) :

=============== امره سبحانه بتدبر كلامه ، والتفكير فيه ، وفي اوامره ونواهيه .

ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات الحميدة التي هي محل الفكر لما كان للتفكير فيه معنى ، وانما دعاهم الى التفكر ليصلوا بذلك الى الحكمة البالغة ، فان ما في خلقه من الحكم امر تشهد به العقول النيرة والفطر السليمة .

---

١ ـ سورة المائدة اية (٣٢) .

٢ ـ سورة المؤمنون اية (١١٥) .

٣ ـ سورة القيامة اية (٣٦) .

٤ ـ سورة الدخان اية (٣٨) .

٥ ـ سورة ص اية (٢٧) .

٨ ـ (النوع الثامن) :

جوابه سبحانه لمن سأله عن التخصيص والتمييز الواقع
في أفعاله بأنه لحكمة يعلمها هو سبحانه ، وان كان السائل لا يعلمها ، وذلك في مثل قوله تعالى " اني جاعل في الارض خليفة " فقالوا : " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " فأجابهم بقوله : " اني اعلم مالا تعلمون " . "١"

ولو كان فعله تعالى مجردا عن الحكم لعلمه الملائكة ، وانما وقع سؤالهم عن وجه الحكمة ، ولهذا لم يكن اعتراضا على الله سبحانه . "٢"

ومن هذا ايضا قوله تعالى : " واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ، الله اعلم حيث يجعل رسالته " . "٣"

فأجابهم الحق سبحانه بأن علمه وحكمته يأبي ان يضع شيئا في غير موضعه ، وعند غير اهله ، وهو مقتض عدله .

وبعد ان انتهى الامام من سرد هذه الانواع وشرحها افرد بابا خاصا ، في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل ، وذكر الرد عليها ، ورد على الرازي "٤"

---

١ ـ سورة البقرة اية (٣٠) .

٢ ـ انظر : شفاء العليل ص ٢٠٥ .

٣ ـ سورة الانعام اية (١٢٤) .

٤ ـ محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري : فخر الدين الرازي ، الامام المفسر ، اشتهر بعلمه في المنقول والمعقول ، وعلوم الاوائل ، قرشي النسب ، رحل الى خوارزم ، وكان واعظا بارعا في اللغتين العربية والفارسية مات سنة ٦٠٦ هـ / انظر الاعلام (٧ : ٢٠٣) .

بكلام طويل نفي فيه جميع الشبه التي اوردها الرازى في نفي الحكمة . فنفى لزوم قدم المعلول لقدم العلة ، وابطل دعوى ان من يفعل لعلة ليس مختارا ، وابطل التسلسل اللازم للعلة اذا كانت محدثة .

وحاصله : ان السلف رضي الله عنهم يثبتون الحكمة لافعاله تعالى ويقولون :

(وجماع ذلك ان كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته وعدله ورحمته واحسانه وقدرته وحمده ، ومجده وحقائق اسمائه الحسنى تمنع كون افعاله صادرة منه الا لحكمة ولا لغاية مطلوبة ، وجميع اسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد ببطلانه) . "١"

---

١ — شفاء العليل ص ٢٠٤ .

٢ ـ خلق أفعال العباد

================

مذهب الشيخ محمد عبده :

================

يقرر الشيخ محمد عبده مذهبه في مسألة خلق أفعال العباد في امرين ، يصفهما بركني السعادة وقوام الاعمال البشرية . هما :ـ

الاول : ان العبد يكسب بارادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته .

الثاني : ان قدرة الله هي مرجع لجميع الكائنات ، وان من اثارها ما يحول بين العبد وبين انفاذ ما يريده . وان لا احد سوى الله يمكن ان يمد العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه .

ويرى الشيخ محمد عبده ان هذا هو الذى اهتدى اليه سلف الامة ، فقاموا من الاعمال ما عجبت له الامم ، وعول عليه من متأخرى اهل النظر امام الحرمين الجويني رحمه الله . "١"

ويقول الشيخ محمد عبده انه لا دخل لعلم الواجب في كسب العبد ، وليس بسالب للتخيير في الكسب ، وكون ما في العلم يقع لا محالة انما جاء من حيث هو الواقع ، والواقع لا يتبدل .

ويضرب الشيخ محمد عبده لهذا مثلا يقربه من الاذهان ، بشخص من أهل العناد يعلم علم اليقين أن عصيانه لأميره باختياره يحل به عقوبة لا محالة ، لكنه مع ذلك يعمل العمل ويستقبل العقوبة ، وليس لشيء من علمه وانطباقه على الواقع ادنى اثر في اختياره لا بالمنع ولا بالالزام .

---

١ ـ انظر : رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٨٨ ، ٣٨٩).

فانكشاف الواقع للعالم لا يصح في نظر العقل ملزماً ولا مانعاً . "١"

ويناقش الشيخ محمد عبده آراء العلماء وأقوالهم التي ذكرها الدواني في شرحه على العقائد العضدية للايجي ، ويوازن بين المذاهب ، فيقر الصحيح منها ، ويبطل الباطل كما سترى في عرض هذه المذاهب ، وكيفية رد الشيخ محمد عبده عليها .

المذهب الاول :
========= وهو مذهب امام الحرمين الجويني ، ذكره في كتاب " الارشاد "

يقول الجويـــني :

(اتفق أئمة السلف الاقدمين ... على ان الخالق هو الله تعالى ولا خالق سواه ، وان الحوادث كلها حادثة بقدرة الله تعالى ، من غير فرق بين ما تتعلق به قدرة العبد وبين ما لا تتعلق به) .

هذا اتفاق أئمة السلف ، لكن ما رأيه هو في هذه المسألة ؟

يقول : (أما نفي القدرة والاستطاعة عن المكلفين فمما يأباه العقـــل والحس وأما اثبات قدرة لا اثر لها بوجه فهو كنفي القدرة اصلا ، وأما اثبات التأثير في حالة لا تعقل فهو كنفي التأثير ...

فاذا لا بد من نسبة فعل العبد الى قدرته حقيقة لا على وجه الاحداث والخلق .

فان الخلق يشعر بالاستقلال في ايجاده من العدم .

والانسان كما يحس من نفسه شيئا من الاستقلال يحس من نفســـه ايضا بعدم الاستقلال . فالفعل يستند وجودا الى القدرة ، والقدرة تستنـــد

---

١ — نفس المرجع ونفس الصفحة .

وجودا الى سبب آخر . تكون نسبة القدرة الى ذلك السبب كنسبة الفعل الى القدرة ... حتى ينتهي الى سبب الاسباب ، فهو خالق الاسباب ومسبباتها ، المستغني على الاطلاق . فان كل سبب مستغن من وجه ، محتاج من وجه ، والبـارى تعالى هو الغني المطلق الذى لا حاجة له ولا فقر) . "١"

يعلق الشيخ محمد عبده على كلام امام الحرمين ، ويبين ان ما قالـه ونقل اتفاق السلف عليه هو قول يتفق عليه جميع الالهيين ، بل والطبيعيين ، لم يخالف فيه أحد منهم ،

فانه صريح المشهور عن الحكماء ، والمعتزلة ، واعم من قول الاشاعرة .

ويقول : (وما سمع عن أحد من أهل العلم أنه قال : أن الممكـن مستقل فيما يصدر عنه بعد قوله بأنه ممكن ، الا اولئك الضعفاء من أهل القرون المظلمة الذين قالوا بالبخت والاتفاق ...

وليس الفعل الا مستندا الى الواجب مباشرة بايجاد خاص ، بحيث يستند اليه الموجود بالذات حقيقة ، ولكن ذلك يصعب ادراكه على غير المحقق) . "٢"

المذهب الثانـــي :
===============

وهو مذهب حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله .

اي الغزالي في مذهبه ما ذكره صاحب العقائد العضدية ، وهو ان لا خالق سوى الواجب فقال :

---

١ ـ انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٩٩) .

٢ ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٢٥٩) /

وانظر : رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة (٣ : ٣٨٨) .

(لما بطل الجبر المحض بالضرورة ، فان بداهة العقل حاكمة بالفرق بين حركة المرتعش وحركة المختار ، وبطل كون العبد خالقا لافعاله بالادلـة السمعية والعقلية ..

وجب ان يعتقد انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا ، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب .

فحركة العبد باعتبار نسبتها الى قدرته تسمى كسبا له ، وباعتبار نسبتها الى قدرة الله ، خلقا .

فهي خلق الرب ووصف العبد وكسبه) . "١"

وبمعنى أخر ، يريد الغزالي ان يقول :

ان الجبر المحض باطل لانه لو صح لكان النازل بمظلة ، والساقط من الطائرة سواء . والمرتعش ومن يحرك يده باختياره سواء ، بمعنى ان الافعال القهرية تستوى مع الافعال الاختيارية ، وهو باطل ، بداهة .

ولما بطل خلق العبد لأفعاله بالأدلة ، تعين الاعتقاد أن أفعال العبد مقدورة بقدرة الله تعالى ، وانه موجدها ، وبقدرة العبد بوجه آخر يعبر عنه بالاكتساب .

ولا يقف الشيخ محمد عبده طويلا مع هذا المذهب ، ولا يوافقه في قضية الاكتساب ، ويبين الصواب فيقول :

(والصواب : أنا نجد من أنفسنا وجدانا صادقا أنه يصح لنا أن نترك ، ونتمكن منه ، ولا كذلك المضطر) . "٢"

---

١ ــ نفس المرجع (١ : ٢٦٢) .
٢ ــ نفس المرجع (١ : ٢٦٥) .

المذهب الثالث :

وهو ما نقله الشهرستاني عن الشيخ الاشعرى .

قال : (العبد قادر على أفعاله . اذ الانسان يجد من نفسه تفرقة بين حركات الرعدة والرعشة ، وبين حركات الاختيار والارادة ... والمكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة ، والحاصل تحت القدرة الحادثة) .

ومعنى كلام الاشعرى ان للقدرة مدخلا في حصول الفعل ، وان الفعل موقوف على تلك القدرة .

فالله هو الخالق لفعل العبد بقدرته مع مدخلية قدرة العبد في حصوله .

تعليق الشيخ محمد عبده على مذهب الاشعرى :

يقول : (وفي قول الاشعرى تصريح وتلويح بأن الفعل موقوف على تلك القدرة ، وان للقدرة مدخلا في حصول الفعل ... وانها سوى مدخلية التأثير ، وتلك المدخلية هي مدخلية الالية من باب ما لا يتم للممكن وجوده الا به ، فكما ان قدرة الواجب لا تتعلق بايجاد حركة الاكل والمشي بذاتها ، بل لابد لها من محل وهو الجسم ، كذلك لا تتعلق قدرته بتلك الحركة على انها من النفس ، حتى يخلق شيئا في النفس هو السبب القريب في تعلق قدرة الرب بايجاد تلك الحركة ، فهو الخالق لفعل العبد بقدرته مع مدخلية قدرة العبد في حصوله) . "١"

---

١ ـ نفس المرجع (١ : ٢٦٤) .

المذهب الرابـــــــع :

=============== مذهب المعتزلة .

اكثر المعتزلة على ان افعال حاصلة بقدرة العبد وحدها واستنادها الى قدرة الله بالواسطة .

استند المعتزلة في ذلك للوجدان فقالوا :

ان قدرة العبد لو لم تكن هي الفاعلة اذا ليست بمؤثرة .

ولما لم تكن مؤثرة لم تكن قدرة . فلا قدرة للعبد اذا ، وهذا هو الجبـــر بعينه .

وايضا : فلا معنى للثواب والعقاب ان لم يكن للعبد اختيار وفعل بقدرته .

يقول الشيخ محمد عبده :

(أن مذهب المعتزلة هذا باطل ، وذلك لان الممكن لا يجوز أن يكون مصدرا لاثاره .

وقولهم : ان قدرة العبد لو لم تكن هي الفاعلة اذا ليست بمؤثرة ، ولما لم تكن مؤثرة لم تكن قدرة ... فالجواب عليه : ان القدرة ليست هي الوصف المؤثر . فلا تستلزم التأثير ، بل انما تستلزم ما هو الاعم من التأثير ومن الكسب الذى هـــو مدخلية الآلية مثلا .

وقولهم : انه لا معنى للثواب والعقاب ان لم يكن للعبد اختيار وفعـــل بقدرته ...

لا يقدح في كون الله تعالى هو المتصرف المطلق ، يفعل ما يريد ، يمنع المستحق ، ويعطي غير المستحق لحكمة يريدها لا تعود عليه سبحانه ، بل تعود الى ما دونه من الخلق ، والله سبحانه لا يسأل عما يفعل . "١"

---

١ ـ نفس المرجع (١ : ٢٧٥) .

المذهب الخامس :

مذهب الجبرية

يقول أهل الجبر ان افعال الانسان كلها مخلوقة لله ، ولا دخل للعبد فيها ، فهو كالريشة في مهب الهواء ، أو كغصن الشجرة في مهب الرياح .

وعمدتهم في هذا قول الحق سبحانه " اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ". "١"

فلا اختيار اذا للانسان ولا قدرة ، ولا مدخل لهما في الايجاد بوجه .

ان هذا المذهب معروف ومشهور ، وهو واضح في نسبة خلق الافعال الى الله تعالى ، وقد رد عليه اهل الحق بما يبطله .

والشيخ محمد عبده فصل في الرد عليه ، قال :-

١ – ان كان الجبري يريد ان افعال الحيوانات كافعال الجمادات لا مدخل للاختيار فيها بوجه ، ولا قدرة تستند اليها بنوع ، فذلك باطل بالضرورة . وذلك لتحقق الاختيار والقدرة بالبداهة والوجدان الصادق .

٢ – أما ان كان يريد انه – وان كان للاختيار مدخل كما للقدرة ذلك – فالفاعل هو ربه وموجده ، وليس الفاعل هو بمحض اختياره ، فذلك هو قولنا .

وهو معنى قول بعضنا : العبد مختار من حيث هو مجبور ، ومجبور من حيث هو مختار . "٢"

---

١ – سورة الصافات الايات (٩٥ – ٩٦) .

٢ – المرجع السابق (١ : ٢٦٦) .

المذهب السادس :

وهو مذهب الاستاذ : ابو اسحق الاسفرائيني ،
==============

والقاضي : ابو بكر الباقلاني .

فقد ذهب الاستاذ ابو اسحق الى ان كون العبد قادرا ضروري وجداني ،

وعموم تعلق قدرة الرب مبرهن ومنقول ، فلا طريق الا الجمع بينهما .

وذهب القاضي ابو بكر الى ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين

جميعا لا من جهة واحدة ، لكن قدرة الله تتعلق بأصل الفعل وقدرة العبد

تتعلق بوصف من اوصافه هو كونه طاعة او معصية .

والفرق بين قول الاستاذ وقول القاضي واضح .

فان الاستاذ يقول : ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين

على ان تعلقهما جميعا بأصل الفعل .

بينما يقول القاضي : ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين ،

لكن لا من جهة واحدة ، بل قدرة الله تتعلق بأصل الفعل وقدرة العبد بوصف

من اوصافه .

مناقشة الشيخ محمد عبده لهذا المذهب :
==========================

فصل الشيخ محمد عبده في مراد الاستاذ ، قال :-

١ — ان اراد ان كلا منهما — يعني مجموع القدرتين — بطريق

الاستقلال ، فذلك يستلزم اجتماع مؤثرين — بالاستقلال — على اثر واحد ،

لا بطريق البدل ، وهذا خلف محال .

— اى باطل — .

٢ — وان اراد ان ذلك انما كان بطريق مدخلية قدرة العبد

اى مدخليه ، فذلك صحيح ، وليس الا قول الاشعرى .

وفصل في مراد القاضي ، قال :-

مراده في تعلق قدرة العبد ، هو كون تلك الجهة كونا من اكوان الفعل لا قصدا لفاعل — كما هو مذهب الماتريديه ، من ان جهة الكسب هي القصد ، والقصد حال من الاحوال لا يتعلق به الخلق والايجاد — وان ذلك الكون هو اثر القدرة الحادثة .

يقول الشيخ محمد عبده :

ان الحال — سواء كان القصد او غيره — لا يخلو من امرين :

(الاول) : ان كان لازما لسببه فهو غير محل للتأثير ، فلا يصح متعلقـــا لقدرة الحادث فيثبت الجبر . اذ لا جهة للاختيار سواه .

(الثاني) : وان كان غير لازم ، بل كان امرا يصدر بالاختيار ، فمن البين ان لا يكون الا فعلا وجوديا ، يدخل تحت تأثير القدرة .

فان البداهة قاضية ان اثر القدرة اخراج المقدور من حيز العدم الـى حيز الوجود . فيلزمه ما لزم المعتزلة من تأثير القدرة الحادثة في بعض الافعال . وان اراد المدخلية فالمذهب مذهب الاشعرى . "١"

وهكذا استطاع الشيخ محمد عبده ان يحدد المذاهب المختلفة في هذه المسألة ويقررها ، — وانه لبارع كل البراعة في تشقيق القول ، وتحليل المسائل وتوليد الآراء — ، ويقول ان الحق ما ذهب اليه وهو ان العبد يكسب بارادته وقدرته ، وان قدرة الله هي مرجح لجميع الكائنات ، وانه لا دخل لعلم الواجب في كسب العبد ، وليس بسالب للتخيير في الكسب .

أقول : ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، هو الذى اهتدى اليـــه

---

١ — نفس المرجع (١ : ٢٦٨ — ٢٧٠) .

سلف الأمة ، وهو مذهب جمهور من العلماء ، منهم البخاري "١" ، وابو يعلى "٢" ، وهو ما قرره شيخ الاسلام "٣" وتلميذه ابن القيم وفصل فيه ."٤"

واذا رجعنا الى " شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل " لابن القيم ، في الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة خلق الله سبحانه الاعمال وتكوينه وايجاده لها .

وجدنا أن ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة " التوحيد " وعلى حاشية الدواني على العقائد العضدية . موجود في كتاب ابن القيم السابق . بل أؤكد ان جميع الردود والتعليقات والشروح التي ذكرها الشيخ محمد عبده على المذاهب السابقة ، موجودة في شفاء العليل ، ومكتوبة بقلم ابن القيم . "٥"

وحتى يزداد الامر جلاء ووضوحا ، أرى أن أعرض مذهب السلف في خلق أفعال العباد ، وأبين أدلتهم ، وأذكر بعض أقوال أئمتهم ، لترى صحة مذهبهم ، وموافقة الشيخ محمد عبده ، لهم .

تقرير مذهب السلف :

====================

يقول الامام ابن القيم رحمه الله : (فانهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات ، من الاعيان والأفعال ، ومشيئته العامة . ،

---

١ ــ انظر كتاب : خلق افعال العباد ، للبخاري ص ١٧ .
٢ ــ انظر كتاب : المعتمد لابي يعلى ص ١٢٦ .
٣ ــ انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٨ : ٤٦١ ، ٤٦٢).
٤ ــ انظر : شفاء العليل ص ٤٩ .
٥ ــ نفس المرجع ص ٤٩ ــ ٦٤ .

وينزهونه أن يكون في ملكه مالا يقدر عليه ، ولا هو واقع تحت مشيئته .
ويثبتون القدر السابق . وان العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ، وانه لا يشاؤون الا ان يشاء الله ، ولا يفعلون الا من بعد مشيئته ، وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه ، والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه او مشيئته وخلقه ، فلا يتحرك ذرة فما فوقها الا بمشيئته وعلمه وقدرته ، فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة الا بالله على الحقيقة ...

ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .... ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وارادته واختياره وفعله حقيقة لا مجازا .

وهم متفقون على ان الفعل غير المفعول ، فحركاتهم ، واعتقاداتهم ، افعال لهم حقيقة ، وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة ، والذى قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه ، والذى قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة ، وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذى شاءه منهم وخلقه لهم ، فما يشاؤون الا ان يشاء الله ، وما يفعلون الا ان يشاء الله) . "١"

ويقول شيخه ابن تيمية رحمه الله :

(افعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الامة وأئمتها ، كما نص على ذلك سائر ائمة الاسلام ، الامام احمد ومن قبله ومن بعده حتى قال بعضهم : من قال ان افعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال : ان السماء والارض غير مخلوقة) . "٢"

---

١ ـ شفاء العليل ص ٥٢ / وانظر العقيدة الطحاوية ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

٢ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٨ : ٤٠٦) .

واترك الكلام لشيخ الاسلام ، ليبين مراده بالتفصيل :

يقول :

اذا قيل عن " فعل ما " انه فعل الله ، او فعل غيره ، فقد يراد الفعل نفسه وقد يراد مسمى المصدر .

افاذا اريد بالفعل مسمى المصدر كصلاة الانسان مثلا ، فالفعل هنا هو المفعول .

وهذا لا يقال انه فعل الله تعالى باتفاق المسلمين ، وبصريح العقل .

يدل على هذا ايات كثيرة في الكتاب المبين :

قال تعالى : " يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور " . " ١ "

فجعل المحاريب والتماثيل والجفان والقدور معمولة للجن .

وقال تعالى : " قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون " . " ٢ "

اى والله خلقكم وخلق الاصنام التي تنحتونها فتعبدونها ، فالعمل عملهم والخلق كله لله .

مثال ذلك :

انك اذا كتبت بالقلم مثلا ، فهل يكون القلم شريكك ، او يضاف اليه شيء من نفس الفعل وصفاته ؟

ام هل يصلح ان تلغي اثره وتقطع خبره ، وتجعل وجوده كعدمه ؟

ام يقال به كتبت ؟

ولله المثل الاعلى ، فان الاسباب بيد العبد ليست من فعله ، وهو محتاج اليها لا يتمكن الا بها ، والله خلق الاسباب ومسبباتها ، وجعل خلق البعض

---

١ ـ سورة سبأ اية (١٣) .

٢ ـ سورة الصافات الايات (٩٥ ـ ٩٦) .

شرطا وسببا في خلق غيره ، وهو في ذلك غني عن الاشتراط والتسبب ، ونظم بعضها لبعض ، لكن الحكمة تتعلق بالاسباب ، وتعود اليها والله عزيز حكيم .

فعلى هذا ، فمشيئة العبد للفعل موجودة ، وله قدرة عليه ، والله خالق ذلك كله ، لا خالق غيره ، ما شاء في ملكه كان وما لم يشأ لم يكن .

قال تعالى : " وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما " . "١"

وقال تعالى : " ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين " . "٢"

وحاصل مذهب السلف ان فعل العبد فعل له حقيقة ، لكنه مخلوق لله ، ومفعول له ، وليس هو نفس فعل الله ، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق . "٣"

واذا وازنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته (هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ووجدت سائر المذاهب خطوطا عن يمينه وعن شماله فقريب منه وبعيد وبين ذلك) . "٤"

---

١ — سورة الانسان الايات (٢٩ — ٣٠) .
٢ — سورة التكوير الايات (٢٧ — ٢٩) .
٣ — انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٨ : ٣٣٨ ، ٣٩٠ وما بعدها) .
وانظر : شفاء العليل ص ٥٢ .
٤ — شفاء العليل ص ٥٢ .

أدلتهم من القـــرآن :

استدل ابن القيم على مذهب السلف بكثير من الايـــات في اكثر من خمسة وعشرين موضعا من كتاب الله . "١"

وتصدى لما عداه من المذاهب والاراء فأبطلها بالادلة النقليـــة والعقلية تماما كما فعل الشيخ محمد عبده في شرحه السابق ، وقلت انه وافق فيه كلام الامام ابن القيم .

ومن الايات التي استدل بها ابن القيم على مذهب السلف ، اذكر :

قال تعالى : " ان الله على كل شي قدير " . "٢"

قال تعالى : " قل الله خالق كل شيء " . "٣"

قال تعالى : " والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانـــا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم " . "٤"

قال تعالى : " وانه هو اضحك وابكى " . "٥"

قال تعالى : " واصبر وما صبرك الا بالله " . "٦"

قال تعالى : " واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون " . "٧"

---

١ ــ انظر شفاء العليل ص ٥٢ ــ ٦٥ .

٢ ــ سورة البقرة اية (٢٠) ، (١٠٩) ، (٢٤٨) / سورة ال عمران اية (١٦٥) : سورة النحل اية (٧٧) / سورة النور ايـــة (٤٥) / سورة العنكبوت اية (٢٠) / سورة فاطر اية (١) .

٣ ــ سورة الرعد اية (١٦) .

٤ ــ سورة النحل اية (٨١) .

٥ ــ سورة النجم اية (٤٣) .

٦ ــ سورة النحل اية (١٢٧) .

٧ ــ سورة يس الايات (٤١ ــ ٤٢) .

وجه الاستدلال :

=============

قال السلف : هذا غيض من فيض من ايات الله الدالة على مذهبنا ، فهي تفيد ان افعال العباد كلها صغيرها وكبيرها ، دقائقها وجلائلها ، سرها وعلنا ... مخلوقة لله حقيقة ، وان فعل العبد فعل له حقيقة وهو مخلوق لله .

هي ايات صريحة في اثبات ان العبد فاعل مختار ، وان الله تعالى هو خالق العبد وخالق الاختيار في نفسه كما هو صريح في قوله تعالى : " وانه هو أضحك وابكى " ، والضحك والبكاء فعلان اختياريان ، فهو المضحك المبكي حقيقة والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة .

وفي قوله تعالى " واصبر وما صبرك الا بالله " ، ومعلوم ان الصبر من العبد فعل اختياري له ، وقد اخبر سبحانه انه به لا بالعبد . فالتصبير منه سبحانه وهو فعله ، والصبر هو القائم بالعبد وهو فعل العبد .

وبهذا يظهر لنا صحة مذهب السلف ، وموافقة الشيخ محمد عبده لهم .

فهو سلفي في مسألة خلق افعال العباد ..

وهذا من الشيخ محمد عبده موقف احمده له ، لان الخير فيما اختاره السلف وذهبوا اليه ان شاء الله .

٣ ـ حسن الافعال وقبحهـا :

==================

من المسائل التي بحثها الشيخ محمد عبده ، وتكلم عنها بشيء من التفصيل : حسن الافعال وقبحها .

أستطيع أن أرد ما كتبه الى النقاط الرئيسية التالية :ـ

١ ـ يجد الانسان في نفسه بالضرورة تمييزا بين الجميل من الاشياء ، والقبيح منها .

٢ ـ للافعال الانسانية الاختيارية حسن وقبح في نفسها . وفي اثرها .

٣ ـ الحس أو العقل البشري قادر على تمييز ما حسن من الافعال ، وما قبح دون توقف على سمع .

٤ ـ كثيرا ما يبين الشرع للانسان وجوه الحسن او القبح فيما امر بـه او نهى عنه .

٥ ـ قد يكون من الاعمال ما لا يمكن درك حسنه ، ومن المنهيات ما لا يعرف وجه قبحه . وهذا النوع لا حسن له الا الامر ، ولا قبح الا النهي . "١"

وبعبارة اخرى اقول :

معنى كلام الشيخ محمد عبده : ان الافعال الانسانية في نفسها حسنة وقبيحة ، او في الاثر الذي ينتج عنها ، وان من الافعال ما يستطيع العقل البشري معرفته ، وادراك حسنها او قبحها ، ومنها ما لا يستطيـع تمييزه الا اذا جاء الشرع فعرفه به . اما بأمره بفعله او بنهيه عنه .

---

١ ـ انظر : رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٩٠ ـ ٣٩٩).

واحيانا يكون العمل حسنا لكنه لا يدرك حسنه الا اذا امر الشرع به

ويكون قبيحا فلا يدرك قبحه الا اذا نهى الشرع عنه .

تقويم هذا الكـــــــلام :

==============

أرى أن هذا الكلام حسن ، لم يخرج قائله

عن تقسيم السلف لانواع الحسن والقبح .

فقد قسم الامام ابن القيم في كتابه : " مدارج السالكين بين منازل

اياك نعبد واياك نستعين " .

التحسين والتقبيح الى ثلاثة اقسام ، هي :ـ

==========================

القســـم الاول :

===========

ما طلب الله من العبد فعله لحكمة في نفس الامر ، لا يعلمها الا الله .

وذلك امتحانا وابتلاء له ، حتى يعلم طاعته او عصيانه .

وليس المراد فعل المطلوب من العبد ، وقد يكون المطلوب فعله حسنا

في العقل ، وقد لا يكون ، لكن العبد لا يدركه .

مثالـــــه :

لما امر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده ، وطلب منه ان

يفعل ما رأى ، عرض الاب رؤياه على ابنه ، فاستجاب الابن لامر الله .

فلما خرجا مستسلمين لامر الله ، وهم الاب بذبح ابنه فداه اللـــه

بذبح عظيم .

قال تعالى مصورا القصة الحقيقية ، والمشهد الحي ، لاب يذبح ابنه .

" فلما بلغ معه السعي قال يابني اني ارى في المنام اني اذبحك

فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ،
فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي
المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم " . " ١ "

القســـم الثانــي :

===============

ما يحصل فيه الحسن والقبح بخطاب الشارع ، فاذا امر الشارع
بشيء صار حسنا ، واذا نهى الشارع عن شيء صار قبيحا .
وذلك كأمره تعالى بالزواج ، ونهيه عن زواج المتعه ، او نهيه
ان يزيد على اربعة نساء ، او نهيه عن الزواج بالمحرمات .
فما امر به الشارع من النكاح صار حسنا ، وما نهي عنه الشارع
صار قبيحا ، مع ان ما نهى عنه لم يكن قبل ورود الشرع قبيحا .

القســـم الثالــث :

===============

ما يكون الفعل فيه مشتملا على مصلحة او مفسدة ولو لم يرد الشرع
بذلك ، كالعدل ، الذى فيه مصلحة العالم ، والظلم الذى فيه فسادهم .
وهذا القسم بامكان العقل السوى ان يعلمه من غير ورود الشرع . " ٢ "

---

١ ـ سورة الصافات الايات (١٠٢ ـ ١٠٧) .
٢ ـ بتصرف عن : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين
(١ : ٢٣١) . وما بعدها .

مقارنة بين كلام السلف وكلام الشيخ محمد عبده :
==============================

كما قلت قبل قليل عند تقويم كلام الشيخ محمد عبده ، انه لم يخرج عن دائرة وحدود السلف في مسألة حسن الافعال وقبحها .

فهو يقول ان الانسان يفرق بالبداهة بين ما هو حسن وما هو قبيح ، فهو يعرف ان العدل حسن والظلم قبيح ، ويدرك حسن الصدق وقبح الكذب .

ويقول ان الحس او العقل قادر على التمييز بين هذا وذاك دون التوقف على السمع وهو القسم الثالث من الاقسام عند ابن القيم .

ويقول ايضا : من الاعمال ما لا يمكن درك حسنه ، ومن المنهيات ما لا يمكن معرفة وجه قبحه ، وهذا لا حسن له الا الامر ، ولا قبح الا النهي .

وهذا النوع هو القسم الثاني عند ابن القيم .

اما القسم الثالث فلم يتعرض له الشيخ محمد عبده في كلامه ، وتميز به الامام ابن القيم رحمه الله تعالى .

وبناء عليه نجد الموافقة بين ما قاله الشيخ محمد عبده ، وما قالـه علماء السلف رضي الله عنهم .

٤ ـ القضـــاء والقدر

=============

عرف الشيخ محمد عبده القضاء : بعلم الله السابق بحصول الاشياء على احوالها في اوضاعها .

والقدر : بايجاده تعالى لها عند وجود اسبابها .

وعن علاقة علم الله بفعل الانسان قال :

(ولا شيء منهما يضطر العبد لفعل من افعاله ، فالعبد وما يجده من نفسه من باعث على الخير والشر ، ولا يجد شخص الا ان اختياره دافعه الى ما يعمل والله يعلمه فاعلا باختياره : اما شقيا به واما سعيدا) .

وقـــال : "١"

(ان قضاء الله في الفعل الانساني ليس لازما وقدره ليس حاتما) .

وعن اثر الايمان بعقيدة القضاء والقدر في نفوس المؤمنين ، ذكر كلاما يطول ذكره ، بين في نهايته ان عقيدة الاذعان للقضاء والقدر حسبت من اسباب الانحطاط عند المسلمين ، لانها نزعت بهم الى الكسل انتظارا لما يأتيهم من الغيب وبسطت ايدي اغنيائهم في الاسراف اتكالا على ما يسوقه عالم الغيب .

وذكر أن ذلك يعود الى سوء فهم ، سببه سوء فهم اهل هـــذه العقيدة . "٢"

---

١ ـ نهج البلاغة ، للامام علي ، اختيار الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ص ٣٧٥ .

٢ ـ انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٨١) نقلا عن (المؤيـــد) ، الصادرة في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٠ م العدد (٣٣٩٧)

وحتى لا اطيل في الكلام ، ومن اجل طبيعة البحث ، وما يقتضيه ، اری ان الخص في نقاط ما وضحه الشيخ محمد عبده من اثر الايمان بهذه العقيدة.[1]

١ ــ الاعتقاد بالقدر مما يلهم الانسان الصبر على ما نزل ، والثبات عند ملاقاة المصاعب ، وفي هذا تخفيف على النفس فلا تجزع اذا نزلت النوائب ، وتثبيت لها عند ملاقاة المصاعب وتجشمها ، فيحصل من ذلك عون لها على ملاقاة ما يصيبها .

٢ ــ الاعتقاد بالقدر مما يحفز الهمم للقضاء على الكسل وحب الراحة ، وينمي في النفوس حب العمل ، والاعتماد على ما وهبه الله من قوة بعد استمداد العون من الله ، والتوكل عليه .

٣ ــ الايمان بالقضاء والقدر يقضي على اليأس اذا هاجم القلوب ، ويذلل العقبات المعترضة سبيل المؤمن ، مع الاستعانة بالله والاخذ بالاسباب .

٤ ــ الاعتقاد بالقضاء والقدر يدحر الشيطان وينحيه عن طريق البذل والعطاء في سبيل الخير ، والاقدام والجود بالروح في سبيل الله ، لان الاعتقاد بالقضاء والقدر يلهم الانسان ان الارزاق محدودة والآجال مضروبة .

وينعى الشيخ محمد عبده في مقال له بعنوان " التوكل " علـــى المتواكلين ، المحتجين على تواكلهم ، وترك اعمالهم بالقدر .

ويبين ان هذه العقيدة فاسدة ، وبعيدة عن عقيدة وهدى ســلف الامة وسنة المصطفي صلى الله عليه وسلم .

---

١ ــ انظر : الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٨١ ، ٤٨٢) بتصرف .

يقــــول :

(نرى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو امامنا وقدوتنا ، لما بعث في دياجير الجهل ، وتحكم سلطان الشرور ، وقبائح العادات في الامم التي ارسل اليها لم يقل : ان ذلك ما أراده الله ، ولم يسلم امره للقدر بتـــرك العمل ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم ، اصابهم من الالام في الســـعي ما اصابهم ، مع انهم اشد الناس توكلا على الله ، وأكملهم تمسكا بالقدر في طريق الحق) . "١"

كما يصف الاحتجاج على ترك العمل بالقدر ، بأنه من عقائد الملحدين ، ويتهم من يزعم انه متوكل من المتظاهرين بالصلاح ، بالكـــذب والزندقة .

ويبين خطأ من يحتج على تواكله وكسله عن طلب الرزق ، برزق الله الطير والنمل ، وبقية مخلوقاته .

يقــــــول :

(الاحتجاج على ترك العمل بالقدر من عقائد الملحدين ، وقـــد جاء الكتاب الكريم بتشنيع اعتقادهم والنعي عليهم فيه ، وقد حكى لنا ما كانوا يقولون من نحو قوله تعالى : " سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ، ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون" . "٢"

---

١ ـــ انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ١٥٣) .

٢ ـــ سورة الانعام اية (١٤٨) .

فلا يسوغ لاحد منا وهو يدعي انه مؤمن بالقران ان يحتج بما كان يحتج به المشركون .

ومن يزعم انه متوكل من المتظاهرين بالصلاح فهو كاذب زنديق "١" لانه انما يدعي التوكل اذا طولب بأمر فيه مشقة عليه ، او يجد في نفسه عجزا عنه ، لا سيما اذا كان في مصلحة عامة فهو يرض بما يجد .

فاذا رجع اولئك المتبتلون الى منافعهم الخاصة لم تجد للتوكل في نفوسهم اثرا ، فهم يغشون ويخادعون ويحتالون لتحصيل ما به يعيشون او ما به على الناس يظهرون وحينئذ لا يرجعون الى التوكل فهم كذبة لا يصح الاقتداء بهم)

ويبين الشيخ محمد عبده خطأ من يحتجون بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " . "٢"

ويفسرونه بأننا لو القينا اثقالنا على الله ، وتركنا اسباب عيشنا في كسبنا ومأكلنا ومطبخنا ومرقدنا لرزقنا كما يرزق الطير ...

يقـــــول :

(هذا الفهم خطأ بعيد عن المراد ، ولولا ذلك لقال صلى الله عليه وسلم : لرزقكم كما ترزق الطير تلبث في اعشاشها ، وتفتح افواهها ،

---

١ — لا اوافقه في هذا الوصف ، لان الزنديق من خرج عن دين الله ، وعمل على هدم ما فيه وسخر لذلك كل ما يملك : كعبد الله بن سبأ ، وغيره من رؤوس الفرق الضالة . ولو وصفهم بالدروشة ، او ما شابهها لكان افضل .

٢ — رواه الترمذى عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال : حديث حسن .

ومعنى "خماصا" : ضامرة البطون من الجوع ، و"بطانا" : ممتلئة البطـــون .

انظـــر : رياض الصالحين ، للنووى ص ٦٦ .

فتصبح خماصا ، وتمسي بطانا .

يظنون ان هذا الحديث حث على البطالة وترك العمل ، مع انه جاء للحث على العمل .

والكلام في معنى : حق التوكل ، ظنوه ترك العمل والسعي بالمرة ، وهو خطأ محض .

فالمراد من حق التوكل : ان يعتمد الانسان على الله سبحانه وتعالى مع اتباع سننه التي سنها في الطلب ، فيحصل الصالح من اسباب مطلوبه مما جعله الله سببا ، ويدقق النظر في ذلك ما شاء حسبما طالبه الله تعالى به .

ثم بعد ان يستعمل الاسباب يناجي ربه بسره : ان قد اتيت بما في استطاعتي ، على مقدار ما وهبتني ، وما بقي ، مما لا اعلم ولا املك ، فهو في يدك ، فأعني بقدرتك ، ولا تحرمني من معونتك ، ثم يمضي في عمله .

هذا هو حق التوكل وقد اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : " تغدو خماصا وتروح بطانا " . "١"

تقويم كلام الشيخ محمد عبده :
===================

عقيدة الشيخ محمد عبده في القضاء والقدر هي مما اجمع عليه سلف الامة ، وائمتها ، وقررها علماء السلف المتأخرين في كتبهم وحثوا الناس على الايمان بها خيرها وشرها من الله تبارك وتعالى .

---

١ ـ انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ١٥٤) .

وان الايمان بهذه العقيدة احد الاركان الستة التي يدور عليها فلك الايمان ، كما دل عليه حديث جبريل عليه السلام " ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ... " . " ١ "

واليك نبذة مما قاله مقرر مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا الموضوع :-

قال : ان الايمان بالقدر على درجتين ، وان كلا منها تتضمن شيئين :

فالدرجة الاولى ، تتضمن :

==================

اولا : الايمان بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم المحيط بجميع الاشياء ، وانه تعالى علم كل ما سيعمله الخلق ، وعلم جميع احوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والاجال .

ثانيا : ان الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ . فما سجله الله من مقادير الخلق التابع لعلمه القديم تارة يكون جملة كما في اللوح المحفوظ ، فان فيه مقادير كل شيء . ويكون في مواضع تفصيلا يخص كل فرد كما هو الحال في الجنين قبل النفخ فيه يبعث الله اليه ملكا ، فيؤمر بأربع كلمات فيقال له : اكتب رزقه واجله وعمله وشقي ام سعيد .

---

١ ـ الحديث صحيح من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
انظر : الاربعين النووية ، الحديث الثاني .

واما الدرجة الثانية ، فتتضمن :

اولا : الايمان بعموم مشيئته تعالى وان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وان افعال العباد واقعة بتلك المشيئة .

ثانيا : الايمان بأن جميع الاشياء واقعة بقدرة الله ، وانها مخلوقة له ، لا خالق لها سواه . "١"

هذا عن درجات الايمان بالقدر ...

وعن علاقة علم الله في فعل العبد قال ، موضحا "٢" :

(ان الله تعالى علم الامور وكتبها على ما هي عليه ، فهو سبحانه قد كتب : ان فلانا يؤمن فيعمل صالحا فيدخل الجنة ، وفلانا يفسق ويعصي فيدخل النار ....

فمن قال : ان كنت من اهل الجنة فأنا ادخلها بلا عمل صالح كان قوله قولا باطلا متناقضا لما علمه الله وقدره ... فمن ظن انه يدخل الجنة بلا ايمان كان ظنه باطلا .

واذا اعتقد ان الاعمال التي امر الله بها لا يحتاج اليها ولا فرق بين ان يعلمها ، أو لا يعلمها كان كافرا ، والله قد حرم الجنة الا على اصحابها) "٣"

وحاصلـــــه :

لا دخل لعلم الله في عمل الانسان الاختيارى سواء كان شرا او خيرا . لكن الله بعلمه الكاشف لجميع المعلومات في الماضي والحاضر والمستقبل على وجه

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ١٥١ ـ ١٥٦ .
وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٢ ، ٣٠٢ .

٢ ـ وهذا هو الذى ذكره فى الدرجة الاولى من درجات الايمان بالقدر .

٣ ـ مجموعة الرسائل الكبرى ، رسالة القضاء والقدر (٢ : ٩٢) .
وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٢ ، ٤١٥ .

الاحاطة والشمول ، علم ما سيكون من امر فلان فكتبه على ما هو عليه .

وهذا لن يتغير مما علمه الله وكتبه ، وهو عندى معنى كلام الشيخ محمد عبده السابق في مسألة خلق افعال العباد (فلا شيء في العلم بسالب للتخيير في الكسب ، وكون ما في العلم يقع لا محالة انما جاء من حيث هو الواقع ، والواقع لا يتبدل) .

ويعجبني ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في مذهب اهل السنة والجماعة ، في مسألة القدر ، والمسائل الاخرى السابقة الذكر ، قال :

(مذهب اهل السنة والجماعة ان الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه ، لا رب غيره ولا خالق سواه ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم والعبد مأمور بطاعة الله ، وطاعة رسوله ، منهي عن معصية الله ومعصية رسوله ، فان اطاع كان ذلك نعمة ، وان عصى كان مستحقا للذم والعقاب ، وكان لله عليه الحجة البالغة ، ولا حجة لاحد على الله تعالى ، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ، ومشيئته وقدرته ، لكن يحب الطاعات ويأمر بها ، ويثيب اهلها على فعلها ، ويبغض المعصية ، وينهى عنها ، ويعاقب اهلها ويهينهم ...

فلا بد ان يؤمن العبد بقضاء الله وقدره وان يوقن بشرعه وامره) . "١"

والشيخ محمد عبده ، من الذين يؤمنون بهذا كله ، ويوقنون بشرعه وأمره ، وعلى هذا فهو من اهل السنة والجماعة في هذه المسائل ، على ما بينت سابقا ، والله أعلم .

---

١ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٨ : ٦٣) .

٢ ـ وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٧ ، ٤١٠ وما بعدها .

٥ ـ جواز رؤيته تعالى في الآخــــرة

مذهب الشيخ محمد عبده :

يرى الشيخ محمد عبده ان هذه المسألة محل اتفاق بين جميع المنزهين ، لا مجال معه للتنازع .

ويقرر الشيخ محمد عبده الواجب على المسلم نحو ربه في هذا ، فيقول :

(الواجب علينا هو الايمان بأن الله يرى على وجه منزه عما هو من خواص الحوادث) . "١"

لكن الشيخ محمد عبده يرى ان هذه الرؤية لا تكون على المعهود من رؤية البصر ، المعروفة لنا في مجرى العادة ، بل هي رؤية لا كيف فيها ، ولا تحديد . ومثلها لا يكون الا ببصر يختص الله به اهل الدار الاخرة ، او تتغير فيه خاصته المعهودة في الحياة الدنيا .

وفي هذا المعنى يقول :

(ولم يكن بأية قوة من قوانا ، او بقوة جديدة يخلقها في ذلك الوقت ، في اى عضو من اعضائنا ، وان كان القلب) . "٢"

---

١ ـ انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٣٩) .

٢ ـ نفس المصدر ونفس الصفحة .

فهو اذا ، يؤمن بوقوع الرؤية ، لكن على كيفية لا نعلمها ، يختص الله بها المؤمنين من أهل الدار الآخرة .

أما المكذبين بيوم الدين : (فسيكونون يوم القيامة في المكان الدون وموقف الهون و "انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" . "١"

ولا يحجب عن الرب الكريم الا المخذول المرذول الذليل المهين) . "٢"

ويقول :

(من كان هذا شأنه ، فماذا يكون حاله يوم يتجلى الجبار ، ويرتفع الستار) . "٣"

مناقشـــة هذا المذهـــب :

================

أقـــــول :—

وفيما قاله الشيخ محمد عبده ، في هذا المذهب مجال لتعقيب .

وسأعقب على قوله : (وليكن بأية قوة من قوانا ، او بقوة جديدة يخلقها في ذلك الوقت في أي عضو من اعضائنا ، وان كان القلب) .

فالشيخ محمد عبده ، لا ينكر الرؤية ، بل يصدق بوقوعها في الدار الاخرة ، لصحة الاخبار الواردة عن الله تعالى ، وتواتر الاخبار والاحاديث الدالة عليها .

لكنه رأى عدم اشتراط وقوعها بالبصر عيانا ، فقد تكون بقوة اخرى مخلوقة في الانسان ، — لم يبينها الشيخ محمد عبده — ، او تكون بقوة جديدة

---

١ — سورة المطففين اية (١٥) .
٢ — انظر : الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٥٨) .
٣ — نفس المرجع (٥ : ٣٣٤) .

يخلقها الله في الانسان يوم القيامة في اى عضو من اعضاء جسمه ، كالقلب .

واني ارى عدم صحة هذا المذهب ، وبعده عن مذهب اهل السنة والجماعة ومخالفته للايات الكريمة ، والاحاديث المتواترة ، واقوال الصحابة وكبار ائمة المسلمين من اهل العلم ، الذين اثبتوا رؤية الله تعالى يوم القيامة حقيقة عيانا بالابصار اكراما وتفضلا منه تعالى لعباده المؤمنين .

يقول الامام ابن القيم في " حادى الارواح " :

(قد دل القرآن والسنة المتواترة ، وأجماع الصحابة وائمة الاسلام ، واهل الحديث عصابة الاسلام ونزل الايمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس في الظهيرة) . "١"

أدلة السلف في الرؤيـــة :

استدل السلف رضي الله عنهم ، على مذهبهم في اثبات رؤية الحق سبحانه يوم القيامة ، بأدلة من القرآن والسنة ، وأقوال بعض الصحابة والتابعين وما نقل عن الائمة الاربعة ، ونظرائهم . "٢"

وبحثي هذا ، لا يتسع لكتابة ما قيل في هذه المسألة ، لخصوصيتها ، وكثرة ما فيها من أقوال ، وقد كتب زميل لي رسالة " ماجستير " بعنوان " رؤية اللـــه " . "٣" .....

---

١ ـ حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ٢٤١ .

٢ ـ انظر حادى الارواح ص ٢٣٥ .

٣ ـ رسالة ماجستير مقدمة من الطالب احمد الناصر الحمد ، بقسم الدراسات العليا ، فرع العقيدة ، باشراف الدكتور عوض الله جاد حجازى .

لذلك ، فانني اكتفي بذكر سبعة ادلة من كل مصدر ، رجع اليه المثبتون للرؤية ، واعتقد ان هذا يكفي في الرد على المنكرين ، مهما كانوا ، وبه تتحقق الفائدة المرجوة من البحث ، وهي ابراز الحق ، وتأييد اهله ، وبيان موافقة الشيخ محمد عبده لاهل الحق في ثبوت الرؤية ، ومخالفته اياهم في كونها بالعين المبصرة او اى عضو من اعضاء الجسد ، كالقلب .

ولسوف يظهر لك من خلال الادلة ، ان رؤية الله تعالى يوم القيامة ، وفي الدار الاخرة تكون بالعين ، لا بشيء اخر غيرها .

١ ـ الادلة من القران :

===============

(الدليل الاول) :

=========== قال تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ، قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين " . "١"

وجه الاستدلال :

=============

استدل السلف بهذه الاية على جواز رؤيته تعالى من سبعة اوجه :

الوجه الاول :

======== ان سؤال موسى عليه السلام الرؤية ، دل على عدم امتناعها ، لانه

---

١ ـ سورة الاعراف اية (١٤٣) .

رسول من عند الله ، لا يجوز ان يكون جاهلا ، فيسأل ربه مالا يجوز عليه .

الوجه الثانـــي :
========== ان الله تعالى لم ينكر على موسى سؤاله ، ولو كان محالا لانكره عليه .

يشهد لهذا انكاره تعالى لنوح عليه السلام لما سأله ان ينجي ابنه ،
قال تعالى : " اني اعظك ان تكون من الجاهلين " . " ١ "
يوضح هذا قول نوح عليه السلام لربه " قال رب اني اعوذ بك ان أسألك ما ليس لي به علم ، والا تغفرلي وترحمني اكن من الخاسرين " . " ٢ "
بينما لم ينكر على ابراهيم عليه السلام حين سأله ان يريه كيف يحيي الموتى .
ففي انكاره على نوح دليل على عدم جواز ما سأل ،
وفي عدم الانكار على ابراهيم دليل على جواز ما سأل .
فيثبت جواز طلب موسى الرؤية ، لثبوتها .

الوجه الثالـــث :
========== انه تعالى اجاب موسى بقوله : " لن تراني " ، ولم يقل : لا تراني ، ولا اني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي .
والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله .
اذ الرؤية في الاية ثابتة ولكنها لن تتحقق لموسى ، فهي تدل على النفي في المستقبل .
اما لو قال : لا تراني ، فان ذلك يعني عدم ثبوت الرؤية ودوام النفي . تماما كمن يقول لانسان اعمى : لن ترى القمر ، لانه فاقد البصر .

---

١ ـ سورة هود اية ٤٦ .
٢ ـ سورة هود اية ٤٧ .

الوجه الرابــــع:

========== اعلم الله موسى ان الجبل مع ما فيه من قوة وصلابة لا يثبت لتجليه له ، في هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف ؟ فان قواه لا تحتمل رؤيـــة الله تعالى في هذه الدار لضعف القوة البشرية عن رؤيته تعالى فيها .

الوجه الخامـــس :

=========== ان الله تعالى علق الرؤية على شرط جائز ، وهو استقرار الجبل ، والمعلق على الجائز جائز ، بمعنى اخر انه سبحانه علق جواز رؤيته على امر ممكن في ذاته مقدور له تعالى وهو استقرار الجبل ، فلو كانت الرؤيــــة مستحيلة لما علقها بالممكن .

الوجه السادس :

=========== اذا جاز ان يتجلى الرب للجبل الذى هو جماد لا حياة فيه ، ولا ثواب ولا عقاب فكيف يمتنع ان يتجلى لانبيائه ورسله واوليائه فى دار كرامتـه ويريهم نفسه ؟

الوجه السابع :

========== ان ربه سبحانه وتعالى قد كلمه ، وخاطبه وناجاه ، بلا واسطة ، ومن جاز عليه هذا فرؤيته اولى بالجواز .

ولعدم علم موسى بالتفريق بين الرؤية والكلام طلب من ربه ان يراه كما كلمه .

(الدليل الثاني) :

============ قال تعالى : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " . " ١ "

---

١ ـ سورة المطففين اية (١٥) .

وجه الاســـتدلال :

============

هذه الاية تثبت عدم رؤية المكذبين بيوم الدين لله رب العالمين • وفي حرمان من نعمة عظيمة ، خصها الله للمؤمنين ، وهي نعمة النظر الى وجهه الكريم •

ولو لم تثبت الرؤية لتساوى الكل في عدمها • وكان المؤمن ايضا محجوبا عنه تعالى •

والاستدلال بهذا الوجه هو ما يسمى عند الاصوليين بمفهوم المخالفة •

(الدليل الثالث) :

============ قال تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير " • "١"

وجه الاســـتدلال :

============

استدل السلف بهذه الاية الكريمة من وجوه ، منها :

الوجه الاول :

========= ان الله سبحانه نفى ان يدرك بالبصر بمعنى انه لا يحاط به رؤية ، ولم ينف الرؤية • اما الادراك فهو الاحاطة بالشيء ، وهو قدر زائد على الرؤية •

الوجه الثاني :

========= ان في الاية تمدح للرب سبحانه فهو لا تدركه الابصار لغاية عظمته وانه اكبر من كل شيء ، وانه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به •

ومعلوم ان المدح انما يكون بالاوصاف الثبوتية ، اما العدم المحض فلا

---

١ ــ سورة الانعام اية (١٠٣) •

يمدح به الا اذا تضمن امرا وجوديا كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي النسيان المتضمن كمال علمه ... .

الوجه الثالـــث :

============ يشهد لهذا ما جاء في اللغة . فانك اذا قلت : فلان لا مثل له . اوليس له نظير ولا شبيه ، انه قد تميز عن غيره بأوصاف لا يشاركه فيها احد .

فقوله تعالى : " لا تدركه الابصار " من ادل شيء على انه يرى ولا يدرك .

(الدليل الرابـــع) :

============= قال تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة" . "١"

وجه الاستدلال :

========== هذه الاية تحكي مشهد المؤمنين يوم القيامة اصحاب الوجـوه البهية الحسنة وهم يتمتعون بلذة النظر الى وجهه الكريم ، نظرا حقيقيا .

وقد رد السلف على أهل التأويل الذين فسروا النظر بالانتظار أو التفكر أو غير ذلك

بأن النظر يرد في اللغة لمعان كثيرة ، وله عدة استعمالات بحسـب صلاته وتعديه بنفسه :

فان عدى (بنفسه) فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى : " انظرونا نقتبس من نوركم " . "٢"

وان عدى (بفي) فمعناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى : " اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض " . "٣"

---

١ ـ سورة القيامة الايات (٢٢ ـ ٢٣) .

٢ ـ سورة الحديد اية (١٣) .

٣ ـ سورة الاعراف اية (١٨٥) .

وان عدى (بالى) فمعناه المعاينة بالابصار كقوله تعالـــى :

" انظروا الى ثمره اذا اثمر ". "١"

(الدليل الخامـــس) :

================ قاله تعالى : " الذين يظنون انهم ملاقوا ربهـــم

وانهم اليه راجعون ". "٢"

وجه الاســــتدلال :

=============

اجمع اهل اللسان على ان اللقاء متى نسب الى الحي السليم من

العمى ، والمانع اقتضى المعاينة والرؤية . وهكذا يكون المؤمنون يوم القيامة امام

بارئهم .

(الدليل السادس) :

=============== قال تعالى : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا

يرهق وجوههم قتر ولا ذلة واولئـك

اصحاب الجنة هم فيها خالدون ". "٣"

وجه الاســــتدلال :

================

قال اهل العلم من المفسرين ان الحسنى هي الجنة ، والزيادة

هي النظر الى وجهه الكريم ، وبهذا فسر الاية رسول الله صلى الله عليه وسلم. "٤"

---

١ ـ سورة الانعام اية (٩٩) .

٢ ـ سورة البقرة اية (٤٦) .

٣ ـ سورة يونس اية (٢٦) .

٤ ـ سيأتي بعد قليل ان شاء الله .

(الدليل السابع :

==============

قال تعالى : " لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد " . "١"

وجه الاستدلال :

==============

روى عن جمع من الصحابة أن ال " مزيد " من لدن الله هو النظر الى وجهه عز وجل .

انتهت ادلة السلف من القران في مسألة الرؤية . وأحب أن أشير الى ان الدليل الاول ، والخامس يدلان على جواز الرؤية .

أما بقية الادلة فتدل على وقوعها .

وهذا الذى ذكرت هو مذهب السلف ، واهل السنة من المفسرين لكتاب الله تعالى ، من أصحاب التفسير بالأثر ، وبعض أهل الرأى ، وجماعة من المسلمين . "٢"

---

١ - سورة ق اية (٣٥) .

٢ - انظر : حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ١٩٦ - ٢٠٤ .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٠ - ٢٣٣ .

وانظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخازن (١ : ١١١)(٣

وانظر : تفسير ابن كثير (٢ : ٥٩ - ٦٠) .

وانظر : روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني (٣ : ٢٠٤) ، (٩ : ٥٥) .

وانظر : روح البيان ، لاسماعيل بن حقي البروسوى ، دار سعادت مطبعة عثمانية (٣ : ٢٣٩) .

وانظر : اضواء البيان في تفسير القران بالقران ، للشنقيطي (٢ : ١٨٤ ، ٢٩٧) الطبعة الثانية .

وانظر : في ظلال القران لسيد قطب ، (٦ : ٣٨٥٨ ، ٣٧٧١) الطبعة الثانية .

وانظر : تفسير النسفي ، ابو حفص عمر بن محمد النسفي ، (٤ : ٣٤٠) .

٢ ـ الادلة من السنة :

===============

(الدليل الاول) :

============= روى ابو هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا :

يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : " هل تضارون "١" في رؤية القمر ليلة البدر " ؟ قالوا : لا يارسول الله . قال : " هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب " ؟ قالوا : لا .

قال : " فانكم ترونه كذلك ... " . "٢"

وجه الاستدلال :

==============

يفيد الحديث وقوع الرؤية يوم القيامة على الحقيقة من غير لبس .

فكما يرى الشخص القمر في ليلة البدر ، او الشمس في يوم صحو من غير واسطة .

فان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كذلك واضحا كل الوضوح .

فيعرفونه .

(الدليل الثاني) :

============= روى عدى بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه " . "٣"

---

١ ـ تضارون : يعني تضامون اى تزدحمون فلا تلحقكم مشقة .
انظر : مختار الصحاح ص ٣٧٩ .

٢ ـ هذا الحديث روى ايضا من طريق ابي سعيد الخدرى في الصحيحين .
الحديث متفق عليه ، رواه البخارى (٤ : ٢٠٠) ، ومسلم (١ : ١٦٣) ،
وانظر : كتاب التوحيد ص ١٧٠ .

٣ ـ صحيح البخارى (٤ : ٢٠٣) ، انظر حادى الارواح (٢٢١) ، =

وجه الاستدلال :

============== يفيد الحديث وقوع اللقاء بين الرب وعباده ، ولا يعقل ان يكون لقاء من غير نظر ، فكما يقع الكلام بلا واسطة ، يكون النظر كذلك .

(الدليل الثالث) :

============== عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر الى القمر ليلة اربع عشرة فقال : " انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا " . "١"

وجه الاستدلال :

==============

هذا الحديث يدل على وقوع الرؤية بالبصر عيانا ، من غير واسطة ، تماما كما يرى الواحد منا القمر ليلة البدر ، لا يحتاج ذلك الى دليل .

(الدليل الرابع) :

============== روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون شيئا ازيدكم ؟ فيقولون : الم تبيض وجوهنا ، الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب . فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم " . "٢"

= وانظر كتاب التوحيد (١٤٩ ، ١٥٠) .
وفي كتاب التوحيد عن بريدة بن الحصيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان " ص ١٧١ .

١ — صحيح ، رواه البخاري (٤ : ٢٠٠) ، وانظر كتاب التوحيد ص ١٦٩ .

٢ — انظر حادى الارواح ص ٢١٢ ، وكتاب التوحيد ص ١٨٠ — ١٨٥ .

ثم تلا هذه الاية : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " . "١"

وجه الاستدلال :

==============

يفيد الحديث وقوع اللقاء بين الرب واهل الجنة ، ومن نعمة الله على عباده ان يكرمهم بلذة اخرى اكبر واعظم من دخول الجنة ، هي لذة النظر الى وجهه الكريم من غير تغيير في خلقتهم ، فيرونه بأبصارهم .

وهي الزيادة التي فسرها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى " وزيادة " .

(الدليل الخامس) :

=============

عن ابي امامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، وكان اكثر خطبته ذكر الدجال ... فيقول ـ يعني الدجال ـ انا نبي ولا نبي بعدي . قال : ثم يثني فيقول : ـ انا ربكم . " وهو اعور وربكم ليس بأعور ولن تروا ربكم حتى تموتوا " . "٢"

وجه الاستدلال :

=============

يشير الحديث الى ان رؤية الرب تعالى لا تكون في الدنيا ، ومحلها الدار الاخرة بعد الموت ، ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدخل على الناس تلبيس الدجال .

فان الرب يتصف بجميع صفات الكمال والجلال وسيرى يوم القيامة على هذا .

---

١ ـ سورة يونس اية (٢٦) .

٢ ـ صحيح البخاري (١ : ١٩١) ، صحيح مسلم (٤ : ٢٢٤٨) ، وانظر حادي الارواح ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، وكتاب التوحيد ص ١٨٥ .

(الدليل السادس) :

============== عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يزور اهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة ـ وذكر ما يعطون ـ ثم يقول الله تبارك وتعالى : اكشفوا حجابا ، فيكشف حجاب ثم حجاب ، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه ، فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك ، وهو قوله تبارك وتعالى " ولدينا مزيد " ، "١" ، "٢"

وجه الاستدلال :

==============

يفيد الحديث زيارة اهل الجنة ربهم ، فينالون منه العطايا الكثيره وخير هذه ، ما يكون بعد كشف الحجاب ورفع الاستار ، وهو اشراقه وجهه الكريم على عباده الزائرين ، هي نعمة كأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك ، لما فيها من لذة عظيمة .

(الدليل السابع) :

=============== روى البخارى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار " اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الحوض "."٣"

وجه الاستدلال :

=============== الحديث يفيد ملاقاة الله عباده يوم القيامة في الاخرة ، وقد تقدم معنى الملاقاة ، وحكى ابن القيم اجماع اهل اللسان على

---

١ ـ سورة ق اية (٣٥) .
٢ ـ انظر حادى الارواح ص ٢١٥ .
٣ ـ صحيح البخارى (٤ : ٢٠٢) .

ان اللقاء متى نسب الى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية .

انتهت ادلة السلف من السنة ، وأشير الى ان منها ما يفيد وقوع الرؤية الحقيقية عيانا بالابصار ، ومنها ما يفيد جواز وقوعها .

وعلى كل ، فان احاديث وقوع الرؤية متواترة ، رواها جمع عن جمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الامام ابن القيم :

(اما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الدالة على الرؤية ، فمتواترة) . "١"

وعدّ ابن القيم ما يزيد على خمسة وعشرين صحابيا ممن رووها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر منهم ابوبكر ، وعلي ، والعبادلة الاربعة "٢" ، وجمع غفير من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين "٣" ، نقلها من الصحاح والمسانيد والسنن ، "٤" .

---

١ ـ حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ٢٠٥ .

٢ ـ عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو .

٣ ـ قال الطبري : فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة . حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا .
انظـــر : حادى الارواح ص ٢٣٣ .

٤ ـ وقال يحيى بن معين : عندى سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح .
أنظر : حادى الارواح ص ٢٣٣ .

٣ - من أقوال الصحابـــة : "١"

==================

١ - ابو بكر الصديق رضي الله عنه :

=======================

قرأ ابو بكر الصديق قوله تعالى : "للذين احسنوا الحسنى وزيادة". فقالوا : ما الزيادة ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : النظر الى وجه الله تبارك وتعالى .

٢ - علي رضي الله عنه :

================

قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه : من تمام النعمة دخول الجنة والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى في جنته .

٣ - ابو موسى الاشعرى رضي الله عنه :

=========================

عن ابي موسى الاشعرى انه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم . فقال ما صرف ابصاركم عني ؟ قالوا : الهلال . قال : فكيف بكم اذا رأيتم وجه الله جهرة .

٤ - عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

========================

قيل لابن عباس : كل من يدخل الجنة يرى الله ؟ قال : نعم .

---

١ - انظر حادى الارواح ص ٢٣١ - ٢٣٣ .

٥ ـ معاذ بن جبل رضي الله عنه :

====================

قال معاذ : يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد ، فينادى ، اين المتقون ؟ فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر .

٦ ـ عبد الله بن عمر رضي الله عنه :

======================

قال ابن عمر : ان افضل اهل الجنة منزلة من ينظر الى وجه اللـــه في كل يوم مرتين .

٧ ـ انس بن مالك رضي الله عنه :

======================

قال في قوله تعالى : " ولدينا مزيد " : يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة .

أقول : قد دلت هذه الاقوال ، وهي لكبار الصحابة رضي الله عنهم ، ممن لازموا الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه ، على ثبوت رؤيته تعالى في الاخرة .

قال البيهقي :

(روينا في اثبات الرؤية عن ابي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وابي موسى وغيرهم . ولم يرو عن احد منهم نفيها .

ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك الينا ، كما انهم لما اختلفوا في رؤية الله بالابصار في الدنيا ، نقل اختلافهم في ذلك الينا ، فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالابصار في الاخرة عنهم ، ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا ، علمنا انهم كانوا على القول برؤية الله

بالابصار في الاخرة متفقين ومجتمعين) • "١"

فلعل في قول البيهقي هذا ما يصرف النظرعما قاله الشيخ محمد عبده ، فيما مضى ، (ولميكن في اية قوة من قوانا ، او بقوة جديدة يخلقها في ذلك الوقت في اى عضو من اعضائنا ، وان كان القلب) ، لانه بذلك يخالف اتفاق الصحابة على القول برؤية الله بالابصار في الاخرة •

---

١ _ انظر حادى الارواح ص ٢٣٣ •

٤ ـ من أقوال التابعيـــن :

هذه أقوال بعض التابعين من ائمة الحديث والفقه والتفسير ، وائمة التصوف ، انقلها اليك لانها مما يصح الاستشهاد به بل الالتزام به ، كيف لا وهم ابناء المهاجرين والانصار من صحابة المصطفي صلى الله عليه وسلم .

١ ـ سعيد بن المســيب :

قال سعيد : " الزيادة " هي النظر الى وجه الله .

٢ ـ سعيد بن جبيــر :

قال سعيد : ان اشرف اهل الجنة لمن ينظر الى الله تبارك وتعالى غدوة وعشـــية .

٣ ـ الحسن البصرى :

قال الحسن : لو علم العابدون انهم لا يرون ربهم في الاخرة لذابت انفسهم في الدنيا .

٤ ـ علي بن المديني :

قال عليّ : سألت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا " "١" ، قال : من اراد النظر الى وجه خالقــه فليعمل عملاً صالحا ولا يخبر به احداً .

---

١ ـ سورة الكهف اية (١١٠) .

٥ ـ هشام بن حسان :

===============

قال هشام : ان الله سبحانه وتعالى يتجلى لاهل الجنة ، فاذا رآه اهل الجنة نسوا نعيم الجنة .

٦ ـ طاووس :

===========

قال طاووس : اصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا اهل السنة .

٧ ـ عمر بن عبد العزيز :

=================

قال عمر : فان بتقوى الله نجا اولياء الله من سخطه ، وبها رافقوا انبياءه وبها نضرت وجوههم ونظروا الى خالقهم .

٥ — من أقوال الائمة الأربعـــــة ، ونظرائهم وشيوخهم ، واتباعهم ... "١"

==================

١ — الامام مالك بن انس :

================

قال مالك : الناس ينظرون الى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم ، ... لا ينظرون ما عنده ، بل ينظرون اليه نظرا .

٢ — عبد العزيز بن سلمة الماجشون :

=====================

قال ابن الماجشون : فورب السماء والارض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ، ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين ، وتفلج بها حجتهم على الجاحدين ، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا انه لا يرى ، ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم .

٣ — الامام محمد بن ادريس الشافعي :

======================

قال الشافعي في قول الحق سبحانه "كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" لما حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على ان اولياءه يرونه في الرضا . قال الربيع فقلت يا ابا عبد الله ، وتقول به ؟ قال نعم . وبه الدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى الله عز وجل لما عبده .

٤ — الامام احمد بن حنبل :

=================

قال الامام احمد : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي ... ومن قال ان الله لا يرى في الاخرة فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه .

---

١ — انظر حادي الارواح ص ٢٣٥ — ٢٤١ .

٥ ـ ابو عبيد القاسم بن سلام :

==================

قال ابو عبيد : احاديث الرؤية عندنا حق رواها الثقات عن الثقات الى ان صارت الينا .

٦ ـ الامام محمد بن اسحق بن خزيمة :

=========================

قال الامام ابن خزيمة : ان المؤمنين لم يختلفوا في ان المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ، ومن انكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

٧ ـ ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب :

=========================

قال ابو العباس : اجمع اهل اللغة على ان اللقاء يوم القيامة لا يكون الا معاينة ونظرا بالابصار .

" خاتمـــة " :

================

وبهذا نعلم ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة معاينة ونظرا بالابصار ، وهو ما دل عليه القران الكريم ، والسنة المتواترة الصحيحة واجماع الصحابة ، واتفاق الائمة واهل التفسير واهل الحديث وائمة التصوف واهل اللغة واتباعهم على طريقهم ومناهجهم .

فلا يحق لاحد بعد هذا ان ينكر الرؤية التي اثبتها الله لنفسه واثبتها له رسوله ، وصدق بها صحابته الاخيار ، وورثته من اهل العلم والتقوى .

ومن اعتقد غير هذا ، حق عليه قول ربنا " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " ، وكان يوم القيامة في المكان الدون وموقف الهون ، ولا يحجب عن الرب الكريم الا المخذول المرذول الذليل المهين . كما قال الشيخ محمد عبده رحمه الله آميــن .

===

البـــــاب الثالـــــــث

==================

" النبـــــــــوات "

يشتمل هذا الباب ـ بعد تمهيد يبين مجمل الامور التي يدور بحث النبوات حولها ، وموقعها فى علم العقائد ـ على خمسة فصول :

الفصل الاول : تعريف النبي والرسول •

الفصل الثاني : حاجة البشر الى الرسالة •

الفصل الثالث : الوحي وامكانه •

الفصل الرابع : وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام •

الفصل الخامس : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن معجزة الاسلام الخالدة •

تمهيـــــد :

========

قبل ان اعرض مذهب الشيخ محمد عبده في النبوات ، ارى ان ابين اهمية البحث في النبوات ، واهم ما يدور البحث عنه فيها :

وهو وجه ما يجب على المؤمن اعتقاده في الرسالة من حيث امكانها او وجوبها او امتناعها ، ثم اهي اصطفاء واجتباء منه تعالى ام لا ؟ ثم ما هو النبي والرسول ، وما صفاتهما ؟ وما هي المعجزة ؟ وكيف تدل على صدق صاحبها ؟ وما يجب للانبياء من صفات ، وما يستحيل عليهم ؟

ثم وجوب الاعتقاد برسالة خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما جاء به من عند ربه ، وان القران معجزة الاسلام الخالدة .

× × ×

أهمية البحث في هذا الباب تأتي من جهة ان الاعتقاد ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام احد اركان الاديان ، والتصديق بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ركن من اركان دين الاسلام .

فيجب على كل مؤمن ان يؤمن بالرسل ، وبصحة ما جاؤا به من عند الله ، ويعتقد انهم بلغوا عن الله ما امروا بتبليغه ، بكل دقة وامانة ...

وان علينا تصديقهم في كل ما قالوه ، والاقتداء بهم في سلوكهم ، وان نصدق بعلو فطرهم ، وصحة عقولهم ، وسلامة ابدانهم ، مما تنبو عنه الابصار ، وتنفر منه الاذواق السليمة ، ...

اما فيما عدا ذلك من اكل وشرب ، ومشي ونوم ، وصحة ومرض ... فنؤمن بأنهم بشر كسائر افراد البشر ، يعتريهم ما يعترى غيرهم مما لا علاقة له بتبليغ الاحكام او الغض من قيمتها ، او التشكيك في صحتها ..."[1]

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص (٦٥ ، ٦٦) .

ومن جهة اخرى ، فان النبوات هي طريق الوصول الى ما يجب اعتقاده في الاله وفي صفاته وفي افعاله ، وهي الوسيلة التي يمكن بواسطتها ان نتعرف على احوال الاخرة من الموت وما بعده من : بعث ونشور ، وعرض وحساب ، وميزان وصراط ، وجنة ونار ... الى آخره من الامور التي لا تعلم الا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولست هنا بصدد ذكر اقوال العلماء وارائهم في امر النبوات ، فليس ذلك موضوع بحثه .

ولكني سأقتصر على بيان اراء الشيخ محمد عبده في الموضوع ، مقارنة بآراء علماء السلف الصالح رضوان الله عليهم ، لانهم الحجة التي لابد من الاسترشاد بها في كل بحث .

===

الفصل الاول : " النبي والرســـــول "

١ ـ تعريف النبي والرسول :ـ

بين الشيخ محمد عبده في " رسالة التوحيد " النبي والنبوة ، والرسول ، والرسالة .

لكنه لم يضع تعريفا محددا لمعنى النبي ، والرسول .

وفي تعليقه على " شرح الدواني على العقائد العضدية " ذكر تعريف النبي ، والرسول ، وبين الفرق بينهما .

اولا : يقول في " رسالة التوحيد " :

١ ـ " النبي " : انسان يستعان به في تحديد احكام الاعمال ، وتعيين الوجه في الاعتقاد بصفات الالوهية ، ومعرفة ما ينبغي ان يعرف من احوال الاخرة .

: والنبوة تحدد ما ينبغي ان يلحظ في جانب واجب الوجود من الصفات ، وتحدد انواع الاعمال التي تناط بها سعادة الانسان في الدارين "(١) .

٢ ـ " الرسول " : انسان ارسله الله لتبليغ الناس ما امر بتبليغه ، من تنزيه لذاته وتبيين لسلطانه القاهر على عباده ، وتفصيل لاحكامه في فضائل اعمال ، وصفات يطالبهم بها ، وفي مثالب فعال وخلائق ينهاهم عنها .

والرسالة: بعثة الرسل لتبليغ شيء من العقائد والاحكام عن الله خالق الانسان وموفيه ما لا غنى له عنه . "٢"

---

١ ـ رسالة التوحيد ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٩٧ ، ٣٩٨)

٢ ـ نفس المرجع ص ٤٠٠ .

ثانيا :
---- يقول في " تعليقه على شرح الدواني على العقائد العضدية ":

(واقول : قد يعرف النبي بانسان فطر على الحق علما وعملا ، اى بحيث لا يعلم الا حقا ، ولا يقول الا حقا ، على مقتضى الحكمة ، وذلك يكون بالفطرة ، اى لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ، ولكن التعليم الالهي .

فان فطر ايضا على دعوة بني نوعه الى ما جبل عليه فهو رسول ايضا والا فهو نبي فقط وليس برسول) . "١"

" الرأى في كلام الشيخ محمد عبده "

======================

أقول : كلام الشيخ محمد عبده في معنى النبي والرسول ، فيه الصحيح الذى يقبل وفيه الخطأ الذى لا يقبل .

فالصحيح ما ورد في رسالة التوحيد .

أما الخطأ فقوله : ان النبي انسان فطر على الحق علما وعملا بحيث لا يعلم الا حقا ، ولا يعمل الا حقا ، على مقتض الحكمة . وذلك يكون بالفطرة ..

فان فطر ايضا على دعوة بني نوعه الى ما جبل عليه فهو رسول ايضا ، والا فهو نبي فقط وليس برسول .

ووجه الخطأ فيه يأتي من حيث انه غير مانع من دخول غير النبي فيه ، مثل الاولياء ، فانهم مفطورون على الحق ، بل الاطفال "٢" مفطورون على الحق ،

---

١ ـ انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٣ ، ٤) .

٢ ـ اللهم الا اذا اراد الشيخ محمد عبده بقوله (انسان) : يعني كامل الانسانية ، والاطفال ليسوا كاملين في الانسانيه ، ولذلك لا يبعث الانبياء الا في سن متأخرة .

بشهادة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " . "١"

سئل شيخ الاسلام احمد بن تيمية عن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة " فقال "٢" : (على السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة) .

ومن جهة اخرى فان الشيخ محمد عبده لا يشير في تعريف النبي الى اختيار الله له ، وانزال الوحي عليه .

ويبدو ان هذا قد جلب له التهمة ...

يقول احدهم : "٣"

"(اذا علمت هذا — يقصد ما ذكره العلماء في تعريف النبي والرسول — فسوف لن تؤخذ او تخدع بالتعريف العجيب الذى اخترعه الشيخ محمد عبده للنبي .. وانت في غنى عن ان اطلق شيئا على هذا الاختراع العجيب لمعنى النبوة ...

كما انك في غنى عن ان اكشف لك السر الذى دعاه الى ان يستعمل كلمة " الفطرة " في التعريف بدلا من كلمة " الوحي " التي اطبق المسلمون كلهم منذ عصر النبوة الى عصرنا هذا على اتخاذها قيدا اساسيا في تعريف النبي) " ٤ "

---

١ — متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم عن ابي هريرة ، وقد روى الحديث بالفاظ اخرى منها :
" كل انسان تلده امه على الفطرة " / انظر صحيح مسلم ، باب القدر
" كل نسمة تولد على الفطرة " / انظر صحيح البخارى ، كتاب الجنائز .

٢ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٤ : ٢٤٥) ، الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ .

٣ — الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه : كبرى اليقينيات الكونية ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

٤ — انظر كتاب : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، للاستاذ مصطفى صبرى (٤ : ٤٠) .

ويبدو ان الذى قاد الشيخ محمد عبده الى هذا التعريف ، هو عقله الذى اعتمد عليه كثيرا ، وعول عليه تعويلا يجعله في عداد المغالين في قيمة العقل الذين يذهبون الى ان العقل قادر على ادراك كل شيء ، وكفيل بحل جميع المشاكل ...

ولقد بين الاستاذ سليمان دنيا هذا ، وعقب على كلام الشيخ محمد عبده في هذه المسألة .

فقال :

(وعندى ان المسألة ليست مسألة تواضع واصطلاح ، ولكنها محاولة اكتشاف لمراد الله تعالى من الفاظ وردت في كتبه المقدسة .

مثل قوله تعالى : " ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " . "١"

فعلام اعتمد الشيخ محمد عبده في ان تفسيره هذا ، لمعنى " النبي " ومعنى " الرسول " يمكن ان يكون مراد الله من هاتين الكلمتين . ؟

ان المعنى ـ في ذاته ـ معنى لطيف ، ولو كانت المسألة مسألة تواضع واصطلاح ، لما وجدت اية غضاضة في قبوله والتسليم به ، ولكنها مسألة " تعرف " مراد الله ومراد رسوله من كلمتي " النبي " و " الرسول " حين يستعملانهما .

ثم لو كان مراد الشيخ محمد عبده ، ان لنا ان نطلق لفظتي " النبي " و " الرسول " على من ذكرهم من الناس ، بصرف النظر عن امكان انطباق المعنى الشرعي عليهم ، او عدم امكانه .

هل يكون في وسع الشيخ محمد عبده ان يحكم بأن هذا النوع من الانبياء والرسل ، جائز وجوده ، بعد قبض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ام يعتبر

---

١ ـ سورة الاحزاب اية (٤٠) .

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته نهاية ايضا لذلك النوع من الانبياء والرسل ؟

ان الاعتماد على العقل وحده ، لا يمكن من الذهاب الى هذا الرأى ، او ذاك ، فماذا لدى الشيخ محمد عبده — سوى العقل — يجوز له القول بهذا الرأى ، اوذاك ؟ .

ثم ماذا عسى ان يكون " الحق العملي " الذى يفطر عليه من يسميه الشيخ محمد عبده " نبيا " او " رسولا " ؟ هل يقتصر على ما يسمى " الاخلاق الفاضلة " ؟ ام يتجاوز ذلك الى دائرة " التحليل والتحريم وضروب العبادات " ؟ .

كنا نحب ان نعرف ما عند الشيخ محمد عبده في هذا كله ... فلعله ذكره في غير هذا الكتاب ، اولعله اكتفى بذكره شفاها للمصطفين من تلاميذه ، اذ يبدو ان الشيخ محمد عبده كان يعول على التلقين والتعليم الشفهي اكثر مما يعول على التأليف والتدوين) . "١"

اقول : "٢" لعل ما عند الشيخ محمد عبده في هذا ... ان من الناس من خلقهم الله اقدر على تحمل المسؤولية من غيرهم ، والصبر على ما يلاقونه من اذى ، وعندهم استعداد كاف لتلقي الاوامر الالهية وتبليغها الى الناس ، وهؤلاء هم المصطفون الاخيار ، انبياء الله ورسله .

نعم . لو اراد الشيخ محمد عبده هذا لكان صحيحا ، والشواهد عليه كثيرة من القران والسنة ، كما سيأتي بعد قليل باذن الله تعالى .

---

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ٣٩ ، ٤٠) .

٢ — يؤيدني في هذا كلام للشيخ محمد عبده سيأتي عند الحديث عن امكان حصول الوحي اذكر منه قوله : (ان من النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعد به من محض الفيض الالهي لان تتصل بالافق الاعلى) .

اعود الى ما ورد في رسالة التوحيد ، وأؤكد صحة ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في معنى " النبي " و " الرسول " .

وما ذهب اليه الشيخ محمد عبده هو عين مذهب السلف رضي الله عنهم ، وهو ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، وغيره من العلماء .

ولكي يتبين ذلك ارى ان اعرض باختصار معنى النبوة والرسالة عند جمهور العلماء ، وائمة السلف ، في اللغة وفي لسان الشرع ، وابين الفرق بينهما والراجح من كلام العلماء في هذه المسألة .

١ — معنى " النبي " و " الرسول " في اللغـــة :

أ : — معنى النبي :

قال علماء اللغة : لفظ " النبي " مأخوذ من النبأ ، ومعناه الخبر .

ورد في القران النبأ بمعنى الخبر ، قال تعالى : " فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير " . "١"

وجمعه : انبياء ، ونبيئون ، ونباء ، وانباء . "٢"

وقد ورد الجمع في القران بلفظ انبياء ، ونبيون .

قال تعالى : " قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين " "٣"

وقال تعالى : " فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " . "٤"

---

١ — سورة التحريم اية (٣) .
٢ — انظر لسان العرب (٢٠ : ١٧٣) ، ومعجم متن اللغة (٥ : ٣٩١) وترتيب القاموس المحيط ، للطاهر احمد الزاوي (٤ : ٣١٨) ، وتاج العروس (١٠ : ٣٥٤) .
٣ — سورة البقرة اية (٩١) .
٤ — سورة البقرة اية (٢١٣) .

وقيل ان لفظ " النبي " مأخوذ من النبوة ، او النباءة ، وهي ما ارتفع من الارض وعلا .

فيكون معنى " النبي " : العالي ، والمرتفع المنزلة ، اى انه شرف على سائر الخلق .

وقيل " النبي " هو الطريق . فنبي الله هو الطريق الموصل اليه . "١" او العلم الذى يهتدى به الناس .

ويمكن الجمع بين الاقوال بأن " النبي " هو من أنبأه الله بخبر السماء ، لسمو مكانته ، وعلو شأنه ، وبه يهتدى الناس الى معرفة الله تعالى .

والقول الاول اصح ، لان النبي في الاصل انما قيل مضافا الى الله ، فيقال : نبي الله . ثم عرف باللام ، فكانت اللام تعاقب الاضافة .

قال تعالى : " نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم " . "٢"

وقال تعالى : " ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر " . "٣"

ومعناه فى الايتين : اخبرهم وبلغهم .

واختلف العلماء : هل النبي بمعنى " مفعول " اى منبأ ، لان الله نبأه ، او بمعنى " فاعل " اى منبئ ؟

قال ابن تيمية : الاول اجود ، لانه اذا نبأه الله فهو نبي الله . سواء أنبأ بذلك غيره ، اولم ينبئه ، فالذى صار النبي به نبيا ان ينبئه الله ، وهذا مما يبين ما امتاز به عن غيره . "٤"

---

١ ــ انظر : النبوات لابن تيمية ص ٢٢٢ ، مكتبة الرياض الحديثة .
٢ ــ سورة الحجر اية (٤٩) .
٣ ــ سورة القمر ايـة (٢٩) .
٤ ــ النبوات ص ١٧٧ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

ومال المفسر " الالوسي " "١" الى القول الثانى وقال في تفسير " الرسول " انه الذى ارسله الله لتبليغ الاحكام ، اما النبي فهو الذى انبأ الخلق عن الله . "٢"

وارجح ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، لما ذكره ، وصح تأييد اللغة له "٣" .

ب : ـ معنى الرسول ، لغـة :ـ

قال علماء اللغة : الرسول بمعنى المرسل ، بفتح السين ، ويكون بمعنى الرسالة ،

قال تعالى : " فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين " . "٤"

وقال تعالى : " فأتياه فقولا انا رسولا ربك " . "٥"

فقال في الاية الاولى " انا رسول " ، وفي الثانية " انا رسولا " لان فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع ، مثل عدو ، وصديق "٦" ومن انثه ، جمعه ارسلا ، وهو الذى يتابع اخبار من بعثه ، ماخوذ من قولهم : جاءت الابل ارسالا اى متتابعة . "٧"

---

١ ـ محمود الالوسي ، مفسر ، ومحدث ، واديب ، من المجددين من اهل بغداد ، سلفي الاعتقاد ، له من الكتب : روح المعاني ، وغرائب الاغتراب ، ومقامات في التصوف ، مات سنة ١٢٧٠ هـ .
انظر الاعلام للزركلى (٨ : ٥٣) .
٢ ـ تفسير روح المعانى للالوسي (٩ : ٦٩) ، ادارة الطباعة المنيرية .
٣ ـ انظر لسان العرب (٢٠ : ١٧٣) ، وتاج العروس (١٠ : ٣٥٤) .
٤ ـ سورة الشعراء اية (١٦) .
٥ ـ سورة طه اية (٤٧) .
٦ ـ انظر مختار الصحاح ص ٢٤٢ .
٧ ـ انظر مختار الصحاح ص ٢٤٢ ، ومعجم متن اللغة (٢ : ٥٨٦) .

قال الراغب : الرسول معناه المنبعث ، وهو مأخوذ من الرسل بسكون السين اى الانبعاث على التؤدة . "١"

وجمعه يأتي على رسل ، وارسل ورسلاء ، ولم يرد في القرآن الا الاول ، قال تعالى " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم" . "٢"

قال ابن تيمية : الرسول في الاصل انما قيل مضافا الى الله ، فيقال رسول الله .

ثم عرف باللام فكانت اللام تعاقب الاضافة ، ورسول فعول بمعنى مفعول ، اى مرسل .

فرسول الله الذى ارسله الله . "٣"

وبناء على ما سبق يكون معنى الرسالة : ان يرسل الله انسانا الى عباده ، ويوجهه اليهم ليبلغهم ما انزل اليه من ربه ، [illegible] .

٢ — معنى " النبي " و " الرسول " في الشرع :

==============================

اختلف العلماء في تحديد معنى النبي ، والرسول ، هل هما بمعنى واحد ، فالنبي هو الرسول ، والرسول هو النبي ، ولا فرق بينهما ؟ ام انهما مختلفان في الاصطلاح فللنبي معنى غير معنى الرسول ... ؟

فمن العلماء من لم يفرق بينهما ، ومنهم من فرق بينهما بفروق نذكرها بعد قليل ان شاء الله تعالى .

---

١ — المفردات في غريب القران ص ١٩٥ ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، الناشر مصطفى البابي ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م .

٢ — سورة النساء اية (١٦٤) .

٣ — النبوات ص ١٧٧ ، طبعة القاهرة ١٣٨٦ هـ .

والذين لم يفرقوا بين النبي والرسول حجتهم عدم ورود نص صريح يفرق بينهما في المعنى .

وان كثيرا من النصوص خاطبت اصحابها مرة بالنبي ، ومرة بالرسول ، كقوله تعالى :

" يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما " ، "١"

وقوله تعالى : " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك " . "٢"

وايضا في كثير من النصوص يشترك النبي ، والرسول في التبشير والانذار .

قال تعالى : " فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " . "٣"

وقال تعالى : " وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين " . "٤"

واصحاب هذا القول فسروا النبي بالرسول ، وعرفوهما : بانسان بعثه الله لتبليغ ما اوحي اليه من ربه . "٥"

اما الذين فرقوا بين النبي ، والرسول فقد استشهدوا على ذلك بآيات تدل على تغايرهما في المعنى ، منها :ـ

أ : ـ قوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " . "٦"

---

١ ـ سورة الاحزاب اية (١) .
٢ ـ سورة المائدة اية (٦٧) .
٣ ـ سورة البقرة اية (٢١٣) .
٤ ـ سورة الانعام اية (٤٣) .
٥ ـ انظر : جامع البيان للطبري (٢ : ٣٣٦) ، (٣ : ٢١٥ ، ٢٥٧)
الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ .
وانظر : مقاصد الطالبين وشرحه لسعد الدين التفتازاني (٢ : ١٢٨)
طبعة سنة ١٢٧٧ هـ .
٦ ـ سورة الحج اية (٥٢) .

وجه الاســـــتدلال :

=============

عطف الحق سبحانه وتعالى كلمة نبي على كلمة رسول ، وعطفهما يدل على تغايرهما في المعنى ، والا لكان تكرارا لا حاجة اليه ، واختلاف الاسماء يدل على اختلاف المسميات في الغالب .

ب :ـ قوله تعالى : " واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا " . "١"

وقوله تعالى : " واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا " . "٢"

وقد استدلوا بهذه الايات على نحو الاستدلال بالاية السابقة ،

لكن الايتين الاخيرتين ليس فيهما شاهد على المغايرة بين النبي ، والرسول مثل ما في قوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " .

وهؤلاء العلماء اختلفوا في تحديد الفرق بين النبي ، والرسول ،

فقال بعضهم : النبي انسان بعثه الله لتبليغ ما اوحي اليه ، فان كان له شريعة وكتاب فهو رسول ايضا ، فان لم يكن له شريعة ولا كتاب ، فهو نبي يقتدى به الناس .

وقال بعضهم : الرسول من له كتاب ، او نسخ لبعض احكام الشريعة السابقة ، والنبي يخلو من ذلك .

وقد حكى هذين القولين سعد الدين التافتازاني عن بعض العلماء ، ولم يذكر اسمهم .

وقال بعض الاشاعرة "٣" من اتى بشرع جديد سواء كان على الابتداء او نسخا لبعض احكام شريعة تقدمت فهو رسول والا فهو نبي .

---

١ ـ سورة مريم اية (٥١) .

٢ ـ سورة مريم اية (٥٤) .

٣ ـ منهم ابو منصور البغدادى . انظر اصول الدين ص ١٥٤ .

ونسب الى الجاحظ "١" من المعتزلة قوله : ان الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والاحكام ، والنبي هو الذى يحفظ شريعة غيره . "٢"

وحكى الماوردى في " اعلام النبوة " قولا لم ينسبه لاحد وهو ان الرسول هو الذى ينزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي هو الذى يوحى اليه في نومه . "٣"

اقول :

هذه بعض اقوال العلماء في تحديد الفرق بين النبي والرسول .

واني احب ان اذكر رأى السلف في المسألة ، والرأى المختار فيها ...

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

(الرسول من ارسل الى من خالف امر الله ليبلغه رسالة من الله .

والنبي من كان يعمل بشريعة من قبله ولم يرسله الله الى احد ليبلغه عنه) . "٤"

قال شارح الواسطية :

(الرسول في لسان الشرع انسان ذكر حر اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه ، فان اوحي اليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي ، فكل رسول نبي ولا العكس) . "٥"

قال شارح الطحاوية :

(وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول : واحسنها :

ان من نبأه الله بخبر السماء : ان امره ان تبلغ غيره فهو نبي رسول .

وان لم يأمره ان يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول .

فالرسول اخص من النبي ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا) . "٦"

---

١ — ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، والجاحظ لقب غلب عليه ، مات سنة ٢٥٥ هـ .

٢ ، ٣ — انظر اعلام النبوة ، للماوردى ص ٣٨ .

٤ — كتاب النبوات ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

٥ — شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ٩ ، ١٨ .

٦ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ .

واني افضل ما استحسنه شارح العقيدة الطحاوية ، وهو ان من نبأه الله بخبر السماء :

ان امره ان يبلغ غيره فهو نبي رسول .

وان لم يأمره ان يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول .

وهذا الذى اختاره ، هو التعريف الواضح للنبي والرسول ، وهو الذى مال اليه كثير من العلماء المعاصرين ، الذين كتبوا في النبوة والانبياء . "١"

واقول :

ان تعريف ابن تيمية رحمه الله للنبي والرسول ، فيه مجال لتعقيب ..

وسأعقب عليه ، بناء على ما ذكره العلماء في تعريف النبي والرسول :

ان الذى يفهم من كلام شيخ الاسلام ان الرسول مكلف من قبل الله تعالى بتبليغ ما اوحي اليه الى قوم مخالفين غير مؤمنين .

اما النبي فهو يبلغ الى قوم مؤمنين موافقين ...

يقول : (الانبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عند هم لكونهم مؤمنين بهم) . "٢"

---

١ ـ انظر الوحي المحمدى ص ٤٣ ، الطبعة السادسة ١٣٧٥هـ .
وانظر العقيدة الاسلامية واسسها ، الطبعة الثانية ص ٢٩٧ـ ٣٠١ .
وانظر تفسير المنار ، الطبعة الثانية (٩ : ٢١٧) ، دار المنار ١٣٦٧ هـ .
وانظر النبوة والانبياء للصابوني ، ص ١١ ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ
وانظر نبوة محمد في القران ص ٤٥ ـ ٥٠ ، الطبعة الاولى ، لحسن عتر .

٢ ـ النبوات ، لابن تيمية ص ١٧٣ .

وهذا من شيخ الاسلام غير مقبول ، ولا اسلم له به :

لان القران الكريم صرح في بعض الايات ان الانبياء ايضا خالفهم اقوامهم ، واذوهم ، وقتلوا بعضهم ... مما يدل على انهم انما بعثوا الى اقوام معاندين ، الا القلة منهم .

قال تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين " . "١"

وقال تعالى : " وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن " . "٢"

وقال تعالى : " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " . "٣"

ويظهر لي ان هذه الايات ، وغيرها ، تدل على ضعف ما قاله شيخ الاسلام — والله اعلم —

واني اختار ما توصل اليه شارح العقيدة الطحاوية ، لان النبي : هو من نبأه الله بخبر السماء ولم يأمره ان يبلغ غيره ، بمعنى انه يعمل بما نبأه الله بخصوص نفسه ، ولا دخل له في تبليغه لغيره .

والرسول : هو من نبأه الله بخبر السماء وامره ان يبلغ غيره .

وهذا هو قول كثير من السلف ، وقد مال اليه كثير من العلماء كشارح العقيدة الطحاوية ، وشارح العقيدة الواسطية ، وصاحب المنار ، وغيرهم .

وبهذا نعلم ان الشيخ محمد عبده ، مع هؤلاء العلماء ، فان كلامه في " رسالة التوحيد " يفيد هذا ، فنأخذ به ، وندع ما قاله في تعليقه على " شرح الدواني على العقائد العضدية " .

اذ المسألة مسألة شرعية يراد منها معرفة مراد الله سبحانه ، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم حين يستعملان كلمتي : النبي ، والرسول .

---

١ — سورة الفرقان اية (٣١) .
٢ — سورة الزخرف اية (٧) .
٣ — سورة البقرة اية (٦١) .

وليست المسألة مسألة تواضع واصطلاح حتى يقول كل بما يريده . "١"

---

١ ـ وحاصله : ان من العلماء من لم يفرق بين النبي والرسول من حيث المفهوم .
ومنهم من فرق بينهما ، وباين بين النبي والرسول في شخصية واحدة .
والذى ارجحه ان بينهما فرق ، كما قلت ، وان بينهما عموما وخصوصا مطلقا ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا ..
والله اعلـــــــم .

٢ ـ صفات الانبيـــــــاء :

================== يرى الشيخ محمد عبده ان الانبياء مؤيدون

من العناية الالهية ، بما لا يعهد في غيرهم ، وانهم عالوا الفطرة ، صحيحوا

العقول ، ومتصفون بالصدق والامانة ، ومعصومون عن كل ما لا يليق بمقام النبوة .

ومع ذلك فهم بشر يعتريهم ما يعتري غيرهم من اكل وشرب ، ونوم

وسهو ، ونسيان فيما لا علاقة له بتبليغ الاحكام . ومرض ، وقد تمتد اليهم ايدي

الظالمة ، وينالهم الاضطهاد وقد يقتلون .

وقد علل الشيخ محمد عبده وجوب هذه الصفات للانبياء ، فقال :

(واما وجوب تلك الصفات المتقدمة للانبياء فلأنهم لو انحطت فطرهم

عن فطر اهل زمانهم ، او مس عقولهم شيء من الضعف لما كانوا اهلا لهذا الاختصاص

الالهي الذي يفوق كل اختصاص : اختصاصهم بوحيه ، والكشف لهم عن اسرار علمه ،

ولو لم تسلم ابدانهم عن المنفرات لكان انزعاج النفس لمرآهم حجة للمنكر في انكار

دعواهم .

ولو كذبوا او خانوا او قبحت سيرتهم لضعفت الثقة بهم ، ولكانوا مضلين لا مرشدين

فتذهب الحكمة من بعثتهم . والامر كذلك لو ادركهم السهو او النسيان فيما عهد

اليهم تبليغه من العقائد والاحكام .

اما وقوع الخطأ منهم فيما ليس من الحديث عن الله ولا له مدخل في

التشريع فجوزه بعضهم ، والجمهور على خلافه .

وما ورد من مثل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تأبير النخل ثم

اباحه لظهور اثره في الاثمار ، فانما فعله عليه الصلاة والسلام ليعلم الناس ان

ما يتخذونه من وسائل الكسب وطرق الصناعات فهو موكول لمعارفهم وتجاربهم ،

ولا حظر عليهم فيه ما دامت الشرائع مرعية والفضائل محمية .

وما حكاه الله من قصة آدم وعصيانه بالاكل من الشجرة فما خفي فيه سر

النهي عن الاكل ، والمؤاخذة عليه . وغاية ما علمناه من حكمته انه كان سببا لعمارة

الارض ببني آدم ...)"١" . "٢"

" مناقشة كلام الشيخ محمد عبده وتقرير مذهب السلف في صفات الانبياء " :

==

لا شك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام صفوة الخلق ، وخيارهم ، وهم النخبة الممتازة من البشر ، اصطفاهم البارى عز وجل لاداء مهمة عظمية ، تسعد الناس ، وتخرجهم من الظلمات الى النور .

قال تعالى : " انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار " . "٣"

وقال تعالى في وصفهم : " وكل من الاخيار " . "٤"

فهم صفوة البشر ، وخيرتهم بلا نزاع .

ولكن الشيخ محمد عبده بهذا التعبير الذى ذكره وهو قوله : (النبي معصوم عن كل ما يشوه السيرة البشرية) . وضعهم في المستوى العام للبشر .

نعم ، انهم بشر ، ولكنهم في اعلى مستوى البشرية ، فعبارته السابقة تجعلهم في مستوى البشر ، ونحن نريدهم في مستوى بشرى ولكنه اعلى طبقة في هذا المستوى .

---

١ ـ لعله يقصد انه سببا معجلا . والا فآدم مخلوق لعمارة الارض سواء اكل من الشجرة او لم يأكل بمقتضى قول الله للملائكة " اني جاعل في الارض خليفة " البقرة اية (٣٠) .

٢ ـ رسالة التوحيد ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠٠ ـ ٤٠٣) بتصرف .

٣ ـ سورة ص الايات (٤٦ ـ ٤٧) .

٤ ـ سورة ص الاية (٤٨) .

وبقية كلام الشيخ محمد عبده في صفات الانبياء عليهم السلام ، حق ، وهو مذهب علماء السلف وائمتهم ، وجمهور المتكلمين ، واهل الحديث .

أ : ـ فبالنسبة لصفة الذكورة فقد جعلها العلماء شرطا من شروط النبوة ، واوجبوا توفرها في الانبياء محتجين بالنقل والعقل .

اما النقـــــل :

========== فقد قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم " . "١"

وقال تعالى : " وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحــي اليهم " . "٢"

وجه الاســـتدلال :

========== قال العلماء : هاتان الايتان صريحتان في ان الرسالة لا تكون الا للرجال ، وانه لا يوحى الى النساء .

واما العقـــــل :

========== فقد قال العلماء ان من شرط النبوة كمال العقل ، والنساء ناقصات عقل لا يصلحن للنبوة .

يشهد لهذا قوله تعالى : " واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهمــا الاخرى " . "٣"

ويشهد له ايضا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما رايت من ناقصات عقل ودين اغلب لذى لب منكن " . "٤"

---

١ ـ سورة النحل اية (٤٣) .

٢ ـ سورة الانبياء اية (٧) .

٣ ـ سورة البقرة اية (٢٨٢) .

٤ ـ متفق عليه ، رواه البخاري (١ : ٨٠) ، ورواه مسلم (١ : ٨٧) واللفظ لمســـلم .

وايضا : فان الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة ، ومقابلة الناس ، واظهار المعجزات ، وتحمل الاذى ، والصبر على الشدائد مما لا يقوى عليه النساء ، لان انوثتهن تقتضي ان يستترن ولا يخرجن بين الرجال ، وان لا يتحملن هذا النوع من التكليف الالهي ، وان يقوين امام ما يعترض مهمة الرسل من المصاعب والالام .

وايضا فقد اجمع الفقهاء على ان النساء لا يولين امارة ، ولا يقضين بين الناس ، فكيف يصلحن للرسالة ؟

ب : — وبالنسبة لعلو الفطرة وكمال العقل : فلأن الانبياء لابد ان يكونوا قادرين على تحمل المسؤولية وعند هم الاستعداد الكافي لتوصيلها للناس ، وتحمل ما يترتب على ذلك من تهمية الناس له او مناوئتهم لهم ،

وصدق الله تعالى اذ يقول : " الله اعلم حيث يجعل رسالته " "١" .

واما بالنسبة لكمال العقل : فلان النبي ما يوحى اليه كاملا ، ويبلغه للناس تاما .

ولان نقص العقل قادح في صحة ما تؤخذ عنه ، ومشكك في صدق الانبياء .

ولان اقناع الناس يحتاج الى كمال عقل من يتصدى للاقناع .

ج : — وبالنسبة للصدق : فلأنه لا يجوز ان يكون النبي كذابا ، والا لفضحه الله ، وكشف حقيقته للناس ، ولانه لا يصح ان يكذب في دعوته ويطلب من الناس ان يصدقوه . ولان الكذب من العيوب الذميمة في حق غير الانبياء ، فكيف بالانبياء وهم قدوة الناس في الاخلاق الحميدة ، وفي مقدمتها الصدق .

د : — وبالنسبة للامانة : فلأن الخيانة تنافي حكمة الرسالة ، وهي التبليغ ، ولان الخيانة من الفعال الذميمة في حق غير الانبياء ، فهي بالنسبة للانبياء اشد واقبح ، ومن لم يؤد الامانة لم يبلغ الرسالة ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

---

١ — سورة الانعام اية (١٢٤) .

" وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة " . "١"

هـ : ـ وبالنسبة لسلامة الانبياء من العيوب والعاهات ، مما تنبو عنه الابصار ، وتنفر منه الاذواق السليمة ، فلأن عمل الانبياء يقتضي الاجتماع بالناس والتحدث اليهم ...

وايضا فلا يصح ان يتصف الانبياء بالعيوب المعنوية كالغلظة والفظاظة في المعاملة حتى لا ينفض الناس عنهم ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

" ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك " . "٢"

ولا يجوز في حق الانبياء ان يتصفوا بالعيوب التي تطعن في الشرف وتخل بالمروءة ، وتقدح في النسب ، لان الناس من عادتهم ان يحتقروا من يتصف بشيء من هذه الصفات ، ولو كان من العامة . فكيف بصفوة الناس وخيرتهم . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " انا خيار من خيار من خيار " . "٣"

و : ـ وبالنسبة للعصمة من الذنوب ، فهم معصومون من الذنوب كلها ، وان ما يراه البعض ذنوبا في حق الانبياء ، فهي ذنوب في الظاهر ، وليست ذنوبا في الواقع ، يوقعهم الله فيها ليعلم الامة احكامها .

فهي طريق الى التشريع كما حدث في قصة اسرى بدر ، وفي قصة الاعمى وفي اذنه صلى الله عليه وسلم لبعض من تخلفوا عن غزوة تبوك ... الخ

والى هذا ذهب الشيخ محمد عبده في صفات الانبياء ، وهو الصواب ـ والله اعلم ـ وهو مذهب كثير من علماء السلف ، وائمتهم ، واهل السنة من المسلمين "٤"

---

١ ـ سورة ال عمران اية (١٦١) .

٢ ـ سورة ال عمران اية (١٥٩) .

٣ ـ متفق عليه .

٤ ـ انظر : النبوات لابن تيمية ص ١٠٧ ، ١٠٨ / وانظر المواقف وشرحه (٣ : ٢٠٤ ، ٢٠٥) .
وانظر : الجامع لاحكام القران للقرطبي (١ : ٣٠٨) / وانظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٩ .

وعليه استقر علماء العقيدة في العصر الحاضر "١" وهو ما نذين الله تعالى به •

وصدق الله العظيم اذ يقول :

" اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا "• "٢"

مسألة سحر النبي صلى الله عليه وسلم :ـ

===================

ومما يناسب المقام الذى نحن فيه ذكر مسألة سحره صلى الله عليه وسلم التي كان للشيخ محمد عبده فيها راى تاثر فيه بالمعتزلة ، وبغيرهم تبعا لهم مثل الجصاص ، والعلامة الطبرسي • "٣"

فقد انكر الشيخ محمد عبده الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره من اصحاب الصحاح المشتمل على ان " لبيد بن الاعصم " ـ اليهودى ـ سحر النبي صلى الله عليه وسلم •

لقد رفض الشيخ محمد عبده ما جاء في هذه المسألة ، وقال :ـ

(وقد رووا ههنا احاديث في ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم ، وأثر سحره فيه حتى كان يخيل له انه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، او يأتي شيئا وهو لا يأتيه ، وان الله انبأه بذلك ، واخرجت مواد السحر من بئر ، وعوفي صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة • "٤"

---

١ ـ انظر النبوة والانبياء ، ابو الحسن الندوى ص ٥٧ ـ ٦٠ / والنبوة والانبياء للصابوني ص ٤٩ / وانظر العقائد الاسلامية السيد سابق ص ١٨٠ ، الطبعة الثانية / وانظر الوحي المحمدى ص ٤٦ ، ٤٧ / وانظر العقيدة الاسلامية واسسها ص ٣٧٨ ـ ٣٩٤ / وانظر نبوة محمد فى القران ص ٢٤٩ وما بعدها •

٢ ـ سورة مريم اية (٥٨) •

٣ ـ انظر تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن ، لرشيد رضا ص ١٣١ •

٤ ـ يعني سورة " الفلق " •

ولا يخفى ان تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الامر الى ان يظن انه يفعل شيئا وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الامراض في الابدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الامور العادية ، بل هو ماس بالعقل ، آخذ بالروح ، وهو مما يصدق قول المشركين فيه : (ان تتبعون الا رجلا مسحورا).[١]

وليس المسحور عندهم الا من خولط في عقله وخيل له ان شيئا يقع وهو لا يقع ، فيخيل اليه انه يوحى اليه ، ولا يوحى اليه .

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة ، ولا ما يجب لها : ان الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به ، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين ، لانه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء القران بصحة السحر .

فانظر كيف يقلب الدين الصحيح ، والحق الصريح في نظر المقلد بدعة ، ونعوذ بالله ... يحتج بالقران على ثبوت السحر ، ويعرض عن القواعد في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليه ، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك ، مع ان الذى قصده المشركون ظاهر ، لانهم كانوا يقولون : ان الشيطان يلابسه عليه السلام ، وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم ، وضرب من ضروبه ، وهو بعينه اثر السحر الذى نسب الى " لبيد " فانه خولط في عقله وادراكه في زعمهم .

والذى يجب اعتقاده ان القران مقطوع به ، وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه .

---

١ — سورة الاسراء اية (٤٧) ، سورة الفرقان اية (٨) .

وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام ، حيث نسب القول باثبات حصول السحر له الى المشركين اعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور قطعا .

واما الحديث ، فعلى فرض صحته ، هو احاد ، والاحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد ، وعصمة النبي من تاثير السحر في عقله عقيدة من العقائد ، لا يؤخذ في نفيها عنه الا باليقين ، ولا يجوز ان يؤخذ فيها بالظن والمظنون .

على ان الحديث الذى يصل الينا من طريق الاحاد ، انما يحصل الظن عند من صح عنده ، اما من قامت له الادلة على انه غير صحيح ، فلا تقوم به عليه حجة .

وعلى اية حال ، فلنا بل علينا ان نفوض الامر في الحديث ، ولا نحكمه في عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب ، وبدليل العقل ، فانه اذا خولط النبي صلى الله عليه وسلم في عقله كما زعموا ، جاز ان يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه ، او ان شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه .

والامر ظاهر لا يحتاج الى بيان .

ثم ان نفي السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقا ، فربما جاز ان يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال ان يصيبه لان الله عصمه منه .

ما اضر المحب الجاهل ، وما اشد خطره على من يظن انه يحبه ، نعوذ بالله من الخذلان .

على ان نافي السحر بالمرة لا يجوز ان يعد مبتدعا ، لان الله تعالى ذكر ما يعتقد به المؤمنون في قوله تعالى " امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " . "١"

---

١ ـ سورة البقرة اية (٢٨٥) .

وفي غيرها من الايات وردت الاوامر بما يجب على المسلم ان يؤمن به حتى يكون مسلما ، ولم يأت في شئ من ذلك ذكر السحر على انه مما يجب الايمان بثبوته او وقوعه على الوجه الذى يعتقد به الوثنيون في كل ملة ، بل الذى ورد في الصحيح هو ان تعلم السحر كفر .

فقد طلب منا ان لا ننظر بالمرة فيما يعرف عند الناس بالسحر ، ويسمى باسمه .

وجاء ذكر السحر في القران في مواضع مختلفة .

وليس من الواجب ان نفهم منه ما يفهم هؤلاء العميان) . "١"

وحاصل المقام :

========== ان الشيخ محمد عبده يثبت العصمة لرسول الله — ولسائر الرسل — عليهم جميعا الصلاة والسلام ، كما يثبتها سائر العلماء ، بل هو اكثر منهم تشددا في اثباتها ، حتى انه لا يجوز ان يجامعها السحر ، والجمهور يجوزون .

وعلى هذا فالخلاف بينه وبينهم ينحصر في نقطتين :

الاولى :

======= هل ينافي السحر العصمة او لا ينافيها :

فالجمهور يرى انه لا ينافيها . وبناء عليه : قبلوا حديث السحر ولم يردوه .

والشيخ محمد عبده يرى انه ينافيها ولذلك رد الحديث .

الثانية :

======= وكأنها ترتبت على الاولى ، وهي :

هل حديث الاحاد حجة في الاعتقاد او ليس حجة فيه ؟ :

فمن قال : انه حجة لزمه التوفيق بين ما ورد في القران من رمي المشركين للرسول صلى

---

١ — تفسير جزء عم ص ١٨١ — ١٨٣ .

الله عليه وسلم بالسحر ، وانكار القران عليهم ذلك ،

وبين ما ورد في حديث السحر من انه صلى الله عليه وسلم سحر •

ومن قال : ان حديث الاحاد ليس حجة في الاعتقاد ، رد الحديث ، واستراح من المعارضة •

اما بالنسبة للنقطة الاولى : فقد نقلت عن الشيخ محمد عبده ما اوضح به رايه ،

واسوق الان اراء بعض مخالفيه •

يقول الشيخ رشيد رضا :

(فهذا الحديث صريح في ان المراد من السحر فيه خاص بمسألة مباشرة النساء • ولكن فهم اكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم سحر سحرا اثر في عقله كما اثر في جسده ، فأنكره بعضهم وبالغوا في انكاره ، وعدوه مطعنا في النبوة ومنافيا للعصمة ، لقول عائشة رضي الله عنها ، (حتى انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يكن فعله) •

فعظمت هذه الرواية على علماء المعقول ، وعدوها مخالفة :

للقطعي في النقل ، وهو ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم فيه كعادة امثالهم في رسلهم بقولهم (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) "١" ، وتفنيده تعالى لهم بقوله : (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) • "٢"

ومخالفة للقطعي في العقل من عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من كل ما ينافي النبوة والثقة بها ، اذ يدخل في ذلك التخييل ، ما هو من التشريع:

---

١ _ سورة الاسراء اية (٤٧) ، والفرقان اية (٨) •
٢ _ سورة الاسراء اية (٤٨) •

ومخالفة لعلم النفس الذى يعلم منه ان الانفس السافلة الخبيثة لا تؤثر في الانفس العالية الطاهرة .

فانكر صحة الرواية بعض العلماء ، واقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين الفقهاء ابو بكر الجصاص الحنفي المعتزلي في كتابه " احكام القران " ، واخرهم شيخنا الاستاذ الامام في تفسيره " جزء عم " .

وقد اطال شيخنا في هذا وبالغ فيه ، وبنى انكاره على القاعدة المتفق عليها عند علماء العقائد واصول الفقه في معارضة الظني للقطعي ، اذ الحديث احادى ، وهو يفيد الظن فيرد بالقطعي عقلا ونقلا وهو ما ذكرناه آنفا .

وقد اتفقوا على ان احاديث الاحاد لا يحتج بها في اصول العقائد ، "١" وقال : ان كونه يفيد الظن خاص بمن صح عنده ، وان له ان يتأوله او يفوض الامر فيه على قاعدتهم الاخرى في النصوص المعارضة للعقل .

ولعمرى ان ما نعرفه عن شيخنا محمد عبده — قدس الله روحه — من اجلاله واكباره لشأن محمد رسول الله وخاتم النبيين في نفسه الزكية ، وروحه القدسية ، وعلو مداركه العقلية ، مما لم نعرف مثله عن احد من العلماء العقلانيين كفلاسفة المسلمين ومتكلميهم ، ولا من العلماء الروحيين كالصوفية ، ولا من علماء النقل كجامعي الروايات الكثيرة في معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وحسبك منها تلك الاثار البليغة في " رسالة التوحيد " بل كان يقول ان روحه صلى الله عليه وسلم كانت منطوية على جملة هداية الدين ، ومدارك التشريع التي فصلت في كتاب الله تعالى وسنته تفصيلا تاما كما نقلناه عنه في تاريخه .

واجاب عن الرواية المحدثون المصححون لها علما ، والمقلدون لهم بأن غاية ما تدل عليه ان ذلك السحر انما اثر في بدنه دون روحه وعقله ، فكان تأثيره

---

١ — الصحيح اختلافهم في هذه المسألة ، والراجح صحة الاحتجاج بخبر الواحد .

من الاعراض الجسدية ، كالامراض التي لم يعصم الانبياء عليهم السلام منها) . "١"

ويقول الشيخ محمد حسين الذهبي :

(وهذا الحديث الذى يرده الاستاذ الامام رواه البخارى وغيره من اصحاب الكتب الصحيحة ، وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوة ، فان السحر الذى اصيب به النبي عليه الصلاة والسلام كان من قبيل الامراض التي تعرض للبدن بدون ان تؤثر على شيء من العقل ، وقد قالوا ان ما فعله " لبيد بن الاعصم " بالنبي صلى الله عليه وسلم من السحر لا يعدو ان يكون نوعا من انواع العقد عن النساء ، وهو الذى يسمونه " رباطا " فكان يخيل اليه ان عنده قدرة على اتيان احدى نسائه ، فاذا ما هم بحاجته عجز عن ذلك .

اما السحر الذى نفي عنه صلى الله عليه وسلم فمراد به الجنون ، وهو مخل ، ولا شك بمقام النبوة ، وقد قالوا : (ياايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون) . "٢"

ثم ان الحديث رواية البخارى وغيره من اصحاب الصحيح ، ولكن الاستاذ الامام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخارى وغيره ، فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخارى ، كما انه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو ان يكون خبر آحاد لا يثبت به الا الظن وهذا في نظرنا هدم للجانب الاكبر من السنة التي هيّ بالنسبة للكتاب في منزلة المبين من المبين ، وقد قالوا ان البيان يلتحق بالمبين .

---

١ ـ تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القران ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

٢ ـ سورة الحجر اية (٦) .

وليس هذا الحديث وحده هو الذى يضعفه الشيخ ، او يتخلص منه بأنه رواية احاد ، بل هناك كثرة من الاحاديث نالها هذا الحكم القاسي .

فمن ذلك ايضا حديث الشيخين " كل بني ادم يمسه الشيطان يوم يولدته امه الا مريم وابنها " .

فانه قال فيه :

(اذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة) .

فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ، ثم يتخلص من ارادة الحقيقة على فرض الصحة ، بجعل الحديث من باب التمثيل .

وهو ركون الى مذهب المعتزلة الذين يرون ان الشيطان لا تسلط له على الانسان الا بالوسوسة والاغواء فقط) . "١"

واما المسألة الثانيـــــة :
============ وهي هل حديث الاحاد حجة في الاعتقاد او ليس بحجة ، فهي داخلة في موضوع العصمة .

وقد اشار الشيخ الذهبي الى الراى الصحيح فيها ، وهو انه حجة ، واطال القول فيها ابن القيم — رحمه الله — في كتابه : (مختصر الصواعق المرسلة) فأجاد وأفاد .

والدخول في صميم المشكلة بذكر الاراء ، وادلتها ، يخرج بي عن موضوع البحث .

ولقد عرضت لها في الخاتمة ، فارجع اليها ان شئت .

---

١ — التفسير والمفسرون (٣ : ٢٤٠ ، ٢٤١) .

x الفصـــل الثانـــــي : حاجة البشر الى الرسالة :

يجمع كثير من الناس لبين حاجة البشر الى الرسالة وبين مهمة ووظيفة الرسل • فيعقدون لهما فصلا واحدا يجمعون فيه بين وظيفة الرسل والحاجة اليهم ••• ويعنونون بحاجة البشر الى الرسالة ويتكلمون عن وظائف الرسل •

اما الشيخ محمد عبده فقد فرق بينهما ، وجعلهما عنوانين :ـ

احدهما : لحاجة البشر الى الرسالة •

والثاني : لوظائف الرسل الكرام •

وايضا ، جعل لكل عنوان مدلولا يخصه ، فعند حاجة البشر الى الرسالة اثبت ان البشر لا يستغنون عن الرسالة والرسل ، وهناك ما يلجؤهم ويضطرهم اليها ، واثبت هذا الالجاء اجمالا ، في حديثه عن الشعور العام او الفطري بالحياة الاخرة ، التي مع شعورهم بها لا يعرفون عن تفاصيلها شيئا ، فكانوا بحاجة الى من يعرفهم بها •

فهذا الشعور بالخلود هو الذى جعلهم بحاجة الى رسالة ، والى رسل • ولكن تحت عنوان وظائف الرسل بين العون او المساعدات التي يمكن ان يقدمها الرسل الكرام لاقوامهم •

ومن هنا نستطيع ان نلحظ فارقا ما بين حاجة البشر الى الرسالة ووظائف الرسل عليهم السلام •

" معتقد الشيخ محمد عبده في وجه الحاجة الى الرسالة " :

==================================

"١"

يسلك الشيخ محمد عبده في بيان وجة حاجة البشر الى الرسالة والرسل ، مسلكين :

المســــلك الاول :

=========== يبتدئ من اعتقاد الانسان ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وان لها حياة اخرى بعد الحياة الدنيا ، تتمتع فيها بنعيم ، او تشقى فيها بعذاب اليم ، وان السعادة والشقاء في الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية .

يقول الشيخ محمد عبده :

ان هذا الاعتقاد موجود عند جميع الناس ، عالمهم وجاهلهم ، نجده عند الموحدين كما نجده عند الوثنيين ، وهو عند الفلاسفة كما هو عند غيرهم ، حتى ان اشد الناس همجية عندهم اعتقاد بحياة النفس بعد الموت ، لكن على اى حال تكون الحياة بعد الموت ؟

هذا هو مدار الاختلاف ، ومعترك الافهام ، ومزلة الاقدام ، ومزدحم الكثير من الافكار والاوهام ... ويبقى اتفاق الكل على بقاء النفس حية بعد الموت .

فمن الناس من قال بتناسخ الارواح "٢" في أجساد البشر أو الحيوان أو

---

١ ــ انظر رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٣٩٧ ــ ٤١٤) ، بتصرف .

٢ ــ الهنود اول من اعتقد بتناسخ الارواح . ويعنون به انتقال النفس او الروح بعد الموت الى جسم اخر ، سواء كان من الحيوانات او النباتات او الانسان . ومن المتصوفة المنحرفين من يرى ان التناسخ يكون بحسب ما تنتقل اليه الروح من الاجسام . فاذا انتقلت من انسان الى انسان سمي " نسخا " واذا انتقلت من انسان الى حيوان سمي " مسخا " ، واذا انتقلت من =

النبات على الدوام .

ومن الناس من قال ان التناسخ ينتهي عندما تبلغ النفس البشرية اعلى درجات الكمال .

ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها من المادة ، تنعم او تشقى ، والمهم في هذا ان هناك شعورا عاما بحياة بعد هذه الحياة ، فطريا مركوزا في اعماق النفس البشرية ، ولا يمكن ان يعد ضلة عقلية او نزعة وهمية . انه شعور يهيج بالارواح الى ان تتحسس هذا البقاء الابدى بعد هذا العمر القصير وكيف ستكون هذه الارواح فيما بعد ؟ وكيف يمكن لها ان تهتدى الى ما ستصل اليه ؟

واين السبيل وقد غاب المطلوب واعوز الدليل ؟

ان الانسان في الحياة الدنيا يشعر انه بحاجة الى من يرشده ويعلمه كيف يقوم حياته ، ويستقيم على المنهج الصحيح . فكيف به وهو يشعر ان هناك عالما اخر غير هذا الذى يراه ، دون ان يرشده احد الى ما فيه ؟

اليس من الحكمة ان يصطفي الله بعض خلقه ، فيميزهم بالفطر السليمة ، والهمم العالية ، والارواح المشرقة ، فيعلمهم ما فيه هداية غيرهم من اعتقادات وعبادات ، وما فيه سعادتهم في الدارين ، ثم يؤيد الله هذه الصفوة من عباده بما لا تبلغه قوى البشر من الايات حتى تقوم بهم الحجة و " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " . "٢"

ولا شك ان المولى عز وجل وهو الرحيم بعباده ، العالم بحاجة البشر الى من ينقذهم من حيرتهم ، ويخلصهم من التخبط في الحياة الدنيا ، والضلال الذى هم فيه ، يرسل الانبياء والرسل ، ليتمم حياة الانسان ، ولئلا يكون للناس على

= انسان الى نبات سمي " رسخا " .

انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠٤) نقلا عن المعجم الفلسفي مادة "تناسخ".

١ — سورة النساء اية (١٦٥) .

الله حجة بعد ارسالهم ٠

لهذا كله كان الناس بحاجة الى الرسل ، بمعنى احتياج العقل الانساني لهم في قيادة القوى الادراكية والبدنية الى ما فيه خير الحياة الدنيا ، وسعادة الحياة الاخرة ٠

المســـــلك الثاني :

==================

يتغذى من طبيعة الانسان نفسه ، وما فطر عليه ، وهو العيش مع جماعة من الناس ، لها نظام يقوم على اساس من المحبة والعدل ، ، يشعر افرادها بالعجز عن ادراك تلك القوة القاهرة التي تسيطر على هذا العالم ٠

ويمكن توضيح هذا المسلك بثلاث نقاط ، هي :ـ

١ ـ الانسان مفطور على العيش مع جماعة ، له ما لها وعليه ما عليها ، وهذا انما يكون اذا وجدت الرابطة القوية بين الفرد وجماعته ، والتي على اساسها يخلص في العمل ، ويثاب بالاجر ٠

والمجتمع كما يكون فيه العظماء الذين يضحون بانفسهم فى سبيل اسعاد الاخرين لا يعدم الكسالى العاطلين ، والمنحرفين المحتالين ، الذين يسعون في الارض بالفساد ، فيخربون بيوتهم وبيوت الاخرين ٠

٢ ـ ولما كان المجتمع فيه ما فيه من امثال هؤلاء المتنافسين على اللذائذ الجسدية المتطفلين على بني جنسهم ، وكان لا يمكن ان يوجد مجتمع مثالي يبني نظامه على اساس من التعاون بين الجميع ، كان لابد للنوع الانساني في حفظ بقائه من العدل الذى يوجب المحبة بين الجميع ٠

٣ ـ ان كل فرد في هذه الجماعة يشعر بالعجز ، وانه مقهور لقوة اعلى منه ويشعر كل فرد في نفسه انه مسوق لمعرفة تلك القوة ، بل هو عاجز عن معرفة حقائق كثير من الاشياء ، وهذا الشعور بالعجز يرافقه منذ ولادته الى حين موته ٠

واشد ما يقف الانسان امامه عاجزا محتارا ، هو الرغبة في معرفة كنة الغيب الذى لم يحدث بعد ، فهو لم يستطع ان يصل الى معرفته ، ولا الى معرفة ما يحصل له غدا او بعد لحظات .

لهذا كله اخذ الانسان يبحث عن وسيلة تبلغه ما يريد ، فراح يدقق نظره ويعمل فكره في هذا الكون الفسيح ، وكانت النتيجة ان انقسم الناس الى فريقين :—

فريق ضل ، فعبد الهة غير الله كقوى الطبيعة ، او الاب ، او السيد ، ... الخ

وفريق اهتدى الى معرفة الاله الحق ، غير انه لم يهتد تماما ، لخفاء الكثير من الاسرار عنه ، فظل في حيرة واضطراب ، محتاجا الى من يخلصه مما هو فيه .

ولهذه الامور الثلاثة المكمل بعضها بعضا ، اشتدت حاجة الانسان الى من يسوقه ، ويضع له معالم في الطريق الى ما يطلبه ، والى ما فيه سعادته ، فجاءت الهبة الالهية جودا وكرما على الجميع ، وهم في امس الحاجة الى من يحفظ لهم بقاءهم ويقيهم غوائل الشقاء ، ويحفظ نظامهم الذى هو عماد اجتماعهم .

ارسل اليهم الرسل ، لنشر المحبة والامن ، والعدل ، ولتأسيس قواعد التعليم ، والتوجيه ، والارشاد ، يعلمونهم ما فيه اصلاح معاشهم ومعادهم من امور اعتقادية تبحث في شؤونه تعالى ، وامور تعبدية وعملية ، فيها سعادتهم في الدنيا والاخرة .

يقول الشيخ محمد عبده :

(فبعثة الانبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان ، ومن اهم حاجاته في بقائه ، ومنزلتها من النوع ، منزلة العقل من الشخص ، نعمة اتمها الله لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ا . هـ

هذا هو مسلك الشيخ محمد عبده في بيان وجه الحاجة الى الرسالة والرسل . وحتى اتبين هل هو المسلك الذى سلكه السلف ام لا ؟ ارى ان اعرض باختصار معتقد السلف رضي الله عنهم في بيان وجه الحاجة الى الرسالة .

معتقد السلف في بيان وجه الحاجة الى الرسالة :

=========================

الذى عليه السلف ، واهل السنة والجماعة من المسلمين ان منهج حاجة البشر الى الرسل والرسالات هو الانسان نفسه . اى طبيعة النفس الانسانية وهي طبيعة قائمة على جهل الانسان بمعرفة حقائق الاشياء وعجزه عن ادراك كنهها ، بالاضافة الى كبريائه ، وطغيانه ، وظلمه وعتوه ، وهو في جميع حالاته قاصر عن ادراك جميع الحقائق ، وتلك هي طبيعته ، ومدى ادراك عقله وسعة معرفته ، وهذا يكاد يكون محل اجماع بين الناس مؤمنهم وكافرهم . "١"

واذا كان الشيخ محمد عبده قد سلك هذين المسلكين في توضيح هذه الحقيقة ، فان السلف قد سبقوا الى ما قاله الشيخ محمد عبده ، فسلكوا المسلك الاول ، وهو خلود النفس الانسانية بعد الموت ، وفصلوا في الثاني فقسموه الى قسمين :

أ : حاجة الانسان الى العيش مع جماعة لها معتقد وشريعة ونظام حياة .

ب : التفات الانسان وايمان بعجزه .

واتكلم بشي من التفصيل عن كل مسلك ، مع مراعاة ذكر ما وجه الى الشيخ محمد عبده من طعن ، ذكره بعض الكتاب في صحة وسلامة مسلكه الاول .

---

١ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٥ .
وانظر الوحي المحمدي ، لرشيد رضا ص ٤٢ ، ٣٥ .
وانظر العقيدة الاسلامية واسسها ، لعبد الرحمن حبنكة ص ٣٠٢ — ٣١٠
وانظر النبوة والانبياء في ضوء القران ، لابي الحسن الندوى ص ٥ — ٢٩ ، ص ٥٧ .
وانظر نبوة محمد في القران ، لحسن عتر ص ٢٩ وما بعدها .

المسـلك الاول :

========== خلود النفس وحياتها بعد الموت :

===================

الاعتقاد بخلود النفس الانسانية بعد الموت ، وان لها حياة اخرى بعد الحياة الدنيا ، مما اتفقت عليه كلمة البشر ـ الا قليلا لا يقام لهم وزن امام الملايين من الناس في الماضي والحاضر ـ ولنا مع المنكرين جولة نذكرها بعد قليل باذن اللـه .

هذا الاعتقاد تصوره الناس كل حسب استعداده .

والتاريخ البشري يسعفنا بأمثلة كثيرة ، توضح ذلك ، منها :ـ

١ ـ اننا نجد قدماء المصريين يعتقدون ان الانسان اذا مات وقبر ، فانه يقوم في قبره فيأكل ويشرب ، ويبقى حيا ثم يبعث بعد ذلك ، لذلك كانوا يضعون مع الميت الوانا من الطعام والشراب ، وقد يزودونه ببعض النقود والمصكوكات ، وعلى شاكلة هؤلاء نجد السومريين الذين سكنوا ارض العراق في القرن الخامس عشر قبل الميلاد . "١"

٢ ـ اما اتباع " كنفوشيوس " في الصين ـ في القرن الخامس قبل الميلاد ـ فكانوا يتصورون ان الروح اذا انفصلت عن البدن فانها لا تفارق الوطن الذى عاشت فيه ، وتبقى مع اسرة الميت تحوم حولها في حلها وترحالها .

لذلك فانهم كانوا كثيرا ما يقدمون القرابين لارواح ابنائهم واجدادهم وفاء لهم وتقديسا . "٢"

---

١ ـ انظر قصة الديانات ، لسليمان مظهر ، الوطن العربى ص ٢١ ، ٤٠ .

٢ ـ انظر محاضرات في مقارنة الاديان ، للشيخ محمد ابو زهرة ، مطبعة يوسف ، القاهرة (١ : ٩٠) .

٣ — وفي الهند ، نجد البراهمة "١" في الماضي والحاضر ...

يعتقدون ان الانسان اذا مات لا يخلو حاله من امرين :

الاول :
====== ان يكون قد وصل الى درجة عالية من الكمال ، فلم يحدث ان ارتكب اثما او خطيئة ، او عمل عملا سيئا ، فهذا من الاخيار ، وسترتفع روحه الى الاله الخالق العالم " براهما " وتمتزج روحه بروحه ، وتتخلص من تكرار المولد ثانية ، والعودة الى الحياة في شكل اخر .

الثانـــــي :
========== ان يكون على خلاف ذلك بأن يكون انسانا شريرا مذنبا ، فهذا من الاشرار ، وسيبلى جسده ، وتعود روحه من جديد فتحل في جسد اخر لانسان اخر ، او حيوان ، وتبدأ دورة حياة جديدة ، قد تكون شقية وقد تكون سعيدة ، وتحرم من لذة الامتزاج بروح الاله " براهما " . وهذا ما يسمى بعقيدة التناسخ . "٢"

الصينيون من اتباع " بوذا " عاشوا في القرن الخامس قبل الميلاد يؤمنون بتناسخ الارواح ، ولكن بدلا من ان تمتزج ارواح الاخيار بالاله " براهما " ،

---

١ — قبيلة هندية : يقولون انهم من ولد " برهمي " ملك من ملوكهم . وليست النسبة الى ابراهيم الخليل عليه السلام ، لانهم ينكرون النبوات ، لكنهم يقولون بالتوحيد . ويتقلدون ازياء خاصة ملونة بحمرة وصفرة . وهم اصناف متعددة ، منهم اصحاب فكرة التناسخ .

١ — انظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١ : ٤٩) .

٢ — انظر مقارنة الاديان ، لاحمد شلبي ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م ، مكتبة النهضة القاهرة (٤ : ٦٣) .

فانها تصل الى اقصى درجة يمكن ان يصل اليها الانسان في الرقي الروحي وهي درجة " النرفانا " . "١"

هذه امثلة مما ذكرته لنا كتب التاريخ والاثار ، تروى قصة اعتقاد بعض الامم القديمة بالحياة الاخرة .

وهي انما تدل في جملتها على ان الاعتقاد بخلود الروح وبقائها بعد الموت غريزة فطرية موجودة في طبيعة النفس الانسانية ، تتطلع الى حياة بعد هذه الحياة ، وتتشوق لمعرفة شئ عنها ، ماذا عسى ان تكون ... وتظل الفطرة هذه مطرقة تطرق فكر الانسان وقلبه ، ويظل هو في حيرة من امره ، واضطراب ، تتقاذفه الامواج العاتية ، ولا يعلم اين يكون الملجأ والمنجا ...

افليس من حكمة الله وكرمه ان يرسل الرسل ، لانقاذ البشر من ورطتهم ، وما هم فيه من حيرة واضطراب ، ويوجههم الى طريق النجاة التي فيها بقاؤهم وسعادتهم !؟

بلى ، وهو العزيز الحكيم ، العالم ما في نفوس عباده من شعور ، الفاطر عقولهم على النظر في تلك الامور .

وللشيخ محمد عبده في توضيح تلك الفطرة التي فطر الله عقول البشر عليها وذلك الشعور العام الذى اودعه الله اصل تلك الفطرة ، كلام ، اذكره بتمامه ، واذكر ما ورد عليه من نقد واعتراض .

يقول الشيخ محمد عبده :

(هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث في جميع الانفس ، عالمها ، وجاهلها ، وحشيها ومستأنسها ، باديها وحاضرها ، قديمها وحديثها ،

---

١ ـ نفس المرجع (٤ : ١٥٧ ، ١٥٨) .

لا يمكن ان يعد ضلة عقلية او نزعة وهمية ، وانما هو " الالهامات " التي اختص بها هذا النوع ، كما الهم الانسان ان عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة الدنيا .

كذلك ، قد الهمت العقول واشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان في الوجود ، بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ، ثم يكون حيا باقيا في طور اخر ، وان لم يدرك كنهه .

شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الابدى ، وما عسى ان تكون عليه متى وصلت اليه ، وكيف الاهتداء واين السبيل وقد غاب المطلوب واعوز الدليل ؟

شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الامد ، لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الاقوم ، بل لزمتنا الحاجة الى التعليم والارشاد ، وقضاء الازمنة والاعصار ، في تقويم الانظار ، وتعديل الافكار ، واصلاح الوجدان ، وتثقيف الاذهان ، ولا نزال الى الان من هم هذه الحياة الدنيا في اضطراب ، لا ندرى متى نخلص منه ، وفي شوق الى طمأنينة لا نعلم متى ننتهي اليها .

هذا شأننا في فهم عالم الشهادة ، فماذا نؤمل من عقولنا وافكارنا في العلم بما في عالم الغيب ؟ هل فيما بين ايدينا من المشاهد معالم نهتدى بها الى الغائب ؟ وهل في طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له في حياة يشعر بها ؟ وهل وهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها ، والشؤون التي لابد ان يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه ؟ او الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤون ؟ وهل في اساليب النظر ما يأخذ الانسان الى اليقين ، بمناطها من الاعتقادات والاعمال ، وذلك الكون مجهول له ، وتلك الحياة في غاية الغموض بالنسبة اليه .

كلا ، فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر العقل ومرامي المشاعر ، ولا اشتراك بينهما الا في الانسان نفسه ، فالنظر في المعلومات الحاضرة

لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوامل المستقبلة) . "١"

اقــول :

هذا بعض كلام الشيخ محمد عبده في بيان وجه الحاجة الى الرسالة ، ذكر فيه التقاء شعور البشر على خلود النفس الانسانية بعد الموت ، وان هذا الالتقاء انما هو نتيجة شعور فطرى عند جميع الناس ، او كما قال الشيخ محمد عبده — انما هو الالهامات التي اختص بها هذا النوع —

وقد اعترض البعض على هذا ، وقالوا :—

ان امر خلود النفس ، وحياة الارواح بعد الموت في عالم الاخرة ليسا من البديهيات التي يشعر بها جميع الناس ، ويتفقون عليها ، وقد ذكر لنا التاريخ بل القران الكريم قصة اولئك الذين قالوا (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) . "٢"

وهذه الشيوعية اليوم تنكر الاديان ، بل تحاربها ، والدين عندهم افيون الشعوب والحياة مادة ، وادخال الدين في الحياة هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت . "٣"

لذلك لا يمكن ان يكون هذا المسلك صحيحا ، لانه مبني على اساس غير متفق عليه ، اذا فلا يوصل الى النتيجة الصحيحة . "٤"

---

١ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠٥ ، ٤٠٦)
وانظر كتاب الدين — بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، لمحمد عبد الله دراز ص ٨٠ .

٢ — سورة الجاثيـــــة اية (٢٤) .

٣ — انظر كتاب نقض اوهام المادية الجدلية ، للبوطي ص ٩٧ — ١٠٨ /
وانظر الانسان بين المادية والاسلام للاستاذ محمد قطب .

٤ — انظر اصول الدين الاسلامي ، لمحمد علي ناصر ، المكتبة العصرية — صيدا ، بيروت — ص ١٧٠ .

وفي الجواب على هذا الاعتراض اقول :

لو سلمنا للمعترض ما يقول من عدم اتفاق جميع الناس في امر خلود النفس ، والحياة بعد هذه الحياة ، فالشيخ محمد عبده يوافق على ذلك ، فهو يقول : (اتفقت كلمة البشر ، موحدين ووثنيين ، مليين وفلاسفة ، — الا قليلا — على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن) . "١"

لكن الشيخ محمد عبده راى ان شذوذ الفئة القليلة ، غير طاعن في اعتبار الالهام طريقا الى الايمان بحياة بعد هذه الحياة .

على اني لا اوافق الشيخ محمد عبده في دعوى خروج بعض البشر عن هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة .

بل اقــول :

ان الشعور بحياة بعد هذه الحياة موجود في جميع الانفس ، بلا استثناء ، بطريق الفطرة التي فطر الله الناس عليها ...

وسوف اقيم الدليل على هذا "٢" ، لكن بعد ان ارد على الذين اعترضوا على الشيخ محمد عبده في قوله : (ان خلود النفس وحياتها من الالهامات)

اولا :
==== ويجاب على المعترضين بما يلي :

١ — ان المراد هنا "بالالهامات" الشعور العام الموجود في اصل الفطرة ، وليس الالهامات بمعنى ما يقابل "المعقولات" .

---

١ — اخرت البحث في هذا لاستكمل الدفاع عن الشيخ محمد عبده ، لان اقامة الدليل على هذه القضية يحتاج الى كلام طويل ، قد يبعد القارى عن المعترضين على الشيخ محمد عبده .

٢ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة (٣ : ٤٠٣) .

وهذا الشعور مركوز في جميع الانفس ـ عالمها وجاهلها ، وحشيها ومستأنسها ، باديها وحاضرها ، وفي النفس الفاجرة ، ومن الهمت التقوى "١" ..

قال تعالى : " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " . "٢"

فالهام النفس هنا : جبلها ، في اصل الخلقة على امور لا تخفى عنها ... يشهد لهذا كثير من العلماء سلفا وخلفا :

قال شارح الطحاوية : (الايمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة) . "٣"

وذكر الشيخ " دراز " ما جاء في " معجم لاروس " للقرن العشرين وايده ، وهو :ـ

(ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى اشدها همجية واقربها الى الحياة الحيوانية ... وان الاهتمام بالمعنى الالهي ، وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية) . "٤"

أليس هذا الاهتمام نابعا من اعماق النفس الانسانية ؟ أليس هو غريزة مشتركة بين كل الاجناس ؟ على اختلاف السنتهم والوانهم ... حتى الاطفال ذوى الفطر السليمة يقول عنهم دراز :ـ

---

١ ـ انظر الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠٤) .
٢ ـ سورة الشمس الايات (٧ ـ ٨) .
٣ ـ شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .
٤ ـ كتاب الدين ، ص ٨٤ .

(فان كثيرا من الاطفال لا يقنعون بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقفون في تعليله عند حلقة من حلقات اسبابه ، وغاياته القريبة ، بل يصعدون دائما الى اسبابه الاولى ، ويسترسلون في تعرف نتائجه الاخيرة) . "١"

اليست هذه صورة مصغرة من ذلك الشعور العام المنبث في النفوس ؟ أليس هذا الاهتمام من الطفل دليلا على رسوخ الفطرة التي لا تنمحي بل تختفي وراء غواش طارئة سرعان ما تعود منجلية ، بمجرد ان يحركها باعث من بواعث تجليتها ، فتعود الى اصالتها ...

يقول دراز :ـ (ما هذه اذا تلك القوة الغلابة التي لا تزيدها المقاومة الا عنفا ، واشتعالا ، والتي تقهر في النهاية انصارها واعداءها على السواء ؟ اليست هي قوة الفطرة التي تورق وتثمر كلما عاودها الربيع فبلل ثراها وسقى اصولها ؟ وان هذا الربيع قد تكفي منه قطرة ، وربما تبلور في نظرة ، فما هي الا طرفة من تأمل الفكر ، او لحظة من يقظة الوجدان ، او ازمة من صدمات العزم ... فاذا انت تسبح بخيالك في عالم الغيب) "٢" للوصول الى الحقيقة الفطرية والتعرف عليها بوضوح .

الا ان هذه الحقيقة الفطرية قد تختفي وراء غواش طارئة منها :ـ

أ :ـ ما يشيعه الملاحدة والاباحيون من افكار ، ونظريات ، ومبادئ ... "٣"

ب :ـ انصراف الانسان الى ملذاته وشهواته ... "٤"

---

١ ـ نفس المصدر ص ٩٧ .

٢ ـ نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ ـ انظر كتاب : الله يتجلى في عصر العلم ص ٣٣ .

٤ ـ انظر كتاب : عقيدة المسلم ، الاستاذ محمد الغزالي ص ١٧ .

ج ـ التقليد والتعصب الاعمى للمذهب ... "١"

د ـ المبالغة في تعظيم وتقديس بعض المخلوقات ... "٢"

وقد اجمل الشيخ محمد عبده الكلام فيما مضى بعبارات تشفي العليل وتروى الغليل ، جاء فيها :

(كأن الله تعالى بما اودع في الانسان من الغرائز والقوى ، وبما اقام له من الشواهد وادلة الهدى ، قد اخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما اوتي من ذلك فيما خلق له ، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه ، لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات ، فبعث اليه النبيين ليطلبوا من الناس اداء ذلك الميثاق ، اى ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم ، وما ينبغي ان تسوقهم اليه غرائزهم) . "٣"

هكذا كان اجماع الناس في الشعور العام بعالم الغيب ، وخلود النفس وحياتها ، وهو اجماع ينادى به الواقع البشرى الملموس في كل زمان ومكان ، ولكن :ـ

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد او ينكر الفم طعم الماء من سقم "٤"

٢ ـ وعلى فرض صحة الاعتراض المذكور ، فان هذا لا يقدح في مسلك الشيخ محمد عبده ولا يطعن في نفعه ، لما يلي :ـ

أ : ـ لان الفئة المنكرة لخلود النفس ، والحياة بعد الممات قليلة لا تذكر ، ولا

---

١ ـ انظر كتاب : مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، لمحمد المجذوب ص ٢٢ .

٢ ـ انظر كتاب : تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٦٩ / وانظر دستور الاخلاق في القران ، لدراز ص ١٩٨ .

٣ ـ نهج البلاغة ، للامام علي ، اختيار الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده (١ : ٢٩) .

٤ ـ لا اعلم قائلـــه .

وزن لها ، لندرتها ، والقاعدة لا تنقض بالنادر ، بل تبقى صحتها ، ويبحث عن سبب الشذوذ النادر .

ونحن نرى كثيرا من علماء الطبيعة يبحثون عن اسباب الشذوذ الذى يطلقون عليه " فلتات الطبيعة " ، ولا يعدون هذه الفلتات دليلا على بطلان السنن والنواميس العامة في الكون ، كخسوف القمر ، وكسوف الشمس ... "١"

ب : — ان الغرض من ذكر هذا المسلك هو اقناع الناس ببيان وجه الحاجة الى الرسالة .

والناس فريقان :

فريق يقنع به ، وفريق لا يقنع به ، ولا يقف عليه ، بل يعمد الى طلب غيره ، وعقول الناس في قوة فهمها ومدى ادراكها متفاوتة .

لذلك يطرح الدليل ، وتظهر الحجة ، فيقتنع من يريد ان يقتنع ، ويمتنع من يريد ان لا يقتنع .

والشيخ محمد عبده لا يريد ان يقنع جميع الناس بمسلكه ، لكن ما دام هذا المسلك يقنع كثير منهم ، فهو اذا مسلك صحيح الاساس يفي بالغرض المطلوب .

ج : — من الثابت عند اهل العقول ان كثيرا من الناس يرفضون بعض القضايا وهي صحيحة . ولا يسلمون بها ، وكون هؤلاء يرفضون قضية ما ، لا يجعلها خارجة عن دائرة الصحة .

---

١ — انظر : الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٨٦) .

فمثلا ، قضية الايمان بالله ، قضية صحيحة مائة بالمائة ، ومع ذلك لم يؤمن بها كثير من الناس ، بشهادة كلام رب العالمين ، قال تعالـى :
" وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " ، "١"
وقال : " والذى انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون " ، "٢"

ومثلها تماما قضية خلود الروح ، وبقاء الحياة الاخرة ، فهي قضيـة صحيحة ومع ذلك وجد من ينكرها ، وذلك لا يمنع من صحتها .

د :ـ حتى وان سلم بعدم صحة هذا المسلك ، فقد ذكر الشيخ محمد عبده مسلكا آخر صحيحا ، وهو ايضا قائم على اصل الفطرة ، مما يقوى بيانه في المسلك الاول .

ـ والله أعلم ـ

---

١ ـ سورة يوسف اية (١٠٣) .
٢ ـ سورة الرعد اية (١) .

ثانيا : الرد على من انكر فطرية الشعور بالخلود •••

==============================

أقول :

ان قضية الايمان بحياة بعد هذه الحياة ، دون معرفة تفاصيلها ، قضية فطرية عند الجميع ، يشعر بها كل انسان من ذوى الفطر السليمة ، يستوى في ذلك الحفاة العراة وارقى شعوب العالم ، كما يستوى في ذلك فلاسفة اليونان في الماضي مع فلاسفة النصارى في الحاضر ، وقد ذكر التاريخ هذا الشعور عند قدماء المصريين ، والكلدانيين ، والصينيين ، والهنود ، والسومريين ، ولا يزال يذكره عن شعوب هذا العصر من ادناها الى ارقاها ••• •

ومثل هذا الاتفاق بين الجميع من الشرق الى الغرب ، ومن الماضي الى الحاضر من غير تواطؤ من احد ، ولا تلقين ، ولا تقليد ••• لا يعقل له سبب سوى الفطرة التي فطر عليها جميع الناس •

الا ان هذا الشعور الفطرى الاجمالي ، يختفي احيانا وراء غواش طارئة ، فتحجبه بستارها و وتحول دون ظهوره ـ فترة ـ الى وقت حصول باعث من بواعث ايقاظه ، فسرعان ما يعود هذا الشعور ليظهر من جديد عند أول انذار •

هذه هي الحقيقة ، ولا يملك انسان ان يقول غير هذا ، وما حصل لبعض الناس في الماضي والحاضر من جحود وانكار لهذه الحقيقة ليس معناه انها باطلة او غير صحيحة • وانما يعني وجود المانع فيهم باحتجاب نور الفطرة ، او جمود عقولهم او لتعصبهم البغيض لمبادئهم ، وافكارهم •••

ولم نعرف من البشر في الماضي والحاضر من انكر هذه الحقيقة ، الا بعض الطوائف المتعصبة : الدهرية في الماضي ، وبعض فرق البراهمة ، وفي الحاضر الشيوعية اصحاب المادية الجدلية •

ولا يعني انكار هؤلاء لهذه الحقيقة انعدام وجودها ، وبطلان الاعتراف بها ، داخليا في قرارة انفسهم ، وهذه ايضا حقيقة سجلها القران عليهم ، قال تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا "، "١"

وما الدهرية في الماضي ، والالحاد الشيوعي في الحاضر الا مرض خطير من الامراض الاجتماعية الطارئة ، التي ابتليت بها الامم قديما وحديثا ، اسأل الله ان يشفي البشرية من هذا المرض الخبيث ...

وأنا الان بسبيل نقض اوهام الدهرية ، والمادية الجدلية ، في انكار الخلود بعد الموت ، وعدم الاعتراف بالبعث ،

اقول :

١ — اذا كان هؤلاء القوم ينكرون الصانع الحكيم الذى شهد بمعرفته كل من في السموات والارض ، بطريق الفطرة ، وخالف القوم في ذلك فطرهم ، اليس من الممكن ان يخالفوا فطرهم فيما هو دون ذلك ، وهو البعث والحياة في الاخرة ؟

٢ — ذكر التاريخ ، وسمعنا قصص اناس كانوا من اشد الناس الحادا في الله ، وانكارا للبعث ، ثم اسلموا و وصاروا من اقوى الناس ايمانا ... الا يعني هذا ان الران قد نفض عن قلوبهم ، فسمعوا نداء الفطرة ؟ ثم الا يدل هذا على ان الشعور الفطرى بحياة بعد هذه الحياة كان كامنا في نفوسهم ؟

٣ — ورد في القران الكريم ما يكذب مدعاهم في انكار البعث ، والحياة الاخرة ، وجاء بصيغة الزعم الذى يكذب مقالتهم من اول وهلة ،

قال تعالى : " زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير "، "٢"

---

١ — سورة النمل اية (١٤) ، هذه الاية وان نزلت في حق منكرى المعجزات ، الا انها تصلح دليلا هنا ،

٢ — سورة التغابن اية (٧) ،

قال صاحب اضواء البيان : اى ان الكفار ادعوا انهم لا يبعثون ...
ولكن هذا الادعاء ينافي حقيقة ما يختلج صدورهم ، فهم فيه كاذبون . "١"
ويقول الشهيد سيد قطب : ومنذ البدء يسمي مقالة الذين كفروا عن عدم البعث
زعما ، فيقضي بكذبها من اول لفظ في حكايتها ... "٢"

٤ ـ ان هؤلاء المنكرين كذبوا الرسل ، وانكروا الايات ، وجحدوا بها ،
ظلما وعلوا ، كما ذكر القران الكريم ، في كثير من اياته ، كقوله تعالى :
" فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين " . "٣"
وقوله تعالى : " واتينا ثمود الناقة مبصرا فظلموا بها وما نرسل بالايات الا
تخويفا " . "٤"
فاذا كان هذا حال المنكرين مع رسل الله ، ومع الايات البينات ،
فكيف يكون حالهم اذا كان الامر متعلقا بالغيب واحواله ... ؟
لا شك انهم سيكونون اشد انكارا له وجحودا به ، وما ذلك الا لظلمهم ،
واستعلائهم على الحق الذى لا يريدونه ، لا لانعدام الشعور به في اعماق
نفوسهم .
يقول الشهيد سيد قطب :
(وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القران ، ويستيقنون انه الحق ،
ولكنهم يجحدونه ، ويجحدون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم اياهم الى الله
الواحد ، ذلك انهم كانوا يريدون الابقاء على دياناتهم وعقائدهم ، لما وراءها
من اوضاع تسندهم ، ومغانم تتوافد عليهم ، وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة

---

١ ـ اضواء البيان في تفسير القران بالقران ، لمحمد الامين الشنقيطي
(٨ : ٣٣٨) ، الطبعة الثانية .
٢ ـ في ظلال القران ، سيد قطب (٦ : ٣٥٨٧) ، الطبعة دار الشروق .
٣ ـ سورة النحل اية (١٤) .
٤ ـ سورة الاسراء اية (٥٩) .

وكذلك الحق ، لا يجحده الجاحدون لانهم لا يعرفونه ، بل هم يعرفونه . يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم لانهم يحسون الخطر فيه على وجودهم "١" او الخطر على اوضاعهم او الخطر على مصالحهم ، ومغانمهم ، فيقفون في وجهه مكابرين ، وهو واضح مبين) . "٢"

وصدق الله العظيم " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون " . "٣"

المسلك الثاني :

=============

أ : ـ حاجة الانسان الى العيش مع جماعة ، لها معتقد وشريعة ونظام حياة .

وحاجة الانسان الى اخيه الانسان ، لا تنتهي ، لان الانسان نوع من تلك الانواع التي غرز في طبعها ان تعيش مجتمعة . وان تعددت فيها الجماعات وهذا ما يعبر عنه علماء الاجتماع بقولهم : الانسان مدني بالطبع .

وهذا صحيح ، فلقد اودع الله في كل شخص شعورا ما ، بحاجة الى سائر افراد الجماعة .

يشهد لهذا الواقع الملموس المشاهد ، وما النطق الذى وهبه الله للانسان الا لحاجته لان يتفاهم مع اخيه الانسان ، وهذا اكبر شاهد بأن لا غنى للانسان عن الانسان .

ومثل من ينكر هذا كمثل الذى ينكر الشمس في وسط النهار .

قال الشاعر :

وليس يصح في الاذهان شيء ، اذا احتاج النهار الى دليل "٤"

---

١ ـ لا يكون في الحق خطر على وجود احد ، وانما الحق يساند الوجود ويعاضده ، نعم يكون فيه خطر على الاوضاع والمصالح .

٢ ـ في ظلال القران ، سيد قطب (٥ : ٢٦٣٠) .

٣ ـ سورة النحل اية (٨٣) .

٤ ـ البيت لابي الطيب المتنبي ، انظر ديوانه بشرح العكبرى (٣ : ٩٢) ، وفيه بدل الاذهان : الافهام .

فالصغير لا يستغني عن الكبير ، والجاهل لا يستغني عن العالم ، ومن يعيش في البادية لا يستغني عن اهل المدينة ، ولا العكس .

وصدق الله العظيم اذ يقول : " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم " . "١"

والدول لا غنى لبعضها عن بعض ، لا الشرقية تستغني عن الغربية ، ولا التي تزعم انها متقدمة تستغني عن تلك التي يسمونها نامية ، ولا العكس ، لان كلا خص بما يجعل الاخر محتاجا اليه .

وكلما كثرت مطالب الانسان ، زادت حاجته الى غيره ، وتبعا لهذه الحاجة نشأت العلاقات الفردية والجماعية ، وكان لا بد لهذه العلاقات من قوانين تحفظها ، ونظم تضبطها وتحافظ عليها ، من غير ان يعتدى قوى على ضعيف ، او يعيش ضعيف عالة على قوى .

فهل يستقيم امر جماعة بني نظامهم ، وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم وتعاطفهم ، من غير ضابط يضبط تصرفاتهم ، وحافظ يحفظها ؟

لا ريب ان البقاء بدون ذلك من المحال ، وهذه الحروب التي نشهدها بين وقت واخر دلت على استحالة حصول الامن والاستقرار بدون نظام يكفلها .

اذا فلا بد للنوع الانساني حتى يستمر بقاؤه ، من العدل الذي يؤدى الى المحبة ، او ما ينوب منابها ، كما قال الشيخ محمد عبده .

ظن فريق من اهل العلم والتبصر ان العدل يقود الى المحبة ، وبه يستقيم امر الجماعة .

---

١ — سورة الحجرات اية (١٣) .

لكن من الذى يضع قواعد العدل ، ويلزم الجماعة بالحفاظ على هذه القواعد ؟

وما هو ضابط العدل اذا وضع قواعده العقل البشرى ؟ وهل ما يراه البعض عدلا يراه الكل كذلك ؟

وهل عقول الناس على مستوى واحد من الفهم والادراك حتى تتفق على مفهوم العدل ؟

الجواب : لا ، فان التاريخ يحكي لنا سيرة بعض الملوك والحكام الذين سنوا السنن ، وشرعوا الشرائع ، وقننوا القوانين ، وحملوا الناس على رعايتها بالقوة ، لكنها سرعان ما ماتت بموت اصحابها ، وانتهت بانتهائهم .

وايضا : فاننا لم نسمع ان احد من هؤلاء الملوك استطاع ان يقنع الجميع بآرائه ، ونظمه ، ولو كانت هي الصواب ، ولو اقام عليها الادلة الواضحة والبراهين القاطعة .

وعدم الاقتناع ناتج عن تفاوت العقول في الادراك ، ومجرد البيان العقلي لا يكفي ليستقيم الناس على الجادة ، لان من الناس من يرى نفسه فوق واضعي القوانين ، ولان بعض الذين يقننون يزعمون انهم فوق ما يقننون ، فيخرجون على ما يقننون ، فتذهب حرمة قوانينهم ، ويتصدع اساسها ، فتخر تحت الاقدام وتنتهي بانتهائهم .

لذلك كله كان من حكمة الصانع ان يكمل النوع الانساني ، بما هو امس بالحاجة في البقاء ، وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء ، واحفظ لنظام الاجتماع الذى هو عماد كونه بالاجماع ...

فمن عليه بحامل اسس العدل الالهي ، والعناية الربانية ، ولم يجعله من غير جنسه ، بل اصطفاه بما يميزه عن غيره ، وايده زيادة فى الاقناع ، بايات باهرة ، ومعجزات قاهرة ، نعمة منه تعالى على الناس ، لكيلا يكون لهم على الله حجة بعد الرسل .

فبعثة الرسل صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان والمجتمع ، ومن اهم

حاجاته في بقائه ...

قال تعالى :

" كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ". "١"

وقال تعالى :

" ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ". "٢"

وقال تعالى :

" لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ". "٣"

صدق الله العظيم .

---

١ ـ سورة البقرة اية (٢١٣) .
٢ ـ سورة يونس اية (٤٧) .
٣ ـ سورة الحديد اية (٢٥) .

ب :ـ ايمان الانسان بعجزه :

==================

المعجز ظاهرة بشرية ، لا يسع الانسان الا الاعتراف والنزول عند مقتضياتها .

هذه الظاهرة ملازمة للانسان ، ترافقه منذ ولادته الى حين موته . فهو عاجز وهو طفل ، وهو عاجز ايضا وهو شاب ، وكلما كبر الانسان ازداد شعوره بعجزه .

ولا انكر ان الانسان حقق الكثير في حياته ، وعرف الكثير ، وسيطر على كثير من الاشياء في من حوله ، فخاض البحر ، وعرف ما فيه ، وغار في اعماق الارض واستخرج ما في باطنها ، وطار في السماء ، وربما حط قدمه على بعض كواكبها ولا زال يفكر في الوصول الى اكثر مما وصل اليه .

ولكن هذا لا ينفي عنه الشعور بالعجز ، اذ ان ما حققه لا يساوى شيئا من آماله ، وطموحه ، ذلك انها اكبر بكثير مما حققه وانجزه .

وان اشد ما يقف الانسان امامه عاجزا ، هو الرغبة في استكناه الغيب الذى لم يحدث بعد ، فهو لم يستطع ان يعرفه ، حتى ولا ما يحدث في الغد القريب بل لم يستطع ان يصل الى معرفة نفسه التي بين جنبيه ، او امساكها ساعة تفلت من بين جانحتيه .

ولقد ادى هذا العجز في تاريخ البشرية الى كثير من الوان العبادة ، المهتدية منها او الضالة .

ذلك ان نفس الانسان تشعر انها خاضعة لقوة اقدر على كل ما عجز هو عنه .

فهي تريد ان تعرف هذه القوة ، ولديها الرغبة الاكيدة في استكناة هذه القوة .

فتبدأ تبحث عنها بالنظر في الكون والتفكر فيه .

وانتهى الامر الى ان عبد بعضهم الحيوانات اما لنفعها واما خوفا من ايذائها .
وعبد بعضهم الكواكب لظهور اثرها في العالم الارضي . وعبد بعضهم قوى
الطبيعة لهذا السبب اولذاك ، وعبد بعضهم سيده لسلطته وسيطرته .
وعبد بعضهم الاحجار والاشجار لاعتبارات لهم فيها ... "١"
يشهد لهذا بعض ما ورد في القران الكريم :

١ - قال تعالى : " واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اراك
وقومك في ضلال مبين " . "٢"

ففي هذه الاية ان قوما عبدوا الحجارة ، واتخذوها آلهة ؟

٢ - قال تعالى : " وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم
الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون" . "٣"

ففي هذه الاية ان قوما سجدوا للشمس من دون الله .

٣ - قال تعالى : " فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى " . "٤"

وقال تعالى : " فاستخف قومه فأطاعوه " . "٥"

ففي الاية الاولى ادعى فرعون الربوبية ، وفي الاية الثانية اطاعوه
وهو القائل لهم " ما علمت لكم من اله غيري " . "٦"

---

١ - بتصرف عن كتاب : دراسات في النفس الانسانية ، لمحمد قطب ص
٢٢٠ - ٢٢٤ .
٢ - سورة الانعام اية (٧٤) .
٣ - سورة النمل اية (٢٤) .
٤ - سورة النازعات الايات (٢٣ ، ٢٤) .
٥ - سورة الزخرف اية (٧٤) .
٦ - سورة القصص اية (٣٨) .

اما كتب التاريخ ، وكتب الاديان فقد حفظت لنا الوانا من العبادات ، وجدت عند القدماء : كقدماء المصريين ، والصينيين ، والاشوريين ، والسومريين ، واليونان والهنود ، ومن الهنود من لا يزال يعبد بعض الحيوانات ، واظهرها البقرة . "١"

وهكذا ، نجد ان جميع البشر متفقون في الشعور بالعجز عن تحقيق كثير مما يصبون اليه ، ومتفقون ايضا في الاذعان لما فاق قدرهم ، وعلا عن متناول قدرتهم ، وهذا شي مغروز في فطرتهم ، لكنهم اختلفوا في فهم ما تلجوءهم هذه الفطرة للاذعان له ، اختلافا ادى الى تخبطهم واضطرابهم ، ومحاربة بعضهم بعضا .

اذا كان الانسان مفطورا على الشعور بقادر اقوى منه ، تتساق نفسه الى معرفته ، ومعرفة كيفية الوصول اليه ، للاستعانة به عند الملمات ، والاستنجاد به في الظلمات .

اليس من حكمة القادر ان يمن عليه بارسال من ينقذه من تلك الالهة الزائفة التي صنع بعضها بيديه ، ونسج الباقي من وحي خياله ...

وان يخرجه من حيرته واضطرابه ، وان يدله على الاله الحق ، وأن يأخذ بيده الى مطلع سعادته في حياته واخرته ، ...

بلى ، لانه تعالى لا يرضى لعباده الكفر ، وحتى لا يكون لهم حجة عليه يوم الحساب .

لذلك ارسل الرسل ، فكمل بهم الفطرة الانسانية بما تصبوها اليه مما

---

١ — انظر : قصة الديانات ، لسليمان مظهر ص (٢ ، ٤٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧) .
وانظر : مقارنة الاديان ، لاحمد شلبي (٤ : ٢٨) .

كانت غافلة عنه " ١ " ، لعوامل واسباب اشرت اليها سابقا .

وجملة القول في هذا الفصل : ان بعثة الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ، من متممات كون الانسان ، في الارض ، ومن اهم حاجاته في بقائه عليها ، في امن واستقرار ، يحيا فيها بمفاهيم صحيحة ، وتصورات صحيحة ، عن الله ، والكون ، والحياة ، نعمة من الله ذى الفضل العميم ، والجود العظيم .

---

١ ـ انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٥ : ٢٦٠) . وانظر كتاب الرد على المنطقيين ، له ايضا ، الطبعة الثانية ، ص ٣٨٢ .

٢٢٠



جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الشيخ محمد عبده وآراؤه في العقيدة الإسلامية - عرض ونقد

رسالة مقدمة
لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إعداد
حافظ محمد حيدر الجعبري

إشراف
الأستاذ الدكتور سليمان دنيا

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعین

الفصل الثالث : الوحي وامكانه :

١ ـ تعريف الوحي .

٢ ـ امكان حصوله .

٣ ـ وقوعه .

١ ـ تعريف الوحي

أ : ـ في اللغة : عرف الشيخ محمد عبده " الوحي " لغة فقال :ـ
يقال : وحيت اليه واوحيت ، اذا كلمته بما تخفيه عن غيره .

والوحي مصدر من ذلك .
والمكتوب ، والرسالة ، وكل ما القيته الى غيرك ليعلمه يقال له وحي . ثم غلب فيما يلقى الى الانبياء من قبل الله . "١"

ب : ـ في الشرع : عرف الشيخ محمد عبده الوحي : بأنه عرفان "٢" يجده الشخص من نفسه ، مع اليقين بأنه من الله بواسطة او

---

١ ـ انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤١٤) .

٢ ـ ويفرق بينه وبين الالهام بان الالهام وجدان تستيقنه النفس ، وتنساق الى ما يطلب على غير شعور منها من اين اتي .
والالهام اشبه ما يكون بالجوع والعطش ، والحزن والسرور .
وليس شرطا في الالهام ان تستيقن النفس مصدره .
انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة (٣ : ٤١٤) .

بغير واسطة •

وقسم الشيخ محمد عبده ما يكون بواسطة : الى ما يكون بصوت يتمثل لسمعه او بغير صوت •

٢ — امكان حصول الوحــي

==================

يقصد الشيخ محمد عبده بامكان حصول الوحي : جواز حصول العلم من الله تعالى بما فيه مصلحة البشر •

وينبه الشيخ محمد عبده الى ان حصول هذا العلم في غاية اليسر والسهولة لكل ذى عقل سليم ، يطلب الحق خاليا عن المؤثرات •

ويتساءل الشيخ محمد عبده قائلا : اى استحالة في الوحى وان ينكشف لانسان ما لا ينكشف لغيره ، من غير فكر ولا ترتيب مقدمات ، مع العلم ان ذلك من قبل واهب الفكر ومانح النظر ، متى حفت العناية من ميزته هذه النعمة ؟ •

يقول الشيخ محمد عبده في ذلك :—

(مما شهدت به البديهة ، ان درجات العقول متفاوتة ، يعلو بعضها بعضا ، وان الادنى منها لا يدرك ما عليه الاعلى ، الا على وجه من الاجمال ، وان ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط ، بل لا بد معه من التفاوت في الفطر التي لا مدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه •

ولا شبهة في ان من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو ارقى منه ، ولا تزال المراتب ترتقي في ذلك الى ما لا يحصره العدد ، وان من ارباب الهمم ، وكبار النفوس من يرى البعيد عن صغارها قريبا ، فيسعى اليه ثم يدركه ، والناس دونه ينكرون بدايته ، ويعجبون لنهايته ، ثم يألفون ما صار اليه كأنه من المعروف الذى لا ينازع ، والظاهر الذى لا يجاحد ، فاذا انكره منكر

ثاروا عليه ثورتهم في بادئ الامر على من دعاهم اليه ، ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلته ظاهرا في كل امة الى اليوم ،

فاذا سلم — ولا محيص عن التسليم — بما اسلفنا من المقدمات ، فمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها ، عند الوصول اليها ، ان لا يسلم بأن من النفوس البشرية "١" ما يكون لها من نقاء الجوهر ، بأصل الفطرة ، ما تستعد به ، من محض الفيض الالهي لان تتصل بالافق الاعلى ، وتنتهي من الانسانية الى الذروة العليا ، وتشهد من امر الله شهودا العيان ما لم يصل غيرها الى تعقله او تحسسه بعصى الدليل والبرهان ، وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحا على ما يتلقاه احدنا عن اساتذة التعاليم ، ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم ما علمت ودعوة الناس الى ما حملت على ابلاغه اليهم وان يكون ذلك سنة الله في كل امة وفي كل زمان على حسب الحاجة ،

يظهر برحمته من يختص بعنايته ، ليفي للاجتماع بما يضطر اليه من مصلحة ، الى ان يبلغ النوع الانساني اشده ، وتكون الاعلام التي نصبها لهدايته وسعادته كافية في ارشاده ، فتختم الرسالة ويغلق باب النبوة) ، "٢"

٣ — وقوع الوحي

============

ذكر الشيخ محمد عبده ان الدليل على رسالة نبي وصدقه فيما يحكيه عن ربه ، ظاهر للشاهد الذى برئ حاله ، ويبصر ما اتاه الله من الايات البينات ، ويحقق بالعيان ما يغنيه عن البيان ،

---

١ — هذا يفسر قوله السابق : النبي : (انسان فطر على الحق علما وعملا) ، فهذا الذى يقوله هناك يفسره ما يقوله هنا ،

٢ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤١٥ ، ٤١٦) ،

اما للغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر ، وهو رواية جمع عن جمع ...
يستحيل تواطؤهم على الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وايته قهر
النفس على اليقين بما جاء في الخبر .

ويرى الشيخ محمد عبده انه لا نزاع بين العقلاء في ان هذا النوع من الاخبار
يقصد الاخبار بطريق التواتر ـ يحصل اليقين بالمخبر به .

ويذكر الشيخ محمد عبده ان من الانبياء عليهم السلام من استوفى الخبر عنهم
شرائط التواتر كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

ويقول :

(ومما جاء به الخبر انهم لم يكونوا فيمن بعثوا بينهم بالاقوى سلطانا ،
ولا بالاكثر مالا ، ولم يختصهم احد بالعناية بهم لتعليمهم علم ما دعوا اليه ، وغاية
الامر انهم لم يكونوا من الادنين الذين تعافهم النفوس ، وتنبو عنهم الانظار ، ومع
ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ، ووفرة المال لديه ، واستعلائه عليهم بما
كسب من العلم ، قاموا بالدعوة الى الله رغم الملوك واجنادهم ، وصاحوا بهم
صيحة زلزلتهم في عروشهم ، وادعوا انهم يبلغون عن خالق السموات والارض ما اراد
شرعه للناس ، واقاموا من الدليل ما تصاغرت دونه قوة المعارضة ، ثم ثبتت في
الكون شرائعهم ثبات الغريزة في الفطرة ، وكان الخير لامتهم في اتباع ما جاؤا به .

حالفتهم القوة ، واحتضنتهم السعادة ما كانوا قائمين عليها ، ورزأهم
الضعف وغالبهم الشقاء ما انحرفوا عنها ، وخلطوا فيها ، فهذا وما اقاموه من
الادلة عند التحدي لا يصح معه ، في العقل ان يكونوا كاذبين في حديثهم عن الله ،
ولا في دعواهم انه كان يوحى اليهم ما شرعوا للناس .

على ان من لا يعتقد ما يقول ، لا يبقى لمقاله اثر في العقول ، والباطل
لا بقاء له الا في الغفلة عنه ، كالنبات الخبيث في الارض الطيبة ينبت باهمالها ،
وينمو باغفالها ، فاذا لامستها عناية الزارع غلب الخصب وذهب به الزكاء .

ولكن تلك الديانات التي جاء بها اولئك الانبياء قامت في العالم الانساني ما شاء الله ما قدر لها ، مقام سائر قواه ، مع كثرة المعارضين ، وقوة سلطان المغالبين ، فلا يمكن ان يكون اساسها الكذب ، ودعامتها الحيلة ، وكلامنا هذا في جوهرها الذى يلوح دائما في خلال ما الحق بها المبتدعون) ." ١ "

اما بقية الرسل ممن يجب علينا الايمان بهم ، فان الشيخ محمد عبده يرى انه يكفي في اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد اخبرنا نبينا عليه الصلاة والسلام برسالاتهم ، وهو الصادق فيما بلغ به .

وسيأتي الكلام عن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الفصل الخامس من هذا الباب ان شاء الله تعالى .

---

١ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤١٩) .

النظر في مذهب الشيخ محمد عبده بخصوص الوحي وامكانه :
==================================

وقبل ان اعقب على كلام الشيخ محمد عبده في الوحي وامكان وقوعه ، اقول :ـ ان الوحي والنبوة متلازمان من حيث ان الوحي هو اساس النبوة ، وبدونه تنعدم النبوة ، وينعدم الانبياء .

فحقيقة النبوة : نزول الوحي من عند الله على النبي .

فالوحي والنبوة متلازمان ، والحديث عن الوحي متصل بالحديث عن النبوة ، كما ان الحديث عن النبوة متصل بالحديث عن الوحي ، فلا وحي بلا نبوة ، ولا نبوة من غير وحي .

١ ـ تعريف الوحـــي :
===============

عرف الشيخ محمد عبده الوحي في اللغة بأنه اعلام في خفاء . وهو تعريف صحيح ذهب اليه معظم العلماء "١" وقالوا :ـ

قد يكون هذا الاعلام " بالاشارة " كما ورد في قوله تعالى :ـ

" فخرج على قومه من المحراب فأوحي اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا " . "٢"

ومعنى قوله تعالى " اوحي اليهم " : اشار اليهم .

وقد يكون " بالالهام " كما ورد في قوله تعالى : " واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين " . "٣"

---

١ ـ انظر اساس البلاغة للزمخشري ص ٦٦٨ . / وانظر تاج العروس (١٠ : ٣٨٥) .

٢ ـ سورة مريم اية (١١) .

٣ ـ سورة القصص اية (٧) .

وكما في قوله تعالى : " واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون " . "١"

ويقول صاحب لسان العرب "٢" : ويطلق الوحي على الكلام الخفي وكل ما القي الى الغير من الكلام .

اما في الشرع ، فقد عرف العلماء الوحي بأنه اعلام الله تعالى نبيا من انبيائه حكما شرعيا او نحوه .

ومعنى اعلام الله : اخباره ، وقد يكون منه تعالى مباشرة كما في فرض الصلاة ،

وقد يكون بواسطة الملك جبريل عليه السلام كما هو معلوم ، او بغير ذلك .

والحكم الشرعي : يتناول الاحكام الاصلية وهي العقائد كقوله تعالى :

" فاعلم انه لا اله الا الله " . "٣"

ويتناول الاحكام الفرعية وهي العمليات كقوله تعالى : " واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين " . "٤"

والمراد بكلام العلماء " او نحوه " : قصص الانبياء وغيرهم .

وبناء على هذا ، استطيع ان احكم بقصور تعريف الشيخ محمد عبده للوحي .

لان للعلماء قيدين في المعنى الشرعي للوحي :

---

١ ـ سورة النحل الايات (٦٨ ـ ٦٩) .

٢ ـ لسان العرب لابن منظور ، مادة " وحى " (١٥ : ٣٧٩) .

٣ ـ سورة محمد اية (١٩) .

٤ ـ سورة البقرة اية (٤٣) .

الاول : ان يكون من عند الله ٠

الثاني : ان يكون لنبي من انبيائه ٠

والشيخ محمد عبده لم يبين هوية الشخص الذى يحصل له هذا العرفان ٠ وكان ينبغي عليه ان ينص ايضا على هوية هذا العرفان ٠ وانه تكاليف امره الله بتبليغها للناس ٠ ليعملوا بها ٠ او ان يعمل بها بنفسه ٠

وايضا : فقد اجمل الشيخ محمد عبده صور هذا العرفان ٠ او طرائقه ٠ وكان الاولى به ان يفصل ٠ كما جرت عادة العلماء ٠ وقد فصل ذلك العلامة الامام ابن القيم رحمه الله فقال وهو يذكر مراتب الوحي :ـ

احداها :ـ الوحي بالالقاء في القلب ٠ كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :ـ " ان روح القدس "١" نفث في روعي "٢" ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ٠ وتستوفي اجلها ٠ فاتقوا الله واجملوا في الطلب "٠ "٣"

الثانية :ـ الرؤيا الصادقة ٠ وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم ٠ عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح "٠ "٤"

وكما في رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام :ـ

قال تعالى : " قال يا بني انى ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال ياابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين "٠ "٥"

---

١ ـ يعني جبريل عليه السلام ٠

٢ ـ اى القى في قلبه ٠

٣ ـ الحديث صحيح ٠ ومتفق عليه ٠

٤ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى ٠ لابن حجر ٠ تحقيق وتصحيح واشراف عبد العزيز بن باز ٠ (١ : ٢٣)٠

٥ ـ سورة الصافات الايات (١٠١ ـ ١٠٢) ٠

الثالثة :ـ انه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي ما يقول له ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة احيانا .

سأل الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فأعي ما يقول " ، "١"

الرابعة :ـ انه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان اشده عليه ، فيلتبس به الملك حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، وحتى ان راحلته لتبرك به الى الارض اذا كان راكبها ، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه صلى الله عليه وسلم على فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه ، فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

الخامسة :. ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي اليه ما شاء الله ان يوحيه ، وهذا وقع له مرتين "٢" ، كما ذكر الله ذلك في سورة النجم .

قال تعالى : " ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى " . "٣"

السادسة : ما اوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

السابعة : كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران عليه

---

١ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، (١ : ١٨) .

٢ ـ انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١ : ٢٣ ، ٢٧) .

٣ ـ سورة النجم الايات (١٣ ـ ١٤) .

السلام ، وهذه المرتبة ثابتة لموسى عليه السلام قطعا بنص القرآن ، وثبوتها لنبينا صلى الله عليه وسلم هو في حديث الاسراء ٠ ١ ٠ هـ "١"

وصدق الله العظيم اذ يقول : " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم " ٠ "٢"

ولا اعتراض على كلام الشيخ محمد عبده في امكان حصول الوحي ووقوعه فان البعثة ممكنة عقلا عند المسلمين ، وكذلك الوحي ٠

فالبعثة والوحي ليسا من الامور المستحيلة عقلا ، فهما من قبل الله القادر على كل شيء ، والعالم بكل شيء وهو " ذو العرش المجيد فعال لما يريد " ٠ "٣"

فالوحي بجميع صوره السابقة ليس من قبيل المستحيلات ، ولا من قبيل الواجبات "٤" فهو جائز عقلا "٥" ، بل قد وقع فعلا ، ووقعت بعثة الانبياء ، وجاؤا اقوامهم بالمعجزات ، وشهد ذلك الحاضر بالرؤيا ، وايقنه الغائب بالتواتر القطعي ، فدل ذلك على امكان الوحي والبعثة ووقوعهما ، وقد حصل ذلك بالفعل ، مع جميع الانبياء من اولهم الى اخرهم ، وخاتمهم نبينا محمد عليهم جميعا افضل الصلاة والسلام ٠

---

١ — زاد المعاد ، لابن القيم ، المطبعة المصرية ، الطبعة الاولى ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م ٠ (١ : ١٨) ٠
وانظر كتاب : الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفورى ، الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ، ص (٧٤ — ٨٠) ٠
٢ — سورة الشورى اية (٥١) ٠
٣ — سورة البروج الايات (١٥ — ١٦) ٠
٤ — كما هو الحال عند المعتزلة ٠
انظر كتاب النجاة لابن سينا ص ٣٠٤ ، ط ٢ ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ ٠
وانظر المواقف لعضد الدين الايجي وشرحه للشريف الجرجاني (٣ : ١٨٢) وما بعدها ٠
٥ — وهو مذهب اهل السنة رضي الله عنهم ٠ وجميع المسلمين ٠
انظر كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٧ / وانظر المواقف وشرحه (٣ : ١٨٣)
وانظر كتاب : الايمان بين الايات القرانية والحقائق العلمية ، لعبد السلام العبادى ، الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م ص ٩٠ ٠

الفصل الرابع : وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام :

فصل الشيخ محمد عبده وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام على النحو التالـــي :—

١ ــ الرسل عليهم الصلاة والسلام يرشدون العقل الى معرفة الله ، ومعرفة صفاته ، ويبينون الحد الذى يجب ان يقف عنده في طلب ذلك العرفان .

٢ ــ الرسل عليهم الصلاة والسلام يجمعون كلمة الخلق على اله واحد ، ويطلبون منهم التوجه اليه وحده في جميع الاعمال والمعاملات ، ويذكرونهم بعظمته بفرض ضروب من العبادات تذكرة لمن ينسى ، وتزكية لمن يخش .

٣ ــ الرسل عليهم الصلاة والسلام يفصلون بين الناس في ما يحدث بينهم من مخاصمات ، بأحكام من عند الله .

٤ ــ الرسل عليهم الصلاة والسلام يضعون للناس حدودا ، وقواعد ، واوامر وارشادات ، كلها من عند الله ، حتى يقفوا عندها ويرجعوا اليها .

٥ ــ الرسل عليهم الصلاة والسلام يحولون اهتمام الناس من الركون الى الدنيا الفانية الى حياة الاخرة الباقية ، من غير تفريط ولا افراط .

٦ ــ الرسل عليهم الصلاة والسلام يبينون للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم ، ويحذرونهم ما يعرضهم لسخطه عليهم ، ويذكرونهم بالنشأة والمصير ، ويعرفونهم بالامور التي تكون بعد الموت ، ويعلمونهم من انباء الغيب ما اذن الله لعباده في العلم به .

وينبه الشيخ محمد عبده الى انه ليس من وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام بيان كل شيء ، فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ، او الفلك ، او الجغرافية ، او الطب ، او الحساب .... الى اخر ما تمس اليه حاجة الانسان في الدنيا .

وما ورد من كلام الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من الاشارة الى شي
من هذه العلوم ، انما يقصد منه النظر الى ما فيه من الدلالة على حكمة الخالق ،
وابداع الصنع ، او التفكر في مخلوقات الله تعالى لادراك بعض اسراره وبدائعه . "١"

النظر في كلام الشيخ محمد عبده عن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام :
==

اقول : ان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في بيان مهمة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، حق ، لا غبار عليه .

ويمكنني ان اقول انه عين ما ذهب اليه السلف رضوان الله تعالى عليهم ، الا ما جاء في الوظيفة الاولى ، من قوله : (يرشدون العقل الى معرفة الله) ، فان هذا الكلام يحتاج الى ان أقف معه قليلا ، لعدم وضوحه ، فهو بحاجة الى ايضاح ، ولانه بيت القصيد في الموضوع . وسأعقب عليه بعد قليل باذن الله تعالى .

والسلف رضي الله تعالى عنهم يرون ان من وظائف الرسل عليهم السلام دعوة الخلق الى عبادة الله وحده ، ويستشهدون على ذلك بآيات منها :-

قوله تعالى : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله " . "٢"

وقوله تعالى : " وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه " . "٣"

وقوله تعالى : " والى عاد اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله " . "٤"

وقوله تعالى : " والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله " . "٥"

---

١ ـ انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٢٠ ـ ٤٢٢) بتصرف .

٢ ـ سورة المؤمنون اية (٢٣) .

٣ ـ سورة العنكبوت اية (١٦) .

٤ ـ سورة الاعراف اية (٦٥) ، وسورة هود اية (٥٠) .

٥ ـ سورة الاعراف اية (٧٣) ، وسورة هود اية (٦١) .

وقوله تعالى : " والى مدين اخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله " • " ١ "

وقوله تعالى : " وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم " • " ٢ "

وقوله تعالى : " ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله " • " ٣ "

ويرون ايضا ان الرسل عليهم الصلاة والسلام يبلغون اوامر الله عز وجل • ونواهيه الى البشر •

قال تعالى : " يأأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته " • " ٤ "

" ٥ "

وقال تعالى : " الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله " •

وهم ايضا يرشدون الناس الى الصراط المستقيم • ويبشرون بالجنة من اطاع • وينذرون بالنار من عصى •

قال تعالى : " ياايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا " • " ٦ "

وقال تعالى : " ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور " • " ٧ "

وهم ايضا القدوة الحسنة • والاسوة الصالحة للناس •

قال تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا " • " ٨ "

---

١ ــ سورة هود اية (٨٤) • وسورة العنكبوت اية (٣٦) •
٢ ــ سورة المائدة اية (٧٢) •
٣ ــ سورة النحل اية (٣٦) •
٤ ــ سورة المائدة اية (٦٧) •
٥ ــ سورة الاحزاب اية (٣٩) •
٦ ــ سورة الاحزاب اية (٤٥) •
٧ ــ سورة ابراهيم اية (٥) •
٨ ــ سورة الاحزاب اية (٢١) •

وقال تعالى : " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " ." ١ "

وقال تعالى : " قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه " ." ٢ "

وقال تعالى : " لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد " ." ٣ "

وهم ايضا يذكرون الناس بالنشأة والمصير ويوجهون جل اهتمامهم من الحياة الدنيا ولذائذها الفانية الى الحياة الاخرى ونعيمها الباقي .

قال تعالى : " وما هذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون " ." ٤ "

وقال تعالى : " فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر " ." ٥ "

واخيرا ، يرى السلف ان الله وكل هذه الوظائف الى انبيائه ورسله ، عليهم الصلاة والسلام : " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " ." ٦ "

---

١ ــ سورة الانعام اية (٩٠) .
٢ ــ سورة الممتحنة اية (٤) .
٣ ــ سورة الممتحنة اية (٦) .
٤ ــ سورة العنكبوت اية (٦٤) .
٥ ــ سورة الغاشية الايات (٢١ ــ ٢٢) .
٦ ــ سورة النساء اية (١٦٥) .

" عود على بدء " :

============

واعود الى ما قاله الشيخ محمد عبده عن الوظيفة الاولى ـ (يرشدون العقل الى معرفة الله) ، لابين ان معرفة الله ربا وخالقا ، والايمان به في حدود هذا المفهوم ، دون ما وراءه من التفاصيل الدينية ، امر فطرى مركوز في النفس الانسانية .

وان الاقرار بالله فطرة فطر الله الناس عليها ، لا فرق في هذا بين انسان وانسان ، ما دامت فطرهم سليمة .

بل ان الملحد ، والكافر حين يسأل عمن خلقه ، وخلق السموات والارض لا يملك الا ان يعترف بما هو مستكن في نفسه ، فيقول : " الله " " الله " ، الا اذا كانت تسيطر عليه بعض الشبهات ، او الافكار الخبيثة ، او انصرف الى ملذاته وشهواته المحرمة ، او تعصب لمذهب فحوله عن فطرته .

وفي القران من الايات ما يشهد لهذه الفطرة ، واليك بعضا من اياته :ـ

١ ـ قال تعالى : " هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين " . "١"

هذه الاية تشهد بوضوح ان الانسان ـ مليا كان او غير ملي ـ اذا المت به مصيبة او احاطت به كارثة ، ثم تقطعت به الاسباب ، فلا نصير ولا معين ، في هذا اليأس القاتل تظهر فيه الفطرة ، وتتجلى ، فيهرع الى مولاه ، يستجديه

---

١ ـ سورة يونس اية (٢٢) .

الخلاص من هذا الهلاك العظيم . "١"

٢ ـ هذا فرعون العنيد يعلن امام الملأ ما كان يخفيه في نفسه . فبعد ان كان يقول لقومه : ما علمت لكم من اله غيرى ، كما قال تعالى : " وقال فرعون ياايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى " . "٢" وكان يقول لهم : انا ربكم الاعلى ، كما قال تعالى : " فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى " . "٣" ، رجع الى فطرته ، واعترف بما كان يجب عليه ان يعترف به من قبل ان يدركه الغرق .

قال تعالى : " حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين " . "٤"

وصدق الله العظيم اذ يقول :ـ

" واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه " . "٥"

ويقول تعالى : " واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون " . "٦"

---

١ ـ انظر : حاشية الشهاب على البيضاوى ، احمد بن محمد الشهاب ، دار صادر ، بيروت (٥ : ١٨) .
وانظر : التفسير الكبير ، للامام الفخر الرازى ، الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ (١٧ : ٧٠) .
وانظر : روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، للالوسى ، (١١ : ٩٧) .
وانظر كتاب : الله في العقيدة الاسلامية ، للشهيد حسن البنا ، الطبعة الثانية ، ص ٢٣ .
٢ ـ سورة القصص اية (٣٨) .
٣ ـ سورة النازعات الايات (٢٣ ـ ٢٤) .
٤ ـ سورة يونس اية (٩٠) .
٥ ـ سورة الاسراء اية (٦٧) .
٦ ـ سورة الروم اية (٣٣) .

هذه هي حال الانسان ، يعرف ربه في حال الشدة ، وفي لحظة انقطاع رجائه عن الكل يرجع الى ما هو مركوز في نفسه ، فيعرف الله ويطلب منه النجاة ٠ "١"

ولكن هل احترم الانسان فطرته هذه ، وخضع لمنطقها السليم ؟

كلا ، انه اذا ازال الله عنه الباساء والضراء ، وقضى حاجته ، نسي او تناسي تلك الفطرة التي تنادى بفاطر السموات والارض ، والتي تلح بالنداء بذلك الصوت الالهي المنبعث من اعماق النفس الانسانية ، تناديه في كل حين : ان لا تغفل عما الترمته به تجاه خالقك ٠

قال تعالى : " فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق " ٠ "٢"

وقال تعالى : : " فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه " ٠ "٣"

وقال تعالى : " ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون " ٠ "٤"

وقال تعالى : " فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون " ٠ "٥"

من اجل هذا جاء الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، لتكميل الفطرة ، وتنبيهها ، وايقاظها ، وتوجيهها ، ليس الى ان تعرف الله — كما قال الشيخ محمد عبده — لان في الفطرة معرفة الله تلقائيا ، وانما الى الرجوع الى الله ، وعدم الاعراض عنه ، وترك الاراء ، والاهواء الضالة ، ونبذها ، — كما قال الشيخ محمد عبده ، في موضع اخر =

---

١ — انظر : التفسير الكبير ، للفخر الرازي (٢٦ : ٢٨٧) ، (٢٥ : ١٢١) ٠

٢ — سورة يونس اية (٢٣) ٠

٣ — سورة يونس اية (١٢) ٠

٤ — سورة النحل اية (٥٤) ٠

٥ — سورة الزخرف اية (٥٠) ٠

(والحاجة الى اولئك المصطفين انما هي في معرفة الصفات التي اذن الله ان تعلم منه ، وليست في الاعتقاد بوجوده) . "١"

وايضا ، جاءت الرسل لدعوة الخلق الى التوحيد ، والى هذا اشارت الايات السابقة الذكر ، على لسان رسل الله ، اذ قالوا لاقوامهم : " اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " .

يقول الامام ، حجة الاسلام ، الغزالي رحمه الله :

(بعث الله الانبياء لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا : " لا اله الا الله " وما امروا ان يقولوا : لنا اله ، وللعالم اله ، فان ذلك كان مجبولا في فطرهم من مبدأ نشوئهم ، وفي عنفوان شبابهم ، ولذلك قال الله عز وجل : " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله " . "٢" ، وقال تعالى : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها " "٣" . فاذا في فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن البيان " . "٤"

ويقول الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(بل الرسل صلوات الله عليهم بينت العلوم العقلية التي بها يتم دين الناس علما وعملا ، وضربت الامثال ، فكملت الفطرة بما نبهتها عليه ، وارشدتها ما كانت الفطرة معرضة عنه ، او كانت الفطرة قد فسدت بما حصل لها من الاراء والاهواء الفاسدة ، فأزالت ذلك الفساد ، وبينت ما كانت الفطرة معرضة عنه) "٥"

---

١ ـ رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٣٢) .
٢ ـ سورة لقمان اية (٢٥) .
٣ ـ سورة الروم اية (٣٠) .
٤ ـ احياء علوم الدين ، ابو حامد الغزالي (١ : ١٠٥) ، دار المعرفة ، بيروت .
٥ ـ الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، الطبعة الثانية ص ٣٨٢ . وانظر : مجموع الفتاوى (٥ : ٢٦٠) .

ويقول الاستاذ وحيد الدين خان :

(ان اكتشاف الله — يعني معرفته — استجابة لنداء داخلي ، وعندما يظفر الانسان بذلك القبس من المعرفة ، يفاجأ بصيرورته جزءاً من كيانه ... ، فعلاقته بهذه المعرفة ليست علاقة عقلية ، وانما هي علاقة نفسية ... ، وكل ما يشكل جزءاً نفسياً من كيان الانسان لا يحتاج الى دليل) . "١"

وبالجملة فان ما جاءت به الرسل ، وما يدركه العقل السليم ، يلتقيان عند نقطة واحدة ، هي ايقاظ الفطرة ، وتنبيهها ، وتوجيهها . "٢"

قال تعالى : " ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مذكر " . "٣"

---

١ — الدين في مواجهة العلم ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الاسلام خان ، مراجعة عبد الصبور شاهين ، الطبعة الثالثة ، المختار الاسلامي ، القاهرة ص ٣ .

٢ — ومما تجدر الاشارة اليه ان المسؤولية والجزاء ، والثواب والعقاب ، ارتبطت كلها بعمل الرسل ، وهو ايقاظ العقل وتنبيهه ، واقامة الحجة له ، وعليه ، لذلك من لم تبلغه دعوة الرسل تسقط عنه التكاليف رغم وجود الفطرة عنده ، فالفطرة وحدها غير كافية لتحقيق المسؤولية .
قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " الاسراء اية (١٥)
وقال تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " . النساء اية (١٦٥)

٣ — سورة القمر الايات (١٧ ، ٢٢ ، ٣٢) .

الفصل الخامس : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقران معجزة الاسلام الخالـــــدة :

==

أ : ـ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ب: ـ القران معجزة الاســـلام .

أ :ـ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

=======================

تحت هذا العنوان ، كتب الشيخ محمد عبده ، كلمة استعارها من التاريخ يكاد يجمع عليها الكتاب ، والمؤرخون ، الذين ارخوا لذلك العهد الذى اشرقت فيه شمس الرسالة الاسلامية ، وبزغ فيه نور النبوة المحمدية . بين فيها كيف كانت حاجة العالم كله ماسة الى رسالة تؤوب بسكان الارض الى رشد يقيم الانسان على الطريق التي سنها الله له ، ليبلغ بذلك كماله ، ويصل الى ما اعد له في الدارين ...

ويمكن تلخيص ما جاء في هذه الكلمة في النقاط التالية :ـ

١ ـ التنازع والتجالد المستمر بين دولة الفرس في الشرق ، ودولة الروم في الغرب . فسفكت الدماء ، وانهكت القوى ، واهلكت الاموال ... الى اخر ذلك مما تجلبه الحروب وينتج عن القتال .

٢ ـ ظهور طبقة المترفين من السلاطين ، والامراء ، والقواد ، ورؤساء الاديان ، من كل امة ، فكان الزهو ، والفخفخة ، والاسراف ، والتفنن في الملاذ .. اما بقية الرعية فقد اثقلت ظهورها من كثرة ما طلب منها ، فاستولى عليها ضروب من الفقر ، والذل ، والخوف ، والاضطراب ، مما ادى الى فقدان الشخصية وانعدام الاستقلال .

٣ ـ انحرفت تصورات الناس ومعتقداتهم ، وخاصة عند طبقة السادة ، الذين انشؤا سجفا من الاوهام والخرافات ، والقوا بها في عقول العامة ، حتى لا يهتدوا الى السبيل بما تبقى لديهم من بصيص النور الالهي ، نور الفطرة ، فيثوروا على من ظلموهم .

٤ ـ نشأ صراع عنيف بين الدين ، والعقل ، ادى في النهاية الى الثورة على الدين ، وتنحيته عن الحياة ، فظهرت البدع والخرافات ، وسيق الناس الى الوثنية ، وبعدوا عن التوحيد ، وظهرت مذاهب الاباحيين ، والدهريين ، في شعوب متعددة .

٥ ـ اما بالنسبة الى الامة العربية ، فقد كانت فيها قبائل شتى ، متخالفة في النزعات ، خاضعة للشهوات ، كثر بينها الغزو ، وسفك الدماء ، وسلب الاموال ، بسبب الطمع وفساد الاعتقاد .

بلغوا من سخافة العقل حدا صنعوا اصنامهم من الحلوى ، ثم عبدوها ، فلما جاعوا اكلوها ، . وبلغوا من تضعضع الاخلاق وهنا قتلوا فيه بناتهم تخلصا من عار حياتهن او تنصلا من نفقات معيشتهن .

وبالجملة : كانت ربط النظام الاجتماعي قد تراخت عقدها في كل امة ، وانفصمت عراها عند كل طائفة .

هذا ما اتفق عليه مؤرخوا ذلك العهد ، وهذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معايشهم ، عبيد اذلاء ، حيارى ، في جهالة عمياء ... "١"

---

١ ـ انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٢٩) ، بتصرف .

ومن هنا يصل الشيخ محمد عبده الى بيان حاجة سكان الارض الى رسالة فيها هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والاخرة .

ويقول :ـ (افلم يكن من رحمة الله باولئك الاقوام ان يمدهم برجل منهم ، فيوحي اليه رسالته ، ويمنحه عنايته ، ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ، التي اظلت رؤوس جميع الامم ؟) بلى كان من رحمة الله بهم ان يبعث فيهم من وقع عليه اختياره ليقوم بهذه المهمة وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

ويعرض الشيخ محمد عبده سيرته العطرة قبل النبوة وبعدها فيقول ما ملخصه :

١ ـ ولد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، بمكة المكرمة ، بعد ان مات والده بزمن يسير ، فنشأ على اليتم ، وخشونة العيش والام الحياة .

وفي السنة السادسة من عمره ، ماتت امه ، فاحتضنه جده عبد المطلب ، وبعد سنتين من كفالته ، توفي جده ، فكفله عمه ابو طالب .

٢ ـ كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا ، وفضيلة وادبا ، حتى عرف بين اهل مكة " بالامين " ، ولم يكن هذا لاحد غيره من قبل .

يقول الشيخ محمد عبده : (ادب الهي لم تجر العادة بأن تزين به نفوس الايتام من الفقراء ، خصوصا مع فقر القوام ، فاكتهل صلى الله عليه وسلم كاملا والقوم ناقصون ، رفيعا والناس منحطون ، موحدا وهم وثنيون ، سلما وهم شاغبون ، صحيح الاعتقاد وهم واهمون مطبوعا على الخير وهم به جاهلون ، وعن سبيله عادلون) . "١"

لقد بغضت اليه الوثنية من مبدأ عمره ، وعاجلته طهارة العقيدة ، كما بادره حسن الخلق والخلقة ، فهداه الله الى ما كانت تتلمسه بصيرته ، باصطفائه لرسالته ، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته .

---

١ ـ نفس المرجع ، ونفس الصفحة .

٣ ـ وبعد ان تزوج من خديجة رضي الله عنها ، وجد شيئا من المال يسد حاجته ، وكان له بذلك ما يرفه معيشته من غير ان تروقه الدنيا ، او تغره زخارفها .

وحبب اليه الخلاء ، للانفراد والانقطاع الى الفكر ، والمراقبة والتحنث بمناجاة الله تعالى ... الى ان نزل عليه الوحي من المقام العلي ، فصار بذلك نبيا ورسولا .

٤ ـ نهض صلى الله عليه وسلم ، وحيدا ، ترعاه عناية الله ، يدعو الناس الى التوحيد ، ونبذ الشرك ، وتحطيم الاصنام ، وتطهير المعتقدات مما كان شائعا في ذلك العصر ، من البدع والخرافات ، (فنادى في الوثنيين بترك اوثانهم ، وفي المشبهين بالتطهر من تشبيههم ، واهاب بالطبيعيين ليمدوا بصائرهم الى ما وراء حجاب الطبيعة ، وصاح بذوى الزعامة ليستكينوا لربهم ، وقرر ان لا سلطان لاحد من البشر على اخر منه الا ما رسمته الشريعة وفرضه العدل) .

وبالجملة : دعا الناس من عبادة الناس الى عبادة رب الناس ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ، كل ذلك بالحجة والبيان ، فأخذهم بالنصيحة ، وازعجهم بالزجر بالزجر ، ونبههم بالعبر ، وقرر ان لا سلطان لاحد من البشر على البشر ، واحاطهم مع ذلك بالموعظة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، فكانوا خير امة اخرجت للناس .

وينتهي الشيخ محمد عبده الى تقرير نبوته صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، فيقول :ـ

(ما هذه القوة في ذلك الضعف ؟ ، ما هذا السلطان في مظنة العجز ؟ ، ما هذا العلم في تلك الامية ؟ ، ما هذا الرشاد في

غمرات الجاهلية ؟ ....

ان هو الا خطاب الجبروت الاعلى ، قارعة القدرة العظمى ، نداء العناية العليا ، ذلك خطاب الله القادر على كل شيء الذى وسع كل شيء رحمة وعلما ، ذلك امر الله الصادع ، يقرع الاذان ، ويشق الحجب ، ويمزق الغلف ، وينفذ الى القلوب ، على لسان من اختاره لينطق به ، واختصه بذلك وهو اضعف قومه ليقيم من هذا الاختصاص برهانا عليه ، بعيدا عن الظنة ، بريئا من التهمة ، لاتيانه على غير المعتاد بين خلقه ...

اى برهان على النبوة اعظم من هذا ؟

امي قام يدعو الكاتبين الى فهم ما يكتبون ، وما يقرأون ، بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ، ليمحصوا ما كانوا يعلمون في ناحية من ينابيع العرفان جاء يرشد العرفان ناشيء بين الواهمين هب لتقويم عوج الحكماء ، غريب في اقرب الشعوب الى سذاجة الطبيعة ، وابعدها عن فهم نظام الخليقة ، والنظر في سننها البديعة ، اخذ يقرر للعالم اصول الشريعة ، ويخط للسعادة طرقا لن يهلك سالكها ، ولن يخلص تاركها) ، اهـ

ب : _ القران ، معجزة الاسلام الخالــــدة

==========================

القران الكريم ، كتاب الله العظيم ، هو المعجزة الكبرى ، والرسالة الصادقة ...

عن هذا الموضوع كتب الشيخ محمد عبده ، فأثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، واوجب التصديق بذلك ، والاعتقاد بجميع ما ورد في القران والاخذ بكل ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من هدى وسنة متبعة .

واليك باختصار ما قاله الشيخ محمد عبده :-

١ _ كما جاء الخبر المتواتر ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان في نشأته وامّيته على الحالة التي ذكرها الشيخ محمد عبده في الموضوع السابق ، فقد تواترت ايضا اخبار الامم كافة على انه جاء بكتاب قال انه انزل عليه ، وان ذلك الكتاب هو القران الكريم المكتوب في المصاحف ، المحفوظ في صدور من عني بحفظه من المسلمين الى اليوم .

٢ _ نزل القران في عصر اتفق الرواة ، وتواترت الاخبار على انه ارقى الاعصار عند العرب ، واغزرها مادة في الفصاحة ، وانه الممتاز بين جميع ما تقدمه من العصور بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطابة ، وانفس ما كانت العرب تتنافس فيه من ثمار العقل ، ونتاج الفطنة والذكاء ، والغلب في القول ، والسبق الى اصابة مكان الوجدان من القلوب ، ومقر الاذعان من العقول ...

٣ _ وايضا ، فقد تواتر الخبر بحرص العرب على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتماسهم جميع الوسائل لابطال دعواه ، وتكذيبه في الاخبار عن الله . وكان فيهم الملوك ، والامراء ، والقواد ، والعلماء ، والشعراء ، والخطباء ، والكتاب ...

وقد اشتد جميع هؤلاء في مقاومته ، وانهالوا بقواهم عليه ، استكبارا

عن الخضوع له ، وتمسكا بما كانوا عليه من اديان ابائهم ، وهو مع ذلك يخطىء اراءهم ، ويسفه احلامهم ويدعوهم الى دينه الجديد ، وعقيدة التوحيد ولا حجة له بين يدى ذلك كله الا تحديهم بالاتيان بمثل اقصر سورة من ذلك الكتاب ، وكان في استطاعتهم ان يجمعوا اليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاؤا ، ليأتوا بشيء من مثل ما اتى به ، ليبطلوا الحجة ، ويفحموا صاحب الدعوة .

(جاء الخبر المتواتر انه مع طول زمن التحدى ، ولجاج القوم في التحدى اصيبوا بالعجز ، ورجعوا بالخيبة ، وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا ، على كل كلام ، وقضى حكمه العلي على جميع الاحكام .

اليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان امي اعظم معجزة ، وادل برهان على انه ليس من صنع البشر ؟ . وانما هو النور المنبعث عن شمس العلم الالهي ، والحكم الصادر عن المقام الرباني على لسان الرسول الامي ، صلوات الله عليه) . "١"

٤ — جاء في القران من اخبار الغيب ما صدقته حوادث الكون ، كالخبر في قوله تعالى : " الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين " . "٢"

وكالوعد الصريح في قوله تعالى : " وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون " . "٣"

---

١ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٣٦) .
٢ — سورة الروم الايات (١ — ٤) .
٣ — سورة النور اية (٥٥) .

وقد تحقق جميع ذلك . وفي القران الكريم كثير من مثل هذا يعيه من يتلوه حق تلاوته .

ومن الكلام عن الغيب فيه ما جاء في تحدى العرب به . واكتفائه في الرجوع عن دعواه بأن ياتوا بسورة من مثله ، مع سعة البلاد العربية ، ووفرة سكانها ، وتباعد اطرافها ، وانتشار دعوته على لسان الوافدين الى مكة من جميع ارجائها ، ومع انه لم يسبق له صلى الله عليه وسلم السياحة في نواحيها والتعرف برجالها ، وقصور العلم البشري ، عادة ، عن الاحاطة بما اودع في قوى امة عظيمة كالامة العربية .

فهذا القضاء الحاتم منه بانهم لن يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به ليس قضاء بشريا ، ومن الصعب ، بل من المتعذر ان يصدر من عاقل التزام كالذى التزمه وشرط كالذى شرطه على نفسه ، لغلبة الظن عند من له عقل ان الارض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته ، وانما ذلك الله المتكلم والعليم الخبير ، هو الناطق على لسانه وقد احاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما استنهضهم له وبلوغ ما حثهم عليه .

قد يقول واهم : ان المعجز حجة على من عجز ، فان المعجز هو حجة الافحام والزام الخصم وقد يلتزم الخصم ببعض المسلمات عنده ، فيفحم ويعجز عن الجواب فتلزمه الحجة . ولكن ليس ذلك بملزم لغيره ، فمن الممكن ان لا يسلم غيره بما سلمه ، فلا يفحمه الدليل ، بل يجد الى ابطاله اقرب سبيل .

وهو وهم يضمحل بما قدمناه من البيان ، اذ لا يوجد من المشابهة بين اعجاز القران وافحام الدليل الا انه يوجد عن كل منهما عجز ، وشتان بين المعجزين وبعد ما بين وجهتي الاستدلال فيهما ، فان اعجاز القران برهن على امر واقعى وهو : تقاصر القوى البشرية دون مكانته من البلاغة ، وقلنا :ــ القوى البشرية ، لانه جاء بلسان عربي مبين ، وقد عرف الكتاب عند جميع العرب في عهد النبوة ، وكان حال العصر من البلاغة كما ذكرنا ، وحال القوم في العناد كما بينا ، ومع ذلك لم يمكن

للعرب ان يعارضوه بشيء من مبلغ عقولهم ، فلا يعقل ان فارسيا او هنديا او رومانيا يبلغ من قوة البلاغة في العربية ان يأتي بما عجز عنه العرب انفسهم ، وتقاصر القوى جميعها عن ذلك ، مع التماثل بين النبي وبينهم في النشأة ، وامتياز الكثير منهم بالعلم والدراسة دليل قاطع على ان القران ليس مما اعتيد صدوره عن البشر ، فهو اختصاص من الله سبحانه لمن جاء على لسانه .

ثم ما ورد في القران من تسجيل العجز عليهم ، والتعرض للاصطدام بجميع ما اوتوا من قوة ، مما يدل على الثقة من امره ، مع ما سبق تعداده من الامور التي لا يمكن معها لعاقل ان يقف ذلك الموقف مع طول الزمن ، وانفساح الاجل ، كل ذلك يدل على ان الناطق هو عالم الغيب والشهادة ، لا رجل يعظ وينصح على العادة .

فثبت بهذه المعجزة العظمى ، وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي الذى لا يعرض عليه التغيير ، ولا يتناوله التبديل ان نبينا محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، رسول الله الى خلقه — فوجب التصديق برسالته ، والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه ، والاخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنة متبعة ، وقد جاء في الكتاب انه خاتم الانبياء ، فوجب علينا الايمان بذلك كذلك) .»[1]

---

١ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٣٧ — ٤٣٨) .

وقفة مع كلام الشيخ محمد عبده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعجزة القران الكريم :

===

سبق القول في الفصل الثالث — ان الدليل على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في دعواه ما شاهده الحاضرون عيانا من الايات والمعجزات ، وما اخبر به الغائبون بطريق التواتر حيث تذعن النفوس قهرا الى مضمون الخبر ، وانه لا يمكن دفعه .

اما اثبات رسالة الرسل الاخرين ممن يجب علينا الايمان بهم ، فطريقه اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد اخبرنا نبينا بنبوتهم ورسالاتهم ، وهو الصادق فيما بلغ .

والعمدة في اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم ادعاؤه النبوة والرسالة ، وظهور المعجزة على يديه .

وقد ذكر العلماء " ١ " اربعة مسالك لاثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، وهي :—

المسلك الاول :

========= ادعاؤه صلى الله عليه وسلم النبوة والرسالة ، وظهور المعجزة على يديه .

فقد ادعى صلى الله عليه وسلم انه نبي من عند الله تعالى ، ورسول الله الى الناس كافة ، وظهرت المعجزات على يديه . وقد ثبت هذا بالتواتر بالنسبة الينا ، وبالعيان لمن شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما جرى على يديه من معجزات .

---

١ — انظر كتاب المواقف لعضد الدين الايجي وشرحه ، للشريف الجرجاني (٣ : ١٩٠ — ٢٠٥) .

وانظر كتاب التوحيد ، لابي منصور الماتريدى ص (٢٠٢ — ٢١٠) .

اما المعجزات ، فالقران الكريم اعظمها ، وابينها ، ولا يزال بين ايدينا ، وفي صدور الحفظة • ثم ما عداه من بقية معجزاته صلى الله عليه وسلم التي تواتر الخبر بحصولها ، وسيأتي بيان بعضها فيما بعد باذن الله تعالى •

المسلك الثاني :

============ الاستدلال بأحواله صلى الله عليه وسلم •

فقد استدل العلماء على نبوته عليه السلام بأحواله قبل النبوة ، وبعدها والتي تدل بمجموعها على النبوة ، وانها لا تكون الا للانبياء صلوات الله عليهم •

المسلك الثالث :ـ

============ ظهور دينه على الدين كله •

فقد ادعى عليه الصلاة والسلام الرسالة بين قوم لا كتاب لهم ، ولا حكمة فيهم ـ اميين ـ وقال لهم انه نبي بعثه الله بالكتاب والحكمة الى الناس كافة، وانه مكلف بابلاغ ما في الكتاب الى الناس ، وقد فعل ذلك ، وظهر دينه على كل الاديان وهذا حقيقة النبوة ، ولا معنى لها الا ذلك •

المسلك الرابع :ـ

============ اخبار الانبياء المتقدمين برسالته •

فقد اخبر بعض الانبياء السابقين بأنه نبي الله ورسوله الى الناس اجمعين ، وانه ليظهر في جزيرة العرب نبي من بني اسماعيل اسمه محمد صلى الله عليه وسلم • كما جاء في بعض نصوص الكتب السماوية السابقة الصحيحة •

فمثلا : قال " اشعياء " النبي عليه السلام معلنا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اني جعلت امرك محمدا ، يا محمد ياقدوس الرب ، اسمك موجود من الابد " • "١"

---

١ ـ انظر كتاب : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣ : ٣٢٦)•

وقال " حبقوق " النبي عليه السلام مصرحا باسم محمد صلى الله عليه وسلم .

" لقد اضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده " . " ١ "

وقال " دانيال " النبي . عليه السلام مصرحا باسم محمد صلى الله عليه وسلم .

" ستنزع في قسيك اغراقا . وترتوى السهام بامرك يامحمد ارتواء " . " ٢ "

وصدق الله العظيم اذ يقول :

" او لم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل . " " ٣ "

ويقول تعالى : " الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم " . " ٤ "

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(ومما ينبغي ان يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة ان شهادة الكتب المتقدمة لمحمد صلى الله عليه وسلم اما شهادتها بنبوته . واما شهادتها بمثل ما اخبر به هو من الايات البينات على نبوته ونبوة من قبله وهو حجة على اهل الكتاب وعلى غير اهل الكتاب من اصناف المشركين والملحدين) . " ٥ "

واعود الى الشيخ محمد عبده . بخصوص ما سبق له من قول . فأقول : انه ركز كلامه في اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . على المسلك الاول . ومر على المسلك الثاني . والمسلك الثالث مرورا سريعا . واهمل الكلام على المسلك الرابع .

ولعل سبب ذلك انه قرر في البداية ان صدق نبوة ورسالة سائر الانبياء السابقين تثبت باخبار رسولنا صلى الله عليه وسلم بصدقهم . وثبتت ايضا بالتواتر . فقد تواتر الخبر ببعثة الكثير منهم .

---

١ ــ انظر نفس المرجع (٣ : ٢٣٠) .
٢ ــ انظر نفس المرجع (٤ : ٣) .
٣ ــ سورة الشعراء اية (١٩٧) .
٤ ــ سورة البقرة اية (١٤٦) . وسورة الانعام اية (٢٠) .
٥ ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣ : ٢٩٩) .

وايضا : فان المسلك الرابع يتوقف على ثبوت نبوتهم ، وصحة الاقوال المنسوبة اليهم . واذا لم تثبت نبوتهم ، او لم تصح عنهم هذه الاقوال فلا يمكن الاخذ بهذا المسلك ، كما انه لا ينفع الا لمن امن بنبوة هؤلاء الانبياء ، صلوات الله عليهم .

وبمعنى اخر اقول :—

ان شهادة الانبياء السابقين له صلى الله عليه وسلم ، واردة ضمن كتبهم .

وكتبهم هذه تناولها التحريف والتبديل . واهل الكتاب قد حذفوا اوضح هذه الدلائل من كتبهم ، وشهد عليهم القران بذلك ، قال تعالى :

" وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون "[١]

واذا فاللجوء الى هذا الجانب وراءه مؤونة كثيرة في البحث ، وهو لا يسلم لنا خصوصا من ناحية اهل الكتاب . والطرق الثلاثة الاخرى فيها غناء ، اى غناء عنه ، لذلك اراح نفسه منه .

اما المسلكان : الثاني والثالث ، فقد مر عليهما الشيخ محمد عبده مرورا سريعا ، لانه لا يعرف عن طريقهما صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا خواص الناس ، الذين يعلمون ما ينبغي ان يكون عليه الانبياء والرسل ، وما يجب لهم من صفات ، وما يتحلون به من اخلاق واعمال حميده ، تميزهم عن غيرهم ، فيقارن حياته ، واخلاقه ، وكل ما كان عليه ، بنظائرها في حياة الناس في ايامه وقبل ايامه ، فيجدها مختلفة تمام الاختلاف حتى كأنه بينهم ملك من الملائكة ، فيعرف ان هذا باصطفاء الله له ، وتهيئته لمهمة النبوة والرسالة .

---

١ — سورة الانعام اية (٩١) .

لذلك فقد اجملهما الشيخ محمد عبده ، وذكرهما في مسلك واحد تكلم فيه عن نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتربيته ، وتكلم عن احواله ، والظروف القاسية التي مر بها وعن حقيقة دعوته وشريعته ، وعن الصراع الذى دار بينه وبين اعدائه ، وعن النتيجة التي ظهر فيها دين الله على سائر الاديان مصداقا لقول الحق سبحانه .

" هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله " "١"

اما المسلك الاول : فهو اهم هذه المسالك ، واظهرها ، وهو اقوم الطرق لاثبات نبوة مدعي النبوة ، لان جميع الناس يستطيعون ان يعرفوا صدق نبوة اى نبي اذا ظهرت المعجزات على يديه ، والا تبين كذبه للجميع ، ونفر الناس من دعوته ، ولا يتوقف هذا التصديق على معرفة احواله السابقة واخباره الماضية لذلك ركز الشيخ محمد عبده على هذا المسلك واهتم به .

وما ذكره الشيخ محمد عبده في هذا الفصل ، لا يختلف فيه المسلمون ويكاد يجمع عليه العلماء ، والمؤلفون الذى كتبوا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرته . "٢"

---

١ — سورة التوبة اية (٣٣) ، وسورة الفتح اية (٢٨) ، وسورة الصف اية (٩) .

٢ — انظر السيرة النبوية لابن هشام ، تقديم طه عبد الرؤوف (١ : ١٤٦—١٦٨) . وانظر السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد (١ : ١٩٨ — ٢٠٥) .

وانظر السيرة النبوية لابى الحسن الندوى ، الطبعة الاولى (٣٩ — ٥٧) ، (٧١ — ٨٠) .

وانظر السيرة النبوية للدكتور محمد ابو شهبة طبعة ١٩٧٠م (١٧٦—١٨٠) .

وانظر سيرة ابن اسحق ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ، ص (٢٩ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ١٨٨ ، ١٩٤) .

=

لذلك فاني اكتفي بما ذكره الشيخ محمد عبده ، وانتقل الى بيان المسلك الاول عند جمهور العلماء ، والسلف الصالح رضي الله عنهم ، وهو الذى يتعلق بالقران الكريم ، ابلغ واعظم معجزة ، ولانه المعجزة الخالدة الى يوم الدين ، الناطقة بنبوة سيد المرسلين ، في كل مكان وحين ، بخلاف بقية معجزاته صلى الله عليه وسلم ، ومعجزات غيره من الرسل السابقين التي انتهت بانتهائهم ، وذهبت بذهابهم ، ولم يبق الا الخبر الدال عليها ،

والسلف ، وغيرهم من العلماء ، بينوا في هذا المقام معنى المعجزة ، وشروطها ، وامكانها ، ودلالتها ، ثم تكلموا عن القران من حيث هو معجزة الاسلام الباقية ، وذكروا معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الاخرى التي ورد ذكرها في القران وفي السنة الصحيحة ، كما سيأتي ،

= وانظر خاتم النبيين ، لمحمد ابو زهرة ، الجزء الاول ،
وانظر : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمحمد رضا ص ١٩ ــ ٤١ ،
وانظر : مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، للدكتورة عائشة بنت الشاطيء ، الطبعة الاولى ص (١٣ ــ ٤٠) ،
وايضا : فقد ذكر هذا بعض المنصفين من المستشرقين ، وغيرهم ،

المعجزة : معناها ، شروطها ، امكانها ، دلالتها .

١ ـ معناها :ـ

المعجزة في اللغة اسم فاعل من اعجز يعجز فهو معجز ، وانما زيدت التاء في اخره للمبالغة . كما في قول العرب للعلام علامة ، وللنساب نسابة . "١"

وفي تاج العروس للزبيدى "٢" : ان اصل المادة مأخوذ من العجز ومعناه الضعف ، وعدم القدرة على الفعل ، كما في قوله تعالى حكاية عن ابن ادم :

" قال ياويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة اخي فأصبح من النادمين " . "٣"

" والمعجزة " واحدة " معجزات " الانبياء عليهم الصلاة والسلام . "٤"

وانما سميت " المعجزات " بهذا الاسم لان الناس عجزوا عن معارضتها ، والاتيان بمثلها .

قال الحافظ ابن حجر : (وسميت المعجزة ، لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها) . "٥"

---

١ ـ انظر : لسان العرب لابن منظور (٧ : ٢٣٦) مادة عجز فصل العين حرف الزاى .

٢ ـ مادة عجز ، فصل العين حرف الزاى (٤ : ٤٩) .

٣ ـ سورة المائدة اية (٣١) .

٤ ـ انظر مختار الصحاح ، للرازى ص (٤١٤) .

٥ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦ : ٣٧٥) المطبعة الخيرية بمصر . وانظر كتاب : اعجاز القران ، للباقلاني ص ٣٠١ ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ١٣٧٠ هـ .

والمعجزة في اصطلاح العلماء ، لها تعاريف كثيرة ، منها :ـ

أ : ـ ما ورد عن ابن تيمية من انها ما دلت على النبوة ، بل على متابعة النبي ، وصحة دين النبي . "١" ،

وهي الامر الخارق للعادة . "٢"

يقول ابن تيمية تحت عنوان : " قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات " :ـ

(وان كان اسم " المعجزة " يعم كل خارق للعادة في اللغة وفي عرف الائمة المتقدمين كالامام احمد بن حنبل وغيره ، ويسمونها الايات . لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي ، والكرامة للولي . وجماعهما الامر الخارق للعادة) .

ويقول :ـ (والله تعالى سماها ايات وبراهين ، وهو اسم مطابق لمسماه مطرد لا ينتقض ، فلا تكون قط الا ايات لهم وبراهين) . "٣"

ب : ـ ومن اوضح تعاريفها ما ذكره " الايجي " ، " والامدى " ، من علماء الكلام .

قال الايجي : (وهي عندنا ما قصد به اظهار صدق من ادعى انه رسول الله) . "٤"

= وانظر كتاب : من روائع القران ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٠ ، مكتبة الفارابي .

وانظر : مقدمة ابن خلدون ص ٩٠ ، للعلامة عبد الرحمن بن خلدون .

١ ـ انظر كتاب : النبوات ، لابن تيمية ص ٦ .

٢ ـ انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ، لابن تيمية (١١ : ٣١١ ، ٣١٢) .

٣ ـ انظر : كتاب النبوات ص ٢٠٦ .

٤ ـ انظر : المواقف ، لعضد الدين الايجي (٣ : ١٧٧) .

وقال الامدى : (هي كل ما قصد به اظهار صدق المتحدى بالنبوة المدعي للرسالة) . "١"

---

١ ـ انظر كتاب : غاية المرام في علم الكلام ، لسيف الدين الامدى ص ٣٣٣ .
ـ وعرفها القاضي عبد الجبار من المعتزلة : (بأنها الفعل الذى يدل على صدق المدعي للنبوة) .
انظر : شرح الاصول الخمسة ص ٥٦٨ .
ـ وعرفها الجلال الدواني قال :ـ (هي امر بخلاف العادة على يد من يدعي النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا يمكنهم معارضته) .
انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٣٥) .
ـ وعرفها الباقلاني قال : (هي افعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الانبياء وتحديهم للامم للاتيان بمثل ذلك) .
انظر : الانصاف ص ٦١ .
(ويلاحظ على مجموع هذه التعاريف انها تدور حول مفهوم واحد للمعجزة ، وهو ما قصد به اظهار صدق المدعي للنبوة من الامور الخارقة للعادة) .

٢ ـ شروطها :ـ

========== كما بحث العلماء في مفهوم المعجزة ، فقد بحثوا في شروطها وذكروها في سبعة شروط ، هي :ـ

(الاول) : ان تكون فعل الله تعالى ، او ما يقوم مقامه من التروك . "١"

ومعنى كون المعجزة فعلا او ما يقوم مقام الفعل من التروك : ان تكون فعلا لشيء او منعا ، مثل ان يحي الله الميت وذلك فعل من الله .

ومثل ان يقول النبي : معجزتي ان ادخل يدى في جيبي ، وانتم لا تقدرون عليه ، فيفعل ويعجزون .

فان عدم استطاعتهم ، معجزة للنبي ، وهي منع من الفعل ، والمانع الله .

(الثاني) : ان يكون خارقا للعادة .

ومعناه ان يكون خارقا للامور التى اعتاد الناس على مشاهدتها ،

وهنا نجد خلافا بين شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره في تحديد المراد " بالعادة " :

هل هي عادة جميع الناس ؟ او عادة المخاطبين بالنبوة ؟

الى الاول ذهب ابن تيمية . "٢"

والى الثاني ذهب القاضي عبد الجبار من المعتزلة "٣" ، ووافقه الشهرستاني من الاشاعرة . "٤"

---

١ ـ انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٣٥) / وانظر المواقف للايجي مع شرح (٣ : ١٧٧) .

٢ ـ انظر كتاب : النبوات ص ٢٠ ، ص ٢٩٧ .

٣ ـ انظر كتاب : المغني في ابواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار (١٥ : ١٨٩) .

٤ ـ انظر كتاب : نهاية الاقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ص ٤٣٩ .

يقول شيخ الاسلام :
(جنس ايات الانبياء خارجة عن مقدور البشر ، بل وعن مقدور جنس الحيوان)

وارى ان راى شيخ الاسلام ابن تيمية احق بالقبول ، لانه القاضي على كل اشتباه في موقف مدعي النبوة .

فانه : اذا ظهر نبي في الفرس مثلا ، واظهر امرا خارقا لعادة الفرس ، ولكن ظهر لفعله نظير عند الرومان ، ففي وسع المعارضين لهذا النبي من قومه ان يقولوا له : ان هذا الذى اظهرته ليس من الله بل هو منك ، لان مثله ظهر على يد بعض الرومان وهو ليس بنبي .

وحيث استطاع شخص غير نبي ان يأتي بمثله فأنت مثله غير نبي .

(الثالث) : ان تتعذر معارضته ، بأن لم يكن في مقدور احد من الناس ان يأتي بمثل ما اتى به مدعي النبوة .

فان كان الامر مما هو مقدور عليه عند الناس ، فلا يكون معجزة له ، ولا يدل على صدق صاحبه .

فمثلا : لو ثبت ان احدا ادخل يده في جيبه ثم اخرجها بيضاء من غير سوء ، كما حصل لسيدنا موسى عليه السلام ، لبطلت معجزة موسى عليه السلام .

(الرابع) : ان يكون ظاهرا على يد مدعي النبوة . فلو ظهر الخارق للعادة على يد من لم يدع النبوة لا يكون معجزة . ويكون :

اما كرامة ان ظهر على يد ولي .

او سحرا ان ظهر على يد كافر .

فحتى تكون المعجزة دليلا على نبوة صاحبها لابد معها من ادعاء النبوة حتى يكون للمعجزة هدف ، ولا بد ان يكون الامر مقرونا بالتحدى ، ولا يشترط التصريح بالتحدى ، بل تكفي قرائن الاحوال .

(الخامس) : ان يكون موافقا للدعوى ، فلو قال :

معجزتي ان احيي ميتا ، ففعل خارقا اخر ، لم يدل على

صدقــه .

(السادس) : ان لا يكون ما ادعاه واظهره مكذبا له .

فلو قال : معجزتي ان ينطق هذا الذئب ، فنطق الذئب ،

فكذبه ، لم يعلم صدقه ، بل ازداد اعتقاد كذبه .

بخلاف ما لو قال :

معجزتي ان يحيى الله هذا الميت ، فأحياه ، فكذبه .

فان الصحيح انه لا يخرج عن المعجزة ، لان الاحياء هو المعجزة ،

وقد تم وفق الدعوى ، فثبت به صدق المدعى ، والتكذيب صدر من الشخص ،

والشخص خارج عن المعجزة ، فهو كتكذيب اى شخص اخر ، فلا يقدح في

المعجزة .

(السابع) : ان لا تكون المعجزة متقدمة على الدعوى ، بل مقارنة لها ،

او متأخرة عنها بزمان يسير يعتاد مثله .

وذلك لان المعجزة تصديق لمن ظهرت من اجله ، والتصديق لا

يعقل ان يكون قبل الدعوى .

واما اذا تأخر الامر زمنا يسيرا يعتاد مثله فهو معجزة ، بخلاف ما

لو تأخر زمنا طويلا ، فلا يعتبر معجزة ، لجواز ان تكون صدرت لغيره . "١"

---

١ ــ انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٣٥) .

٣ ــ امكانها :ــ

========== المعجزة ليست من الامور المستحيلة ، بل هي ممكنة عقلا •

نعم ، المعجزة اية من ايات الله خارقة للسنن الكونية ، وخرقها للسنن هو وجه دلالتها •

وان السنن الكونية من صنع الله ، وهو وحده القادر على خرقها بأمره وارادته •

ولبيان ذلك اقول :

اى غرابة في ان يغير الله سبحانه وتعالى سنة من سننه ، او قانونا من قوانينه ، او عادة من العادات ، في حادثة يبرزها لحكمة يعلمها ؟

وهو سبحانه متصف بكمال القدرة ، وبأنه فعال لما يريد ، متى شاء وكيف يشاء ، لأن يثبت لعباده صدق من ارسله اليهم ليهتدوا ، ويفوزوا بالسعادة في الدنيا والاخرة •

اى استحالة في هذا ، وهو سبحانه وتعالى خالق السموات والارض وما فيهما من العادات والقوانين ؟

ان العقل السليم لا يستغرب هذا ، ولا يحيله ، لان خالق الشيء بقدرته ، واختياره قادر على ان يغير وضعه الذى خلق عليه الى وضع غيره •

يقول العلماء : هل اضطراد سير الشيء على وتيرة واحدة يوجب على العقل ان يحكم باستحالة سيره على خلاف ذلك ؟

كلا ، فالعقل لا يحكم باستحالة ذلك ما دام معترفا بالقدرة التامة لخالقه ، وبأن الوجه الذى خلق عليه ليس الا احد الوجوه الممكنة له • "١"

---

١ ــ انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين عتر ، ص ١٢٥ ، دار النصر ، سوريا ــ حلب ، الطبعة الاولى ، ١٣٦٥ هـ / ١٩٧٥م •

فمثلا : جرت سنة الله سبحانه وتعالى ان يبقي الاصم اصما طول حياته ،،
وان يبقي الابكم ابكما طول حياته ، وان يبقي الاعمى اعمى طول حياته ،
هذه عادة الله في خلقه ،

فتحويل بعض البكم الى ناطقين ، وتحويل بعض العمي الى مبصرين ،
وتحويل بعض الصم الى اناس يسمعون ... الخ ، هذا خرق للسنن العامة ،
ولا مانع منه عند من يعترف بقدرة الله سبحانه وتعالى ،

ويقول الشيخ محمد عبده : (اى استحالة في المعجزة ونحن نعلم ان
كثيرا من الناس ممن يضربون عن الطعام في المعتقلات والسجون مدة طويلة ، لو
لم يأكلوا فيها وهم خارج سجونهم ومعتقلاتهم لهلكوا ؟ بل نسمع عن مرضى
يمتنعون عن الاكل والشرب مدة ، تكفي لهلاكهم لو كانوا اصحاء ، ومع ذلك
يعيشون ، مع وجود علة المرض التي تزيد من ضعفهم ومرضهم) ،

فالمعجزة اذا ليست مستحيلة ، بل هي ممكنة عقلا ، وقد وقعت وشاهدها
الناس عيانا ، زمن الانبياء ، وخر المؤمنون لربهم بسببها سجدا ، وجحد
المكابرون ظلما وعلوا ، وقد سجل القران الكريم ذلك في كثير من آياته ،

قال تعالى : " قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى ، قال بل
القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في
يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث
اتى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى "، "١"

---

١ ـ سورة طه الايات (٦٥ ـ ٧٠) ،

وقد تواتر الخبر بوقوع المعجزات على يد الانبياء الذين ارسلهم الله برسالة السماء صلوات الله عليهم . "١"

وهذا القران الكريم بين ايدى المسلمين وغيرهم ، يتداوله معظم البشر ، وقد طبع منه الملايين من النسخ ووزعت على معظم الدول في العالم ، وقرأه العالم والعابد والمستشرق المنصف ، والحاقد ، والمتدينون وغيرهم ، ولم يبق احد في هذا العالم الا وسمع به ان لم يكن قرأه ...

ها هو ذا يتحدى الدنيا كلها ، بما هي عليه من قوة ، وبما وصلت اليه من سلطان ، ان تأتي بعشر سور من مثله ، او باقصر سورة منه . ويظل التحدى قائما حتى يرث الله الارض ومن عليها .

قال تعالى : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين " . "٢"

فكيف بعد هذا يجرؤ انسان على القول باستحالة المعجزات ؟

ان من يجرؤ على ذلك لا يخلو ان يكون بليد الحس ، خالي الذهن مصابا في عقله ، او ان يكون مكابرا يريد ان ينكر الواقع ، ويجحد التاريخ ، ويخرج عن الجماعة وهو مع ذلك يجهل انه مخلوق صغير ، بعد ان لم يكن شيئا مذكورا .

---

١ ـ انظر كتاب : اعجاز القران ، للباقلاني ص ٨ ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .

٢ ـ سورة البقرة الايات (٢٣ ـ ٢٤) .

قال تعالى : " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا " . "١"

ان الله القادر على ان يخلق هذا ، الخلق العظيم بارادته ، قادر على ان يحول بعض الصم الى اناس يسمعون ، ويحول بعض العمى الى مبصرين ، ولا مانع من هذا عند من يعترف بقدرة الله تعالى ويصدق بقوله تعالى :

" ان الله على كل شيء قدير " . "٢"

---

١ _ سورة الانسان الايات (١ _ ٢) .

٢ _ سورة البقرة اية (٢٠) واية (١٠٩) ، واية (٢٤٨) و وسورة ال عمران اية (١٦٥) ، وسورة النحل اية (٧٧) ، وسورة النور اية (٤٥) ، وسورة العنكبوت اية (٢٠) ، وسورة فاطر اية (١) .

٤ — دلالتها :

========== من الامور المسلمة عند العلماء ان الفرق بين العاديات والعقليات ، ان الاولى يجوز فيها العقل التخلف دون الثانية • فقد لا يرتوى شارب الماء ، وقد لا يشبع اكل الطعام ، بخلاف الاثر فلابد له من موثر ، والدليل لابد له من النتيجة ، والاربعة لابد لها من الزوجية •

والمعجزة تدل على صدق صاحبها في دعواه ، وهذه مسألة اتفق عليها جميع المسلمين •

لكن هل تدل على صدق صاحبها بطريق العقل او العادة ؟ دار خلاف حول هذا ، ونشأ عنه خلاف في مسألة اخرى هي :—

هل ظهور المعجزة على يد الكاذب جائز اولا ؟

وحتى نتمكن من الجواب على هذين السوءالين ، لابد من ذكر اقوال العلماء ومذاهبهم في هذه المسألة •

واليك ما ذكره صاحب المواقف من خلاف للعلماء في هذا قال :—"١"

١ — ذهب جمهور الاشاعرة ، ما عدا الاشعرى ومن تبعه الى القول بان ظهور المعجزة على يد الكاذب ممكن عقلا ، لكن جرت سنة الله ان لا يحدث هذا •

وبناء عليه تكون دلالة المعجزة على صدق صاحبها عندهم عادية •

٢ — ذهب الاشعرى ومن تبعه الى القول بان ظهور المعجزة على يد الكاذب غير جائز عقلا ، لان للمعجزة دلالة قطعية على الصدق يمتنع التخلف فيها •

وبناء عليه تكون دلالة المعجزة على صدق صاحبها عقلية •

---

١ — انظر كتاب المواقف ، لعضد الدين الايجي ، مع شرحه للجرجاني (٣ : ١٨١) • بتصرف •

٣ ـ ذهب المعتزلة الى ان خلق المعجزة على يد الكاذب مقدور لله تعالى لعموم قدرته . لكن وقوع ذلك يمتنع ، وفيه اضلال لا يصح منه تعالى .

وبناء عليه تكون دلالة المعجزة عندهم على صدق صاحبها دلالة عقلية .

وحاصله : ان اكثر العلماء يقولون ان ظهور المعجزة على يد الكاذب محال عقلا ، ومن ثم كانت دلالتها على صدق صاحبها عقلية ، ولم يخالف في هذا الا فئة من الاشاعرة كما ذكر صاحب المواقف .

والذى يهمني هو ان اذكر مذهب السلف في هذه المسالة ، لابين ان جمهور العلماء معهم في هذه المسألة كما سنرى .

السلف يقولون ان ما يدل على النبوة هو اية وبرهان عليها ، فلا بد ان يكون مختصا بها ، ولا يكون مشتركا بين الانبياء وغيرهم ، فان الدليل مستلزم لمدلوله ... فآية الانبياء لا تكون لغير الانبياء .

اى ان الدليل يكون مستلزما للمدلول عليه ، ومختصا به ، ويلزم من تحققه تحقق المدلول ، ولا يلزم من انتفائه انتفاء المدلول .

وابن تيمية رحمه الله يقرر مذهب السلف في هذه المسألة ويبين ان دلالة ايات الله على ايدى انبيائه ورسله حتى يتبين صدقهم فيما دعوا اليه هي دلالة عقلية ، لا يجوز تخلف الدليل فيها عن المدلول عقلا . "١"

فلا يجوز ان توجد الايات ولا يتبعها الصدق بأن تظهر على يد كذاب .

هذا هو مذهب السلف ، وهو الصواب ، والله اعلم ـ لان القول بخلافه فيه تجويز وقوع المساواة بين الانبياء والكذابين ، وفي هذا ما لا يليق بكمال الله تعالى .

---

١ ـ انظر كتاب النبوات ، لابن تيمية ص (٣ ، ٤ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢٤٢) .

فكيف يجوز ان يصدر عن الله تعالى من المعجزات ما يصدق به دعوى الكذاب ان من يجوز هذا ، يجوز السفه على الله تعالى • وهو سبحانه منزه عن جميع النقائص •

وصدق الله اذ يقول : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين " • " ١ "

واتماما لهذا الموضوع ، ارى ان اشير الى الفرق بين المعجزة وبين غيرها من الكرامات التي هي للصالحين • وبينها وبين السحر والكهانة التي هي من اعمال المشعوذين وبينها وبين بعض المكتشفات العلمية الحديثة •

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :ـ "٢"

اختلف النظار في طرق التمييز بين المعجزة وبين غيرها ، كما اختلفوا في وجه دلالتها ، ولم يذكروا بين جنس المعجزة وجنس الكرامة فرقا ، بل صرح ائمتهم ان كل ما خرق لنبي يجوز ان يخرق لولي • حتى معراجه صلى الله عليه وسلم ، وفرق البحر لموسى عليه السلام ••• وغير ذلك •

ولم يذكروا بين المعجزة والسحر فرقا معقولا ، بل قد يجوزون ان يأتي الساحر بمثل ذلك •

وجملة القول عند النظار ان النبي ادعى النبوة ، وان الصالح بر ، والساحر فاجر •

اما الفلاسفة ـ ومنهم ابن سينا ـ فانهم جعلوا كل ذلك من قوى النفس ، لكن الفرق :

---

١ ـ سورة الحاقة الايات (٤٤ ـ ٤٦) •

٢ ـ انظر كتاب النبوات ص ٣ ، ٤ ، بتصرف •

ان النبي والصالح نفساهما طاهرة ، تقصدان الخير . والساحر نفسه خبيثة .
والفرق بين النبي والصالح متعذر على قولهم .

ومن الناس من فرق بين ايات الانبياء وكرامات الاولياء بفروق ضعيفة مثل قولهم : الكرامة يخفيها صاحبها ، اولا يتحدى بها . خلافا للمعجزة . وهو ضعيف لان من الكرامات ما اظهرها اصحابها كاظهار عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخاطبة " سارية " ـ قائد جيش المسلمين في احدى البلدان البعيدة ـ على المنبر .

وكاظهار ابي مسلم "١" ـ رحمه الله ـ لما القي في النار انها صارت عليه بردا وسلاما .

ولان من الكرامات ما يتحدى بها صاحبها ان دين الاسلام حق . كما فعل خالد بن الوليد رضي الله عنه لما شرب السم . وكالغلام الذى اتى الراهب وترك الساحر وامر بقتل نفسه بسهم من عنده باسم ربه . وكان قبل ذلك قد خرقت له العادة فلم يتمكنوا من قتله ، وقصته مشهورة . "٢"

والمراتب عند شيخ الاسلام في هذا ثلاث :ـ ايات الانبياء ، ثم كرامات الصالحين ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان ، وما يحصل لبعض المشركين واهل الكتاب والضلال من المسلمين .

---

١ ـ هو ابو مسلم الخولاني ، زاهد اهل الشام في صدر الاسلام ، القاه في النار الاسود بن قيس العنسي ـ ذو الخمار ـ لما تنبأ في اليمن ، وانكر ابو مسلم عليه .
انظر : النبوات ، لابن تيمية ص ٥ .

٢ ـ انظر : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووى ص ٢٢ ، ٢٣ ، تحقيق محي الدين الجراح .

والفرق بين المرتبتا الاولى والثانية ان خوارق الاولياء من جنس معجزات الانبياء لانه انما حصل لهم هذا باتباعهم الانبياء • لكنهم دون الانبياء فلا تبلغ كراماتهم مثل معجزات الانبياء • كما انهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب الى درجاتهم ولكنهم قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض اعمالهم •

وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذى جاء به المرسلون • ولا تدل على عصمة الولي ولا على انه تجب طاعته في كل ما يقوله • خلافا للنبي • "١"

وهذا الذى ذهب اليه شيخ الاسلام • ايده فيه كثير من العلماء • "٢"

وبالنسبة للفرق بين المعجزة والسحر • فقد ذكر شيخ الاسلام فروقا كثيرة زادت على عشرة فروق • اذكر منها :-

١ _ المعجزة لا تحصل بكسب العبد • والسحر وغيره مما يمكن التوصل اليه بسبب • كالذى يأتي بافعال واقوال تحدثه بها الجن • "٣"

٢ _ ان ما تخبر به الانبياء من المعجزات لا يكون الا صدقا • واما ما يخبر به من خالفهم من السحرة والكهان فان ما فيه لبن الصدق • انما هو ايهام وتخييل •

٣ _ ان ما يأتي به السحرة والكهان معتاد لغيرهم • بينما المعجزة مخالفة للعادة •

---

١ _ انظر : كتاب النبوات ص ٢ • ٢٨ • ١٢١ • المطبعة المنيرية بمصر •

٢ _ انظر : الاربعين في اصول الدين للرازى ص ٣٨٤ • طبعة الهند •
وانظر : كتاب الوحي المحمدى لرشيد رضا ص ١٥٩ • ١٦٠ •
وانظر كتاب : التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة • لعبد الرحمن الناصر السعدى ص ٥٨ • ٥٩ •

٣ _ انظر : شرح المواهب اللدنية • للزرقاني (٥ : ٨٩) • المطبعة الميرية الازهرية بمصر •

٤ — المعجزة انما تحصل لتدل على صدق مدعي النبوة وعدله ، بخلاف السحر والكهانة والكهانة فان السحرة والكهان تحصل لهم الخوارق مع الكذب والاثم .

٥ — المعجزة لا يمكن معارضتها لا بمثلها ولا باقوى منها ، واما السحر فيمكن معارضته بمثله واقوى منه .

وبقية ما ذكره شيخ الاسلام من الفروق فيمكن ارجاعه الى هذه ، .

وازيد الفرق الثاني توضيحا فاقول :—

ان المعجزة فيها خرق للعادة حقيقة ، بخلاف السحر الذى هو ايهام وتخييل للناس . "١"

فمثلا ، عصا موسى عليه السلام انقلبت الى حية مكونة من لحم ودم ... في الواقع ونفس الامر ، كما لو خلقها الله ابتداء حية تسعى .

قال تعالى : " وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاى اتوكؤ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى قال القها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى "٢" و ولما اخذها موسى عليه السلام عادت الى طبيعتها الاصلية عصا خشبية ، قال تعالى :

" قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى " . "٣"

بينما لم تنقلب حبال السحرة الى شيء اخر ، وظلت على طبيعتها التي صنعت منها ، وهي الليف . والذى حصل : ان الناس خيل اليهم انها تسعى كما تسعى الحية .

---

١ — انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٩ .

٢ — سورة طه الايات (١٧ — ٢٠) .

٣ — سورة طه اية (٢١) .

قال تعالى : " فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم "." ١ "

وقال تعالى : " قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى "." ٢ "

وقد سجل القران الكريم اعتراضهم بان ما فعلوه سحر سحروا به اعين الناس

قال تعالى : " فلنأتينك بسحر مثله "." ٣ "

كما ذكر القران رد موسى عليه السلام عليهم بان ما جاؤا به كذب وافتراء .

قال تعالى : " قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى "." ٤ "

يقول الدكتور العبادى : " (وكذلك تختلف المعجزة عن السحر .. فهو لا يعدو الايهام والتخييل والتلاعب على قدرة الابصار عند الناس فليس فيه تغيير لحقائق الاشياء او خرق للقوانين والسنن التي تحكم ظواهر الكون ومظاهره) ." ٥ "

اما الفرق بين المعجزة والمكتشف العلمي فلأنّ المكتشف العلمي عبارة عن معرفة شي من قوانين الكون وسننه كان مجهولا بينما المعجزة خرق القوانين الكون وسننه ." ٦ "

---

١ ــ سورة الأعراف اية (١١٦) .

٢ ــ سورة طه اية (٦٦) .

٣ ــ سورة طه اية (٥٨) .

٤ ــ سورة طه اية (٦١) .

٥ ــ كتاب الايمان بين الايات القرانية والحقائق العلمية ، للدكتور عبد السلام العبادى ص ٩١ ، ٩٢ .

٦ ــ انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين عتر ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

يقول سيسل هامان :ـ

(وكلما وصل الانسان الى قانون جديد فان هذا القانون ينادى قائلا ، ان الله هو خالقي وليس الانسان الا مكتشفا) . "١"

اقول : ان الذى يلتبس بالمعجزة هو اختراعات العلماء التي لم يسبقوا اليها كمخترع التلفون ، والتلفاز ، والصاروخ الفضائي ... الى اخر ما وصل اليه العلم الحديث .

فقد يقول قائل : ان هذه امور لم تحدث من قبل ، وحدثت اليوم على ايدى اناس مختصين ، فما الفارق بينها وبين المعجزة ؟

فيقال : ان هذه الاختراعات بنيت على القوانين الطبيعية التي اودعها الله في الكون . فهي متمشية مع قوانين الطبيعة غير مصادمة لها .

فمثلا : الراديو ونحوه ـ اخترعه صاحبه بناء على قانون طبيعي هو ان الاصوات التي تصدر عن اصحابها لا تفنى ولا تتلاشى ، وانما تظل باقية في الهواء ، لكن في صورة ضعيفة . فعمل هذا المخترع على ان يقوى هذا الضعيف ويظهره .

فاخترع جهاز التقوية ، بعد ان عرف القانون الذى يسير عليه .

فاختراعه قام على اساس قانون طبيعي . فهو لم يخترع القانون الذى قام عليه اختراعه ، وانما القانون من خلق الله ، . وهو بنى عليه اختراعه .

ولذلك ـ وهو الفرق الثاني ـ يستطيع غيره ان يفعله وان يسير على منواله بعد ان عرف القانون الذى بنى عليه .

فاذا رجعنا الى المعجزة وجدنا انها ليست قائمة على قانون من قوانين

---

١ ـ من كتاب : للكون اله ، لعبد العزيز كامل الشهابي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م دار الاعتصام ص ١٦ .

الطبيعة ، بل هي قائمة على تعطيل القوانين الطبيعية ومضادتها .

ولذلك — وهو الفارق الثاني — بينها وبين الاختراعات ان احدا غير النبي لا يستطيع الاتيان بمثلها .

وحاصل الكلام ان الشيخ محمد عبده متفق مع ما قاله السلف وجمهور العلماء في المعجزة من حيث امكانها وشروطها ودلالتها والفرق بينها وبين غيرها من سحر ومثله ، وكذلك الفرق بينها وبين الكرامة .

يظهر هذا من كلام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ، وها انا ذا اسوقه بنصه ليكون ادل على اثبات الاتفاق ، وقد سبق بيان ما تضمنه :

يقول الشيخ محمد عبده :—

(المعجزة ليست من نوع المستحيل عقلا ، فان مخالفة السير الطبيعي المعروف في الايجاد مما لم يقم دليل على استحالته ، بل ذلك مما يقع ، كما يشاهد في حال المريض يمتنع عن الاكل مدة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات ، مع وجود العلة التي تزيد الضعف وتساعد الجوع على الاتلاف .

فان قيل : ان ذلك لابد ان يكون تابعا لناموس اخر طبيعي ، قلنا : ان واضع الناموس هو موجد الكائنات ، فليس من المحال عليه ان يضع نواميس خاصة بخوارق العادات ، غاية ما في الامر اننا لا نعرفها ، ولكننا نرى اثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده .

على اننا بعد الاعتقاد بان صانع الكون قادر مختار ، يسهل علينا العلم بأنه لا يمتنع عليه ان يحدث الحادث على اى هيئة ، وتابعا لاى سبب ، اذا سبق في علمه انه يحدثه كذلك .

المعجزة لابد ان تكون مقرونة بالتحدى عند دعوى النبوة ، وظهورها من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يديه ، لان النبي يستند اليها في دعواه انه مبلغ عن الله ، فاصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدا منه له في تلك الدعوى .

ومن المحال على الله تعالى ان يؤيد الكاذب ، فان تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب وهو محال على الله .

فمتى ظهرت المعجزة وهي ما لا يقدر عليه البشر ، وقارن ظهورها دعوى النبوة ، علم بالضرورة ان الله ما اظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يده ، وان كان هذا العلم قد يقارنه الانكار مكابرة .

واما السحر وامثاله : فان سلم ان مظاهره فائقة عن اثار الاجسام والجسمانيات ، فهي لا تعلو عن متناول القوى الممكنة ، فلا يقارب المعجزة بشيء)) . "١"

---

١ ـ انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠١ ، ٤٠٢) .

(ب) القران معجزة الاسلام الخالدة :

======================

تناول علماء السلف ، وغيرهم من علماء المسلمين في الحديث عن القران من حيث هو معجزة الرسالة الاسلامية الخاتمة ، حقيقة هذه المعجزة ، واهم مظاهر الاعجاز فيها ، كما تحدثوا عن بعض معجزاته عليه السلام التي وردت في القران الكريم ، واهم معجزاته التي ذكرتها كتب الحديث والسيرة . "١"

اولا : حقيقة المعجزة القرانيـــة :ـ

=================== القران الكريم ، العظيم ، الحكيم ، اية الله الكبرى ، ومعجزة الاسلام الخالدة ، الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

اية لا كالايات ، ومعجزة لا كالمعجزات . امتاز عن معجزات الرسل السابقين بانه معجزة دائمة ، لا يزول دلالتها ولا تضعف مع مرور الايام والاعوام ، ولا يذهب اثرها في النفوس ... بهرت الابصار ، وحيرت الالباب ، وقطعت انفاس البشر اذ لم ياتوا بمثل عشر سور من القران او بمثل اقصر سورة منه .

ولا زال القران يتحدى ويستمر في التحدى الى يوم الساعة ...

اما بالنسبة لمعجزات الرسل السابقين ، فقد كانت كلها وقائع مادية محسوسة كالتي كانت لرسولنا صلى الله عليه وسلم من غير القران .

---

١ ـ انظر كتاب : اعجاز القران ـ الاعجاز في دراسات السابقين ـ (١ : ٨٧ ـ ١٥٠) دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

وانظر كتاب : اعجاز القران ، المسمى : معترك الاقران في اعجاز القران . للسيوطي الكتاب بقسميه ، تحقيق علي محمد البجاوى ، دار الفكر العربي .

وانظر : ثلاث رسائل في اعجاز القران ، للرماني والخطابي والجرجاني ، =

يقول السيوطي في الاتقان :ـ (واكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية ، لبلادتهم وقلة بصيرتهم ، واكثر معجزات هذه الامة الاسلامية عقلية ، لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ، ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر ...) . "١"

ولكون القران اية باقية ، فقد عدها العلماء وجها من وجوه اعجازه المعدودة .

قال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " . "٢"

وقال تعالى : " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ". "٣"

اما سائر معجزات الانبياء السابقين فقد انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها . "٤"

ان القران يختلف عن المعجزات الاخرى للانبياء السابقين . فان كل معجزة من معجزات الانبياء السابقين كان لها دلالة محددة تدل عليها ، فعصى موسى عليه

= حققها وعلق عليها محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨م ، دار المعارف بمصر .
وانظر : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي ص ٦٣ ـ ١٢٩ .
وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧ : ٣٩١ ـ ٤٤٨)/ ومختصر صحيح مسلم (٢ : ١٦٣) وما بعدها .

١ ـ الاتقان في علوم القران (٢ : ١١٦) .
٢ ـ سورة الحجر اية (٩) .
٣ ـ سورة فصلت اية (٤٢) .
٤ ـ انظر : كتاب الشفاء للقاضي عياض ص ٢٣٢ ، الطبعة العثمانية ١٣١٢هـ .
وانظر : البرهان في علوم القران ، للزركشي ، (١ : ٢٣٣) ، مطبعة =

السلام دلت على الاعجاز من حيث انها جماد انقلب الى حيوان . ومعجزة عيسى عليه السلام في احياء الموتى مثلا دلت على الاعجاز من حيث ان الميت صار حيا بعد الموت .

واما القران فان فيه جوانب متعددة للاعجاز ، وقف الناس امامها حيارى مشدوهين ، وانقسموا طوائف . فكل طائفة لاح لها جانب من جوانب الاعجاز ، فوقفت امامه وابرزته واوضحته ، واذهلها الاهتمام به عن الجوانب الاخرى ، وصورته بما يجعله في مصاف معجزات الانبياء السابقين .

ولذلك نجد من يقول ان اعجاز القران في بلاغته وفصاحته ، ومن يقول ان اعجاز القران في اخباره بالغيب ، ومن يقول ان اعجازه في تشريعاته ، ومن يقول ... ومن يقول ... الى اخره .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :— (وكل ما ذكره الناس من الوجوه في اعجاز القران ، هو حجة على اعجازه ، ولا يناقض ذلك ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له) . "١"

وعلى هذا فالقران الكريم ليس معجزة واحدة ولكنه جملة معجزات ، وهذا على عكس معجزات الانبياء السابقين فان كل شيء كان معجزة واحدة ، ولا يمكن ان يدل على اكثر من ذلك .

= عيسى البابي الحلبي بمصر .
وانظر : مناهل العرفان ، للزرقاني (١ : ٢٣٢ ، ٢٣٣) ، الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، بمصر .

١ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية (٤ : ٧٥) .

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول : " ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر ، وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الي ،

فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة " . "١"

---

١ — صحيح . انظر صحيح البخارى كتاب فضائل القران .

يقول ابن خلدون في مقدمته شارحا معنى هذا الحديث : (اعلم ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة : القران الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذى يتلقاه النبي ، وياتي بالمعجزة شاهدة بصدقه ، والقران هو بنفسه الوحي المدعى ، وهو الخارق المعجز ، فشاهده في عينه ، ولا يفتقر الى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو اوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه ، وهذا معنى قوله صلّى الله عليه وسلم في الحديث ...

يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي ، كان الصدق لها اكثر ، لوضوحها ، فكثر المصدق والمؤمن ، وهو التابع والامة) .

انظر : مقدمة ابن خلدون ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، مطبعة التقدم بمصر ١٣٢٩ هـ .

ثانيا : مظاهر الاعجاز في القران الكريم :

لم يتكلم احد من علماء المسلمين ، في القرنين الاولين ، في مسألة اعجاز القران ، وذلك تهيبا لمقام القران في نفوسهم ، ولصفاء عقيدتهم ، ولانهم ما كانوا بحاجة الى الكتابة في اعجاز القران يبينون بها انه معجز من ناحية كذا ، ومن ناحية كذا ...

فان هذه الامور ما دعت الداعية اليها الا لما استحكم الجدل بين الناس ، فاخذ علماء المسلمين يبحثون في اوجه الاعجاز ، ويبينونها للناس ، ويقنعونهم بها .

واما في العصور الاولى حيث كان الاعجاز الفعلي حاصلا ، وخضع الناس له طوعا وكرها ، فلم يكن هناك حاجة الى تبيانه بالبحث والنظر والتاليف فان وقوعه اقوى دلالة من شرحه وبيانه .

ومع ذلك فان العلماء لم يصلوا بعد الى النهاية في هذا الموضوع ، وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معشارة . "١"

يقول الخطابي في "بيان اعجاز القران " "٢" : (قد اكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا ، وذهبوا فيه كل مذهب من القول ، وما وجدناهم بعد صدروا عن ري "٣" ، وذلك لتعذر معرفة وجه الاعجاز في القران ،

---

١ — انظر : الاتقان في علوم القران للسيوطي ، (٢ : ١٢١) .
٢ — انظر : ثلاث رسائل في الاعجاز — رسالة الخطابي : بيان اعجاز القران — تحقيق الاستاذ محمد خلف الله وزميله .
٣ — ما اظن يريد انهم لم يكتفوا ولم يقتنعوا ، بل يريد انهم من فرط اللذة فيما ادركوا ، يطلبون المزيد ، واذا كان المؤلف يريد المعنى الاول فهو رد عليه .

ومعرفة الامر في الوقوف على كيفيته) .

وسأحاول ، تتبع مذاهب الناس ، قديما وحديثا في هذا الباب ، لارى اين يقف الشيخ محمد عبده في هذا الموضوع ، ثم ابين الراى المختار فيه ان شاء الله تعالـــــى .

(أ) : بيان اوجه اعجاز القـــران :

==========================

الوجـــه الاول : الصرفة . "١"

============

والقول بالصرفة منسوب الى النظام وهو شيخ من شيوخ المعتزلة "٢" ، ونسب الى المرتضى من الشيعة "٣" ، وابى اسحق الاسفرائيني من السنة "٤" ، وابن سنان الخفاجي "٥" ، وعباد بن سلمان ، وهشام القرطي . "٦"

ويذكر الشيخ ابو زهرة ان الامام ابن حزم الاندلسي قال بالصرفة في كتاب " الفصل " ، في بيان سبب الاعجاز . "٧"

وقد رجعت الى الفصل فوجدته يقول : (لم يقل احد ان كلام الله معجز ولكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له اصاره معجزا ومنع من مماثلته ، وهذا

---

١ ـ ذكر الشهرستاني ان لها معنيين :ـ (الاول) : ان الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم ، لكن عاقهم امر خارجي .
(الثاني) : ان الله سلب الانس والجن العلوم التي يحتاجون اليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القران .
انظر : الملل والنحل (١ : ١٤٢) .

٢ ـ انظر كتاب : القران الكريم دراسة ، لابراهيم ابو الخشب ص (١٠٩) ، / وانظر كتاب : مع القران ، للحوفي (١ : ٢٨) .

٣ ـ انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ ابو زهرة ص ٨٢ ، دار الفكر العربي .

٤ ـ انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ص ٢٠٥ ، لحسن ضياء الدين عتر .

٥ ـ انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣٧٣ ، لعبد الكريم الخطيب الطبعة الاولـــى ١٩٧٤م .

٦ ـ انظر كتاب : مع القران الكريم ، للدكتور احمد الحوفي (١ : ٢٨) .

٧ ـ انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ ابو زهرة ص ٨٢ .

وهذا برهان كاف لا يحتاج الى دليل) . "١"

ويرى الشيخ ابو زهرة ان اصل القول بالصرفة جاء من كلام البراهمة ، وان اول من جاهر به النظام من المعتزلة ، وان تلميذه الجاحظ رجع عنه ورد عليه وذكر عيبه . "٢"

والقول بالصرفة ، قول فاسد ، وهو زعم لا يقوم على دليل من العقل او النقل ، بل انكشف زيفه وبطلانه بأدلة كثيرة يطول ذكرها في هذا المقام ، استقصاها كثير ممن كتبوا في هذا الموضوع . "٣"

وابن تيمية رحمه الله يرى ان القول بالصرفة قول ضعيف يقول :-

(ومن اضعف الاقوال قول من يقول من اهل الكلام : انه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها ، او بسلب القدرة الجازمة ، وهو ان الله صرف قلوب الامم عن معارضته مع قيام المقتضي التام ، او سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما) . "٤"

الوجه الثاني :

========== النظم الذى انفرد به القران في صياغة عباراته صياغة تنتظم بها المعاني انتظام الروح في الجسد .

وقد انتهى الى هذا الوجه الامام الباقلاني "٥" والجرجاني "٦"

---

١ — انظر كتاب : التبيان في علوم القران ، للصابوني ص ١٠٠ ، الطبعة الثانية .

٢ — انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، ص ٨١ .

٣ — انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لعتر ص ٢٠٦ — ٢١٦ / والاعجاز في دراسات السابقين (٣٧٤ — ٣٧٨) .

٤ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤ : ٧٥) .

٥ — انظر : اعجاز القران ، للباقلاني ، الطبعة الاولى ص ٦٢ ، ٦٣ .

٦ — انظر : دلائل الاعجاز ، لعبد القاهر الجرجاني ص ٣٢ .

والطبري "١" والخطابي "٢" والرماني "٣" ، واكده الرافعي "٤" والرازي "٥" والقرطبي "٦" ، ومن المحدثين الشيخ ابو زهرة "٧" والبوطي "٨" والحوفي "٩" وكثيرون غيرهم . "١٠"

الوجه الثالث : الاخبار عن بعض الامور الغيبية :
=================== ===========

وهذا الوجه يتناول :

أ — الاخبار عن احوال بعض من كانوا في الزمان الاول قبل نزول القران ، كالاخبار عن اصحاب الكهف والرقيم .

قال تعالى : " ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ، اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا " . "١١"

---

١ — انظر : جامع البيان في تفسير القران ، للطبري (١ : ٦٦) .

٢ — انظر : رسالة بيان اعجاز القران ، ابو سليمان محمد بن الخطابي ص ٢٤ — ضمن ثلاثة رسائل .

٣ — انظر رسالة : النكت في اعجاز القران ، للرماني ص ٧٠ ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القران .

٤ — انظر : اعجاز القران لمصطفى صادق الرافعي ص ١٨٠ .

٥ — انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ، لعبد الكريم الخطيب ص ٣٥٩ .

٦ — انظر : الجامع لاحكام القران ، للقرطبي (١ : ٧٣ — ٧٥) .

٧ — انظر : المعجزة الكبرى القران ص ٧٧ .

٨ — انظر : من روائع القران ، لمحمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٢ .

٩ — انظر : مع القران ، للدكتور احمد الحوفي ص ٣٧ .

١٠ — منهم الشيخ الغزالي ، ومحمد الصادق عرجون ، ومحمد الخضر حسين ، ومحمد عبد الله دراز .

١١ — سورة الكهف الايات (٩ — ١٠) .

(ب) — الاخبار عن احوال بعض من كانوا في زمان نزوله . كالاخبار عن بعض المنافقين وغيرهم . مثل اصحاب مسجد الضرار .

قال تعالى : " والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون"." ١ "

(ج)— الاخبار عن احوال بعض الامم ، في المستقبل ، بعد نزول القران ،
كالاخبار عما سيكون عليه المؤمنون فيما بعد من الاستخلاف في الارض .

قال تعالى : " وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون"." ٢ "

واصحاب هذا القول : منهم ، القاضي عياض "٣" ، والسيوطي "٤" ، والباقلاني "٥" ، والزركشي "٦" ،

ومن المحدثين : الشيخ ابو زهرة "٧" ، والبوطي "٨" ، وغيرهم ، "٩"

---

١ — سورة التوبة اية (١٠٧) .
٢ — سورة النور اية (٥٥) .
٣ — انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣١٥ .
٤ — انظر : معترك الاقران في اعجاز القران ص ٢٣٩ .
٥ — اعجاز القران ، للباقلاني ص ٦٠ .
٦ — انظر : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣٦٢ ، نقلا عن البرهان في علوم القران .
٧ — انظر : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ ابو زهرة ص ٩٩ .
٨ — انظر : من روائع القران ص ١٥٣ .
٩ — انظر : نظرات في القران ، لمحمد الغزالي ص ١٣٤ — ١٤٨ .
وانظر : مع القران ، للدكتور احمد الحوفي ص ٣٥ ، ٣٦ .
وانظر : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن عتر ص ٣٢١ — ٣٥٩ .

الوجه الرابع : سمو التشريع القراني وشموله :
=========

بمعنى اشتمال القران على الاحكام الشرعية التي فيها سعادة البشر في الدارين : الدنيا ، والاخرة .

واصحاب هذا القول من العلماء : القرطبي "١" ، والشيخ ابو زهرة "٢" ، والشيخ رشيد رضا "٣" والزرقاني "٤" ، وكثيرون غيرهم . "٥"

الوجه الخامس :

========== الوفاء بالوعد المدرك بالحس والعيان في كل ما وعد الله سبحانه وينقسم الى قسمين :

أ : ـ اخباره المطلق ، كوعد الله بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : " هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله " . "٦"

---

١ ـ انظر : المعجزة الكبرى القران ص ٩١ ، للشيخ ابو زهرة ، نقلا عن تفسير القرطبي .

٢ ـ انظر الى المعجزة الكبرى القران ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٩ .

٣ ـ انظر : تفسير المنار (١ : ١٩٨ ـ ٢٠٠) ، فصل في تحقيق وجوه الاعجاز بمنتهى الاختصار والايجاز .

٤ ـ انظر : مناهل العرفان ، للزرقاني (٢ : ٢٧٧ ، ٢٧٨) .

٥ ـ انظر : على مائدة القران مع المفسرين والكتاب ، لاحمد محمد جمال ص ١٠١ ـ ١٠٨ ، الطبعة الثانية .

وانظر : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن عتر ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٦ .

٦ ـ سورة التوبة اية (٣٣) ، وسورة الفتح اية (٢٨) ، وسورة الصف اية (٩) .

(ب) ـ وعد مقيد بشرط كقوله تعالى : " ومن يتوكل على الله فهو حسبه "[١].

وصاحب هذا القول : الامام القرطبي "٢" ، وذكره الدكتور حسن عتر وايده[٣].

الوجه السادس : الاعجاز العلمي في القران .
===========

بمعنى مطابقة الايات القرانية التي تكلمت في مجال العلوم الكونية لما اكتشف من الحقائق العلمية .

ولان المكتشفات العلمية ظهرت اخيرا ، فان العلماء الاقدمين لم يذكروا هذا الوجه ، وذكره من المحدثين ، الشيخ ابو زهرة "٤" ، ودراز "٥" ، والرافعي "٦" ، ومحمد الغزالي "٧" وكثيرون غيرهم . "٨"

الوجه السابع : هداية القران .
========= بمعنى تأثيره وفاعليته في النفوس ، او الاثر الذى احدثه القران في العالم ، وغيره وجه التاريخ . اى ـ روحانية القران .

واصحاب هذا القول من العلماء : السيوطي "٩" ، والرافعي "١٠" ،

---

١ ـ سورة الطلاق اية (٣) .
٢ ـ انظر : المعجزة الكبرى القران للشيخ ابو زهرة ص ٩١ ، نقله عن تفسير القرطبي .
٣ ـ انظر : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن عتر ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٦ .
٤ ـ انظر : المعجزة الكبرى القران ص ٩٩ .
٥ ـ انظر : النبأ العظيم ، لدراز ص ٧٩ .
٦ ـ انظر : اعجاز القران ، للرافعي ص ١٧٥ .
٧ ـ انظر : نظرات في القران ، للشيخ محمد الغزالي ص ١٣٤ ـ ١٤٨ .
٨ ـ انظر : على مائدة القران مع المفسرين والكتاب ص ١٠١ ـ ١٠٨ .
وانظر : بينات المعجزة الخالدة ص ٣٧٨ ـ ٣٨١ .
٩ ـ انظر : معترك الاقران في اعجاز القران ص ٢٤٢ .
١٠ـ انظر : اعجاز القران ، للرافعي ص ١٧٥ .

والباقلاني "١" ، ومحمد فريد وجدى "٢" ، وكثيرون غيرهم . "٣"

الوجه الثامن : اعجازه العددى .

=========

وقد انفرد في كتابة هذا الوجه من وجوه اعجاز القران ، المؤلف : عبد الرزاق نوفل — فيما اعلم — فقد كتب كتابا احصى فيه عدد الكلمات لبعض الالفاظ المتقابلة في القران الكريم : مثل لفظ " الدنيا " و " الاخرة " ، ومثل لفظ " الشيطان " " والملائكة " ومثل لفظ " الحياة " "والموت " ... الى اخر هذه الالفاظ ، ووجد ان القران معجز من هذه الناحية . "٤"

الوجه التاسع : موضوعية مبادئه وموضوعية التوجيه فيه .

==========

هذا الوجه اشار اليه بعض اصحاب المذاهب السابقة ، وانتهى اليه الدكتور محمد البهي في كتابه " نحو القران " . "٥"

ومعناه : ان في القران امورا تدل على انه تجرد عن كل البواعث والميول الشخصية ، وانه موضوعي بقدر ما يبعد عن الامور الذاتية .

---

١ — انظر : مع القران الكريم للحوفي ، ونسبه الى الباقلاني ، ص ٣٣ .

٢ — انظر : الاعجاز في دراسات السابقين ، لعبد الكريم الخطيب ص ٣٤٥ .

٣ — انظر : مباحث في علوم القران ، للدكتور صبحي الصالح ص ٣٢١ ، الطبعة السادسة ، بيروت .

وانظر : القران العظيم هدايته واعجازه في اقوال المفسرين ص ١٤٦ — ١٥٥ محمد الصادق عرجون .

٤ — انظر : الاعجاز العددى للقران الكريم ، عبد الرزاق نوفل ، مطبوعات الشعب .

٥ — انظر كتاب : نحو القران ، للدكتور محمد البهي ، الطبعة الاولى ، الناشر مكتبة وهبة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م ص (١٥ — ٥٢) بتصرف .

وتجرد اى عمل عن البواعث والميول الشخصية لا يدل فقط على موضوعيته ، وانما يدل مباشرة على تفوقه والوصول به الى درجة الاعجاز .

ومن الامثلة التي ضربها " البهي " على موضوعية التوجيه ، :ـ

١ ـ ما سجله القران ما اخذ على الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الدعوة كميله النفسي الى مجاملة الزعماء ، والوجهاء ، قال تعالى : " عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى ، اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى " . "١"

٢ ـ ما سجله القران ما اخذ على الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الحرب مع الاعداء ، كفدائه الاسرى في معركة بدر ، وتهنيه في ذلك راى ابو بكر رضى الله عنه .

قال تعالى : " ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم " . "٢"

ومن حيث بيان موضوعية المبادئ ، يقول الدكتور البهي :ـ

(فاذا اضيف الى هذا ـ يعني موضوعية التوجيه ـ موضوعية مبادئه ، وتجردها تجردا تاما عن الميول والبواعث الشخصية فان اعجاز القران يكون عندئذ حقيقة ملموسة لا ينكرها الا من لا يفرق بين الموضوعي والشخصي في التفكير وفي العمل الارادى وفي تقييم الجمال في الحياة) .

ومن الامثلة على موضوعية المبادئ ، :ـ

١ ـ دعوة القران الى التفاضل بين الناس على اساس التقوى . قال تعالـــــى :

---

١ ـ سورة عبس الايات (١ ـ ٧) .

٢ ـ سورة الانفال اية (٦٧) .

" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ". "١"

٢ — دعوة القران الى توفير الاعتبار الانساني والكرامة الانسانية . قال تعالى :

" ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ". "٢"

٣ — دعوة القران الى صيانة النفس والمال من الضياع بطريق غير مشروع . قال تعالى :

" والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرمها الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ". "٣"

الوجه العاشـــــر : التصوير الفني في القران .

==============

صاحب هذا الراى الشهيد سيد قطب رحمه الله . فالتصوير مضافا اليه السحر الذى يكمن في صميم النسق القراني ذاته ، فيؤثر في نفوس البشر ويؤدى بالتالى الى هدايتهم .

والتصوير هو الاداة المفضلة في اسلوب القران ، فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الانساني ، والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة او الحركة المتجددة ... "٤"

---

١ — سورة الحجرات اية (١٣) .

٢ — سورة الاسراء اية (٧٠) .

٣ — سورة الفرقان الايات (٦٧ — ٦٩) .

٤ — انظر : التصوير الفني في القران ، لسيد قطب ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، طبعة دار الشروق ، بيروت .

هذه هي اهم ، واشهر الاقوال في بيان اوجه اعجاز القران الكريم ، وقد قمت باستقرائها وتتبعها ، فوجدت من العلماء من اكثر منها حتى عد خمسة وثلاثين وجها شرحها في اكثر من الف صفحة "١" ، ومنهم من عد عشرة أوجه ، كالقرطبي ، والبعض عد تسعة "٢" ، وعد الرماني سبعة ، والقاضي عياض اربعة ، والباقلاني ثلاثة والبعض عد وجها واحدا او وجهين ، وكل هذه الوجوه على جانب كبير من التداخل او التشابه ، وانما يدل هذا على سر اعجاز القران الكريم ، وهو انه لا تحده الاراء والنظريات ، فهو اوسع واعمق ، من كل ما يتصوره الناس ، ولذلك يقول ابن سراقة (وما بلغوا في وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره) ،

وقبل ان ابين اين يكون الشيخ محمد عبده من هذه الاراء ، والى اى الاراء اميل ، أرى ان اصنف هذه الاراء وقد وجدتها ترجع الى خمسة اقسام على النحو التالي :ـ "٣"

القســـم الاول :

========== الاسلوب وما يتصل به ، وهذا ينضوى تحته راى القائلين : ان الاعجاز في النظم فقط او بالمعنى فقط ، او بهما معا ، او بالكلمة المفردة ، او بالفصاحة او البلاغة ،٠٠٠٠ الى اخر ما يتصل بالاسلوب ، "٤"

---

١ ـ كالسيوطي في معترك الاقران ، جمعها في مجلدين كبيرين ،

٢ ـ انظر كتاب : حول خصائص القران ، محمد بن علوى المالكي ، ص ١٠ ـ ٢٣ ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ ،

٣ ـ انظر كتاب : الاعجاز الفني في القران ، لعمر السلامي ص ٥٥ ، نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله ،

٤ ـ انظر كتاب : بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز ابادى ، تحقيق الاستاذ محمد علي النجار ، طبعة القاهرة ١٣٨٣ هـ ، ص (١ : ٩٨) ،

وهذا القسم يشمل راى : الامام الباقلاني ، والجرجاني ، والطبرى ، والخطابي ، والرماني ، والرافعي ، والرازى ، والقرطبي ، ... وكثيرين من المعاصرين .

القسم الثانـــي :

========== ما يتصل بالمعنى ، ويندرج تحته راى القائلين بالاخبار عن الغيوب المستقبلة ، والاخبار عن قصص الاولين ، واخباره عن احوال بعض الصحابة ، والمعاصرين ، واشتماله على بعض الحقائق العلمية ، وخلوه من التناقض ، وصحة معناه ، وموافقته لطريق العقل ... "١"

وهذا يشمل راى : السيوطي ، والقاضي عياض ، والباقلاني ، والزركشي ، والقرطبي ، والرافعي ، والغزالي ، ودراز ... وغيرهم من المعاصرين .

القســم الثالـث :

=========== ما يجمع الاسلوب والمعنى معا ، ويدخل تحت هذا القسم راى القائلين بالنظم واللفظ والمعنى ، وبالنظم وصحة المعاني وتوالي فصاحة الفاظ القران . "٢"

وهذا يشمل راى الامام الباقلاني ، والسيوطي ، والطبرى ، والقاضي عبد الجبار ، والرافعي ، ودراز ، ومحمد الغزالي ، والدكتوره عائشة بنت الشاطي "٣" .... وكثيرين غيرهم .

---

١ ـ انظر : بصائر ذوى التمييز (١ : ٩٨) ، والبرهان في علوم القران (٢ : ٩٥) .

٢ ـ انظر : بصائر ذوى التمييز (١ : ٦٨) ، والمغني للقاضي عبد الجبار (١٦ : ٣١٨) .

٣ ـ انظر : الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ١٢٧ ، دار المعارف بمصر .

القسم الرابع :

========= ما كان خارجا عن الاقسام الثلاثة السابقة ٠ ويدخل في هذا راى القائلين : ان القران يدرك بالذوق ، وانه معجز باثره وهدايته ، وعدده ، وتصويره ، وموضوعيته ، والقول بالصرفة ٠

وهذا يشمل راى ، الدكتور محمد البهي ، والشهيد سيد قطب ، وعبد الرزاق نوفل ، ومحمد الغزالي ، (والنظام ، والمرتضى ، والاسفرائيني) القائلين بالصرفة ، والسيوطي ، والباقلاني وله والرافعي ٠٠٠ وكثيرين غيرهم ٠

القسم الخامس :

=========== ما كان مشتملاً على بعض الوجوه السابقة دون بعض ٠

ويندرج تحت هذا القسم راى القائلين بان الاعجاز يتمثل في مجموعة من الوجوه ، كالراى الذى اورده السيوطي ، والقرطبي ، والروماني ٠٠٠ الى اخر ذلك مما سبق ذكره ٠

ولكي نتمكن من بيان تحت اى الاقسام يندرج راى الشيخ محمد عبده ، اذكر مرة ثانية راى الشيخ محمد عبده في الاعجاز حتى يمكننا استحضاره ليتأتي لنا المقارنة بينه وبين الاراء الاخرى ٠

راى الشيخ محمد عبده :ــ

================= وهو يشمل :ــ

١ ــ القران معجز من حيث احتواؤه على اخبار الامم السابقة ٠

٢ ــ القران معجز من حيث تنبيهه الى ما افسده العلماء من الملل السابقة من عقائد ، وما خلطوا في احكامه ، وما حرفوا بالتاويل في كتبهم ٠

٣ ــ القران معجز من حيث احتواؤه على احكام شرعية توفر مصالح الناس فيتحقق بذلك العدل والنظام ٠

٤ ـ القران معجز من حيث احتواؤه على حكم ومواعظ واداب تخشع لها القلوب ، وتذرف منها العيون .

٥ ـ القران معجز من حيث فصاحته وبلاغته .

٦ ـ القران معجز من حيث احتواؤه على بعض اخبار الغيب التي صدقتها احداث المستقبل .

٧ ـ القران معجز من حيث ظهوره على لسان امي لبث اربعين سنة لم يوصف بالبلاغة ، ولم يؤثر عنه شيء من العلم .

ومن خلال ما ذكره الشيخ محمد عبده يبدو لي ان مذهبه يذكر بعض وجوه الاعجاز ويغفل البعض ، كغيره من العلماء ، فيكون من اصحاب الاراء المندرجة تحت القسم الخامس .

والمتأمل في هذه الاراء ، يجد ان كل واحد منها سلك طريقا خاصا وصل به الى اثبات الاعجاز ، فمهما اختلفت الطريق فقد التقى السائرون في النهاية .

وذلك لان جلال القران اعظم من ان يحيط به واحد فظهر لكل واحد منهم ما فتح الله به عليه . وتجمع من ارائهم المختلفة هذه الاراء كلها ، فهي ثمار جهود جميعهم ، ولا يمكن ان يقال ان بعضها لاح لباحث منهم ثم رفضه ، وانما وقف كل واحد حيث وقفت جهوده ، ولكن من احصوا البحوث بعدهم وجدوا هذه الثروة كلها وليس في وسع باحث ان ينكر منها شيئا ، وهي كلها حق ، وصدق ، غير ان بعض المتأخرين كان يرى ان الاقتصار على اهمها واشهرها وضوحا يكفي ، ومن هؤلاء الشيخ محمد عبده رحمه الله .

واذا قبلنا مثل هذه الوضع من امثال الشيخ محمد عبده ، فانه لا ينبغي ان ينسينا ما فتح الله به على الناس اتوا بعده . فانه ليس في وسعي ان اغفل راى الشهيد سيد قطب رحمه الله . فهذا الراى له من الوجاهة ما لا يصح معه اغفاله بحال من الاحوال ...

(فالقران معجز من حيث النسق القراني ذاته ، المعتمد على التصوير ، الاداة المفضلة للتعبير ، وهذا بدوره يؤدى الى جذب النفس اليه فيؤثر فيها خوفا واملا ، حتى اذا اخذت حظها منه عادت خاشعة وجلة ، وهكذا في كل مرة يقرأ فيها القران) .

فأنا اضيفه الى الاوجه التي ذكرها الشيخ محمد عبده ، وذلك للاسباب التالية :ـ

اولا :

==== لان القران الكريم استحوذ على جميع العرب ، بل على الانس والجن ، بنسقه الفريد ، وتصويره الرائع ، وتأثيره في النفوس .

ولقد اجتمع على الاقرار بهذا ، المؤمن والكافر ، من الانس والجن .

قال تعالى : " قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا " . "١"

وان الذى جعل الجن يقولون عنه : " عجبا " ، هو الذى جعل الوليد ابن المغيرة يقول :ـ (انه يعلو ولا يعلى عليه) .

لا شك ، انه النسق القراني الذى يسحر "٢" النفوس .

ثانيا :ـ

===== لان هذا الوجه من وجوه الاعجاز ، يمكن ان نجده في كل سورة قرانية ، وفي قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر " . "٣"

---

١ ـ سورة الجن الايات (١ ـ ٢) .
٢ ـ تأسيا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " وان من البيان لسحرا " .
٣ ـ سورة الكوثر واياتها ثلاث (٣) .

والقران تحدى بمثل هذه السورة ، ولكل سورة نصيبها من التصوير الفني ...

اما البحث في غير هذا الوجه من امور اخرى كعلم الغيب ، والتشريع ، والاعجاز العلمي ، والعددى .... فانه يثبت المزية للقرآن مكتملا دون السور القلائل التى لا غيب فيها ولا تشريع ... ، ومع ذلك وقع الاعجاز بها .

ثالثا :

==== هذا الراى تشير اليه اول سورة في القران الكريم ، سورة الفاتحة التي حوت مقاصد القران الكريم كله ، (وفيها على قصرها تلك الكليات الاساسية في التصور الاسلامي وتلك التوجيهات الشعورية المنبثقة من ذلك التصور) . "١"

---

١ ـ في ظلال القران ، للشهيد سيد قطب (١ : ٢٦) .

من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، التي ورد ذكرها في القران والسنة

=======================================

ان سرد واستيفاء جميع ما للرسول صلى الله عليه وسلم من معجزات ، مما لا يتأتي تحقيقه هنا ، لان الكلام فيه طويل ، ويحتاج الى الكثير من الجهد والوقت .

وقد افرد بعض العلماء لهذه المعجزات ابوابا خاصة ، والبعض افرد لها كتبا خاصة مما يدل على اهميتها ووفرتها ... "١"

وانا انما اريد ان اقتصر على ذكر بعض هذه المعجزات ، واعلق عليها حسب الحاجة ، وعلى قدر الامكان ، تكملة للبحث ، لان ما لا يدرك كله لا يترك اقله .

اقول :ــ للعلماء في تقسيم هذه المعجزات طرق ومذاهب :ــ

(أ) ــ فقد ذكر صاحب المغني ان المعجزات المنقولة التي ظهرت على يديه عليه السلام ، على اضرب ثلاثة :ــ

(الاول) : ما تعلم صحته وثبوته اما باضطرار ، واما بالاستدلال .

(الثاني) : ما ظهر واشتهر وعلم عند عوالم الناس وعامتهم .

(الثالث) : ما ينقل نقل الاحاد .

وذكر القاضي عبد الجبار ان ما يصح الاحتجاج به : الاول ،

---

١ ــ كما فعل البخاري في باب " علامات النبوة " ، وكذلك صنع مسلم في باب " معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم " .

وهناك من الكتب : دلائل النبوة للبيهقي ، ودلائل النبوة للماوردي ، وكتاب : الوفا باحوال المصطفى لابن الجوزي ..... وغيرها من الكتب .

وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم انها تزيد على الف ومائتين ، =

والثانــي . "١"

(ب) ـ وقسمها البعض الى حسية ، وعقلية .

والحسية : هي التي تجابه الحس ، وتظهر عجز الانسان عن معارضتها ، فتقيم للفكر برهانا ملزما على نبوة صاحبها .

والعقلية : هي التي تواجه العقل بكل ما فيه من قوى الادراك ، والاستبصار "٢" .

والتقسيم الاول انما هو من حيث صحتها وثبوتها وما يصح الاحتجاج به منها وما لا يصح .

والتقسيم الثاني انما هو من حيث طبيعتها .

وانا اميل الى تقسيمها من جهة المصدر ، فاقسمها الى :

(أ) معجزات ثبتت بنص القران الكريم ، وصريح السنة النبوية .

(ب) معجزات ثبتت في السنة فقط .

واليك من كل قسم معجزتين :ـ

القسم الاول (أ) :ـ

============

المعجزة الاولى : الاسراء الى بيت المقدس .

الاسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس احدى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التى خبر بها ، وشهد القران بصحتها ، ووقع التصديق بها من جمع كبير من الناس زمن البعثة .

= وقال بعض العلماء : انها تزيد على ثلاثة الاف معجزة تقريبا ، وقد اعتنى بجمعها فحول من الائمة كأبي نعيم ، والبيهقي .
انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦ : ٣٧٦) .

١ ـ انظر : المغني للقاضي عبد الجبار (١٦ : ٤٠٧) ، الطبعة الاولى ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م .

٢ ـ انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين ص ٥٢ ، ٦٤ .

قال تعالى : " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير " . "١"

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" لما كذبتني قريش قمت في الحجر ، فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه " . "٢"

المعجزة الثانيـــة : انشـــقاق القمـــر .

==============

وهذه ايضا ، معجزة باهرة من امهات معجزاته صلى الله عليه وسلم ، لا يكاد يعدلها شيء من معجزاته بعد القران الكريم .

قال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر " . "٣"

وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية ، فاراهم القمر شقين حتى راوا " حراء " "٤" بينهما . "٥"

وحادثة انشقاق القمر راها جمع غفير في حينها ، ووقع التصديق بها من السفار ، فكانت احدى المعجزات الباهرات . "٦"

---

١ ـ سورة الاسراء اية (١) .

٢ ـ صحيح ، رواه البخارى ، في باب حديث الاسراء ، كتاب بدء الخلق .
وانظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٧ : ١٣٩ ، ١٤٠) .

٣ ـ سورة القمر الايات (١ ـ ٣) .

٤ ـ غار حراء ، في اعلى جبل النور بمكة .

٥ ـ متفق عليه .

٦ ـ انظر تفسير ابن كثير (٤ : ٢٦١) .

قال ابن كثير : (وقوله تعالى " وانشق القمر " قد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الاحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة ، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال :

" خمس قد مضين : الروم ، والدخان ، واللزام ، والبطشة والقمر " . "١"

وهذا امر متفق عليه بين العلماء ، وان انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، وانه كان احدى المعجزات الباهرات) . "٢"

وان ثبوت حادثة انشقاق القمر بالتواتر — كما ذكر ابن كثير — وقد رويت احاديثها عن جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعلي ، وحذيفة ، وجبير بن مطعم ، ..... وغيرهم ... وهي تفيد العلم اليقيني بصدق مدعي النبوة ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

---

١ — انظر : فتح الباري (٨ : ٤٩٦ ، ٥٧٢) ، وانظر : فتح القدير (٤ : ٥٧٣) .

الروم : انتصار الروم وهم اهل كتاب على الفرس وهم عبدة الاوثان ، وذلك بعد بضع سنين من هزيمتهم .

قال تعالى : " الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين " .

الدخان : لما دعا الرسول قريشا ، كذبوه فقال : اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، فاصابتهم سنة لم تبق شيئا حتى كانوا ياكلون الميتة ، وكان يقوم احدهم فيرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع والجهد . /

انظر : فتح الباري (٨ : ٥٧٣) .

اللزام : ما لزم المشركين من العذاب في الدنيا والاخرة : / انظر فتح الباري (٨ : ٤٩٦) ، وانظر : فتح القدير (٤ : ٩٠) .

البطشة : هي يوم بدر ايضا ، قاله الاكثر واختاره الشوكاني .

انظر : فتح القدير (٤ : ٥٧٢) .

القمر : المراد الانشقاق الواقع في ايام النبوة ، واليه ذهب الجمهور من السلف والخلف) .

انظر : فتح القدير (٥ : ١١٠) .

٢ — تفسير ابن كثير (٤ : ٢٦١) .

القسم الثاني (ب) :ـ

===============

المعجزة الاولى : نبع الماء من بين أصابعه الشريفة .

فقد ظهر واشتهر ، وتواتر الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سقى الكثير من الماء القليل . وكان ذلك في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم ، عند اعواز الماء وتعذره .

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يضع يده الشريفة في الوعاء الذى به الماء ، فيفور الماء من بين اصابعه فيشرب القوم ويتزودوا . "١"

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية ، والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة "٢" فتوضأ . فجهش الناس حوله "٣" فقال : ما لكم ؟

قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور بين اصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة الف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . "٤"

يذكر الامام القرطبي ان هذه الحادثة تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن ، امام جمع عظيم ، ووردت من طرق كثيرة ، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوى .

ويذكر ايضا انه لم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير الرسول صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه . "٥"

---

١ ـ انظر : المغني في ابوابه التوحيد والعدل (١٦ : ٤١٣) .
٢ ـ اناء صغير للشرب .
٣ ـ اسرعوا متهيئين لاخذ الماء .
٤ ـ انظر : صحيح البخارى (باب علامات النبوة) .
٥ ـ انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦ : ٣٧٨) .

المعجزة الثانيـــــة :

اطعام الكثير من يسير الطعام ـ او تكثير الطعام ـ وقد وقع هذا في اماكن متفرقة ، وفي غزواته ، وفي دور جماعة من الانصار وغيرهم ، وقد ظهر نقل ذلك واشتهر . "١"

روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : انا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية "٢" شديدة ، فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق .

فقال : انا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا ، فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول "٣" فضرب فعاد كثيبا "٤" اهيل او اهيم "٥" .

فقلت : يا رسول الله : ائذن لي الى البيت ، فقلت لامراتي : رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر ، فعندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعناق "٦" ، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة "٧" ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم ، والعجين قد انكسر "٨" ، والبرمة بيـن

---

١ ـ انظر : المغني (١٦ : ٤٠٧ ـ ٤٢٢) .
٢ ـ الكدية : صخرة صماء .
٣ ـ الاداة ، التي تستعمل لتكسير الصخور .
٤ ـ الكثيب : الرمل .
٥ ـ الاهيل أو الاهيم : المتفكك الناعم .
٦ ـ العناق : انثى الماعز دون السنة من عمرها .
٧ ـ البرمة : الوعاء او القدر .
٨ ـ لان من اثر التخمير .

الاثافي "١" ، قد كادت أن تنضج ، فقلت : طعيم لي ، فقم انت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال صلى الله عليه وسلم : كم هو ؟ فذكرت له ، قال : كثير طيب ، قال : قل لها لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور حتى اتي ، فقال صلى الله عليه وسلم : قوموا ، فقام المهاجرون والانصار ، فلما دخلت على امراتي قالت : ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم ، قالت هل سالك ؟ قلت : نعم ، فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوا ولا تضاغطوا "٢" ، فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه ، ويقرب الى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية ، قال : كلي هذا واهدى فان الناس قد اصابتهم مجاعة ، "٣"

ويروى ان عدد الاكلين ثمانمائة ، وفي رواية للبخاري انهم كانوا الفا ،

وهذا ببركة رسولنا صلى الله عليه وسلم ، حيث اظهر الله على يديه هذه الاية الكريمة ، فاكل واكلوا ، وشبع وشبعوا ... وفضلت فضلة ،

وهذا يدلنا على صدق نبوته ورسالته ، صلى الله عليه وسلم ،

وروى انه عليه الصلاة والسلام بعد ما اكلوا وشبعوا شهد لله بالوحدانية ، ولنفسه بالرسالة فقال : اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ، "٤"

والاحاديث التي تفيد ثبوت المعجزات للرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة ، "٥" (تواترت بها الاخبار واستفاضت ، ونقلتها الامة جيلا بعد جيل وخلفا عن سلف ..)

---

١ ـ ثلاثة حجارة ، يوضع القدر فوقها ،

٢ ـ اى لا تزدحموا ،

٣ ـ انظر : صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ باب غزوة الخندق ،
وانظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٧ : ٢٧٧) ،

٤ ـ انظر : جامع الاصول من احاديث الرسول ، لابي السعادات مبارك بن محمد الجزرى ، ابن الاثير الجزرى (١٢ : حديث رقم ٨٨٦٧) ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٥م ،

٥ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤ : ٢٢٧) ،

موقف الشيخ محمد عبده من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :
====================================

تحديد موقف الشيخ محمد عبده من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم — غير القران — ، كان مدار جدل بين العلماء من بعده ، أدى الى اضطراب الناس في الوقوف على المسلك الصحيح الذى سلكه الشيخ محمد عبده في هذا الموضوع .

هل هو ينكر ما ثبت للرسول صلى الله عليه وسلم من معجزات غير القران ؟ ام لا ؟

انقسم الناس الى فريقين :

الفريق الاول : اعتبره منكرا لهذه المعجزات .

والثانـــــي : نفى ان يكون الشيخ محمد عبده منكرا لهذه المعجزات .

واليك البيان :—

الفريق الاول :
=========

لقد ذهب هذا الفريق الى ان الشيخ محمد عبده انكر المعجزات الثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وانه لم يثبت له الا معجزة القران الكريم . اما ما عداها من المعجزات فليست من شانه ، وليس له اليها من سبيل ، ويستشهد بقوله تعالى " قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين " ، "١" ويزعم ان هذا من الخصائص العليا له عليه الصلاة والسلام ، فهو لم يخاطب الناس بما لا يفهمون ، ولم يعاملهم بما وراء حدود العلم الذى يدركه البشر .

---

١ — سورة العنكبوت اية (٥٠) .

وقد مثل هذا الفريق جماعة منهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي "١" ، والمستشار سالم البهنساوى . "٢"

واليك ما قاله هذان الاستاذان :ـ

أ : ـ يقول الاستاذ المستشار سالم البهنساوى في مجلة المجتمع "٣" :

(ان الشيخ محمد عبده اخطأ سبيل الدفاع عن الاسلام ، فأنكر المعجزات الكونية .

واول نصوص المعجزات الواردة في القران ، متأثرا بأقوال المبشرين والمستشرقين) .

ب : ـ يقول الاستاذ محمد سعيد رمضان البوطي :ـ "٤"

(وانك لتقرا هذا الكلام ، وتجد هذا الاتجاه ـ وهو اعتقاد ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تسجل له سوى معجزة واحدة هي القران ، الذى تنزل عليه ، اما الخوارق الاخرى مما لا يدركه ويفهمه العقل فقد كان منكرا لها غير عابىء بها ، ولا ملتفت الى المطالبين بها ـ في كثير من الكتب الحديثة اليوم بعد ان تبناه من قبل افراد معدودون تبنوا الدعوة اليه ، والتبشير به ، وارتبطت اسماؤهم من اجل ذلك بشعار " الاصلاح الديني " الذى شاع لاسباب معينة منذ ذلك اليوم) . "٥"

لكن من هؤلاء الذين ارتبطت اسماؤهم بشعار الاصلاح الذين انكروا معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

---

١ ـ انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٤ ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ .
٢ ـ انظر : مجلة المجتمع العدد ٣٦٤ ، السنة الثامنة ص ٢٨ .
٣ ـ مجلة المجتمع ، العدد ٣٦٤ ، في ٩ رمضان ١٣٩٧ هـ ، السنة الثامنة ص ٢٨ ، ٢٩ .
٤ ـ انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٣ .
٥ ـ نفس المرجع ص ٢٣٤ .

اجاب البوطي : (وفي سبيل هذا " الاصلاح " جيء بالشيخ محمد عبده ، واعطيت له مقاليد الامر ، ليقوم باصلاح شامل في ميدان الازهر شبها الاساس الذى اوضحناه) . "١"

وما هو هذا الاساس ؟

اجاب : (انه الاستعانة بمنهج فكرى يغير من تفكير المسلمين تغييرا يقصيهم من هذه الشدة في التمسك بالدين والتضحية من اجله والاعتماد عليه وحده ، ويجعلهم يلتقون مع الفكر الاوربي في اوسع قدر ممكن من سبل الحياة) . "٢"

ويتابع حديثه قائلا :

(وكان من نتيجة ذلك تنصيب الشيخ " مصطفى المراغي " شيخا للجامع الازهر ، وهو الذى يقول في تقريظه ، وتقديمه لكتاب " حياة محمد " "٣" :

(لم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة الا في القران وهي معجزة عقلية) .

وتنصيب " محمد فريد وجدى " رئيسا لتحرير مجلة الازهر ـ نور الاسلام ـ وهو الذى يقول فيها تحت عنوان : (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) ـ اننا نحرص فيما نكتبه في هذه السيرة على ان لا نسرف في كل ناحية الى ناحية الاعجاز ، ما دام يمكن تعليلها ، بالاسباب المادية حتى ولو بشيء من التكلف ... .

(وما هو الا ان تسلم هؤلاء وغيرهم مراكزهم الجديدة حتى بدأ التبشير بالمنهج الجديد في فهم العقيدة الاسلامية ، وهو المنهج الذى يهدف الى تجاهل كل المسائل الغيبية التي لا تقع تحت مجهر العلم التجريبي المحسوس ، وفي مقدمتها

---

١ ـ نفس المرجع ص ٢٣٧ .

٢ ـ نفس المرجع ص ٢٣٤ .

٣ ـ انظر كتاب : حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل ، الطبعة ١٣ ، ١٩٦٨م ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، تقريظ الشيخ محمد مصطفى المراغي ص (ك ، ل) .

المعجزات على اختلافها ...

(فقد راينا كيف يكتب الشيخ محمد عبده في ابحاث العقيدة على طريقة غريبة عجيبة ، يخرج فيها على اجماع المسلمين ، وبدهيات العقيدة الصحيحة ...

رأيناه كيف ينتهي في تفسير سورة الفيل الى تأويل صريح الاية بان المقصود بطير الابابيل ، وحجارة السجيل انما هو وباء الجدرى . "١"

وتأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة الواضحة المعنى ، ثم قل لي كيف يتأتى ان يؤمن بمخفيات القران التي هي اعظم غرابة بكثير من قصة الفيل ، من يعمد الى نص القران فيؤول طير الابابيل والحجارة التي ترمي بها ، بداء الجدرى ؟) "٢"

ا . هـ .

الفريق الثانـــــي :
============

هذا الفريق من العلماء نفي ما قيل عن الشيخ محمد عبده ، بهذا الخصوص ، ولم يثبت عندهم نص يدينه ، وعلى عكس الفريق الاول ، فقد كتبوا عن حياة الشيخ محمد عبده ، وتعرض بعضهم لمعتقده "٣" ، دون ان يشيروا الى شيء من هذا القبيل ، بل عدوه زعيما من زعماء الاصلاح و ورائد الفكر المصرى ، ورائد اللون الادبي والاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر .

ولم يذكر واحد من هؤلاء "٤" انه انكر معجزات المصطفي صلى الله عليه وسلم .

---

١ ـ انظر : تفسير جزء عم ص ١٢٠ ، وسأذكر بعد قليل النص الكامل لقصة الفيل .

٢ ـ انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٨ ، الهامش .

٣ ـ في مقتطفات قصيرة ، لا كما هو في مثل هذا البحث .

٤ ـ امثال : رشيد رضا ، والعقاد ، وعثمان امين ، ومحمد حسين الذهبي ، ... وغيرهم .

جرأة في التأويــــــل

=============

أقول : هذا الذى اختلف فيه العلماء ، وتباعدوا ، يستحق تحقيقا علميا وموضوعيا ، من غير تحيز الى فريق دون فريق ، وذلك احقاقا للحق ، وابطالا للباطل .

لانه ما من مجلس ، ولا منتدى ، يذكر فيه الشيخ محمد عبده ، الا ويذكر اسمه مرتبطا بانكاره للمعجزات ، خاصة قصة سورة الفيل ، والتفسير الذى ذهب اليه فيها .

ولقد عرضت الموضوع على الاستاذ المشرف ، فابدى رغبته في البحث ، والكتابة وتحقيق المسألة بدقة وامانة ، وكان له في ذلك راى "١" ، اذكره بعد قليل .

واحب قبل ان ابين الراى في تفسير الشيخ محمد عبده ، لسورة الفيل ، ان اعقب على كلام الفريق الاول ، فأقول :ـ

أ ـ الا أريد ان الشيخ محمد عبده انكر المعجزات ، يشهد لهذا ان الشيخ محمد عبده يكذب الذين ينكرون المعجزات من اول وهلة بلفظ " زعم " ويتهمهم بالتهور .

فيقول :ـ (وزعم الذين لا يجيزون المعجزات من المشهورين ...) . "٢"

ويؤكد ان (فلق البحر كان من معجزات موسى عليه السلام) . "٣"

---

١ ـ أنظر

١ ـ انظر : بحوث كتابية ، للدكتور سليمان دنيا ، لم تطبع بعد .

٢ ـ انظر : تفسير المنار (١ : ٣١٥) .

٣ ـ انظر : تفسير المنار (١ : ٣١٤) .

فاذا كان لا ينكر معجزات موسى عليه السلام ، فكيف ينكر معجزات صاحب الرسالة الاسلامية ، نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

ويقول : وقد قلنا في رسالة التوحيد : (ان الخوارق الجائزة عقلا — اى التي ليس فيها اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما — لا مانع من وقوعها بقدرة الله تعالى في يد نبي من الانبياء) . "١"

(ويقول :—

(فمتى ظهرت المعجزة وهي مما لا يقدر عليه البشر ، وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة ان الله ما اظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يديه ، وان كان هذا العلم قد يقارنه الانكار مكابرة) . "٢"

ب — لم يخرج الشيخ محمد عبده فيما كتب في امور العقيدة على اجماع المسلمين "٣" ، بل كان يعتمد في كثير من ارائه وافكاره على اقوال بعض المفسرين المشهورين المشهود لهم بالورع والتقوى من السلف الصالح ، كعكرمة مثلا "٤" ... كما سنرى .

وقد بينت في الباب الاول "٥" ان الشيخ محمد عبده ، كان يعول على عقله كثيرا ، ومع ذلك كان يلتقي مع السلف في كثير من مسائل العقيدة ، ذلك لان العقل الصحيح يلتقي مع النص الصريح .

---

١ — انظر : تفسير المنار (١ : ٣١٤) .
٢ — انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤٠٢) .
٣ — الا في بعض الامور ، كانكار الملائكة ، والجن ، وتأويل معناهما ، وسيأتي بيانه ...
٤ — وعن يعقوب بن عتبة ، ورواية ابن جرير الطبري تحتاج الى تحقيق ، لانه كثيرا ما يكتب من غير تفريق بين صحيح وغيره ، فهو يجمع الاقوال ويضعها بين يدى القارى .
٥ — انظر الباب الاول ، الفصل الاخير ، في بيان منهج الشيخ محمد عبده في الاستدلال والبحث .

ج ـ لا يلزم ، بل لا يحق ان نأخذ الشيخ محمد عبده بذنب لم يقترفه .

وما قاله المراغي ، او محمد فريد وجدى ، او محمد حسين هيكل او غيرهم من تلاميذه ، ليس حجة عليه ، خاصة وان احدا لم ينسب هذا الراى اليه ، فكيف يجوز ان نلزمه بقول لم يقله وقد قرر العلماء ان لازم المذهب ليس بمذهب ، فهل يكون مذهب الصديق مذهبا ؟ وهو القائل في رسالة التوحيد ، فيما يجب على المؤمن بالانبياء ان يعتقد :ـ

(وان يؤمن بانهم مؤيدون من العناية الالهية بما لا يعهد للعقول ، ولا للاستطاعة البشرية ، وان هذا الامر الفائق لمعهود البشر هو المعجزة) ، "١"

د ـ اما قصة الفيل ، وتأويل صريح ـ الاية في قوله تعالى :" وارسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول "، "٢"

فاليك ما قاله الاستاذ سليمان دنيا ، حفظه الله ، وجزاه خيرا ...

قال :ـ

(ليس في وسعي ان اتجاهل ما وجه الى الشيخ " محمد عبده " من نقد ، فقد يكون حقا ، ولا ان اخذ به ، فقد يكون باطلا .

وقد رايت ان استعرض مواضع النقد من كلامه فافحصه واتبين مدلولاته ومراميه ، منصفا غير متحيز ، وباحثا متفهما ، غير مدافع ولا مهاجم ، حتى اذا حصلت النفس على المعنى الذى يغلب على الظن انه اليه قصد ، وعلى المدلول الذى لا يكون هنالك ما هو اقرب الى عبارته منه ، عدت الى المآخذ والاعتراضات ، فان وجدت لها سبيلا تدخل منه الى هذا المدلول وذلك المعنى ، سايرتها ،

---

١ ـ رسالة التوحيد ص ٨٩ .

٢ ـ سورة الفيل الايات (٣ ـ ٥) .

وتابعتها ، ووقفت الى جانبها ، واعلنت موافقتي لها ، وانضمامي لاصحابها ، حباً في الحق واهله .

وان وجدت غير ذلك ، اخذت السبيل عليها ، ورددتها على اعقابها ، وبينت انها ارادت ما لا يراد ، وتطلعت الى ما لا سبيل اليه . ايضا حباً في الحق واهله .

فان العلم هو الحق ، ومن فرق بين العلم والحق ، فليس هو من العلم ولا من الحق في شيء .

وحيث ان الناقدين والمعترضين على الشيخ " محمد عبده " ، قد جعلوا تفسيره لسورة " الفيل " قطب الرحا الذى يدور حوله نقدهم واعتراضهم ، حتى انهم اعتبروه بسببه (خارجا على اجماع المسلمين وبدهيات العقيدة الصحيحة) . "١"

وسوغوا لانفسهم ان ينفوا عنه الايمان بالغيب — دون ان يدلوا على مواضع هذا النفي من كلامه — بل قياسا على ما له من تأويل في سورة " الفيل " .

فيقول قائلهم : (وتأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة ، الواضحة المعنى ، ثم قل لي كيف يتأتي ان يؤمن بمغيبات القران التي هي اعظم غرابة بكثير من قصة الفيل ، من يعمد الى نص القران فيها ، فيؤول طير الابابيل ، والحجارة التي ترمي بها ، بداء الجدرى) . "٢"

أقول :— لمّا كان تفسير الشيخ " محمد عبده " لسورة الفيل هو منطلق الخلاف بينه وبين خصومه ، وهو الاصل الذى تفرع عنه كل ما عداه من خلاف ، فقد وجدت انه من الضرورى — بناء على المنهج الذى بدا لي انه الطريق الصحيح للفصل في هذه الخصومة ، من النظر في كلام الشيخ محمد عبده اولا ، نظـــرة

---

١ — انظر : كبرى اليقينيات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ٢٣٧ .

٢ — انظر : نفس المرجع ص ٢٣٨ .

فاحصة متفهمة ، ومحايدة ، ثم النظر في الاعتراضات بعد فهم المعترض عليه ، ليمكن الحكم الصحيح بقبولها ، او ردها — ان ادرس بعناية ، ومع القارئ ، عبارات الشيخ محمد عبده التي فسر بها سورة الفيل ، اذ قد نيط بهذا التفسير فصل الخطاب في ادانته او براءته .

ودعني اخذ هذا التفسير عبارة عبارة ، وجزءا جزءا ، حتى يسهل بحثه وتحليله .

يقول الشيخ " محمد عبده " :

(السورة الكريمة تعلمنا ان الله سبحانه يريد ان يذكر نبيه ، ومن تبلغه رسالته ، بعمل عظيم من اعماله الدالة على عظيم قدرته ، وان كل قدرة دونها فهي خاضعة لسلطانها ، وانه القاهر فوق عباده ، لا يمنعهم منه عزة ولا ... عليه منهم قوة ، ذلك العمل العظيم هو ان قوما ارادوا ان يتعززوا بفيلهم ليغلبوا بعض عباده على امرهم ، ويصلوا اليهم بشر واذى ، فأهلكهم الله ورد كيدهم ، وابطل تدبيرهم ، بعد ان كانوا في ثقة بعددهم وعددهم ، فلم يغدهم ذلك شيئا ... "١"

---

١ — واليك نص كلام الشيخ محمد عبده فيما بعد هذا :—

يقول :— (وكان يمكننا ان نكتفي بذلك المعنى من الايات ، ولا نزيد عليه ادنى تفصيل ، وهو كاف في الاعتبار والعظة ، كما اكتفينا بذلك في اصحاب الاخدود ، لكن في هذه السورة يجوز لنا التفصيل ، لان واقعة الفيل في ذاتها — كما ورد في هذه الايات — معروفة متواترة الرواية ، حتى انهم جعلوها مبدأ تاريخ يحددون به اوقات الحوادث ، فيقولون : ولد عام الفيل وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل ، ونحو ذلك .

والمتواتر من الواقعة هو ان قائدا حبشيا — ممن كانوا قد غلبوا على اليمن — اراد ان يعتدى على الكعبة المشرفة ، ويهدمها ، ليمنع العرب من =

فهذا الطاغية الذى اراد ان يهدم البيت ... اهلكه الله واهلك قومه قبل ان يدخل مكة ، وهي نعمة من الله غمر بها اهل مكة — على وثنيتهم — حفظا لبيته ، حتى يرسل من يحميه بقوة دينه ، صلى الله عليه وسلم ...) .

اقرأ هذا ، ثم اقرأ ما كتبه ابن كثير في تفسير هذه السورة ، قال — اول ما قال — :

(هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش ، فيما صرف عنهم من اصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ، ومحو اثرها من الوجود ، فأبادهم الله ، وارغم انافهم ، وخيب سعيهم ، واضل عملهم ، وردهم

= الحج اليها ، او ليقهرهم ، ويذلهم ، فتوجه بجيش جرار الى مكة لذلك ، واستصحب معه فيلا او فيلة كثيرة ، زيادة في الارهاب وحشر الخوف الى القلوب ولم يزل سائرا يغلب من يلاقيه حتى وصل الى المغمس (موضع قرب مكه في طريق الطائف مات فيه " ابورغال " دليل صاحب الفيل) بالقرب من مكه ، ثم ارسل الى اهل مكه يخبرهم انه لم يأت لحربهم ، وانما اتى لهدم البيت ، ففزعوا منه ، وانطلقوا الى شعف الجبال ينتظرون ما هو فاعل .

وفي اليوم الثاني فشا في جند الجيش داء الجدرى والحصبة ، قال عكرمة : هو اول جدرى ظهر ببلاد العرب .

وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث : ان اول ما رؤيت الحصبة والجدرى ببلاد العرب ذلك العام .

وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين ، واصيب قائد الجيش الحبشي ، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة ، وانملة انملة ، حتى انصدع صدره ومات في صنعاء .

هذا ما اتفقت عليه الروايات ، ويصح الاعتقاد به ، وقد بينت لنا هذه — السورة الكريمة ان ذلك الجدرى او تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح . =

....

= فيجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الامراض ، وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الريح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد دخل في مسامه ، فاثار فيه تلك القروح التى تنتهي بافساد الجسم وتساقط لحمه . وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر .

وان هذا الحيوان الصغير — الذى يسمونه الان بالميكروب — لا يخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها الا بارئها ، ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عنقاء مغرب ، ولا ان يكون له الوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ، فلله جند من كل شيء .

وفي كل شيء له آيـــــة تدل على انه الواحـــــد

وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته ، فهذا الطاغية الذى اراد ان يهدم البيت ارسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى او الحصبة ، فاهلكته واهلكت قومه قبل ان يدخل مكه . وهي نعمة من الله غمر بها اهل حرمه — على وثنيتهم — حفظا لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم .

وان كانت نقمة من الله حلت بأعدائه اصحاب الفيل الذين ارادوا الاعتداء على البيت دون جرم اجترمه ولا ذنب اقترفه .

هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة ، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ان صحت روايته .

ومما تعظم به القدرة ان يؤخذ من استعز بالفيل — وهو اضخم حيوان من ذوات الاربع جسما — ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر ، حيث ساقه القدر . لا ريب عند العاقل ان هذا اكبر ، واعجب وابهر) اهـ

انظر / تفسير سورة الفيل ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٥٢٧ — ٥٢٩) .

بشرخيبة ، وكانوا قوما نصارى ، وكان دينهم اذ ذاك اقرب حالا مما كان عليه قريش ، من عبادة الاوثان ، ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانه في ذلك العام ولد على اشهر الاقوال ، ولسان حال القدرة يقول :

لم ينصركم يامعشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذى سنشرفه ونعظمه ، ونوقره ، ببعثة النبي الامي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء) . "١"

اقرا هذا وذاك ، وقرر الاتفاق في الفكرة بين الرجلين ، والمتأخر هو الذى تأثر بالمتقدم طبعا .

× × ×

ثم ان ابن كثير ، لم يسم حادثة الفيل معجزة ، بل سماها ارهاصا ، والشيخ محمد عبده اتفق مع ابن كثير في المعنى الذى سماه ابن كثير ارهاصا ، وان لم يطلق عليه نفس الاسم ، وذلك حيث يقول :

(وهي نعمة من الله غمر بها اهل حرمه — على وثنيتهم — حفظا لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم) .

وابن كثير على حق ، اذ لم يسم حادثة الفيل معجزة : لان المعجزة هي ما يظهره الله علي يد مدعي النبوة تصديقا لدعواه .

ثم ان تفسير الشيخ محمد عبده لسورة الفيل يشتمل :

أ :— على ثبوت " الفيل " الذى ورد في النص القراني :

١ — حيث يقول : (ان يتعززوا بفيلهم) .

---

١ — تفسير ابن كثير (٤ : ٥٤٨) .

٢ — ويقول : (لان واقعة الفيل) .

٣ — ويقول : (فيقولون ولد عام الفيل) .

٤ — ويقول : (ويقولون حدث كذا لسنتين بعد عام الفيل) .

٥ — ويقول : (واستصحب معه فيلا او فيلة) .

٦ — ويقول : (ان يوءخذ من استعز بالفيل) .

ب : — وعلى ثبوت " الطير " الذى ورد في النص القرآني :

١ — حيث يقول (... حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير) .

٢ — وحيث يقول (لك ان تعتقد ان هذا الطير ...) .

٣ — وحيث يقول (وان كثيرا من هذه الطيور) .

٤ — وحيث يقول (على ان يكون هذا الطير) .

٥ — وحيث يقول (فهذا الطاغية الذى اراد ان يهدم البيت ارسل الله عليه من الطير) .

ج :— وعلى ثبوت " الحجارة " التي وردت في النص القرآني :

١ — حيث يقول : (نشات من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش) .

٢ — وحيث يقول : (وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس) .

٣ — وحيث يقول : (مقادير الحجارة) .

د : — وعلى صيرورة ابرهة وجيشه كالعصف المأكول ،

١ — حيث يقول (فكان لحمهم يتناثر ويتساقط) .

٢ — وحيث يقول (واصيب صاحب الجيش ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة ، وانملة انملة حتى انصدع صدره ومات في صنعاء) .

٣ — وحيث يقول (فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم

وتساقط لحمه) •

هـ :- وعلى ثبوت " ابرهة وجيشه " - اصحاب الفيل - الذين وردوا في النص القرانـــي :

١ - حيث يقول (ان قوما ارادوا ان يتعززوا بفيلهم) •

٢ - وحيث يقول (فأهلكهم الله ورد كيدهم) •

٣ - وحيث يقول : (وما تواتر من الواقعة هو ان قائدا حبشيا - ممن كانوا قد غلبوا على اليمن - اراد ان يعتدى على الكعبة المشرفة ، ويهدمها ليمنع العرب من الحج اليها ، او ليقهرهم ويذلهم •••) •

× × × ×

وهذه الامور الخمسة - الفيل ، والطير ، والحجارة ، والعصف المأكول ، وابرهة وجيشه -

هي الاركان المادية المحسوسة التي وردت في النص القراني :

ففي قوله تعالى :

(الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) •

ذكر للفيل وللجيش الذى صحب الفيل معه •

وفي قوله تعالى :

(الم يجعل كيدهم في تضليل) •

ذكر لهزيمة اصحاب الفيل •

وفي قوله تعالى :

(وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) •

ذكر للطير ، والحجارة ، والنهاية التي انتهى اليها الفيل واصحابه •

× × × ×

وهكذا يكون الشيخ محمد عبده قد ذكر اركان واقعة الفيل ، كما ذكرها القرآن لم ينقص منها شيئا .

ولكن بقي ان يقال : كيف اهلكت حجارة السجيل ابرهة وجيشه ؟

ولكي نتبين ذلك نعود الى السورة مرة اخرى .

يقول الله تبارك وتعالى :

(الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل " .

وهذه الاية تنبه من يتأتى منه النظر والفكر الى التعجب مما فعل الله " بأبرهة " وجيشه ، فالله هو الذى فعل بهم ما سيذكر بعد .

(الم يجعل كيدهم في تضليل " .

فالله هو الذى فوت عليهم غرضهم ، وخيب آمالهم .

" وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول "

وهو جل شأنه الذى ارسل عليهم طيرا تحمل حجارة ترميهم بها ، وهو الذى جعلهم كالعصف المأكول .

وماذا كانت مهمة الطير ؟

كانت مهمة الطير ان تحمل الحجارة من حيث اراد الله وتقذفهم بها .

وماذا كانت مهمة الحجارة ؟

كان مهمة الحجارة ان صيرهم الله بها كالعصف المأكول .

ولكن كيف صيرتهم الحجارة كالعصف المأكول ؟

هذا ما تركت الاية بيانه : ولانه جانب في الواقعة يتطلع العقل الى معرفته لتتم له معرفة الواقعة من جميع جوانبها ، راح يتلمس السبيل لمعرفة هذا الجانب .

فيروى ابن كثير :

١ — عن ابن اسحق قوله (وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف ، والبلسان ، مع كل طائر ثلاثة احجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران

في رجليه ، امثال الحمص والعدس ، لا يصيب منهم احد الا هلك ، وليس كلهم اصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق) .

٢ — وعن الواقدى (انه لما تهيئوا لدخول الحرم ، وهيئوا الفيل ، جعلوا لا يصرفونه الى جهة من سائر الجهات ، الا ذهب فيها ، فاذا وجهوه الى الحرم ربض وصاح ... فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم طيرا ابابيل ، اى قطعا قطعا ، صفرا ، دون الحمام ، وارجلها حمر ، ومع كل طائر ثلاثة احجار ، وجاءت فحلقت عليهم ، وارسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا) .

٣ — وعن محمد بن اسحق قال (جاءوا بفيلين ، فاما المسمى بمحمود فربض ، واما الاخر فشجع فحصب) .

٤ — وعن وهب بن منبه قال (كان معهم فيلة ، فاما محمود وهو فيل الملك فربض ليقتدى به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تشجع فحصب ، فهربت بقية الفيلة) .

٥ — وعن عطاء بن يسار (قال عطاء وغيره ليس كلهم اصابه العذاب في الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعا ، ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون ، وكان ابرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم) .

٦ — وعن ابن اسحق قال (فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل واصيب ابرهة في جسده ، وخرجوا به معهم ، يسقط انملة انملة ، حتى قدموا صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون) .

٧ — وعن يعقوب بن عتبة قال (انه حدث انه اول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام) .

٨ — قال ابن كثير : (وهكذا — اى كما روى عن يعقوب بن عتبة — روى عن عكرمة من طريق جبير) .

× × × ×

هكذا تتزاحم الافكار والاراء متواردة على الجانب الذى ذكرت ان الايات القرانية لم تبينه ، شارحة وموضحة .

فيقول قائلون . ان الطير كانت تحمل في مناقيرها ، وارجلها حجارة في حجم العدس ، والحمص ، تقذف بها على جيش ابرهة ، وكلما اصاب حجر رجلا اهلكه ،

وفي بعض الروايات ان الحجر كان اذا سقط على راس الرجل خرج من دبره .

ويقول آخرون : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى ، وان وطأة هذا المرض على ابرهة وجيشه كانت شديدة الى حد ان اجسادهم كانت تتساقط جزأ جزأ ، وعضوا عضوا ، عقب الاصابة مباشرة ، مما لم يعهد له نظير قط . حتى ان الفيلة التي لا ينال الحديد من جلودها ، فعل بها هذا المرض الافاعيل .

واختلاف الروايات على هذا النحو ، في امر الاهلاك يدل على ان الاراء فيه وليدة الاجتهاد ، والسماع ممن ليس السماع عنه حجة ملزمة .

ومن هذا الباب المفتوح دخل الشيخ محمد عبده ، وهو ولوع بتمحيص الاراء والتخير من بينها ، والقى بدلوه في الدلاء ، ولكن في نفس المياه التى يستقي منها غيره ، ولم يخرج عن نطاقها ، فتابع وهب بن منبه ، ويعقوب بن عتبة ، وعكرمة ، ومحمد بن اسحق في احدى الروايات ، مؤثرا رأيهم بأن الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى .

وكما بينا ان الايات القرانية تركت كيفية الهلاك لم توضحها ، فان اصحاب راى الحصبة والجدرى تركوا العلاقة بين مرض الحصبة والجدرى وبين الحجارة التي ارسلها الطير على الجيش فنشأ منها المرض ، ولم يوضحوها ، ولم يبينوا كيف نشأ مرض الحصبة والجدرى بسبب الحجارة .

وهنا يتقدم الشيخ محمد عبده ليسد هذه الثغرة ، التي توجد في ثنايا الرأى الذى بدأه : وهب بن منبه ، ويعقوب بن عتبة ، وعكرمة ، ومحمد بن

اسحق — في احدى الروايات — ولم يتموه ، فيقول :

(فيجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الامراض ، وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد ، دخل في مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم وتساقط لحمه ، وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر ، وان هذا الحيوان الصغير — الذى يسمونه بالميكروب — لا يخرج عنها — اى عن جند الله — وهو — اى الميكروب — فرق وجماعات لا يحصي عددها الا بارئها ، ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عنقاء مغرب ، ولا ان يكون له الوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ، فلله جند من كل شيء :

وفي كل شيء له ايـــة : تدل على انه الواحـــد

وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته ، فهذا الطاغية الذى اراد ان يهدم البيت ، ارسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى او الحصبة ، فاهلكته واهلكت قومه قبل ان يدخل مكة) .

فالشيخ محمد عبده يجوز ان يكون الطير الابابيل — التي روى ابن اسحق في شأنها انها امثال الخطاطيف والبلسان . وذكر الواقدى انها دون الحمام — هي من جنس البعوض او الذباب ، ولا مانع من ذلك ، فان اسم الطير الوارد في سورة الفيل ، كما يجوز ان يقع على امثال الخطاطيف والبلسان وعلى ما دون الحمام ، كما ذكر ابن اسحق والواقدى ، يجوز ان يقع على البعوض والذباب ، فان الله جل شأنه يقول :

" وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم " . " ١ "

---

١ — سورة الانعام اية (٣٨) .

فكل ما يطير بجناحيه طائر ، والذباب والبعوض مما يطير بجناحيه .

وان قد فهم الشيخ محمد عبده من الطير المذكور في السورة ، ذلك الجنس . فلا عليه ان يفهم ان الحجارة شيء في مكنة هذا الجنس من الطير ان يحمله ،

كما ذهب ابن اسحق الى ان الحجارة مثل الحمص والعدس ، لما فهم ان الطير في مثل حجم الخطاطيف ليناسب بين الحامل والمحمول . لذلك قال الشيخ محمد عبده :

(يجوز ان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات — يعني التي هي من جنس البعوض او الذباب —) .

فيكون محصل ما قاله الشيخ محمد عبده عن (الذباب والبعوض — والجراثيم — والطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل الذباب والبعوض —) .

ان الله سلط الذباب او البعوض ، او كليهما ، على ابرهة وجيشه ، حاملة في ارجلها وعلى اجنحتها ، كلا من جراثيم الامراض ، والطين المسموم اليابس ، فأصابت اجساد الجيش ، حيث دخل الطين المسموم في مسامها ، فاثار فيها القروح التى تؤدى الى فساد الاجسام ، وتساقط لحمها ، كما ان الجراثيم عملت عملها الخاص بها فأصابت الاجسام بمرض الحصبة والجدرى .

وهكذا اصطلح الطين المسموم ، والجراثيم ، التى حمل كلا منها البعوض والذباب ، على اهلاك ابرهة وجيشه ، فكان ما اراده الله لهم من النكال الذى لم يحصل نظيره لغيرهم ، حفاظا على بيته المعظم ، واعدادا لمناخ صالح لدعوة نبيه المكرم .

x x x

هذا هو تصوير حادثة الفيل — كما وردت في تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده — وهو تصوير لا يخرج عن نطاق النص القرآني ، مع ما ورد عن السلف الصالح في تفسيره . ليس للشيخ محمد عبده شيء فيه سوى هذه الاضافة التي ربطت بين ما ورد في الاية القرانية الكريمة من قوله تعالى :

" وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول " .

وبين ما قاله — وهب بن منبه ، ويعقوب بن عتبة ، وعكرمة ، ومحمد بن اسحق في — احدى رواياته — من ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى .

وهذه الاضافة التي اضافها الشيخ محمد عبده هي في الواقع تفسير للتفسير ، لا تفسير للايات ، فانها وضحت قول هؤلاء الجهابذة الاعلام — عكرمة وصحبه — من ان مرض الحصبة ، والجدرى اهلك ابرهة وجيشه .

وجراثيم هذا المرض تأتي عن طريق طيور كالذباب والبعوض ، ففسر الطير الوارد في الاية ، بها . وهو تفسير لا يوجد ما يبرر انكاره . ثم فسر الحجارة بما يتناسب مع هذا النوع من الطير ، فتناسقت الامور ، وتناسب الحامل المحمول .

وان ترتب هذا الاثر العظيم ، من هلاك ابرهة وجيشه بصورة لا يعرف التاريخ لها مثيلا ، حيث تم ساعة تأهبهم للغزو ، وتم بصورة تركتهم كالعصف المأكول ، على اسباب ضعيفة واهية ، من ذباب ، وبعوض ، وميكروبات ، وغبار ، تثيره الرياح ، هو وجه من اوجه الاعجاز الذى تقف العقول امامه حيرى ذاهلة : فان ترتب الاثار العظام على بسائط الاسباب ادخل في العظة والعبرة ، وادل على كمال القدرة ، ولذلك يضرب الله المثل على ضعف الطغاة الجبارين من المتمردين على انبيائه ورسله ، بعجزهم عن مقاومة اضعف مخلوقاته فيقول عز من قائل :

" يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن

يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب " . "١"

ويقول تعالى :

" فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين " . "٢"

ويشير الشيخ محمد عبده الى هذا المعنى بقوله :

(ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عنقاء مغرب ، ولا ان يكون له الوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ، فلله جند من كل شيء) ... وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته . فهذا الطاغية الذى اراد ان يهدم البيت ارسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى او الحصبة ، فأهلكته واهلكت قومه ، قبل ان يدخل مكة) .

ويقول :

(وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة — والاشارة الى ما سبق في قوله " يجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الامراض " .

— يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر .

وان هذا الحيوان الصغير — الذى يسمونه بالميكروب لا يخرج عنها — والضمير راجع الى " اعظم جنود الله " — وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها الا بارئها — اى لان فرق وجماعات جراثيم مرض الجدرى مثلا غير فرق وجماعات

---

١ — سورة الحج اية (٧٣) .

٢ — سورة الاعراف اية (١٣٣) .

جراثيم مرض التيفود مثلا وهكذا) .

فالشيخ محمد عبده يشير الى ان الطيور الضعيفة من امثال الذباب والبعوض ، وان الحيوانات الصغيرة ما يسمى بالجراثيم من امثال جراثيم الحصبة والتيفود ، كل ذلك من جنود الله العظيمة التي يهلك بها الطغاة والجبارين .

والطيور الضعيفة في عبارته التي مثل لها بالذباب والبعوض غير الحيوانات الصغيرة التي سماها الجراثيم ، كجراثيم الحصبة والجدرى ، بدليل قوله في نفس العبارة السابقة :

(فهذا الطاغية الذى اراد ان يهدم البيت ارسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى والحصبة) .

فالامر ابين من ان يلتبس على من ادعوا ان الشيخ محمد عبده يفسر الطير المذكور في السورة بجراثيم الامراض . انه لم يفعل ذلك ، وليس في كلامه ما يفيده من قريب او بعيد .

× × ×

وقد يقول قائل : ما حاجتنا الى ان نهتم بالتنسيق بين عناصر الواقعة وجعلها مترابطة ترابطا عقليا ، ونقول :—

ان مرض الجدرى الذى جعل عكرمة هلاك جيش ابرهة حصل بسببه حمل جراثيمه طير من شأنه ان يعيش في المناطق الموبوءة ، الاهلة بهذه الجراثيم ، مثل الذباب والبعوض ، وان الرياح ساقت هذا الذباب ، وساقت له غبارا مسموما علق بأرجله ، وان الذباب القى ما معه من جراثيم وغبار مسموم على ابرهة وجيشه فأهلكته .

لم لا نقول : ان الله ابتدأ في هذا الوقت فخلق طيرا واحجارا وجراثيم ، وساق كل ذلك الى اعدائه فاهلكهم . اذا الأمر في المعجزات ، وما يجرى مجراها

ان تكون على خلاف العادة • وهذا التنسيق الذى ذكرتموه ، يقرب الحادثة من الماديات ، ويجعلها كأنما هي جارية على سننها •

والجواب : ان النص القراني بخصوص كيفية الهلاك مجمل ، ولذلك اختلف السلف فيه : بين قائل : ان هلاك جند العدو كان بسبب الاحجار تسقط على رؤوسهم فتخرج من ادبارهم •

وقائل : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى •

وان الخلاف في ان يكون الطير من جنس الخطاطيف او من جنس الذباب ايضا محتمل ، فاسم الطير يقع على كل منهما •

واذا ذهبنا مع من يقول : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى ، وهو قد سكت عن تفسير الطير ، وبيان مقدار الحجارة ، فتفسير ما سكت عنه بما لا يأباه النص ولا يبطل الاعجاز ولا ينافيه ، لا مانع من قبوله •

وثبوت الاعجاز لا يقتضي ان تكون كل الملابسات مخالفة للعادة • ففي غزوة الاحزاب ، ارسل الله الرياح على الكفار فاقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم ، وصيرت مقامهم غير مستطاع • وكان الله قادرا على ان يقتلع خيامهم ، ويكفأ قدورهم من غير ريح ، فان قلع الرياح للخيام ، وكفأها للقدور امر معتاد • ولكن الاعجاز كان في ان تهب الرياح في هذا الوقت ، وان يقتصر هبوبها — كما ورد في الحديث — على الاماكن التي نصب الاعداء فيها خيامهم ، وان يستمر هبوبها حتى يتعذر بقاؤهم ، واستقرارهم ، فيولوا هاربين ، فتسكن وتهدأ • ذلك هو الاعجاز •

وقد كان الله سبحانه يسقط الامطار تحت مواقع اقدام المسلمين حتى لا تغوص في الرمال • وهو قادر على تثبيت الرمال تحت اقدامهم من دون المطر ، ولكن نزول المطر تحت اقدام المسلمين وحدهم وبمقدار الحاجة ، دون ان يصير سيولا ، تكتسحهم وتكتسح امتعتهم ، هو الاعجاز •

فكذلك الحال فيما نحن بصدده ، يتحدى البيت الحرام من تهيأت له اسباب النصر والغلب ، من كثرة العدد وقوة العدد ، ثم يمضي الى غايته معلنا عن هدفه

، يهزم كل من يتعرض له في الطريق ، ويأسر منهم من يستعمله ، دليلا عليه ، ويصطحب معه فيلة يريد ان يستعملها في هدم البيت ، يربط السلاسل في اعناقها ، ويطوق اطرفها باركان الحوائط ، ثم يزجرها ، فتقتلع الحوائط من اساسها حائطا حائطا ، ثم يكر راجعا فائزا منتصرا ، بعد ان يكون قد ترك البيت ركاما واحجارا ، هكذا سولت له نفسه .

(فلما انتهى هذا الطاغية - ابرهة - الى " المغمس " ، وهو قريب من مكة نزل به ، واغار جيشه على سرح اهل مكة من الابل فأخذه ، وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب ... وبعث ابرهة من يأتيه بأشراف قريش ، ويخبرهم بانه لم يجيء لقتالهم الا ان يصدوه عن البيت ، فدلوه على عبد المطلب ، فقال عبد المطلب بعد ان عرف من امر ابرهة ما أيأسه من حربه : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم ، فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وان يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه .

فقال له رسول ابرهة : تعال معي اليه : فلما راه ابرهة اجله ، ونزل عن سريره وجلس معه على البساط ، وقال له : ما حاجتك ؟ فقال عبد المطلب : ان حاجتي ان ترد علي مائتي بعير اصابها قومك . فقال له ابرهة : لقد كنت اعجبتني حين رايتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني . أتسال لن ارد عليك مائتي بعير اصبتها منك ، وتترك بيتا هو دينك ودين ابائك قد جئت لهدمه ، ولا تكلمني فيه . فقال له عبد المطلب : اني انا رب الابل ، وان للبيت ربا سيمنعه ، قال ابرهة : ما كان ليمتنع مني ، قال عبد المطلب : انت وذاك .

ويقال انه ذهب مع عبد المطلب جماعة من اشراف العرب فعرضوا على ابرهة ثلث اموال تهامة على ان يرجع عن البيت ، فأبى عليهم . فامر عبد المطلب اهل

مكه بالخروج منها والتحصن في روءوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش) " ١ "

وانتهي الامر بين ابرهة وجيشه من ناحية ، وعبد المطلب ومن معه من العرب من ناحية اخرى ، على هذه الصورة : اعلن ابرهة الحرب على البيت ومن يدافع عنه ،

فقال العرب لابرهة انه لا قبل لنا بحربك ، ووكلوا الدفاع عن البيت الى رب البيت ، وصعد العرب فوق الجبال ، هربا من ابرهة .

فلما اصبح الصباح كان ابرهة على تمام الاهبة بجيشه ، وعدده ، وتوجهوا والفيلة تقدمهم نحو الكعبة ، فابي الله على الفيلة ان تتحرك ، فبرك منها ما برك ، وما الجأه الضغط الى الحركة اصابته الحصبة فهلك .

ولما لم يعتبر الجيش بما اصاب الفيلة وحاول السير لدخول مكة ، اخذ الله عليه الطريق ، وحال بينه وبين ما يريد ؟

وماذا فعل الله بهم ؟ هل ارسل لهم جيشا من الملائكة تحاربهم ؟ او جيشا من الجن ؟ او انزل عليهم كسفا من السماء ؟ او اطبق عليهم الاخشبين ؟ لا ، انهم اهون من ذلك كله .

ان الله اراد ان يحقر من شانهم ، فارسل عليهم من ابسط جنده ، واضعف خلقه ، لكن كان لهذا الجند الضعيف فيهم من الاثر ما جعلهم عبرة للمعتبرين ، وهزأة للمستهزئين .

ارسل عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول .

وسواء كانت الطير في حجم الخطاطيف او في حجم الذباب والبعوض ، وسواء كانت الحجارة في حجم الحمص او العدس ، او كانت دون ذلك مما يعلق في ارجل الذباب ، واجنحته ، وسواء كان الهلاك بسبب اختراق الحصا لاجسادهم من روءوسهم الى ادبارهم ، او بسبب الجدرى والحصبة التي حمل جراثيمها الذباب ، سواء كان الذى وقع هو هذا او ذاك ، فان النتيجة انهم صاروا بسبب ذلك كورق —

---

١ ــ تفسير ابن كثير (٤ : ٥٤٩) .

الشجر الذى اكلت منه الدواب ما يصلح لها ، وتركت ما لا يصلح ، وصيرورة جسم الانسان الى ما يشبه العصف المأكول ، بسبب العذاب ، يفيد ان العذاب قد فتت الجسم تفتيتا ، وسحقه سحقا ، وكان ذلك بين عشية وضحاها . وحمى الله بيته .

ذلكم الاعجاز ذلكم الاعجاز

× × × ×

واعود الى الشيخ محمد عبده ، فاقـــول :

اولا :

==== ان هذا الذى ذكرناه بخصوص تفسيره لسورة الفيل — مع خلوه مما ورد عليه من الاعتراضات والمآخذ — فان الشيخ محمد عبده لا يدعي انه احسن ما يقال ، ولا انه يجب الاخذ به وترك ما عداه ، بل يقول : انه راى يجوز فهمه ، ويجوز الاخذ به ، وقد مرت بنا عبارته التي صدر بها البحث وابتداه بها ، وهي قوله :

(فيجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب ..الخ)

واقول :

ثانيا :

==== ان من يقول :

(ان الشيخ محمد عبده يكتب في ابحاث العقيدة على طريقة غريبة عجيبة ، يخرج بها على اجماع المسلمين ، وبدهيات العقيدة الصحيحة) .

يظلمه ، ويتجاوز الحق والواقع ، ان لم يكن لديه وقائع غير واقعة الفيل .

واقول :

ثالثا :

==== ان من يقول :

ان الشيخ محمد عبده (ينتهي في تفسير سورة الفيل الى تأويل صريح الاية بان المقصود بطيور الابابيل ، وحجارة السجيل ، انما هو وباء الجدري) .

لم يقرأ تفسـيره ، او لم يفهمه .

واقـول :

رابعا :

===== ان من يقول عن الشيخ محمد عبده :

(تأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة الواضحة المعنى ، ثم قل لي كيف يتأتي ان يؤمن بخفيات القران التي هي اعظم غرابة بكثير من قصة الفيل ، من يعمد الى نص القران فيها فيؤول طير الابابيل والحجارة التي ترمي بها بداء الجدري) .

يعني ما يشبه ان يكون حقا ، على باطل صرف .

اما الباطل الصرف ، فهو القول بان الشيخ محمد عبده يفسر الطير الابابيل والحجارة بمرض الجدري .

واما ما يشبه الحق فهو ان الشيخ محمد عبده فسر الملائكة بالقوى الطبيعيـة وهي غيب) ١٠ هـ

=====

الباب الرابع : " السـمعيات "

=========================

يشتمل هذا الباب - بعد التعريف بالسمعيات على ما يلي :-

اولا : راى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن .

ثانيا : راى الشيخ محمد عبده في الحقائق الغيبية ، ما يكون بعد الموت .

وتنحصر هذه الحقائق في ثلاثة امور ، هي :-

(الامر الاول) : ما يتعلق بالموت ، وهذا ينضوى تحته :

أ : فتنة القبر ، وسؤاله .

ب : عذاب القبر ، ونعيمه .

(الامر الثاني) : ما يتعلق بالساعة واشراطها ، وهذا يشمل اهم ، واشهر ايات الساعة ، وهي :-

أ : الدخان .

ب : الدجال .

ح : الدابة .

د : طلوع الشمس من مغربها .

هـ : نزول عيسى بن مريم .

و : ياجوج وماجوج .

ز : خسف بالمشرق .

ح : خسف بالمغرب .

ط : خسف بجزيرة العرب .

ى : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم .

(الامر الثالث) : ما يتعلق بيوم القيامة واحداثه ، ويندرج تحت هذا :

ا : بداية يوم القيامة .

ب : البعث والحشر .

ح : الشفاعة والحوض •

د : العرض •

هـ : الحساب •

و : الجزاء •

ز : الميزان والوزن •

ح : الصراط والمرور عليه •

ط : الجنة والنار والخلود في كل منهما • "١"

---

١ ـ انظر الكتب التالية ، بتصرف :ـ

١ ـ شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٧ ـ ٤٨٦ ، ٥٦٤ ـ ٥٦٦ •

٢ ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٠٦ ـ ٦٢٣)، (٢ : ٦٢٩ ـ ٦٣٣) •

٣ ـ الايمان ، اركانه ، حقيقته ، نواقضه ، للدكتور محمد نعيم ياسين ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م • ص ٥٨ ـ ٩٨ •

٤ ـ كبرى اليقينيات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٠٣ ـ ٣٦٧ •

٥ ـ العقيدة الاسلامية ، واسسها ، للاستاذ عبد الرحمن حبنكة (٢ : ٣٠٠ ـ ٣٧١) ، الطبعة الاولى •

٦ ـ العقائد الاسلامية ، للاستاذ سيد سابق ص ٢٣٧ وما بعدها •

تمهيـــــــد :

======== السمعيات "١" : هي الامور التي لا تثبت الا بالسمع ، والنقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالمعاد ، والحساب ، والميزان ، والجزاء ، والشفاعة ، والصراط ، والثواب والعقاب في الجنة او النار ، ... وغير ذلك من الامور التي لم تصل الانسان الا عن طريق الخبر اليقيني ، ولم تحدث بعد ، وهي لا تزال محجوبة عنه ، ولا يعلم كنهها الا الله تعالى .

والامور السمعية ، لا سبيل للعقل البشرى الى معرفتها قبل ان يرد الخبر بشأنها ، من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومع ذلك فان الخبر ، عندما ورد بشأنها لم يطلب من العقل ان يعرف شيئا عن حقيقتها لعجزه عن ادراك ذلك .

لذلك ، فان على الانسان ان يؤمن بوجود الله عز وجل اولا وقبل كل شيء ، وان يؤمن ببعثة الرسل الكرام ، وبخاتمهم سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام . وان القران هو كلام الله انزله على رسوله .

فاذا امن بذلك حق الايمان ، انتهى بطبيعة الحال الى الايمان بكل الحقائق الغيبية ، التى وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

١ ـ ذهب بعض علماء العقيدة الى ان مباحث العقيدة تنقسم الى اربعة اقسام : الهيات ، نبوات ، كونيات ، غيبيات . والكونيات تشمل الملائكة والجن ، اما الغيبيات فتشمل بقية الامور السمعية كالمعاد ، والجزاء ، والصراط ... الخ / انظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٦ .

وذهب البعض الى تقسيمها الى : الهيات ، نبوات ، روحانيات ، سمعيات ، كما فعل الشهيد حسن البنا رحمه الله . حيث قال :

القسم الثالث : الروحانيات ، وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادى كالملائكة عليهم السلام ، والجن .

القسم الرابع : السمعيات ، وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية والحياة الاخروية ، وعلامات القيامة ... الخ

/ انظر مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ص ٤٣٤ ، دار الشهاب القاهرة .

وهذه التقسيمات من اصطلاحات وفنون العلماء ، ولا مشاحة في الاصطلاح .

١ ـ رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن :

وهذا يشمل :

أ : رايه في الملائكة .

ب : رايه في الجن .

واتكلم عن رايه في الملائكة ، اولا .

أ : راى الشيخ " محمد عبده " في الملائكة . "١"

يؤمن الشيخ محمد عبده ، بالملائكة ، ويؤمن بانهم ركن من اركان الدين ـ الايمان ـ كما ورد في حديث جبريل عليه السلام ، قال " يامحمد : اخبرني عن الايمان ، قال : ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الاخر ، والقدر ... " الخ . "٢"

---

١ ـ الملائكة جمع ملك بفتح اللام . قيل : مخفف من مالك ، وقيل مشتق من الالوكة وهي الرسالة على قول سيبويه والجمهور . واصله لاك . وقيل : اصله الملك بفتح الميم وسكون اللام . وهو الاخذ بقوة .
وقال جمهور اهل الكلام من المسلمين : الملائكة اجسام لطيفة اعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السموات .
انظر : فتح الباري لابن حجر (٦ : ٢٣٢) .
وانظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٧٩) .

٢ ـ متفق عليه . انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١ : ١٥٧) .
وانظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (١ : ٩٦) .
رواه مسلم عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ورواه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنهم .

وهم خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب . "١"

وهذا يعني — عند الشيخ محمد عبده — انه لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لانه لا يعلم تأويل ذلك — أي حقيقة لفظ الملائكة الا الله تعالى . "٢"

وحسب الانسان ان يؤمن بما ورد في الشرع عن طوائفهم ووظائفهم ...

فقد ورد في الايات والاحاديث ما يدل على ان وظائفهم محدودة .

قال تعالى : " يسبحون الليل والنهار لا يفترون " . "٣"

وقال تعالى : " وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون " . "٤"

وقال تعالى : " والصافات صفا فالزاجرات زجرا " . "٥"

وقال تعالى : " والنازعات غرقا والناشطات نشاطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا " . "٦"

(على قول من قال ان المراد بها الملائكة الى غير ذلك مما يدل على انهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، ورد في الاحاديث ان منهم الساجد دائما ، والراكع دائما الى يوم القيامة) . "٧"

اما الشيخ محمد عبده فانه لا يقر قول من قال ان المراد بالنازعات ، والناشطات ، والسابحات ، والسابقات ، والمدبرات — الملائكة .

ويرى ان المراد بذلك : الكواكب السيارة ، او السيارات من كواكب واقمار ... "٨"

---

١ — انظر تفسير المنار (٢ : ١١٣) .
٢ — انظر تفسير المنار (٣ : ١٦٧) .
٣ — سورة الانبياء اية (٢٠) .
٤ — سورة الصافات اية (١٦٦) .
٥ — سورة الصافات اية (١) .
٦ — سورة النازعات الايات (١ — ٥) .
٧ — تفسير المنار (١ : ٢٥٩) .
٨ — انظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣١٩) .

رأيه في جبريل عليه السـلام :

===================== يؤمن الشيخ " محمد عبده " بالملك جبريل عليه السلام ، وقد اثبت الشيخ محمد عبده هذا في كثير من كلامه ، عند تفسير بعض الايات . "١"

لكنه ينكر ان يكون " روح القدس " الوارد في الايات الكريمة هو : جبريل

يقول الشيخ محمد عبده :

(واما روح القدس فهو روح الوحي الذى يؤيد الله تعالى به انبياءه في عقولهم ، ومعارفهم وهو ، هو المراد بقوله تعالى :

" وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان" . "٢"

وهو المراد بقوله تعالى :

" واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس " . "٣"

ويطلق عليه روح القدس : لان التعليم الذى يكون به مقدس .

او لانه يقدس النفوس .

كما يطلق عليه " الروح الامين " : لان النبي الموحى اليه يكون على بينة من ربه فيه يأمن معها التلبيس فيما يلقى اليه .

قال تعالى : " نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين " . "٤"

والشيخ محمد عبده لا يقبل كلام جمهور المفسرين في ان المراد " بروح القدس " هو جبريل عليه السلام .

---

١ ـ انظر تفسير المنار (١ : ٣٩٣)

وانظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٤٢) .

٢ ـ سورة الشورى اية (٥٢) .

٣ ـ سورة البقرة اية (٨٧) .

٤ ـ سورة الشعراء اية (١٩٣) .

يقول "١": ذهب جمهور المفسرين الى ان المراد "بروح القدس" الملك المسمى "جبريل" الذى ينزل على الانبياء ، ومنه يستمدون الشرائع عن الله تعالى ، وهو على حد قولهم "حاتم الجود". "٢"

وللشيخ محمد عبده راى في الملائكة الموكلة بحمل التابوت ، الوارد ذكره في قوله تعالى فى سورة البقرة : "وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هارون تحمله الملائكة". "٣"

قال الشيخ محمد عبده :

وقوله تعالى : "تحمله الملائكة" يحتمل وجهين :

(احدهما) : ان المراد بالملائكة صور الكروبين "٤" وقد وضع التابوت عليهما .

(ثانيهما) : ان البقرتين اللتين حملتا التابوت كانتا تسيران مسخرتين بالهام الملائكة .

وقد قال الشيخ محمد عبده هذا ، بعد ان اورد النص الكامل لهذه القصة كما جاءت في سفر الخروج . "٥"

---

١ ـ تفسير المنار (١ : ٣٧٧) .

٢ ـ هذا خطأ من الشيخ محمد عبده ، فان جمهور المفسرين لا يقولون "حاتم الجود" ، والذى قاله هو الزمخشرى ، فقد فسر قوله تعالى "وايدناه بروح القدس" بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ، ورجل صدق . / انظر : مختصر تفسير ابن كثير (١ : ٨٧) .

٣ ـ سورة البقرة اية (٢٤٨) .

٤ ـ الكروبين : ورد في الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج (وتصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرف الغطاء) بمعنى تماثيل على صورة حيوانات لها اجنحة كما ذكر الشيخ محمد عبده . / / انظر تفسير المنار (٢ : ٤٨٣) .

٥ ـ انظر : تفسير المنار (٢ : ٤٨٤) .
وانظر : تفسير الطبرى (٥ : ٣٣٦) .

على ان رأى الشيخ محمد عبده في هذه الامور هو دون ماله بصددها في مواضع اخرى ، فمثلا قال في شرحه على نهج البلاغة عند قول الامام علي رضي الله عنه ، (وان نؤمن بالملائكة ...) . "١"

قال الشيخ محمد عبده :

(جعل الملائكة اربعة اقسام):

(الاول) : ارباب العبادة ومنهم الراكع والساجد ، والصاف ، والمسبح ...

(والقسم الثاني) : الامناء على وحي الله لانبيائه ، والالسنة الناطقة في افواه رسله ، والمختلفون بالاقضية الى العباد ، بهم يقضي الله على من شاء بما شاء .

(والقسم الثالث) : حفظة العباد : كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ونفوسهم يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب ، ولولا ذلك لكان العطب الصق بالانسان من السلامة .

(القسم الرابع) : حملة العرش : كأنهم القوة العامة التي افاضها الله في العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه ، مركزه ، وحدوده ، سيره في مداره .

فهي المخترقة له ، النافذة فيه ، الاخذة من اعلاه الى اسفله ، ومن اسفله الى اعلاه . اه

ومثلا قال في تفسير قوله تعالى :

" واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون ، وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم

---

١ ــ انظر : نهج البلاغة للامام علي ص ٢٦ ، ٢٧ .

صادقين ، قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين "." "١"

قال الشيخ محمد عبده :

(اما الملائكة فيقول السلف فيهم انهم خلق اخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم فنفوض علمها الى الله تعالى) . "٢"

واما الخلف فقد فصل الشيخ محمد عبده في بيان مذهبهم فقال :

منهم من تكلم في حقيقة الملائكة ووضع لهم تعريفا .

ومنهم من امسك عن ذلك .

وقد اتفقوا على انهم يدركون ويعلمون "." "٣"

وقـال :

(فعلمنا ان السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به شؤون المخلوقين ، وعصمة ملائكته عما لا يليق بهم من الاعتراض او الانكار ، فلا فرق في هذه النتيجة بين تفويض وتسليم ، وتأويل وتفهيم ، والله بكل شيء عليم) . "٤"

ولان الشيخ محمد عبده كان يعول على العقل كثيرا في فهم القران الكريم ، خاصة الايات التي يعجز العقل عن الخوض فيها ، بل لا يجوز له ان يخوض فيها البتة ، فانا نجد الشيخ محمد عبده يقحم نفسه في الخوض في الملائكة فيؤولها تأويلا بعيدا ،

---

١ ــ سورة البقرة الايات (٣٠ ــ ٣٤) .

٢ ــ تفسير المنار (١ : ٢٥٤) .

٣ ــ انظر : تفسير المنار (١ : ٢٥٥) .

٤ ــ تفسير المنار (١ : ٢٥٧) .

فجعل الملائكة قوى لا تعقل "١" اودعها الله في الطبيعة ٠

وقد خالف الشيخ محمد عبده بذلك التأويل منطوق الايات ، ومفهومها ، وما فهمه المسلمون وغيرهم من اهل الشرائع والملل من ان الملائكة عباد الله ، لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ٠

وفيه ايضا مخالفة لما قرره سابقا من ان الملائكة خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب ، وانهم طوائف ، لكل طائفة وظيفة محدودة ٠

وانه لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لانه لا يعلم تأويل ذلك — اى حقيقة لفظ الملائكة — الا الله ٠

واليك النص الكامل لكلام " الشيخ محمد عبده " ، وقد ذكره الشيخ " رشيد رضا " في تفسير المنار ، في الجزء الاول ، صفحة (٢٦٧ — ٢٦٩) ، تحت تفسير قول الحق سبحانه وتعالى :

" واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين " ، "٢"

قال رشيد : (قال الاستاذ) ٠

(وذهب بعض المفسرين مذهبا اخر في فهم معنى الملائكة وهو : ان مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من انماء نبات ، وخلقة حيوان ، وحفظ انسان ، وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو ادق من ظاهر العبارة ، وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص ، نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة ٠

وكذلك يقال في الحيوان والانسان ٠

فكل امر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده ،

---

١ — انظر : تفسير المنار (١ : ٢٧٠) ٠

٢ — سورة البقرة اية (٣٤) ٠

فانما قوامه بروح الهي سمي في لسان الشرع ملكا .

ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسم هذه المعاني " القوى الطبيعية " اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة ، او قوة يظهر اثرها في الطبيعة .

والامر الثابت الذى لا نزاع فيه هو ان في باطن الخلقة امرا هو مناطها ، وبه قوامها ، ونظامها ، لا يمكن لعاقل ان ينكره ، وان انكر غير المؤمن بالوحي تسميته " ملكا " وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة .

او انكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته " قوة طبيعية " او " ناموسا طبيعيا " لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع .

فالحقيقة واحدة ، والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ، وان كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجودا لا يدرك كنهه .

والذى لا يؤمن بالغيب يقول : لا اعرف الروح ، ولكن اعرف قوة ، لا افهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله علام يختلف الناس ؟ وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ، ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ، ولا يصل بعقله الى ادراك كنهه .

وماذا على هذا الذى يزعم انه لا يؤمن بالغيب — وقد اعترف بما غيب عنه — لو قال : اصدق بغيب اعرف اثره ، وان كنت لا اقدره قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ، ويحظى بما يحظى به المؤمنون ؟

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عندما يهم بامر فيه وجه للحق ، او للخير ، ووجه للباطل ، او للشر ، بأن في نفسه تنازعا ، كأن الامر فيها قد عرض على مجلس شورى ، فهذا يورد ، وذاك يدفع ، واحد يقول : افعل واخر يقول : لا تفعل ، حتى ينتصر احد الطرفين ، ويترجح احد الخاطرين .

فهذا الشيء الذى اودع في انفسنا ، ونسميه قوة وفكرا ، وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه ، وروح لا تكتنه حقيقتها ، لا يبعد ان يسميه الله " ملكا " او يسمي اسبابه ملائكة ، او ما شاء الله من الاسماء .

فان التسمية لا حجر فيها على الناس ، فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة ، والسلطان النافذ ، والعلم الواسع ؟

(ثم قال الشيخ رشيد رضا) :

قال الاستاذ الامام ما معناه : فاذا صح الجرى على هذا التفسير، فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الاية الى ان الله تعالى لما خلق الارض ، ودبرها بما شاء من القوى الروحانية ، التي بها قوامها ، ونظامها ، وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ، ولا يتعدى ما حدد له من الاثر الذى خص به ، خلق بعد ذلك الانسان ، واعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى ، وتسخيرها في عمارة الارض ، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذى يفيد معنى الخضوع والتسخير ، وجعله بهذا الاستعداد الذى لا حد له ، والتصرف الذى لم يعط لغيره ، خليفة الله في ارضه ، لانه اكمل الموجودات في هذه الارض ،

واستثنى من هذه القوى ، قوة واحدة عبر عنها ب " ابليس " ، وهي : " القوة التي لزها الله بهذا العالم لزا " ، وهي التي تميل بالمستعد للكمال او بالكامل الى النقص ، وتعارض مد الوجود لترده الى العدم ، او تقطع سبيل البقاء ، وتعود بالموجود الى الفناء ، او التي تعارض في اتباع الحق وتصد عن الخير ، وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته ، فيصل الى مراتب الكمال الوجودى التي خلق مستعدا للوصول اليها ، تلك القوة التي ضللت اثارها قوما ، فزعموا ان في العالم الها يسمى اله الشر ، وما هي باله ، ولكنها محنة اله لا يعلم اسرار حكمته الا هو ،

ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك ، والعمدة على اطمئنان القلب ، وركون النفس الى ما ابصرت من الحق ، ا ه .

هذا هو ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في تأويل معنى الملائكة عليهم السلام .

وبعد :

فماذا عن قصة خلق ادم عليه السلام ؟

وماذا عن جعل خليفة في الارض ؟ ، وكيف يفسد فيها ؟

وماذا عن تعليم ادم الاسماء كلها ؟ وعرض الاسماء على الملائكة ؟

وما معنى سجود الملائكة عليهم السلام ، لادم ، واباء ابليس واستكباره عن السجود ؟

يميل الشيخ محمد عبده الى تقرير : التمثيل ، والتخييل في القصة .

يقول :

(وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب ، هكذا :

ان اخبار الله الملائكة بجعل الانسان خليفة في الارض هو عبارة عن تهيئة الارض ، وقوى هذا العالم ، وارواحه التي بها قوامه ، ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها ، فيكون به كمال الوجود في هذه الارض .

وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الارض لانه يعمل باختياره ، ويعطي استعدادا في العلم والعمل لا حد لهما ، هو تصوير لما في استعداد الانسان لذلك ، وتمهيد لبيان انه لا ينافي خلافته في الارض .

وتعليم ادم الاسماء كلها : بيان لاستعداد الانسان ليعلم كل شيء في هذه الارض ، وانتفاعه بها في استعمارها .

وعرض الاسماء على الملائكة ، وسؤالهم عنها ، وتنصلهم في الجواب : تصوير لكون الشعور الذى يصاحب كل روح من الارواح المدبرة للعوالم محدودا لا يتعدى وظيفته .

وسجود الملائكة لادم : عبارة عن تسخير هذه الارواح ، والقوى له ، ينتفع بها ، في ترقية الكون ، بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك .

واباء ابليس واستكباره عن السجود : تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع روح الشر ، وابطال داعية خواطر السوء ، التي هي مثار التنازع والتخاصم ، والتعدى والافساد في الارض ، ولولا ذلك ، لجاء على الانسان زمن يكون فيه افراده كالملائكة ، بل اعظم ، او يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشرى) . "١"

---

١ — تفسير المنار (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) .

" وقفة مع رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة " :

==============================

اقول :

في هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، موضع تعقيب :

فأولا :

==== ما ذكره بخصوص الايمان بالملائكة ، وانه ركن من اركان الدين ، وانهم خلق روحاني عاقل ، قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب ، لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لان ذلك مما استأثر الله بعلمه ، وحسب الانسان ان يؤمن بما ورد في الشرع عن ظوائفهم ووظائفهم ...

كل هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، مسلم ، فان الملائكة خلق من مخلوقات الله ، موصوفون بصفات ، حددها الشرع الحكيم ، ولهم وظائف خاصة بهم ، وان الايمان بهم واجب ، والعلم بوجودهم مما هو معلوم من الدين بالضرورة عند جميع المسلمين ، وسنرى ذلك بعد قليل حين نتحدث عن رأى السلف في الملائكة ، بعد هذه المناقشة مباشرة .

ثانيا :

===== ما ذكره الشيخ محمد عبده بخصوص جبريل عليه السلام ، ونفيه ان يكون هو روح القدس ، والروح الامين ، غير مسلم ، لانه مذهب جمهور المفسرين :

قال الامام ابن كثير : هو جبريل عليه السلام . "١"

قال الزهرى : وهذه الاية " نزل به الروح الامين " "٢" كقوله تعالى : " قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه " . "٣"

---

١ — انظر مختصر تفسير ابن كثير (٢ : ٦٥٩) .

٢ — نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ — نفس المصدر ونفس الصفحة .

قال الصابوني : تفسير الروح الامين بجبريل قاله غير واحد من السلف : ابن عباس وقتادة والسدى ، والضحاك ، وغيرهم . "١"

قال الامام ابن كثير رحمه الله : "٢"

والدليل على ان " روح القدس" هو جبريل عليه السلام ، ما قال البخارى : عن ابي هويرة ، عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضع لحسان بن ثابت "٣" منبرا في المسجد ، فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم ايد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك " .

وفي بعض الروايات : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان : " اهجهم — او هاجهم — وجبريل معك " .

وفي شعر حسان ، قوله :

وجبريل رسول الله فينــــــا ۔۔۔ وروح القدس ليس به خفـــــاء

وعن ابن مسعود : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها واجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب " . "٤"

وحكي القرطبي عن مجاهد ، القدس : هو الله تعالى ، وروحه جبريل .

هذا هو مذهب جمهور المفسرين ، وقد اعترف الشيخ محمد عبده به ، ونقله عنهم ، لكنه خالفهم فيه وذهب الى ان روح القدس هو روح الوحي الذى يؤيد الله تعالى به انبياءه في عقولهم ، ومعارفهم .

ثالثا :

==== ما ذكره الشيخ محمد عبده بخصوص قوله تعالى " تحمله الملائكة " ، — عن التابوت — غير مسلم ايضا ، وفيه نقل عن التوراة ، كما ذكرت سابقا .

والصحيح هو ما قاله حبر الامة ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :

(جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والارض حتى وضعته بين يدى طالوت

---

١ جـ نفس المصدر ونفس الصفحة .
٢ — انظر : مختصر تفسير ابن كثير (١ : ٨٦ ، ٨٧) .
٣ — شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .
٤ — الحديث رواه ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود ، وقد مر فيما مضى .

والناس ينظرون) . "١"

وقال السدى : اصبح التابوت في دار طالوت ، فامنوا بنبوة " شمعون " ، واطاعوا طالوت . "٢"

ومعلوم انه لا يجوز النقل عن كتب اليهود ، لانها محرفة ، فاذا جاء فيها ما يخالف ما في القران ، رفضناه .

اما اذا جاء فيها ما يوافق القران ، فلا نصدقه ولا نكذبه ، وحسبنا ان نقول امنا بما عند الله .

رابعا :
=====

ما ذكره الشيخ محمد عبده ، في تفسير ايات سورة البقرة ، السابقة ، وهو :

تأويل الملائكة ، بالقوى الطبيعية ، والميل الى تقرير التمثيل في القصة ... الى اخر ما ذكره في تفسير المنار معزوا اليه ، ومنسوبا له . بعيد ومردود لانه يؤدى الى تعطيل الشريعة الاسلامية ، وفيه صرف الالفاظ عن ظاهرها من غير قرينة تدعو الى ذلك .

ويبدو ان الشيخ محمد عبده كان متأثرا بالمعتزلة حين سلك هذا المسلك في التاويل ، بل فاقهم وجاوزهم ، وتحيف من حق النصوص ، وبالغ في تقدير قيمة العقل ، بغرض اقناع منكرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبلـه عقولهم على نحو يبدو فيه متأثرا بالغزالي كما ذكر رشيد رضا . "٣"

---

١ ـ انظر : مختصر تفسير ابن كثير (١ : ٢٢٤) .
٢ ـ انظر : نفس المصدر ونفس الصفحة .
٣ ـ انظر : تفسير المنار (١ : ٢٦٩ ، ٢٧٠) .

(اقول) :

وايضا : باشارات الصوفية ، وتاويلات الباطنية ، ونظريات الملاحدة المتفلسفة ، وضلال المتكلمة ، فهم اصل القول بالتاويل على هذا النحو ...

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(وهذا القول ونحوه ، ليس من اقوال المسلمين ، واليهود ، والنصارى وانما هو من اقوال الملاحدة المتفلسفة ، الذين يجعلون " الملائكة " قوى النفس الصالحة ، " والشياطين " قوى النفس الخبيثه ، ويجعلون سجود الملائكة طاعة القوى للعقل ، وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للعقل ، ونحو ذلك من المقالات التي يقول اصحاب " رسائل اخوان الصفا "١" وامثالهم من القرامطة الباطنية "٢" ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة ، والمتعبدة .

وقد يوجد نحو هذه الاقوال في اقوال المفسرين التي لا اسناد لها يعتمد عليه)"٣"

---

١ — اخوان الصفا : طائفة باطنية ، تنتسب الى الاسماعيلية من الشيعة ، ولها مجموعة بحوث في الفلسفة ، والطبيعة ، ... ، حوت افكارا معادية للاسلام ، باسم الدين ، والتشيع المغالي ، فادعوا ان لظواهر القران بواطن تجرى مجرى اللب من القشر ، وانها توهم الاغبياء صورا ، وتفهم الفطناء رموزا واشارات الى حقائق خفية .

٢ — القرامطة من الفرق الباطنية الضالة ، مقصودهم الالحاد ، وتعطيل الشرائع ومخاطبة كل فريق بما يوافق رايه ، ويلتقون مع ملاحدة المتفلسفة في القول بالهيين قديمين العقل ، والنفس ، وينكرون النبوات ويقولون انها جاءت عن طريق الفيض ، ويقولون بالامام المعصوم ، ويؤمنون بالتناسخ .

انظر كتاب : القرامطة ، تاليف الامام عبد الرحمن بن الجوزى ، تحقيق محمد الصباغ المكتب الاسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م . بيروت ، دمشق .

٣ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣٤٦) .

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٢٣ .

وبناء عليه : فان من ينكر الملائكة اصلا ، كافر باجماع المسلمين .

واذا اول احد الملائكة على نحو يوءدى الى انكار وجودها فقد ضل ضلالا بعيدا .

قال تعالى : " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا " . "١"

ولما كان الامر يتعلق بركن من اركان الدين — الايمان — ، وهو جد خطير — .

وكان البعض قد انخدع بهذا التاويل على هذا النحو الذى جوزه الشيخ " محمد عبده " ، ومنهم : المرحوم " عبد الوهاب النجار " في كتابه " قصص الانبياء " . "٢"

---

١ — سورة النساء اية (١٣٦) .

٢ — انظر : قصص الانبياء ، لعبد الوهاب النجار ص ٢٠ ، ٢١ ، مطبعة المدني " ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦م .

يقول فيه : (ينكر بعض الناس وجود احياء من الملائكة فيؤول الكلمات الدالة على وجود هذا الصنف من العوالم بان الملائكة هي قوى النظام والنواميس الخاضع لها العالم . . .

هذا الفريق من الناس يرى راى الماديين الذين لا يثبتون الا ما وقع تحت حسهم ، ولا يقرون بشيء وراء المادة . فحذا حذوهم ليقال انه راق مثلهم ، وعمد الى صريح القران يؤوله حتى يجمع بين الايمان بالله والقران ، وجحد الملائكة .

وقد يكون هوءلاء المنكرون للملائكة ، قد غرهم ما كتبه استاذنا الامام في تفسيره من تأويل الملائكة على وجه لم ينكره الماديون ومن نزع منزعهم .

فان الامام رحمه الله لم ينكر الملائكة كما ينكرون . وانما يعمد الى التأويل لمن ينكر عالم الغيب ، ويجحد الملائكة ، وقد اورده على انه مذهب اخر لبعض المفسرين في فهم معنى الملائكة ، وذلك لتقريب المعنى الى اذهان الجاحدين من الماديين وغيرهم . (كما ذكر رشيد رضا) . =

وقد صادفت صعوبة في فهم مراد الشيخ محمد عبده في موضوع الملائكة ...
فقد عرضت الموضوع على الاستاذ المشرف ، وذكرت ذلك له .
ومن حسن الحظ ان كان عنده بحث مكتوب حول هذا الموضوع فاعطاني اياه ،
وقد وجدت فيه ضالتي المنشودة ...

فهاكموه :—

(لم يكتب الشيخ محمد عبده عن الملائكة — فيما اعلم — بحثا مستقلا ، ولم يخصص لها دراسة يفردها بها ، كما فعل مثلا بالنسبة للنبوة ، والوحي ، والمعجزة "

وانما جاء كلامه فيها تبعا لكلامه في موضوعات ورد ذكرها فيها ، ولذلك يضطر من يريد ان يعرف رايه في هذه المسالة ان يتتبع الموضوعات التي تعرض الشيخ " محمد عبده " لها بالشرح والبيان ، وكان للملائكة ذكر فيها :

ومظان ذلك هو القران الكريم الذي ذكر الملائكة في ايات من سور شتى .

والشيخ محمد عبده فسر من القران الكريم ما اتسع له وقته ، منه : ما هو مسطر بقلمه — كتفسير جزء عم المنسوب اليه — .

ومنه ما هو وارد في " تفسير المنار " للشيخ محمد رشيد رضا ، معزوا اليه ، ومنسوبا له .

وثابت ان الشيخ " محمد عبده " كان له دروس في التفسير ، وكان له تلامذة يحضرون هذه الدروس ، ويتلقون عنه اراءه في العقيدة وغيرها ، وكان الشيخ رشيد رضا بين هؤلاء التلامذة ، وكان اشدهم حرصا عليها واهتماما بها ، كما كان اشدهم قربا الى نفس الشيخ محمد عبده ، وكان الشيخ محمد عبده معجبا به ،

= وعلى الجملة : فاني ارى ان فهمهم على الوجه الذي بينت — كما قال السلف — هو ما يجب على المؤمن اعتقاده ، فاذا وجد منكر لهم ، قربنا له المعنى على الوجه الذي اورده الاستاذ الامام رحمه الله) اهـ.
اقول : هذا الذي ذهب اليه النجار غير مقبول ، لان الاسلام ليس بضاعة نعرضها على الناس حتى يقبلوا ما يفهمون ، ويتركوا ما لا يفهمون ، وكان النجار يقول لهم : اذا لم تعجبكم بضاعتنا هذه ، فعندنا غيرها ، وغيرها ... وهكذا . وهو كلام نرفضه ولا نقبله ، لان الاسلام واضح ومفهوم .

كما هو معجبا بشيخه •

وكما يقال : ان القاء الشيخ محمد عبده لدروس التفسير في الازهر كان استجابة لرغبة الشيخ رشيد رضا الذى كان لاراء الشيخ محمد عبده وافكاره في نفسه من الرفعة والسمو ما جعلها — من وجهة نظره — جديرة بالتدوين والنشر •

ولذلك منذ بدا الشيخ محمد عبده يشرح القران الكريم ويفسره ، دروسا لتلامذته في الازهر ، بدأ الشيخ رشيد رضا يكتب ويؤلف •

فكان من عملهما معا هذا التفسير المسمى ب " تفسير المنار " •

لكن لم يكن الشيخ رشيد رضا مجرد كاتب يسطر ما يقوله الشيخ " محمد عبده " ... انه كان مؤلفا ، يفكر بعقله ، ويكتب بقلمه ، لكن كان اهم مرجع استقى منه وعول عليه ، هو افكار شيخه التي كان يسطرها احيانا بعبارة شيخه واحيانا بعبارته هو ، كما كان يضيف اليها احيانا بيانا من عنده يؤيدها به ، ويوضحها • كما كان يقرن بها اراء كبار العلماء ، كالغزالى وابن تيمية ، تعضيدا لشيخه ، بل انه كان يستدرك على شيخه ، ويخالفه احيانا •

هذا التفسير — اذن — هو اهم واوثق ما يمكن ان يعول عليه الباحث عن راى الشيخ محمد عبده في الملائكة •

ومن اوسع ما ورد في هذا التفسير ، بخصوص الملائكة ، ما جاء في تفسير قوله تعالـــى :

" واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون •

وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين •

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم •

قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب

السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون •

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين "• "١"

وفي التمهيد الذى ساقه الشيخ رشيد بين يدى تفسير هذه الايات ، قال : "٢"

(وقد ذهب الاستاذ - يعني شيخه - الى ان هذه الايات من المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها ، لانها بحسب قانون التخاطب :

اما استشارة : وذلك محال على الله تعالى •

واما اخبار منه سبحانه للملائكة واعتراض منهم ومحاجة وجدال ، وذلك لا يليق بالله تعالى ايضا ولا بملائكته ، ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة بانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون •

وقد اورد الاستاذ مقدمة تمهيدية لفهم القصة فقال ما مثاله :

اجمعت الامة الاسلامية على ان الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات • وقد قام البرهان العقلي والبرهان النقلي على هذه العقيدة ، فكانت هي الاصل المحكم في الاعتقاد الذى يجب ان يرد اليه غيره ، وهو التنزيه ، فاذا جاء في نصوص الكتاب او السنة شيء ينافي ظاهرة التنزيه ، فللمسلمين فيه طريقتان :

(احداهما) : طريقة السلف ، وهي التنزيه الذى ايد العقل فيه النقل ، كقوله تعالى : " ليس كمثله شي " • "٣"

وكقوله عز وجل : " سبحان ربك رب العزة عما يصفون " • "٤"

---

١ - سورة البقرة الايات (٣٠ - ٣٤) •

٢ - تفسير المنار (١ : ٢٥١) •

٣ - سورة الشورى اية (١١) •

٤ - سورة الصافات اية (١٨٠) •

وتفويض الامر الى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك • مع العلم بان الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به في اخلاقنا واعمالنا واحوالنا ، وياتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ، ويصورها لمخيلاتنا •

(والثانية) : طريقة الخلف ، وهي التأويل ، يقولون :

ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا يخرج شيء منها عن المعقول •

فاذا جزم العقل بشيء ورد في النقل خلافه ، يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل •

قال الاستاذ — يعني شيخه — :

وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى ، وصفاته ، وعالم الغيب •

وانا نسير في فهم الايات على كلا الطريقتين ، لانه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) •

وفي هذا النص يقرر الشيخ محمد عبده :

(اولا) : ان الايات الواردة في الملائكة وسجودها لادم ، واباء ابليس السجود له ... الخ ، هي من قبيل المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها •

(ثانيا) : طريقتي السلف والخلف :

فيقول عن طريقة السلف انها تنزيه الله جل شانه عن مشابهة الحوادث وتفويض الامر الى الله في فهم ما يرد بشانه في النصوص ، مما له في الحوادث نظير •

ويقول عن الخلف انهم يؤولون ويقولون ان قواعد الدين الاسلامي ، وضعت على اساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول ، فاذا جزم العقل بشيء ورد في النقل خلافه ، يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لايراد به ظاهره ،

ولابد له من معنى موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

(ثالثا) : انه على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى ، وصفاته وعالم الغيب .

(رابعا) : انه سيسير في شرح الايات على كلا الطريقتين ، لانه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى .

وفي هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، موضع لتعقيب :

فأولا : ما ذكره بخصوص الداعية التي تحمل الباعث على صرف الالفاظ الواردة عن الله تعالى او عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، عن معانيها المتبادرة منها الى معان غيرها .

وان هذه الداعية هي جزم العقل بأن المعاني المتبادرة من الالفاظ لا يمكن ارادتها منها .

كل هذا الذى ذكره مسلم ، فان هذه الداعية اذا توفرت ، تقتضي ما دعت اليه من صرف الالفاظ عن المعنى الظاهر منها الى معنى اخر يناسب المقام .

لكن التآخي بين النقل والعقل على هذه الصورة ، مأخوذة به عند السلف ، ولم ينفرد به الخلف . فابن تيمية يقرر في كتابه : " درء تعارض العقل والنقل " ، ان الدليلين القطعيين لا يمكن ان يتعارضا ، فاذا حصل تعارض بين الادلة ، فانه يكون : بين قطعي وظني او بين ظنيين .

ويقرر انه اذا حصل التعارض بين قطعي وظني ، اخذ بالقطعي ، عقليا كان او نقليا ، وترك الظني نقليا كان او عقليا .

وهذا يفيد انه اذا قطع العقل بشيء ، وجاء النص على خلافه ، فان النص يؤول لينزل على مقتضى العقل ، لان النص في هذه الحال لابد ان يكون ظنيا ، ضرورة عدم تعارض القطعيين .

وقد حكى الشيخ رشيد رضا — بعبارته — هذا التقرير ، ونسبه الى ابن تيمية ، ولكنه لم يسم الكتاب الذى احتواه .

(ثانيا) : لكي يتم له ما ادعاه من ان الايات متشابهات لا يمكن حملها على ظاهرها ، لابد ان يكون ما ورد في الايات من الفاظ :

الملائكة ، وابليس ، والسجود ، الخ ، مما يستحيل عند العقل حمله على معانيه الظاهرة التي ذكرها مفسروا القران الكريم في كتبهم ، ونقلها لاحقهم عن سابقهم ، لتتوفر الداعية التي تقتضي صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى اخر .

ولنؤخر البت في هذه القضية الى ما بعد تفسير الايات .

(ثالثا) : يقول في تصوير مذهب الخلف :

ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا يخرج شيء منها عن المعقول ، فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

وقد تقدم بيان ان طريقة السلف لا تقدم للعقل شيئا يأباه ، وينفر منه ، حتى يسوغ الاعراض عنه والبحث عما سواه .

ولا يضاح ذلك نستعرض جزئية ندير القول حولها .

فمثلا : لما قال الله تعالى : " يد الله فوق ايديهم " . "١"

قال السلفي : ان اليد التي تكون للانسان ، واليد التي تكون للقط ، واليد التي تكون للذئب ، الخ . لا تليق واحدة منها ان تسند الى الله .

فيده مخالفة لسائر الايدى ، كما ان ذاته مخالفة لسائر الذوات .

وكما اننا لا نعرف حقيقة ذاته ، لا نعرف حقيقة يده ، فله يد لا كالايدى

وقال الخلفي : ليس لله يد ، لان اليد موضوعة للجارحة التي يبطش بها الحيوان ، او لخصوص التي يبطش بها الانسان — تبعا لاوجه النظر المختلفة حول قضية الوضع — وشيء من هذه الاعضاء لا يليق بالله ، فاخرج بالكلمة عن

---

١ — سورة الفتح اية (١٠) .

نطاق ما وضعت له ، الى نطاق اخر يناسب المقام . وهو القوة ، فالقوة هي معني يد الله .

ومن هذا البيان يتضح ان المذهبين مختلفان :

(فأحدهما) : يستبقي دلالة اللفظ ويقول :

ان لله يدا تناسب كمال ذاته ، وكمال صفاته .

(والثاني) : يفرغ لفظ اليد من معناه الظاهر ، ويملؤه بمعنى اخر هو القوة ويقول :

ليس لله يد ، بل له قوة .

واذا جاز لي ان اتقدم بالشرح خطوة من عندي ، بعد استئذان الطرفين كليهما ، فان استصوباها ، فمن فضل الله ، وان رفضاها فأنا غير متمسك بها ، لانها اجتهاد قصدت به الايضاح ، تلك الخطوة هي :

اني اتصور ان اليد — عند السلف — في ضوء البيان السابق : هي اسم ذات ، كالوجه ، والعين ، والاصبع .

وعند الخلف : هي اسم معنى لان القوة معنى .

واذا تقرر هذا اقول :

هل توفرت الداعية التي تقتضي صرف اللفظ عن المعنى الذى اراده السلف ، الى معنى غيره ؟ .

وهل ذلك المعنى الذى اراده السلف مستحيل عند العقل ؟ فان ادعى استحالته فما هو دليل الدعوى ؟

ان المستحيل معنى اخر غير ما ذكره السلف ، معنى يفهم من كلمة اليد عندما تضاف للانسان ، او الذئب ، او القط ... الخ ، لكنه لا يفهم منها اذا اضيفت الى الله ، واذن فلا اشكال ولا تأويل .

(رابعا) : نقول ان هذه النتيجة التي انتهينا اليها في البند الثالث من ان معنى اليد عند السلف يختلف عن معناه عند الخلف ، وان هذا الاختلاف يرجع

الى اختلاف الطرق التي سلكها الفريقان •

هذه النتيجة تجعلنا نقف حائرين امام قول الشيخ محمد عبده في النص السابق •: (وانا نسير في فهم الايات على كلا الطريقين : لانه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها • لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) •

فلعل الشيخ محمد عبده يريد ان يقول : انه يسير على احدى الطريقتين في بعض المسائل • ويسير على الطريقة الاخرى في بعضها الاخر •

ولكن ما هو الاساس الذى على مقتضاه يوزع المسائل • فيجعل بعضا منها من نصيب طريقة • وبعضا اخر من نصيب طريقة اخرى ؟

ام انه لا يلزم ان يكون هناك اساس يعتمد التوزيع عليه • وانما هو التنويع وارضاء شهوة العقل بتمكينه من سلوك كل السبل •

ولكن اذا كان سلوك الطريقتين ممكنا في المسائل • فما هو المبرر لسلوك طريق الخلف • وشرط سلوكه غير متحقق • فانهم اشترطوا لصرف اللفظ عن ظاهره ان يكون العقل قد جزم بعدم امكان ارادة المعنى الظاهر • والحكم بامكان الطريقتين يعني ان ارادة المعنى الظاهر ممكنة وغير مستحيلة • اذ لو كانت ارادة المعنى الظاهر مستحيلة • لما صح القول بامكان الطريقتين •

بقيت كلمة اخيرة اقولها تعليقا على ما ورد في النص من انه (لابد للكلام من فائدة يحمل عليها • لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى) •

فان هذه العبارة ربما تشعر بأن صاحبها يرى ان جانب التفويض في مذهب السلف يفرغ الكلام المتشابه من المعنى • ويخليه من الفائدة •

وكيف يتصور ذلك ومذهب السلف يبقي للكلام معناه الاصلي الذى يتبادر للذهن منه اول ما يسمع • فيحصله السامع ويستفيده • لكن مع رعاية مقتضى الحال • كما اذا قيل :

اغتذى الطفل • فان الذهن ينصرف الى نوع من الغذاء يناسب الطفل • وهو لبن امه •

فاذا قيل : اغتذى الرجل ، انصرف الذهن الى نوع من الغذاء ، مما جرت العادة بان يتناوله الكبار كل في بيئته .

كذلك اذا قيل :

" الرحمن على العرش استوى " . " ١ "

انصرف ذهن السلفي الى نوع من الجلوس يناسب الله جل وعلا .

واذا قيل : استوى الرجل ، انصرف ذهنه الى نوع اخر من الجلوس ، يختلف عن الاول . مما يناسب الرجل ، ولا يناسب الله جل وعلا . كما انصرف الذهن الى نوع من الغذاء في حال يختلف عن نوع اخر منه في حال اخرى ، بقرينة المقام ، وان كان الكل غذاء . فكذلك الجلوس .

فالتفويض لا يفرغ الالفاظ من المعاني ، ولكنه فقط ينبه الى ان المعنى المراد لا يفهم من جهة خصوصيته ، وان فهم من جهة عمومه ، كما قال الامام مالك رحمه الله : الجلوس معلوم ، والكيف مجهول . — والله سبحانه وتعالى اعلم — .

وارجو ان لا اكون قد اقحمت نفسي فيما لا ينبغي للمرء ان يقحم نفسه فيه ، ولكنه علم الكلام الذي يكره المرء على ما لا يريده احيانا .

ننتقل بعد ذلك — مع تفسير المنار — الى شرح ايات الملائكة . ولن اتتبع كل ما قيل في شرح الايات فان ذلك يطول ، وليس من غرضنا ، ولكني سأخذ منه فقط ، ما يتعلق بالملائكة وما ارتبط بهم ، مما كان موضوع التاويل او تفويض .

ويسوق الشيخ رشيد رضا بين يدي شرح الايات ، راى السلف والخلف في الملائكة فيقول :— " ٢ "

---

١ — سورة طه اية (٥) .

٢ — تفسير المنار (١ : ٢٥٤) .

(قال شيخنافي الازهر ما مثاله :

اما الملائكة فيقول السلف فيهم : انهم خلق اخبرنا الله تعالى بوجودهم ، وببعض عملهم ، فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم ، فنفوض علمها الى الله تعالى .

فاذا ورد ان لهم اجنحة ، نؤمن بذلك ، ولكننا نقول : انها ليست اجنحة من الريش ونحوه ، كأجنحة الطيور ، اذ لو كانت كذلك لرايناها .

واذا ورد انهم موكلون بالعوالم الجسمانية ، كالنبات والبحار ، فاننا نستدل بذلك على ان في الكون عالما اخر ، الطف من هذا العالم المحسوس ، وان له علاقة بنظامه واحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا ، بل يحكم بامكانه ، ويحكم بصدق الوحي الذى اخبر به) .

واذا كان الشيخ محمد عبده ارجع العلم بمذهب السلف في الملائكة ، الى ما ورد بشأنهم في الكتاب والسنة ، فقد اوجز في القول ، واصاب في الراى .

فلعل ما ورد في الكتاب والسنة بخصوص الملائكة هو — فى راى الشيخ محمد عبده ، وفي الواقع — مذهب السلف .

فهم المخلوقات الذين قال الله فيهم — بين ما قال — :

((ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين)) . "١"

((شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط)) . "٢"

((ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)) . "٣"

((الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير)) . "٤"

---

١ — سورة البقرة اية (١٧٧) .
٢ — سورة ال عمران اية (١٨) .
٣ — سورة النحل الايتان (٤٩ — ٥٠) .
٤ — سورة الحج اية (٧٥) .

((اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان)) . "١"

((وجاء ربك والملك صفا صفا)) . "٢"

((وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين)) . "٣"

((يعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة)) . "٤"

((اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)) . "٥"

((الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير)) . "٦"

((وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون)) . "٧"

((ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون)) . "٨"

وقال صاحب العقيدة الطحاوية : "٩"

(ثم قد ثبت بالنصوص ان الملائكة تكتب القول ، والفعل ، وكذلك النّية لانها فعل القلب فدخلت في عموم " يعلمون ما تفعلون ") .

ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " قال الله عز وجل : اذا هم

---

١ ـ سورة الانفال اية (١٢) .
٢ ـ سورة الفجر اية (٢٢) .
٣ ـ سورة الزمر اية (٧٥) .
٤ ـ سورة المعارج اية (٤) .
٥ ـ سورة الانفال اية (٩) .
٦ ـ سورة فاطر اية (١) .
٧ ـ سورة الانفطار الايات (١٠ ـ ١٢) .
٨ ـ سورة فصلت اية (٣٠) .
٩ ـ شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٠ .

عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فاذا عملها فاكتبوها عليه سيئة ، واذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها عشرا "

وقال صلى الله عليه وسلم " قالت الملائكة : ذاك عبد يريد ان يعمل سيئة — وهو ابصر به — فقال : ارقبوه ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وان تركها فاكتبوها له حسنة ، انما تركها من جرائي " "١" ...)

ويطول بنا القول لو اردنا استقصاء ما ورد بشأنهم عن الله عز وجل ، في الكتاب والسنة ، وهذا الذى ذكرناه يكفي لان يعطينا فكرة عنهم ، يمكن تلخيصها في انهم : "٢"

(مخلوقات عاقلة مدركة ، تظهر للانسان احيانا في صورة مادية ، وتخفى عن ادراكه احيانا ، وانها تقوم باعمال عظيمة — حسب امر الله لها — لا يقوى الانسان على القيام بمثلها ، وانها واقفة عند حدود ما يأمرها الله به ، لا تخالفه)

هذه صورة مجملة ، تستخلص بالنظرة العاجلة فيما ورد بشأنهم من نصوص .

ولا شك ان للملائكة سمات اخرى ، وخصائص امتازوا بها ، تتحدد بها شخصياتهم الحقيقية التي هم عليها ، في الواقع ، ونفس الامر ، يعلمها من اوتوا من العلم مالم يؤت امثالنا . وندع مالا نعلم ، ونكتفي بما نعلم ، ونقدم هذه الصورة الاجمالية للشيخ محمد عبده ، على انها صورة الملائكة عند السلف .

ولا شك ان الشيخ محمد عبده ، يقبل منا هذه الصورة على انها مذهب السلف في الملائكة ، لانها استمدت من اصول قال هو عنها انها تحكي مذهب السلف في الملائكة .

وننتقل بعد ذلك مع الشيخ محمد عبده الى مذهب الخلف في الملائكة ، فنجده يقول :—

---

١ — متفق عليه .

٢ — سيأتي تفصيل وجود الملائكة ، ووظائفهم ، وطوائفهم بعد هذا العرض مباشرة .

(واما الخلف فمنهم من تكلم في حقيقة الملائكة ، ووضع لهم تعريفا ، ومنهم من امسك عن ذلك .

وقد اتفقوا على انهم يدركون ، ويعلمون .

والقصة على مذهبهم وردت مورد التمثيل ، لتقرب من افهام العامة ما تفيدهم معرفته من حال النشأة الادمية ، وما لها من المكانة والخصوصية) . "١"

ويلح الشيخ محمد عبده على قضية التمثيل هذه ، بالنسبة للملائكة ، فيكررها ويؤكدها في مواضع من الكتاب .

يقول :

(وقد علم مما تقدم ان كل هذه الاقوال والمراجعات والمناظرات يفوض السلف الامر الى الله تعالى في معرفة حقيقتها ، ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها ، وقد تقدم بيان ذلك .

واما الخلف فيلجأون الى التأويل ، وامثل طرقه في هذا المقام التمثيل .

وقد مضت سنة الله في كتابه بأن يبرز لنا الاشياء المعقولة في قوالب العبارات اللفظية ، ويحكي لنا المعارف المعقولة بالصورة المحسوسة ، تقريبا للافهام ، وتسهيلا للاعلام ، وذلك انه عرفنا بهذه القصة قيمة انفسنا ، وما اودعته فطرتنا مما نمتاز به على غيرنا من المخلوقات) . "٢"

ويقول :

(ان هذه الايات من المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها ، لانها بحسب قانون التأويل :

اما استشارة وذلك محال على الله .

واما اخبار منه تعالى للملائكة ، واعتراض منهم ، ومحاجة وجدال ، وذلك

---

١ ــ تفسير المنار (١ : ٢٥٥) .

٢ ــ تفسير المنار (١ : ٢٦٤) .

لا يليق بالله تعالى ايضا ، ولا بملائكته ، ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة بانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون) . "١"

والسبب الذى يذكره الشيخ محمد عبده لتبرير عدم امكان حمل الايات على ظاهرها ، لا اراه كافيا ، ولا مقنعا ، لانه ساق وجهين ذكر ان حمل الايات على ظاهرها ينحصر فيهما ، وردهما جميعا وانتهى الى الحكم بعدم امكان حمل الايات على ظاهرها .

هذان الوجهان هما :

ان تكون مكاشفة الله الملائكة بما ازمعه من خلق ادم ، وتبوئه عرش الخلافة في الارض ، استشارة منه تعالى لهم ، واستئناس برايهم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

او تكون اخبارا ، لا استشارة ، ولكن الملائكة صدر منهم من الاعتراض والمحاجة ، والمجادلة ، ما لا يليق ان يواجه به الله احد من خلقه ، وما لا يليق بالملائكة انفسهم ان يتورطوا فيه ، وهم من هم في كمال الادب مع خالقهم ، بمقتضى شهادته هو لهم .

ولا شك ان هذين الوجهين ، بصورتيهما هاتين مرفوضان .

لكن ، الا يمكن ان يكون الذى صدر من الملائكة — بعد اخبار الله لهم بما ازمعه في شأن آدم — استفسارا ، واستفهاما ، لا اعتراضا ، ومحاجة وجدالا ؟

والاستفهام الذى يكون باعثه الدهشة ، والاستغراب يأخذ احيانا صورة الاعتراض من غير ان يكونه .

خصوصا والشيخ محمد عبده يذكر — بين ما يذكر — ان الملائكة عانت من جنس ما تسأل عنه ، ما يجعلها تستغرب تكراره .

---

١ — تفسير المنار (١ : ٢٥١) .

وازيد انا على ما قاله الشيخ محمد عبده مما يصح ان يدخل في مجال ما يثير دهشة الملائكة واستغرابهم ، ان لهم دورا يقومون به مع من اخبرهم الله بأنه يخلقه في الارض ، وبنوته هو وذريته عرش الخلافة فيها ، ذلكم الدور هو ما بين الاسلام انهم يقومون به مع بني ادم من حفظهم ورعايتهم ، وكتابة اعمالهم ، وايقاع العقوبات بهم ، وقبض ارواحهم ... الخ مما يدخل في نطاق المهام المنوطة بهم نحو ادم وذريته .

فسؤال يكون مثارة كل هذا ، لابد ان يكون له في نفس صاحبه كبير عناية واهتمام ، قد يوهمان من لا يكون واقفا على حقيقة حالهم انه اعتراض ، لا استفهام .

على اني اقول للشيخ محمد عبده : اذا كنت ترفض ان يكون ما يفيده ظاهر الايات امرا واقعا صدر من الملائكة فعلا ، لانه لا يليق بالله ولا بهم — كما تقول — فكيف تقبله تمثيلا لحالهم مع خالقهم ؟ .

وهل يجوز ان يمثلهم الله قائمين بدور تجاهه لا يليق بهم ولا به ؟

وهل يكون هذا التمثيل حقا او باطلا ؟

وهل ابراز الكائن في صورة لا تتفق مع ما هو عليه في الواقع ، يكون طريقا لايضاح حاله ، واظهاره ، او لاخفائه وابهامه ؟ وقد ذكر الشيخ محمد عبده ان من فوائد ذكر الله قصة الملائكة لعباده ، ان يعلمهم حسن الاسوة بهم .

فأين هي الاسوة الحسنة في تصوير الله لهم بصورة المعترض على ربه اللجوج في جداله وحجاجه ؟

الا ان الشيخ محمد عبده قد تورط بهذا القول فيما لا يحسن صدوره من مثله .

وادع هذه المسألة لانظر في مسألة اخرى تتعلق بقول الشيخ محمد عبده :

(وقد علم مما تقدم ان كل هذه الاقوال والمراجعات والمناظرات يفوض السلف الامر الى الله تعالى في معرفة حقيقتها ، ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها) .

فهذا القول عن السلف بخصوص مراجعة الملائكة لله في شأن آدم لا أراه تصويرا صحيحا لمذهبهم .

فان السلف لا يفوضون في كل شيء ، ولا يقولون عن كل ايات القران انها متشابهة .

ولقد اتهمت نفسي بازاء اصرار الشيخ محمد عبده على ان السلف يؤولون ايات الملائكة ، فرجعت الى بعض كتب السلف فوجدت الامر فيها كما كان في نفسي من قبل .

ويظهر ان قضية التفويض ، والمتشابه ، تتخذ وسيلة لصرف الايات عن معانيها الى معان تراد منها ، فلهذا الموقف ، موقف مشابه بالنسبة لايات البعث الجسماني "١" حين قال عنها - الشيخ محمد عبده - وهو بصدد الدفاع عن ابن سينا لما اتهم بانكار البعث الجسماني - : ان ايات البعث الجسماني من المتشابه ، ليخلص ابن سينا مما اتهم به "٢" ، ولكن هيهات .

ويخلص لنا مما تقدم :

اولا :
==== ان السلف يقولون عن الملائكة :

(انهم كائنات عاقلة مدركة ، تظهر للانسان احيانا في صور مادية ، وتخفي عن ادراكه احيانا ، وانها تقوم - حسب امر الله - بأعمال عظيمة لا يقوى على مثلها الانسان ، وانها واقفة في تصرفاتها عند اوامر الله ، لا تتعداها) .

ثانيا :
==== ان الخلف يقولون عن الملائكة :

(انها كائنات تدرك وتعقل) .

ثالثا :
==== ان الشيخ محمد عبده يوافق على ان ما قلناه عن السلف بخصوص الملائكة ،

---

١ - سيأتي ، بعد قليل ، في هذا الباب ان شاء الله .

٢ - انظر مقدمة كتاب " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين " ، تحقيق د . سليمان دنيا .

هو راى السلف ، وان ما قلناه عن الخلف بخصوص الملائكة هو راى الخلف .

نعم يوافق الشيخ محمد عبده على هذه الاقوال ، لان البحث الذى اوصل اليها ، تم وفق توجيهاته ، وعلى هدى ارشاداته .

واذا ادرنا النظر — بعد طول بحث — الى ما توصل اليه السلف ، وما توصل اليه الخلف ، في شأن الملائكة ، لم نجد بينهما كبير فرق ، بل ربما لم نجد فرقا اصلا .

واذا كان الشيخ محمد عبده ، قد قرر انه يسير على طريقة السلف ، وطريقة الخلف "١" ، فالظن به ان يكون واقفا عند نقطة التقائهما ، راضيا عن اتفاقهما ، فعند الصباح يحمد القوم السرى .

ولكن الشيخ محمد عبده ، لم يقف حيث توقفوا ، ولم ينته حيث انتهوا ، بل ظل يسير ، ويغذ السير ، ولكن الى اين ؟

لا ندرى فلنسر معه .

يقول الشيخ محمد عبده :

(وذهب بعض المفسرين-كذا- مذهبا اخر في فهم معنى الملائكة ، وهو ان مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال ، من انماء نبات وخلقة حيوان ، وحفظ انسان وغير ذلك ، فيه ايماء الى الخاصة — كذا — بما هو ادق من ظاهر العبارة) . "٢"

وهذا النص يفيد ان الشيخ محمد عبده يرى ان هناك — وراء مذهبي السلف والخلف في الملائكة — مذهبا اخر . وان هذا المذهب يسوق الى الخاصة

---

١ — وقد بينت هذا في الباب الاول ، الفصل السادس ، وفي الباب الثاني عند الحديث عن الصفات الخبرية .

٢ — تفسير المنار (١ : ٢٦٧) .

من اهل العلم بدين الله معنى في الملائكة يغاير المعنيين اللذين شرحهما من قبل وعزاهما الى السلف والخلف ، اللذين يعتبران بطريق المقابلة لمذهب الخاصة ، مذاهب للعامة .

ويستمر في القول فيفسر هذا المذهب قائلا :

(وهو ان هذا النحو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله في البذرة ، فكانت به هذه الحياة النباتية ، وكذلك يقال في الحيوان والانسان) .

فالروح الخاص الذى نفخه الله في النبات فكان به ذلك النوع الخاص الذى يتميز بخصائص عن غيره من الكائنات ، والروح الخاص الذى نفخه الله في الحيوان فكان به ذلك النوع الخاص الذى يتميز بخصائص عن غيره من الكائنات ، والروح الخاص الذى نفخه الله في الانسان فكان به ذلك النوع الخاص الذى يتميز بخصائص عن غيره من الكائنات : هذه الارواح — عند اصحاب هذا المذهب — هي الملائكة .

وهذه الارواح المنبثة في الكائنات ، والتي يقول اصحاب هذا المذهب انها المعنى المراد من لفظ الملائكة ، الوارد في لسان الشرع ، هي نفسها التى تسمي بلسان العلم " القوى الطبيعية " .

يقول الشيخ محمد عبده :

(ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف ، يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية) .

والشيخ محمد عبده يؤكد التقاء لفظ " القوى الطبيعية " ولفظ " الملائكة " ، على معنى واحد ، واتفاقهما في الدلالة على شيء واحد ، فيقول :

(والامر الثابت الذى لا نزاع فيه ، هو ان في باطن الخليقة امرا هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها ، لا يمكن لعاقل ان ينكره ، وان انكر غير المؤمنين بالوحي تسميته ملكا . او انكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته : " قوة طبيعية " او ناموســـا

طبيعيا . فالحقيقة واحدة ، والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات) .

فحقيقة القوى الطبيعية ، وحقيقة الملائكة واحدة ، عند اصحاب هذا المذهب — فيما يروى الشيخ محمد عبده — وهو يرى ان ليس في هذا المذهب ما ينكر ، الا استعمال اسم لم يرد به الشرع . وهذا الانكار — فيما يرى الشيخ محمد عبده — انما هو من طرف جماعة من المؤمنين لم يكاشفوا بعلم ما كوشف به الخاصة .

هكذا يصور الشيخ محمد عبده هذا المذهب الذى يسميه هو واصحابه مذهب الخاصة ، ولهم الحق ان يصوروا مذهبهم بما يشاؤون ، لكن لا حق لهم ان يصوروا مذهب غيرهم بما لا يشاء اصحابه ، .

فالخلاف بين السلف والخلف ، وبين اصحاب هذا المذهب ليس واقفا عند حد التسمية بل يتجاوزها الى المسمى .

فالسلف والخلف ربما يقرون بالارواح المنبثة في قوام النبات ، والحيوان والانسان ، والتي صار كل واحد منها ما هو .

وهم يقرون جزما بالكائنات المدركة العاقلة القائمة بأنفسها ، والتي ذكرنا من خصائصها سابقا ما ذكرنا ، وهذه — عندهم — هي الملائكة .

وهم يقرون بالمباينة التامة بينهما ، فالملائكة التي عناها الشرع ، بهذا اللفظ ليست في شيء من القوى الطبيعية ، وليست القوى الطبيعية في شيء من الملائكة .

هذا هو مذهب السلف والخلف واضحا لاخفاء فيه ، فمن اراد ان يكون منهم فليعتقد عقيدتهم ، ومن اعتقد غير عقيدتهم فليس منهم .

واكرر ان السلف والخلف لا ينكرون ما في النبات والحيوان والانسان من القوى المنبثة في قوامها مما بها حياتها وامتيازها عن غيرها من الكائنات ، فالله خلق هذه القوى ، وخلق الملائكة ، وهما غيران مختلفان ، اشد الاختلاف ، متباينان اشد التباين .

فالملائكة كائنات حية ، عاقلة مدركة ، قائمة بنفسها ، منها ما كان يحمل

القرية بمن فيها على جناحه ، ويطير بها في الجو الى مسافات بعيدة ، ثم يلقي بها على الارض منكسة ، فتهلك ويهلك من فيها .

اين من هذه الكائنات قوى منبثة في قوام النبات والحيوان والانسان وتقوم بوظائفها فيها كما تقوم قوة الابصار بالعين ، وكما تقوم قوة السمع بالاذن ، وكما تقوم قوة الشم بالانف ، بل كما تقوم قوة الكهرباء بالحديد .

ان هذه القوى وان كان لها دخل في حياة ما تقوم به ، لكنها ليست مما يوصف بالحياة ، فلم يعهد ان يقال : ان قوة النمو القائمة بالنبات والحيوان والانسان ، حية .

لكن الشيخ محمد عبده يأبى الا ان يخلع على هذه القوى من نعوت الجلال ما يجعلها اهلا لتصديق الناس بأنها الملائكة التى وردت في الكتاب والسنة ، فيقول :

(هذه القوى التى نرى اثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل ادق الباحثين في بحثه عنها الا الى اثار تجل اذا كشفت ، وتقل بل تضمحل اذا حجبت ، وهي التي يدور عليها كمال الوجود وبها ينشأ الناشيء ، وبها ينتهي الى غايته الكامل ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل .

أليست اشعة من ضياء الحق ، اليست اجل مظهر من مظاهر سلطانه ، الا تعد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت اثارها من عالم الشهادة ، الا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها لا ندرك كنهه ، لاحتجابه بما نتصوره من حياتنا واختيارنا ؟) "١" .

وانا نقول للشيخ محمد عبده :

هب انها حية مختارة ، وانها ذلك الذى ذكرته عنها ، واكثر منه ، لكنها ليست الملائكة ، ولا الملائكة اياها . لان ما ذكره الله ورسوله عن الملائكة لا ينطبق عليها ، فنحن نؤمن بها ونؤمن بالملائكة ، ولا نقول انها هي الملائكة .

---

١ ـ تفسير المنار (١ : ٢٧٢) .

لكن هذا لا يمنع من ان نعترف للشيخ محمد عبده بأنه طوى عن الناس استار الجهل التي كانت تحجبهم عن ادراك هذه الاشياء التي هي من عظيم خلق الله ، وانها في الذكاء ، ونفاذ البصيرة ، وقوة المعارضة ، ونصاعة البيان ، ما هو .

كذلك نقول . وكذلك قال معاصروه ، ولكنهم ايضا قالوا ، كما نقول : ان القوى الطبيعية شيء ، والملائكة شيء اخر .

ويضيق الشيخ محمد عبده ذرعا بهذا الاصرار على مخالفته ، فيتهكم بالمخالفين ويرميهم بالجمود .

ويصور الشيخ رشيد رضا هذا الموقف ، قائلا : "١"

(ان غرض الاستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايماء والاشارة — كذا — اقناع منكري الملائكة بوجودهم ، بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وقد اهتدى به كثيرون ، وضل به اخرون ، وزعموا انه جعل الملائكة قوى لا تعقل فرد عليهم كتابة ، بما نصه بحروفه :

" ولست احيط علما بما فعلت العادة والتقاليد في نفس بعض من يظنون انهم من المتشددين في الدين . اذ ينفرون من هذه المعاني " كما ينفر المرضى او المخدجون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم . وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ، ويتثبتون بأوهام مألوفة لهم ، تثبت اولئك المرضى والمخدجين ، بأضر طعام يفسد الاجسام ، ويزيد السقام .

لا اعرف ما الذى فهموه من لفظ " روح او " ملك " ، وما الذى يتخيلونه من مفهوم لفظ "قوة " .

اليس الروح في الادمي مثلا هو الذى يظهر لنا في افراد هذا النوع ، بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل ، واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟

---

١ — تفسير المنار (١ : ٢٦٩) .

او ليست القوة هي ما تصدر عنه الاثار فيمن وهبت له ؟

فاذا سمي الروح — لظهور اثره — قوة ، او سميت القوة — لخفاء حقيقتها — روحا ، فهل يضر ذلك بالدين ، او ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟ ...)

ثم ينتقل من وصف المخالفين بالجمود على العادة والتقاليد ، الى تحديهم واظهار عجزهم عن فهم ما يعتقدون ، فيقول :

(لو ان مسكينا من عبدة الالفاظ ، من اشدهم ذكاء وازرمهم لسانا ، اخذ بما قيل له ، : ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل ، ثم تطلع عقله الى ان يفهم :

معنى نورانية الاجسام ، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا ، بدون ان يقوم بجرم اخر كثيف ، ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح ، او سلك الكهرباء .

ومعنى قابلية التشكل ، وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور المختلفة حسبما يريد ؟ وكيف يكون ذلك ؟

الا يقع في حيرة ، ولو سئل عما يعتقده من ذلك ، الا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حله ؟

أليس مثل هذه الحيرة يعد شكا ؟) .

ثم يتهكم ويسخر فيقول :

(افلا تزعم ان لله ملائكة في الارض ، وملائكة في السماء ؟

هل عرفت اين تسكن ملائكة الارض ؟ وهل حددت امكنتها ، ورسمت مساكنها ؟

وهل عرفت اين يجلس من يكون منهم عن يمينك ، ومن يكون عن يسارك ؟

هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام ، او تؤنسك اذا هجمت عليك الاوهام ؟

فلو ركنا الى انها قوى او ارواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك ، وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك ، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم ، كيلا

يوحشك بما يدهشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك ، من وجوه تعرفها ،
افلا يكون ذلك اروح لنفسك ، وادعى الى طمأنينة عقلك ؟
افلا تكون قد ابصرت شيئا من وراء حجاب ، ووقفت على سر من اسرار الكتاب ؟
فان لم يكن في نفسك استعداد لقبول اشعة هذه الحقائق ، وكنت ممن
يؤمن بالغيب ، ويقول " امنا به كل من عند ربنا " فلا ترم طلاب العرفان بالريب
ما داموا يصدقون بالكتاب الذى امنت به ويؤمنون بالرسول الذى صدقت برسالته .
وهم في ايمانهم اعلى منك كعبا ، وارض منك بربهم نفسا .) .
الا ان هذه الاقوال لتشعرنا بالاسى على ما كان يعاني الشيخ محمد عبده
من ضيق ، ولكنها لم تشعرنا بميل او رغبة في ان نترك السلف والخلف جميعا في
أمر اجمعوا عليه ، ونوافقه على ما يقول .
ويسدل الستار ، والشيخ محمد عبده في جانب ، والسلف والخلف
جميعا في جانب اخر) ا.هـ "١"

---

١ ـ انتهى كلام الاستاذ المشرف ، وقد نقلته بنصه بحروفه ، لعدم استطاعتي التصرف فيه .

رأى السلف والخلف في الملائكة :

جرى السلف والخلف من المسلمين في فهمهم للملائكة ، وغيرهم من الغيبيات على قاعدة ، سليمة ، واضحة ، هي :

الا نتزيد بشيء في امر الغيبيات التي قص الله علينا طرفا من خبرها . وان نقف عند حدود النص ولا نتعداه ، لانه كاف بذاته لاثبات ما يعرض له من امور .

والمؤمن الصادق يقر بكل ما اخبر به الخالق جل وعلا من شأن الملائكة مجملا او مفصلا ، ولا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ، ولا يتكلف البحث عما لم يطلعه الله منهم ، ولا يخوض فيه ، بل يقول " امنا به كل من عند ربنا "" ١ " لان هذا هو المقصود ، والمطلوب معرفته ، ولو علم الله ان هناك خيرا او فائدة او حاجة في الزيادة او الايضاح او التفصيل ، لفعل سبحانه ، وفصل .

وغاية ما على المسلم ان يعترف بوجود الملائكة ، ويؤمن بصفاتهم التي وردت في النصوص الصحيحة . ويصدق بطوائفهم ووظائفهم التي اخبرنا بها الخالق سبحانه ، ودونها السلف والخلف من المسلمين على النحو التالي :

١ — وجودهـــم

دل على وجود الملائكة الخبر الصادق عن الخالق سبحانه ، والحديث الصحيح عن نبيه عليه افضل الصلاة والسلام .

فأما الوارد في القران عن الله تعالى : فقوله " آمن الرسول بما انزل اليه من ربه ، والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " . " ٢ "

---

١ — سورة ال عمران اية (٧) .

٢ — سورة البقـــرة اية (٢٨٥) .

وقوله تعالى : " ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ، ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون " . "١"

وقوله تعالى : " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا " . "٢"

ولقد جاء الحديث عن الملائكة في القران بمناسبات مختلفة في نحو خمس وسبعين اية ، من نحو ثلاثة وثلاثين سورة . "٣"

واما الوارد من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذى اخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واخرجه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عندما نزل جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن الايمان ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ؟

" الايمان : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " . "٤"

كما جاء في الاحاديث الصحيحة ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قابل بعض الملائكة .

وفي مقدمة الاحاديث المثبتة لذلك احاديث بدء الوحي ، ونزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه الاحاديث متواترة في معناها . "٥"

---

١ _ سورة النحل اية (٢) .

٢ _ سورة النساء اية (١٣٦) .

٣ _ انظر : العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٦) ، الطبعة الاولى .

٤ _ صحيح مسلم بشرح النووى (١ : ١٥٧) ، فتح البارى شرح صحيح البخارى (١ : ٩٦ ، ٩٧) .

٥ _ انظر : العقيدة الاسلامية ، واسسها (٢ : ٧) .

فوجود الملائكة اذا ، ثابت بالدليل القطعي الذى لا يمكن ان يلحقه شك او ريب .

ومن هنا كان انكار وجود هم كفرا باجماع المسلمين ، بل بنص القران الكريم .

يقول الاستاذ عبد الرحمن حبنكة :

(والعلم بوجود الملائكة مما هو معلوم من الدين بالضرورة عند جميع المسلمين) . "١"

ان الملائكة عليهم السلام ليسوا ضربا من الاوهام ، ولا نوعا من تخيلات الاحلام ، كما انهم ليسوا عقولا مجردة ، ولا من معاني النفوس البشرية "٢" .

وانما هم عالم حقيقي الوجود ، غيبي عن العيان المشهود . "٣"

قال المحققون من اهل العلم والمعرفة :

(ومجمل الايمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بان الله تعالى خلق عالما اسماه ب " الملائكة " ، وهم :

ارواح قائمة في اجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل ، بأمثلة مختلفة باذن الله تعالى) . "٤"

---

١ — نفس المصدر ونفس الصفحة .
٢ — انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ١٢٧) .
٣ — انظر كتاب : الايمان بالملائكة عليهم السلام ، بقلم عبد الله سراج الدين ، الطبعة الاولى ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢م ، ص ٣ .
٤ — انظر : المرجع السابق ص (١٠ ، ١٣) .
وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ : ٢٣٢) .
وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٥٧٩) ، في شرح جلال الدين الدواني على العقائد العضدية .
وقد مر معنا ان الشيخ محمد عبده ، تهكم وسخر من اصحاب هذا القول ، وايضا فهو لا يقبل ما جاء في بعض النصوص ان الملائكة تتمثل بصور واشكال جثمانية مختلفة ، — كما سنرى بعد قليل — ، لانها — حسب =

....

= قوله — من عالم غير عالم الابدان .

يقول :

(فلا يصح ان تتمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا ، لان هذه لو اتصلت بارواحنا ، فانما تتصل بها من طرق اجسامنا ، ونحن لا نحس بشيء يتصل بابداننا لا عند الوسوسة ، ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس ، فاذن هي عالم من غير عالم الابدان قطعا) .

انظر : تفسير المنار (١ : ٢٦٧) .

٢ ـ : صفاتهم الخلقيـــــة

اقول : ـ بناء على ما مضى ـ

فانا لا نستطيع ان نعرف كل شيء عن صفات الملائكة ، لان الله سبحانه لم يخبرنا من هذه الصفات الا النذر القليـل .

وحسبنا في العقيدة الاسلامية ان نعرف هذه الصفات ، بالقدر الذى وردت به النصوص دون زيادة ، او نقصان ...

واليك بعضا من صفاتهم :

أ : اخبرنا الخالق سبحانه انهم خلقوا قبل " ادم " عليه السلام ، من نور :

قال تعالى :

" واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ... " . "١"

ففي هذه الاية دليل خلق الملائكة قبل ادم عليه السلام .

والدليل على انهم خلقوا من نور ، ما اخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "٢" : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق ادم مما وصف لكم "٣" . "

---

١ ـ سورة البقرة اية (٣٠) .

٢ ـ اخرجه مسلم ، وانظر : فتح البارى (٦ : ٢٣٢) .

٣ ـ اى كما وصفه الله تعالى في مواضع متعددة من الكتاب الكريم . فأخبر سبحانه في موضع انه خلق من تراب قال تعالى : " ان مثل عيسى عند الله كمثـل ادم خلقه من تراب " (ال عمران : ٥٩) ، اشارة الى المبدأ الأول .
وفي موضع اخر اخبر تعالى انه خلقه من طين ، قال تعالى " وبـدأ خلق الانسان من طين " ، (السجدة : ٧) ، اشارة الى الجمع بيـن التراب والماء .
وفي موضع ثالث اخبر تعالى انه خلقه من طين لازب ، قال تعالـى :

فهم اذا (مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادى ، يدرك بالحواس الانسانية ، وانهم ليسوا كالجن ، ولا كالبشر ، مطهرون من الشهوات الحيوانية ، ومنزهون عن الاثام والخطايا ، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها غيرهم ، غير ان لهم القدرة على ان يتمثلوا بصور البشر باذن الله تعالى) . "١"

فقد ثبت في بعض الاحاديث الصحيحة ان جبريل عليه السلام اتى الى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، على صورة انسان مجهول الشخصية ، كما في حديث عمر السابق .

فقد ذكر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هيئة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ... ، وانه جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم واسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، ثم سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان ، وعلامات الساعة ، ثم انصرف ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه : " اتدرون من السائل ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم . قال : فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم " .

وكما اخبر الله عز وجل عن جبريل عليه السلام انه اتى مريم عليها السلام في صورة بشرية ، قال تعالى :

" واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا " . "٢"

= انا خلقناهم من طين لازب " (الصافات : ١١) ، اشارة الى الطين المستقر على حالة من الاعتدال ليصلح لقبول التصوير .

واخبر تعالى في موضع اخر انه خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، ومن صلصال كالفخار ، اشارة الى يبسه . ثم نبه سبحانه على تكميل هذا الانسان بنفخ الروح فيه .

فقال تعالى " فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " ، (سورة ص : ٧٢) (وسورة الحجر : ٢٩) .

١ـ العقائد الاسلامية ، لسيد سابق (ص ١١١) .

٢ـ سورة مريم الايات (١٦ ـ ١٧) .

كما ثبت انه اتى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم على صورة انسان معلوم ، وهو : " دحية الكلبي " "١" رضي الله عنه .

وتدل النصوص في مجموعها على ان جبريل عليه السلام كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم بصور واشكال مختلفة ، حسب المناسبة التي اقتضتها تلك الحالة بأمر من الله .

فجاء يوم بني قريظة بصورة محارب عليه السلاح ، كما في الصحيحين عن عائشة رضيّ الله عنها .

ومن ذلك تمثل الملك بصورة ابرص ، واقرع ، واعمى ، حيث ارسله الله الى ثلاثة من بني اسرائيل : ابرص ، واقرع ، واعمى ، اراد الله ان يبتليهم : ايشكرون نعمة الله عليهم ام يكفرون ، ويجحدون ...

وهذه القصة وردت في الصحيحين عن ابي هويرة رضي الله عنه . "٢"

ولا يلزم من تمثل الملك بصورة من الصور البشرية ان تناله الاحكام البشرية من اكل وشرب ، ونوم ، ونعاس ... الخ

ولذلك : لما تمثلت الملائكة بصورة رجال ، ودخلوا على الخليل عليه الصلاة والسلام ، وقدم لهم الطعام ... لم يتناولوا منه شيئا . "٣"

قال تعالــى :

" هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم " . "٤"

---

١ ــ دحية بن خليفة الكلبي ، احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان رجلا وسيما ، جميل الصورة ، حسن الهيئة ...

٢ ــ انظر : فتح الباري (٦ : ٥٠١) / وانظر : رياض الصالحين ص ٥٦ .

٣ ــ انظر كتاب : الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام ، لاحمد عبد الوهاب ص ٢٣ ، ٢٤ ، الطبعة الاولى ، دار النهضة العربية .

٤ ــ سورة الذاريات الايات (٢٤ ــ ٢٨) .

ب : ومن صفاتهم الخلقية ايضا ان منهم اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع او اكثر من ذلك كما قال الله تعالى :

" الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير " . "١"

وقد اخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راى جبريل عليه السلام له : ستمائة جناح . "٢"

وفي حديث طويل عن ابي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . :

" ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا ، " هلموا الى حاجتكم " .

قال صلى الله عليه وسلم : " فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا " . "٣"

جـ : وتدل النصوص التالية على ان للملائكة صفات اخرى لا تختص بالخلقة .

قال تعالى : " لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ..." . "٤"

وقال تعالى : " عليها ملائكة غلاظ شدادا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون " . "٥"

وقال تعالى : " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون " . "٦"

---

١ — سورة فاطر اية (١) .
٢ — انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦ : ٢٤٢) ، وروى ايضا في كتب الصحاح ، عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
٣ — انظر : رياض الصالحين ص ٦٣٥ .
٤ — سورة النساء اية (١٧٢) .
٥ — سورة التحريم اية (٦) .
٦ — سورة الانبياء اية (٢٦) .

وقال تعالى : " وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون " . "١"

وقال تعالى : " ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون " "٢"

وقال تعالى : " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون " . "٣"

وقال تعالى : " تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة " . "٤"

وقال تعالى : " ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " . "٥"

وقال تعالى : " ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة " " والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " . "٦"

فهذه النصوص القرانية ، وما ورد من احاديث صحيحة تؤيدها "٧" تدل في مجموعها على ان لله تعالى ملائكة ، خلقهم لعبادته ، وهم ليسوا كالبشر : فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، ولا يتزوجون ، وهم مطهرون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها

---

١ ــ سورة الانبياء الايات (١٩ ــ ٢٠) .
٢ ــ سورة الاعراف اية (٢٠٦) .
٣ ــ سورة الزخرف اية (١٩) .
٤ ــ سورة المعارج اية (٤) .
٥ ــ سورة الرعد اية (١٣) .
٦ ــ سورة النحل الايات (٤٩ ــ ٥٠) .
٧ ــ انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦ : ٢٣٢) .

البشر ، رضي الله عنهم اجمعين . "١"

هذا هو ما اخبرنا به الله تعالى عن هذه المخلوقات الكريمة ، من صفات خلقية وخلقية ، لا يسعنا انكار شيء منها ، او الاستهتار به ، ولا السوءال عنه مالم يرد به عن الله كلام ، لانه لو كان في العلم به نفع للناس لما حجب الله عنهم معرفته . ولفصل لهم القول فيه وهو الرحيم بهم الغفور لذنوبهم ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون .

---

١ — بتصرف : انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١١ : ٢٣٠ — ٢٣٥) .

٣ - اصناف الملائكة ، ووظائفهم

=========================

لا يفوتني - قبل ان اذكر مذهب السلف ، وجمهور العلماء ، في طوائف الملائكة ووظائفهم - ان انبه القارئ الى ان الشيخ محمد عبده ، ذهب في تعليقاته على " نهج البلاغة " للامام " علي " رضي الله عنه ، في صفحة (٢٧) ، مذهبا بعيدا ، فسر فيه الملائكة الموكلين بحفظ العباد ، والملائكة الموكلين بحمل العرش ، ب " القوى " ، على النحو التالي :-

قال : حفظة العباد : كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ونفوسهم ، يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب ... .

وقال : حملة العرش : كأنهم القوة العامة التي افاضها الله في العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه ..

واني ارى في الكلمة السابقة ، التي كتبها الاستاذ المشرف - جزاه الله خيرا - الرد الكافي على هذا المذهب الذي ابتدعه الشيخ محمد عبده ، واتى به من عند نفسه ، بعد ان رفض الوقوف عند النتيجة التي توصل اليها السلف والخلف في الملائكة ، - كما سبق -

ولا اريد ان اكرر ما قاله الاستاذ سليمان دنيا - المشرف - ، فقد كفى الله المؤمنين القتال .

واريد ان اترك القارئ وحده - بناء على ما قاله السلف ، والخلف ، وما قرره الاستاذ المشرف - ليرى بنفسه كيف مال الشيخ محمد عبده الى التمثيل ، في قوله عن حفظة العباد : (كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ، ونفوسهم ...)

وكيف عطل كثيرا من النصوص الشرعية ، في قوله عن حملة العرش : (كأنهم القوة العامة التي افاضها الله في العالم الكلي ...) .

الا ترى الى الشيخ محمد عبده ، هنا ، كيف مثل ، وعطل ، وصرف

الالفاظ الواضحة المفهومة ، عن ظاهرها ، من غير قرينة تدعو الى ذلك ؟

لا شك ان حقيقة القوى غير حقيقة الملائكة ، فالقوى شيء ، والملائكة شيء اخر ، ولا يجوز للشيخ محمد عبده ان يؤكد التقاء لفظ " قوى " ولفظ " الملائكة " على معنى واحد ، واتفاقهما في الدلالة على شيء واحد ...

من اجل ان يقنع منكرى الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم — كما قال رشيد — .

فالمسألة ليست مالة تلاعب بالالفاظ حتى يقنع الشيخ محمد عبده بعض المضبوعين بالثقافة الغربية ، ...

ولكنها مسالة فهم مراد الله ، ومراد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لفظ " الملائكة " والمعنى الحقيقى لحفظة العباد ، وحملة العرش ...

انها مسالة عقيدة ... ،

والايمان بها ركن من اركان الدين ...

واليك مذهب السلف والخلف في اصناف الملائكة ، ووظائفهم ، مستخلصا من النصوص الشرعية الواردة في الملائكة عليهم السلام ...

يقول الامام ابن القيم رحمه الله تعالى :

(والملائكة الموكلة بالانسان من حين كونه نطفة الى اخر امره ، لهم وله شأن آخر :

فانهم موكلون بتخليقه ، ونقله من طور الى طور ، وتصويره ، وحفظه في اطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه وعمله ، واجله ، وشقاوته وسعادته ، وملازمته في جميع احواله ، واحصاء اقواله وافعاله ، وحفظه في حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وفاطره .

وهم الموكلون بعذابه ونعيمه ، في البرزخ ، وبعد البعث .

وهم الموكلون بعمل الات النعيم والعذاب .

وهم المثبتون للعبد المؤمن باذن الله ، والمعلمون له ما ينفعه ، والمقاتلون الذابون عنه .

وهم اولياؤه في الدنيا والاخرة .

وهم الذين يعدونه بالخير ، ويدعونه اليه ، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه .

فهم اولياؤه وانصاره ، وحفظته ومعلموه ، وناصحوه ، والداعون له ، والمستغفرون له .

وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير ، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه ، وعند موته ، ويوم بعثه .

وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الاخرة .

وهم الذين يذكرونه اذا نسي ، وينشطونه اذا كسل ، ويثبتونه اذا جزع .

وهم الذين يسعون في مصالح دنياه واخرته .

فهم رسل الله في خلقه وامره ، وسفراؤه بينه وبين عباده ، تتنزل بالامر من عنده ، في اقطار العالم ، وتصعد اليه بالامر) . "١"

وقد جاءت النصوص الشرعية تبين طوائف الملائكة وبعض وظائفهم ...

وفيما يلي طائفة من تلك النصوص : "٢"

---

١ ـ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢ : ١٢٥ ، ١٢٦) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ / وانظر شفاء العليل ، له ايضا ص ١٩ ـ ٢٤ .

٢ ـ انظر ـ بتصرف عن :
العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ١٨) / شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٥ / الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام ، احمد عبد الوهاب ص ٢٣ ـ ٣١ / اصول الايمان ، تاليف الامام ابي عبد الله محمد بن عبد الوهاب ، الموجود ضمن مجموعة الحديث ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة ص ٢٠٩ ـ ٢١٤ .

١ ـ قال تعالى ـ مبينا اكابر الملائكة ، ومنهم جبريل عليه السلام ، ومنوها ببعض وظائفه ـ :ـ

ـ " من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين " . "١"

ـ " وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين "."٢"

ـ " فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير " . "٣"

ـ " انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين " . "٤"

٢ ـ وقال تعالى :ـ مبينا الصنف المختص بحمل العرش ـ

" وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " . "٥"

ومبينا : الحافين حول العرش :ـ

" وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين " . "٦"

قال الامام ابن كثير في قوله تعالى : " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " : اى يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة .

وروى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى ، من حملة العرش : ان ما

---

١ ـ سورة البقرة اية (٩٨) .
٢ ـ سورة الشعراء الايات (١٩٢ ـ ١٩٤).
٣ ـ سورة التحريم اية (٤) .
٤ ـ سورة التكوير الايات (١٩ ـ ٢٠) .
٥ ـ سورة الحاقة الايات (١٦ ـ ١٧) .
٦ ـ سورة الزمر اية (٧٥) .

بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام " . "١"

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية"

قال : ثمانية صفوف من الملائكة . "٢"

٣ ـ وعن ملائكة الجنة ، وهم الذين اطلق القران عليهم اسم الخزنة :

قال تعالى : " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين " . "٣"

وقال تعالى : " جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " . "٤"

٤ ـ وعن ملائكة النار " الزبانية " ، والمشرفين على العذاب في جهنم ، وعن " مالك " رئيسهم ، قال تعالى :

ـ " كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع نادية ، سندع الزبانية " . "٥"

ـ " وما ادراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر ، وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ... " الاية "٦"

ـ " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون " . "٧"

---

١ ـ رواه ابو داود : انظر : مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٥٤٣) .

٢ ـ انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار محمد علي الصابوني ، الطبعة السابعة (٣ : ٥٤٣) .

٣ ـ سورة الزمر اية (٧٣) .

٤ ـ سورة الرعد الايات (٢٣ ـ ٢٤) .

٥ ـ سورة العلق الايات (١٥ ـ ١٨) .

٦ ـ سورة المدثر الايات (٢٧ ـ ٣١) .

٧ ـ سورة الزخرف اية (٧٧) .

٥ ـ والملائكة الموكلون ببني ادم اصناف ، ولكل صنف منهم عمله ... ، كما ذكر ابن القيم .

وفيما يلي طائفة منهم وردت بهم النصوص :

أ : ـ منهم الموكلون بنفخ الارواح في الاجنة ، وكتابة مستقبل اعمالها ، واجالها وارزاقها ، وسعادتها او شقاوتها .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق :

" ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله اليه ملكا فيؤمر باربع كلمات : فيكتب عمله ، واجله ، ورزقه ، وشقي او سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ..) الى اخر الحديث . "١"

ب : ـ ومنهم الملائكة الموكلون بمراقبة اعمال المكلفين وحفظها واحصائها وتسجيلها ، وكتابتها في صحف الاعمال ، وعندهم القدرة على علم جميع ما يفعله الناس من خير او شر ، فيحصونه احصاء تاما ، من غير سهو او نسيان ...

قال تعالى : " اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد " . "٢"

وقال تعالى : " كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون " . "٣"

ج : ـ ومنهم المعقبات وهم الحفظة الذين يحفظون الناس بامر الله من شر الاشرار ، الخفي او الظاهر ... فلا يصيب الانسان شيء منها الا ما قدره اللــــه

---

١ ـ متفق عليه .
٢ ـ سورة ق الايات (١٧ ـ ١٨) .
٣ ـ سورة الانفطار الايات (٩ ـ ١١) .

وقضاء ٠٠٠"١"

قال تعالى : " له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ". "٢"

د :— ومنهم ملائكة الموت الموكلون بقبض الارواح ، والذين هم رسل الله للقيام بهذه المهمة .

قال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ". "٣"

وقال تعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ". "٤"

وقال تعالى : " والنازعات غرقا والناشطات نشطا ". "٥"

٦ :— الملائكة الموكلون بامور اخرى في هذا العالم المشهود ، وقد اطلق عليهم القران : " الصافات " ، " الزاجرات " ، " الذاريات " ٠٠٠ الخ "٦"

قال تعالى :

" والذاريات ذروا ، فالحاملات وقرا ، فالجاريات يسرا ، فالمقسمات امرا ". "٧"

وقال تعالى : " والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ". "٨"

---

١ — انظر : تفسير ابن كثير (٤ : ٤٩٧) / وانظر : اضواء البيان ، للشنقيطي (٩ : ١٥٨) :/ وانظر فتح القدير ، للشوكاني (٥ : ٤١٩) .

٢ — سورة الرعد اية (١١) .

٣ — سورة الانعام اية (٦١) .

٤ — سورة السجدة اية (١١) .

٥ — سورة النازعات الايات (١ — ٢) .

٦ — انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ : ٣٠٢) .

٧ — سورة الذاريات الايات (١ — ٣) .

٨ — سورة الصافات الايات (١ — ٣) .

وقد اورد طائفة من المفسرين انها زمر من الملائكة . "١"

وايضا دل الكتاب والسنة على انه سبحانه ، وكل بالجبال ملائكة ، وبالسحاب ملائكة ، وبالمطر ملائكة ... "٢"

(ولا ينافي هذا ما يلاحظ في الكون من قوانين واسباب يرتبط بعضها ببعض ، لان هذه القوانين ، والاسباب انما هي مخلوقات من مخلوقات الله ، والملائكة موكلة بها ايضا ، وموكلة برعايتها ، كما ترعى المخلوقات الاخرى ، ولولا ارادة الله في حفظ هذه الاسباب والقوانين ، ولولا قدرة الله في تسخير الملائكة للحفاظ عليها فان العقل لا يستلزم ابدا بقاءها على هذه الآماد الطويلة في انتظامها وتناسقها) . "٣"

وجملة القول :

فان السلف والخلف جميعا يؤمنون بوجود الملائكة ، وبصفاتهم ، وبطوائفهم ووظائفهم على الصورة التي سبقت من غير تأويل .

وان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، بعيد عن مذهبهم ، ومخالف له ...

ومن العجيب ان يصدر مثل هذا التاويل عن عالم مسلم مثل الشيخ محمد عبده ، وما هي الا غفلة ، نسأل الله ان يسامحه ويعفو عنه .

---

١ ــ انظر تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حقي البروسوي ، دار الفكر (١٠ : ٣٢٤)
وانظر التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، مكتبة ومطابع النهضة (٨ : ٤٠٤) .
وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي ، الطبعة الاولى (٢٦ : ١١٤) ، (٣٠ : ٣٦٤) .
وانظر الكشاف للزمخشري (٤ : ٢١٢) / وانظر تفسير القرطبي ، دار الشعب (٨ : ٦٩٨١) .
وانظر تفسير ابي السعود ، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم (٥ : ١٩٦) ، مطبعة السعادة ، مكتبة الرياض الحديثة .

٢ ــ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
ــ واغاثة اللهفان (٢ : ١٢٠) .

٣ ــ الايمان ، اركانه ، حقيقته ، نواقضه ص ٢٩ .

ب :- رأى الشيخ محمد عبده في " الجن " :

===========================

لم يكتب الشيخ محمد عبده عن الجن - فيما اعلم - بحثا مستقلا ، ولم يخصص لها دراسة يفردها بها ، كما فعل مثلا بالنسبة للنبوة ، والمعجزة ،... وانما جاء كلامه فيها تبعا لكلامه في موضوعات ورد ذكرها فيها .

ولذلك يضطر الباحث عن راى الشيخ محمد عبده في الجن ان يتتبع الموضوعات التي تعرض الشيخ محمد عبده لها بالشرح والبيان ، وكان للجن ذكر فيها .

ومظان ذلك هو القران الكريم الذى ذكر الجن في ايات من سور شتى .

واليك ما وجدته من كلامه في هذه المسألة :

يقول الشيخ محمد عبده :

(ونؤمن بالجن ، ونقول انه لا يعلم تأويل ذلك : اى حقيقة ما تؤول اليه هذه اللفظة - الا الله .

والراسخون في العلم وغيرهم في هذا سواء ، وانما يعرف الراسخون ما يقع تحت حكم الحس ، والعقل ، فيقفون عند حدهم ، ولا يتطاولون الى معرفة حقيقة ما يخبر به الرسل عن الجن ، لانهم يعلمون انه لا مجال لحسهم ، ولا لعقلهم فيه ، وانما سبيله التسليم ، فيقولون : امنا به كل من عند ربنا .) "١"

ويذكر " بلنت " "٢" - صديق الشيخ محمد عبده - ان الشيخ محمد عبده كان يعترف بوجود الجن ، ويقول : ان احدا من الناس لم يرهم ، وليس

---

١ - تفسير المنار (٣ : ١٦٧) .

٢ - الصديق الحميم للشيخ محمد عبده ، هو و " كرومر " ، وقد كان " بلنت " ، مستشرقا عاش في مصر ، وعرف الكثير عنها وعن اهلها ، وكتب مذكراته فيها ، وكان قد عاشر الشيخ محمد عبده ، وكتب الكثير عنه ...

في الامكان ان يعرف شيئا عنهم ." "١"

ومن اوسع ما ورد في تفسير المنار ، بخصوص الجن ، ما جاء في تفسير قوله تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين " . "٢"

وقوله تعالى : " ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا " . "٣"

اولا : يقول الشيخ محمد عبده في تفسير الاية الاولى ، ما معناه :

(فاذا صح الجرى على هذا التفسير — يعني تفسير الملائكة بالقوى الطبيعية فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الاية الى ان الله تعالى لما خلق الارض ، ودبرها بما شاء من القوى الروحانية ، التي بها قوامها ، ونظامها ، وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ، ولا يتعدى ما حدد له من الاثر الذى خص به ، خلق بعد ذلك الانسان واعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى ، وتسخيرها في عمارة الارض ، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذى يفيد معنى الخضوع والتسخير ، وجعله بهذا الاستعداد الذى لا حد له ، والتصرف الذى لم يعط لغيره ، خليفة الله في ارضه ، لانه اكمل الموجودات في هذه الارض .

---

١ — ذكر " بلنت " هذا الراى للشيخ محمد عبده في مذكراته عن يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٣م ، بلندن .
انظر الاعمال الكاملة للامام ، نقلا عن مجلة : كوكب الشرق في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢م .

٢ — سورة البقرة اية (٣٤) .

٣ — سورة النساء الايات (١١٧ — ١١٩) .

واستثنى من هذه القوى ، قوة واحدة عبر عنها ب " ابليس " وهي :
القوة التي لزها الله بهذا العالم لزا ، وهي التي تميل بالمستعد للكمال ،
او بالكامل الى النقص ، وتعارض مد الوجود لترده الى العدم ، او تقطع سبيل
البقاء ، وتعود بالموجود الى الفناء ، او التي تعارض في اتباع الحق ، وتصد عن
الخير ، وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته ،
فيصل الى مراتب الكمال الوجودى التى خلق مستعدا للوصول اليها ، تلك القوة
التى ضللت اثارها قوما ، فزعموا ان في العالم الها يسمى اله الشر ، وما هي باله ،
ولكنها محنة اله لا يعلم اسرار حكمته الا هو .

ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من
ذلك ، والعمدة على اطمئنان القلب ، وركون النفس الى ما ابصرت من الحق) . " ١ "

ويميل الشيخ محمد عبده الى تقرير التمثيل والتخييل في رفض ابليس السجود
لادم ، فيقول :

(وان اباء ابليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع
روح الشر ، وابطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع ، والتخاصم
والتعدى والافساد في الارض .

ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه افراده كالملائكة ، بل اعظم ،
او يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشرى) . " ٢ "

ثانيا : يقول الشيخ محمد عبده في تفسير الاية الثانية :

" وان يدعون الا شيطانا مريدا ... " ، الى اخر الاية ، (اى وما
يدعون الا شيطانا مريدا .

---

١ — تفسير المنار (١ : ٢٦٩) .
٢ — تفسير المنار (١ : ٢٨١) .

قالوا : الشيطان يطلق على العارم "١" الخبيث من الجن والانس ،
والمريد والمارد : المتعرى من الخيرات ... .

اى انهم ما يدعون الا ذلك الشيطان المريد الملعون الذى هو داعية الباطل والشر في نفس الانسان ، بما يوسوس في صدره ويعده ويمنيه ، كما بينه قوله تعالى : " وقال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا " .

والنصيب المفروض : هو ما للشيطان في نفس كل احد من الاستعداد للشر الذى هو احد النجدين في قوله تعالى " وهديناه النجدين " . "٢"

فهذا هو عون الشيطان على الانسان ، وهو عام في الناس حتى المعصومين ، ولكن اخبرنا الله تعالى انه ليس له سلطان على عباده المخلصين ، فاذا هو زين لهم شيئا ، لا يغلبهم على عمله .

فما من انسان الا ويشعر من نفسه بوسوسة الشيطان ، فان لم يكن بالشرك فبالمعصية والاصرار عليها ، او الرياء في العبادة) . "٣"

ثالثا : يرد الشيخ محمد عبده الاحاديث الواردة في بعض صفات الشيطان الخلقية
=== ويعتبرها من قبيل التمثيل والتصوير .

يقـــول :

(وكل ما اوردوه في خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره وجثومه على الصدر او القلب ، ونحو ذلك — فهو من التمثيل والتصوير) . "٤"

رابعا :

=== يرى الشيخ محمد عبده ان ابليس فرد من افراد الملائكة ، ولا فرق بين الجن والملائكة .

---

١ — معناه الفاسد ، والمؤذى ، والشرس ... .
٢ — سورة البلد اية (١٠) .
٣ — انظر الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٢٧٥) .
٤ — نفس المرجع (٥ : ٢٧٥) :/ وانظر تفسير المنار (١ : ٤٣٨ ، ٤٣٩).

يقول في تفسير قوله تعالى " فسجدوا الا ابليس " :

(اى سجدوا كلهم اجمعون الا ابليس ، وهو فرد من افراد الملائكة كما يفهم من الاية ، وامثالها في القصة ...

وليس عندنا دليل على ان بين الملائكة والجن فصلا جوهريا يميز احدهما عن الاخر ، وانما هو اختلاف اصناف عندما تختلف اوصاف ...

فالظاهر ان الجن صنف من الملائكة) ، "١"

وفي هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، موضع لتعقيب :

فأولا :
====

ما ذكره بخصوص الملائكة ، وانه يصح تفسيرهم بالقوى الطبيعية ، وان ابليس واحد من تلك القوى التي لزها الله بهذا العالم لزا ... الخ ،

كل هذا الذى ذكره غير مسلم ، فان هذا التاويل بعيد ، وفيه تعطيل للنصوص الشرعية وفيه مخالفة لمنطوق الايات ومفهومها ...

وقد سبق الرد على هذا ، في النص الذى نقلته عن الاستاذ سليمان دنيا — المشرف على الرسالة — عند الحديث عن راى الشيخ محمد عبده في الملائكة ،

وما يقال في الرد عليه هناك ، يمكن ان يقال هنا .

ثانيا :
====

لكي يتم الرد على ما ادعاه الشيخ محمد عبده من ان الجن صنف من الملائكة ، ولا يعلم ما تؤول اليه حقيقة لفظ " الجن " الا الله ، وانه لا خرطوم للشيطان ولا خطم "٢" ولا منقار ، وانه لا يجثم على الصدر او القلب ، وان كل ذلك ، ونحوه ، من التمثيل والتصوير ... ، لابد ان اذكر راى السلف والخلف ، في : الجن ، وفي علاقتهم مع الناس وموقف الشيطان من الانسان ...

---

١ — تفسير المنار (١ : ٢٦٥) .

٢ — الخطام : الزمام . انظر مختار الصحاح للرازى ص ١٨١ .

لان راى العلماء صريح وواضح في الجن واصنافهم ، وخلقتهم ، وعلاقتهم مع الناس ، كما يبدو ذلك من خلال الايات القرانية الواردة بشأنهم ، والاحاديث النبوية التي ذكرتهم .

واليك راى السلف وجمهور العلماء في ذلك ، مفصلا :

(اولا) : وجوب الاعتقاد بوجودهـم :

======= الجن اوالجان او الجنة : مخلوقات من مخلوقات الله تعالى ، ورد ذكرهم في القران الكريم ، والسنة النبوية المطهرة في كثير من المناسبات ، التي اثبتت وجودهم ، وبينت بعض صفاتهم الخلقية ، وانهم مكلفون بتكاليف شرعية ، وانهم نتيجة ذلك انقسموا الى اقسام متعددة ...

فهم نوع من الارواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الانسان ، لكنهم مجردون عن المادة البشرية ، ومستترون عن حاسة البصر ، فلا يراهم الانسان على الصورة التي خلقوا عليها ، ولهم قدرة على التشكل . "١"

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة القران والسنة ، فان من الناس من رآهم "٢" ، وفيهم من راى من رآهم ، وثبت ذلك عنده ، بالخبر واليقين ، ومن الناس من كلمهم وكلموه ، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ، ويتصرف فيهم ، وهذا يكون لصالحين وغير صالحين .

---

١ ــ انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ١٣٠ /
وانظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، لحبنكة (٢ : ٢٣) .

٢ ــ لعله يريد : من الناس من راى الجن ، وهي متشكلة باشكال معينة ، مثل ان يتشكلوا باشكال بعض الحيوانات ، كالحيـة ، والكلب ...

ولو ذكرت ما جرى لي ولاصحابي معهم لطال الخطاب ، وكذلك ما جرى لغيرنا .

لكن الاعتماد في الاجوبة العلمية على ما يشترك الناس في علمه ، لا يكون لما يختص بعلمه المجيب) . "١"

فلذلك وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجن ، وانهم عالم من جملة العوالم التي خلقها الله تعالى ، واثبتها القران ، والسنة .

وانهم عالم حقيقي ليس وهماً من الاوهام التخييلية ، ولا ضرباً من النفوس البشرية الشريرة ، ولا من القوى الطبيعية ، ...

وانما الجن عالم خفي عن الانظار ، حقيقي الوجود له شأنه واحكامه .. "٢"

(ثانيا) : خلق الجن :

======= خلق الله الجن من مارج من نار .

قال تعالى مبينا اصل المادة التي خلقوا منها : " وخلق الجان من مارج "٣" من نار " . "٤"

وقال تعالى : " والجان خلقناه من قبل من نار السموم "٥" " . "٦"

ففي هاتين الايتين بيان مادة الجن التي خلقهم الله تعالى ، وهي : مارج من نار السموم .

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خلقت الملائكة من نور ، وخلقت الجان من مارج من نار ، وخلق ادم مما وصف لكم " . "٧"

---

١ ــ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٢٣٢) ، (٢٤ : ٢٨٢).
٢ ــ انظر كتاب الايمان بالملائكة عليهم السلام ، لعبد الله سراج الدين ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
٣ ــ مرج الشيء اذا اضطرب واختلط ، فالجن مخلوقون من مختلط من نار .
٤ ــ سورة الرحمن اية (١٥) .
٥ ــ السموم هو لهب النار الخالص .
٦ ــ سورة الحجر اية (٢٧) .
٧ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ : ٢٣٢) .

وقد سبق الحديث عن اصل المادة التي خلق منها الانسان ، واصل المادة التي خلق الله منها الملائكة .

وبهذا نعلم ان الجن عالم مستقل غير عالم الانس ، والملائكة ، وبه تقوم الحجة على الشيخ محمد عبده ، وهذا هو الدليل على ان بين الملائكة والجن فصلا يميز احدهما عن الاخر .

(ثالثا) : صفاتهم الخلقيـــــة :

===== الجن ارواح قائمة في اجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بصور مختلفة . فهم يأكلون ويشربون ، ويتناكحون ويتناسلون ، وينامون ويموتون ، كما هو الحال في عالم الانس .

وقد ورد في النصوص الشرعية ما يبين شيئا من تكوينهم الخلقي ، وبعض صفاتهم العملية ، منها :ـ

أ : ـ ان لهم قدرة على التشكل بالاشكال الجسمية المرئية ، ومنها ظهور بعضهم على صفة مخلوق معين من مخلوقات الله ، كالحية مثلا او كالانسان . "١"

روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :

وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : دعني فاني محتاج ، وعلي عيال ولي حاجة شديدة ، فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

" يا ابا هريرة : ما فعل اسيرك البارحة ؟ "

فقلت : يارسول الله : شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته ، وخليت سبيله ،

---

١ ـ انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١٩ : ٤٤) .

فقال صلى الله عليه وسلم :

" اما انه قد كذبك وسيعود " .

قال ابو هريرة : فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه سيعود .

فرصدته فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : دعني فاني محتاج وعلي عيال ، لا اعود .

فرحمته ، فخليت سبيله ، فاصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" يااباهريرة : ما فعل اسيرك البارحة " ؟

قلت : يارسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله .

فقال صلى الله عليه وسلم : " اما انه قد كذبك وسيعود " .

قال ابو هريرة : فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فاخذته ، فقلت : لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا اخر ثلاث مرات ، انك تزعم انك لا تعود ثم تعود .

فقال : دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها .

قلت : وما هي ؟

قال : اذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي " الله لا اله الا هو الحي القيوم .. "[1] حتى تختم الاية ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان — وفي رواية ابن مردويه — لم يقربك احد من الجن صغير ولا كبير ، ذكر ولا انثى — حتى تصبح .

فخليت سبيله ، فاصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ما فعل اسيرك البارحة ؟ "

---

١ — سورة البقرة اية (٢٥٥) .

قلت : يارسول الله : زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله •

فقال صلى الله عليه وسلم : " وما هي " ؟

قلت : قال لي اذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي حتى تختم الاية : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " ، وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح — وكانوا اى الصحابة احرص شيء على الخير —

فقال صلى الله عليه وسلم : " اما انه صدقك وهو كذوب • تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا ابا هريرة ؟ :

قلت : لا •

فقال : " ذاك شيطان " اى شيطان من الشياطين • " ١ "

ومما ورد في ذلك ما رواه الامام مالك في " الموطأ " عن ابي السائب : وهو يتضمن قصة فتى من الانصار حديث عهد بعرس ، راى امراته واقفة بين الناس فهيأ الرمح ليطعنها بسبب الغيرة •

فقالت امراته : ادخل بيتك لترى ، فدخل بيته فاذا هو بحية على فراشه فركز الرمح فيها ، فاضطربت الحية في راس الرمح ، فخر الفتى صريعا •

فما نرى ايهما كان اسرع موتا : الفتى ام الحية

قال الراوى : فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

" ان بالمدينة جنا قد اسلموا فمن بدا لكم منهم فاذنوه ثلاثة ايام ، فان عاد فاقتلوه ، فانه شيطان " • " ٢ "

ب — ومن صفاتهم انهم يموتون ، ثم يحشرون يوم القيامة ويحاسبون على اعمالهم ، ان خيرا فخير وان شرا فشر •

---

١ — رواه البخارى في صحيحه ، / وانظر رياض الصالحين ص ٥٠٠ •

٢ — انظر العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٣١ ، ٣٢) •

اما ان الجن يموتون : ففي الصحيح من دعائه صلى الله عليه وسلم :

" اللهم اني اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني ، انت الحي الذى لا تموت والجن والانس يموتون " .

وقال تعالى : " والذى قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك امن "١" ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين " . "٢"

واما انهم يحشرون ويحاسبون فلقوله تعالى :

" ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم " . "٣"

ولقوله تعالى :

" وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين " . "٤"

ولقوله تعالى :

" ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين " . "٥"

ولا تكون العقوبة الا بعد ارتكاب مخالفة ناشئة عن تكليف ، ولا يكون التكليف الا لمن كان مستوفيا شروطه ... "٦" .

---

١ ـ اى امن بالبعث ان وعد الله حق لا خلف فيه : انظر فتح القدير (٥ : ٢٠) .

٢ ـ سورة الاحقاف اية (١٨) .

٣ ـ سورة الانعام اية (١٢٨) .

٤ ـ سورة هود اية (١١٩) .

٥ ـ سورة السجدة اية (١٣) .

٦ ـ انظر كتاب العقيدة الاسلامية واسسها ، لعبد الرحمن حبنكة (٢ : ٣٠) .

جـ ـ : ومن صفاتهم ان لهم قدرات كبيرة ، ومهارات صناعية ، وان منهم العفاريت "١" الاشداء ، الاقوياء .

قال تعالى : " قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين . قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوى امين " . "٢"

وقال تعالى : " وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون " . "٣"

وقال تعالى : " ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر "٤" ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب "٥" وتماثيل "٦" وجفان كالجواب "٧" وقدور راسيات "٨" اعملوا

١ ـ جمع عفريت وهو المارد القوى الداهية ، وقيل هو رئيس الجن .
انظر فتح القدير (٤ : ١٣٨) .

٢ ـ سورة النمل الايات (٣٨ ـ ٣٩) .

٣ ـ سورة النمل اية (١٧) .

٤ ـ القطر : النحاس الذائب . قال الواحدى : قال المفسرون : اجريت له عين الصفر ثلاثة ايام بلياليهن كجرى الماء ، وانما يعمل الناس اليوم بما اعطي سليمان : انظر فتح القدير (٥ : ٣١٦) .

٥ ـ الابنية الرفيعة ، والقصور العالية . قال الضحاك : هي المساجد / انظر : فتح القدير (٥ : ٣١٧) .

٦ ـ قيل هي صور الانبياء والملائكة والعلماء والصالحين ، وقيل هي تماثيل اشياء وليست من الحيوان : فتح القدير (٥ : ٣١٧) .

٧ ـ الجفان جمع جفنة وهى القصعة الكبيرة ، والجواب جمع جابية وهي حفيرة كالحوض .

٨ ـ القدور جمع قدر وهو ما يطبخ فيه . قيل هي من النحاس الفارسي ، وقيل : منحوته من الصخر الصم ، ومعنى راسيات : ثابتات على الاثافي لا تتحرك لعظمها .

ال داود شكرا وقليل من عبادى الشكور "." ١ "

وقال تعالى :

" فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب "٢" والشياطين كل غواص وبناء "." ٣ "

ومجموع تلك النصوص يفيد ان الله تعالى سخر لعبده سليمان : الجن يقومون له باعمال البناء ، والغوص في البحار ، والاعمال الصناعية كالقدور والجفان ، والاعمال الفنية كالصور والتماثيل ... الى غير ذلك من اعمال كبيرة مختلفة . "٤"

وقد كانت الصور والتماثيل جائزة زمن سيدنا سليمان ، ثم حرمت في الاسلام .

د : ـ ومن صفاتهم انهم يتناسلون ، ولهم ذرية .

قال تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا "." ٥ "

وقال تعالى :

" واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم "." ٦ "

---

١ ـ سورة سبأ الايات (١٢ ـ ١٣) .
٢ ـ اصاب : اراد
٣ ـ سورة ص الايات (٣٦ ـ ٣٧) .
٤ ـ انظر العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٣٠) / وانظر العقائد الاسلامية ص ١٣٤ .
٥ ـ سورة الكهف اية (٥٠) .
٦ ـ سورة الاحقاف الايات (٢٩ ـ ٣١) .

وقال تعالى :

" وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا "." ١ "

وايات كثيرة تفيد ان لابليس ذرية ، وان النفر الذين استمعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جن " نصيبين " من ديار بكر قرب الشام ، او من جن " نينوى " قرب الموصل .

وان منهم الرجال والنساء ، وانهم يتناكحون ويتناسلون .

وانهم طوائف وفرق متعددة منهم الكافرون ومنهم المؤمنون .

قال تعالى " وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ، واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا "." ٢ "

وانهم كانوا قبل البعثة يسترقون السمع من الملائكة وينقلونها الى قرنائهم من الانس ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ، وحيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت الشهب على كل من يحاول استراق السمع ...

قال تعالى :

" وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا "." ٣ "

وانهم ياكلون ويشربون ولا نعرف كيفية ذلك ، وان الله قد جعل زادهم العظام وروث البهائم والفحم ...

فعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا تستنجوا بالروث ولا بالعظام فانها زاد اخوانكم من الجن "." ٤ "

---

١ — سورة الجن اية (٦) .
٢ — سورة الجن الايات (١٤ — ١٥) .
٣ — سورة الجن الايات (٧ — ٩) .
٤ — رواه مسلم والترمذى .

وعن ابن مسعود ايضا قال : لما قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا :

يا رسول الله انه امتك ان يستنجوا بعظم او روثة او حممة "١" ، فان الله جعل لنا فيها رزقا .

فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك "٢" . ... "٣"

هـ : — ونؤمن ان اول شيطان جني هو ابليس ، كما قال فيه سبحانه وتعالى :

" الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه " . "٤"

وهذا قول كثير من العلماء والعارفين ، وهو راى السلف رضي الله عنهم ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

استدلوا على ان ابليس كان من الجن ، وليس من صنف الملائكة ، بوجوه من الادلة :

الوجه الاول :

========= ان ابليس مخلوق من نار ، بينما الملائكة خلقهم الله من نور ، كما سبق في حديث مسلم عن عائشة .

الوجه الثاني :

========= ان ابليس له ذرية ، اما الملائكة فلا ذرية لهم ، لانهم لا يتصفون بالذكورة ولا بالانوثة . ولا شهوة لهم .

---

١ — الحممة : هي الفحم .

٢ — رواه ابو داود واسناده صحيح .

٣ — بتصرف عن مجموع الفتاوى (١١ : ٣٠٣ — ٣٠٦) ، (١٩ : ٣٢ — ٣٨) .

وانظر : العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٢٦ — ٣١) .

٤ — سورة الكهف اية (٥٠) .

الوجه الثالث :

======== ان ابليس من الجن بنص القران ، والجن ليسوا ملائكة .

قال تعالى : " الا ابليس كان من الجن " .

وقال تعالى : " ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون " . "١"

فدلت الاية على ان الجن صنف غير صنف الملائكة .

الوجه الرابع :

======== ان الملائكة عليهم السلام لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم مسخرون للعبادة .

بينما ابليس اللعين خالف امر ربه ، ولم يسجد لادم ولم يعمل ما امره الله تعالى به .

اما من قال من العلماء : ان ابليس من الملائكة ، فحجته هي :

لو لم يكن ابليس ملكا لما تناوله السجود في الامر بالسجود لادم ، ولما كان تخلفه عن السجود لادم يوجب طردا وابعادا .

وقد اجاب عن ذلك العلماء بان الاستثناء الوارد في الاية استثناء من جنس المأمورين لا من جنس الملائكة .

ويكون التقدير : واذ قلنا للملائكة ولابليس اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس .

وعليه يكون الاستثناء منقطعا .

وايضا : في قوله تعالى لابليس " ما منعك الا تسجد اذ امرتك " "٢" ، اشارة

---

١ - سورة سبأ الايات (٤٠ - ٤١) .

٢ - سورة الاعراف اية (١٢) .

الى ان هناك امرا موجها اليه بالسجود •

ولنستمع الى تحقيق شيخ الاسلام ابن تيمية الذى ذكره في هذه المسألة :

يقول :—

(ومذهب المسلمين واليهود والنصارى ما اخبر الله به في القران وهي :

لم يكن في المأمورين بالسجود احد من الشياطين ، لكن ابوهم ابليس هو كان

مأمورا فامتنع وعصى •

وجعله بعض الناس من الملائكة لدخوله في الامر بالسجود •

وبعضهم من الجن لان له قبيلة وذرية ولكونه خلق من نار ، والملائكة

خلقوا من نور •

والتحقيق : انه كان منهم باعتبار صورته ، وليس منهم باعتبار اصله ولا باعتبار

مثاله •

ولم يخرج من السجود لادم احد من الملائكة لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا

غيرهما) • "١"

وحاصلة : ان ابليس من الجن ، وان الجن جنس من غير جنس الملائكة ،

وان وجودهم مما لا شك فيه ، وان قصة الملائكة وابليس ، والحوار الذى دار بينهم

وبين البارى عز وجل هي على الحقيقة لا على الخيال والتمثيل ،

وان تأويل الملائكة في القصة بقوى النفس الصالحة ، وابليس واحد من قوى

النفس الشريرة ••• غير صحيح ، ومخالف للنصوص الشرعية ، منطوقها ومفهومها ،

وفيه تحريف لكلام الله تعالى عن معانيه المرادة منه ، وصرف له عن الوجه المخبر

عنه الى وجه اخر غيره من غير وجود الداعي الى ذلك ••• والقران الكريم في معزل

عن هذا •••

---

١ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣٤٦) •

يقول الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(هذا القول ونحوه ليس من اقوال المسلمين واليهود والنصارى ، وانما هو من اقوال الملاحدة المتفلسفة الذين يجعلون " الملائكة " قوى النفس الصالحة " والشياطين " قوى النفس الخبيثة ، ويجعلون سجود الملائكة : طاعة القوى للعقل وامتناع الشياطين : عصيان القوى الخبيثة للعقل ، ونحو ذلك من المقالات التي يقولها اصحاب " رسائل اخوان الصفا " وامثالهم من القرامطة الباطنية ، ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة ، والمتعبدة .

وقد يوجد نحو هذه الاقوال في اقوال المفسرين التي لا اسناد لها يعتمد عليه) "١"

رابعــا : ــ بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن ، ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية

خلق الله الجن وهيأهم لقبول العلم والمعرفة ، وجعل لهم ارادة واختيارا ، تماما كما هو الحال مع الانس .

فهم مكلفون بالايمان ، ومأمورون بالعبادة ، ومنهيون عن الكفر والعصيان ، والايات والاحاديث تفيد ذلك .

ومعلوم بالاضطرار انهم احياء عاقلون ، فاعلون بالارادة ... بل مأمورون منهيون . "٢"

قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " . "٣"

وقال تعالى : " يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتــي

---

١ ــ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣٤٦) .
٢ ــ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميــة (١٩ : ١٠) .
٣ ــ سورة الذاريات اية (٥٦) .

وينذ رونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهد نا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين "٠ "١"

وقال تعالى متحديا الثقلين "٢" : الانس والجن :—

" قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "٠ "٣"

ومن الادلة على تبليغ الرسل الدعوة للجن قول الحق جل وعلا :

" واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذ رين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، ياقومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذ نوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين "٠ "٤"

فهذا القول منهم يدل على انهم قد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام ، فلما بلغتهم دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا ما فيها من الحق المصدق لما بين يديه ، راحوا يتعبدون بشريعة الاسلام ٠

ومن المؤكد ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام ارسله الله الى الانس والجن بالقران من عند الله تبارك وتعالى :

قال تعالى : " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "٠ "٥"

وقال تعالى : " قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا "٠ "٦"

---

١ — سورة الانعام اية (٣٠) ٠
٢ — الثقلان : مثنى ثقل وهما : الجن والانس ٠
٣ — سورة الاسراء اية (٨٨) ٠
٤ — سورة الاحقاف الايات (٢٩ — ٣٢) ٠
٥ — سورة الفرقان اية (١) ٠
٦ — سورة الجن الايات (١ — ٢) ٠

وقال تعالى : " سنفرغ لكم "١" ايها الثقلان فبأى الاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأى الاء ربكما تكذبان " . "٢"

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رآهم .

انطلق صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا : ما لكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وارسلت علينا الشهب .

قالوا : ما ذلك الا من شيء حدث . فاضربوا مشارق الارض ومغاربها .

فمر النفر الذين اخذوا تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر .

فلما سمعوا القران استمعوا له ، وقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا الى قومهم وقالوا : " ياقومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا " .

فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : " قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن " . "٣"

قال الحافظ البيهقي :—

(هذا الذى حكاه ابن عباس رضي الله عنهما انما هو اول ما سمعت الجن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم ولم يرهم ، ثم بعد ذلك اتاه داعي الجن فقرا عليهم القران ودعاهم الى الله عز وجل .

---

١ — اى سنفرغ لمحاسبتكم ، ومجازاتكم ان خيرا فخير وان شرا فشر .
٢ — سورة الرحمن الايات (٣١ — ٣٤) .
٣ — رواه الشيخان والنسائي والترمذى والبيهقي .

وهذا يشير الى ما رواه الامام احمد ومسلم وابو داود والترمذى عن علقمة قال :—

قلت لابن مسعود : هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد ؟

قال : ما صحبه منا احد ، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة ، فقلنا : اغتيل او استطير ، ما فعل به ؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم حتى اذا اصبحنا او كان في وجه الصبح ، فاذا نحن به يجيء من حراء ، قال ، فذكروا له الذى كانوا فيه ، فقال :

" اتاني داعي الجن " ، فاتيتهم ، فقرات عليهم ، ، فانطلق فارانا اثرهم واثر نيرانهم ، وسالوه الزاد فقال : " لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما ، وكل بعرة او روثة علف لدوابكم " . "١"

قال النووى :

لكن ابن مسعود اثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على الجن ، فكان ذلك مقدما على نفي ابن عباس .

وقد اشار الى ذلك مسلم فاخرج في صحيحه " رقم ٤٥٠ " في الصلاة ، عقب حديث ابن عباس هذا حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" اتاني داعي الجن فانطلقت معه فقرات عليه القران " . "٢"

قال الحافظ ابن حجر :

ويمكن الجمع بالتعدد . "٣"

وقال ايضا : لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا ان لا يكون اجتمع بهم بعد ذلك "٤" .

---

١ — بتصرف عن مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (١٩ : ٣٠ — ٤٩) . وانظر العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

٢ — انظر جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير الجزرى (٢ : ٤١٤) تحقيق عبد القادر الارناووط ، الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

٣ — فتح البارى (٨ : ٦٧٠) رقم الحديث ٤٩٢١ .

٤ — فتح البارى (٨ : ٦٧٥) .

ويرى شيخ الاسلام ان ابن عباس رضي الله عنهما قد علم ما دل عليه القران من ذلك ، ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة وغيرهما من اتيان الجن اليــه ومخاطبته اياهم . وانه اخبره بذلك في القران وامره ان يخبر به وكان ذلك في اول الامر لما حرست السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء ، وملئت حرسا شديدا ، وكان ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة ...

وبعد هذا اتوه وقرا عليهم القران .

وروى انه قرا عليهم سورة الرحمن ، وصار كلما قال : " فبأى الاء ربكما تكذبان " ،

قالوا : ولا بشيء من الائك ربنا نكذب ولك الحمد . "١"

ويرى شيخ الاسلام ايضا ان الجن مأمورون بالاصول والفروع بحسبهم ، فانهم ليسوا مماثلي الانس في الحد والحقيقة ، فلا يكون ما امروا به ، ونهوا عنه مساويا لما على الانس في الحد لكنهم مشاركون الانس في جنس التكليف بالامر والنهي والتحليل والتحريم .

قال شيخ الاسلام : (وهذا ما لم اعلم فيه نزاعا بين المسلمين ، وكذلك لم يتنازعوا ان اهل الكفر والفسوق والعصيان منهم يستحقون لعذاب النار ، كما يدخلها من الادميين . لكن تنازعوا في اهل الايمان منهم :

فذهب الجمهور من اصحاب مالك والشافعي واحمد وابي يوسف ومحمد الى انهم يدخلون الجنة .

وروى في حديث رواه الطبراني : انهم يكونون في ربض الجنة يراهم الانس من حيث لا يرونهم .

---

١ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١٩ : ٣٨) .
وانظر : الرحيق المختوم ص ١٤٥ .

وذهب طائفة منهم ابو حنيفة ـ فيما نقل عنه ـ الى ان المطيعين منهم يصيرون ترابا كالبهائم ويكون ثوابهم النجاة من النار .

وقد قال تعالى فيما اخبر عنهم :

" وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا " . "١"

قالوا : يعني مذاهب شتى : يهود ونصارى ، ومسلمون : شيعة ، وسنة ..الخ

فاخبر تعالى ان منهم الصالحون ومنهم دون الصالحين ، فيكون :

اما مطيعا في ذلك فيكون مؤمنا .

واما عاصيا في ذلك فيكون كافرا .

ولا ينقسم مؤمن الى صالح والى غير صالح ، فان غير الصالح لا يعتقد صلاحه لترك الطاعات .

فالصالح هو القائم بما وجب عليه .

ودون الصالح لابد ان يكون عاصيا في بعض ما امر به ، وهو قسم غير الكافر .

فان الكافر لا يوصف بمثل ذلك .

وهذا يبين ان فيهم من يترك بعض الواجبات . والله اعلم) . "٢"

---

١ ـ سورة الجن اية (١١) .

٢ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٤ : ٢٣٣ ـ ٢٣٧) .

و (١١ : ٣٠٦) ، (١٩ : ٣٨) ، بتصرف .

علاقة الجن مع الانس وموقف الشيطان من الانسان :

===============================

أ : — علاقة الجن مع الانس :

يذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجن مع الانس على احوال ثلاثة :

(الحال الاول) :

ان من الانس من يامر الجن بما امر الله تعالى به ، وبما امر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عبادة الله وحده ، وطاعة نبيه .

فهذا من افضل اولياء الله تعالى . وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه .

(الحال الثاني) :

ان من الانس من يستعمل الجن في امور مباحة له :

فهو كمن استعمل الانس في امور مباحة له .

وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرم عليهم ، ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

وهذا اذا قدر انه من اولياء الله تعالى ، فغايته ان يكون في عموم اولياء الله .

(الحال الثالث) :

ان من الانس من يستعمل الجن في امور نهى الله عنها ، ورسوله صلى الله عليه وسلم .

كمن يستعملهم في الشرك ، او في قتل معصوم الدم ، او في العدوان عليه بغير القتل ، كتمريضه ، وانسائه العلم ، وغير ذلك مما يتحقق فيه الظلم .

فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان .

ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وان استعان بهم على المعاصي فهو عاص : اما فاسق ، واما مذنب غير فاسق . "١"

وان من الناس من يستعين بالجن فيما يظن انه من الكرامات ، ولم يكن هذا تام العلم بالشريعة .

مثل ان يستعين بهم على الحج ، او ان يحملوه الى عرفات ولا يحج الحج الشرعي معتقدا انه بذلك قد اسقط فرضه ...

فهذا مغرور قد مكروا به ... ولم يفرق بين الكرامات الرحمانية ، والتلبيسات الشيطانية ...

وفرق كبير بين مخارف الشيطان لاوليائه ، وبين كرامات الرحمان لاوليائه . "٢"

ومن الجن من يدخل في بدن الانسي فيتكلم بلسانه ، ويأكل بيده ، خاصة فيمن ابتلوا بالصرع ...

وهو مذهب اهل السنة والجماعة ، خلافا للمعتزلة ، وعلى رأسهم الجبائي وابي بكر الرازى وغيرهما ، فهؤلاء ينكرون دخول الجن في بدن المصروع ، ولم ينكروا وجود الجن .

وابن تيمية رحمه الله يخطؤهم في ذلك ، ويذكر ما ذكره الاشعرى في مقالات اهل السنة والجماعة ، يقولون :

ان الجني يدخل في بدن المصروع ، كما قال تعالى : " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس " . "٣"

وينقل شيخ الاسلام عن عبد الله بن الامام احمد بن حنبل ، انه سأل والده ، قال :

---

١ — بتصرف عن مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١١ : ٣٠٧ — ٣١٠) .
٢ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١١ : ٣١٠) .
٣ — سورة البقرة اية (٢٧٥) .

قلت لابي : ان قوما يزعمون ان الجني لا يدخل في بدن الانسي .

فقال : يابني يكذبون ، هوذا يتكلم على لسانه . "١"

ويذكر شيخ الاسلام ان صرعهم للانس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للانس مع الانس . "٢"

ويجوز شيخ الاسلام تناكح الانس والجن ، وما ينتج عن ذلك من انجاب الولد ،

يقول :

(وقد يتناكح الانس والجن ويولد بينهما ولد ، وهذا كثير معروف ، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه) . "٣"

ولم يبين شيخ الاسلام كيف يتناكح الانس والجن ، واين ؟ وما نوع الولد والى اى الابوين ينتسب ؟ ... واسئلة كثيرة كنا نحب ان نعرف ما عند شيخ الاسلام في هذا كله ...

فلعله ذكره في موضع اخر ، او لعله اكتفى بذكره شفاها للمصطفين من تلاميذه ، واصحابه ، اذ يبدوا ان شيخ الاسلام لم يرد ان يذكر هذا مخافة ان لا يصدقه الناس ، او لان مثل هذا انما يختص بعلمه المجيب - كما قال - يؤيد هذا قوله : (ولو ذكرت ما جرى لي ولاصحابي معهم لطال الخطاب ، وكذلك ما جرى لغيرنا ، لكن الاعتماد في الاجوبة العلمية على ما يشترك الناس في علمه لا يكون لما يختص بعلمه المجيب) . "٤"

ويرى شيخ الاسلام ان الواجب على المسلم ان يستعمل فيهم ما يستعمله في الانس من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الله كما شرع الله ورسوله ، وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وان يعاملهم اذا اعتدوا بما يعامل بـه

---

١ - انظر مجموع الفتاوى (١٢ -: ١٩)

٢ - انظر مجموع الفتاوى (١٩ : ٣٩) .

٣ - انظر نفس المصدر ونفس الصفحة .

٤ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام (٤ : ٢٣٢) ، (٢٤ : ٢٨٢) .

المعتدى ، فيدفع صولهم بما يدفع صول الانسان ، وهو اخبارهم بحكم الله ورسوله واقامة الحجة عليهم تماما كما يفعل بالانس ." "1"

وانه وان يكن لخبثاء الجن بعض التاثير الجسمي والعقلي على احد من الناس ، فانما يؤثرون على من يستكين باوهامه وتخيلاته لسلطانهم من ذكر او انثى ، او يتعرض لتقبل مسهم ، وتخبطاتهم باستعاذته بهم ، والتماسه النفع منهم ، او بغفلته عن ذكر الله ، وتلاوة القران ، او ببعده عن الاوراد المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، او الاستعاذة بالله منهم ... "٢"

قال الله تعالى : " ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون " . "٣"

قال الامام الشوكاني رحمه الله :

(اى ان شأن الذين يتقون الله وحالهم هو التذكر لما امر الله به من الاستعاذة به ، والالتجاء اليه عن ان يمسهم طائف من الشيطان وان كان يسيرا ". "٤"

وقال الامام ابن القيم رحمه الله :

(فلم يجعل الله لعدوه سلطانا على عباده المؤمنين ، فانهم في حرزه وكلاءته ، وحفظه وتحت كنفه ، وان اغتال عدوه احدهم كما يغتال اللص الرجل الفاجر ، فهذا لابد منه ، لان العبد قد بلي بالغفلة والشهوة والغضب ، ودخوله على العبد من هذه الابواب الثلاثة ، ولو احترز العبد ما احترز ، فلابد له من غفلة ولا بد له من شهوة ولا بد له من غضب .

---

١ ــ انظر مجموع الفتاوى (١٩ : ٣٩ ــ ٤٢) بتصرف .
٢ ــ انظر العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٣٢) / وانظر العقائد الاسلامية ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
٣ ــ سورة الاعراف اية (٢٠١) .
٤ ــ فتح القدير ، للشوكاني (٢ : ٢٧٩) .

وقد كان ادم ابو البشر صلى الله عليه وسلم من احلم الخلق ، وارجحهم عقلا ، واثبتهم ، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى اوقعه فيما اوقعه فيه ، فما الظن بفراشة الحلم "١" ، ومن عقله في جنب عقل ابيه كتفلة "٢" في بحر ؟ ولكن عدو الله لا يخلص الى المؤمن الا غيلة على غرة وغفلة ، فيوقعه ويظن انه لا يستقبل ربه عز وجل بعدها ، وان تلك الواقعة قد اجتاحته واهلكته . وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله) . "٣"

ب : — موقف الشيطان من الانسان :

======================

وفيه وجهان :

(الاول) : عداوة الشيطان للانسان .

(الثاني) : التحصن والتحرز من وساوس الشيطان .

واتحدث عن الوجه الاول بشيء من التفصيل :

اقول : ارشد الشارع الحكيم الى عداوة الشيطان للانسان ، وذكر الانسان بأصل هذه العداوة يوم خلق الله ادم — ابو الانسان — وامر ابليس ان يسجد له ، فأبى .

---

١ — كناية عن خفة الحلم وعدم رجحانه .

٢ — هي البصقة الصغيرة التي لا تعدوا موضع الدرهم .

٣ — انظر كتاب : الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب . او الكلم الطيب والعمل الصالح ، لشمس الدين ابي عبد الله بن قيم الجوزيه . حققه وعلق عليه : الشيخ اسماعيل بن محمد الانصاري ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية في المملكة العربية السعودية ، الرياض ص ١٩ ، ٢٠ .

كما نبه الشارع الى ضرورة ان يقف الانسان منه موقف المعادى الحذر ، والمحارب العنيد .

وفي ذلك قال الله تعالى :

" ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا " . "١"

وبين الشارع ان للشيطان وجوها متعددة ، وطرقا ملتوية ، يستعملها في خداع الانسان حتى يوقعه في الهلاك .

ومن هذه الطرق والاساليب :—

١ — التزيين :

قال تعالى : " وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون " . "٢"

وقال تعالى : " تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم " . "٣"

٢ — التخويف :

قال تعالى : " انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين " . "٤"

٣ — ان الشيطان يسعى ليحزن الانسان :

قال تعالى : " انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا " . "٥"

---

١ — سورة فاطر اية (٦) .
٢ — سورة النمل اية (٢٤) ، وسورة العنكبوت اية (٣٨) .
٣ — سورة النحل اية (٦٣) .
٤ — سورة ال عمران اية (١٧٥) .
٥ — سورة المجادلة اية (١٠) .

٤ ــ ان الشيطان يسعى في بث العداوة والبغضاء بين الناس ٠

قال تعالى : " انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله " ٠ "١"

٥ ــ ان الشيطان يعد الانسان بالفقر ، وقد يعدهم بوعود يعود فيها النفع عليهم ٠

قال تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء " ٠ "٢"

وقال تعالى : " يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا " ٠ "٣"

٦ ــ ان الشيطان يقذف في القلب الاباطيل ، والظنون ٠

روى البخارى ومسلم عن علي بن الحسين رضي الله عنهما ان " صفية " زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنها ، قالت :

كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته ازوره ليلا ، فحدثته ثم قمت لانقلب "٤" ٠ فقام معي ، ليقلبني وكان مسكنها في دار اسامة بن زيد "٥" ، فمر رجلان من الانصار ، فلما رايا النبي صلى الله عليه وسلم اسرعا ٠ فقال : النبي صلى الله عليه وسلم : " على رسلكما انها صفية بنت حيي " ٠

فقالا : سبحان الله يارسول الله ٠

فقال صلى الله عليه وسلم : " ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم ، واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا ــ اوقال ــ شيئا " ٠ "٦"

---

١ ــ سورة المائدة اية (٩١) ٠
٢ ــ سورة البقرة اية (٢٦٨) ٠
٣ ــ سورة النساء اية (١٢٠) ٠
٤ ــ اى لاعود ، او لارجع ٠
٥ ــ اسامة بن زيد بن ثابت ، كان يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم الحب بن الحب ٠
٦ ــ متفق عليه ، والشر هو الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم السوء ، فبادر عليه الصلاة والسلام باعلامهما قبل ان يقذف الشيطان في قلوبهما امرا قد يهلكان به ٠

٧ ـ الوســـوسة :

وهي شرها "١" ، وقد نبه المولى عز وجل عباده الى ان خطر الوسوسة الشيطانية كبير وشرها مستطير ...

قال تعالى : " فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما ". "٢"

وقال تعالى : " فوسوس اليه الشيطان قال ياادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ". "٣"

وقال تعالى : " ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم ". "٤"

وثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" يأتي الشيطان احدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ، ولينته ". "٥"

وروى ابو داود عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال ، هذا : خلق الله الخلــق ، فمن خلق الله ؟

فاذا قالوا ذلك ، فقولوا : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد . ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ".

---

١ ـ انظر كتاب : دواء القلوب والابدان من وساوس الشيطان ، تاليف الشيخ عبد الله بن محمد الخليفي ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ص ٦٣ ، ٦٤ .

٢ ـ سورة الاعراف اية (٢٠) .

٣ ـ سورة طـــه اية (١٢٠) .

٤ ـ سورة محمد اية (٢٥) .

٥ ـ متفق عليه .

ومن شر الشيطان ، ووسوسته انه يحاول ان يكفر المسلم ، فان عجز عن ذلك حاول ان يوقعه في الكبائر فان عجز عن ذلك حاول ان يوقعه في الصغائر ، فان عجز عن ذلك حاول ان يشغله بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب عليها ، فيكون قد شغله عما يثاب عليه من فضائل الاعمال . فان عجز عن ذلك حاول ان يشغله بالعمل المفضول عن العمل الافضل ، فان عجز عن ذلك كله حاول ان يشوش عليه فكره ، ويعكر عليه صفاءه ... "١" نعوذ بالله من شره .

وتفصيل الوجه الثاني كما يلي :-

اقول : ان المولى عز وجل خلق كل شي فقدره تقديرا . فهو لم يخلق الخلق عبثا من غير حكمة او تقدير ...

قال تعالى : " افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون " . "٢" "٣"

وان ابليس اللعين واحد من مخلوقات الله تعالى ، خلقه الله لحكمة " ، وجعله اساس البلاء ، ومصدر الفتن في عالم الانس وعالم الجن ، وسلطه على

---

١ — انظر كتاب الايمان بالملائكة عليهم السلام ص ٢٦٤ ، بتصرف .

٢ — سورة المؤمنون اية (١١٥) .

٣ — ذكر الامام ابن القيم رحمه الله تعالى حكما متعددة ، مترتبة على خلق ابليس منها :-

أ — ان تظهر قدرة الرب التعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذه الذات التي هي اخبث الذوات وسبب كل شر في مقابلة ذات جبريل عليه السلام التي هي من اشرف الذوات واطهرها وازكاها ، وهي سبب كل خير ، كما خلق الليل والنهار ، والداء والدواء ، والموت والحياة ... وغير ذلك مما يدل على كمال قدرته .

ب — ظهور اسماء الله القهرية مثل القهار ، الشديد ، المنتقم .. الخ ، فهذه الاسماء والافعال لا بد من وجود ما تتعلق به ، ولو كان الجن والانس على طبيعة الملائكة لم يظهر اثر هذه الاسماء .

جـ — ظهور اثار اسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ، ومغفرته وستره =

كثير من الناس ، ممن فسدت فطرهم ، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ...
والشيطان حريص بالمؤمنين ينتظر فرصته ليوسوس في صدورهم ، ما لم يتحرزوا منه ،
ويتحصنوا بحمى الله للخلاص منه ... ووراء ذلك فضل الله تعالى ورحمته ، وعفوه
ومغفرته ... "١"

وان المرء في حرز الله ، وحفظه ما دام قد اخذ بالاسباب ، المانعة من
وساوس الشيطان ، وضرره ...

وقد ارشد الشارع الحكيم الى جملة من الاسباب التي تعين المسلم في التغلب
على الشيطان ، والتخلص من شره ... .

= وعتقه لمن شاء من خلقه ، فلولا خلق الاسباب المفيضة الى ظهور اثار هذه
الاسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد .

د :ـ ظهور اثار اسماء الحكمة والخبرة ، فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء ،
وهو اعلم حيث يجعل رسالته ، واعلم بمن يصلح لها ، ويشكر له جميل
صنعه .

هـ :ـ اظهار ، واستخراج العبوديات المتنوعة التي لولا خلق ابليس لما
ظهرت : كالجهاد ، والموالاة ، والمحبة في الله ، والكره في الله ،
والتوبة ، والاتعاظ والحذر من الغرور ... وغير ذلك كثير .

/ انظر : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، مطبعة
انصار السنة المحمدية سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦م (٢ : ١٩٤) .

١ ـ انظر : الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ، لزيد بن عبد العزيز بن
فياض ، المطبعة اليوسفية ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م ،
ص ٣٥٦ .

ومن هذه الاسباب :ـ

أ :ـ التعوذ بالله تعالى من نزغ الشيطان . "١"

قال تعالى : " واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله " . "٢"

وهناك سور في القران ، تسمى بالمعوذات ، وهي :ـ

سورة الاخلاص : قال تعالى :

" قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " .

وسورة الفلق : قال تعالى :

" قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد " .

وسورة الناس : قال تعالى :

" قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " .

وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، امته وجوها من التعوذ حسب مقتضى الحالات التي هم فيها :

١ ـ فمن ذلك : التعوذ حالة الغضب :

ففي صحيح البخارى عن سليمان بن صرد قال :

كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان : فاحدهما احمر وجهه وانتفخت اوداجه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

" اني لاعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد ... " الحديث .

---

١ ـ النزغ : الوسوسة وان قلت . / انظر الوابل الصيب لابن القيم ص ٢٤٠ .

٢ ـ سورة الاعراف اية (٢٠٠) ، وسورة فصلت اية (٣٦) .

٢ ـ ومن ذلك التعوذ عند رؤيا يكرهها :

كما في الصحيحين عن ابي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" اذا راى احدكم في منامه الرؤيا يحبها فانما هي من الله ، فليحمد الله عليها ، ويتحدث بها ، واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان ، فليستعذ بالله من شرها ، ولا يذكرها لاحد ، فانها لا تضره " .

وفي رواية لمسلم : " فليبصق عن يساره ثلاثا ، وليتعوذ بالله من الشيطان ، ويتحول عن جنبه الذى كان عليه " .

٣ ـ ومن ذلك التعوذ عند دخول الخلاء :

روى ابو داود وابن ماجة بسند حسن عن زيد بن ارقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ان هذه الحشوش "١" محتضرة "٢" فاذا اتى احدكم الخلاء فليقل : اعوذ بالله من الخبث والخبائث " . "٣"

ب :ـ التسمية بالله .

التسمية بالله وقاية من شر الشيطان ، لانه لا يضر مع اسم الله شيء .

وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين وجوها من التسمية ، منها :

١ ـ التسمية على الطعام ، وعند دخول الرجل بيته وخروجه منه .

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

١ ـ الحشوش ، امكنة الخلاء .
٢ ـ محتضرة : اى يحضرها الشياطين .
٣ ـ قيل : ذكران الشياطين واناثهم .

يقول :

" اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ،
قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء .

واذا دخل ولم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : ادركتم المبيت .

واذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان : ادركتم المبيت والعشاء "

وفي السنن عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

" من قال اذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا
حول ولا قوة الا بالله ، فيقال له حسبك : هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه
الشيطان "

٢ — التسمية عند الجماع .

ففي الصحيحين ، والمسند عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال :

" لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله فقال : بسم الله . اللهم
جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا .

فانه ان قضي بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان ابدا " . "١"

٣ — التسمية على آنية الطعام ، وعند اغلاق الباب ، واطفاء المصباح ... ونحو
ذلك .

كما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

---

١ — اى لم يضره باضلاله واغوائه ببركة التسمية ، فلا يكون للشيطان عليه سلطان ،
ولا يلزم منه عصمة الولد من الذنب ، بل انه يكون حسن العاقبة ، ويموت
على الايمان باذن الله .

" اذا استجنح الليل فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ ، فاذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم ، واغلق بابك واذكر اسم الله ، فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا ، واطفأ مصباحك واذكر اسم الله ، واوك سقاءك "١" واذكر اسم الله ، وخمر اناءك "٢" واذكر اسم الله " .

جـ ـ : قراءة اية الكرسي ... :

وقد تقدم حديث ابي هريرة في الصحيح ان من قرا اية الكرسي اذا اوى الى فراشه ، فانه لن يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

وكذلك قراءة خواتيم سورة البقرة ، من قوله تعالى : " لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ... " الى اخر السورة "٣"

روى الترمذى عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بألفي عام ، انزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال ، فيقربها شيطان " .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ان الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة " . "٤"

وانما ورد الخبر في الحث على سور وايات مخصوصة فلانه ابلغ في زجر الشيطان وطرده ، وهو يجزى عن بقية القران ـ والله اعلم ـ

ومعلوم ان القران اذا تلاه المؤمن نزلت الملائكة ، وحفته ، فلا يبقى مجال لوجود الشياطين ، والافضل ان يقرأ القران جهرا .

---

١ ـ اى شد عليه رباطه .

٢ ـ اى ضع عليه غطاء .

٣ ـ سورة البقرة الايات (٢٨٤ ـ ٢٨٦) .

٤ ـ رواه مسلم ، وانظر رياض الصالحين ، ص ٤٩٩ .

د ـ الاكثار من ذكر الله .

ذكر الله سبب في نزول الملائكة حول الذاكرين ، وهذا يعني خروج الشيطان من مجالسهم .

والاكثار من الذكر مطلوب ، ومحمود ، وهو من صفات المسلمين المؤمنين ، قال تعالى : " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما " . "١"

روى البيهقي وابن ابي الدنيا وابو يعلي عن انس مرفوعا : " ان الشيطان واضع خطمه "٢" على قلب ابن ادم ، فان ذكر الله خنس ، وان نسي التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس " .

قال قتادة : ان الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في الانسان ، فاذا غفل ابن ادم عن ذكر الله ، وسوس له ، واذا ذكر العبد ربه خنس " . "٣"

قال مقاتل : ان الشيطان في صورة خنزير يجري من ابن ادم مجرى الدم في عروقه . "٤"

واخرج ابو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الحق جل وعلا " الوسواس الخناس " ، قال :

مثل الشيطان كمثل ابن عرس ، واضع فمه على فم القلب ، فيوسوس اليه فان ذكر الله خنس ، وان سكت عاد اليه ، فهو الوسواس الخناس . "٥"

---

١ ـ سورة الاحزاب اية (٣٥) .

٢ ـ الخطم : هو الفم .

٣ ـ انظر فتح القدير للشوكاني (٥ : ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

٤ ـ المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٥ ـ نفس المصدر ونفس الصفحة .

وفي ختام الكلام عن صلة الشيطان بالانسان ، والكيفية العملية في مقاومة الشيطان ، ورد كيده ، انهي كلمة جامعة للاستاذ الشيخ " سيد سابق " عن هذا الموضوع ، فقد قال في كتابه " العقائد الاسلامية " "١" :

(ان الله لم يذكر في كتابه — القران — النفس الامارة بالسوء ، ولا النفس اللوامة ، الا مرة واحدة .

ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه في صور متنوعة .

وما فعل ذلك الا ليكون الانسان منه على حذر كي لا يضل ، ولا يشقى ، ذلك ان عمل الشيطان في النفس مثل عمل الميكروب في الجسم ، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهجم عليه محاولا القضاء عليه ، والفتك به ، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب الا اذا كانت له حصانة ، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب وتقضي على ضراوته .

وكذلك الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومرضها ، فيهجم عليها محاولا افسادها ، ولا خلاص منه الا اذا صحت النفس من امراضها ، التي هي المداخل الحقيقية للشيطان ووسوسته .

وامراض النفس التي هي مداخل الشيطان هي نقائص الانسان التي يجب عليه ان يتخلص منها ، حتى لا يكون للشيطان سبيل عليه .

وهذه الامراض او هذه النقائص هي على سبيل المثال لا الحصر :

الضعف ، واليأس ، والقنوط ، والبطر ، والفرح و والعجب ، والفخر ، والظلم ، والبغي ، والجحود ، والكنود ، والعجلة ، والطيش ، والسفه ، والبخل ، والشح ، والحرص ، والجدل ، والمراء ، والشك ، والريبة ، والجهل ، والغفلة ، واللدد في الخصومة ، والفجور ، والغرور ، والادعاء الكاذب ، والهلع ، والجزع ، والمنع ، والتمرد ، والعناد ، والطغيان وتجاوز الحدود ، وحب المال ، والافتتان بالدنيا ، ...

---

١ — العقائد الاسلامية ، لسيد سابق صفحة (١٤٨ — ١٥٠) .

فهذه هي امراض النفس ، وبواسطتها يتدخل الشيطان ليدمر حياة الانسان ، وليزحزحه عن فضائله العليا .

ولا سبيل الى طرده ، ومعالجة وسوسته واغرائه الا اذا عولجت النفس اولا عن طريق المجاهدة حتى تبرأ من هذه الامراض جميعها ، وتعود اليها الصحة والعافية وتكون نفسا مطمئنة بالحق والخير .

وحينئذ يكون ذكر الله ، والاستعاذة به من الشيطان والتبرئ من الحول والقوة ، واسلام الوجه لقيوم السموات والارض مما يقوى من معنويات الانسان ، ويرفع من مستواه الروحي ، حتى يصل الانسان الى درجة يخاف فيها الشيطان من ان يلقاه في طريق من الطرق ، كما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

روى البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : "١"

" ياابن الخطاب : ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك " .

ان سعادة الانسان لا تتم الا بكبح جماح النفس ، والتغلب على هواها ، باتباع وحي الله ، ومحاربة نزغات الشيطان .

قال تعالى :

" وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون " . "٢"

وقال تعالى :

" قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " .) "٣"

الى هنا . ونأتي الى ختام كلام السلف ، وجمهور العلماء ، في عالم الجن .

---

١ ـ الفج هو الطريق .

٢ ـ سورة المؤمنون اية (٩٨) .

٣ ـ سورة الناس .

وقد تبين من خلا له بطلان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في الجن ، وان ابليس هو القوة الشريرة التي استثنيت من القوى الروحانية التي بها قوام الارض ونظامها .

وايضا : قوله ان الجن صنف من الملائكة .

واخيرا : فساد قوله ان خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره ، وجثومه على الصدر او القلب ، ورد مورد التمثيل والتصوير حتى يفهمه الناس ، وليس شيء من ذلك على الحقيقة ... .

وكأن الناس لم يفهموا قول ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر رضي الله عنهما ، قالت :

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندى ليلا فغرت عليه ، فجاء ، فرأى ما اصنع ، فقال : " مالك ياعائشة ؟ اغرت ؟ " .

قلت : ومالي لا يغار مثلي عليك ؟

فقال : " اقد جاءك شيطانك " ؟

قلت : يارسول الله ؛ او معي شيطان ؟

قال : " نعم " .

قلت : ومع كل انسان شيطان ؟

قال : " نعم " .

قلت : ومعك يارسول الله ؟

قال : " نعم ، ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم " . "١"

---

١ — رواه مسلم .

٢ — موقفه من اليوم الاخـــر .

===================

وهذا يعني الحديث بصورة اجمالية عن موقف الشيخ محمد عبده من الحقائق الغيبية التي اخبر الله بها في القران ، واخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما يكون بعد الموت من :

فتنة القبر ، وسؤاله ، وعذابه ، ونعيمه ، وما يتعلق بالساعة واشراطها ، ويوم القيامة واحداثه من البعث والحشر ، والعرض والحساب ، والجزاء ، والصراط ، والحوض والشفاعة ، والجنة والنار وما اعد الله لاهلهما جميعا .

واليك بيان موقف الشيخ محمد عبده من هذه الامور :—

لقد حدد الشيخ محمد عبده موقفه من عالم الاخرة بقوله :—

(والاخرة عالم اخر ، غير عالم الدنيا التي نحن فيها ، فنؤمن بما ورد به الخبر في وصفه ، ولا نبحث عن حقائقه ما دام الوارد غير محال) . "١"

وتكلم الشيخ محمد عبده عن اهمية هذا الركن من اركان الدين ، وذكر اهتمام القران به ، والحكمة من ذلك .

يقول الشيخ محمد عبده عند تفسير قوله تعالى " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر ... " . "٢"

(ابتدأ بذكر الايمان بالله واليوم الآخر لانه اساس كل بر ، ومبدأ كل خير ، ولا يكون الايمان اصلا للبر ، الا اذا كان متمكنا من النفس بالبرهان ، مصحوبا بالخضوع والاذعان ...

يذكر القران الايمان باليوم الاخر كثيرا ، وانما المراد به ماله من هذه الاثار التي شرحها في ايات كثيرة ومن اجمعها هذه الاية التي نفسرها الان ...

---

١ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣١٢) .

٢ — سورة البقرة ، اية (١٧٧) .

والايمان باليوم الاخر يعلم الانسان ان له حياة في عالم غيبي اعلى من هذا العالم ، فلا يرض لنفسه ان يكون سعيه وعمله لاجل خدمة هذا الجسد خاصة لان ذلك يجعله لا يبالي الا بالامور البهيمية ، ولا يرض لنفسه بالاولى ان يكون عبدا ذليلا لبشر مثله ، للقب ديني او دنيوي ، وقد اعزه الله بالايمان) . "١"

اقول : ان الشيخ محمد عبده يؤمن بعالم الاخرة وحسبما ورد الخبر في وصفه من غير ان يتزيد على الوارد بشيء من عند نفسه ، ما دام العقل يجوز الخبر ولا يحيله .

وسنرى فيما بعد كيف يؤول الشيخ محمد عبده ، بعض ما ورد به الخبر كالميزان ، والكوثر ...

اما ما ذكره الشيخ محمد عبده : من اهتمام القران باليوم الاخر ، والحكمة من ذلك ، فلا غبار عليه .

ذلك ان القران الكريم حافل بذكر اليوم الاخر ، مهتم بتقريره في مواضع كثيرة ، ومنبه اليه في كل مناسبة ، ومؤكد وقوعه بشتى الاساليب العربية . "٢"

ومن مظاهر الاهتمام بهذا الركن العظيم في القران الكريم انه كثيرا ما ربط الايمان به بالايمان بالله عز وجل ، كما ذكر الشيخ محمد عبده في تفسير الاية السابقة .

يؤكد هذا قول الحق جل وعلا : " ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " . "٣"

وقوله تعالى : " ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر " . "٤"

---

١ ــ تفسير المنار (٢ : ١١٣) .

٢ ــ انظر : كتاب الايمان ، للدكتور محمد نعيم ياسين ص ٥٨ .

٣ ــ سورة البقرة اية (٦٢) .

٤ ــ سورة البقرة اية (٢٣٢) .

وقوله تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر " ، " ١ "

وقوله تعالى : " اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين " . " ٢ "

وامثال هذه الايات كثير جدا في كتاب الله عز وجل .

ومن مظاهره ايضا : اكثار القران من ذكر اليوم الاخر بأساليب كثيرة ، ومتنوعة ، وكثرة ما سماه الله من الاسماء التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه من الاهوال .

ومن اسمائه ما يلي :ـ " ٣ "

١ ـ يوم البعث : لان فيه بعث الجسد للحياة الاخروية .

٢ ـ يوم الخروج : لان فيه خروج الناس من قبورهم الى الحياة الاخرى .

٣ ـ يوم القيامة : لان فيه قيام الناس الى الحساب .

٤ ـ يوم الدين : لان فيه ادانة الخلائق ومجازاتهم على اعمالهم .

٥ ـ يوم الفصل : لان فيه الفصل في الحقوق بالعدل .

٦ ـ يوم الحشر :

لان فيه جمع الخلائق وحشرهم في موقف الحساب .

٧ ـ يوم الجمع :

٨ ـ يوم الحساب : لان فيه محاسبة الناس على اعمالهم في الدنيا .

٩ ـ يوم الوعيد : لان فيه تحقيق وعيد الله للكافرين .

١٠ ـ يوم الحسرة : لان فيه حسرة الكافرين والعصاة على ما فرطوا في جنب الله .

١١ ـ يوم الخلود : لان الحياة في هذا اليوم وفيما بعده حياة خالدة ابدية .

الى غير ذلك من اسماء ملاحظ فيها الاضافة الى الدار التي هي الظرف

---

١ ـ سورة التوبة اية (٢٩) .

٢ ـ سورة العنكبوت اية (٣٦) .

٣ ـ انظر العقيدة الاسلامية واسسها ، للاستاذ عبد الرحمن حبنكة ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

المكاني المقارن لهذه الحياة المادية الثانية • ومنها الاسماء التالية :

١٢ — الدار الاخرة : لان هذه الحياة الثانية حياة للمادة فيها اعتبار ، وهي تتطلب مكانا اطلق عليه اسم الدار •

١٣ — دار القرار : لان فيها الاستقرار الدائم بلا فناء •

١٤ — دار الخلد : لان الاقامة فيها اقامة ابدية خالدة •

كما وردت اسماء اخرى ملاحظ فيها معنى تحقق وقوع ذلك اليوم ، او ملاحظ فيها ما يجرى فيه من احداث جسيمة ، فقد وردت تسمية القيامة بما يلي :

١٥ — الواقعة : اخذا من تحقق وقوعها •

١٦ — الحاقة : لانها تحق كل مجادل ومخاصم في دين الله بالباطل ، اى تغلبه •

١٧ — القارعة : اخذا مما يجرى فيها من قرع شديد ، والقرع هو الضرب الذى يحصل فيه صوت شديد ، ولانها تقرع القلوب بأهوالها •

١٨ — الغاشية : اخذا مما يجرى فيها من غشيان عام للثقلين ، الانس والجن •

١٩ — الطامة : اصل الطامة الداهية ، التي تغلب وتفوق ما سواها من الدواهي ، من قولهم طمّ الشيء اذا غمره • وسميت القيامة بالطامة لما فيها من الشمول والغلبة •

٢٠ — الازفة : اى القريبة ، وسميت القيامة بذلك اشعارا بقربها بالنسبة الى عمر الدنيا القصير ، واعلان قربها يتضمن تحقق وقوعها لزوما •

الى غير ذلك من اسماء كالصاخة ، ويوم الفتح ، ويوم التلاق ، ويوم التغابن •••

واما حكمة ذلك الاهتمام البالغ بهذا الركن العظيم ، فمنها :ـ

١ : ان الايمان باليوم الاخر له اثر كبير في حياة الفرد ، وفي توجيهه وانضباطه ، وسلوكه ، وفي التزامه بالعمل الصالح ، وتقوى الله عز وجل .

٢ : ان الايمان باليوم الاخر يعلم الانسان ان لا يخلد الى الحياة الدنيا ، وما فيها من ملذات . فيكون التذكير باليوم الاخر مخففا من الغلو والاسراف في حب الدنيا ، ومتاعها ، يشير الى هذا قوله تعالى :

" ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل " . "١"

يقول الشيخ محمد عبده :

(وهذا الايمان ركن من اركان الارتقاء البشرى . لانه يبعث البشر الى الاستعداد لذلك العالم الاوسع الاكمل ، ويعرفهم بأن وجودهم اكمل وابقى مما يتوهمون) . "٢"

والى هنا نقف ، لنأتي الى بيان موقف الشيخ محمد عبده من الحقائق الغيبية مما يكون بعد الموت ، ونرى الى اى حد التزم الشيخ محمد عبده ، بكلامه السابق ، وبقوله في مواضع اخرى سبقت : انه على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بعالم الاخرة .

---

١ ـ سورة التوبة اية (٣٨) .

٢ ـ تفسير المنار (٢ : ٣١٩) .

(الامر الاول) : ما يتعلق بالموت :

==========

وهذا ينضوى تحته :

أ : فتنة القبر ، وسؤاله .

ب : عذاب القبر ، ونعيمه .

لم اجد للشيخ محمد عبده ، كلاما تحدث فيه عن فتنة القبر وسؤاله ، او عن عذاب القبر ونعيمه .

وما وجدته له مما يتعلق بالموت هو :

١ — جاء في تفسير جزء عم ، عند قول الحق سبحانه وتعالى : " ثم اماته فأقبره " "١" ما نصـــه :

" فلم يتركه كما يميت سائر الحيوان ، لكنه تفضل عليه " فاقبره " اى جعل له قبرا يوارى فيه ، تكرمة له ، ولم يجعل في غريزة الانسان ان يترك ميته مطروحا على الارض تأكله السباع ...) . "٢"

٢ — جاء في تفسير المنار عند قول الحق سبحانه وتعالى : " كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون " . "٣" ، ما نصه :

(قوله تعالى " ثم يميتكم " بقبض الروح الحي الذى به نظام حياتكم هذه ، فتنحل ابدانكم بمفارقته اياها ، وتعود الى اصلها الميت ، وتنبث في طبقات الارض وتدغم في عوالمها ، حتى ينعدم هذا الوجود الخاص بها) . "٤"

---

١ — سورة عبس اية (٢١) .

٢ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٢٨) .

٣ — سورة البقرة اية (٢٩) .

٤ — تفسير المنار (١ : ٢٤٥) .

٣ ــ وجاء في تفسير المنار عند قول الحق سبحانه وتعالى : " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون " ، ما نصه :

(لابد ان تكون هذه الحياة حياة خاصة غير التي يعتقدها جميع المليين في جميع الموتى ، من بقاء ارواحهم بعد مفارقة اشباحهم ، ولذلك ذهب بعض الناس الى ان حياة الشهداء ، تتعلق بهذه الاجساد وان فنيت او احترقت ، او اكلتها السباع ، او الحيتان .

وقالوا : انها حياة لا نعرفها .

ونحن نقول مثلهم : اننا لا نعرفها . ونزيد : اننا لا نثبت ما لا نعرف .

وقال بعض العلماء الباحثين في الروح : ان الروح انما تقوم بجسم لطيف " اثيرى " في صورة هذا الجسم المركب الذى يكون عليه الانسان في الدنيا ، وبواسطة ذلك الجسم الاثيرى تجول الروح في هذا الجسم المادى ، فاذا مات المرء ، وخرجت روحه فانما تخرج بالجسم الاثيرى وتبقى معه . وهو جسم لا يتغير ولا يتبدل ولا يتحلل .

واما هذا الجسم المحسوس ، فانه يتبدل ويتحلل في كل بضع سنين .

ويقرب هذا القول من مذهب المالكية . فقد روى عن الامام مالك رحمه الله تعالى انه قال :

" ان الروح صورة كالجسد " اى لها صورة ، وما الصورة الا عرض ، وجوهر هذا العرض هو الذى سماه العلماء بالاثير .

واذا كان من خواص الاثير النفوذ في الاجسام اللطيفة والكثيفة ، كما يقولون ، حتى انه هو الذى ينقل النور من الشمس الى طبقة الهواء ، فلا مانع ان تتعلق به الروح المطلقة في الدار الاخرة ثم هو يحل بها جسما اخر تنعم به وترزق ، سواء كان جسم طير او غيره .

وقد قال تعالى في اية اخرى :

" بل احياء عند ربهم يرزقون " . "١"

---

١ ــ سورة ال عمران اية (١٦٩) .

وهذا القول يقرب معنى الاية من العلم .) . "١"

واني اوافق الشيخ محمد عبده فيما قال في النص الاول ، واخالفه في الثاني ، والثالث :

اما الثاني : فلانه يقول بانعدام جميع البدن بعد خروج الروح منه ، من غير استثناء .

خلافا لما عليه السلف وجمهور المسلمين وهو : ان الجسم يبلى كله الا " عجب الذنب " . "٢"

كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب ، منه خلق ابن ادم ومنه يركب " "٣"

وايضا : فان الشيخ محمد عبده لم يستثن اجساد الانبياء ، التي حرم الله على الارض ان تأكل اجسادهم ، كما روى في كثير من الاحاديث .

وقيل ان الشهداء كذلك .

قال شارح الطحاوية : (واما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفن منهم كما هو لم يتغير . فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته الى يوم محشره ، ويحتمل انه يبلى مع طول المدة والله اعلم . وكأنه — والله اعلم — كلما كانت الشهادة اكمل ، والشهيد افضل كان بقاء جسده اطول) . "٤"

---

١ — تفسير المنار (٢ : ٣٩) .

٢ — عظم لطيف في اصل الصلب ، وهو راس العصعص ، وهو مكان راس الذنب من ذوات الاربع .

قاله الحافظ ابن حجر في " الفتح " / انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٦٣ ، الهامش .

٣ — رواه البخارى ومسلم ز ، واحمد بن حنبل واللفظ له في بعض رواياته (٢ : ٤٢٨) وزاد " ويأكله التراب " بعد قوله " يبلى " .

وسنده جيـــد .

انظر شرح الطحاوية ص ٤٦٣ ، الهامش : وانظر مجموع الفتاوى (١٧ : ٢٤٩)

٤ — انظر شرح العقيـــدة الطحاوية ص ٤٥٦ .

واما الثالث ، فلأنه لم يلزم مذهب السلف في الوقوف عند حدود هذا النص وعدم الخوض فيه ، والاكتفاء بما ثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وراح يخوض في مبهم لا يجوز ان يبحث عنه ، ويؤوله بما سماه تقريب معنى الاية من العلم ،

ان الشيخ محمد عبده في الوقت الذى يجوز فيه تعلق روح الشهيد بالاثير ، فيمتزجا حتى يكونا معا كائنا واحدا تنعم به الروح وترتق ...

تراه يخالف مذهب السلف ، وهو :

ان الله تعالى جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما اصيب اخوانكم يعني يوم احد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل مظلة في ظل العرش " . "١"

يقول شارح الطحاوية :

(فانهم لما بذلوا ابدانهم لله عز وجل ، حتى اتلفها اعداؤه فيه ، اعاضهم منها في البرزخ ابدانا خيرا منها ، تكون فيها الى يوم القيامة ، ويكون تنعمها بواسطة تلك الابدان اكمل من تنعم الارواح المجردة عنها ، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير ، او كطير ، ونسمة الشهيد في جوف طير .

وتأمل لفظ الحديثين : ففي الموطأ ان كعب بن مالك كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه " . " ٢ "

---

١ — الحديث رواه الامام احمد ، وابو داود ، والحديث صحيح اخرجه الحاكم وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . / انظر المشكاة (٣٨٥٣) .

٢ — الحديث صحيح ، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤ .

فقوله " نسمة المؤمن " تعم الشهيد وغيره ، ثم خص الشهيد بأن قال :

" هي في جوف طير خضر " .

ومعلوم انها اذا كانت في جوف طير صدق عليها انها طير ، فتدخل في عموم الحديث الاخر بهذا الاعتبار .

فنصيبهم من النعيم في البرزخ اكمل من نصيب غيرهم من الذين ماتوا على فراشهم ، وان كان الميت اعلى درجة من كثير منهم ، فلهم نعيم يختص بهم لا يشاركهم فيه من هو دونهم والله اعلم) . "١"

وموقف السلف من الروح لا يلتقي مع ما ذكره الشيخ محمد عبده ، وجوزه ، لان مذهب السلف هو ان النفس او الروح ، جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوى خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ، ويجرى فيها جريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في الفحم ، وهذا ما يدل عليه الكتاب ، والسنة ، واجماع الصحابة ، وادلة العقل . "٢"

وحاصله : ان السلف رضوان الله عليهم ، يقفون عند حدود الايمان بحياة الشهداء بعد موتهم في سبيل الله تعالى ، عنده سبحانه وتعالى . ولا يكلفون انفسهم البحث عن كيفية حياة الشهداء و ورزقهم ، لان الله سبحانه قادر على احيائهم ، ورزقهم بطريقة لا نعرفها ، لانها من خصائص صنعته سبحانه ، وارادته ...

وان الشيخ محمد عبده مخطىء فيما ذهب الى تجويزه ، وعدم منعه ، يشهد لهذا تلميذه الشيخ رشيد رضا الذى ادرك هذا الخطأ ، فعقب على كلام الشيخ محمد عبده بقوله :

---

١ ــ شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .

٢ ــ انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٣ .

(والمعتمد عند الاستاذ الامام في هذه الحياة هو انها حياة غيبية ، تمتاز بها ارواح الشهداء على سائر ارواح الناس ، بها يرزقون وينعمون ، ولكننا لا نعرف حقيقتها ، ولا حقيقة الرزق الذى يكون بها ، ولا نبحث عن ذلك لانه من عالم الغيب الذى نؤمن به ، ونفوض الامر فيه الى الله تعالى) . "١"

ومما يخفف عن الشيخ محمد عبده ان يقال : كأنما اقتدى بالامام مالك رحمه الله ، وان كان قد زاد عليه خطوة ، ولكن زيادته تعتبر كأنها شرح لكلام مالك .

ثم انه في الوقت ذاته ، يرويه عن بعض العلماء ، ولا ينسبه لنفسه ، غير انه يبدو انه راض عنه .

وايضا مما يخفف عنه انه اراد به ان يقرب الامر الى من يحبون ان يفهموا الامور فهما مطابقا لعلومهم .

والشيخ محمد عبده اذا كان قد حقق لهم هذه الرغبة ، فانه لم ينقض بها شيئا مما قاله السلف . — والله اعلم — .

والسلف رضي الله عنهم ، وكذا من تابعهم من علماء الكلام ، حين يتحدثون عن القبر ، وهو اول منزل من منازل الاخرة ، فانهم يتحدثون عن شيئين : "٢"

(الاول) : عن فتنة القبر ، وسؤال الملكين .

(الثاني) : عن عذاب القبر ، ونعيمه .

وسأتحدث عنهما بايجاز ، لبيان ثبوتهما عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ووقوعهما بعد الموت حقيقة ، لصدق المخبر صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما لم اجد للشيخ محمد عبده كلاما فيه ، — فيما اعلم — واردت ذكرهما وفاء بحق البحث .

---

١ — تفسير المنار (٢ : ٣٩) .
٢ — انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : (٣ : ١٤٥) ، (٤ : ٢٥٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠) ، (٢٤ : ٣٧٩) .

أ : فتنة القبر ، وسؤال الملكين :

مذهب السلف في هذا ان الروح بعد مفارقتها الجسد ، تبقى مدركة تسمع من يزورها ، وتعرفه ، وترد عليه السلام ، ...

قال شيخ الاسلام :—

(وقد استفاضت الاخبار بمعرفة الميت بحال اهله ، واصحابه في الدنيا ، وان ذلك يعرض عليه ، وانه يرى ويدرى ما يفعل عنده ، ويسر بما كان حسنا ، ويتألم بما كان قبيحا) . "١"

والثابت عند السلف في هذا ، هو ما تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوته .

فقد تواترت الاخبار في ثبوت فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، فيجب الايمان بذلك ، واعتقاد ثبوته من غير بحث في كيفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على ذلك ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول . "٢"

والمراد من سؤال القبر عند السلف " السؤال في البرزخ " وهو الفترة بين الموت والبعث . سواء كان السؤال في القبر او غيره . وانما اضيف السؤال الى القبر بالنظر الى ان اكثر الموتى من الناس يقبرون . "٣"

---

١ — مجموع الفتاوى (٢٤ : ٣٠٣) .

٢ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٠ ، وما بعدها .

٣ — انظر العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٣٤٢) .

ومثوى الميت الاخير ، هو في الحقيقة قبره .

وفيما يلي اهم ما وردت به الاحاديث الصحيحة ، والايات في ذلك :

١ ـ : اخرج الشيخان عن اسماء "١" رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من شيء لم اكن اريته الا رايته في مقامي حتى الجنة والنار . فاوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا من فتنة المسيح الدجال . يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فاما المؤمن او الموقن فيقول : هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا ، هو محمد ، ثلاثا ، فيقال : نم صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا به .

واما المنافق او المرتاب ، فيقول : لا ادرى ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته " . "٢"

٢ ـ : اخرج الشيخان عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان العبد اذا وضع في قبره ، وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم ، قال : يأتيه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فأما المؤمن فيقول : اشهد انه عبد الله ورسوله ، قال : فيقال له : انظر الى مقعدك من النار ، قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم : فيراهما جميعا . قال قتادة : (وذكر لنا انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ، ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون . واما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا ادرى ، كنت اقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ، ولا تليت . ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين " . "٣"

---

١ ـ اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ، وهي التي تسمى ب " ذات النطاقين " .

٢ ـ صحيح البخاري مع فتح الباري (١ : ١٤٨) .

٣ ـ متفق عليه . انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ : ٢٠٣) ، وصحيح البخاري مع فتح الباري (٣ : ١٨٤) .

٣ ـ : واخرج الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت " قال : نزلت في عذاب القبر ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله عز وجل " يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة " ، "١" ، "٢"

وهناك احاديث كثيرة ، وردت في كتب الصحاح تثبت فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، رويت بطرق مختلفة عن جمع من الصحابة كعلي ، وزيد ، وابن عباس ، والبراء بن عازب ، وانس ، وابي ايوب الانصارى ، وجابر ، وعائشة وابي سعيد رضي الله عنهم اجمعين ، كلها في سؤال القبر وفتنته ، وذلك خبر متواتر لا يقبل الريب او الاحتمال .

---

١ ـ سورة ابراهيم اية (٢٧) .

٢ ـ متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، / انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٧ : ٢٠٤) .

وانظر فتح البارى شرح صحيح البخارى (٣ : ١٨١) .

ب : عذاب القبر ونعيمــــه :

===================

وبعد فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، يؤمن السلف ، وجمهور العلماء بعذاب القبر ، ونعيمه ، على الوجه الذى اخبربه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا . "١"

وقد تظاهرت على هذا الامر دلائل من الكتاب ، والسنة ،"٢" منها :ـ

١ ـ قال الله تعالى : " وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، والنار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب " . "٣"

فقد توعد الله سبحانه وتعالى ال فرعون بنوعين من العذاب :"٤"

(الاول) : اشار اليه بقوله : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " .

(الثاني) : اشار اليه بقوله : " ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب "

وقد عطف الثاني على الاول . والعطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه ، فلا بد ان يكون المشار اليه اولا غير الثاني .

فاذا كان العذاب الثاني بعد قيام الساعة ، فلا بد ان يكون الاول واقعا بينهم ما بين الموت ، والنشور وهو عذاب القبر .

---

١ ـ يعني من كان مكلفا . فغير المكلفين من الاطفال والمجانين خارجون عن هذا الحكم .

٢ ـ انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٢٦٣ ـ ٢٦٥ ، ٢٨٥ ـ ٣٠٠) .

٣ ـ سورة غافر الايات (٤٥ ـ ٤٦) .

٤ ـ انظر شرح الطحاوية ص ٤٥٠ ، / وكتاب الايمان للدكتور محمد نعيم ص ٦٩ / وكبرى اليقينيات الكونية ص ٣١٤ / والمواقف وشرحه للايجي (٢ : ٤٥٢) .

٢ ـ قال الله تعالى : "ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن اياته تستكبرون ". "١"

فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في هذه الاية : " هذا عند الموت ،

والبسط : الضرب ، يضربون وجوههم وادبارهم ".

قال الحافظ بن حجر : (ويشهد له قوله تعالى في سورة القتال :

" فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوهم وادبارهم ". "٢"

ثم قال : (وهذا وان كان قبل الدفن ، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة ، وانما اضيف العذاب الى القبر لكون معظمه يقع فيه). "٣"

٣ ـ قال تعالى : " ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ". "٤"

فهذه الاية تدل على نفي التسوية بين المطيعين والعاصين في الحياة والممات ، وفترة الممات هي فترة " البرزخ " .

واذا لم يكن الفريقان مستويين في الممات فلا بد ان يكون مجترحوا السيئات معذبين ، والذين امنوا وعملوا الصالحات منعمين ، وهذا هو نعيم القبر وعذابه . "٥"

---

١ ـ سورة الانعام اية (٩٣) .
٢ ـ سورة محمد اية ((٢٧) .
٣ ـ انظر فتح الباري ، لابن حجر (٣ : ١٨٠) .
٤ ـ سورة الجاثية اية (٢١) .
٥ ـ انظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، (٢ : ٣٣٩) .

واما الاحاديث الصحيحة المثبتة لعذاب القبر ، والموضحة لمضمون الايات السابقة فكثيرة ، تبلغ حد التواتر ، اذكر منها :

١ — روى مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه ، اذ حادت به فكادت تلقيه ، واذا اقبر ستة او خمسة او اربعة ، فقال صلى الله عليه وسلم : من يعرف اصحاب هذه الاقبر ؟ فقال رجل : انا . قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا في الاشراك . فقال : ان هذه الامة تبتلى في قبورها ، فلولا ان لا تدافنوا "١" لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذى اسمع منه . ثم اقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار . فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال . "٢"

٢ — اخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : " انهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير . ثم قال : بلى ، اما احدهما فكان يسعى بالنميمة ، واما الاخر فكان لا يستتر "٣" من بوله " . "٤"

---

١ — اى لا يدفن الحي الميت ، خوفا عليه من عذاب القبر ...
٢ — صحيح مسلم بشرح النووى (١٧ : ٢٠٢) .
٣ — اى لا يجعل بينه وبين بوله سترة ، ولا يتحفظ منه ، وفي رواية " يستنزه " . وفي رواية اخرى " يستبرئ " والمعنى واحد .
٤ — متفق عليه ، واللفظ للبخارى .
انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٣ : ١٨٨) .

وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما : " ثم اخذ عودا رطبا فكسره باثنتين ، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ، ثم قال : لعله يخفف عنهما مالم ييبسا ".

٣ — اخرج البخاري ومسلم عن نافع عن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة ، وان كان من اهل النار فمن اهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " . "١"

يقول الامام النووي رحمه الله :

(اعلم ان مذهب اهل السنة اثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " ، وتظاهرت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة . ولا يمتنع في العقل ان يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ، ويعذبه ، واذا لم يمنعه العقل وورد به الشرع ، وجب قبوله واعتقاده) . "٢"

اما كيفية عذاب القبر ، ونعيمه ، وكيفية عودة الروح الى الميت ، فلا يجوز فيه الزيادة على ما ورد به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال شارح الطحاوية :

(ولا نتكلم في كيفيته . اذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول ، فان عود الروح الى الجسد ليس على الوجه المعهود

---

١ — ولا شك ان في هذا تنعيما لمن هو من اهل الجنة ، وتعذيبا لمن هو من اهل النار .
انظر : فتح الباري (٣ : ١١٨) / وصحيح مسلم بشرح النووي (١٧ : ٢٠٠) .

٢ — شرح النووي على صحيح مسلم (١٧ : ٢٠٠) .

في الدنيا ، بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا ...)

وذكر انواع تعلق الروح بالبدن ، واثبت عذاب القبر للنفس والبدن

جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة ، حيث تنعم النفوس وتعذب مفردة عن البدن ،

ومتصلة به ، ثم قال :-

(واعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق

للعذاب ناله نصيب منه ، قبر اولم يقبر ، اكلته السباع ، او احترق حتى

صار رمادا ونسف في الهواء ، او صلب اوغرق في البحر ، ... وصل الى روحه

وبدنه من العذاب ما يصل الى المقبور .

وما ورد من اجلاسه واختلاف اضلاعه ، ونحو ذلك ، فيجب ان يفهم عن

الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه ما لا

يحتمله ، ولا يقصر به عن مراده ، وما قصده من الهدى والبيان ، فكم حصل

باهمال ذلك والعدول عنه من الضلال ، والعدول عن الصواب ما لا يعلمه الا الله) . "١"

وقد ذكر سيد سابق مثل هذا ، ونقل عن الامام ابن القيم رحمه الله قوله :

(مذهب سلف الامة وائمتها ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب ،

وان ذلك يحصل لروحه ، وبدنه ، وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة ،

وانها تتصل بالبدن احيانا ، ويحصل له معها النعيم او العذاب ، ثم اذا كان

يوم القيامة الكبرى ، اعيدت الارواح الى الاجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ،

ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى) . "٢"

الى هنا ينتهي عرضي لمذهب السلف وجمهور المسلمين في فتنة القبر وسؤاله .

وعذابه ونعيمه .

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥١ / وانظر العقائد الاسلامية لسيد سابق (٢٣٠) .

٢ - العقائد الاسلامية لسيد سابق ص (٢٣٠) ، وقد حاولت الرجوع الى مصدر هذا النص في كتب ابن القيم ، فلم يتيسر لي العثور عليه ، خاصة وان ناقله لم يبين مصدره .

اذا علمنا هذا ، فاني اقول :

ان من ينكر هذا من اصله ، فقد انكر معلوما من الدين بالضرورة ، وخالف بذلك ما اتفق عليه اهل السنة والجماعة ، وخالف ايضا امرا اجمعت عليه الاديان السماوية الثلاثة ، "١"

ويكون بذلك الانكار قد سلك مسلكا يؤدى به الى الكفر - والعياذ بالله - لما ثبت من الدليل القاطع فيه .

اما اقراره من حيث الاصل ، والايمان به مجملا مع الارتياب في ان ذلك انما يكون بالروح فقط ، او بها مع الجسم ... فهذا ما نفوض الامر فيه الى الله تعالى .

لكنا نقول له :-

لا حاجة الى الارتياب ، بل لا حاجة الى التاويل ،

فقد ثبت ذلك بالادلة القاطعة ، من القران الكريم ، والسنة ، وتواترت الاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ثبوت ذلك ، فيجب اعتقاد ثبوته والايمان به ، "٢"

---

١ - انظر كتاب : منهاج المسلم ، لابي بكر جابر الجزائرى ، الطبعة الثامنة ص ٤٥ .

٢ - انظر : شرح المواقف (٢ : ٤٥١) .

(الامر الثانـي) : ما يتعلق بالساعة واشراطها :

==============================

اما الساعة فهي الزمن المحدد في علم الله ، لانهاء نظام هذه الحياة الاولى ، قال تعالى :

" ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى "." ١ "

وقال تعالى : " يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار "،" ٢ "

ومذهب الشيخ محمد عبده في الساعة هو : وجوب الايمان بها ، وانها آتية لا ريب فيها ، وان موعدها لا يعلمه الا الله ، اخفاه على الناس كلهم بما فيهم ، رسله وانبياؤه ، وانه ليس لاحد من سبيل الى معرفة ما بقي من عمر الدنيا .

قال تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها "." ٣ "

قال الشيخ محمد عبده :

(كان اهل العناد من قريش ، يعنتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسؤال عن وقت الساعة ، ومتى يقيمها الله ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يردد في نفسه ما يقولون ويتمنى لو امكن الجواب عما يسألون كما هو شأن الحريص على الهداية ، الجاهد في الاقناع ، فنهاه الله عن تمني ما لا يرجى ، وجاء بالنهي في صورة الاستفهام الانكارى حيث قال : " فيم انت من ذكراها "." ٤ "

اى ما هذه الذكرى الدائمة ؟ لست في شيء منها ، اى لا حاجة لك بها ، فان علم ذلك ينتهي الى ربك ، وانما شأنك ان تنذر من يخافها ، فتنبهه من غفلته حتى يستعد لما يلقاه يومها .

---

١ ـ سورة طه اية (١٥) .

٢ ـ سورة ابراهيم اية (٤٨) .

٣ ـ سورة النازعات اية (٤٢) .

٤ ـ سورة النازعات اية (٤٣) .

اما هؤلاء المعاندون فدعهم فانهم لا يعقلون ، ولا تشتغل بالجواب عما يسألون ، فاذا جاءت الساعة ذهبت صورة كل زمان مضى من اذهانهم ، سواء طال او قصر ، فحسبوا انهم لم يلبثوا من يوم خلقوا الى يوم بعثوا الا عشية او ضحاها ، اى طرفا من اطراف النهار لا نهارا كاملا ، وذلك لمفاجأتها لهم على غير استعداد لتوقعها) . "١"

اما مذهبه في علاماتها ، فليس له في ذلك كلام — فيما اعلم — الا في مسألة ظهور المسيح الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام .

واليك ما ذكره الشيخ رشيد رضا في هذا المقام ، نقلا عن شيخه : "٢"

قال الله تعالى : " اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا " . "٣"

قال رشيد : وهاك ما قاله الاستاذ الامام في ذلك :

(يقول بعض المفسرين : " اني متوفيك " اى منومك .

وبعضهم : اني قابضك من الارض بروحك وجسدك .

" ورافعك الي " : بيان لهذا التوفي .

وبعضهم : اني انجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك ، واميتك حتف انفك ، ثم ارفعك الي .

وهذا قول الجمهور . "٤"

---

١ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٢٢ ، ٣٢٣) .

٢ — انظر تفسير المنار ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

٣ — سورة ال عمران اية (٥٥) .

٤ — هذا ليس راى الجمهور ، وسأرد عليه بعد قليل باذن الله .

وللعلماء ههنا طريقتان :

(احداهما) : وهي المشهورة انه رفع حيا بجسمه وروحه ، وانه سينزل في اخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ، ولهم في حياته الثانية على الارض كلام طويل معروف .

واجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القران في تقديم الرفع على التوفي بأن الواو لا تفيد ترتيبا .

(والطريقة الثانية) : ان الاية على ظاهرها وان التوفي على معناه الظاهر المتبادر وهو الاماتة العادية ، وان الرفع يكون بعده ، وهو رفع الروح ، ولا بدع في اطلاق الخطاب على شخص وارادة روحه ، فان الروح هي حقيقة الانسان ، والجسد ،

والجسد كالثوب المستعار ، فانه يزيد وينقص ويتغير ، والانسان انسان لان روحه هي ، هي .

ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في اخر الزمان تخريجان :

(احدهما) :

أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى ، لأنه من أمور الغيب ، والامور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعي ، لان المطلوب فيها هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر . "١"

(وثانيهما) :

تأويل نزوله وحكمه في الارض بغلبة روحه ، وسرّ رسالته على الناس ، وهو ما غلب في تعليمه من الامر بالرحمة ، والمحبة ، والسلم ، والاخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها ، والتمسك بقشورها دون لبابها ، وهو حكمتها ، وما شرعت لاجله .

---

١ — انظر الرد على هذا في المناقشة التالية بعد قليل .

فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ، ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر الفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها ، والمراد منها ، ويأمرهم بمراعاته ، وبما يجذبهم الى عالم الارواح بتحرى كمال الاداب) . "١"

اما عن مسألة : ظهور المسيح الدجال ، فيقول الشيخ رشيد رضا ، ان الشيخ محمد عبده سئل عن المسيح الدجال ، وقتل عيسى له ، فقال :

(ان الدجال رمز للخرافات والدجل ، والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والاخذ بأسرارها وحكمها ، وان القران اعظم هاد الى هذه الحكم والاسرار . وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك ، فلا حاجة للبشر الى اصلاح وراء الرجوع الى ذلك) . "٢"

مناقشة كلام الشيخ محمد عبده ، وتقرير مذهب السلف .

==================================

استطيع ان احدد ثلاث نقاط ، فيما قاله الشيخ محمد عبده ، فيها مجال لتعقيب ، وسأعقب على كل واحدة منها ، وهي :ـ

١ ـ دعوى ان راى الجمهور ان عيسى يموت في هذه الارض ، ثم ترفع روحه ...

٢ ـ قوله ـ نقلا عن اصحاب الراى الثاني ـ (تاويل نزول عيسى وحكمه في الارض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس) ... الخ .

٣ ـ تفسيره الدجال ، بظهور البدع ، وانتشار الخرافات ...

---

١ ـ وايضا : سياتي الرد على هذا .

٢ ـ تفسير المنار (٣ : ٣١٧ ، ٣١٨) .

اقول :ـ

(اولا) : يرد على دعوى راى الجمهور ان عيسى عليه السلام يتوفى في هذه الارض ثم ترفع روحه ... الخ ، بأن راى الجمهور على خلاف ذلك . كما ورد على لسان ائمة التفسير ، واهل الحديث .

فقد اختلف المفسرون في قوله تعالى : " اني متوفيك ورافعك الي " .

فقال قتادة : هذا من المقدم والمؤخر ، وتقديره : اني رافعك الي ومتوفيك ، يعني بعد ذلك .

وقال ابن عباس : اني متوفيك اى مميتك .

وقال وهب ابن منبه : توفاه الله ثلاث ساعات من اول النهار حين رفعه اليه .

وقال مطر الوراق : اني متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت . وكذا قال ابن جرير : توفيه هو رفعه .

وقال الاكثرون : المراد بالوفاة ههنا النوم .

قال الحسن " اني متوفيك " يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه . "١"

كما يرد عليهم بالاحاديث التي تفيد نزول عيسى عليه السلام ، وقتله للدجال . "٢"

واصحاب هذا الراى الذى ذكره الشيخ محمد عبده يردون هذه الاحاديث بأنها أحاديث آحاد ، ولكن لقد ثبت البحث ، والاستقصاء أن هذه الاحاديث متواترة ، وصرح بهذا كثير من رجال الحديث ، وكتب العقيدة . "٣"

---

١ ـ انظر مختصر تفسير ابن كثير (١ : ٢٨٦) ، الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١م .

٢ ـ سيأتي قسم منها ، بعد قليل .

٣ ـ كما في رسالة الشيخ الغماري ، / وفي تفسير ابن كثير (١ : ٥٧٧) . وانظر كتاب : التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، للمحدث الشيخ محمد انور شاه الهندى ، تعليق الاستاذ عبد الفتاح ابي غدة .

وايضا يلزمهم لو اخذوا بهذه الاحاديث المتواترة كما صرح بعضهم بأن الله سبحانه وتعالى يحيى جسد عيسى ليقوم بالدور الموعود به من قتل المسيح الدجال والحكم بالقران والسنة النبوية المطهرة ، في الناس مدة من الزمان كخليفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وهم اذ يقولون باحيائه بعد موته فرارا من مصادمة هذه الاحاديث ، يرتكبون اصعب مما فروا منه ، وهو رفع عيسى بالروح والجسد وان كان ليس هناك اصعب واسهل بالقياس الى قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولكن استبعادهم ان يرفع عيسى بالروح والجسد ، وان يبقي حيا هذه المدة الى ان يجيء وقت نزوله ، اشد استبعادا من احيائه بعد موته ، فهم قد فروا الى ما هو اشد استبعادا .

يقول الاستاذ عبد الرحمن حبنكة :

(وليس في اى امر من هذه الامور الخارقة استحالة على قدرة الخالق العظيم ، فكل من رفع عيسى عليه السلام حيا الى السماء بعد انقاذه من القتلة ، والقاء شبهه على غيره ، ثم استمرار حياته في السماء وفق شروط خاصة تتم بقضاء الله وقدره ، ثم نزوله مرة ثانية الى الارض واقامته الشريعة الاسلامية ، امور ممكنة عقلا لا تحتاج الى اكثر من تعلق ارادة الله وقدرته بها ، واذا اراد الله امرا هيأ له اسبابه) . "1"

(ثانيا) : وقول الشيخ محمد عبده — نقلا عن اصحاب هذا الرأى الثاني — (تاويل نزوله وحكمه في الارض بغلبة روحه ، وسر رسالته على الناس ...) ، غير واضح .

فهل يعني بهذا المعنى حصول ما كان منه ايام نبوته في بني اسرائيل ؟ وهذا المعنى الذى اوضحه الشيخ محمد عبده تفسيرا للنزول يأباه السياق لانه مذكور ضمن اشراط الساعة التي تجيء اخر الزمان ، اى بعد رسالة محمد صلى

---

١ — العقيدة الاسلامية واسسها ، (٢ : ١٣٥) .

الله عليه وسلم ، ومضي وقت طويل عليها ، واذا فيكون معنى غلبة روح عيسى عليه السلام ، وما ذكره معها من امور شيئا يحدث اخر الزمان في اواخر امة محمد صلى الله عليه وسلم .

وذلك بعيد كل البعد لانه في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من هذه المعاني ، التي اتى بها عيسى عليه السلام في بني اسرائيل ما هو اوفى واكمل وانسب بامة محمد صلى الله عليه وسلم ، مما جاء لامة غيرها .

وعلى هذا فأنا لا ارى لهذه الاقوال معنى ، واستبعدها .

وازيد الامر وضوحا بما ذكره العلماء من ان البشرية تدرجت في مراحل كمالها ، فكانت في اول الامر ناقصة ، ثم ترقت الى ان بلغت نهاية كمالها على عهد محمد صلى الله عليه وسلم .

وكانت الشرائع تأتيها بما يناسب كل حالة من هذه الاحوال على ايدي الانبياء الذين ارسلوا اليهم فكانت اخر رسالة هي اكمل الشرائع لتناسب اكمل اطوار الانسانية التي بلغتها .

واذا ، فلا يعقل ان تكون اكمل الشرائع بحاجة الى ان تستمير مما هو انقص منها . — والله اعلم .

وقد ايد الشيخ رشيد رضا هذا المعنى ، فقال :—

(هذا ما قاله الاستاذ الامام في الدرس مع بسط ، وايضاح ، ولكن ظواهر الاحاديث الواردة في ذلك تأباه .

ولأهل هذا التأويل ان يقولوا :—

ان هذه الاحاديث قد نقلت بالمعنى ، كأكثر الاحاديث ، والناقل للمعنى ينقل ما فهمه) . "١"

---

١ — تفسير المنار (٣ : ٣١٧) .

(ثالثا) : اقول :—

ليس هنالك ما يدعوا الى ان نفسر الدجال بظهور البدع والخرافات ، فان ذلك بعيد جدا من ظاهر اللفظ خصوصا ، وقد صوره النبي صلى الله عليه وسلم ، بصورة انسان ، قائلا : انه اعور ، وانه مكتوب على جبينه كافر يقرأها كل متعلم وغير متعلم "١" ،

الى هنا • ينتهي كلام الشيخ محمد عبده في الساعة ، ونزول عيسى عليه السلام ، وظهور الدجال ، وهو كما رايت بعيد عن مذهب السلف ، وجمهور العلماء •

ولكون الشيخ رشيد ملما بالنصوص اكثر من استاذه ، فانه لم يقبل هذا التأويل الامر الذى حدا به الى ان يقول معلقا على كلام استاذه (لكن ظواهر الاحاديث الواردة في ذلك تأباه •••)

وايضا تأويل الشيخ محمد عبده للدجال ، كما سبق فاسد ، ومخالف لما عليه جمهور اهل الحديث ، والفقهاء ، والنظار ••• وهو مذهب الخوارج ، والجهمية ، وبعض المعتزلة • "٢"

وهاك مذهب السلف ، وجمهور العلماء في الساعة واشراطها :—

قال صاحب الطحاوية :

(ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها ، وخروج دابة الارض من موضعها) • "٣"

---

١ — ستأتي بعض النصوص ، بهذا الخصوص ، بعد قليل باذن الله •

٢ — انظر : صحيح مسلم ، بشرح النووى (١٨ : ٥٨) •

٣ — شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٤ •

هذا هو ما يؤمن به السلف . فهم يؤمنون بالساعة ، وانها آتية لا ريب فيها ، وان لها موعدا لا تخلفه ، لا يعلمه الا الله ، وهو مخفي عن الناس كلهم ، وفيهم الرسل ، والانبياء ، وانه ليس في وسع احد — كائنا من كان — ان يعرف كم بقي من عمر الدنيا ومتى تكون الساعة . "١"

وفي ذلك آيات ، واحاديث :

قال الله تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها ، قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون ". "٢"

وقال تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها ". "٣"

وقال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر ". "٤"

وقال تعالى : " يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ". "٥"

---

١ — انظر : مجموع الفتاوى (٤ : ٣٤١ ، ٣٤٢) / وانظر : فتح القدير للشوكاني (٥ : ٣٨١) / وانظر العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ٢٣٩ — ٢٥٠ . / وانظر فتح الباري (١٣/ : ٧٠) وما بعدها .

٢ — سورة الاعراف اية (١٨٧) .

٣ — سورة النازعات الايات (٤٢ — ٤٤) .

٤ — سورة القمر اية (١) .

٥ — سورة الاحزاب اية (٦٣) .

وقال تعالى : " ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ". "١"

اما الاحاديث فسأذكرها عند الحديث عن اشراط الساعة ، ويكفي ان اشير هنا الى ان أحاديث الساعة متواترة يجب الايمان بها ، ويجب ان لا نغتر بمن يدعي انها أحاديث آحاد ، فانهم جهال بهذا العلم ، وليس فيهم من تتبع طرقها ، ولو فعل لوجدها متواترة ، كما شهد بذلك ائمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره . "٢"

---

١ ـ سورة طه اية (١٥) .

٢ ـ من كلام الشيخ ناصر الدين الالباني ، انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٥ ، الهامش .

أشـــراط الســـاعة

============

والسلف يؤمنون بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة وأشراطها ،

ويقولون : قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر للساعة علامات صغرى معظمها يدور حول فساد الناس في اخر الزمان ، وظهور الفتن بينهم ، وبعدهم عن سبل الاسلام وطريق الحق ... وعلامات كبرى .

فأما العلامات الصغرى فقد ورد فيها جملة من الاحاديث الصحيحة اذكر منها : "١"

١ - : ما اخرجه البخاري ومسلم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " بعثت انا والساعة كهاتين " واشار بالسبابة والوسطى . "٢"

وقد اشار صلى الله عليه وسلم باصبعيه : السبابة ، والوسطى للاشارة الى صغر او قلة الفرق بينهما ليدل على ان الفرق بينه وبين الساعة قليل .

وايضا ، فهذا الحديث يدل على ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وختم النبوة والرسالة به ، من علامات قرب الساعة .

ففي الحديث دلالة على ان النبي عليه الصلاة والسلام ليس بينه وبين الساعة نبي اخر ، فهي تليه ، وتأتي بعده وهذا اخبار بقرب وقوعها . "٣"

---

١ - بتصرف : عن كتاب الايمان : اركانه ، حقيقته ، نواقضه ، للدكتور محمد نعيم ياسين ، ص ٧١ وما بعدها .

٢ - انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (١١ : ٢٩٣) .

٣ - انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ٢٣٩ .
وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ : ٢٩٣) .

٢ ـ : وفي حديث جبريل عليه السلام ، انه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال صلى الله عليه وسلم " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فاخبرني عن اماراتها ؟ قال : ان تلد الامة ربتها "١" وان ترى الحفاة العراة ، العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " ، "٢"

٣ ـ : واخرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان "٣" ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ،

---

١ ـ قال ابن حجر في هذا المعنى : ان يكثر العقوق في الاولاد ، فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من الاهانة بالسب ، والضرب ، والاستخدام ، فاطلق عليها ربها مجازا لذلك .

او المراد بالرب : المربي فيكون حقيقة وهذا وجه . والاوجه عندي لعمومه ولان المقام يدل على ان المراد حالة : تكون مع كونها تدل على فساد الاحوال مستغربة . ومحصله : ان الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الامور بحيث يصير المربى مربيا ، والسافل عاليا ، والحفاة ملوك الارض .

/ انظر فتح الباري (١ : ١٠١) .

٢ ـ متفق عليه : انظر فتح الباري (١ : ٩٦ ، ٩٧) / وانظر صحيح مسلم بشرح النووي (١ : ١٥٧) .

قال القرطبي : ومعنى تطاول رعاء الشاء في البنيان : الاخبار عن تبدل الحال بأن يستولي اهل البادية على الامر ، ويتملكوا البلاد بالقهر ، فتكثر اموالهم وتنصرف هممهم الى تشييد البنيان والتفاخر به . وقد شاهدنا ذلك في هذا الزمان / انظر فتح الباري (١ : ١٠١) .

٣ ـ قال ابن حجر : المقصود فئة علي ومن معه ، وفئة معاوية ومن معه .

/ انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٢ : ٧٢) .

دعوتهما واحدة • وحتى يبعث "١" دجالون كذابون قريب من ثلاثين "٢" كل يزعم انه رسول الله • وحتى يقبض العلم "٣" وتكثر الزلازل • ويتقارب الزمان "٤" وتظهر الفتن • ويكثر الهرج وهو القتل • وحتى يكثر فيكم المال • فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته • وحتى يعرضه • فيقول الذى يعرضه عليه : لا ارب لي به • وحتى يتطاول الناس في البنيان • وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتني مكانه • وحتى تطلع الشمس من مغربها "٥" • فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون • فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا • ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه • ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته "٦" فلا يطعمه • ولتقومن الساعة وهو يليط "٧" حوضه فلا يسقي منه • ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها "• "٨"

---

١ — اى يظهر •

٢ — مثل الاسود العنسي صاحب صنعاء • ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة • ومن هؤلاء من المتأخرين مؤسسا القاديانية والبهائية • / انظر العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ٢٤٠ • الهامش •

٣ — اى يقبض علماء الدين • والدعاة الى الله عز وجل • /
انظر العقائد الاسلامية ص ٢٤٠ • الهامش •

٤ — المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان • فتكون السنة في بركتها والانتفاع بها كالشهر • والشهر كالجمعة • والجمعة كاليوم • واليوم كالساعة • / انظر فتح البارى (١٣ : ١٣) •
وانظر : تيسير الوصول الى جامع الاصول • لابن الديبع الشيباني (٤ : ٩١) •

٥ — هذه من العلامات الكبرى • وبقية العلامات المذكورة في الحديث صغرى •

٦ — اللقحة : هي الناقة ذات اللبن •

٧ — اى يصلحه بالطيـــن •

٨ — اخرجه البخارى • انظر فتح البارى (١٣ : ٧٠ — ٧٦) •

هذا الحديث اخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه ، وهو يدل على وقوع بعض امارات الساعة ، ومنها ما وقع فعلا مثل : اقتتال علي ومعاوية ، وظهور الدجالين ، وانقباض العلم ، وكثرة الزلازل ، وتقارب الزمان ، وظهور الفتن ، وكثرة القتل ، والتطاول في البنيان وبقية العلامات لم تظهر بعد .

٤ ـ : وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويكثر النساء ، ويقل الرجال حتى ليكون لخمسين امراة قيم واحد " .

وهذه العلامات وقعت كلها الا العلامة الاخيرة ، التي يبدو انها قريبة الوقوع لكثرة القتل وموت الرجال .

٥ ـ : وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : متى الساعة ؟

فقال : " اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة " قال : وكيف اضاعتها ؟

قال : " اذا اسند الامر لغير اهله فانتظر الساعة " . "١"

٦ ـ : وعن ابي هريرة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر ، والشجر ، فيقول الحجر والشجر : يامسلم ، ياعبد الله ، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ، الا الغرقد فانه من شجر اليهود " . "٢"

٧ ـ : وهناك احاديث اخرى صحيحة ، ذكرت لنا علامات اخرى تظهر قبل قيام الساعة ، ويمكن الرجوع اليها في كتب الصحاح . "٣"

---

١ ـ انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ : ٢٧٩) .

٢ ـ اخرجه الشيخان واللفظ لمسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٤٤) .

٣ ـ تجد ذلك في الصحيحين ، في كتاب الفتن واشراط الساعة ، ... وفي مواضع اخرى متفرقة .

ولا شك ان هذه العلامات يؤمن السلف بها ، وان لم يتواتر الخبر بوجودها لثبوت صحتها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ومن المؤسف حقا ان يظهر من بين المسلمين من يتجرأ على الكلام فيها ، ولا يقبلها ، وهو يعلم انها ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما والامر دين وعقيدة . "١"

واما العلامات الكبرى ، فقد ورد في الاخبار الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذكر عشر منها .

ففي حديث حذيفة بن اسيد الغفاري ، قال : (اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة . قال : انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات ، فذكر : الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، واخر ذلك : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم) . "٢"

واليك بيان ما يحتاج شرحا من هذه الايات :

(الاولى) : الدخان :

================

لقد ورد في بيان امارة الدخان عن عدد من اجلاء الصحابة انه يخرج دخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس المشوي على الجمر . "٣"

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٥ ، الهامش .
٢ ـ اى الى مكان محشرهم ، / انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٨ : ٢٧) .
٣ ـ انظر العقيدة الاسلامية ، واسسها (٢ : ٣٣٦) .

(الثانية) : الدجال :

الدجال هو الكذاب شديد الدجل .

والدجل في اللغة هو التغطية ، وسمي الكذاب دجالا لانه يغطي الحق بباطله .

وان من امارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول صلى الله عليه وسلم بالدجال ، لكثرة تدجيله وكذبه ، يدعي الالوهية ويحاول ان يفتن الناس عن دينهم بما يوجده من خوارق العادات ، وعجائب الامور باذن الله سبحانه وتعالى ، فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين امنوا ، فلا ينخدعون بدجله وضلاله ، ثم يأذن الله بالقضاء على فتنته ، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله .

ومن الاحاديث التي ورد فيها ذكره :

أ — عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، فأثنى على الله بما هو اهله ، ثم ذكر الدجال فقال : " اني لانذركموه ، وما من نبي الا وقد انذره قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه : انه اعور وان الله ليس بأعور " . "١"

ب — روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (لانا اعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، احدهما رأى العين ماء ابيض ، والاخر رأى العين نار تأجج ، فاما ادركن احد فليأت النهر الذى يراه نارا ، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد ، وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة "٢" غليظة مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) . "٣"

---

١ — فتح البارى شرح صحيح البخارى (١٣ : ٩٠) / وصحيح مسلم بشرح النووى (١٨ : ٥٩) .

٢ — بفتح الظاء والفاء وهي جلدة تغشى البصر ، او لحمة تنبت عند المآقي .

٣ — صحيح مسلم بشرح النووى (١٨ : ٦١) .

جـ :ــ وعن النواس بن سمعان ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال :

" ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم ، وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، انه شاب قطط "١" ، عينه طافية ، كأني اشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن ادركه منكم فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته ، وانه خارج خلة "٢" بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالا ، ياعباد الله فاثبتوا ".

قلنا : يارسول الله اوما لبثه في الارض ؟

قال : " اربعون يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر ايامه كأيامكم ".

قلنا : يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم ؟

قال : " لا ، اقدروا له قدره ".

قلنا : يارسول الله وما اسراعه في الارض ؟

قال : " كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم ، فيدعوهم فيؤمنون به ، فيأمر السماء فتمطر ، والارض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم "٣" اطول ما كانت ذرى "٤" واسبغه "٥" ضروعا ، وامده خواصر "٦" ، ثم يأتي القوم فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم

---

١ ــ اى شديد جعودة الشعر .

٢ ــ طريق بين الشام والعراق .

٣ ــ السارحة : هي الماشية التي تسرح اى تذهب اول النهار الى المرعى .

٤ ــ جمع ذروة ، وهي الاعالي والاسنمة .

٥ ــ اى اطوله ، وهي كثيرة اللبن .

٦ ــ لكثرة امتلائها من الشبع .

شيء من اموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : اخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها ، كيعاسيب النحل . "١"

ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين "٢" رمية الغرض "٣" ثم يدعوه فيقبل ، ويتهلل وجهه ويضحك . "٤"

فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين "٥" واضعا كفيه على اجنحة ملكين ، اذا طأطأ رأسه قطر ، واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ "٦" ، فلا يحل لكافر "٧"

---

١ ــ اى كجماعة النحل ، واليعاسيب هي ذكور النحل .

٢ ــ اى قطعتيــــن .

٣ ــ اى يجعل القطعتين قدار رمية السهم الى الهدف .

٤ ــ وفي حديث اخر لمسلم ان الدجال يمشي بين القطعتين ، ثم يقول له : قم فيستوى قائما ، ثم يقول له : اتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت الا بصيرة ، قال : ثم يقول : ياايها الناس انه لا يفعل بعــــدى بأحد من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا ، فلا يستطيع اليه سبيلا ، قال : فيأخذ بيديه ورجليه ، فيقذف به ، فيحسب الناس انما قذفه الى النار ، وانما القي في الجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا اعظم الناس شهادة عند رب العالمين .

٥ ــ حلتين فيهما صفرة خفيفة ، او ثوبين مصبوغين .

٦ ــ اى حبات تشبه اللؤلؤ بصفائها .

٧ ــ اى لا يمكن ، ولا يقع لكافر .

يجد ريح نفسه الا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد "١" فيقتله ، ثم يأتي عيسى الى قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى : اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم ، فحرز عبادي الى الطور "٢" .

ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمر اخرهم ويقول : لقد كان بهذه مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر ، وهو جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من في الارض ، هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنشابهم الى السماء ، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما ، ويحصر نبي الله واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى واصحابه "٣" فيرسل الله عليهم النغف "٤" في رقابهم ، فيصبحون فرسى "٥" كموت نفس واحدة .

ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض ، فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم "٦" ونتنهم .

فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله ، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت "٧" فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله .

---

١ ــ اللد : بلدة معروفة بفلسطين ، من اعمال بيت المقدس .
٢ ــ اى اذهب بهم الى الطور ليكون لهم حرزا .
٣ ــ اى يدعون الله .
٤ ــ وهو دود يكون في انوف الابل والغنم .
٥ ــ اى قتلى .
٦ ــ اى دسمهم .
٧ ــ نوع من الابل طوال الاعناق .

ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ، ولا وبر ، فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة . "١"

ثم يقال للارض : انبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذ تاكل العصابة "٢" من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارك في الرسل "٣" حتى ان اللقحة من الابل "٤" لتكفي الفئام "٥" من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس .

فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت اباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر "٦" فعليهم تقوم الساعة " . "٧"

اقول :ـ هذه الاحاديث ، وغيرها تبطل ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، وهو ان الدجال رمز للخرافات والدجل ، والقبائح ... الخ . وهي حجة لمذهب اهل السنة والجماعة في وجوب الاعتقاد بظهور الدجال حسب ما اخبر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وما وصفه به من الصفات ، وما يؤول امره اليه ، وانه من العلامات الكبرى لقيام الساعة .

قال النووي رحمه الله :

(الاحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب اهل الحق في صحة وجوده ، وانه شخص بعينه ، ابتلى الله به عباده ، واقدره على اشياء من مقدورات الله تعالى . من احياء الميت الذي يقتله ، ومن ظهور

---

١ ـ اى كالمرآة .

٢ ـ اى الجماعة .

٣ ـ الحليب .

٤ ـ وهي الناقة الحلوب .

٥ ـ الجماعة الكثيرة .

٦ ـ اى يتسافدون علانية كتسافد الحمير .

٧ ـ انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٨ : ٦٣) وما بعدها .

زهرة الدنيا ، والخصب معه ، وجنته وناره ، ونهريه ، واتباع كنوز الارض له ، وامره السماء ان تمطر ، فتمطر ، والارض ان تنبت فتنبت ، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك ، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ويبطل امره ، ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا ...

(الى ان قال) :

(وهذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ، خلافا لمن انكره وابطل امره ، من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة ، وخلافا لمن ادعى انه صحيح الوجود وان الذى يدعيه مخارف وخيالات لا حقائق لها ، وزعموا انه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

وهذا غلط من جميعهم ، لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له ، وانما يدعي الالهية ، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ، ووجود دلائل الحدوث فيه ، ونقص صورته ، وعجزه عن ازالة العور الذى في عينه ، وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به الا رعاع من الناس ، لسد الحاجة والفاقة ، رغبة في سد الرمق ، او تقية وخوفا من اذاه ، لان فتنته عظيمة جدا ، تدهش العقول وتحير الالباب ، مع سرعة مروره في الامر ، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ، ودلائل الحدوث فيه والنقص ، فيصدقه من صدقه في هذه الحالة .

ولهذا حذرت الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين من فتنته ، ونبهوا على نقصه ، ودلائل ابطاله . واما اهل التوفيق فلا يغترون به ، ولا يخدعون لما معه لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له ، مع ما سبق لهم من العلم بحاله) . "١"

---

١ ــ انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٨ : ٥٨ ، ٥٩) .

فاذا قيل : كيف يجرى الله الايات الباهرات على يده ، والمعجزات لا تكون الا للانبياء . كما اثبتنا ذلك في الباب الثالث ، في الفصل الخامس عند الحديث عن دلالة المعجزة .؟

فقد قال الخطابي في الجواب عن هذا التساؤل :

(الجواب انه على سبيل الفتنة للعباد . اذ كان عندهم ما يدل على انه مبطل غير محق في دعواه ، وهو انه اعور مكتوب على جبهته كافر ، يقرؤه كل مسلم . فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر ، اذ لو كان الها لازال ذلك عن وجهه .

وايات الانبياء سالمة من المعارضة ، فلا يشتبهان) . "١"

قال ابن حجر :

(وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل على كذبه ، لانه ذو اجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر ، مع ظهور الافة به من عور عينه ، فاذا دعا الناس الى انه ربهم ، فأسوا حال من يراه من ذوى العقول ان يعلم انه لم يكن يسوى خلق غيره ، ويعدله ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه ، فاقل ما يجب ان يقول :

يامن يزعم انه خالق السماء والارض ، صور نفسك ، وعدل لها ، وازل عنها العاهة ، فان زعمت ان الرب لا يحدث في نفسه شيئا فأزل ما هو مكتوب بين عينيك) . "٢"

---

١ ـــ نقله ابن حجر العسقلاني في فتح البارى (١٣ : ٨٩) .

٢ ـــ فتح البارى شرح صحيح البخارى (٣ : ٨٩) .

(الثالثـــة) : الدابـــة •

خروج الدابة من الايات التى اشار الله اليها في القران الكريم •

قال الله تعالى : " واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون " • "١"

وهي دابة عظيمة ، ذات قوائم ، ليست من نوع الانسان ، تخرج في اخر الزمان عند فساد الناس ، وتركهم اوامر الله ، وتبديلهم دينه ، فتكلمهم بأن الناس كانوا بايات الله لا يوقنون • "٢"

اما الاحاديث : ، فقد ورد في ذكر الدابة احاديث كثيرة ، بعضها صحيح • ،

وليس فيما صح من تلك الاحاديث وصف لهذه الدابة ، وما ذكره الناس من اوصافها فقد ورد في روايات لم تبلغ حد الصحة • "٣" والموءمن لا تعنيه معرفة هذه الاوصاف ، وحسبه ان يقف عند النص القراني ، والحديث الصحيح الذى يفيد ان خروج الدابة من علامات الساعة • وانه اذا ما انتهى الاجل الذى تنفع فيه التوبة ، وحق القول على الباقين ، فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك ، وانما يقضى عليهم بما هم عليه • عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم ، وتتعرف على الموءمن وعلـــى الكافر •

قال الامام الرازى :

(واعلم انه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الامور ، فان صح الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل ، والا لم يلتفت اليه) • "٤"

---

١ ـ سورة النمل اية (٨٢) •

٢ ـ انظر : العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٣٣٧) •

٣ ـ انظر : فتح القدير للشوكاني (٤ : ١٥١) •

٤ ـ انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق (٢٤٣) ، نقله عن الامام الرازى •

وان خروج الدابة غيب من الغيوب التي (يجب علينا الوقوف عند ما اخبر به القران والسنة الصحيحة ، ولم يأت فيهما سوى ان دابة ستخرج وتكلم الناس وذلك من امارات الساعة) . "١"

وسيكون كلامها للناس من قبيل كلام الهدهد والنملة مع نبي الله سليمان عليه السلام "٢"

واذا كان الناس لا يعهدون تكليم الدواب ، فان الخالق القادر يمكنها ، ويمكنهم من ذلك . فيفهم منها الناس ، ويعلمون انها الاية الخارقة المنبئة بقيام الساعة ، او اقترابها ، وقد كان منهم من قبل من لا يؤمن بايات الله ولا يصدق بيوم القيامة . "٣"

وحاصله :

ان السلف وجمهور اهل الحديث ، والتفسير يؤمنون بظهور الدابة ، كاحدى علامات يوم القيامة . ويقولون : انه ورد في صفتها ، ومكان خروجها ، وما تصنعه مع الناس احاديث كثيرة بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها ضعيف .

واما كونها تخرج ، وكونها من علامات الساعة فالاحاديث الواردة في ذلك صحيحة ، ومنها ما هو ثابت في الصحيح كحديث حذيفة مرفوعا (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر ايات الدخان ، والدجال ، والدابة ...) فانه في صحيح مسلم ، وفي السنن الاربعة ، وكحديث : (بادروا بالاعمال قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة) فانه في صحيح مسلم ايضا من حديث ابي هريرة مرفوعا .

وكحديث ابن عمر مرفوعا : (ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى) فانه في صحيح مسلم ايضا . "٤"

---

١ ـ العقائد الاسلامية ص ٢٤٣ .
٢ ـ نفس المرجع ص ٢٤٤ .
٣ ـ انظر : في ظلال القران ، لسيد قطب (٦ : ٣٠٨) .
٤ ـ انظر : فتح القدير (٤ : ١٥٣) .

(الرابعة) : طلوع الشمس من مغربها .

=======================

هذه الاية بداية التغيير الذى يحدثه الله على نظام الكون في الحياة الدنيا ، حيث تظهر للبشر امور غير مألوفة تنبؤهم بقرب وقوع الساعة ، اولها طلوع الشمس من المغرب ، وقد كان الناس من قبل يعهدون طلوعها من المشرق .

وقد ورد في بعض الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الاية تكون اول العلامات الكبرى ظهورا .

فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ،

قال : " ان اول "١" الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا " . "٢"

---

١ ـ قال ابن حجر فيما يتعلق بترتيب ظهور علامات الساعة الكبرى ما نصه :
(فالذي يترجح من مجموع الاخبار ان خروج الدجال اول الايات العظام المؤذنة بتغير الاحوال العامة في معظم الارض ، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم . وان طلوع الشمس من المغرب هو اول الايات العظام المؤذنة بتغير احوال العالم العلوى وينتهي ذلك بقيام الساعة .
ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذى تطلع فيه الشمس من المغرب ، والحكمة في ذلك انه عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر ، تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة ، واول الايات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس من المشرق الى المغرب).
فتح البارى شرح صحيح البخارى (١١ : ٢٩٦ ، ٢٩٧).
وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٦ .

٢ ـ فتح البارى (١١ : ٢٩٧) ، وصحيح مسلم بشرح النووى (١٨ : ٧٧) .

وجاء في صحيح البخاري عن ابي هويرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت فرآها الناس امنوا اجمعون فذاك (حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا) . "١"

وقد قال كثير من المفسرين ما حاصله :

معنى الاية : ان الكافر لا ينفعه ايمانه بعد طلوع الشمس من المغرب وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ، ومن لم يعمل صالحا من قبل ، ولو كان مؤمنا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب . "٢"

(الخامسة) : نزول عيسى بن مريم عليه السلام .

=============================

نقد دلت السنة الصحيحة ، واجمعت الامة على ان عيسى عليه السلام ينزل في اخر الزمان ، قرب الساعة ، اثناء وجود الدجال ، فيقتل الدجال ، ويحكم بشريعة الاسلام ثم يمكث في الارض ما شاء الله ان يمكث ، ثم يموت ، ويصلي المسلمون عليه ، ويدفن . "٣"

وقد ورد بذلك احاديث صحيحة ، تقدم بعضها في الحديث الذى رواه النواس بن سمعان ، السابق .

وقد اشار القران الكريم الى نزول عيسى عليه السلام في قوله تعالى :

أ :ـ قال تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا " . "٤"

---

١ ـ سورة الانعام اية (١٥٨) .

٢ ـ انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ : ٢٩٧) .

٣ ـ خلافا لما قاله الشيخ محمد عبده نقلا عن بعضهم ان عيسى يموت في الارض ثم يرفع الله روحه اليه ، والاول هو قول الجمهور ـ .

٤ ـ سورة النساء اية (١٥٩) .

اى ان الاحياء من اهل الكتاب في ذلك الوقت سيؤمنون بعيسى عليه السلام ايمانا صحيحا ، وذلك بان يؤمنوا بانه عبد الله ، ورسوله ، وكلمته القاها الى مريم ، وهذا الايمان به سيكون قبل موته ، وانما يكون ذلك عند نزوله من السماء قبيل الساعة . "١"

ب : — قال تعالى " وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ". "٢"

ففي هذه الاية اشارة الى ان نزوله من السماء اخر الزمان من امارات الساعة ، وعلاماتها قرب وقوعها اخذا من قوله تعالى " وانه لعلم للساعة " كما قال بذلك ابن عباس ، والحسن البصرى ، وقتادة . "٣"

حـ :— قال تعالى " ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ". "٤"

قال ابن زيد : قد كلمهم عيسى عليه السلام في المهد ، وسيكلمهم اذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل "٥" .

ومن الاحاديث الواردة في ذكر نزول عيسى عليه السلام ، ايضا :—

أ :— ما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" والذى نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب "٦"

---

١ — انظر : العقيدة الاسلامية ، واسسها (٢ : ٣٣٥) .

٢ — سورة الزخرف اية (٦١) .

٣ — المرجع السابق (٢ : ٣٣٦) .

٤ — سورة ال عمران اية (٤٦) .

٥ — المرجع السابق (٢ : ٣٣٦) .

٦ — المراد : انه يكسره حقيقة ، ويبطل تعظيم النصارى له ، وقيل ان المراد اظهار كذب النصارى حيث ادعوا ان اليهود صلبوا عيسى عليه السلام على خشب / انظر الدين الخالص (١ : ٩٢) .

ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية "١" ، ويفيض المال "٢" حتى لا يقبله احد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا "٣" من الدنيا وما فيها " . "٤"

ب :ـ ما رواه احمد ، وابو داود ، وابن جرير ، بطرق مختلفة عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الانبياء اخوة لعلات "٥" امهاتهم شتى ودينهم واحد ، واني اولى الناس بعيسى بن مريم ، لانه لم يكن نبي بيني وبينه ، وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه : رجل مربوع ، الى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ، ويهلك المسيح الدجال ، فيمكث في الارض اربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلي عليه المسلمون " .

فهذه الاحاديث وغيرها ، تنص على نزول عيسى عليه السلام ، وهناك احاديث اخرى صحيحة ، يغنينا عنها ما ذكرنا . "٦"

---

١ ـ المقصود بوضع الجزية : ان عيسى عليه السلام يسقطها عن اهل الكتاب فلا يقبل منهم الا الاسلام وهذا يدل على ان قبول الجزية في الاسلام ، محددا بنزول عيسى عليه السلام وليس في وضع عيسى للجزية نسخ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم . / انظر الدين الخالص (١ : ٩٣) .

٢ ـ اى يكثر المال بسبب ما ينشره عيسى عليه السلام من العدل بين الناس .

٣ ـ المقصود ان رغبات الناس في اقتناء المال تقل لقصر امالهم ، وعلمهم بقرب وقوع الساعة ، وتكثر رغبتهم في العبادة ، والطاعة .

٤ ـ متفق عليه .

٥ ـ قال ابن الاثير في النهاية :

اولاد العلات : الذين امهاتهم مختلفة وابوهم واحد . اراد ان ايمانهم واحد ، وشرائعهم مختلفة .

انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٢٩ .

٦ ـ انظر : صحيح البخاري مع فتح الباري (٧ : ٣٠٢) / وصحيح مسلم =

وخلاصتها :

انها احاديث متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، تفيد اليقين بنزول عيسى عليه السلام . وهي من رواية جمع من الصحابة منهم : ابو هريرة ، وابن مسعود وعثمان بن ابي العاص ، وابو امامة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، ومجمع بن حارثة ، وحذيفة بن اسيد ، رضي الله عنهم اجمعين .

فيجب على كل مسلم ان يصدق بذلك ، وان يعتقد بما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبما اجمع عليه المسلمون ، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله . كما قال القاضي عياض :

(نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق ، وصحيح عند اهل السنة للاحاديث الصحيحة في ذلك ، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله ، فوجب اثباته . وانكر ذلك بعض المعتزلة ، ومن وافقهم ، وزعموا ان الاحاديث مردودة بقوله تعالى : " وخاتم النبيين " ، "١" وبقوله صلى الله عليه وسلم " لا نبي بعدي " وباجماع المسلمين انه لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وان شريعته مؤبدة الى يوم القيامة لا تنسخ .

وهذا الاستدلال فاسد ، لانه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام انه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ، ولا في هذه الاحاديث ولا في غيرها شيء من هذا

= بشرح النووي (٢ : ١٨٩) ، وصحيح الترمذي (٩ : ٧٦) / وسنن ابن ماجة المجلد الثاني كتاب الفتن .

والفتح الرباني (٢ : ١٤٣) للساعاتي ، مطبعة الفتح الرباني ، الطبعة الاولى .

١ــ سورة الاحزاب اية (٤٠) .

بل نصت هذه الاحاديث انه ينزل حكما مقسطا يحكم بشرعنا ، ويحيي من امور شرعنا ما هجره الناس) . "١"

ويجب ايضا على كل مسلم ان يعتقد بما اخبر به القران من ان عيسى عليه السلام لم يقتله اليهود ، ولم يصلب ، وانما رفعه الله اليه ، وانه لن يموت حتى ينزل قبل قيام الساعة ، كما مر .

قال الله تعالى : " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا " . "٢"

فانظر الى قوله تعالى " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " .

وفي تفسير قوله تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته " . تجد ان عيسى عليه السلام لم يمت ، ولم يصلب ، وسوف يؤمن به اهل الكتاب من يهود ونصارى على انه عبد الله ، كما جاء في القران ، وهذا الايمان به سيكون قبل موته عند نزوله من السماء .

قال الامام ابن كثير :

(قال ابن جرير : واولى هذه الاقوال بالصحة القول الاول ، وهو انه لا يبقى احد من اهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام الا امن به قبل موت عيسى عليه السلام .

ولا شك ان هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح لانه المقصود من سياق الآى في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك .

---

١ ــ انظر : صحيح مسلم بشرح النووى (١٨ : ٧٥ ، ٧٦) .
٢ ــ سورة النساء الايات (١٥٧ ــ ١٥٩) .

فأخبر الله انه لم يكن الامر كذلك ، وانما شبه لهم فقتلوا الشبيه ، وهم لا يتبينون ذلك ، ثم انه رفعه اليه ، وانه باق حي ، وانه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الاحاديث المتواترة ، فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، فأخبرت هذه الاية الكريمة انه يؤمن به جميع اهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم) ." ١ "

هذا هو مذهب السلف رضى الله عنهم في نزول عيسى عليه السلام ، وهو ما نؤمن به ، ونعتقده ، وندعو الناس الى الايمان به .

وبه يظهر فساد ، وبطلان ما حكاه الشيخ محمد عبده عن بعض العلماء واخذ به ، وسقوط تخريجهم ، السابق .

فالاحاديث ليست احاديث احاد ، بل متواترة كما مر ، ولا داعي لتأويلها تأويلا يبعدها عن معناها الصحيح ." ٢ "

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، ما رد به الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على الشيخ محمد عبده ، بهذا الخصوص ، فقال :

((اذا تبين لك هذا "٣" فلا بد ان نعرض لمسألتين تتعلقان بهذا الصدد ، نكشف فيهما عن وجه الحقيقة العلمية التي لا ينبغي ان يصار الى غيرها .

المسألة الاولـــى :

=============

ان بعض الكاتبين من تلامذة مدرسة الشيخ محمد عبده انكروا ان يكون عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قد رفع بجسمه الى السماء ، قالوا : وانما هو ارتفاع

---

١ — تفسير ابن كثير (١ : ٥٧٧) .

٢ — انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤:٣١٦، ٣٣٢ — ٣٣٩) .

٣ — المقصود رفع عيسى عليه السلام حيا الى السماء بروحه وجسده ، ثم نزوله الى الارض قرب قيام الساعة .

الروح او الدرجة ، ومن ثم فانهم انكروا نزوله الى الارض ايضا قرب قيام الساعة .

وقد كتب في ذلك الشيخ " محمود شلتوت " مقالا في مجلة " الرسالة " عدد (٤٦٢) اعقبه بكتابة مقالات اخرى في نفس المبحث ، وكان الذى انتهى اليه في مقالاته تلك هو : تأويل الايات الواردة والاعراض عن الاحاديث الكثيرة الثابتة زاعما انها احاديث احاد لا يصلح ان يقام عليها الاعتقاد .

ولعلك قد قرات ما كتبناه عن موقف العلم والعقل من المعجزة في بحث النبوات ، ووقفت اذ ذاك على قصة المدرسة التي قامت تنكر المعجزة دون ان تنكر الدين صراحة ، كما وقفت على سر انبعاث تلك المدرسة ، والظروف المكونة لها . "١"

فاذا ذكرت ما قد قلناه اذ ذاك فاعلم ان انكار نزول عيسى عليه الصلاة والسلام رغم ما ثبت في ذلك من الادلة القاطعة ليس الا صدى طبيعيا من اصداء تلك المدرسة وثمرة تتفق كل الاتفاق مع مبادئها .

بيد ان كلا من الاضطراب والتخبط الاعمى اللذين لا يبالي ان يقع فيهما دعاة تلك المدرسة ، واتباعها يتمثل في محاولة التوفيق بين التمسك بالاسلام ، والتمسك بانكار الخوارق والمعجزات . ونحن لا نشك في انها محاولة من حيث الظاهر فحسب ، اتقاء لغضب المسلمين ، وتدرجا في التسلل الى موضع العقيدة من قلوبهم .

فهذا التخبط في محاولة التوفيق ، هو الذى جعل واحدا مثل الشيخ "شلتوت" لا يبالي ان يكذب سبعين حديثا مع رواتها ، وان يخطىء عامة المفسرين لكتاب الله منذ عصر الصحابة الى بزوغ مدرسة استاذه — في سبيل ان تسلم له عقيدة انكار الخوارق والمعجزات .

---

١ — انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٣ — ٢٤٨ .

والاعجب من ذلك ان يكذب الاحاديث بدون شاهد ، او صورة شاهد ، على الكذب ، وان يخطيء المفسرين بدون شاهد ، او صورة شاهد على الخطأ ، نعم ثمة شاهد واحد ، هو شذوذ تلك الشرذمة التي قامت لاسباب ودوافع معروفة "١" — تنكر الخوارق والمعجزات .

فهذا هو الشاهد الذي يسوغ امتلاخ نصوص السنة ، ودلالات الكتاب من جذورها ، والاعراض عنها جملة وتفصيلا .

اما السنة ، فقد نقلنا لك بعضا يسيرا منها ، وقد وقفت على دلالتها الصريحة التي لا تقبل اي قيل وقال حولها .

واما الكتاب فقد نقلنا لك من آياته آيتين "٢" كل منهما ذو دلالة واضحة على المعنى الذي اخذ به عامة المفسرين ، والصحابة الكرام .

غير ان هذه الشرذمة تركز كل اهتمامها على تأويل اية الرفع ، وجرها الى معنى الرفع بالروح او رفع الدرجة ، تصورا منها بأن طلاء التأويل اذا تماسك على نصوص الرفع ، فانه يتماسك بعد ذلك بكل سهولة على نصوص النزول ، وهيهات ان يتم لهم ذلك .

واكثر ما يتعلقون به في هذا الصدد كلمة " متوفيك " من قوله تعالى " اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا " "٣" ، —

---

١ — هي تخليص الفكر الديني من كل حقيقة غيبية غير داخلة في قوالب العلم الحديث لمواكبة النهضة العلمية الاوروبية / انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٦ ، ٢٤٠ .

٢ — الاية الاولى من سورة النساء (١٥٧ — ١٥٩) .
الاية الثانية من سورة الزخرف (٥٧ — ٦١) .

٣ — سورة ال عمران اية (٥٥) .

منهم بأن " متوفيك " مرادفة (لمميتك) ولم يقل احد من علماء اللغة ذلك .
بل التوفي معناه : اخذ الشيء وقبضه تماما . ومرادفة الاستيفاء .
تقول : استوفيت حقي ، وتوفيته اى قبضته كاملا .

اما الاماته التي هي اخذ الروح ، فهي نوع من انواع التوفي الذى
يشملها ، وغيرها .

وانما سرى الوهم الى هؤلاء من كثرة استعمال عامة الناس هذه الكلمة بمعنى
الموت فقط ، وغفلتهم عن معناها الاصلي في اللغة .

ولو رجع هؤلاء الى اللغة لرأوا ان التعبير بالتوفي عن الموت يأتي في الدرجة
الثانية من الدلالة اللغوية ، كما يقول العلامة " مصطفى صبرى " ولذلك نص
" الزمخشرى " في كتابه اساس البلاغة على ان التعبير بالوفاة عن الموت من المجاز .

والذى ينفي احتمال المجاز في " متوفيك " في هذه الاية ، دلالة الاية
الاخرى التي لا مجال للتأويل فيها :

يقول الله عز وجل في سورة النساء : " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن
مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي
شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان
الله عزيزا حكيما " . "١"

فاما عقل العاقل الذى يفهم الكلام العربي عن طريق القواعد العربية ،
ودلالاتها اللغوية ، فهو يفهم من قوله تعالى " وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه "
ان الله عز وجل اخفى نبيه عنهم بأن رفعه الى سمائه ، فلم يقعوا منه على شيء
يقتلونه او يصلبونه .

يدلك على هذا المعنى الفاظ الاية ، ودلالاتها اللغوية ، وضرورة التقابل
الذى ينبغي ان يكون بين ما قبل " بل " وبعدها .

---

١ — سورة النساء الايات (١٥٧ — ١٥٨) .

فليس لك ان تقول ، وانت عربي : لست جائعا بل انا شطجع .

وانما تقول : لست جائعا بل انا شبعان .

وليس لك ان تقول : ما مات خالد بل هو رجل صالح . وانما تقول :

بل هو حي .

وليس لك ان تقول : ما قتل الامير بل هو ذو درجة عالية عند الله .

لان كونه ذا درجة عالية عند الله ، لا ينافي ان يقتل .

وانما تأتي " بل " لابطال ما قبلها بدليل ما بعدها .

لا جرم اذا ، ان معنى الاية : ما قتله اليهود كما زعموا ، بل ان الله

استلبه من بينهم ورفعه الى السماء .

ولكن الشيخ " شلتوت " يأبى الا ان يكون المعنى : ما قتلوه ، بل

رفع الله درجته اليه ، وذلك رغم انف القواعد العربية ودلالاتها ، ورغم انف

العرب ، والمفسرين كلهم .

ولك ان تسأل امثال الشيخ " شلتوت " وهم يذهبون في تفسير الاية هذا

المذهب : فما معنى " اليه " في الاية ما دام ان الرفع هو رفع الدرجة ؟ .

هل المعنى ان الله جعله الها مثله ؟

اذ لا معنى لقولك : ان الله رفع مقام فلان اليه ، الا انه قد جعله في

مرتبته ؟

ثم ما معنى تقييد رفع الدرجة بحال قصد الصلب او القتل ؟

لو لم يكن مرفوع الدرجة قبل ذلك ؟

اسئلة لا جواب عليها ، الا استجرار الكلام ، والتأويل التي لا معنى لها ،

خدمة لما استقر في نفوسهم من مرض انكار الخوارق والمعجزات .

ورحم الله من ابدع المثل القائل : بأن رجلا نظر الى حمار يافع فاشتهى

لحمه ، فالتفت الى من حوله قائلا : ما اشبه اذنيه بأذني الارنب . "١"

---

١ — يروى بعض علماء الازهر ، ممن كانوا يلازمون الشيخ " محمود شلتوت " في =

المسألة الثانيـــة :

============

ذلك الخوض السخيف ، الذى خاضته فئة ، طاب لها ان تهيع قلها لمخطط انكليزى ، مكشوف .

فقد قام قائمها يزعم ان الذى وعد الله بظهوره في الارض هو مثيل عيسى وليس بعيسى نفسه ، وانه انما يظهر في الارض دون ان ينزل من السماء ، وانه هو ذلك المثيل الذى وعد الله بظهوره ، فهو المسيح الموعود ، ثم راح يزعم انه نبي ورسول مستقل ، مؤيد بتشريع ، ثم صاغ لنفسه وحيا كالقران ، ومضى يختلق لنفسه معجزات ، يزعم انها مؤيدات له ، وابتنى لنفسه مسجدا في بلدة (قاديان) ، وسماه المسجد الاقصى ، وسمى بلدته :" مكـــة المسيح " ، وجعل مقبرة سماها " مقبرة الجنة " ، من دفن فيها فهو من اهل الجنة ، وسمى ازواجه امهات المؤمنين ، وراح يجمع من حوله الشيعة والاتباع بكل حيلة ووسيلة ، والاستعمار البريطاني من ورائه يدفعه ، ويغذيه ، ثم اطن ان ظواهر الكتاب والسنة مصروفة الى الاستعارات ، والكنايات ، والمجاز ، فاخذ يحرف كما يشاء في شرح الكتاب والسنة ، واحكامهما .

وكان من جملة هديه في ذلك ان الجهاد موضوع ومنسوخ ، خاصة بالنسبة للانكليز ، وذلك لموقفهم النبيل من المسلمين ، وحسن رعايتهم لهم .

ولم يزل على حاله تلك يدعي النبوة ويكذب على الله وانبيائه ، ويضع نفسه للناس موضع المسيح عيسى بن مريم ، الى ان رماه قضاء الله تعالى بالهيضة" ١ "

= اخريات ايامه . اذ كان يعاني في بيته من شلل في جسمه ، يروون بانه احرق جميع ما كان يحتفظ به من الكتب والاوراق التي سجل فيها بعض الاراء الشاذة ، وفي مقدمتها مسالة عيسى بن مريم عليه السلام . واشهدهم بانه تاب الى الله من الاعتقاد بها ، وانه قد رجع الى عقيدة جمهور المسلمين اهل السنة والجماعة .

/ انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٣٤ ، الهامش .

١ ــ داء الكوليـــــــرا .

ومات في بيت الخلاء ، ساقطا على وجهه في اتعس حالة ، واقبح منظر ، وكانت موتته هذه عبرة لاولى الابصار .

ذلك هو غلام احمد القادياني ، الذى ولد عام ١٢٥٢ هـ ، ومات عام ١٣٢٦ هـ .) اهـ

(السادســــة) : يأجوج ومأجوج .

=============

وقد سبق بيان هذه الامارة في الحديث الذى رواه النواس بن سمعان ، السابق كما جاءت الاشارة اليها في قوله تعالى :

"حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين " . "١"

فهم امة كبيرة من الناس ، لا يعلم عددهم الا الله ، ينسلوب من كل حدب ، فينشرون الخراب والدمار والفساد ، في الارض على نحو مذهل ، وبطريقة مرعبة . ويوجهون سهامهم نحو السماء كما ورد في الحديث السابق .

هذا ما يجب ان نؤمن به . اما علم ما وراء ذلك من التفصيلات المتعلقة بصفاتهم ، وكيفياتهم ، وتفصيل اخبارهم ، فلا مطمع ـ في باب العقيدة ـ في اعتماد شيء من ذلك . بل ان معظم ما ورد من تفصيل اخبارهم وصفاتهم واشكال جسومهم فانما تناقله الناس عن طريق احاديث واهية او منكرة او باطلة . "٢"

وخير من الخوض في ذلك ان نقف عند حدود الدلالة القطعية التي ثبتت بصريح السنة والقران .

---

١ ـ سورة الانبياء الايات (٩٦ ـ ٩٧) .

٢ ـ انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٣٧ .

فقد ورد في القرآن ايضا قوله تعالى :

" ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ". "١"

ومما ورد في ذكرهم من الاحاديث ايضا :

أ — ما اخرجه الشيخان عن زينب ابنة جحش رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما ، فزعا يقول : " لا اله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه " — وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها — قالت زينب ابنة جحش : يارسول الله افنهلك وفينا الصالحون ؟

قال : نعم اذا كثر الخبث " . "٢"

ب — ما اخرجه الامام مسلم من حديث النواس بن سمعان الذى تقدم ذكره ، وفيه خبر الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وذكر يأجوج ومأجوج حيث قال صلى الله عليه وسلم :

" ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر اوائلهم على بحيرة " طبرية " "٣" فيشربون ما فيها ، ويمر اخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء " . "٤"

---

١ — سورة الكهف الايات (٩٢ — ٩٩) .
وانظر : تفسير هذه الايات في ظلال القرآن (٥ : ٤١١ — ٤١٣) .
٢ — فتح البارى شرح صحيح البخارى (١٣ : ٩١) .
٣ — تقع امام مدينة طبرية ، شمال فلسطين المغتصبة ، يمر بها نهر الاردن .
٤ — صحيح مسلم بشرح النووى (١٨ : ٦٨) .

وهناك احاديث صحيحة ذكرت يأجوج ومأجوج (ومجموع النصوص الواردة بذكرهم يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الامة المفسدة في اواخر عمر هذه الدنيا فكان لابد للمؤمن من تصديق ما ورد به القران ، والخبر الصحيح من امرهم .

واما تحديد الزمن الذى تظهر فيه هذه الامة والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم واوصافهم ، ومكان وجودهم قبل ظهورهم فكل هذا من امور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى) . "١"

ويقول الشهيد سيد قطب :

(وبعد ، فمن يأجوج ومأجوج ؟ واين هم ؟ وماذا كان من امرهم ؟ وماذا سيكون ؟ ...

كل هذه اسئلة تصعب الاجابة عليها على وجه التحقيق ، فنحن لا نعرف عنهم الا ما ورد في القران وفي بعض الاثر الصحيح) . "٢"

(السابعة) : خسف بالمشرق .

(الثامنـة) : خسف بالمغرب .

(التاسعـة) : خسف بجزيرة العرب .

وهي خسوف ارضية تحدث في هذه الاماكن من الارض . "٣"

(العاشـرة) : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم .

---

١ ــ انظر : فتح القدير للشوكاني (٣ : ٣١٢) ، / وانظر في ظلال القران (٥ : ٤١١ ــ ٤١٣) ٥ / وانظر كتاب الايمان ص ٨٣ .

٢ ــ في ظلال القران ، سيد قطب (٥ : ٤١٣) .

٣ ــ انظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، للاستاذ عبد الرحمن حبنكة (٢ : ٣٣٧) .

وهذه الامارة هي اخر الامارات ، وتكون قبيل قيام الساعة ، ومكان محشر الناس الذى تسوقهم النار اليه ، ارض الشام . وقد ثبت ذلك في عدة احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . "١"

الى هنا . نكون قد اتينا على بيان وايضاح مذهب السلف في الساعة ، واشراطها ، ورأينا كيف يؤول الشيخ محمد عبده اثنتين من هذه الايات : (نزول عيسى عليه السلام ، وظهور الدجال) . ويسكت عن بقية اشراط الساعة .

تلك التي كنا نحب ان نعرف ما عند الشيخ محمد عبده فيها ، فلعله اكتفى بالسكوت عنها ، اذ يبدو ان الشيخ محمد عبده كان يفضل السكوت في كثير من المسائل على الكلام ... خاصة فيما يتعلق بالغيب . والله اعلم .

---

١ — نفس المرجع (٢ : ٣٣٨) .

الامر الثالث : ما يتعلق بيوم القيامة واحداثه .

=========

ويندرج تحت هذا ، الايمان بالبعث ، والحشر ، والعرض على الله ، والحساب ، والجزاء ، والحوض ، والميزان ، والصراط ، واحوال الجنة والنار وما اعد الله لاهلهما اجمالا وتفصيلا . "١"

ومعنى اجمالا وتفصيلا : اى انه لا يتحقق الايمان بهذا الامر ، ولا يكون تاما ، وكاملا الا بشيئين :

(الاول) : ان يؤمن العبد بهذا ، بصورة اجمالية ، وهذا هو الحد الادنى لتحصيل هذا الركن ، من اركان الايمان .

(الثاني) : ان يؤمن بكل ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من هذه الاحداث التي تكون بعد البعث ، والتي وردت بها الايات الكريمة ، والاحاديث الصحيحة .

واذكر فيما يلي اهم ما وردت به الايات ، والاحاديث من هذه الاحداث ، وابين مذهب الشيخ محمد عبده في كل واحدة على حدة ، وانقد ما يستحق النقد منه ، مع بيان مذهب السلف ، وجمهور العلماء - اهل السنة والجماعة - في هذا الامر .

١ - بداية يوم القيامة .

=================

مذهب الشيخ محمد عبده :-

يرى الشيخ محمد عبده ان يوم القيامة ممتد من تكوير الشمس ،

---

١ - انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ، الطبعة العاشرة ص ٢٦١ .

وما بعده ، الى ان يرى اهل الجنة ، الجنة ، واهل النار النار ."١"

ويرى ايضا : ان هذا الكون بما فيه يؤول الى الخراب ، وتتحول مادته الى مادة سديمية ، تشبه الدخان .

يقول الشيخ محمد عبده :

(اذا وقعت الواقعة ، وقرعت القارعة ، وكورت الشمس "٢" ، وتناثرت الكواكب ، وانشقت السماء شقا ، ورجت الارض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت اولا كالعهن المنفوش ، ثم صارت هباء منبثا ، فان مادة هذا الكون تعود كما كانت قبل التكوين : اى مادة سديمية ، وهي ما عبر عنه في بدء التكوين بالدخان) . "٣"

ثم استشهد الشيخ محمد عبده على خراب هذا العالم بتوقعات علماء الهيئة الغربيين ، قال :

(وان كثيرا من علماء الهيئة الغربيين ، ليتوقعون خراب هذا العالم ، بقارعة تحدث من اصطدام بعض الكواكب ببعض ، بحيث يبطل الجذب العام الذى قام به هذا النظام وهو في معنى ما ورد من تشقق السماء بالغمام ، وهذا المعنى لم يكن يخطر ببال احد على عهد نزول القران) . "٤"

ثم عدد الشيخ محمد عبده الحوادث التي تقع من اول يوم القيامة على ما هو مذكور في سورتي : التكوير ، والانفطار ، على النحو التالي :

---

١ ــ انظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة (٥ : ٣٣٩) .

٢ ــ قال ابن عباس : يعني اظلمت ، اوقيل ذهبت يعني ذهب ضوؤها ، واضمحلت .

وقال ابن كثير : جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمي بها /

/ انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦٠٤) .

٣ ــ تفسير المنار (٢ : ٢٦٤) .

٤ ــ نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

(اولا) :
======= تكوير الشمس : وتكويرها دهورتها وسقوطها ، وذلك عند خراب العالم الذى يعيش فيه الحي حياته الدنيا ، فان عالمه الاخر ، الذى ينقلب اليه لا يبقى فيه شيء من هذه الاجرام . فالشمس تسقط ويمحى ضووءها .

(ثانيا) :
======== انكدار النجوم : وهو تناثرها وانقضاضها حتى تذهب ، ويمحى لاءلاوءها .

(ثالثا) :
======== تسيير الجبال : وهذا يكون عند الرجفة التي تزلزل الارض ، فتقطع اوصالها ، وتفصل منها اجبالها ، فتسير مقذوفة في الفضاء وقد تمر على الروءوس مر السحاب .

يقول الشيخ محمد عبده عن الموعد الذى تقع فيه هذه الحوادث :

(وهذا الحوادث تقع متى جاء الاجل ، واقتضت الحكمة الالهية ان تخرب الارض ، ويتبدل نظام هذا الكون الحاضر ، بالنظام الذى يستقر عليه امره بعد ذلك الاضطراب) . "١"

وفي سورة الانفطار عود الى التذكير باليوم الاخر ، فسرها الشيخ محمد عبده كما يلي :

قال : (ذكر الله اليوم الاخر ببعض ما يحدث فيه من عظائم الامور ، كما من علينا بمثل هذا التذكير في السورة السابقة فقال تعالى " اذا السماء انفطرت" . "٢"

---

١ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٣٦) .

٢ — سورة الانفطار اية (١) .

اى : انشقت •

وجاء في سورة الفرقان قوله تعالى : " ويوم تشقق السماء بالغمام " "١" ، وانشقاق السماء ، انصداع نظامها ، فلا يبقى امر ما ، فيها ، من الكواكب على ما نراه اليوم ، فيخرب العالم بأسره ، ولذلك عقب انشقاق السماء بما هو من لوازمه ، حيث قال تعالى : " واذا الكواكب انتثرت " "٢" ، اى سقطت فبادت •

فاذا كان ذلك ، اضطربت الارض ايضا ، وزلزلت زلزالا شديدا ، ووقع الخلل في جميع اجزائها ، فتفجر البحار ، وتزول الحواجز بينها ، فيختلط عذبها بمالحها ، بل تفيض على الارض حتى يصير سطح الارض ماء لحظات من الزمان • وذلك قوله تعالى في سورة التكوير :" واذا البحار سجرت " "٣" ، اى ملئت ، وفاض منها الماء على التأويل الاول •

وقد يصح اجراء ما هنا على التأويل الثاني ، وذلك :

انه بعد ان تفجر البحار ، ويفيض ماؤها تظهر النار ، وتأخذ مكان الماء بعد ان يتحول الى بخار •••

واذا وقع ذلك انقلب باطن الارض الى ظاهرها ، فلا ريب في ان تبعثر القبور — اى يظهر ما كان قد خفي من بقايا اجساد الموتى — وبعد ذلك يكون بعث الاموات ، واحياؤهم في النشأة الاخرة) • "٤"

---

١ — سورة الفرقان اية (٢٥) •
٢ — سورة الانفطار اية (٢) •
٣ — سورة التكوير اية (٦) •
٤ — تفسير جزء عم ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٤٦) •

والشيخ محمد عبده ، يذكر بعض اسماء يوم القيامة ، فيقول :

أ : يوم الفصل :

قال : (وهو يوم القيامة ، يظهر فيه الحق ، وينكشف الستار عن القلوب ، والالتباس عن العيون ، فيفصل بين الحق والباطل) . "١"

ب : اليوم الموعود :

قال : (واليوم الموعود هو يوم القيامة ، لان الله وعد به ، ولطه نصل اليه) . "٢"

ج : الغاشـــية :

قال : (هي الداهية التي تغشى الناس بشدائدها ، وتغمرهم اهوالها ، والمراد منها هنا "٣" يوم القيامة) . "٤"

د : الصاخـة :

هـ : القارعـة :

و : الطامة الكبرى :

قال : (والصاخة ههنا "٥" ـ كالقارعة في سورتها ـ هي الحادثة العظمى التي عبر عنها ، بالطامة الكبرى ، يكون نذيرها ذلك الصوت الهائل الذي يحدث من تخريب الكون ، ووقوع بعض اجرامه على بعض . ولكون هذه الحادثة تأتي بذلك الصوت المفزع سميت : صاخة ، وقارعة .

---

١ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣١٢) .
٢ ـ نفس المصدر (٥ : ٣٧٤) .
٣ ـ اي في قوله تعالى " هل اتاك حديث الغاشية " / سورة الغاشية اية (١)
٤ ـ المصدر السابق (٥ : ٣٩١) .
٥ ـ اي في قوله تعالى " فاذا جاءت الصاخة " / سورة عبس اية (٣٣) .

او انها سميت صاخة : لانها بما تأتي به من ذلك الصوت تصخ الاذان ، اى تصمها "١" ، فلا تسمع النفوس شيئا في ذلك الوقت الا ما تتلدى به وتدعى الى الحياة والنشور). "٢"

يقول الشيخ محمد عبده :

(وهذه الاسماء كلها اسماء للقيامة العظمى ، يوم ينكشف للارواح مشهد الجبروت الاعظم ، فيشغل كل نفس ما يصيبها من هيبة الجلال الالهي) ."٣"

هذا هو مذهب الشيخ محمد عبده في بداية اليوم الاخر — يوم القيامة —

واني ارى أن مذهبه هذا ، لا غبار عليه ، ولا شيء يرد عليه . وهو مذهب السلف — رضي الله عنهم — وجمهور العلماء ، وهو ما نؤمن به . وما يجب على الجميع أن يؤمن به .

وحاصل ما يؤمن به السلف في هذا الامر : هو ما اخبر به الله عز وجل في القرآن الكريم ، ولا سيما في سورتي التكوير ، والانفطار . بكل ما يحدث في اخر يوم من ايام الدنيا ، وبدء اليوم الاخر . وهو ما دل عليه مجموع الايات الكريمة من ان اليوم الاخر يبدأ باحداث تغيير عام شامل في هذا الكون الواسع ، فتنشق السماء ، وتتناثر النجوم ، وتتصادم الكواكب ، وتتفتت الارض ، وتزول الجبال ويخرب كل شيء ، ويدمر كل شيء ، فلا يعرف الناس شيئا مما كانوا يعرفون في هذا الوجود . "٤"

---

١ — الصخ هو الضرب بالحديد على الحديد ، وصخ الصخرة وصخيخها : صوتها اذا ضربتها بحجر او غيره ، من باب رد / انظر : مختار الصحاح ص ٣٥٧ .

٢ — تفسير جزء عم ، السابق (٥ : ٣٣١) .

٣ — نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

٤ — انظر : — مجموع الفتاوى (٥ : ٥٦٤) ، (١٩ : ١٠١) .
— فتح الباري (١١ : ٣١٣) .
— العقائد الاسلامية ص ٢٥٩ .
— العقيدة الاسلامية واسسها (٢ : ٣٤٢) .

قال الله تعالى :

" يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار " . "١"

ويكون هذا بعد النفخة الاولى مباشرة ، التي ينفخها الملك " اسرافيل " بأمر ربه ، فيصعق كل من في السموات والارض الا ما شاء الله تعالى .

وقال الله تعالى :

" ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا ما شاء الله " . "٢"

وقال تعالى :

" فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية " . "٣"

وفي الاحاديث الصحيحة ما يدل على مثل هذا :

فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : اين ملوك الارض " . "٤"

وبالجملة :

فالشيخ محمد عبده يؤمن بما يؤمن به السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ في هذا الموضوع ، وهو موافق لهم جملة وتفصيلا ، من غير ان يؤول شيئا من ذلك او يرده ، فجزاه الله خيرا ، وجزى السلف فيما قالوه خير الجزاء .

---

١ ـ سورة ابراهيم اية (٤٨) .

٢ ـ سورة الزمر اية (٦٨) .

٣ ـ سورة الحاقة الايات (١٣ ـ ١٦) .

٤ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى (١١ : ٣١٣) .

٢ - البعث والحشـــر :

================

مذهب الشيخ محمد عبده في حقيقة البعث :- هو الايمان باعادة الحياة ثانية الى الاموات على اثر النفخة الثانية المشار اليها في قوله تعالى :

" يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة " م "١"

قال الشيخ محمد عبده : (هذا هو يوم البعث : وهو بعث الاموات واحياؤهم في النشأة الاخرة) .

كيفية البعث :

========= للشيخ محمد عبده رأيان في الكيفية التي يكون عليها البعث هما :-

(الرأى الاول) :

========== اعادة الانسان روحا وجسدا كما كان في الدنيا .

يقول في تفسير قوله تعالى : " واذا النفوس زوجت " "٢" ، : اى زوجت الارواح بأبدانها ، وهي النشأة الاخرة .

وفي الاية ما يشعر بأن النفوس كانت باقية من يوم الموت الممتاد الى يوم المعاد ، وانما تتزوج بالبدن بعد ان كانت منفردة عنه . "٣" اهـ

---

١ - سورة النازعات الايات (٦ - ٧) .

الراجفة : هي النفخة الاولى . والرادفة هي النفخة الثانية . هكذا ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما / انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى (١ : ٣١٠) .

٢ - سورة التكوير اية (٧) .

٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

(الرأى الثاني) :

فيه اشارة الى ان المعاد انما يكون ببعث الارواح فقط ، دون اعادتها الى الاجساد التي منها خرجت ،

وقد عرض لهذا الامر محقق كتاب " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين " ، فقال :

(وقبل ان نسوق ما قاله الشيخ محمد عبده في مسألة البعث الجسماني تعليقا على رأى زميليه "١" ، نسوق رأى هذين الزميلين اولا ، فان رأى الشيخ محمد عبده — وهو تعليق — لا يفهم الا بعد فهم الفكرة التي كان هو تعليقا عليها .

قال العضد : (والمعاد) .

قال الجلال : (اى الجسماني ، فانه المتبادر عند اطلاق اهل الشرع : اذ هو الذى يجب الاعتقاد به ، ويكفر من انكره) .

قال العضد : (حق) .

قال الجلال : (باجماع اهل الملل الثلاث ، وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة ، بحيث لا تقبل التأويل .

كقوله تعالى : " اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم " . "٢"

قال المفسرون : نزلت هذه الاية في ابي بن خلف "٣" ، خاصم النبي صلى

---

١ — عضد الدين الايجي صاحب المواقف ، وجلال الدين الدواني .

٢ — سورة يس الايات (٧٧ — ٧٩) .

٣ — كان من اشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايذاء له ، لم يسلم ، وبقي على كفره حتى مات ، وسيبعثه الله ويدخله النار ، كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم .

الله عليه وسلم ، واتاه بعظم قد رم وبلي ، فبضه ، ففتته بيده ، وقال :—

يا محمد ... اترى الله يحيى هذا بعد ما رم ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " نعم ويبعثك ويدخلك النار ".

وهذا مما يقطع عرق التأويل بالكلية .

ولذلك قال الامام : الانصاف انه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين انكار الحشر الجسماني .

قلت : ولا الجمع بين القول بقدم العالم ، على ما يقول به الفلاسفة ، وبين الحشر الجسماني ايضا ، لان النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية ، فيستدعي حشرها جميعا ابدانا غير متناهية ، في امكنة غير متناهية ، وقد ثبت تناهي الابعاد بالبرهان ، وباعترافهم) ا.هـ

وهنا يشرح الشيخ محمد عبده عبارة الجلال الدواني قائلا :

(اى لا يمكن الجمع بين القول بقدم العالم ، على ما بينه الفلاسفة من الاستدلال على قدم الانواع وبين الحشر الجسماني ، لان النفوس الناطقة التي هي نوع من انواع العالم تكون غير متناهية على هذا التقدير — اى تقدير قدم النوع — فيستدعي حشرها جميعا ابدانا غير متناهية ، حيث لا يمكن تعلق نفسين او ازيد ببدن ، بل تعلق نفسين او ازيد ببدن واحد ، لا يكون معه بد من ابدان غير متناهية ، فان النفوس على هذا لا تحيطها مراتب العدد ، والابدان غير المتناهية تفتقر الى امتداد غير متناه .

وقد قام البرهان على بطلان عدم تناهي الابعاد ، وقر رأيهم عليه .

اى الفلاسفة القائلون بقدم العالم لا يمكنهم القول بالحشر الجسماني ، فيتحتم منهم انكاره ، ومنكره كافر ، فهم كفار) . ا.هـ

والى هنا ينتهي الشيخ محمد عبده من شرح وعرض عبارة الجلال الدواني ، ثم يعلق عليها قائلا :

(واقول :

اولا : اعجب لهذا المحقق ، كيف نسب هذا القول للفلاسفة على الاطلاق ،
مع ان منهم من صرح بنفي لزوم قدم النوع ، كالشيخ الرئيس "١" ، واحتج على
ذلك في كثير من كتبه ، وتبعه على ذلك الجم الغفير منهم •
والذين يتوهم من كلا مهم القول بالقدم النوعي لم يكن صرحا في اقوالهم •

وثانيا : حيث صرحوا بثبوت الحشر الجسماني ، وصرحوا بقدم الانواع —
على ما زعمه — فهم بالحشر مؤمنون •
وما لزمه عليهم لازم مذهب ، ولازم المذهب ليس بمذهب كما هو مشهور •
وثالثا : لم لا يصح الجمع بين القولين مع جواز ان يجعل النص من قبيل
المتشابه الذى لا مجال للرأى فيه ، ولا يعلم معناه •
فنؤمن بحشر جسماني لا يعلم ما معناه ، وما كيفيته ، بل كما اراده
القائل اجمالا ، كما في سائر المتشابهات ، او يدخله التأويل بوجه ما •
وواعجبا ••• ••• كيف ان الشارح فيما تقدم — في مسألة الوعد
والوعيد — قد جعل جميع الاخبار انشاآت ، للتهديد والترغيب ، ثم جاء ههنا
وسد باب التأويل كأنه العالم يحكم ما يريد •
ورابعا : ان هذا الشارح قال في رسالته " الزوراء " بقدم العالم
بالشخص فضلا عن النوع •
فكيف ساغ له التكلم بمثل هذا الكلام في هذا الكتاب ؟ •
فان قال : لكل مقام مقال • فللحكماء مثل هذه المقالة) ••١٠هـ"٢"
يقول المحقق :
(وفيما قاله الشيخ محمد عبده في هذه النقاط الاربع مجال لتعقيب ،
وسأعقب على كل واحدة منها ، ولكن تمشيا مع الغرض الذى من اجله سقت هذه

---

١ — ابن سينا ، وقد مرت ترجمته •
٢ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٠٦ — ٦٠٨) •

النصوص ابدا في التعقيب بالنقطتين : الثانية والثالثة ، لابين ان الشيخ محمد عبده قد ارغم العقل على ان يتجاوزطوره ، واقحمه في مضايق لا سبيل له الى التخلص منها .

لقد رأى الاستاذ الامام انه لا بأس على الفلاسفة ان يقولوا بقدم الانواع ، وان يقولوا تبعا لذلك ، بأن النفوس الانسانية قد وجد منها عدد غير متناه ، وان هذا العدد غيرالمتناهي موجود الان ، لان المجردات لا تفنى عندهم ، لا بأس على الفلاسفة — عند الاستاذ الامام — ان يقولوا بكل ذلك ، ما داموا قد صرحوا بحشر الاجساد .

واذا كان يلزم القول بقدم النفوس ، حاجتها الى مادة غير متناهية يصاغ منها اجسام بعدد هذه النفوس غير المتناهية ، وحاجتها ايضا الى امكنة غير متناهية ، ضرورة ان الاجسام غير المتناهية تتطلب امكنة غير متناهية .

واذا كانت هذه اللوازم محالة ، لان المادة متناهية فلا يمكن ان تفي بأجسام لنفوس غير متناهية ، ولان الامكنة غير المتناهية ، مستحيلة الوجود لان الابعاد متناهية .

واستحالة هذه اللوازم تعني استحالة حشر اجساد لهذه النفوس غير المتناهية . فليس يضير الفلاسفة شيء من جراء هذه اللوازم المقتضية لانكار حشر الاجساد ، لان الفلاسفة لم يصرحوا بها ، وانما لزمت مذهبهم في قدم النوع الانساني ولازم المذهب ليس بمذهب .

فمذهبهم قدم النوع الانساني فقط لا ما يلزم منه انكار حشر الاجساد . ثم هم — مع ذلك — مصرحون بحشر الاجساد فلا ضير عليهم .

هذا هو شأن النقطة الثانية .

ولا بأس بمجاراة الاستاذ الامام على هذا الراى ، فقد جرى على السنة العلماء ان لازم المذهب ليس بمذهب ، وان يك في النفس من ذلك شيء فانه اذا كان هذا اللازم بينا ، تدركه النفس لاول وهلة فكيف لا يكون مذهبا ؟ وبعيد ان يقال :

ان امثال ابن سينا والفارابي وابن رشد لم يدركوا ان قدم النوع الانساني يعني وجود نفوس غير متناهية ، وان حشرها في اجسام يستدعي مادة تفي بعددها غير المتناهي .

ولا اقف مع هذه النقطة اكثر من ذلك ، فانها ليست بيت القصيد في الموضوع ، بل انتقل الى النقطة الثالثة التي يخطو بها الاستاذ الامام خطوة اجرأ من سابقتها .

انه فيما سبق — كما رأينا — يلتزم — بلسان الفلاسفة — القول بقدم العالم ويتبرأ من لازمه الذى هو انكار حشر الاجساد متذرعا بأمرين :

اولهما : ان لازم المذهب ليس بمذهب .

وثانيهما : انهم مصرحون بحشر الاجساد .

وخلاصة ذلك : انهم مؤمنون بقدم العالم فقط دون لازمه ، ومؤمنون بحشر الاجساد .

اما في هذه النقطة ، فيلتزم الاستاذ الامام — بلسان الفلاسفة — ما يلزم القول بقدم العالم وهو عدم حشر الاجساد بالاضافة الى ايمانهم في نفس الوقت بحشر الاجساد .

واذا بدا ان هذا جمع بين النقيضين فالاستاذ الامام يفك الجهة بأن يجعل حشر الاجساد المنفي هو الحشر الذى يفهم من دلالة هذه الالفاظ بحسب اوضاع اللغة العربية اى المعنى الحقيقي لهذه الالفاظ ويجعل الحشر المثبت امرا غير محدد المعنى وغير مفهوم .

(فنؤمن بحشر جسماني لا تعلم كيفيته ولا يعلم معناه) في الوقت الذى ننفي فيه حشرا جسمانيا نعلم معناه .

وكيف ذلك ؟ الا يكون نفي الحشر الجسماني بمعناه المحدد المعروف ، مقتضيا لان يكون الحشر الجسماني الذى نؤمن به شيئا اخر غيره مباينا له ، متنافيا معه ، فماذا عساه يكون ؟ انه مهما يكن امره ليس حشرا جسمانيا بالمعنى

المعروف . واذا كان الاستاذ الامام يطلب منا ان لا نحدد معنى الحشر الجسماني الذى تقتضينا النصوص الايمان به ، فلا مناص لنا من ان نبعد به عن الحشر الجسماني الذى يفهم من هذه الالفاظ . لان الحشر الجسماني الذى نفهمه ونعرفه باطل ، ضرورة ان القول بقدم النوع الانساني يستلزم نفيه ، فهو شيء غير الحشر الجسماني ، وان سمي بأنه حشر جسماني .

وهذا من الشيخ محمد عبده موقف ، لا احمده له ، لانه اما ان يكون تلاعبا بالالفاظ او تلاعبا بالعقل نفسه .

فالايمان بالفاظ لا يعرف معناها ، كيف يكون ؟ انه يتأدى الى الايمان بأننا اخبرنا بهذه الالفاظ ، وحسب .

ثم كيف يطلب الينا الاستاذ الامام ان (نؤمن بحشر جسماني لا تعلم كيفيته ولا يعلم معناه) وهو قد صرفنا عن ان نريد منه الحشر الجسماني الذى استلزم نفيه . القول بقدم النوع الانساني ، وعدم كفاية المادة المتناهية للوفاء بأجساد لارواح غير متناهية .

ان الصرف عن هذا المعنى المعروف ، تحديد في الجملة للمعنى الذى طلب الينا ان لا نحدده بوجه من الوجوه .

قد يقال : ان الشيخ محمد عبده حين طلب الينا ان (نؤمن بحشر جسماني لا يفهم معناه) لم يفعل سوى ما فعله السلف حين كانوا يقولون : (نحن نؤمن بوجه الله ويد الله واستواء الله لا نعلم معناها) .

واى عيب على الفلاسفة ان ينهجوا منهج السلف ؟

نعم لقائل ان يقول ذلك ، ولكن لعله لا يصعب ادراك ما بين المنهجين من فرق . ان السلف همهم الاول والاخير ، هو فهم النصوص ، فما وجدوه منها صالحا لاجرائه على مفاده الظاهر ابقوه على ظاهره وفهموا منه هذا الظاهر .

وما وجدوا ظاهره غير صالح ، لمخالفته نصا اخر محكما ، او لان العقل لا يقر هذا الظاهر ابوا ان يبقوه على ظاهره ، وصرفوه عنه لا الى معنى بالذات بل الى معنى يكلون تحديده الى الله تعالى .

هذا منهج السلف يقوم على الاحتياط ، والتسليم ، والتفويض ،

اما منهج الفلاسفة الاسلاميين . فانهم يجرون وراء عقولهم ولا يلوون على شيء اخر ، فكل ما اشار به العقل عليهم ، فهو مقبول ، وما عداه مرفوض .

ثم اذا انتهوا الى نتيجة عادوا فنظروا في النصوص القرانية التي تتحدث عن موضوعات بحثهم ، فان وجدوها على وفاق معهم ، قبلوها ، وان وجدوها على خلاف مع ما انتهوا اليه صرفوها عن ظاهرها بالتأويل ، وحملوها على المعنى الذى انتهى اليه بحثهم ، وهذا هو التأويل . وغالب الامر عندهم جار على هذا النحو .

وربما كما هو الحال في هذه الجزئية التي معنا ، بناء على تصوير الشيخ محمد عبده لمذهبهم — يصرفون ما يخالف نتائج ابحاثهم عن ظاهره ، ولا يهتمون بتحديد معناه بل يتركونه غامضا ، او — كما يريد الاستاذ الامام ان يقول — مفوضا الى الله .

ولعلهم لا يلجؤون الى هذا اللون من التأويل — الذى يريد ان يجعله الاستاذ الامام تفويضا على نحو ما كان يصنع السلف — الا حين يعييهم ان يحملوه على معنى محدد . فماذا عسى يستطيع الفيلسوف ان يفهم تصريحات القران في امر البعث القراني ؟ ماذا عساه يستطيع ان يؤول قول الرسول صلى الله عليه وسلم : لابي بن خلف : " نعم ويبعثك ويدخلك النار " جوابا لقوله له : اترى الله يحيي هذه بعد ما رم ، وبيده قطعة عظم بالية ، يحركها بيده فتتساقط قطعا قطعا ؟ بم يؤول الفيلسوف هذا ؟ وهو قد انتهى الى ان بعث هذه الاجسام مستحيل . ضرورة ان قدم النوع الانساني الذى يقول به يتطلب مادة غير متناهية ، وامكنة غير محدودة ؟

وان لا سبيل الى صرف هذا الامر الواضح عن ظاهره ذلك الذى كان موضع جدال بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين ابي بن خلف ، والذى نزل فيه قول قراني واضح محدد وهو قول الله تعالى :

" وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم " ." ١ "

فالوسيلة الوحيدة المتمينة عليهم في هذه الحال هي ادعاء ان هذا من المتشابه الذى لا يدرك مراد الله منه ، الا الله وحده ، واما ظاهره فهذا غير مراد .

ولهذا لجأ الفلاسفة — فيما يرى الاستاذ الامام — الى هذه الحيلة ولجوءهم مرة او مرتين الى منهج السلف لا يجعلهم سلفيين .

والا فلو كانوا سلفيين حقا ، فلماذا لم يكن ديدنهم التفويض ، في كل ما يمنع من ظاهره مانع ، لماذا صرفوا كثيرا من الايات عن ظواهرها الى معان اخرى محددة ، دون ان يفوضوا فيها كما يفوض السلف ؟ ان التفويض عند السلف منهج وعند ابن سينا ضرورة .

والدليل على ان الاستاذ الامام ، لم يكن جادا في محاولته الدفاع عن الفلاسفة :

تارة : بأنهم قد لزمهم انكار البعث الجسماني ولم يصرحوا به ولازم المذهب ليس بمذهب .

وتارة : بأنه على فرض انهم صرحوا ، بنفيه ، فهم قد صرحوا باثباته ولا مانع من الجمع بين القولين بأنه يجعل تصريحهم باثباته متابعة للايات القرانية على ان تكون الايات القرانية من قبيل المتشابه ، فيكون البعث الذى صرح الفلاسفة باثباته ، بعثا غير مفهوم المعنى والكيف ، فلا يتعارض اثباته على هذا الوجه مع نفيه على وجه محدد .

امران :

اولهما : ان الفلاسفة لم يلزمهم القول بانكار البعث الجسماني ولكنهم صرحوا به تصريحا ،

---

١ — سورة يس الايات (٧٨ ، ٧٩) .

وهاك قول ابن سينا في كتابه "رسالة اضحوية في امر المعاد" . "١"

(لكنا نبين بيانا برهانيا انه لا يمكن ان تعود النفوس بعد الموت الى البدن ، البتة) . "٢"

وثانيهمـــا :

ان ابن سينا لم يعترف بان هناك بعثا جسمانيا اصلا ، لا بمعنى مفهوم ولا بمعنى غير مفهوم واذا كان قد قسم البعث ، في كتابيه "النجاة" ، "الشفاء" - الى روحاني وجسماني فقال فيهما بنص واحد :

(يجب ان تعلم ان المعاد منه مقبول من الشرع ، ولا طريق الى اثباته الا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند الموت ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج الى ان تعلم) .

فليس معنى ذلك ان ابن سينا يعترف بان هناك بعثا جسمانيا ، بل كل ما يفيده هذا النص ان الشريعة قد اخبرت به ، وليس بلازم عند ابن سينا ان كل ما اخبرت به الشريعة يكون كما اخبرت به .

يقول ابن سينا نفسه من ذلك في "النجاة" :

(وكذلك يجب عليه - اى على النبي - ان يقرر عندهم - اى البشر - امر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ، وتسكن اليه نفوسهم ، ويضرب للسعادة والشقاوة امثالا ، مما يفهمونه ويتصورونه واما الحق في ذلك فلا يلوح لهم منه الا امرا مجملا) .

فالبعث الجسماني الذى يتحدث عنه القران ليس له - عند ابن سينا - معنى مفهوم ، ولا معنى غير مفهوم ، ولكنه مجرد تمثيل ، لتفهيم العامة ، ويزيدنا ابن سينا تصريحا بهذا المعنى في كتابه المخصص لبحث مسألة البعـــث

---

١ - تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، نشر دار الفكر العربي .

٢ - انظر : كتاب محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (١ : ١٧) نقلا عن "رسالة اضحويه في امر المعاد" ص ٨٩ .

" رسالة اضحويه في امر المعاد "حيث يقول :

(فظاهر من هذا كله ان الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمونه ، مقربا ما لا يفهمونه الى افهامهم بالتشبيه والتمثيل ، ولوكان غير ذلك لما اغنت الشرائع البتة وكيف يكون ظاهر الشرع حجة في هذا الباب ، ولو فرضنا الامور الاخروية روحانية بعيدة عن ادراك بداية الاذهان ، لحقيقتها ، لم يكن سبيل الشرائع في الدعوة اليها ، والتحذير عنها منبها بالدلالة عليها ، بل بالتعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقربة الى الافهام ، فكيف يكون وجود شيء حجة على وجود شيء اخر ولو لم يكن الشيء الاخر على الحالة المفروضة ، لكان الشيء الاول على حالته) ."(١)

فليس هناك اذن بعث جسماني البتة ، وانما هو تصوير وتمثيل ، فليس هناك اذن تفويض ولا تشابه ، ولا مشابهة لموقف السلف ، وانما هو دفاع عن الفلاسفة وعن غرور العقل بما لا مبرر له) .

نكتفي بهذا القدر من كلام الاستاذ سليمان دنيا ، فهو المطلوب .

اما مناقشته للشيخ محمد عبده في باقي النقاط الاربع التي ذكرها الشيخ محمد عبده في مناقشته : الجلال الدواني فلا حاجة بنا اليها ، لبعدها عن جوهر المسألة .

اذن هذا هو راى الشيخ محمد عبده في مسألة البعث والحشر الجسماني كما فهمه الاستاذ سليمان دنيا .

وقد مر بنا تصريحه الصريح بالبعث الجسماني ، في تفسير جزء عم عند اية " واذا النفوس زوجت " (اى زوجت الارواح بأبدانها وهي النشأة الاخرة) .

هذان عرضان لمسألة واحدة في موضعين مختلفين :

احدهما : صريح واضح .

والاخر : رمز واشارة .

---

١ — انظر نفس الكتاب ص ٥٠ .

ففي ضوء ما مضى هل يفهم القول الصريح على أنه رأيه الحق في المسألة .
ويفهم الرمز والاشارة على انه ترضية للفلاسفة او ترويض للعقل ، وسوقه الى شأو لا يبلغه ، واقحامه في مضايق لا يقوى على سلوكها ؟ ؟
او العكس وهو ان يفهم القول الصريح على انه ترضية للغير — وفي هذه المرة — هم السلف وجمهور المسلمين .
ويفهم الرمز والاشارة — على انهما رأيه الحق في المسألة ؟
والذى استطيع ان اقوله : ان ذلك موقف غير واضح من الشيخ محمد عبده .
كنا نحب ان نعرف رايه القطعي في المسالة ، اهو مع الفلاسفة المنكرين للبعث الجسماني ام مع السلف وجمهور المسلمين المثبتين له ، المعتقدين به ؟ ،
ام انه سلك مسلكا جمع فيه بين مذهب السلف في وجوب الاحتياط والتسليم والتفويض فيما يتعلق بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته ، والوقوف عند ظاهر النص ،
وبين مذهب الفلاسفة في قبول ما يشير به العقل عليهم لا يلوون على شيء اخر ،
وصرف النصوص عن ظاهرها بالتاويل وحملها على المعنى الذى يشير به العقل عليهم
وهذا هو التاويل ؟ ومذهب الفلاسفة باطل لمخالفة النصوص وتاويل البعث ، وادعاء
ان النصوص من المتشابه الذى لا يدرك مراد الله منه الا الله وحده ، مرفوض لانه
لا سبيل الى صرف النصوص الواضحة عن ظواهرها ، ولا سبيل الى القول انها من
قبيل المتشابه لانها ايضا واضحة ومحددة ومفهومة .
فيبقى مذهب السلف في مسألة البعث والحشر وهاك ما قالوه :
ان المولى سبحانه وتعالى ، يأمر بالنفخة الثانية ، فتعود الحياة على اثرها الى الاموات فيبعثون روحا وجسدا تماما كما كانوا في الدنيا ، وهذا هو يوم البعث ، فيخرج الله الناس من قبورهم احياء فيقول الكفار والمنافقون :
" ياويلنا من بعثنا من مرقدنا " "١" .
ويقول المؤمنون " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " . "٢"

---

١ — سورة يس اية (٥٢) .
٢ — سورة يس اية (٥٢) .

يقول مقرر مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :-

(وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم امر المعاد للارواح والاجساد ، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك : بيانا في غاية التمام والكمال) . "١"

وسئل رحمه الله :

هل اهل الجنة ياكلون ويشربون وينكحون بتلذذ كالدنيا ، وهل تبعث الاجسام بعينها ؟

فأجاب :

(اما اهل الجنة فيأكلون ويشربون وينكحون متنعمين بذلك باجماع المسلمين ، كما نطق به الكتاب والسنة ، وانما ينكر ذلك من ينكره من اليهود والنصارى .

وهذه الاجساد هي التي تبعث كما نطق به الكتاب والسنة) ا.هـ"٢"

ويقول رحمه الله في موضع اخر :

(والاعادة التي اخبر الله بها هي الاعادة المعقولة في هذا الخطاب ، وهي الاعادة التي فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي التي يدل عليها لفظ الاعادة .

والمعاد هو الاول بعينه .

وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البدأة فرق ، فذلك الفرق لا يمنع ان يكون قد اعيد الاول ليس الجسد الثاني مباينا للاول من كل وجه ، كما زعم بعضهم ، ولا ان النشأة الثانية كالاولى من كل وجه ، كما ظن بعضهم ، وكما انه سبحانه خلق الانسان ولم يكن شيئا ، كذلك يعيده بعد ان لم يكن شيئا) . "٣"

---

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣١٤) .
٢ - نفس المصدر (٤ : ٣١٦) .
٣ - مجموع الفتاوى (١٧ : ٢٥٥ ، ٢٥٦) / وانظر المواقف للايجي (٢ : ٤٤٢) / وانظر سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية ص ٤٠٠ .

يقول الشيخ سيد سابق :

(ويبدأ اليوم الاخر بالبعث : وهو اعادة الانسان روحا وجسدا كما كان في الدنيا ، وهذه الاعادة تكون بعد العدم التام ، ولا يستطيع الانسان معرفة هذه النشأة الاخرى لانها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الاولى) "١" .

ويكون الحشر بعد بعث الخلائق .

والحشر هو سوقهم الى الموقف ، وهو المكان الذى يقفون فيه انتظارا لفصل القضاء بينهم .

ينقل الشيخ رشيد رضا عن الشيخ محمد عبده في معنى الحشر الى الله تعالى :

(انه ليس لله تعالى مكان يحصره فيحشر الناس ويساقون اليه ، ولكن الانسان يغفل في هذه الدار عن الله فينسى هيبته وجلاله ، وينصرف عن استشعار عظمته وسلطانه ، لانشغاله بدفع المكاره عن نفسه ، وجلب اللذائذ والرغائب لها .

واما ذلك اليوم الذى يحشر له الناس فلا اشتغال فيه بتقويم بنية ولا التمتع بلذة ، ولا مدافعة عدو ، ولا مقاومة مكروه ، ولا بتربية نفس ولا تنزيه حس ، وانما يستقبل فيه كل احد ما يلاقيه من الله تعالى جزاء على عمله ، ولا يشغله عنه شيء فيكون بذلك راجعا عن كل شيء كان فيه الى الله تعالى محشورا مع سائر الناس اليه لا يشغله عنه شيء) "٢" .

ويتولى الملائكة مهمة الحشر ، فتسوق الناس الى الموقف العظيم وحالهم كما خلقوا اول مرة حفاة عراة غير منتعلين ولا مكتسين ، غرلا غير مختتنين ...

فقد صح عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، انها قالت :

---

١ ــ العقائد الاسلامية ، لسيد سابق (ص ٢٦٢ ، ٢٦٣) .
٢ ــ انظر : تفسير المنار (٤ : ١٨٩) .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا " .

قلت : يارسول الله : ينظر بعضهم الى بعض ؟

قال صلى الله عليه وسلم : ياعائشة : الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض " "١" .

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال :

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

" يا ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا " .

ثم قال :

" كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ... الى اخر الاية .

ثم قال :

" الا وان اول الخلائق يكس يوم القيامة ابراهيم ، الاوانه يجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يارب اصحابي ، فيقال : انك لا تدرى ما احدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح "٢" وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ،

فيقال : ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم " . "٣"

وفي الموقف يصيب الناس كرب شديد ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . — اى من شدة ما هم فيه —

فقد روى المقداد بن الاسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قال :

---

١ — متفق عليه : انظر فتح البارى (١١ : ٣٢٥) ، وانظر : صحيح مسلم بشرح النووى (١٧ : ١٩٢) .

٢ — هو عيسى عليه السلام .

٣ — انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى (٨ : ٢٣٠) .

"تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل "١" ،
فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق ، : فمنهم من يكون الى كعبيه ،
ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق
الجاما " واشار صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه "." ٢"

وفي اثناء ذلك يكون اناس في ظل الله تحت عرشه ، كما ورد في حديث
ابي هريرة رضى الله عنه ، وحديث ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه ،
فعنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ،
وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في
الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ،
فقال : اني اخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما
تنفق شماله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "." ٣"

والناس يختلفون يوم الموقف اختلافا كبيرا حسب اعمالهم ، فالذين صلحت
عقائدهم واعمالهم ، وزكت نفوسهم يكونون اكمل اجسادا وارواحا ، وغيرهم
يكونون انقص اجسادا وارواحا ." ٤"

فعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف : صنف مشاة ، وصنف ركبان ،
وصنف على وجوههم ".

---

١ ــ قال سليم بن عامر راوى الحديث عن المقداد :ــ فوالله ما ادرى ما يعني
بالميل : امسافة الارض ، ام الميل الذى يكتحل به العين .
/ انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٧ : ١٩٦) .
٢ ــ انظر : صحيح مسلم بشرح النووى (١٧ : ١٩٦) .
٣ ــ انظر : صحيح البخارى بحاشية السندى (١ : ١٧٠) ، الطبعة
الاولى ، المطبعة العثمانية ، ١٣٥١ هـ ــ ١٩٣٢م.
وانظر صحيح مسلم بشرح النووى (٧ : ١٢٠) / والسنن الكبرى
للبيهقي (١٠ : ٨٧).
٤ ــ انظر : العقائد الاسلامية ، سيد سابق ص ٢٦٦ .

قيل : يارسول الله : كيف يمشون على وجوههم ؟

قال : ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم .

اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب "١" وشوك "٢"

وما اعدل ان يحشر المتكبرون والمتجبرون يوم القيامة في صور الذر ، تطوءهم الناس لهوانهم على الله عز وجل . "٣"

وصدق الله العظيم اذ يقول :

" ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوءخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي روءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء " . "٤"

نعوذ بالله من هول الموقف ، ونعوذ بالله ان نكون من الظالمين ...

---

١ ـ الحدب : ما ارتفع من الارض .

٢ ـ رواه الترمذى .

٣ ـ انظر : في ذلك تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٦٢ ، ٣٦٣) .

٤ ـ سورة ابراهيم الايات (٤٣ ـ ٤٥) .

٣ ـ الشفاعة والحوض

=================

أ : ـ الشفاعة :

=================

يرى الشيخ محمد عبده ان الشفاعة من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها ، ولم يبينها .

ولذلك لا يبحث عنها ، لان علمها مرجعه النقل المحض بأسانيد صحيحة ، ولا مجال للرأى فيه .

وقد نسب الشيخ محمد عبده هذا الراى الى السلف "١" ، رضوان الله عليهم .

ونسب الى الخلف قولهم ان المراد بالشفاعة : دعاء يستجيبه الله تعالى .

تفصيل كلام الشيخ محمد عبده :

=================

ذكر الشيخ محمد عبده ان في القران الكريم ايات ناطقة بنفي الشفاعة مطلقا ، كقوله تعالى ، في وصف يوم القيامة :

" لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة " "٢"

وايات اخرى ناطقة بنفي منفعة الشفاعة كقوله تعالى ،

" فما تنفعهم شفاعة الشافعين " . "٣"

وايات تقيد النفي بمثل قوله تعالى : " الا باذنه " "٤" ، وقوله تعالى :

---

١ ـ السلف على خلافه لان النقل ثابت ، والاسانيد صحيحة ، فلماذا لا يقولون بها ؟ وسترى بعد قليل مذهب السلف في الشفاعة .

٢ ـ سورة البقرة اية (٢٥٤) .

٣ ـ سورة المدثر اية (٤٨) .

٤ ـ سورة البقرة اية (٢٥٥) .

" الا لمن أرتضى " ." ١ "

وذكر الشيخ محمد عبده ان الناس في هذه الايات فريقان :

فريق يحكم الثاني بالاول ،" ٢ "

واخر يرى انه لا منافاة بينهما ، فنحتاج الى حمل احدهما على الاخر ،

لان مثل هذا الاستثناء ـ اى الاستثناء بالاذن والمشيئة ـ معهود في اسلوب

القران في مقام النفي القطعي للاشعار بان ذلك باذنه ومشيئته عز وجل ،

كقوله تعالى :

" سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله " ." ٣ "

وكقوله تعالى : " خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك " ." ٤ "

وهنا يتساءل الشيخ محمد عبده ، قائلا :ـ

(فليس في القران نص قطعي في وقوع الشفاعة ، ولكن ورد الحديث

باثباتها ، فما معناها ؟) ." ٥ "

ويشرع في الاجابة ، فيقول :ـ

(الشفاعة المعروفة عند الناس هي ان يحمل الشافع المشفوع عنده على

فعل او ترك كان اراد غيره ـ حكم به ام لا ـ فلا تتحقق الشفاعة الا بترك الارادة

وفسخها لاجل الشفيع .

فأما الحاكم العادل فانه لا يقبل الشفاعة الا اذا تغير علمه بما كان اراده ،

او حكم به ، كأن كان أخطأ ثم عرف الصواب ورأى أن المصلحة او العدل في خلاف

ما كان يريده أو حكم به .

---

١ ـ سورة الانبياء اية (٢٨) .

٢ ـ لم يفصح الشيخ محمد عبده عن هذا الرأى .

٣ ـ سورة الاعلى اية (٦) .

٤ ـ سورة هـود اية (١٠٧) .

٥ ـ انظر : تفسير المنار (١ : ٣٠٧) .

واما الحاكم المستبد الظالم فانه يقبل شفاعة المقربين عنده في الشيء وهو عالم بأنه ظلم وان العدل في خلافه ، ولكنه يفضل مصلحة ارتباطه بالشافع المقرب منه ، على العدالة .

وكل من النوعين محال على الله تعالى لان ارادته تعالى على حسب علمه ، وعلمه ازلي لا يتغير) . "١"

قال الشيخ رشيد : قال شيخنا :ـ

(فما ورد في اثبات الشفاعة يكون على هذا من المتشابهات ، وفيه يقضي مذهب السلف بالتفويض والتسليم ، وانها مزية يختص الله بها من يشاء يوم القيامة ، عبر عنها بهذه العبارة " الشفاعة " ، ولا نحيط بحقيقتها ، مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنى الشفاعة في لسان التخاطب العرفي .

واما مذهب الخلف في التأويل : فلنا ان نحمل الشفاعة فيه على انها دعاء يستجيبه الله تعالى .

والاحاديث الواردة في الشفاعة تدل على هذا ...

ففي رواية الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم يسجد يوم القيامة ويثني على الله تعالى بثناء يلهمه يومئذ ، فيقال له :

" ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع " .

وليس في الشفاعة بهذا المعنى ان الله سبحانه يرجع عن ارادة كان ارادها ، لاجل الشافع ، وانما هي اظهار كرامة للشافع بتنفيذ الارادة الازلية عقيب دعائه .

وليس فيها ايضا ما يقوى غرور المغرورين الذين يتهاونون بأوامر الدين ونواهيه اعتمادا على شفاعة الشافعين ، بل فيه ان الامر كله لله .) . "٢"

---

١ ـ انظر : نفس المصدر ونفس الصفحة .

٢ ـ تفسير المنار (١ : ٣٠٧ ، ٣٠٨) .

وهنا يقف الشيخ محمد عبده مع الاحاديث الصحيحة الواردة في "الشفاعة" فيثبت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويوفق بين الايات والاحاديث : بأن " الاذن " الوارد في قوله تعالى : " الا باذنه " واقع

وهو " ان نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع في فصل القضاء ، فيفتح باب الشفاعة ، فيدخل فيه غيره من الشفعاء كالانبياء والاصفياء ... "

يقول الشيخ محمد عبده :

(والله تعالى يأذن لمن يشاء ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة من يشاء كما علم من الاستثناء) . "١"

---

١ ـ تفسير المنار (٣ : ٣٢) .

" تقويم كلام الشيخ محمد عبده " :

====================

لم يوضح الشيخ محمد عبده مذهب السلف في الشفاعة ، واكتفى بالقول :
ان السلف رضوان الله عليهم في مسألة الشفاعة ، يفوضون علم حقيقتها الى الله سبحانه وتعالى ، وانها مزية يختص الله بها من يشاء من عباده يوم القيامة .

ونسب الشيخ محمد عبده الى الخلف القول بالتاويل ! اى تاويل الشفاعة ، بحملها على الدعاء الذى يفعل الله تعالى عقبه ما سبق في علمه الازلي ان سيفعله ، مع القطع بأن الشافع لم يغير شيئا من علمه ، ولم يحدث تأثيرا ما في ارادته تعالى ، وبذلك تظهر كرامة الله تعالى لعبده ، بما اوقع الفعل عقب دعائه .

واقول :

لم يوفق الشيخ محمد عبده في بيان مذهب السلف في مسألة الشفاعة ، وما نسبه الى الخلف هو في الحقيقة كلام السلف ، وبه فسر الشفاعة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله من غير تأويل .

واني احتكم والشيخ محمد عبده الى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ، نفسه ، وهو مقرر مذهب السلف ، والكاتب بقلمهم ...

واليك مذهب السلف في مسألة الشفاعة كما قرره شيخ الاسلام :

يقول رحمه الله :

(اجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم ، يشفع للخلق يوم القيامة ، بعد ان يسأله الناس ذلك ، وبعد ان يأذن الله له في الشفاعة .

ثم ان اهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين .

واستفاضت به السنن من انه صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الكبائر من امته ، ويشفع ايضا لعموم الخلق .

فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها ، لا يشركه فيها احد ، وشفاعات يشركه فيها غيره من الانبياء والصالحين .

لكن ماله فيها افضل مما لغيره ، فانه صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ، واكرمهم على ربه عز وجل ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضوع عن بسطه ، ومن ذلك :

" المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والاخرون " .

واحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها في الصحيحين احاديث متعددة ، وفي السنن والمسانيد مما يكثرعدده ...) .

هذا ما قاله شيخ الاسلام احمد بن تيمية رحمه الله تعالى ، في مجموع الفتاوى ، في المجلد الاول ، صفحة ٣١٣ ، ٣١٤ . وهو كلام مختصر مجمل ، شرحه في نفس المجلد صفحة ١١٦ — ١٢٠ ، وفي مواضع اخرى من كتابه سنذكرها باذن الله تعالى .

وهاك ما شرحه به :—

يقول :

(ومذهب سلف الامة وائمتها وسائر اهل السنة والجماعة : اثبات الشفاعة لاهل الكبائر ، والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان .

وايضا : فالاحاديث المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة ، فيها :— استشفاع اهل الموقف ليقضى بينهم ، وفيهم المؤمن والكافر .

وهذا فيه نوع شفاعة للكفار .

وايضا : ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب انه قال :

يارسول الله : هل نفعت ابا طالب بشيء ؟ فانه كان يحوطك ، ويغضب لك .

قال : " نعم . هو في ضحضاح من نار ، ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار " .

وعن عبد الله بن الحارث قال :

سمعت العباس يقول :

قلت يارسول الله : ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه ذلك ؟

قال : " نعم . وجدته في غمرات من نار ، فأخرجته الى ضحضاح " .

وعن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر عنده عمه " ابو طالب " فقال :

" لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه ، يغلي منه دماغه " .

فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في احد الكفار ان يخفف عنه العذاب ، بل في ان يجعله اهون اهل النار عذابا ، ...

والشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس ، عند الاطلاق ، وهي ان يشفع الشفيع الى غيره ابتداء ، فيقبل شفاعته .

فاما اذا اذن له في ان يشفع ، فيشفع . لم يكن مستقلا بالشفاعة ، بل يكون مطيعا له اى تابعا له في الشفاعة ، وتكون شفاعته مقبولة ، ويكون الامر كله للآمر المسؤول .

وقد ثبت بنص القرآن في غير اية : ان احدا لا يشفع عنده الا باذنه ،

كما قال تعالى :

" من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه " . "١"

وقال تعالى : " ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له " . "٢"

وقال تعالى : " ولا يشفعون الا لمن ارتضى " . "٣"

---

١ ـ سورة البقرة اية (٢٥٥) .
٢ ـ سورة سبأ اية (٢٣) ..
٣ ـ سورة الانبياء اية (٢٨) .

وامثال ذلك .

والذى يبين ان هذه هي الشفاعة المنفية انه قال تعالى :

" وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون " . "١"

وقال تعالى : " الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع " . "٢"

فأخبر انه ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع) ا.هـ

وقال رحمه الله في موضع اخر : "٣"

(وله صلى الله عليه وسلم — في القيامة — ثلاث شفاعات :—

اما الشفاعة الاولى : فيشفع في اهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد ان تتراجع الانبياء : ادم ، ونوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم ، عن الشفاعة حتى تنتهي اليه .

واما الشفاعة الثانية : فيشفع في اهل الجنة ان يدخلوا الجنة .

وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

واما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار .

وهذه الشفاعة له ، ولسائر النبيين ، والصديقين ، وغيرهم .

فيشفع فيمن استحق النار ان لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها ان يخرج منها .

ويخرج الله تعالى من النار اقواما بغير شفاعة ، بل بفضله ورحمته .

ويبقي في الجنة عمن دخلها من اهل الدنيا ، فينشي الله لها اقواما فيدخلهم الجنة)

ا.هـ

---

١ — سورة الانعام اية (٥١) .

٢ — سورة السجدة اية (٤) .

٣ — انظر : مجموع الفتاوى (٣ : ١٤٧ ، ١٤٨) .

واليك النص التالي من كلام شيخ الاسلام ، وفيه يحمل معنى الشفاعة على الدعاء المستجاب ، له صلى الله عليه وسلم :

يقول رحمه الله تعالى :

(وهو صلى الله عليه وسلم ، شفيع الخلائق ، صاحب المقام المحمود ، الذى يغبطه به الاولون ، والاخرون ،

فهو اعظم الشفعاء قدرا ، واعلاهم جاها عند الله تعالى ، وقد قال تعالى عن موسى :

" وكان عند الله وجيها " . "١"

وقال تعالى عن المسيح :

" وجيها في الدنيا والاخرة " . "٢"

ومحمد صلى الله عليه وسلم ، اعظم جاها من جميع الانبياء والمرسلين ، لكن شفاعته ودعاؤه ، انما ينتفع به من شفع له الرسول ودعا له ،

فمن دعا له الرسول ، وشفع له ، توسل الى الله بشفاعته ودعائه ، كما كان اصحابه يتوسلون الى الله بدعائه وشفاعته ، وكما يتوسل الناس يوم القيامة الى الله تبارك وتعالى ، بدعائه وشفاعته صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما) . "٣"

ويقول ايضا :

(واما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا والدين باتفاق المسلمين ، وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ، ورفع الدرجات ، متفق عليها بين المسلمين .

وقد قيل ان بعض اهل البدعة ينكرها .

واما شفاعته لاهل الذنوب من امته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم

---

١ ــ سورة الاحزاب اية (٦٩) .
٢ ــ سورة ال عمران اية (٤٥) .
٣ ــ مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١ : ١٤٣) .

باحسان ، وسائر ائمة المسلمين الاربعة ، وغيرهم .

وانكرها كثير من اهل البدع من الخوارج "١" ، والمعتزلة ، والزيدية، "٢"

وقال هؤلاء : من يدخل النار لا يخرج منها ، لا بشفاعة ، ولا غيرها .

وعند هؤلاء ما ثم الا من يدخل الجنة فلا يدخل النار ، ومن يدخل النار ،

فلا يدخل الجنة . ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب .

واما الصحابة ، والتابعون لهم باحسان ، وسائر الائمة كالاربعة وغيرهم ،

فيقرون بما تواترت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله

يخرج من النار قوما بعد ان يعذبهم الله ما شاء ان يعذبهم ، و يخرجهم بشفاعة

محمد صلى الله عليه وسلم ، ويخرج اخرين بشفاعة غيره ، ويخرج قوما بلا شفاعة) . "٣"

وبعد :

فهذا هو كلام مقرر السلف — رضي الله عنهم — وقد تبين منه صحة ما

ذكرت ، وهو : ان مذهب السلف في الشفاعة : ثبوتها لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ، وغيره من الانبياء ، والصالحين يوم الكرب العظيم .

وانما تكون بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن اذن الله له بها .

واستجابة الله لهم حسبما سبق في علمه الازلي كرامة لهم واستحقاقا .

وقد ادرك الشيخ رشيد رضا هذا المعنى عن السلف — رضي الله عنهم —

فتدارك خطأ استاذه ، فعقب على كلامه ، وذكر ان هذا هو مذهب شيخ الاسلام

---

١ — هم الذين خرجوا على الامام علي رضي الله عنه ، بعد حادثة التحكيم ،
بينه وبين معاوية رضي الله عنه ، وقد قاتلهم الامام علي وقضى على معظمهم .

٢ — من فرق الشيعة ، ينتسبون الى الامام زيد بن علي رضي الله عنه ، وهم
اقرب فرق الشيعة الى اهل السنة ، واغلبهم يسكن ارض اليمن من الجزيرة
العربية .

٣ — مجموع الفتاوى (١ : ١٤٨ ، ١٤٩) .

ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وبه فسر الشفاعة ٠ "١"

وعلى الجملة : فان الشفاعة - عند السلف - يقصد بها سؤال الله الخير للناس يوم الموقف العظيم ، اذا اشتد الامر بالناس ، وعظم بهم الكرب ، فهي نوع من انواع الدعاء المستجاب ٠

واولها الشفاعة العظمى ، ولا تكون الا لنبينا ، وسيدنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ٠ فانه يسأل الله سبحانه ان يقضي بين الخلق ، ويعجل لهم فصل القضاء ليستريحوا من هول الموقف ، فيستجيب الله له ، فيغبطه الاولون ، والاخرون ، ويظهر بذلك فضله على العالمين ، وهذا هو المقام المحمود الذى وعد به في قول الحق سبحانه وتعالى :

" ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا " ٠ "٢"

وفي الحديث الذى رواه ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

" ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن ، فبينما هم كذلك ، استغاثوا بادم ، فيقول : لست بصاحب ذلك ٠

ثم بموسى فيقول كذلك ٠

ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا ، يحمده اهل الجمع كلهم " ٠ "٣"

---

١ - انظر: تفسير المنار (٣ : ٣٣) ٠

٢ - سورة الاسراء اية (٧٩) ٠

٣ - رواه ابو داود والحاكم ٠ وقد رويت احاديث الشفاعة عن جمهور من الصحابة: منهم ما رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك : انظر البخارى (١١ : ٨٢) ، باب لكل نبي دعوة ٠ وقد وصله مسلم رقم (٢٠٠) في الايمان: باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم ، دعوة الشفاعة لامته ٠ =

وقد وردت احاديث كثيرة بهذا المعنى ، تفيد بمجموعها ثبوت الشفاعة لنبينا صلى الله عليه وسلم يوم الموقف العظيم . "١"

وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات "٢" ، فهي مشروطة "بالاذن" من الله عز وجل ، وان تكون لمن ارتضى الله ان يشفع له ، ولا يرتضي اللـــه

= ومنهم جابر بن عبد الله ، وابو هريرة ، وعوف بن مالك ، وعن حذيفة بن اليمان ، وابي سعيد الخدرى ، وابي بن كعب .

انظر سنن الترمذى رقم ٣١٤٧ .

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ — ٢٥٤ .

وانظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٨ .

والعقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ٢٦٧ .

وصحيح مسلم بشرح النووى (٣ : ٥٤ — ٧٧) .

١ — انظر كتاب : جامع الاصول في احاديث الرسول ، لابن الاثير الجزرى ، (١٠ : ٤٧٥ — ٤٩٠) .

٢ — ذكر شارح العقيدة الطحاوية ثمانية انواع للشفاعة : منها ما هو متفق عليه بين الامة ، ومنها ما خالف فيه المعتزلة وغيرهم ...

النوع الاول : الشفاعة الاولى ، وهي العظمى الخاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، دون سائر اخوانه من الانبياء والمرسلين .

النوع الثاني : شفاعته صلى الله عليه وسلم في اقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .

النوع الثالث : شفاعته صلى الله عليه وسلم في اقوام اخرين قد امر بهم الـــى النار ، ان لا يدخلوها .

النوع الرابع ::: شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب اعمالهم .

النوع الخامس : الشفاعة في اقوام ان يدخلوا الجنة بغير حساب .

النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه .

النوع السابع : شفاعته ان يؤذن لجميع المؤمنين ان يدخلوا الجنة . =

الشفاعة الا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الالهي . "١"

اسال الله ان تكون ممن يشفع لهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يوم الموقف العظيم ، وان نكون من الذين ينعم الله عليهم بعفوه ورضاه ، امين .

= النوع الثامن : شفاعته في اهل الكبائر من امته ممن دخل النار ، فيخرجون منها ، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون ، والمؤمنون ايضا .

انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ ـ ٢٥٨ / والعقائد الاسلامية ص ٢٦٧ ، ٢٩١ ،

والاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

ومجموع الفتاوى (١ : ١٤٣ ـ ١٤٩) ، (٣ : ١٤٧) ، (٥ : ٣٠٩) ، (١١ : ١٨٤ ، ١٨٥ (ه)) ، (١٦ : ١٩٥ ، ١٩٦) .

١ ـ انظر العقائد الاسلامية ص ٢٦٨ .

وانظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة ص ٢٤٢ .

ب : — " الحوض " :

=================

واما الحوض فهو مكرمة من الله تعالى ، لنبيه ، تفضل الله به عليه وعلى امته صلى الله عليه وسلم ٠

وقد نص عليه البيان القراني في قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر " ٠ "١"

روى مسلم عن انس رضي الله عنه قال :—

" بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد ، اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما ٠

قلنا : ما اضحكك يا رسول الله ؟

قال : لقد انزلت علي انفا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ،

" انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر " ٠

ثم قال : اتدرون ما الكوثر ٠ ؟

قلنا : الله ورسوله اعلم ٠

قال : فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة ، انيته عدد النجوم في السماء ، فيختلج العبد منهم ، فأقول : رب انه من امتي ، فيقول : انك لا تدرى ما احدث بعدك ٠" "٢"

وحاصله : ان ماء الحوض والكوثر شيء واحد كما نص عليه هذا الحديث ، وان اصله في الجنة ٠ فما كان جاريا منه في الجنة فهو ماء الكوثر ، وما انصب

---

١ — سورة الكوثر ، مكية واياتها ثلاث ، نزلت بعد العاديات ٠

٢ — الحديث صحيح على شرط مسلم ، انظر المسند (٣ : ١٠٢) ٠

منه في خارج الجنة فهو ماء الحوض ، وهو الذى يرده المؤمنون الثابتون على دين الله ، قبل دخولهم الجنة ، ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فرطا لهم عنده ."١"

وانا انما سقت هذه المقدمة ، لاني لم اجد للشيخ محمد عبده قولا في الحوض ، ووجدت له رايا في معنى الكوثر الوارد ذكره في السورة ، يخالف فيه نص الحديث السابق ، عن انس رضي الله عنه .

واليك نص كلام الشيخ محمد عبده :

يقول :

" فاذا جرينا على ان الكوثر هو النبوة او العلم او الحكمة او نور القلب ، — وهو الهدى والرشاد — كان المعنى : ان الذى اعطيناك من هذه المواهب هو الكثير الذى لا يكثره شيء ، وان استقله الضعفاء ، او استخف به الاعداء .

واى كثير يعد كثيرا بالنسبة الى الهدى والرشاد ومعرفة طريق السعادة ؟

أليس الهدى منبع القوة والعزة ، وهو الذى يحفظهما بعد حصولهما ؟

ان القوة والمال — اذا لم تكن معهما الهداية التي تقيم صاحبها على الطريق المستقيم — لا بقاء لهما ، ومصيرهما الى الزوال ، ومصير كثرتهما الى قلة .

وكما قال سيدنا علي رضي الله عنه : " العلم يحفظك وانت تحفظ المال " .

ولا سبيل الى حفظ المال الا بالعلم .

والجهل والضلال مضيعة كل شيء من جاه او مال .

وعلى ان الكوثر هو الخير الدنيوى والاخروى يكون المراد :—

ان هؤلاء المستعجلين بالسيئة يظنون انك في قل وضعف ، وان اغنياءهم واقوياءهم في عز ونعمة ، ولا يعلمون اننا قد اعطيناك من الخير الذى يعظم في نفوسهم

---

١ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ — ٢٥٢ .

وانظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٦٢ .

مما لا يعرفون ، ومن الخير المدخر لك في الغيب مما لا يدركون ، شيئا كثيرا لا تحد كثرته .

واما ان هناك نهرا في الجنة اسمه الكوثر ، وان الله اعطاه نبيه ، فلا يفهم من معنى الاية ، بل الذى يدل عليه سياق السورة ، وموضع نزولها هو الذى بيناه من احد القولين .

والاول - وهو النبوة وما في معناها - ارجح .

اما الاعتقاد بوجود هذا النهر في الجنة ، فموقوف على تواتر الاخبار التي وردت به ، وقد ذهب جماعة الى انها متواترة المعنى ، فيجب الاعتقاد بوجود النهر على وجه عام دون تفصيل اوصافه لكثرة الخلاف فيها ...

وبالجملة : فخبر وجود النهر من الاخبار الغيبية ، لا يجوز الاعتقاد به الا بعد التيقن انه ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فاذا وصلت فيه الى اليقين الذى لا يجوز عندك تبدله ، وكان علمك بصدوره عنه - عليه السلام - كعلمك بوجود مكة او المدينة قبل ان تراهما ، فاعتقد به ، والا ففوض الامر الى الله ، وقل : لا اعلم . والله اعلم) اهـ "١"

هذا هو كلام الشيخ محمد عبده في الكوثر ، اما الحوض فلم يتعرض له ، وهو من الاخبار الغيبية ، التي ورد الخبر فيها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم .

والواقع ان الشيخ محمد عبده في جريانه على ان الكوثر هو النبوة او الخير الكثير ، كان مسبوقا الى هذا الراى ، وقد سبقه اليه كثير من ائمة المفسرين المشهورين . "٢"

---

١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٥٤٣ ، ٥٤٤) .

٢ - انظر : فتح القدير (٥ : ٥٠٢) .

وانظر : مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦٨٣) .

فقد قال ابو بكر بن عياش : هو كثرة الاصحاب والامة .

وقال عكرمة : الكوثر ، النبوة .

وقال الحسن : هو القران .

وقال الحسن بن الفضل : هو تفسير القران ، وتخفيف الشرائع .

وقال ابن كيسان : هو الايثار .

وقيل : هو الاسلام ، وقيل : لا اله الا الله ، وقيل : الشفاعة ،

وقيل : رفعة الذكر ، وقيل : نور القلب ، وقيل : المعجزات ، وقيل :

اجابة الدعوة ، وقيل : الفقه في الدين ، وقيل : الصلوات الخمس .

وهذا الذى ذهب اليه الشيخ محمد عبده في معنى الكوثر ، ونسبه الى

كثير من المفسرين ، اقرب الى المعنى اللغوي :

ان الكوثر في اللغة : فوعل ، من الكثرة ، وصف به للمبالغة في الكثرة ،

مثل النوفل من النفل ، والجوهر من الجهر .

والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد او القدر او الخطر ، كوثرا .

ومنه قول الشاعر :

وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا . "١"

والكوثر من الرجال : السيد الكثير الخير . والكوثر من الغبار الكثير "٢" .

وقيل لاعرابية رجع ابنها من السفر : بم رجع ابنك ؟ قالت : بكوثر .

وقال الكميت:

وانت كثير يا ابن مروان طيـــــب   وكان ابوك ابن العقائل كوثــــــرا

فيكون المعنى على هذا :

---

١ ــ انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦٨٣) .

٢ ــ انظر مختار الصحاح ، للرازى ص ٥٦٤ .

انا اعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة الى الغاية ،

قال البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهم ، انه قال في الكوثر : هو الخير الذى اعطاه الله اياه .

قال ابو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة .

فقال سعيد : النهر الذى في الجنة من الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : الكوثر : الخير الكثير .

وهذا التفسير يعم النهر وغيره ، لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ، ومن ذلك النهر . كما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد رضي الله عنهم اجمعين . "١"

وايضا فان الشيخ محمد عبده قد تجاهل اكثر كلام المفسرين ، واهل الحديث ، في ان الكوثر نهر في الجنة .

فقد ذهب اكثر المفسرين — كما حكاه الواحدى — الى ان الكوثر نهر في الجنة . "٢"

وقيل : هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف العظيم . قاله عطاء .

ومن الذين قالوا انه نهر في الجنة ، ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، واسامة بن زيد ، وانس بن مالك ، وابن عباس في احد قوليه .

وهؤلاء من اقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفهم المراد من كلامه "٣" .

وقد اخرج ابن ابي شيبة واحمد وابو داود ، والنسائي وابن جرير وابن حسن

---

١ — انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦٨٣) .

٢ — انظر فتح القدير ، للشوكاني (٥ : ٥٠٣) .

٣ — انظر حادى الارواح الى بلاد الافراح ، لابن القيم ص ١٢٣ وما بعدها .

المنذر وابن مردويه ، والبيهقي في سننه ، عن انس قال :

اغفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة ، فرفع رأسه مبتسما ، فقـــال :

" انه انزل علي انفا سورة " فقرأ : (بسم الله الرحمن الرحيم : انا اعطيناك الكوثر) ، حتى ختمها .

قال : " هل تدرون ما الكوثر " ؟

قالوا : الله ورسوله اعلم .

قال : " هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه امتي يوم القيامة ..." الى اخر الحديث . فقد سبق ذكره ، وقد اخرجه مسلم في صحيحه عن انس رضى الله عنه .

واخرج البخارى ومسلم ، وغيرهما عن انس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" دخلت الجنة ، فاذا انا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى الى ما يجرى فيه الماء ، فاذا مسك اذفر . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى اعطاكه الله ".

وقد روى انس رضى الله عنه من طرق ، كلها مصرحة بأن الكوثر هو النهر الذى في الجنة .

واخرج ابن ابي شيبة ، والبخارى ، وابن جرير ، وابن مردويه عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، انها سئلت عن قوله تعالى " انا اعطيناك الكوثر" قالت : هو نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم في بطان الجنة .

واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه نهر في الجنة .

واخرج الطبراني في الاوسط عن حذيفة في قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر " قال : نهر في الجنة . وحسن السيوطي اسناده .

واخرج ابن جرير وابن مردويه عن اسامة بن زيد مرفوعا : " انه قيل لرسول اللـه

صلى الله عليه وسلم :

انك اعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر ؟

فقال : اجل ، وارضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولوءلوء " . "١"

قال الامام الشوكاني رحمه الله في " فتح القدير " :

(فهذه الاحاديث تدل على ان الكوثر هو النهر الذى في الجنة ، فيتعين المصير اليها ، وعدم التعويل على غيرها ، وان كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب . فمن فسره بما هو اعم مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو تفسير ناظر الى المعنى اللغوى ...

وهذا التفسير من حبر الامة — ابن عباس رضي الله عنهما — ناظر الى المعنى اللغوى كما عرفناك ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فسره فيما صح عنه انه النهر الذى في الجنة ، واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل) . "٢"

والراى عندى : ان الكوثر هو النهر الذى في الجنة ، عليه خير كثير .

وليس المراد الخير الكثير ومنه النهر الذى في الجنة .

لان الرسول صلى الله عليه وسلم ، صرح بهذا في حديث انس .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير " .

والكوثر هو اصل الحوض ، وهو يصب فيه ، واصله في الجنة ، فما كان جاريا داخل الجنة فهو الكوثر ، والماء المنصب خارجها ينصب في الحوض ، وهو الذى ترد عليه امة محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم القيامة ، في الموقف .

---

١ — انظر مجموع هذه الاحاديث في جامع الاصول في احاديث الرسول (١٠ : ٤٦١ — ٤٧٤) . وفي الصحيحين .

٢ — فتح القدير (٥ : ٥٠٤) .

اقول : هذا ما يجب على المؤمن إعتقاده ، فان الاحاديث الواردة فيه تبلغ حد التواتر ، رواها من الصحابة اكثر من ثلاثين صحابيا . "١"

ويكون اول من يرده محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم ترده بعده امته ، ولا يصل اليه كافر ، ولا من فعل الكبائر . "٢"

قال صلى الله عليه وسلم : " انا فرطكم على الحوض "٣" ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ ابدا ، وليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم ، فيقول صلى الله عليه وسلم : انهم امتي . فيقال : انك لا تدرى ما عملوا بعدك ؟ فأقول : سحقا ، سحقا لمن بدل بعدى " . "٤"

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ، ثم انصرف الى المنبر فقال : " اني فرط لكم وانا شهيد عليكم ، والله لانظر الى حوضي الان ، واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض ، او مفاتيح الارض ، واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى ، ولكن اخاف ان تتنافسوا فيها " . "٥"

واخرج البخارى ومسلم عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

١ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ / وشرح العقيدة الواسطية ص ١١٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووى (١٥ : ٥٣) .

٢ ـ انظر الدين الخالص (١ : ١١١) .

٣ ـ الفرط : هو من يتقدم الواردة ليرتاد لهم الماء ، ويهيئ لهم الارسان والدلاء ، والمعنى انا متقدمكم وسابقكم الى الحوض / انظر مختار الصحاح ص ٤٩٩ .

٤ ـ صحيح مسلم بشرح النووى (١٥ : ٥٣ ، ٥٤) .

٥ ـ متفق عليه ، انظر صحيح البخارى كتاب الجنائز . / وصحيح مسلم بشرح النووى (١٥ : ٧٥) .

" اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ اناس دوني ، فأقول : يارب مني ومن امتي ، فيقال : اما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على اعقابهم ". "١"

هذا ، وعلى المؤمن ايضا ان يؤمن بما ورد في صفة الحوض على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الاحاديث من غير تأويل ...

قال شارح الطحاوية :

(والذى يتلخص من الاحاديث الواردة في صفة الحوض :

انه حوض عظيم ، ومورد كريم ، يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر ، الذى هو اشد بياضا من اللبن ، وابرد من الثلج ، واحلى من العسل ، واطيب ريحا من المسك ، وهو في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر .

وفي بعض الاحاديث : انه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع ، وانه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ، ويثمر الوان الجواهر ، فسبحان الخالق الذى لا يعجزه شيء .

وقد ورد في احاديث ان لكل نبي حوضا ، وان حوض نبينا صلى الله عليه وسلم اعظمها واحلاها واكثرها واردا "٢". جعلنا الله منهم بفضله وكرمه). "٣"

---

١ ـ صحيح مسلم بشرح النووى (١٥ : ٥٥).

٢ ـ حسن ، اخرجه الترمذى (٢ : ٦٧) ، طبع الهند وقال غريب ، ثم ذكر انه ورد مرسلا وقال : " هو اصح " ، ورواه الطبراني ايضا كما في " المجمع (١٠ : ٣٦٣) ، وقال : " وفيه مروان بن جعفر السمرى وثقه ابن ابي حاتم ، وقال الازدى : يتكلمون فيه ، وبقية رجاله ثقات ".
قال الشيخ محمد ناصر الدين الالباني " ثم وجدت ما يقوى الحديث ، فخرجته في الصحيحة (١٥٨٩) .
/ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ .

٣ ـ شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥١ ، ٢٥٢ /
وانظر العقائد الاسلامية ص ٢٨١ .

ومن الاحاديث الواردة في صفة الحوض ، ما اخرجه البخاري عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما انه قال :ـ

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " حوضي مسيرة شهر ، ماؤه ابيض من اللبن ، وريحه اطيب من المسك ، وكيزانه "١" كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ ابدا " . "٢"

اقول :

هذا غيض من فيض من الاحاديث الصحيحة الواردة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، في ذكر حوضه ، وقد بلغت حد التواتر . فيجب ان نصدق بها ، والتصديق بالحوض من الايمان ...

نقل النووي رحمه الله عن عياض قوله :

(احاديث الحوض صحيحة ، والايمان به فرض ، والتصديق به من الايمان . وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة ، لايتأول ولا يختلف فيه ...

وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة : فذكره مسلم من رواية ابن عمرو بن العاص ، وعائشة ، وام سلمة ، وعقبة بن عامر ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وحارثة بن وهب ، وابي ذر ، وثوبان وانس ، وجابر بن سمرة ، ورواه غير مسلم ، من رواية ابي بكر الصديق ، وزيد بن ارقم ، وابي امامة وعبد الله بن زيد ، وابي برزة ، وسويد بن جبلة ، والبراء بن عازب ، واسماء بنت ابي بكر ، وخولة بنت قيس ...

وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا) . "٣"

---

١ ـ اي انيته واباريقه .

٢ ـ انظر فتح الباري (١١ : ٣٩٦ ـ ٣٩٨) / وصحيح مسلم بشرح النووي (١٥ : ٥٥) .

٣ ـ انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٥ : ٥٣) .

هذا ، وقد ورد في بعض الاحاديث ان لكل نبي حوضا ، وان حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، اعظمها ، واحلاها ، واكثرها واردا ... "١"

جعلنا الله ممن يرده ، بفضله وكرمه ، آميـــن .

---

١ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ / والاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٦٩ / والعقائد الاسلامية ص ٢٨١ .

وحديث " ان لكل نبي حوضا ترده امته ، وانهم ليتباهون ايهم اكثـــر واردة " .

اخرجه الترمذى من طريقين :

الاول : عن سمرة بن جندب رضي الله عنه رقم ٢٤٤٥ ، واسناده ضعيف .

وقال الترمذى هذا حديث غريب .

الثاني : عن الحسن البصرى . قال الترمذى : وقد روى الاشعث بن عبد الملك .

هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسلاً ، ولم يذكر فيه عن سمرة ، وهو اصح .

انظر جامع الاصول (١٠ : ٤٦٧) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط .

٤ ـ العرض ، الحساب ، الجزاء

=======================

ويعني بالعرض ، عرض الناس على الله ، يوم الدين •

وبالحساب ، توقيف الله تعالى العباد قبل الانصراف من المحشر على اعتقاداتهم واقوالهم واعمالهم خيرا كانت او شرا •

وبالجزاء ، مجازاة العباد على اعمالهم واقوالهم ومعتقداتهم ، بعد محاكمة ربانية عادلة ، لهم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر • "١"

" رأي الشيخ محمد عبده في العرض والحساب والجزاء ":

=================================

أ : رأيه في العرض :

================

يرى الشيخ محمد عبده ان الانسان اذا مات لقي الله عز وجل كما يلاقي الغائب من يقدم عليه ، وهناك بعد البعث ، يوم الموقف العظيم ، يتحقق هذا اللقاء لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل يوم القيامة ، وهي مرحلة : الحساب العادل ، والجزاء العادل ••• •

يقول الشيخ محمد عبده :ـ

(وهناك لقاء الله ، فان الموت يكشف عن الروح غطاء الغفلة ، ويجلو لها وجه الحق ، فتعرف من الله ما كانت تنكره ، فقد لقيته كما يلاقي الغائب من يقدم هو عليه • وما بعد الموت من رجعة الا يوم البعث ، يوم يقوم الناس للعرض على ملك يوم الدين • كما قال تعالى :

---

١ ـ انظر الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٦٧ •

" يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية " . "١"

وهناك يرتفع الالتباس ، ويعرف كل عامل ما جر اليه عمله) . "٢"

ب : رأيه في الحساب :

==================

يرى الشيخ محمد عبده ان الحساب يكون بعد البعث والعرض ، يقول :ـ

(وبعد البعث يكون الشروع في الحساب) . "٣"

وأن الشيخ محمد عبده في مسألة الحساب يجمع بين التفويض والتأويل ، على الطريقة التي وضعها لنفسه ، وهي : الجمع بين طريق السلف والخلف ، كما سبق .

فهو يؤمن بالحساب ، وهذا لا خلاف فيه ، وان الحساب يكون بالكتب والصحف ، وهي كتب وصحف مما استأثر الله بعلم حقيقتها ...

يقول :ـ

(وهذه الكتب التي تكتب فيها اعمال المجرمين او اعمال الابرار مما استأثر الله بعلم حقيقته ...

وليس علينا أنها من أوراق أو أخشاب أو معادن أخر أو من أرواح غير اجسام ، كل ذلك مما لا حاجة الى البحث فيه لاستكمال الايمان ، وقد يكشفه الله للمصطفين من عباده ... "٤"

والكتابة هنا على النحو الذى يليقّ بتنزيه الله تعالى ، وهو اعلى من

---

١ ـ سورة الحاقة اية (١٨) .

٢ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٦٨) .

٣ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٦٨) .

٤ ـ نفس المصدر (٥ : ٣٣٨) .

كتابتنا التي نعرفها ، واشد منها ضبطا ، لكنا لا نكلف بالبحث عنها ، فذلك مما نؤمن به ، ونكل علم حقيقته الى الله ... "١"

والصحف التي تنشر يوم القيامة بعد البعث ، هي صحف الاعمال .

والذى يجب علينا اعتقاده ان اعمال العباد تظهر لهم ثابتة مبينة لا يرتابون فيها يوم الجزاء ، ويعبر عن معنى ذلك الثبوت والبيان ، بنشر صحف الاعمال .

اما كون الصحف على مثال الاوراق التي نكتب عليها في الدنيا ، او على مثال الالواح ، او ما يشبه ذلك ، مما جرى استعماله للكتابة عليه ، فذلك مما لم يصل علمنا اليه ، ولن يصل اليه بمجرد العقل ، ولم يرو عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فيه نص قاطع) . "٢"

لكن الشيخ محمد عبده ، يذهب الى تقرير التمثيل والتصوير في كيفية ايتاء الكتاب " باليمين " أو " اليسار " أو " وراء الظهر " على وجه يليق بكتاب الله ، وحكمته الباهرة ، كما يرى هو .

واليك شرح الاية الكريمة ، وهي قوله تعالى من قائل : " فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " "٣" ، لكي نقف من شرحه على ما ذهب اليه .

يقول :—

(واما الكلام في ايتاء الكتاب باليمين او وراء الظهر ، فاليك ما يليق منه بكتاب الله ، وحكمته الباهرة :

---

١ — نفس المصدر (٥ : ٣٥٩) .

٢ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٣٨) .

٣ — سورة الانشقاق اية (٨) .

اليمين تذكر في كتاب الله عبارة عن القوة ، او اليمن ، او الخير .

قال الله تعالى : " واقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين . قالوا بل لم تكونوا مؤمنين " . "١"

قال صاحب الكشاف : بعد ان ذكر شرف اليمين وما يناط بها من الاعمال :

" واستعيرت لجهة الخير وجانبه ، فقيل : اتاه عن اليمين — اى من قبل الخير وناحيته — فصده عنه واضله "ا.هـ "٢"

وقال البيضاوى : " عن اقوى الوجوه وايمنها ، او عن الدين والخير "ا.هـ "٣"

وجاء في الكشاف ايضا : " وجاء في بعض التفاسير : من اتاه الشيطان من جهة اليمين ، اتاه من قبل الدين ، فلبس عليه الحق . ومن اتاه من جهة الشمال ، اتاه من قبل الشهوات ، ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب . ومن اتاه من خلفه ، خوفه الفقر على نفسه ، وعلى من يخلف بعده ، فلم يصل رحما ، ولم يؤد زكاة " ا.هـ "٤"

وقال تعالى في سورة الحاقة : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين " . "٥"

: اى لو ادعى علينا شيئا لم نقله ، لقتلناه صبرا .

قال البيضاوى : " وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه . وقيل : اليمين بمعنى القوة " ا.هـ "٦"

وقال البيضاوى في تفسير قوله تعالى : " فراغ عليهم ضربا باليمين " . "٧"

---

١ — سورة الصافات الايات (٢٧ — ٢٩) .

٢ — تفسير الكشاف للزمخشرى (٣ : ٣٣٨) .

٣ — تفسير البيضاوى ص ٦٢٠ .

٤ — تفسير الكشاف (٣ : ٣٣٩) .

٥ — سورة الحاقة الايات (٤٤ : ٤٥) .

٦ — تفسير البيضاوى ص ٧٨٦ ، ٧٨٧ .

٧ — سورة الصافات اية (٩٣) .

: تقييده باليمين ، للدلالة على قوته ، لان قوة الاله تستدعي قوة الفعل "١" اهـ

فاذا استعملت اليمين لتمثيل القوة ، قابلتها اليسار او الشمال ، في تصوير الضعف ، وكذلك يقال في الخير او الشر ، وما يقابلهما .

ثم ، مما لا يحتاج الى بيان ، ان اليمين هنا آلة الاخذ لا آلة الاعطاء ، لانها مضافة الى ضمير العبد ، فيكون المعنى : فاما من اوتي كتابه فاخذه او تناوله بيمينه ، فكأنه يقول : فاما من عرض عليه كتابه ، وقدم اليه سجل اعماله ، فتناوله بيمينه ، فأمره كيت وكيت .

ومن يتناول شيئا بيمينه ، يكون قد توجه اليه بعزمه ، واندفع نحوه بقوة نفسه ، بخلاف من يتناول ما يعطاه ويأخذ بيساره ، فان مد اليسار اليه دليل كراهته له ، واظهر في الدلالة على الكراهة والنفور مما يعرض عليه ان يستدبره ويعرض عنه ، فيكون وراء ظهره .

فمعنى اية الحاقة ، والاية التي نحن بصددها : فاما من عرض عليه كتابه ، وقدم اليه ليأخذه ، فاندفع اليه بعزيمة نفسه ، لشعوره بأنه مستودع الصالحات ، وسجل البر والمكرمات ، فشأنه كذا .

واما من قدم اليه كتابه ، وعرض عليه عمله ، فخزيت نفسه ، وخارت عزيمته ، فمد اليه يساره لعله لا يستطيع ضبطه ، فيسقط منه ، فلا يرى ما فيه ، او يعرض عنه ، فيوليه ظهره ، لشعوره بأنه ديوان السيئات وسجين المخازي ، فأمره كيت وكيت .

ويرشد الى ذلك ما ورد في التفصيل في سورة الحاقة ، فانه تعالى يقول : " فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه " . "٢"

---

١ — تفسير البيضاوي ص ٦٢٣ .

٢ — سورة الحاقة الايات (١٩ — ٢٠) .

ودعوة الناس الى القراءة دليل الفرح والنشاط وقوة العزيمة ٠

" واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه "٠"١"

وهذا قول المخذول الكاره لما عرض عليه) ا٠هـ

وحاصل كلام الشيخ محمد عبده في الحساب هو النتيجة التالية ، التي سجلها بقلمه ، وهي قوله :ـ

(فايتاء الكتاب باليمين أو اليسار أو وراء الظهر ، تمثيل وتصوير لحالة المطلع على اعماله في ذلك اليوم :

فمن الناس ، من اذا كشف له عمله ، ابتهج واستبشر ـ وهو التناول باليمين ٠

ومنهم من اذا تكشفت له سوابق اعماله ، عبس وبسر ، واعرض عنها وادبره وتمنى لو لم تكشف له ـ وهذا هو التناول باليسار او من وراء الظهر ٠

وبهذا اتفق المعنيان في الايتين ، ولم تبق حاجة الى الجمع بين الشمال ، ووراء الظهر ، باختراع معنى لا يليق بكتاب الله تعالى ، كما جرى عليه كثير من المفسرين) ا٠هـ "٢"

جـ : رأيه في الجـزاء :

================

يرى الشيخ محمد عبده ان في اليوم الاخر وقت جزاء ، فيجزى الله عباده ، او يجازيهم على ما كسبوا في الحياة الدنيا ، من اقوال وافعال ، بالخير او الشر ٠

---

١ ـ سورة الحاقة الايات (٢٥ ـ ٢٩) ٠

٢ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٦٨ ـ ٣٧٠) ٠

وهذا الوقت هو المسمى ب " يوم الدين " ، في قوله تعالى :

" مالك يوم الدين " . "١"

ويوم الدين هذا ، يوم امتاز عن سائر الايام . لانه اليوم الذى يلقى فيه كل عامل جزاء عمله ، ويوفى حسابه .

قال الشيخ محمد عبده : "٢"

(وفي ذلك اليوم يوفى كل فرد من افراد العاملين جزاءه كاملا لا يظلم شيئا منه ، كما قال تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " . "٣"

" تقويم كلام الشيخ محمد عبده " :

==========================

والى هنا ينتهي كلام الشيخ محمد عبده في العرض والحساب والجزاء .

واذا اردنا ان نحكم على كلامه في العرض والجزاء ، فانا نقول : هو عين كلام السلف رضي الله عنهم .

اما الحساب : فهو مع السلف ايضا في وجوب الايمان به ، وتفويض كيفيته الى علم المحاسب ، وهو الله سبحانه وتعالى .

لكن الشيخ محمد عبده ، يؤول معنى ايتاء الكتاب باليمين او الشمال ، او من وراء الظهر ، ويقرر انها تمثيل ، وتصوير لحالة المطلع على اعماله في ذلك اليوم ، مقتديا في ذلك بكلام بعض المفسرين من الخلف كالزمخشري والبيضاوى .

وما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، وسلك فيه مسلك بعض المفسرين من تأويل اليمين ، والشمال ... الخ ، بعيد عن مذهب السلف ، الذين قالوا ،

---

١ ـ سورة الفاتحة اية (٤) .

٢ ـ تفسير المنار (١ : ٥٥) .

٣ ـ سورة الزلزلة الايات (٧ ـ ٨) .

نؤمن بالحساب والكتاب ، وباليمين وبالشمال ، ومن وراء الظهر كما وردت في القرآن ، وفي احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نزيد ولا ننقص ، ولا نؤول ، ولا نسأل عن حقيقة ما ورد .

فذلك ما نؤمن به ، ونكل علم حقيقته الى الله .

ومثل هذا قالوا في العرض والجزاء .

ونحن الان بسبيل عرض كلامهم حسب ما ورد في كتب التفسير ، والحديث ، والاصول ، عن : العرض والحساب والجزاء يوم القيامة ، وفي ذلك كفايـــة لطالب العلم ، وغنى عن التأويل من اجل التقريب الى الاذهان .

وما وسع الصحابة — رضي الله عنهم — في فهم مثل هذه الامور يسعنا ، وفيه الغنى واليه المرجع والمنتهى .

" ايمان السلف بالعرض والحساب والجزاء " :

==========================

قال السلف — رضي الله عنهم — : ونؤمن بالجزاء ، وقبله العرض فالحساب .

ونؤمن ان الجزاء يكون بعد محاكمة ربانية عادلة ، يعرض فيها الناس على الله ، لا تخفى منهم خافية ، وتقام في هذه المحكمة الالهية جميع الحجج ، والبراهين سواء كانت لهم او عليهم ، ويسمح لهم بالاطلاع على اعمالهم ، وبقراءة صحفهم ، وهو منتهى العدل والحكمة .

قال الطحاوى : (ونؤمن بالبعث وجزاء الاعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب ...) . "١"

---

١ — شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .

فأما البعث فقد سبق الحديث عنه .

واما العرض : فقد دل عليه الكتاب والسنة :

اما الكتاب : فقوله تعالى : " فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية " . "١"

وقوله تعالى : " وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا " . "٢"

وقوله تعالى : " يوم تبدل الارض غير الارض وبرزوا لله الواحد القهار" "٣"

فمجموع هذه الايات ، تفيد البروز والعرض على الله ، بل في كل اية منها نص صريح ، ودليل قاطع على العرض على الله يوم القيامة .

واما السنة : فعن عدى بن حاتم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" ما منكم من احد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة " . "٤"

وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ليس احد يحاسب يوم القيامة الا هلك " ، فقلت : يارسول الله : أليس قد قال الله : " فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انما ذلك العرض وليس احد يناقش الحساب يوم القيامة الا عذب " . "٥"

---

١ ــ سورة الحاقة الايات (١٥ ــ ١٨) .
٢ ــ سورة الكهف اية (٤٨) .
٣ ــ سورة ابراهيم اية (٤٨) .
٤ ــ فتح الباري شرح صحيح البخارى (١١ : ٣٤٠) .
٥ ــ صحيح البخاري (١١ : ١٣٨) / وانظر مختصر تفسير ابن كثيــر (٣ : ٦١٩) .

فهذان الحديثان فيهما ان الكلام مع الله ، وابراز الاعمال ، واظهارها ، والمحاسبة السهلة اليسيرة التي لا نقاش فيها ... كل ذلك يدخل في معنى العرض على الله يوم القيامة .

قال الامام الشوكاني : (وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالما به ، وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالاعمال) . "١"

وقال الامام ابن كثير : (تعرضون على عالم السر والنجوى الذى لا يخفى عليه شيء من اموركم بل هو عالم بالسرائر والظواهر والضمائر) . "٢"

ونقل الامام ابن كثير قول امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

" حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا ، فانه اخف عليكم في الحساب غدا ، وتزينوا للعرض الاكبر " . "٣"

ومما تجدر الاشارة اليه ، انه ورد في بعض الاحاديث ان الناس يعرضون يوم القيامة ثلاث عرضات :

اثنتان في الجدال والمعاذير ، وواحدة في نشر الصحف وتطايرها .

روى الامام احمد والترمذى وابو بكر بن ابي الدنيا عن الحسن قال :

سمعت ابا موسى الاشعرى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : فعرضتان جدال ، ومعاذير ، وعرضة تطاير الصحف ، فمن اوتي كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا دخل الجنة ، ومن اوتي كتابه بشماله ، دخل النار " . "٤"

---

١ ــ فتح القدير (٥ : ٢٨٢) .
٢ ــ مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٥٤٣) .
٣ ــ نفس المصدر ونفس الصفحة .
٤ ــ اخرجه الامام احمد والترمذى ، وعبد الله بن حميد ، وابن ماجة ، وابن ابي حاتم وابن مردويه .
انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٥٤٣) / وفتح القدير (٥ : ٢٨٣) / ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٨ .

وهذا الحديث حكم عليه العلماء بالضعف . "١"

ولعل في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه " وتزينوا للعرض الاكبر " ما يقوى الحديث ، فيكون العرض الاصغر : الجدال والمعاذير .

والعرض الاكبر : عرضة تطاير الصحف في الايدى ، فآخذ بيمينه ، واخذ بشماله ـ والله اعلم .

اما الحساب : فيبتدأ باستلام الصحائف والكتب وقراءتها ، والتعرف على ما فيها من اعمال واقوال ومعتقدات ، فيعرفون ما لهم وما عليهم ، وهذا حق يؤمن السلف به ، ويوجبون الايمان به . ومن انكره كفر .

قال الله تعالى :" فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا ، واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا " . "٢"

وقال تعالى : " فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه " . "٣"

وقال تعالى : " واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه " . "٤"

---

١ ـ قال المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني : حديث ضعيف لان الحسن البصري مدلس ، وقد عنعنه ، وهذه علة . وان ثبت سماعه من ابي هريرة وابي موسى ، فان ثبوت مطلق السماع لا يغني في رواية المدلس حتى يصرح بالتحديث كما هو مقرر في " المصطلح " ، الا اذا ثبتت رواية الكتاب التي فيها التصريح بسماع الحسن من ابي موسى .

/ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٨ ، الهامش .

٢ ـ سورة الانشقاق الايات (٧ ـ ١٢) .

٣ ـ سورة الحاقة اية (١٩) .

٤ ـ سورة الحاقة اية اية (٢٥) .

وقال تعالى : " واذا الصحف نشرت " . "١"

وقال تعالى : " ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا " . "٢"

وقال تعالى : " ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون " . "٣"

فهذه الايات ، وغيرها ، يفهم منها ان الكتاب هو الذى كتبته الحفظة على الانسان ، وهي الصحف ، وهي التي يقرأها العباد . "٤"

والدليل على هذا ما سبق في بحث الملائكة ان من اصنافهم صنفا موكلون بكتابه اعمال الانسان واقواله ، وهم الحافظون الكرام الكاتبون ، الذين قال الله عنهم : " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون " . "٥"

وقال تعالى : " هذا كتابنا ينطق بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " . "٦"

فما يستنسخه هؤلاء الكرام ينطق بالحق ، ويقرؤه العباد يوم الحساب .

ثم ان الناس في الحساب متفاوتون :

١ : فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا اى سهلا بلا تعسير "٧" . اى لا يحقق عليه جميع دقائق اعماله .

---

١ ـ سورة التكوير اية (١٠) .

٢ ـ سورة الكهف اية (٤٩) .

٣ ـ سورة المؤمنون اية (٦٢) .

٤ ـ انظر : فتح القدير (٥ : ٢٨٤) .

٥ ـ سورة الانفطار الايات (١٠ ـ ١٢) .

٦ ـ سورة الجاثية اية (٢٩) .

٧ ـ انظر مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦١٩) .

قال الشوكاني : (لا مناقشة فيه) .

ونقل عن مقاتل قوله : لانها تغفر ذنوبه ولا يحاسب بها .

ونقل ايضا كلام بعض المفسرين ، قال :

قال المفسرون : هو ان تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله فهو الحساب اليسير) . "١"

٢ : ومنهم من يناقش الحساب فيسأل عن كل صغيرة وكبيرة ، ويطالب بالعذر والحجة ، فلا يقبل منه عذر ولا حجة ، فيهلك مع الهالكين ، ويفتضح بين الخلائق بسيئات اعماله .

قال تعالى : " وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين " . "٢"

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم افناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من اين اكتسبه ؟ وفيم انفقه ؟ وعن جسمه فيم ابلاه ؟ " . "٣"

٣ : ومنهم من يعفى من الحساب ، فيدخل الجنة من غير حساب ، تفضلا وكرما من الله ، وهذه هي الزمرة الاولى ، كما ذكر الامام ابن القيم رحمه الله "٤" ، وثبت في الكتب الصحاح .

فقد ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :-

---

١ ـ انظر فتح القدير (٥ : ٤٠٦ ، ٤٠٧) .

٢ ـ سورة الانبياء اية (٤٧) .

٣ ـ اخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح :/ انظر سنن الترمذي بشرح ابن العربي (٩ : ٢٥٣) .

٤ ـ انظر حادي الارواح الى بلاد الافراح ص ٨٨ وما بعدها .

" ويدخل الجنة من امتي زمرة هم سبعون الفا تضي وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر " •

فقام عكاشة بن محصن الاسدى ، فقال : يارسول الله : ادع الله ان يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم " فقام رجل من الانصار فقال : يا رسول الله : ادع الله ان يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة " • "١"

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا من غير حساب ، او سبعمائة الف ، اخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر " • "٢"

قال الامام ابن القيم رحمه الله :ـ

(فهذه هي الزمرة الاولي ، وهم يدخلونها بغير حساب) • "٣"

ـ اللهم اجعلنا منهم بفضلك وكرمك يا الله ـ

٤ ـ ومنهم من يخلو الله به ، ويقرره بذنوبه ، ويستر عليه ، ولا يناقشه الحساب ، رحمة به ••• وهي النجوى • "٤"

ورد انه قيل لابن عمر رضي الله عنهما : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول في النجوى ؟

---

١ ـ متفق عليه •

٢ ـ متفق عليه •

٣ ـ انظر حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ٨٨ •

٤ ـ يعني مناجاة الله لعبده المؤمن في الاخرة •

قال : سمعته يقول : " يدنو احدكم من ربه حتى يضع كتفه عليه ،

فيقول : اعملت كذا ، وكذا ؟ فيقول : نعم .

ويقول : اعملت كذا ، وكذا ؟ فيقول : نعم .

فيقرره ثم يقول : اني سترت عليك في الدنيا ، واني اغفرها لك اليوم . ثم يعطى صحيفة حسناته .

واما الكفار : فينادى على رؤوس الاشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين " . "١"

واما كيفية الحساب : فالسلف يؤمنون بما ورد في القرآن ، وبما ثبت في السنة ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا يكلفون انفسهم البحث والسؤال عما ورد .

فهم يؤمنون بأخذ العباد صحائفهم وكتبهم من غير تأويل "٢" ، كما قال الله تعالى :

" وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " . "٣"

والمراد بهذه الصحف التي يقرؤها الناس : الكتب التي كتبت فيها الملائكة اعمالهم في الحياة الدنيا . "٤"

ويكون اخذها باليد اليمنى للمحسنين ، او اليسرى او من وراء الظهر ، لغير المحسنين ... كل ذلك على الحقيقة من غير تأويل ، كما قال المفسرون من السلف .

---

١ ـ متفق عليه . انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ : ٤٠٧ ، ٤٠٨) .

٢ ـ انظر مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣ : ١٤٦) .

٣ ـ سورة الاسراء الايات (١٣ ـ ١٤) .

٤ ـ انظر شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٢١٢ ، ابراهيم البيجوري ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م .

لقد ذكروا في تفسير قوله تعالى : " واما من اوتي كتابه وراء ظهره "." ١" ، اقوالا : "٢"

قال الكلبي : (لان يمينه مغلولة الى عنقه ، وتكون يده اليسرى خلفه).

وقال قتادة ومقاتل : (تفك الواح صدره وعظامه ثم تدخل يده ، وتخرج من ظهره ، فيأخذ كتابه كذلك) .

قال الامام ابن كثير : (اى بشماله من وراء ظهره تثنى يده الى ورائه ، ويعطى كتابه بها كذلك) . "٣"

وورد ان الله سبحانه يشهد على العباد الارض بما حدث على ظهرها ، قال الله تعالى في سورة الزلزلة : " يومئذ تحدث اخبارها ". "٤"

فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم، " يومئذ تحدث اخبارها " ، فقال :ـ

اتدرون ما اخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم .

قال : فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها ، ان تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا ، قال : فهذه اخبارها .

وورد ايضا بانه يكون في هذا الحساب شهادة الاعضاء على ما فعله العبد ، قال تعالى : " ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن

---

١ ـ سورة الانشقاق اية (١٠) .

٢ ـ انظر : فتح القدير ، للشوكاني (٥ : ٤٠٧) .

٣ ـ مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٦١٩) .

٤ ـ سورة الزلزلة اية (٤) .

ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون " . " ١ "

قال السبكي رحمه الله :

(واعلم انه سيشهد على العاصي احد عشر شاهدا في هذا اليوم المشهود : اللسان ، والايدى ، والارجل ، والسمع ، والبصر ، والجلد ، والارض ، والليل ، والنهار ، والحفظة الكرام ، والمال) . " ٢ "

وساق على ذلك عددا من الايات والاحاديث .

وحاصل ذلك انه يشهد على العباد جميع من يستشهدهم الله عليهم . وان الايدى التي تنطق يوم القيامة لا يعجزها ان تأخذ كتابها باليمين او الشمال او من وراء الظهر ، باذن الله ، والله على كل شيء قدير .

ثم يأتي الجزاء ، فيجزى الله العباد ، ويجازيهم بمقتضى عدله .

قال تعالى : " يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين " " ٣ " .

والدين الحق هو الجزاء الحق ، كما ذكر شارح العقيدة الطحاوية " ٤ " ، وكما فسر الشيخ محمد عبده " يوم الدين " في سورة الفاتحة . " ٥ "

وقال تعالى : " من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون " . " ٦ "

---

١ ـ سورة فصلت الايات (١٩ ـ ٢٢) .

٢ ـ الدين الخالص ، لمحمود خطاب السبكي ، (١ : ١٠٥) .

٣ ـ سورة النور اية (٢٥) .

٤ ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٥ .

٥ ـ انظر تفسير المنار (١ : ٥٥) .

٦ ـ سورة القصص اية (٨٤) .

وحسبنا في بيان هذا الامر قول الحق جل وعلا : " ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " . "١"

صدق الله العظـــيم .

---

١ ـ سورة الجاثية الايات (٢٧ ـ ٢٩) .

٥ ـ " الميزان والوزن "

==================

الميزان : هو عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال ٠ "١"

والوزن : لاظهار مقادير الاعمال ليكون الجزاء بحسبها ٠ "٢"

" رأي الشيخ محمد عبده في الميزان " :

======================

يرى الشيخ محمد عبده انه لم يرد في القران الا كلمة " الميزان " ، وهو بمعنى تقدير الله الاعمال وما تستحقه من الجزاء يوم القيامة ، وذلك انما يكون على حسب ما يعلم لا على طريقة ما نعلم ٠

ولهذا ، (فعلينا ان نفوض الامر فيه الى الله سبحانه وتعالى مع الايمان به)٠ "٣"

ويرى الشيخ محمد عبده ايضا ، ان الكلام في الميزان ، وان له لسانا وكفتين ٠٠٠ الخ ، جراءة على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ٠

ويكتفي الشيخ محمد عبده ان يفهم من الميزان ما يراه كافيا في الايمان ، ويكل علم ما عداه الى الله سبحانه وتعالى ٠

واليك ما فهمه الشيخ محمد عبده في الميزان والوزن :ـ

يقول في تفسير قوله تعالى " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية "٠ "٤":

---

١ ـ انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٢٢) ٠

٢ ـ انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٢ ٠

٣ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٤٩٣) ٠

٤ ـ سورة القارعة الايات (٦ ـ ٧) ٠

: (ثقل ميزانك : اى كان لك قدر وقيمة ، كأنك اذا وضعت في كفة ميزان كان لك بها رجحان .

وانما يكون المقدار والقيمة لاهل الاعمال الصالحة ، والفضائل الراجحة ، فهؤلاء يجزون بالنعيم الدائم ...) .

ومثل هذا يقول في تفسير قوله تعالى : " واما من خفيت موازينه فأمه هاوية " "١" :

: (خف ميزانك : سقطت قيمتك ، فكأنك لست بشيء حتى لو وضعت في كفة ميزان لم ترجح بك عند اختها) .

ويستشهد الشيخ محمد عبده على رايه هذا ، بالقران ، يقول : (وهذا المعنى قد صرح به القران في قوله تعالى : " فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ") . "٢"

هذا ما وسع الشيخ محمد عبده في فهم الميزان والوزن ، وما عداه ، فعلمه موكول الى الله سبحانه ، وهذا القدر — فيما يرى الشيخ محمد عبده — كاف في الايمان .

ويتعجب الشيخ محمد عبده ، مما قاله بعض المفسرين ، وعلماء الحديث من السلف في وصف الميزان "٣" ، فيقول :—

(ومن عجيب ما قاله بعض المفسرين : " انه ميزان بلسان وكفتين كأطباق السموات والارض ولا يعلم ما هيته الا الله " .

فماذا بقي من ما هيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه الى الله ؟) .

---

١ — سورة القارعة الايات (٨ — ٩) .
٢ — سورة الكهف اية (١٠٥) .
٣ — سيأتي عما قريب باذن الله .

ويصف الشيخ محمد عبده هؤلاء المفسرين بالجرأة على غيب الله بغير نص صحيح ، فيقول :—

(والكلام فيه جرأة على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم) .

والشيخ محمد عبده ، لا يعترف بهذا الميزان ، وينكره لعدة اسباب :—

منها :—

١ — ما ذكره قبل قليل وهو عدم وجود نص صريح متواتر يثبت هذا .

٢ — لان المعاني والمعقولات ، لا توزن بذلك الميزان الذى له كفه ولسان ، كالميزان الذى اخترعه البشر .

٣ — ان هذا الميزان انما هو معيار للاثقال الجسمانية ، والاوزان المحسوسة ، فكيف توزن به الاقوال والاعمال ، والاعتقادات ... ؟

وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده :—

(أيأبي عالم الغيب والشهادة ان يستعمل في وزن المعاني والمعقولات الا ذلك الميزان الذى اخترعه بعض البشر قبل ان يبلغ بهم العلم ما بلغ بأهل العصر الحاضر وما سيبلغ بأهل العصور المقبلة ؟

على ان جميع ما اخترع البشر وما يخترعون — مهما دق ولطف — انما هو معيار للاثقال الجسمانية والاوزان المحسوسة .

وهلا يكون الاليق بالمقام الالهي ان يكون ميزان المعاني المعقولة لديه اسمى واعلى من ان يكون على نمط ما يستعمله البشر مهما ارتقت المعارف وسمت بهم العلوم ؟ ...) "١"

---

١ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٤٩٢ ، ٤٩٣) .

" نقد كلام الشيخ محمد عبده " :

====================

واني ارى ان الشيخ محمد عبده ، لم يغير من طريقته التي سار عليها شيئا ولم يبعد عن منهجه في فهم الحقائق الغيبية ، قيد انملة •

فهو يزعم انه على طريقة السلف في تفويض علم الماهية الى الله سبحانه وتعالى ، ومع الخلف في فهم ما يمكن فهمه منها للانتفاع به حتى يصح اعتقاده •

وقد قلنا — فيما مضى — ان الجمع بين الطريقتين غير ممكن ، لكن قد يلتقي مذهب السلف ، ومذهب الخلف في نقاط محددة ،وهذا لا يعني انهما شيء واحد ، او يمكن الجمع بينهما •

ثم ان الشيخ محمد عبده ، في بعض الاحيان لا يقف عند التقاء المذهبين ، بل يذهب مذهبا اخر مغايرا ، كما سبق في بحث الملائكة •

وهو هنا ، يؤول معنى الميزان الوارد في سورة القارعة ، بالقيمة والقدار ، ويستشهد على ذلك باية سورة الكهف " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " •

اقول : هذه الاية الكريمة ، وان صح القول بأن معناها : لا يكون لهم عندنا قدر ، ولا نعبأ بهم "١" ، الا ان بعض العلماء يفسرها بقوله : لا يقام لهم ميزان توزن به اعمالهم ، لان ذلك انما يكون لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ، وهؤلاء لا حسنات لهم • "٢"

وايضا : فان جمهور المفسرين ، واهل الحديث ، وعلماء اللغة ، لا يقرون هذا الراى ، ولهم راى اخر ، على اختلاف فيما بينهم في كيفية هذا الوزن ، الحاصل يوم القيامة •

---

١ — انظر فتح القدير (٣ : ٣١٦) •

٢ — نفس المصدر ونفس الصفحة •

وهذه هي بعض اقوالهم :ـ

أ : ـ قيل المراد بالوزن : وزن صحائف اعمال العباد بالميزان وزنا حقيقيا .

قال الشوكاني : هذا هو الصحيح ، وهو الذى قامت عليه الادلة . "١"

ب : ـ وقيل : توزن نفس الاعمال ، وان كانت اعراضا فان الله يقلبها يوم القيامة اجساما .

"٢"

ج : ـ وقيل : تجعل الحسنات اجساما نورانية ، والسيئات اجساما ظلمانية .

د : ـ وقيل : الميزان الكتاب الذى فيه اعمال الخلق .

هـ : ـ وقيل الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء . وذكرهما من باب ضرب المثل كما تقول : هذا الكلام في وزن هذا .

قال الزجاج : هذا سائغ من جهة اللسان . "٣"

وبعد :

فاني ارى ان اولى الطرق بالاتباع ، طريق السلف رضي الله عنهم ، واني ارى رايهم في الوزن والميزان ، لانه راى مبني على الاسانيد الصحيحة . والاولى ان نتبع ما جاء في الاسانيد الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد جاء في الاخبار الصحيحة انه ميزان حقيقي له كفتان ولسان ، وان الله سبحانه وتعالى ، يحول اعمال العباد الى اجسام لها ثقل ، فتوضع الحسنات في كفة ، والسيئات في كفة ...

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :ـ

(ان الله سبحانه يزن الحسنات والسيئات . وعلى هذا دل الكتاب والسنة . وهو معنى الوزن .) . "٤"

---

١ ـ نفس المصدر (٢ : ١٩٠) .

٢ ـ انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين (٢ : ٦٢٣) .

٣ ـ انظر : فتح القدير (٢ : ١٩٠) .

٤ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١٤ : ٤٩) .

والذى دل عليه الكتاب ، ما سبق من الايات ، الوارد فيها ذكر الميزان والوزن •

والذى دلت عليه السنة ، — وهو راى السلف في الوزن والميزان — ، ما يلـــي :—

أ — روى الامام احمد رضي الله عنه ، من حديث ابي عبد الرحمن ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول :— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :—

" ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول له :—

اتنكر من هذا شيئا ؟ اظلمتك كتبتي الحافظون ؟ •

قال : لا ، يارب •

فيقول : بلى ، ان لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم اليوم عليك •

فتخرج له بطاقة فيها : اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله •

فيقول : احضروه •

فيقول : يارب : وما هذه البطاقة مع هذا السجلات ؟

فيقال : انك لا تظلم •

قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة •

قال : فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل شيء " بسم الله الرحمن الرحيم " • "١"

---

١ — صحيح ، صححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وحسنه الترمذى •

انظر مسند الامام احمد (٢ : ٢١٣) • وذكره الالباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة ، ص ١٣٥ •

ب : روى البخاري ، قوله صلى الله عليه وسلم :

" كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " . "١"

ج : روى مسلم عن ابي مالك الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان " . "٢"

والدليل على ان الله سبحانه وتعالى يقلب الاعراض اجساما ، ما جاء في الخبر الصحيح ، وهو :

أ : ـ روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :ـ

"يؤتي بالموت كبشا اغر ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا اهل الجنة : فيشرئبون وينظرون ، ويقال : يا اهل النار : فيشرئبون وينظرون ويرون ان قد جاء الفرج ، فيذبح ، ويقال : خلود لا موت " . "٣"

ب : ـ وجاء في الخبر الصحيح ايضا : " ان البقرة وال عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيابتان او فرقان "٤" من طير صواف " .

ج : ـ وثبت في الصحيح انه يأتي القران في صورة شاب شاحب اللون ، ونحو ذلك .

---

١ ـ متفق عليه .

٢ ـ صحيح . : انظر رياض الصالحين ص ٣٤ ، ٣٥ .

٣ ـ اخرجه في المسند (٢ : ٤٢٣) ، بسند صحيح .

٤ ـ لعلها : فرقتان .

فثبت بهذه الاخبار الصحيحة وزن الاعمال ، وثبت ان الميزان له كفتان .

قال الامام ابن القيم في قصيدته المشهورة : "١"

افما تصدق ان اعمال العبـــاد : تحط يوم العرض في الميـــزان

وكذاك تثقل تارة وتخف اخـــرى : ذاك في القرآن ذو تبيـــان

وله لســـان كفتاه تقيمــــه : والكفتان اليه ناظرتـــان

ما ذاك امرا معنويا بل هـــو : المحسوس حقا عند ذى الايمـــان

قال شارح الطحاويـــة :

(فلا يلتفت الى ملحد معناه يقول : الاعمال اعراض لا تقبل الوزن ، وانما يقبل الوزن الاجسام) . "٢"

وعلى الجملة فان الامة الاسلامية في الصدد الاول من الاسلام اجمعت على الاخذ بالظواهر من غير تأويل "٣" ، فلا يحق لاحد — مهما كان — ان يستبعد حمل هذه الظواهر على حقائقها ، بحجة عدم فهم هذه الظواهر ، ويسع الناس ما وسع اهل القرون الاولى الذين شهد لهم الرسول بالخيرية ...

يقول الامام الشوكاني رحمه الله :

(واما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها ، فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع اليه ، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية ، وليس في ذلك حجة على احد .

فهذا اذا لم تقبله عقولهم ، فقد قبلته عقول قوم هي اقوى من عقولهم من الصحابة ، والتابعين وتابعيهم ، حتى جاءت البدع كالليل المظلم ،

---

١ — انظر قصيدة ابن القيم مع شرحها (٢ : ٥٩٣) ، الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ .

٢ — شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٤ .

٣ — انظر : فتح القدير (١٢ : ١٩٠) .

وقال كل ما شاء ، وتركوا الشرع خلف ظهورهم ، وليتهم جاؤا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ، ويتحد قبولهم لها ، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه ، ويوافق ما يذهب اليه : هو او من هو تابع له • فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم •

يعرف هذا كل منصف ، ومن انكره فليصف فهمه وعقله من شوائب التعصب والتمذهب ، فانه ان فعل ذلك اسفر الصبح لعينيه) • "١"

وامن بما امن به الصحابة والتابعون لهم باحسان الى يوم الدين •

---

١ — فتح القدير للشوكاني (٢ : ١٩٠) •

٦ ـ الصراط والمرور عليه .

================

اصل الصراط : الطريق ، ويلفظ بالسين ايضا ، فيقال : السراط ، واشتقاقه من سرط اى ابتلع ، وبابه : فهم .

وقيل : سمي بذلك لانه يسترط السابلة اى (المارة) : اى يبتلعهم .

والسراط لغة في الصراط . "١"

والصراط في لسان الشرع يطلق على معنيين :

(احدهما) : وهو المنهج الذى شرعه الله وامرهم باتباعه والالتزام به ، وهو المراد من الاية الكريمة : " وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " . "٢"

وقوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " . "٣"

وهذا يكون في الحياة الدنيا .

(ثانيهما) : الجسر المنصوب على متن جهنم للمرور عليه الى الجنة يوم القيامة ، ويرده الاولون ، والاخرون على اختلاف مذاهبهم ، واضرابهم ، ويكون مرورهم عليه بحسب اعمالهم ، وتفاوت درجاتهم .

فيكون ادق من الشعرة واحد من السيف تحت قدمي الكافر ، فيترنح من فوقه ، ثم يهوى في النار .

اما المؤمن فينبسط عريضا تحت قدميه ، فيمر من فوقه مسرعا الى ما اعده الله له من النعيم في الجنة . "٤"

---

١ ـ انظر مختار الصحاح للرازى ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
٢ ـ سورة الانعام اية (١٥٣) .
٣ ـ سورة الفاتحة اية (٦) .
٤ ـ انظر : الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٧٠ / وانظر العقائد الاسلامية ص ٢٨٢ ، / وانظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٥٧ .

وهذا الصراط يكون في الاخرة ، واليه تشير الاية الكريمة :

" وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " . " ١ "

وقد فسر العلماء الورود بانه المرور على الصراط ، ومنهم عبد الله بن مسعود ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد رضي الله عنهم . " ٢ "

وما تكلم عنه الشيخ محمد عبده هو المعنى الاول ، وهو الصراط بمعنى المنهج الحق او الدين الحق ، او جملة ما يوصل الانسان الى سعادته في الدنيا والاخرة كما هو مبين في الهامش . " ٣ "

---

١ ـ سورة مريم الايات (٧١ ـ ٧٢) .

٢ ـ انظر : مختصر تفسير ابن كثير (٣ : ٤٦١) / وفتح القدير (٣ : ٣٤٤) / وشرح الطحاوية ص ٤٧١ .

٣ ـ قال الشيخ محمد عبده :

(الصراط : هو الطريق ، المستقيم : ضد المعوج . وليس المراد بمقابل المستقيم المعوج ذا التمعج ، والتعاريج ، بل المراد كل ما فيه انحراف عن الغاية التي يجب ان ينتهي اليها .

والمستقيم في عرف الهندسة : اقرب موصل بين طرفين ، وهذا المعنى لازم للمعنى اللغوى ، كما هو ظاهر بالبداهة .

وانما قلنا : ان المراد بمقابل المستقيم كل ما فيه انحراف ، لان كل من يميل وينحرف عن الجادة يكون اضل عن الغاية ممن يسير عليها في خط ذى تعاريج . لان هذا الاخير قد يصل الى الغاية بعد زمن طويل ، ولكن الاول لا يصل اليها قط ، بل يزداد بعدا كلما اوغل في السير ، وانهمك فيه ،

وقد قالوا : ان المراد بالصراط المستقيم : الدين او الحق او العدل او الحدود .

ونحن نقول : انه : جملة ما يوصلنا الى سعادتي الدنيا والاخرة ، من عقائد وآداب واحكام وتعاليم .

لم سمي الموصل الى السعادة من ذلك صراطا وطريقا ؟ =

اما المعنى الثاني فلم اجد للشيخ محمد عبده كلاما فيه ، فقد عاجلته المنية قبل ان يكمل تفسير القران الكريم ، وان كان يغلب على الظن انه مع السلف في فهم الاية الكريمة ، والايمان بالصراط كما وردت به الاخبار عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، من غير بحث عن ماهيته ، لان ذلك مما استأثر الله بعلمه ، ولو كان في المعرفة بها فائدة لبينها الله سبحانه وتعالى .

وانما قلت هذا بناء على القاعدة التي وضعها الشيخ محمد عبده وسار على اساسها في فهم الامور الغيبية من غير جهد ، وعناء .

ولانه لو حصل واول الشيخ محمد عبده ، معنى الصراط ، وحمله على معنى من المعاني المفيدة — كما يرى — لنقل ذلك عنه ، وتناقلته الايدى بالكتابة ، كما كان بالنسبة لتاويل الدجال ، والملائكة ، والجن ، والميزان ... الى اخر ما ذكرنا سابقا .

ولما لم يحصل هذا اكتفينا بالقول انه مع السلف — من باب حسن الظن — في فهم معنى الصراط ، من غير زيادة ولا نقصان . لانه المذهب الاسلم ، والله اعلم .

= خذ الحق مثلا وهو الاعتقاد الصحيح بالله وبالنبوة وباحوال الكون والناس ، تجد معنى الصراط فيه واضحا ، لان السبيل او الصراط هو ما اسلكه واسير فيه لبلوغ الغاية التي اقصدها ، كذلك الحق الذى يبين لي الواقع في العقيدة الصحيحة هو كالجادة بين السبل المتفرقة المضلة ، فالطريق الواضح للحس يشبهه الحق للعقل والنفس ، سير حسي ، وسير معنوى ، كذلك اذا اعتبرت المعنى في الحدود والاحكام تجده واضحا ...

قسمت احكام الاعمال الى واجب ومندوب ومباح ومحرم ومكروه فكان هذا صريحا لنا من تمييز الخير من الشر ، بأنفسنا واجتهادنا ، فبيان الاحكام بالهداية الكبرى وهي الدين كالطريق الواضح يسلك بالعمل .

ومع هذا نجد الشهوات تتلاعب بالاحكام ، وترجعها الى اهوائها كما يصرف السفهاء عقولهم وحواسهم فيما يرديهم ، وهذا التلاعب بالدين انما يصدر من علمائه) .

تفسير المنار (١ : ٦٥ ، ٦٦) .

وهذا هو مذهب السلف في الصراط :

يؤمن السلف رضي الله عنهم انه يكون بعد العرض والحساب والميزان والجزاء ، انصراف الناس من الموقف العظيم ، ليمروا فوق الجسر الممتد على ظهر جهنم ، وهو الصراط .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

(والصراط منصوب على متن جهنم — وهو الجسر الذى بين الجنة والنار — يمر الناس عليه على قدر اعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الابل ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يمشي مشيا ، ومنهم من يزحف زحفا ، ومنهم من يخطف فيلقي في جهنم ، فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة ، فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض ، فاذا هذبوا ، ونقوا اذن لهم في دخول الجنة) . "١"

والمرور على الصراط يكون عاما لجميع الناس : مؤمنهم ، وكافرهم ، ومن يحاسب ، ومن يعفى من الحساب ، ويدخل في ذلك الانبياء والصديقون والشهداء .

واول من يمر عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته . "٢"

ومن استقام على الصراط الذى هو بالمعنى الاول ، استقام على هذا الصراط .

قال الامام الغزالي في " الاحياء " :

(فمن استقام على الصراط المستقيم ، خف على صراط الاخرة ، ونجا ، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا ، واثقل ظهره بالاوزار ، وعصى تعثر في اول قدم

---

١ — مجموع الفتاوى (٣ : ١٤٦ ، ١٤٧) .

٢ — انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣ : ١٧) .

من الصراط وتردى) • "١"

وقال الدكتور البوطي :

(واعلم ان هذا الصراط انما هو تجسيد لمعنى الصراط الذى الزم الله به عباده في الدنيا ، فمن ضيق على نفسه سبل العيش والحياة حتى لا يخرج عن صراط الله ، ومنهجه الذى امر باتباعه ، اتسع امامه الصراط الممتد على متن جهنم ، ومن وسع على نفسه سبل العيش والحياة في الدنيا فتجاوز حدود الله واحكامه ، ضاق عليه ذلك الصراط غدا) • "٢"

هذا ، والاحاديث الواردة في ذكر " الصراط " والمرور عليه كثيرة "٣" ، اذكر منها :-

أ :- عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون "٤" في روءية القمر ليلة البدر ؟

قالوا : لا يارسول الله •

قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟

قالوا : لا يارسول الله •

قال : فانكم ترونه كذلك • يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس ، الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر ، القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت "٥" ،

---

١ ـ احياء علوم الدين ، للغزالي (٤ : ٥٢٤) •

٢ ـ كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٥٨ •

٣ ـ انظر : شرح الطحاوية ص ٤٧٠ / ، وشرح الواسطية ص ١٢٦ ، / وصحيح البخاري (١١ : ٣٦٥) ، / وصحيح مسلم بشرح النووى (٣ : ١٧) •

٤ ـ اى تشكون •

٥ ـ الطاغوت : كل ما عبد من دون الله تعالى ، وتجاوز حده •

الطواغيت . وتبقى هذه الامة فيها منافقوها "١" ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : انا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك "٢" ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ، فيقول : انا ربكم ، فيقولون : انت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون انا وامتي اول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم ، سلم .

وفي جهنم "٣" كلاليب "٤" مثل شوك السعدان "٥" ، هل رأيتم السعدان ؟

---

١ — قال النووي : قال العلماء : انما بقوا في زمرة المؤمنين لانهم كانوا في الدنيا متسترين بهم ، فيتسترون بهم ايضا في الاخرة ، ويسلكون مسلكهم ، ويدخلون في جملتهم ، ويتبعونهم ، ويمشون في نورهم حتى يضرب الله بينهم بسور ويذهب عنهم نور المؤمنين ، حتى يكون مقرهم الدرك الاسفل من النار . / انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٣ : ١٩) .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٩ .

٢ — قال الامام ابن حجر : قال القرطبي في تأويل ذلك : هو مقام هائل يمتحن الله به عباده ليميز الخبيث من الطيب ، وذلك انه لما بقي المنافقون مختلطين بالمؤمنين زاعمين انهم منهم ظانين ان ذلك يجوز في ذلك الوقت كما جاز في الدنيا امتحنهم الله بان اتاهم بصورة هائلة قالت للجميع: انا ربكم ، فاجابه المؤمنون بانكار ذلك لما سبق لهم من معرفته سبحانه ، وانه منزه عن صفات هذه الصورة ، فلهذا قالوا : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئا .

انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١ : ٣٨٠ ، ٣٨١) .

٣ — ورد في لفظ البخاري "وبه" اى في الجسر المنصوب على جهنم .

٤ — جمع كلوب بفتح الكاف ، وضم اللام المشددة ، وهو حديدة معكوفة الراس مدببته .

٥ — نبت معروف في الصحراء ، له شوك عظيم من كل الجوانب .

قالوا : نعم يارسول الله ٠

قال : فانها مثل شوك السعدان ، غيرانه ما يعلم ما قدرعظمها الا الله ٠ تخطف الناس باعمالهم "١" ٠ فمنهم المؤمن بقي بعمله "٢" ، ومنهم المجازى حتى ينجى " ٠ "٣" اهـ

ويفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول اليهم بعد ان كانوا يستترون بهم ، ويمشون في نورهم ، فيصلون الى الظلمة دون الجسر ، فيهوون في الدرك الاسفل من النار ، وفي ذلك يكون مقرهم ٠

قالت عائشة رضي الله عنها :ـ

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض ، والسموات ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " هم في الظلمة دون الجسر ، " ٠ "٤"

وحاصله : ان جميع الناس يمرون يوم القيامة ، فوق الصراط حسب اعمالهم ، وينجي الله المؤمنين من عباده ، ويهلك الظالمين ، فاذا عبر المؤمنون الصراط ، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص الله من بعضهم لبعض ، فاذا انتهوا ، اذن لهم في دخول الجنة ٠

روى البخاري رحمه الله عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن

---

١ ــ اى بسبب اعمالهم ، ويجوز ان يكون المعنى : تخطفهم بحسب اعمالهم ٠ : انظر صحيح مسلم بشرح النووى (٣ : ٢١) ٠

٢ ــ واللفظ عند البخاري : (فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل) ، والموبق : الهالك ، والمخردل : اى المقطع او المصروع ٠

٣ ــ اخرجه البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم ، وهو جزء من حديث طويل ٠ / انظر صحيح البخاري (١١ : ٣٦٧) ٠ / وصحيح مسلم بشرح النووى (٣ : ١٧) ٠

٤ ــ رواه مسلم (١ : ١٧٣) ٠ وفي حديث سبق قال : (فوق الصراط) ٠

النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال :

" يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة ، فوا الذى نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا " . "١"

قال الامام النووى :

(ولقد اجمع السلف على اثبات الصراط ، وهو جسر على متن جهنم ، يمر عليه الناس كلهم ، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم ، والاخرون يسقطون فيها ، اعاذنا الله الكريم منها) . "٢"

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، وارزقنا حسن الانابة اليه في حياتنا الدنيا ، واحسن احوالنا فوق الصراط ، وارزقنا حسن المرور عليه يوم القيامة ، واعذنا من النار ، وادخلنا الجنة بفضلك وكرمك يارب العالمين .

---

١ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى (١١ : ٣٣٦) .

٢ ـ نقله عن النووى ، صاحب كتاب العقيدة الاسلامية واسسها ، الاستاذ عبد الرحمن حبنكة الميداني (٢ : ٣٥٤) .

٧ ـ الجنة والنار والخلود في كل منهمـــا

===========================

الجنة : هي داراولياء الله ، وما فيها من النعيم المقيم لهم .

والنار : هي دار اعداء الله ، وما فيها من انواع العذاب لهم . "١"

ونعرض رأى الشيخ محمد عبده في هذه المسألة ، ثم ننقد ما يستحق النقد منه ، على ضوء الكتاب والسنة ، ونبين مذهب السلف ـ رضوان الله عليهم ـ ونذكر نقاط الاتفاق والافتراق بين راى الشيخ محمد عبده ، وراى السلف ...

" رأى الشيخ محمد عبده "

==================

وقبل ان اذكر ما قاله الشيخ محمد عبده في " الجنة والنار " ، اشير الى ان ما ورد عنه في هذا الموضوع رايان :

(الاول) : نقله مستر " بلنت " ـ صديق الشيخ محمد عبده ـ ونسبه الى الشيخ محمد عبده . وهوفي هذا الراى ينكر العذاب الابدى في الاخرة .

(الثاني) : نقله السيد رشيد رضا ـ تلميذ الشيخ محمد عبده ـ ونسبه الى الشيخ محمد عبده . وهو في هذا الراى يوءمن بالجنة والنار ، والخلود الابدى .

بالاضافة الى ما كتبه الشيخ محمد عبده بخط يده في تفسير جزء عم ، يصرح فيه بوجود الجنة والنار وما اعد الله لاهلهما ...

واليك ما ورد عنه مفصلا :

---

١ ـ انظر : الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٧١ .

(أولا) : نقل مستربلنت في مذكراته عن يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٣م بلندن ، ونقلته مجلة "كوكب الشرق" في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢م ميلادية ، ونقله الشيخ محمد عمارة ضمن الاعمال الكاملة للاستاذ الامام (٢ : ٤٦٥) ، عن الشيخ محمد عبده ، قوله :

(في الحياة الاخرة ، حالة سعيدة واخرى شقية ، ولكن على اى صورة تكون السعادة ويكون الشقاء ؟ فهذا ما لا علم لي به ، على اني لا اعتقد بالعذاب الابدى) اهـ

لقد راى الشيخ محمد عبده — ان صح النقل عنه — انه لا بأس عليه ان يعترف في الحياة الاخرة بوجود حالتين يؤول اليهما الناس : الاولى سعيدة ، والثانية شقية ، من غير معرفة الحالة التي تكون فيها السعادة ويكون فيها الشقاء .

هذا في الوقت الذى لا يؤمن فيه الشيخ محمد عبده بالعذاب الابدى في الاخرة .

وسأعقب على هذا الراى ، بعد ان اسوق راية الثاني في الموضوع .

الرأى الثانـــي :

=============

يبرز من خلال ما ورد له من نصوص ، منها ما هو مسطر بقلمه — كتفسير "جزء عم" ، المنسوب اليه ، ومنها ما هو وارد في "تفسير المنار" للشيخ محمد رشيد رضا ، معزوا اليه ، ومنسوبا له .

واليك بيان ذلك :

أ : — بعض النصوص الوارد فيها لفظ الجنة ، ولفظ النار ، معا :

قال : (وليس بعد الدنيا من موطن الا الجنة ، جعلنا الله من اهلها بالتوفيق للتقوى . او النار ، نعوذ بالله منها ، ومما يقرب اليها من قول وعمل) . "١"

---

١ — تفسير المنار (١ : ١٩٧ ، ١٩٨) .

وقال : (ورد لفظ الجنة والجنات كثيرا في مقابلة النار ، والجنة في اللغة البستان ، والجنات جمعها ، وليس المراد بهما مفهومهما اللغوى فقط وانما هما دارا الخلود في النشأة الاخرة .

فالجنة دار الابرار والمتقين ، والنار دار الفجار والفاسقين ، فنؤمن بهما بالغيب ، ولا نبحث في حقيقة امرهما ، ولا نزيد على النصوص القطعية فيهما شيئا لان عالم الغيب لا يجرى فيه القياس) . "١"

وقال : (فاعلم ان هناك جنة ونارا ، وان من الناس من يلقى في تلك ومنهم من يدخل في هذه ... حتى لا يكاد يدخل احد الجنة الا بعد ان يكون زحزح عما كان صائرا اليه من السقوط في النار) . "٢"

ب :ـ بعض النصوص الواردة في الجنة :

قال : (الجنة هي دار النعيم في الاخرة ، وسميت بهذا الاسم من الاجتنان وهو الستر . لتكاثف اشجارها ، وتظليلها بالتفاف اغصانها) . "٣"

وقال : (المراد منها ههنا دار النعيم في الحياة الاخرة) . "٤"

وقال : (والجنة دار الثواب كما هو معروف) . "٥"

وقال : (ولا بد ان يكون اهل الثواب في دار النعيم) . "٦"

---

١ ـ تفسير المنار (١ : ٢٣١ ، ٢٣٢) .

٢ ـ تفسير المنار (٤ : ٢٧٢ ، ٢٧٣) .

٣ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٩٣) .

٤ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٤٧٨) .

٥ ـ نفس المصدر (٥ : ٣٣٩) .

٦ ـ نفس المصدر (٥ : ٣٤٩) .

ج :- بعض النصوص الواردة في النار :

قال : (النار هي موطن عذاب الاخرة ، نوءمن بها لانها من عالم الغيب الذى اخبر الله تعالى به ولا نبحث عن حقيقتها ، ولا نقول انها شبيهة بنار الدنيا ، ولا انها غير شبيهة بها ، وانما نثبت لها جميع الاوصاف التي وصفها الله تعالى بها) . "١"

وقال : ("ويصلى سعيرا" "٢" يقاسي حر نار شديدة الاحراق) . "٣"

وقال : (الجحيم : جهنم التي يعاقب بالعذاب فيها اهل الكفر والطغيان ، وتسعيرها ايقادها ايقادا شديدا) . "٤"

وقال : (فالعذاب الذى اعد لهم في جهنم هو عذاب الحريق) . "٥"

وقال : (وصف النار بالكبرى لانها نار تلك الدار الاخرة ، وهي اشد ايلاما لمن يعذبون بها من هذه النار التي نعرفها فتلك اكبر من هذه) . "٦"

وقال : (وتلك النار الحارة لا نعرف كنهها ولا كيفية ايقادها ، ولكنا نوءمن بها وبأن عمال السوء ، وطغاة الباطل يصلونها) . "٧"

وقال : ("تصلى نارا حامية" "٨" : هي نار ملتهبة يهوى فيها ليلقي جزاء ما قدم من عمل) . "٩"

---

١ ـ تفسير المنار (١ : ١٩٧) .
٢ ـ سورة الانشقاق اية (١٢) .
٣ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٦٨) .
٤ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ((٥ : ٣٣٨) .
٥ ـ نفس المصدر (٥ : ٣٧٦) .
٦ ـ نفس المصدر (٥ : ٣٨٩) .
٧ ـ نفس المصدر (٥ : ٣٩٢) .
٨ ـ سورة الغاشية اية (٤) .
٩ ـ المصدر السابق (٥ : ٤٩٤) .

وقال : (وهي نار يجب علينا الايمان بها ، ولكن لا ينبغي لنا البحث في حقيقتها لانها من امور الاخرة التي استأثر الله بعلم حقائقها وانما هى عذاب اليم " لمن يصلاها) . "١"

وقال : (نار جهنم هي دار العذاب في الاخرة ، وهي نار يجب علينا الايمان بها ، والتصديق بأن العذاب فيها اشد من العذاب في نار الدنيا ، كما يجب علينا ان لا نبحث في حقيقتها ، ولا بم تتقد ، ولا اين يكون موضعها ، فذلك مما لا يمكن لعقولنا ان تصل اليه) . " ٢ "

وقال : (ان دار العذاب ثابتة لا ريب فيها ، ولترونها بأعينكم ، فاجعلوا صورة عذابها حاضرة في اذهانكم فتكون منبهة لكم الى ما هو خير لكم مما تلهون) . "٣"

وقال : (" سيصلى نارا ذات لهب " "٤" : المراد من هذه النار: نار الاخرة التي لا يعلم حقيقتها الا الله) . "٥"

د : ـ بعض النصوص الواردة في الخلود :

قال : (" وهم فيها خالدون " "٦" : الخلود في اللغة طول المكث . ومن كلامهم : خلد في السجن كما في " الاساس " "٧" . وفي الشرع : الدوام

---

١ ـ نفس المصدر (٥ : ٤٢٩) .
٢ ـ نفس المصدر (٥ : ٤٧٧) .
٣ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٤٩٧) .
٤ ـ سورة المسد اية (٣) .
٥ ـ المصدر السابق (٥ : ٥٥٦) .
٦ ـ سورة البقرة اية (٢٥) .
٧ ـ اساس البلاغة للزمخشـــري .

الابدى اى لا يخرجون منها ولا هي تفنى بهم ، فيزولوا بزوالها ، وانما هي حياة ابدية لا نهاية لها). "١"

"٢"

وقال : (" خالدين فيها " : اى لا يخرجون منها ابدا) ، وهذا في الحديث عن نار جهنم .

وقال : (وانها دار الخلد اى ان من دخلها من اهلها لا يخرج منها ابدا) . "٣"

هـ : — وعن اللذة في الجنة :

قال : (فلا بد ان يكون الاكل والشرب هناك على ما ورد لحكمة اخرى ، او هو لتحصيل لذة لا نعرفها لانها من احوال عالم الغيب ، وانما نؤمن بما ورد ، ونفوض امر حقيقته وحكمته الى الله) . "٤"

وقال : (ونحن نعلم ان الحكمة في لذة الازواج بالمصاحبة الزوجية المخصوصة هي التناسل ، وانماء النوع ، ولم يرد ان في الاخرة تناسلا ، فلا بد ان تكون لذة المصاحبة الزوجية هناك اعلى وحكمتها اسمى) . "٥"

وقال بعد ان فسر نعيم الجنة وبين بعضا من انواعه كالاكل ، والشرب والنظر الى الله ... الخ .

(كل هذه الانواع من النعم التي ذكرت في الايات ، مما ترغب فيه النفس وتتسابق اليه الهمم ، لهذا حفز الله بها عزائم المحسنين ليزدادوا احسانا ،

---

١ — تفسير المنار (١ : ٢٣٤) .
٢ — تفسير جزء عم ، السابق (٥ : ٥٢٤) .
٣ — نفس المصدر (٥ : ٤٧٨) .
٤ — تفسير المنار (١ : ٢٣٣) .
٥ — تفسير المنار (١ : ٢٣٤) .

وليطمع فيها المواقف على اول الطريق فيلزم الجادة الواضحة ويدع المعوجة ، الملتبسة ، ويسلك سبيل السابقين ، وليرد بها من جار على النهج ، ويقيمه على الصراط المستقيم .

هذا والمفهوم منها ما يشبه ما نحن فيه ، فما ظنك بها لو كانت ارقى واكمل واعلى وافضل ، وانه لا يدانيها شيء مما نعهده في الدنيا الا في الاسم اوضرب من الشبه البعيد كما هو حقيقة امرها والحق في شأنها) . "١"

و : وعن العذاب يقول :

(ان جهنم قد قدرها الله مرصادا واحدا يرصدون فيه للعذاب ، وهي مرجعهم الذى ينتهون اليه ، وانهم سيقيمون فيها مددا طوالا ، مجدبين ، معدمين لا يجدون شيئا من النعيم والراحة ، ولا يذوقون فيها روحا ينفس عنهم حر جهنم ، ولا يذوقون من الشراب الا الماء الحار والصديد الذى يسيل من ابدانهم جزاء يوافق اعمالهم ، لانهم كانوا لا ينتظرون يوم الحساب ، ولذلك اقترفوا السيئات ، واتوا قبائح الاعمال ، وكذبوا بالدلائل ، التي اقامها الله على صدق رسله ، تكذيبا اشد تكذيب ، وقد احصى الله كل شيء في كتاب علمه ، فلم يغب عنه شيء مما صدر منهم ، وسيوفيهم جزاء ما صنعوا وستكون كلمته العالية ان يقول لهم : ذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) . "٢"

ويقول : (" كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب" "٣"

: يعني كلما ظنوا انهم نضجوا واحترقوا وانتهوا الى الهلاك اعطيناهم قوة جديدة من

---

١ ــ تفسير جزء عم ، السابق (٥ : ٣٦٠ ، ٣٦١) .

٢ ــ نفس المصدر (٥ : ٣١٣) .

٣ ــ سورة النساء اية (٥٦) .

الحياة بحيث ظنوا انهم الان حدثوا ووجدوا ، فيكون المقصود دوام العذاب وعدم انقطاعه) . "١"

ويقول : (وقد جاء في الكتاب الكريم " ولا طعام الا من غسلين " "٢" ، والغسلين ما شأنه ان يغسل عن الابدان كالقيح والصديد ونحوهما .

وفي سورة الواقعة : " ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم " "٣" الى اخر الايات .

وفي الدخان : " ان شجرة الزقوم طعام الاثيم " . "٤"

وفي الصافات : " اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين فانهم لاكلون منها فمالؤن منها البطون " . "٥"

فهذا كله يدل على ان طعام اهل النار شيء يوافق النشأة الاخرة ، وقد عبر الله عنه بالعبارات المختلفة ، وكلها مما يصور في اذهاننا بشاعته وخبثه لتنفر منه نفوسنا وتطلب كل وسيلة للفرار منه فتبعد بذلك عن العقائد الفاسدة والاعمال الخاسرة) . "٦" ا . هـ

ز : - رأيه في الجنة التي هبط منها ادم عليه السلام .

يرى الشيخ محمد عبده ان الجنة التي هبط منها ادم ، بستان من

---

١ - تفسير المنار ، الجزء الخامس ، تفسير اية (٥٩) من سورة النساء .
٢ - سورة الحاقة اية (٣٦) .
٣ - سورة الواقعة اية (٥٢) .
٤ - سورة الدخان اية ((٤٣) .
٥ - سورة الصافات اية (٦٢) .
٦ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٣٩٣) .

البساتين ، كان ادم وزوجه منعمين فيها ، من غير تعيين المكان ولا البحث عنه • لانه لو كان في ذلك فائدة لوصل الينا علمه ، وان الشجرة التي نهاهما من الاكل منها شجرة مخصوصة ، وان الشيطان ظلمهما بوسوسته في صدورهما ، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم الى ضده ، ثم ان ادم تاب الى الله من معصيته هذه فقبله الله ، ثم جعل سعادة هذا النوع باتباع هدى الله ، وشقاءه بتركه • "١"

يقول الشيخ محمد عبده :

(وبهذا التفسير تنحل اشكالات كثيرة ، وهي :ـ

١ ـ ان الله خلق ادم في الارض ليكون هو ونسله خليفة فيها ، فالخلافة مقصودة لهم بالذات ، فلا يصح ان تكون عقوبة عارضة •

٢ ـ انه لم يذكر انه بعد خلقه في الارض عرج به الى السماء ، ولو حصل لذكر ، لانه أمر عظيم •

٣ ـ أن الجنة الموعود بها لا يدخلها الا المؤمنون المتقون ، فكيف دخلها الشيطان الكافر الملعون ؟ •

٤ ـ انها ليست محلا للتكليف •

٥ ـ انه لا يمنع من فيها من التمتع بما يريد منها •

٦ ـ انه لا يقع فيها العصيان •

وبالجملة : ان الاوصاف التي وصفت بها الجنة الموعود بها ، لا تنطبق على ما كان في جنة ادم ، ومنه : كون عطائها غير مجذوذ ولا مقطوع ، وغير ذلك) • "٢" ا•هـ

---

١ ـ انظر تفسير المنار (١ : ٢٧٧) •

٢ ـ تفسير المنار (١ : ٢٧٧) •

وقد أيد الشيخ رشيد رضا هذا الرأى ، فقال :

(وقد كان ظهر لي عند كتابة تفسير الايات شيء آخر لم يذكره الاستاذ الامام ، ولم اره في كتب التفسير وهو ان القول بأن ادم اسكن جنة الاخرة يقتضي ان تكون الاخرة هي الدار الاولى ، والدنيا ، فتكون التسمية للدارين غير صحيحة ، وينافي ايضا كون الجنة دار ثواب يدخلها المتقون جزاء بما كانوا يعملون ، كما ورد في الايات الكثيرة) . " ١ "

وبعد :

فهذه النصوص تفيد بجملتها أن رأى الشيخ محمد عبده في الجنة والنار ، هو الايمان بهما ، وانهما مخلوقتان خلقهما الله عز وجل ثوابا لمن اطاع ، وعقابا لمن عصى ، وانهما مخلوقتان الى الابد ، لا تفنيان ولا تبيدان .

والان ، وبعد ان تبين لنا هذا نقول :

أليس من حقنا ان نعجب من الراى الاول الذى ساقه هذا المستشرق " بلنت " ونسبه الى الشيخ محمد عبده ، ونقله الكاتب " محمد عمارة " ضمن اعمال الشيخ محمد عبده ؟ .

بل أليس من حقنا ان نستنكره ، ونشجبه ، ونكذب ذلك الكافر " بلنت " الذى يريد ان يدخل على الرجل الكذب في دينه وعقيدته ؟ .

ثم اين يكون هذا الرأى ــ المنسوب الى الشيخ محمد عبده ــ مع هذه النصوص القاهرة للشيخ محمد عبده ، التي سطرها بقلمه او نقلها عنه تلميذه المقرب اليه ، وايهما نصدق : السيد رشيد رضا " المسلم " او مستر بلنت " الكافر " ؟ .

---

١ ــ تفسير المنار (١ : ٢٧٧) .

وهل نصدق صاحب الدار ومالكها ام السارق المتلصص عليها ؟

اما العقل والعلم والكرامة والحق فيقول كل ذلك : ان الذى يصدق هو مالك الدار — اعني الشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا — .

واما الجهل والهوان والباطل فيقول كل ذلك : بل الذى يصدق هو اللص المحتال المستحل لساحة الدار ، — اعني مستربلنت — .

لا شك ان المدعو مستربلنت قد افترى على صديقه ، وبالغ في الكذب عليه ، والا لتعارض كلام الشيخ محمد عبده السابق — الذى ذكره " بلنت " ، واللاحق الذى ورد عنه وعن تلميذه .

وهنا نقول :

ليس عيبا ان يرى الرجل الراى فيخالفه غدا ، فان المعصوم من عصم الله تعالى ، وكل ابن ادم خطاء ، وخير الخطائين التوابون .

فان الراى الذى قيل ان الشيخ محمد عبده يؤمن به وهو الذى ذكره " بلنت " ، وملخصه : " ان الشيخ محمد عبده ينكر العذاب الابدى " . وقد سبق الراى الاخر الذى سطره الشيخ محمد عبده بقلمه ، ونقله ترجمان افكاره — السيد رشيد — في مناره ، وملخصه : " ان الشيخ محمد عبده يؤمن بالجنة والنار وخلودهما الى الابد — باذن الله — " .

واللاحق مقدم على السابق ، لانه يعني ابطاله والرجوع عنه .

فبناء على ما مضى استطيع ان اقول :

ان الشيخ محمد عبده مع السلف في هذا الموضوع — بل هو واحد منهم — يؤمن بالجنة والنار ، وانهما مخلوقتان ، لا تفنيان ولا تبيدان ، فان الله سبحانه وتعالى خلقهما قبل الخلق ، وخلق لهما اهلا ، واعدهما للثواب والعقاب .

وهذا بيان مذهب السلف باختصار في حقيقة الجنة ، وحقيقة النار ، وحقيقة الخلود في كل منهما اعرضه ليظهر صدق ما قلناه ، وصحة مذهب الشيخ محمد عبده الاعتقادى في الجنة والنار والخلود فيهما ، بعد ان سقنا النصوص الصريحة

الواضحة في هذا الموضوع .

وهاك ما قاله السلف ، باختصار :

(اولا) : " الجنــة " :

==================

كلام السلف — رضي الله عنهم — في حقيقة الجنة ، وما اليها ... كلام طويل جدا ، فابن القيم رحمه الله الف كتابا في ذكر الجنة ونعيمها ودرجاتها واهلها ، واحوالهم فيها ... الى اخر ما فيها مما اعده الله لمن يدخلها — سماه " حادى الارواح الى بلاد افراح "" ١ " ، لم يترك شاردة ولا واردة الا ضمنها هذا الكتاب ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

وشيخ الاسلام الامام احمد بن تيمية — في مجموع الفتاوى — تكلم عن الجنة في مواطن متعددة ، ذكر فيها وجود الجنة وبقاءها " ٢ " ، ونعيمها والتلذذ فيها ، " ٣ " وان الجنة درجات والناس يتفاوتون فيها . " ٤ "

ولا مجال هنا لوصف نعيم الجنة ، فحديث ذلك يطول ، ولا يكاد يفي بالاحاطة بها .

وحاصل كلام السلف كما ورد عند شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه الامام ابن القيم — رحمهما الله تعالى — هو :

الايمان بوجود الجنة ، وانها مخلوقة ، خلقها الله عز وجل ثوابا لمن خافه ، واتقاه ، وانها مخلوقة قبل الخلق ، ولا تزال موجودة الى الان ، وانها باقية الى الابد ، لا تفنى ولا تبيد .

---

١ — انظر : حادى الارواح الى بلاد الافراح ، دار الكتب العلمية — بيروت ، لبنان ، توزيع دار الباز — مكة المكرمة ، يقع في ٢٩٦ صفحة .

٢ — انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام (١٨ : ٣٠٧) .

٣ — انظر : نفس المصدر (٤ : ٣١١ — ٣٢٩) .

٤ — انظر : نفس المصدر (١١ : ١٨٨ — ١٩٠) .

وان الجنة فيها من النعم ما لا يعلمه الا الله .

وقد اكثر الله من ذكر نعيمها ، في القران الكريم ، نذكر من هذه الايات :

قوله تعالى : " ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين " . "١"

وقوله تعالى : " وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد " . "٢"

وقوله تعالى : "وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا " . "٣"

وقوله تعالى : " ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة —

---

١ — سورة الذاريات ، الايات (١٥ — ١٦) .

٢ — سورة السجدة ، الايات (٣١ — ٣٥) .

٣ — سورة الانسان ، الايات (١٢ — ٢٢) .

الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم " . "١"

وقوله تعالى : " ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما اتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون " . "٢"

وايضا فان الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان كثيرا ما يحدث عنها ، ويبشر العاملين ، بها . ويكفي العبد قوله صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة ، في الحديث القدسي "٣" ، يقول الله تعالى : " اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقروا ان شئتم " فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون " . "٤"

واما الجنة التي هبط منها ادم فقد اختلف العلماء ـ من اهل السنة ، وغيرهم ـ فيها :

هل هي البستان او المكان الذي تظلله الاشجار من كل جانب كما هو معلوم لدينا ؟ ام هي دار الخلود في الاخرة ؟ ، على ثلاثة اقوال :ـ "٥"

---

١ ـ سورة الدخان ، الايات (٥١ ـ ٥٧) .
٢ ـ سورة الطور ، الايات (١٧ ـ ٢٤) .
٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦ : ٢٤٧) .
٤ ـ سورة السجدة ، اية (١٧) .
٥ ـ انظر الخلاف حول هذه المسألة في :
تفسير البحر المحيط ، لابي حيان التوحيدي (١ : ١٥٥ ـ ١٥٧) ، =

(الاول) : ان المراد بها بستان من البساتين او غيضة من الغياض كان ادم عليه السلام ، وزوجة منعمين فيها ، وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها ، وهي في موضع عال من الارض .

واليه ذهب المحققون من اهل السنة كالامام " ابو حنيفة " "١" ، والامام " ابو منصور الماتريدى " .

ونقله ابن الخطيب عن ابي القاسم البلخي ، وابي مسلم الاصبهاني "٢" وابن عيينة ، وابن قتيبة ، ويحكى عن ابن عباس ، وعن وهب بن منبه . "٣"

(الثاني) : انها جنة الخلد . واختاره ابو عيسى الرماني في تفسيره .

ثم قال : والمذهب الذى اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل واكثر اصحابنا وهو قول ابي علي وشيخنا ابي بكر وعليه اهل التفسير . "٤"

وهو ايضا قول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

قال : (والجنة التي اسكنها ادم وزوجته عند سلف الامة ، واهل السنة والجماعة : هي جنة الخلد .

= ، (٤ : ٢٧٤ ، ٢٨١) ، طبعة القاهرة الاولى ١٣٢٨ هـ .
والكشاف للزمخشري (١ : ٤٥ ، ٢٥٩ ـ ٢٦٢) ، طبعة القاهرة ١٣٠٧ هـ .
ومدارك التنزيل وحقائق التاويل للنسفي (١ : ٣٤) ،
وتفسير البيضاوى ص ٢٦ .

١ ـ انظر حادى الارواح ، لابن القيم ص ١٩ .
٢ ـ انظر نفس المصدر ، ونفس الصفحة .
٣ ـ انظر نفس المصدر ص ٢٠ .
٤ ـ انظر نفس المصدر ص ١٩ .

ومن قال انها جنة في الارض ، بأرض الهند ، او بارض جدة ، او غير ذلك ، فهو من المتفلسفة والملحدين او من اخوانهم المتكلمين المبتدعين ، فان هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة .

والكتاب والسنة يردان هذا القول ، وسلف الامة وائمتها متفقون على بطلان هذا القول) . "١"

(الثالث) : التوقف .

واختاره ابن الخطيب . وحجته : ان الكل ممكن ، والادلة متعارضة ، فوجب التوقف ، وترك القطع .

اقول :ـ

اثار الفريق الاول اشكالات ، فيما لو كانت الجنة هي دار الخلود ، واجاب الفريق الثاني عن هذه الاشكالات .

وتوقف البعض ، وقال : ان السكوت عن الكلام في هذا افضل .

ولكل من الفريقين اشكالات ، واجوبة ، اطال في بيانها الامام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه السابق " حادى الارواح " من صفحة (١٩ ـ ٣٥) . ولم يرجح ابن القيم رايا ، وان كان يفهم من سياق كلامه انه مع شيخه في انها جنة الخلد .

لان ابن القيم ، ساق حجج من اختار انها جنة الخلد التي يدخلها الناس ـ المؤمنون ـ يوم القيامة ، وجوابهم عما احتج به منازعوهم في صورة التقرير لهذا المذهب ، والتأييد له . والله اعلم .

والذى اراه ـ ولا اجزم به ـ ان الاشكالات التي اوردها الفريق الاول ، عقلية . وان الادلة التي اعتمد عليها الفريق الثاني ، نقلية وصحيحة ، رواها مسلم عن ابي هريرة ، وعن حذيفة ، وابي موسى الاشعرى ، وسعيد بن

---

١ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (٤ : ٣٤٧) .

جبير ، وابن عباس ، وله طرق عنه كثيرة ، وفي بعضها :

" كان ادم قال لربه اذ عصاه : رب ان انا تبت ، واصلحت .

فقال له ربه : اني راجعك الى الجنة " .

وهؤلاء ـ رضي الله عنهم ـ نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نقلا صحيحا .

ولا يصار الى العقل بوجود النقل الصحيح ، ويسعنا ما وسع الصحابة رضي الله عنهم . اذ فهموا انها جنة الخلد ، ولم يستفسروا عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولو كانت على الارض لورد في ذلك اخبار ، واخبار . ولكنه الذى فطر الله عليه المؤمنين جميعا ، ولم يخطر بقلوبهم سواه ، والله اعلم بالصواب .

(ثانيا) : " النـــار " .

===================

وكما يؤمن السلف رضي الله عنهم ، بوجود الجنة ، يؤمنون بوجود النار ، وانها مخلوقة من مخلوقات الله اعدها لعقاب العصاة ، وانها مخلوقة قبل الخلق ولا تزال وانها باقية الى الابد ، لا تفنى ولا تبيد .

ولا مجال هنا ايضا لوصف اهوال النار وعذابها ، فحديث ذلك يطول . واكتفي بذكر بعض الايات القرانية ، في ذلك :

قال تعالى : " ياأيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون " . "١"

وقال تعالى : " يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد " . " ٢ "

---

١ ـ سورة التحريم ، اية (٦) .

٢ ـ سورة ق ، اية (٣٠) ..

ومن الاحاديث اذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم " ۰ " ۱ "

ومما يكون من تحاور ، وتخاطب بين اهل الجنة واهل النار ، اذكر قول الحق تبارك وتعالى :

" ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون " ۰ " ۲ "

وقوله تعالــى :

" ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين " ۰ " ۳ "

(ثالثــا) : " خلود الجنة والنار " ۰

==========================

ان خلود الجنة وبقاء نعيمها ، وخلود النار وبقاء عذابها ، امر ثابت لا شك فيه ، وهو قول جمهور الائمة من السلف والخلف ، وهو مما يعلم بالضرورة ان الله سبحانه وتعالى قرره ، وان الرسول عليه السلام اخبر به ۰ " ٤ "

هذه حقيقة لا يمارى فيها الا معطل ولا يكابر فيها الا فاسق كافر ۰

---

١ ــ فتح البارى شرح صحيح البخارى (٦ : ٢٥٦) ، والموطأ ص ٦١٤ ۰
٢ ــ سورة الاعراف ، الايات (٤٤ ــ ٤٥) ۰
٣ ــ سورة الاعراف ، اية (٥٠) ۰
٤ ــ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٨٠ وما بعدها م / وانظر العقائد الاسلامية ص ٣٠١ ۰

والايات التي توضح هذه الحقيقة في كتاب الله كثيرة ، وفي السنة ما يؤكدها مما لا يدع مجالا لمتشكك او سبيلا لمعاند .

ومما ورد من الايات :

قوله تعالى : " ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا " . "١"

وقوله تعالى : " ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون " . "٢"

وقوله تعالى : " ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون " . "٣"

وقوله تعالى : " ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين " . "٤"

وهذه النصوص وغيرها تفيد بقاء الجنة والنار ، وبقاء من فيهما .

أما السنة :

فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :—

" من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت " . "٥"

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

١ — سورة الكهف ، الايات (١٠٧ — ١٠٨) .

٢ — سورة الزخرف ، الايات (٧٤ — ٧٥) .

٣ — سورة الزخرف ، اية (٧٧) .

٤ — سورة الحجر ، الايات (٤٥ — ٤٨) .

٥ — الحديث صحيح ، رواه مسلم ، انظر هامش صفحة ٤٨٢ من شرح العقيدة الطحاوية .

" اذا صار اهل الجنة الى الجنة ، واهل النار الى النار . جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم " . " ١ "

وظاهر الحديث يفيد معنى الخلود في كل من الجنة والنار ، بأوجز عبارة ، وابلغ اسلوب .

ولا تعارض بين هذه النصوص وبين غيرها مما قد يوهم المعارضة ، لان هذا كلام الله ، ولا تعارض بين كلامه سبحانه . وهو ما اجمع عليه العلماء من السلف والخلف ، وما اتفق عليه المسلمون ، واهل الحق جميعــــا .

---

١ ـ متفق عليه . انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى (١١ : ٣٥١).

" الخاتمـــــــــــــــــــــــة "

الخاتمـــة ـ نسأل الله حسـنها ـ

========================

خاتمة هذه الرسالة ، تشتمل على موقف الشيخ " محمد عبده " ، من القضيتين التاليتين :

القضية الاولى ، هي :

" رأى الشيخ " محمد عبده " في حجية خبر الواحد ، في الامور والمسائل الاعتقاديـــة " .

القضية الثانيـــة ، هي :

" رأى الشيخ " محمد عبده " في الدعوة الى الله ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يتبع ذلك من ذم البدع والخرافات " .

أ : رأى الشيخ " محمد عبده " في حجية خبر الواحد في الاستـــدلال على العقائـــد

================================

يرى الشيخ " محمد عبده " انه يجب ان يقتصر في الاعتقاد على ما هو صريح في الخبر المتواتر " ١ " • اما اخبار الاحاد " ٢ " فلا يطعن في ايمان المرء عدم التصديق بها •

---

١ — تنقسم السنة باعتبار طريقة وصولها الينا الى متواتر واحاد ، وزاد الحنفية قسما ثالثا هو المستفيض او المشهور • فاما المتواتر فهو في اللغة مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما ، وهو ماخوذ من الوتر • وفى الاصطلاح خبر جمع يستحيل عادة تواطوءهم على الكذب لكثرتهم او ثقتهم ، عن امر محسوس او عن جمع مثلهم الى ان ينتهي الى محسوس من مشاهدة او سماع ، وهنا ينتهي الخبر الى السماع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاهدة افعاله واقراره •

ويتضح من هذا التعريف ان هناك شروطا اربعة لابد من تحققها في الحديث المتواتر :

أولها : ان يكون رواته عالمين بما اخبروا به وجازمين ، غير مجازفين ولا ظانين •

وثانيها : ان يكون علمهم مستندا الى شيء محسوس كمشاهدة او سماع •

وثالثها : ان يبلغ عددهم الى مبلغ يمنع في العادة تواطوءهم على الكذب •

ورابعها : ان يستمر العدد المعتبر في كل الطبقات • اى فى اوله واوسطه واخره •

والتواتر قد يكون باللفظ ، وقد يكون بالمعنى ، وهو بنوعيه يفيد القطع واليقين بصدق الخبر وصحته ، ولا خلاف بين العلماء في ذلك •

٢ — واما حديث الاحاد فهو كل حديث لم يجمع شروط التواتر السابقة ، وقد يتفرد به واحد فيسمى غريبا ، وقد يرويه اثنان فاكثر فيسمى عزيزا ، =

يقول الشيخ محمد عبده : (يجب ان يقتصر في الاعتقاد على ما هو صريح في الخبر ، ولا تجوز الزيادة على ما هو قطعي بظني . وشرط صحة الاعتقاد ان لا يكون فيه شيء يمس التنزيه وعلو المقام الالهي عن مشابهة المخلوقين .

فان ورد ما يوهم ظاهرة ذلك في المتواتر وجب صرفه عن الظاهر اما بتسليم لله في العلم بمعناه من اعتقاد ان الظاهر غير مراد ، او بتأويل تقوم عليه القرائن المقبولة .

اما اخبار الاحاد فانه يجب الايمان بما ورد فيها على من بلغته وصدق بصحة روايتها ، اما من لم يبلغه الخبر ، او بلغه وعرضت له شبهة في صحته ، وهو ليس من المتواتر فلا يطعن في ايمانه عدم التصديق به .

والاصل في جميع ذلك : ان من انكر شيئا وهو يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث به او قرره فقد طعن في صدق الرسالة وكذب بها ، ويلحق به من اهمل في العلم بما تواتر عنه ، وعلم انه من الدين بالضرورة ، وهو ما في الكتاب وقليل من السنة في العمل) . "١"

= وقد يستفيض بان يرويه جماعة فيكون مشهورا او مستفيضا ، وعلى هذا فلا يفيد وصفه بانه حديث احاد انه مروى عن واحد دائما

واما المشهور والمستفيض فهو قسم من خبر الاحاد على الصحيح ، خلافا للحنفية الذين جعلوه قسما قائما بنفسه .

/ انظر رسالة الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ص ١٤ ، محمد ناصر الدين الالباني .

١ ـ رسالة التوحيـــــد ص ١٩٠ .

والحديث المتواتر — عند الشيخ محمد عبده — هو رواية خبر عن شهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة ٠ وايته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه ٠

ويرى الشيخ محمد عبده ان هذا النوع من الاخبار ، لا نزاع بين العقلاء في انه يحصل اليقين بالمخبر به ٠ "١"

ولكن التواتر — في نظر الشيخ محمد عبده — لا يصح ان يكون برأى جماعة ، او برأى اخرين :

(فحد التواتر هو ما تراه في القران : تعرفه طبقة يؤمن تواطؤ كل منها على الكذب الى ان وصل اليك لا تنكره فرقة من فرق المسلمين قاطبة ٠ "٢"

فهذا التواتر هو الذى يوجب اليقين وليس الامر كذلك في احاديث الاحاد) ٠

ويقول الشيخ محمد عبده : (والاحاد لا يؤخذ في باب العقائد ... على ان الحديث الذى يصل الينا من طريق الاحاد ، انما يحصل الظن عند من صح عنده ، اما من قامت له الادلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة ٠ وعلى اى حال ، فلنا ، بل علينا ، ان نفوض الامر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب ، وبدليل العقل) ٠ "٣"

الى هنا وينتهي راى الشيخ محمد عبده في حديث خبر الواحد ، وحاصله ان خبر الواحد ليس حجة في المسائل الاعتقادية ، وان كان حجة في الاحكام الشرعية لان العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي ، بالاية او الحديث المتواتر تواترا حقيقيا ، ان كان هذا الدليل لا يحتمل التأويل ٠ وان احاديث الاحاد

---

١ — انظر : الاعمال الكاملة للامام (٣ : ٤١٨ ، ٤١٩) ٠

٢ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٥٤٣ ، ٥٤٤) ٠

٣ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام (٥ : ٥٦٨) ٠

لا تفيد العلم وانها لا تثبت بها عقيدة ." ١ "

مناقشة ، ونقض هـــذا الرأى :

===================

اقول : ليس في وسعي ان اتجاهل ما قاله الشيخ محمد عبده ، وهو الاصل الذى عناه بقوله : والاحاد لا يؤخذ في باب العقائد ... . لانه فكرة خاطئة ظهرت عند بعض علماء الكلام المسلمين منذ قرون طويلة ... . ورأى خطير اخذ به عدد من علماء الاصول المتاخرين ، وتبناه حديثا طائفة من الكتاب والدعاة المسلمين ...

هذا الرأى — لا صحة له عند كثير من علماء المسلمين ، وقد كتب في الرد عليه كثير من العلماء قديما وحديثا :

ومن اهم الردود ما كتبه الامام ابن القيم في كتاب : مختصر الصواعق المرسلة " والامام ابن حزم في كتاب " الاحكام في اصول الاحكام " .
والمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في " رسائل الدعوة السلفية " .
الرسالة الثالثة : " الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام " ، والرسالة الخامسة : " وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين " .

وقد جمعوا في كتبهم ما تيسر لهم جمعه من البراهين القاطعة ، والادلة الناصعة على فساد هذا الرأى الشاذ ، وقد نقض الشيخ محمد ناصر الدين الالباني ، دعوى عدم الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة بعشرين وجها ، جمعها في الرسالة الخامسة ، ضمن رسائل الدعوة السلفية .

---

١ — ومما ينبغي ان ينتبه له ان المراد بحديث الاحاد الحديث الصحيح ، ولو جاء من عدة طرق صحيحة ، لكنها لم تبلغ درجة التواتر ، فمثل هذا الحديث يرده الشيخ محمد عبده ولا يقبله في العقيدة .

واني ارى ان الشيخ محمد عبده قد سبقه الى رفض الاحتجاج بخبر الواحد كثيرون من علماء المسلمين ، بغض النظر عن المصدر الاساسي لهذا الرفض اهو من المعتزلة ام من الجهمية ...

لكن طبيعة البحث ، تقتضي الرد على هؤلاء ، وبيان الحقيقة ، وان كنا نعلم انه قد قال به بعض المتقدمين من علماء الكلام .

وقبل ان اسوق كلام السلف ، وجمهور العلماء في هذه المسالة ، اسوق شبهة عرضت لاصحاب هذا الراى الشاذ ، واذكر رد العلماء عليها ...

شـــبهة وجوابهـــا : "١"

=========== يقول الشيخ ناصر الدين الالباني : (لقد عرضت لهم ـ اى الذين يقولون ان حديث الاحاد لا تثبت به عقيدة ـ شبهة ، ثم صارت لديهم عقيدة وهي ان حديث الاحاد لا يفيد الا الظن ، ويعنون به الظن الراجح طبعا ، والظن الراجح يجب العمل به في الاحكام اتفاقا ، ولا يجوز الاخذ به عندهم في الاخبار الغيبية ، والمسائل العلمية ، وهي المراد بالعقيدة .

ونحن لو سلمنا لهم جدلا بقولهم : (ان حديث الاحاد لا يفيد الا الظن) على اطلاقه ، فانا نسألهم : من اين لكم هذا التفريق ، وما الدليل على انه لا يجوز الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة ؟

لقد رأينا بعض المعاصرين يستدلون على ذلك بقوله تعالى في المشركين : " ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس " "٢" ، وبقوله سبحانه : " ان الظن لا يغني من الحق شيئا " "٣" ، ونحو ذلك من الايات التي يذم الله تعالى فيها

---

١ ـ عن رسالة : الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ، للشيخ ناصر الدين الالباني ص ٤٦ ، ٤٧ .

٢ ـ سورة النجم ، اية (٢٣) .

٣ ـ سورة الانعام ، اية (١١٦) .

المشركين على اتباعهم الظن •

وفات هؤلاء المستدلين ان الظن المذكور في هذه الايات ليس المراد به الظن الغالب الذى يفيده خبر الاحاد ، والواجب الاخذ به اتفاقا ، وانما هو الشك الذى هو الخرص ، فقد جاء في " النهاية " و" اللسان " وغيرهما من كتب اللغة : " الظن : الشك يعرض لك في الشيء فتحققه وتحكم به " •

فهذا هو الظن الذى نعاه الله تعالى على المشركين • ومما يؤيد ذلك قوله تعالى فيهم : (ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) "١" ، فجعل الظن هو الخرص الذى هو مجرد الحذر والتخمين •

ولو كان الظن المنعي على المشركين في هذه الايات هو الظن الغالب كما زعم اولئك المستدلون لم يجز الاخذ به في الاحكام ايضا ، وذلك لسببين اثنيين :

الاول : ان الله انكره عليهم انكارا مطلقا ولم يخصه بالعقيدة دون الاحكام •

والاخر : انه تعالى صرح في بعض الايات ان الظن الذى انكره على المشركين ، يشمل القول به في الاحكام ايضا ، فاسمع الى قوله تعالى الصريح في ذلك : (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا (فهذا عقيدة) ولا حرمنا من شيء (وهذا حكم) كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون) "٢" ، ويفسرها قوله تعالى : (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون) • "٣"

---

١ ـ سورة الانعام ، اية (١١٦) ، وسورة يونس ، اية (٦٦) •
٢ ـ سورة الانعام ، اية (١٤٨) •
٣ ـ سورة الاعراف ، اية (٣٣) •

فثبت مما تقدم ان الظن الذى لا يجوز الاخذ به انما هو الظن اللغوى المراد المرادف للخرص والتخمين ، والقول بغير علم ، وانه يحرم الحكم به في الاحكام كما يحرم الاخذ به في العقائد ولا فرق .

واذا كان الامر كذلك فقد سلم لنا القول المتقدم : ان كل الايات والاحاديث المتقدمة "١" الدالة على وجوب الاخذ بحديث الاحاد في الاحكام تدل ايضـــا بعمومها وشمولها على وجوب الاخذ به في العقائد ايضا ، والحق ان التفريق بين العقيدة والاحكام في وجوب الاخذ فيها بحديث الاحاد فلسفة دخيلة في الاسلام ، لا يعرفها السلف الصالح ولا ائمة الاربعة الذين يقلدهم جماهير المسلمين في العصر الحاضر) ا.هـ

رأى السلف في حجية خبر الواحد :

=====================

يرى السلف رضي الله عنهم انه يجب الايمان بكل ما ثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، سواء اكان خبرا متواترا ام خبر احاد ، من غير تفريق بينهما .

وخبر الواحد عندهم احد طرق المعرفة ، ويفيد العلم اليقيني ، ويوجب العمل ، وهو قول الامام احمد كما ذكر ابن ابي موسى "٢" ، وسار على ذلك اتباع الامام احمد ، وقرروا مذهب السلف ، حيث استدلوا على وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة بأدلة من القران والسنة :

---

١ — سيأتي بعضها في كلام السلف ، بعد قليل باذن الله .

٢ — هو محمد بن احمد بن ابي موسى ابو علي الهاشمي ، القاضي ، كان عالي القدر ، سامي الذكر ، ومقربا عند القادر بالله ، والقائم بامر الله ، صنف " الارشاد " في المذهب الحنبلي ولد سنة ٣٤٥هـ وتوفي سنة ٤٢٨ هـ . / انظر طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى — مطبعة السنة المحمدية القاهرة (٢ : ١٨٢ — ١٨٦) .

=

الدليل الاول :
========= قوله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم " . " ١ "

وقوله تعالى : " قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين " . " ٢ "

هذه الايات وامثالها تفيد ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ، وان طاعة الله واجبة " ومن يطع الرسول فقد اطاع الله " . " ٣ "

وايضا تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر به واجب ، لقوله تعالى " وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " . " ٤ "

فهذه الايات وغيرها التي تامر بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيما اخبر به ، وطاعته فيما امر به ، ليس فيها ما يفرق بين ما هو متواتر ، وما هو خبر احاد ، فمتى صح الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجب الاخذ به ، والايمان بما جاء فيه .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله : (ان الرسول صلى الله عليه وسلم موضح وشارح لدين الله ، وانه اوتي القران ومثله معه ، وان الله قد امرنا بطاعته ومحبته ، وتعبدنا بما بلغه ووضحه ، واذا فما وضحه الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغه من امور الدين لابد وان يكون محفوظا بحفظ الله تعالى ، لاننا لو جوزنا على بيان الرسول صلى الله عليه وسلم الكذب " والغلط والسهو ، دون دليل يبين ذلك ، لادى الامر الى سقوط ضمان الله تعالى ، وكفالته بحفظ دينه ، وليس المراد

= وانظر كتاب : المختصر في اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل ، تاليف علي بن محمد بن علي المعروف بابن اللحام ، حققه وقدم له الدكتور محمد مظهر بقا ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ص ٨٣ .

١ــ سورة الاحزاب ، اية (٣٥) .

٢ــ سورة ال عمران ، اية (٣٢) .

٣ــ سورة النساء ، اية (٨٠) .

٤ــ سورة الحشر ، ايـة (٧) .

بذلك دعوى عصمة الرواة ، بل المراد ان الراوي اذا كذب او غلط او سها ، فلا بد من ان يقوم دليل على ذلك ، وان يكون في الامة من يعرف كذبه وغلطه حتى يتم حفظ الله تعالى لحججه وادلته ، ولا يلتبس الحق بالباطل .

وايضا فاننا لو جوزنا الكذب على خبر الرسول والغلط فيه لادى ذلك الى بطلان حجة الله تعالى على عباده . اذ في استطاعة كل من احتج عليه بسنة تبين القران وتفسره ان يرد ذلك باسم انه من اخبار الاحاد التي لا تفيد العلم ، ولا يحتج بها ، وبذلك يبطل الانتفاع بنصوص القران ، وتسقط حجة الله على العباد) . "١"

الدليل الثاني :
=========

قوله تعالى : " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون" . "٢"

وجه الاستدلال : هذه الاية نص في ان خبر الاحاد حجة في التبليغ عقيدة واحكاما . ذلك ان الله تعالى حض المؤمنين على ان ينفر طائفة منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتعلموا منه دينهم ويتفقهوا فيه . ولا شك ان ذلك يشمل العقائد والاحكام ، بل العقائد اهم من الاحكام .

و (الطائفة) في لغة العرب تقع على الواحد فما فوق .

قال ابن حجر : (وهذا مصير منه الى ان لفظ " طائفة " يتناول الواحد فما فوقه ، ولا يختص بعدد معين) . "٣"

وذكر ابن حجر ان هذا منقول عن ابن عباس وغيره كالنخعي ومجاهد ، رضي الله عنهم .

---

١ ــ مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢ : ٣٨٠) .
٢ ــ سورة التوبة ، اية (١٢٢) .
٣ ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣ : ٢٣٤) .

الدليل الثالث :
========= قوله تعالى : " ولا تقف ما ليس لك به علم " . "١"

اى لا تتبعه ، ولا تعمل به ، ومن المعلوم ان المسلمين لم يزالوا من عهد الصحابة يقفون اخبار الاحاد ، ويعملون بها ، ويثبتون بها الامور الغيبية ، والحقائق الاعتقادية مثل بدء الخلق واشراط الساعة ، بل ويثبتون بها لله تعالى الصفات ، فلو كانت لا تفيد علما ، ولا تثبت عقيدة لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وائمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في " مختصر الصواعق " "٢" ، وهذا مما لا يقوله مسلم . "٣"

الدليل الرابع :
========= قوله تعالى : " ياايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا " . "٤"

وفي القراءة الاخرى " فتثبتوا " فانها تدل على ان العدل اذا جاء بخبر ما فالحجة قائمة به ، وانه لا يجب التثبت بل يؤخذ به حالا ، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى : "٥"

(وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد ، وانه لا يحتاج الى التثبت ، ولو كان خبره لا يفيد العلم لامر بالتثبت حتى يحصل العلم . ومما يدل عليه ايضا ان السلف الصالح وائمة الاسلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه

---

١ — سورة الاسراء ، اية (٣٦) .
٢ — انظر مختصر الصواعق (٢ : ٣٩٦) .
٣ — من كلام الشيخ ناصر الدين الالباني في الرسالة الثالثة من رسائل الدعوة السلفية ص ٥٠ .
٤ — سورة الحجرات ، اية (٦) .
٥ — انظر اعلام الموقعين (٢ : ٣٩٤) .

وسلم كذا ، وفعل كذا ، وامر بكذا ، ونهى عن كذا ، وهذا معلوم في كلا مهم بالضرورة . وفي "صحيح البخارى " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في عدة مواضع . وكثير من احاديث الصحابة يقول فيها احد هم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما سمعه من صحابي غيره . وهذه شهادة من القائل ، وجزم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نسب اليه من قول او فعل ، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم) . "١"

الدليل الخامس :
========== سنة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه تدل على الاخذ بخبر الاحاد .

فقد استدل السلف وجمهور العلماء على قبول خبر الواحد ، بانه قد كثر جدا قبوله والعمل به في الصحابة والتابعين ، عملا شائعا من غير نكير ، يحصل به اجماعهم عليه عادة وقطعا . "٢"

فمنــه :

أ : ــ قول ابى بكر الصديق رضي الله عنه لما جاءته " الجدة " تطلب ميراثها ، : (مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيئا ، فارجعي حتى اسأل الناس ، فسأل الناس فقال المغيرة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاها السدس . فقال ابو بكر : هــل

---

١ ــ نقله الالباني في الرسالة الثالثة : الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ص ٥٠ ، ٥١ .

٢ ــ انظر : الرسالة للامام محمد بن ادريس الشافعي ، تحقيق الاستاذ احمد محمد شاكر طبع مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٠ م / ١٣٥٠ هـ ، ص ٤٠١ ، ٤٣٥ ، ٤٥٦ .

وانظر : اصول السرخسي ، لابي بكر محمد بن سهل السرخسي ، تحقيق : =

معك غيرك ؟ فقال محمد بن مسلمة مثله • فانفذه لها ابو بكر) • "١"

ب : — استشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه في " الجنين " • فقال المغيرة : قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم " بغرة " : عبد او امة • فقال عمر : لتاتين بمن يشهد معك ، فشهد له محمد بن مسلمة • "٢"

ج : — كان عمر رضي الله عنه لا يورث المراة من دية زوجها حتى اخبره الضحاك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه ان يورث امراة " اشيم " ، "٣" من دية زوجها • "٤"

= ابو الوفا الافغاني ، مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٧٢ هـ (١ : ٣٢٢) •
وانظر : المستصفى من علم الاصول ، للغزالي ، الطبعة الاولى (١ : ١٤٨) •
وانظر : فواتح الرحموت ، لعبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري شرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور ، مطبوع بهامش المستصفى (٢ : ١٣٢) •
وانظر : كشف الاسرار عن اصول البزدوي لعلاء الدين عبد العزيز البخاري مطبعة الدار سعادت باستنبول سنة ١٣٠٨ هـ (٢ : ٣٧١ — ٣٧٨) •

١ — رواه الخمسة الا النسائي ، وصححه الترمذي ، ورواه مالك في الموطأ (٢ : ٥١٣) • واحمد في المسند (٥ : ٣٢٧) ، وابو داود في السنن (٢ : ١٠٩) ، وفي سنن ابن ماجة (٢ : ٩١٠) ، وسنن الدارمي (٢ : ٣٥٩) ، وانظر نيل الاوطار (٦ : ٦٧) •

٢ — متفق عليه : صحيح البخاري (٤ : ١٩٣) ، صحيح مسلم (٣ : ١٣٠٩) ، سنن ابي داود (٢ : ٤٩٧) ، سنن النسائي (٨ : ٤٢) ، سنن ابن ماجه (٢ : ٨٨٢) ، الموطأ (٢ : ٨٥٥) ، سنن الدارمي (٢ : ١٩٦) •

٣ — هو اشيم الضبابي ، قتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خطأ ، وهو صحابي مسلم •
انظر / الاصابة (١ : ٥٢) ، والاستيعاب (١ : ١١٥) •

٤ — رواه مالك في الموطأ (٢ : ٨٦٦) ، واحمد (٣ : ٤٥٢) ، وسنن ابي داود (٢ : ١١٧) ، وسنن ابن ماجه (٢ : ٨٨٣) ، وسنن الدارمي (٢ : ٣٧٧) •

د : — وعن ابن عمران سعدا حدثه : ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين • فسأل ابن عمر اباه عنه • فقال نعم اذا حدثك سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تسأل عن غيره • "١"

هـ : — عن عبد الله بن عمر قال :

" بينا الناس بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم ات • فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قران • وقد امران يستقبل الكعبة فاستقبلوها • وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة" • "٢"

فهذا النص على ان الصحابة رضي الله عنهم قبلوا خبر الواحد في نسخ ما كان مقطوعا عندهم من وجوب استقبال بيت المقدس • فتركوا ذلك واستقبلوا الكعبة لخبره • فلولا انه حجة عندهم ما خالفوا به المقطوع عندهم من القبلة الاولى •

قال ابن القيم : (ولم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم • بل شكروا على ذلك) • "٣"

والاحاديث السابقة نصت على قبول خبر الواحد : وهو في الحديث الاول والثاني المغيرة • وفي الثالث الضحاك • وفي الرابع سعد • وايضا تواتر انه عليه الصلاة والسلام كان يبعث الاحاد الى النواحي لتبليغ الاحكام • وهذا يعم العقيدة وغيرها •

---

١ — انظر : صحيح البخاري (١ : ٤٩) •

٢ — انظر : صحيح البخاري (١ : ٨٢) • وصحيح مسلم (١ : ٣٧٥) والموطأ (١ : ١٩٥) •

٣ — نقله الشيخ ناصر الدين الالباني ولم يبين اسم الكتاب الذى اخذ عنه • انظر : الرسالة الثالثة من سلسلة الدعوة السلفية ص ٥٣ •

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة الي اليمن يعلمهم السنة والاسلا م ـ كما ورد ـ "١" ، وبعث عليا رضي الله عنه ، في موسم الحج الى " منى " ليعلن سيادة الاسلام في الجزيرة العربية "٢" ، وبعث معاذ بن جبل ، وابا موسى الاشعرى وبعث واحدا واحدا الى الملوك والرؤساء يدعوهم الى الاسلام ، واكتفى بذلك في الزام الحجة وتبليغ الدعوة .

فلو لم يقع العلم بخبر الواحد في امور الدين الاصلية والفرعية ، لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على ارسال الواحد من اصحابه .

يقول الشيخ ناصر الدين الالباني : (ومما لا ريب فيه ان هؤلاء كانوا يعلمون الذين ارسلوا اليهم العقائد في جملة ما يعلمونهم ، فلو لم تكن الحجة قائمة بهم عليهم لم يبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم افرادا ، لانه عبث يتنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا معنى قول الامام الشافعي في " الرسالة " ص (٤١٢) :

" وهو صلى الله عليه وسلم لا يبعث بامره ، الا والحجة للمبعوث اليهم وعليهم قائمة بقبول خبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان قادرا على ان يبعث اليهم فيشافههم ، او يبعث اليهم عددا ، فبعث واحدا يعرفونه بالصدق ".") "٣"

هذه بعض ادلة السلف رضي الله عنهم التي تدل على الاخذ بخبر الاحاد ، وتدل ايضا دلالة قاطعة على عدم التفريق بين حديث الاحاد في العقيدة والاحكام ، وانه حجة قائمة في كل ذلك .

---

١ ـ اخرجه مسلم (٢ : ٢٩) ورواه البخارى مختصرا .

٢ ـ انظر : سيرة ابن هشام (٣ : ٢٠٠) ، وانظر : الرحيق المختوم ص ٤٠٥ .

٣ ـ الرسالة الثالثة من رسائل الدعوة السلفية ص ٥٣ .

وانا ذاكر الان بعض اقوالهم التي تدل على ما قرروا من وجوب الاخذ بحديث الاحاد في الاعتقاديات والعمليات ، وانه يفيد العلم واليقين في كثير من الاحيان ، من ذلك الاحاديث التي تلقتها الامة بالقبول ...

قال الطحاوى رحمه الله : (وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشرع والبيان كله حق) . "١"

قال شارح الطحاوية : " يشير الشيخ رحمه الله بذلك الى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بان الاخبار قسمان :

متواتر ، واحاد .

فالمتواتر وان كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة ، فان الادلة اللفظية لا تفيد اليقين . ولهذا قدموا في دلالة القران على الصفات . قالوا : والاحاد لا تفيد العلم ، ولا يحتج بها من جهة طريقها ، ولا من جهة متنها ، فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى واسمائه وصفاته وافعاله من جهة الرسول ، واحالوا الناس على قضايا وهمية ، ومقدمات خيالية ، سموها قواطع عقلية ، وبراهين يقينية ، وهي في التحقيق " كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب " . "٢"

ومن العجب انهم قدموها على نصوص الوحي ، وعزلوا لاجلها النصوص فاقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص ، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة ، والنصوص النبوية ، ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح الموافق للفطرة السليمة ...

---

١ — شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٣ .

٢ — سورة النور ، اية (٣٩) .

وطريق اهل السنة ان لا يعدلوا عن النص الصحيح ، ولا يعارضوه بمعقول ، ولا قول فلان ، كما اشار اليه الشيخ رحمه الله ، وكما قال البخاري رحمه الله :

" سمعت الحميدي يقول : كنا عند الشافعي رحمه الله ، فاتاه رجل فسأله عن مسألة ، فقال : قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذا وكذا .

فقال رجل للشافعي : ما تقول انت ؟

فقال : سبحان الله تراني في كنيسة تراني في بيعة تراني على وسطي زنار ؟ اقول لك : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانت تقول : ما تقول انت ؟ "

ونظائر ذلك في كلام السلف كثير . وقال تعالى : " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم " . "١"

وخبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم اليقيني عند جماهير الامة . وهو احد قسمي المتواتر ، ولم يكن بين سلف الامة في ذلك نزاع " . "٢"

اذ " ان الخبر اذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقته الامة بالقبول فانه يوجب العلم فيما سبيله العلم ... والقول الذى يذكر ان خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة " . "٣"

---

١ ـ سورة الاحزاب ، اية (٣٦) .

٢ ـ شرح الطحاوية ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠ .

٣ ـ انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ص ٣٠ ، نقلا عن كتاب : " الانتصار لاهل الحديث " لابن السمعاني ص ١٦٠ .

قال الامام الشوكاني : " وقال احمد بن حنبل : ان خبر الواحد يفيد بنفسه العلم .

وحكاه ابن حزم في " الاحكام " عن داود الظاهرى ، والحسين بن علي الكرابيسي والحارث المحاسبي . وقال : وبه نقول . وحكاه ابن خويز منداد عن مالك بن انس ، واختاره واطال في تقريره . ونقل عن القفال انه يوجب العلم الظاهر ، واستدلوا على القول بانه يفيد العلم مطلقا انه يجب العمل به ، وبين صاحب " كشف الاسرار " ان الامام احمد قال : ان خبر الاحاد يفيد العلم ضرورة . وقال داود : انه يفيد العلم استدلالا) . "١"

قال القاضي " ابو يعلى " : هذا المذهب .

قال ابو الخطاب : هذا ظاهر كلام اصحابنا ، واختاره ابن الزاغوني ، والشيخ تقي الدين ، وقال : " الذى عليه الاصوليون من اصحاب ابى حنيفة ، والشافعي ، واحمد ، ان خبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول تصديقا له ، وعملا به يوجب العلم ، الا فرقة قليلة من اهل الكلام انكروا ذلك " . اهـ

وهذا ذكره ابو اسحق ، وابو الطيب ، وذكره عبد الوهاب وامثاله من المالكية ، والسرخسي وامثاله من الحنفية ، وهو الذى عليه اكثر الفقهاء واهل الحديث ، والسلف ، واكثر الاشعرية وغيرهم .

قال ابن الصلاح : ما اسنده البخارى ومسلم : " العلم اليقيني النظرى واقع به خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بانه لا يفيد في اصله الا الظن ، وانما تلقته الامة بالقبول لانه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يخطئ " . "٢"

---

١ ــ انظر كتاب : شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير في اصول الفقه ، تاليف محمد بن احمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار تحقيق الدكتور محمد الزحيلي ، والدكتور نزيه حماد ، (٢ : ٣٤٨) .

٢ ــ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ١٤ ، تصوير دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .

ويقول ابن الصلاح : قد كنت اميل الى هذا ، واحسبه قويا ثم بان لي

ان المذهب الذى اخترناه اولا هو الصحيح، لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا

يخطىء ، والامة في اجماعها معصومة من الخطأ . اه‍

وحكى ابن عبد البر اجماع العلماء على العمل بأحاديث الاحاد في اصول

الديانات .

وقال الامام احمد : لا تتعدى القران والحديث .

وقال ابن قاضي الجبل : مذهب الحنابلة ان اخبار الاحاد المتلقاة بالقبول

تصلح لاثبات اصول الديانات ، ذكره القاضي "ابو يعلى" في مقدمة "المجرد" ،

والشيخ تقي الدين في عقيدته .

قال ابن القاص : لا خلاف بين اهل الفقه في قبول خبر الاحاد "١" .

ا . هـ

وقال الامام ابن القيم : (قال شيخ الاسلام ابن تيمية : فهذا يفيد العلم

اليقيني عند جماهير امة محمد صلى الله عليه وسلم لكن الاولين والاخرين ، اما

السلف ، فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، واما الخلف ، فهذا مذهب الفقهاء

الكبار من اصحاب الائمة الاربعة ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية

والشافعية والحنبلية) . "٢"

وبالجملة فأدلة القران ، والسنة ، وعمل الصحابة والتابعين ، واقوال العلماء

تدل دلالة قاطعة على وجوب الاخذ بحديث الاحاد في الخبريات العلميات

(العقيدة) ، كما هو في الطلبيات العمليات .

---

١ ـ عن كتاب شرح الكوكب المنير لابن النجار ص ٣٤٩ ـ ٣٦١ بتصرف .

٢ ـ انظر : رسالة الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ، للالباني ص

٥٨ ، نقلا عن مختصر الصواعق (٢ : ٣٧٣) .

لذلك يجب على كل مؤمن بالله ، ومصدق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يؤمن بكل حديث ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان في العقائد او الاحكام ، وسواء اكان متواترا ام احادا ، استجابة لقوله تعالى " وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " . " ١ "

ومما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من العقائد الاسلامية ، اذكر :

أ ـ شفاعته صلى الله عليه وسلم العظمى في المحشر .

٢ ـ شفاعته صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر من امته .

٣ ـ معجزاته صلى الله عليه وسلم كلها ما عدا القران ، ومنها معجزة انشقاق القمر ...

٤ ـ الاحاديث التي تتحدث عن صفة الملائكة والجن ، والجنة والنار وانهما مخلوقتان .

٥ ـ الايمان بسؤال منكر ونكير .

٦ ـ الايمان بعذاب القبر .

٧ ـ الايمان بالميزان ذى الكفتين يوم القيامة .

٨ ـ الايمان بالصراط .

٩ ـ الايمان بحوضه صلى الله عليه وسلم وان من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا .

١٠ ـ دخول سبعين الفا من امته الجنة بغير حساب .

١١ ـ الايمان بان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة .

١٢ ـ الايمان بجموع اشراط الساعة كخروج المهدى ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج الدجال ، وخروج دابة الارض من موضعها ...

---

١ ـ سورة الحشـــر ، آية (٧) .

هذه بعض العقائد الاسلامية الصحيحة التي ثبتت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وتلقتها الامة بالقبول ... يجب علينا تصديقها والايمان بها ، ولا يحق لاحد ان ينكرها او يشكك فيها ، او يؤولها ، لان من يفعل ذلك يتجرأ على قائلها — وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم — ، جرأة ربما لا تحمد عقباه .

وبعــد :

فهذا هو رأى السلف في حجية خبر الواحد في امور العقيدة ، نختاره ، وندين الله به ، ويسعنا ما وسع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، ومن اعتقد خلاف هذا فقد بني عقيدته على الوهم والخيال ، وانشغل عن الحديث الصحيح بآراء الرجال .

ب : ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكـــــــر

==============================

قال تعالى : " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ويتهون عن المنكر واولئك هم المفلحون " . "١" صدق الله العظيم .

ان ما قاله الشيخ " محمد عبده " ، في معنى هذه الاية الكريمة ، قاعدة مكينة للدعاة الى الله ، واصل شريف يرجع اليه عند تفرق الاهواء ، واختلاف الاراء .

وهو على قلته ، واجماله ، استوفى عناصر البحث ، وخصائصه ... بهمة عالية ، ونظرة متفحصة ثاقبة ، وفكر مستنير ... الامر الذى يدل على الواقع المؤلم الذى كان يعيش فيه ، والحاجة الاكيدة الى العمل بهذا الاصل في مجتمع تغيرت فيه مفاهيم الناس ، وتصوراتهم عن الاسلام الذى هو دين الله للناس كافة .

وليس يلزم ان اسوق ما قاله الشيخ محمد عبده ، كلمة ، كلمة ... ولكني استطيع ان الخص ما قال ، واجمع العناصر الرئيسية للموضوع ، واضعها بين يدى القارئ ـ خاصة الدعاة ـ واشرحها من وجهة نظر قائلها ، واعلق عليها ـ ان كانت هناك حاجة ـ وهذا هو المناسب للمقام .

يتناول البحث في قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ستة عناصر ، هـــي :ـ

أ : الاعتصام بحبل الله وحدة الامة ، وجامعتها .

ب : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظ الجامعة ، وسياج الوحدة .

---

١ ـ سورة ال عمران ، اية (١٠٤) .

ح : مراتب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

د : ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير : الآمرة بالمعروف
الناهية عن المنكر .

هـ : ما تنفصم به الوحدة الاسلامية .

و : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يستدعي الحروب على البدع والخرافات .

الشـــرح :

========

أ : الاعتصام بحبل الله وحدة الامة وجامعتها .

============================

يرى الشيخ محمد عبده ان الاعتصام بحبل الله هو الطريق الوحيد ، لتكوين الامة الواحدة ، وضمان قيامها ، ومصدر حياتها .

وان الاعتصام بحبل الله يعني الاحتكام الى كتاب الله في جميع شؤون الامة الدنيوية منها و والاخروية .

يقول الشيخ محمد عبده :

(ومن القواعد المسلمة انه لا تقوم لقوم قائمة ، الا اذا كان لهم جامعة تضمهم ، ووحدة تجمعهم وتربط بعضهم ببعض فيكونون بذلك امة حية ، كأنها جسد واحد ، كما ورد في الحديث الشريف :

" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . "١"

وحديث : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " . "٢"

---

١ ـ رواه مسلم . ورواه احمد بن حنبل في المسند .

٢ ـ متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم . ورواه ايضا الترمذى والنسائي .

فاذا كانت الجامعة الموحدة للامة ، هي مصدر حياتها سواء اكانت مؤمنة ام كافرة ، فلا شك ان المؤمنين اولى بالوحدة من غيرهم ، لانهم يعتقدون ان لهم الها واحدا يرجعون في جميع شؤونهم الى حكمه الذى يعلو جميع الاهواء ، ويحول دون التفرق والخلاف . بل هذا هو ينبوع الحياة الاجتماعية لما دون الامم من الجمعيات حتى البيوت والعائلات) . "١"

نعم ، انه لا حياة لامتنا الاسلامية ، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة الا بالرجوع الى الله ، والرجوع الى الله له طريق واحد ، واحد لا سواه ، انه الرجوع الى تحكيم كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبه تفتح مغاليق القلوب البشرية ، وبه الشفاء من كل داء ... "٢"

ب : — حفاظ الجامعة وسياج الوحدة .

=======================

ويرى الشيخ محمد عبده ان لكل جامعة وكل وحدة حفاظا يحفظها ، وسياجا يوحدها .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى ارشدت اليه الاية الكريمة هو حفاظ الجامعة وسياج الوحدة .

والمعروف ، يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة .

والمنكر ، ضده . وهو ما انكرته العقول والطباع والسليمة .

والمرشد الى ذلك مع سلامة الفطرة ، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

نعم . ومن يقرأ التاريخ الاسلامي ، يجد صدق ذلك ، فما من امة امرت بالمعروف

---

١ — تفسير المنار (٣ ٤ : ٢٦) .

٢ — انظر : مقدمة الظلال ، لسيد قطب . الجزء الاول .

ونهت عن المنكر ، الا دامت ، ودام عزها ، وما من امة فشا فيها المنكر الا اخذها الله واذلها .

فالامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر هو حفاظ الامة الاسلامية ، وسياج وحدتها .

ج : ـ المراتب العملية للامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

==================================

ويرى الشيخ محمد عبده ان للدعوة الى الخير مراتب :

المرتبة الاولى : هي دعوة سائر الامم الى دين الله وهو الاسلام .

المرتبة الثانية : هي دعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير ، وائتمارهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

وهذه المرتبة ـ الثانية ـ لها طريقان :

(احدهما) : الدعوة العامة الكلية ، كالتدريس في المساجد ، والقاء الخطب والمواعظ .

وانما يقوم على هذا الطريق خواص الامة ـ اى العلماء ـ وهم المشار اليهم بقوله تعالى : " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " . " ١ "

والطريق الثاني : الدعوة الخاصة ، وهي ما يكون بين الافراد ، بعضهم مع بعض ، ويستوى في هذا الطريق الدارس وغير الدارس . كل حسب علمه ، وطاقته ، وهذه الطريق اشار اليها القران الكريم في سورة " العصر " .

قال تعالى : " والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " . " ٢ "

---

١ ـ سورة التوبة ، اية (١٢٢) .
٢ ـ سورة العصر ، الايات (١ ـ ٣) .

اقول : نعم ٠

فلو ان المسلمين سلكوا هذا الطريق ، وعموا دعوتهم ، وتجنبوا الخلاف فيما بينهم ، لانتشرت دعوة الاسلام ، ولاستقام على الحق خلق كثير ٠

ولقد كان لنا في السلف الصالح اسوة حسنة — بعد الرسول صلى الله عليه وسلم — اذ يقول قائلهم "١" ، في احدى المعارك الاسلامية ٠:

(انما ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة) ٠

وايضا : فلو ان افراد الامة تناصحوا فيما بينهم ، ودعوا الى الله وامروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، لمكن الله لهم في الارض ، واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن عليهم بنعمة الامن والرخاء ٠ وهذه تكاد تكون مفقودة في عالمنا الاسلامي اليوم ٠

يقول الشيخ محمد عبده : (يجب على الامة الانكار على فاعل المنكر من افرادها ، وتغييره او النهي عنه ، لئلا يفشو فيها فيصير خلقا من اخلاقها او عادة من عاداتها ، فتستحق عقوبته في الدنيا — كالضعف والفقر وفقد الاستقلال — كما تستحق عقوبته في الاخرة ، بما دنس نفوسها) ٠ "٢"

وقال : (ان ما نحن فيه من سوء الحال اثر تفريط كبير ، تمادى في زمن طويل بعد ما عظم التساهل في ترك التناصح ، وبطل رد ما يتنازع فيه المسلمون الى الله ورسوله اى الى كتاب الله وسنة رسوله ، وخوت القلوب من احترام الدين ، حتى لم يعد له سلطان على الارادة ، بل صار كل شخص اسير هواه ، ومتى امسى الناس هكذا — لا دين ولا مروءة ولا ادب — فأى فرق بين الطائفة منهم ، والقطيع من المعز او البقر ج ؟) ٠ "٣"

---

١ — ربعى بن عامر ، حين دخل على رستم قائد جيش الفرس في معركة القادسية ٠
٢ — تفسير المنار (٤ : ٢٦٣) ٠
٣ — تفسير المنار (٤ : ٣٠) ٠

يقول رشيد : عند هذا سأل سائل عن قوله تعالى : " ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " . "١" . فأجاب "٢" :

(ان هذا بعد القيام بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اى ان الانسان لا يضره ضلال غيره اذا هو امره ونهاه ، فانه لا يكون مهتديا مع تركه لهذه الفريضة .

ثم قال : من العجب ان بعض الناس اشترطوا لهذه الفريضة شرطا ، لم يأذن به الله ، ولم ينزله في كتابه ، وهو انه : لا يأمر وينهي الا من كان مؤتمرا ، ومنتهيا .

وقال : ويشترط بعضهم للوجوب شرطا اخر ، وهو الامن على النفس . "٣"

---

١ — سورة المائدة ، اية (١٠٥) .

٢ — ان هذه الشبهة التي سئل عنها الشيخ محمد عبده ، قديمة عرضت للناس زمن ابي بكر رضي الله عنه ، فقد روى اهل الحديث من طريق قيس بن حازم قال : قام ابو بكر خطيبا ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية " ياايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " ، وانكم تضعونها غير موضعها ، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا راى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب " .

ولابن مردويه عن ابن عباس قال :

قعد ابو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سمي خليفة رسول الله ، فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مد يده فوضعها على المجلس الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه ، من منبره ، ثم قال : سمعت الحبيب وهو جالس في هذا المجلس يتأول هذه الاية ... ثم فسرها فكان تفسيره لها ان قال :

نعم ليس من قوم يعمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا حق على الله ان يعمهم بالعقوبة جميعا ، ثم لا يستجاب لهم ، ثم ادخل اصبعيه في اذنيه فقال : ان لا اكون سمعته من الحبيب صمتا .

/ انظر تفسير المنار (٤ : ٣١) .

٣ — انظر : تفسير المنار (٤ : ٣٠) .

ويرد الشيخ محمد عبده على هؤلاء بقوله :

(وكان ينبغي ان يقولوا : على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة حتى لا ينفر الناس او لا يحملهم على ايذائه ، فان الله يقول ، انه لا نجاة للناس الا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ولم يشترط في ذلك شرطا) . "١"

قال رشيد : ثم قال الاستاذ الامام ما حاصله :

(جملة القول ان الدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض حتم على كل مسلم كما تدل عليه الاية في ظاهرها المتبادر ، وغيرها من الايات كقوله تعالى " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه" ("٢" كذلك عمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، واصحابه رضي الله عنهم) . "٣"

د : ـ ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير من امور .

==================================

قال الشيخ محمد عبده "٤" : (نذكر ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير ، الآمرة بالمعروف ، الناهية عن المنكر ، اى القائمة بالواجبات التي هي قوام الوحدة وحفاظها ، فان اعمالها لا تتم الا بأمور كثيرة منها :

١ ـ العلم التام بما يدعون اليه : ان اول ما يجب على هؤلاء الدعاة العلم بالقران ، والعلم بالسنة ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، وسلف الامة الصالح ، وبالقدر الكافي من الاحكام . فهذا شيء من البيان ، وهو في نفسه يحتاج الى بيان ، وتفصيل اهمه :

---

١ ـ انظر نفس المصدر (٤ : ٣٢) .

٢ ـ سورة المائدة ، اية (٧٩) .

٣ ـ انظر المصدر السابق (٤ : ٣٥) .

٤ ـ بتصرف : انظر تفسير المنار (٤ : ٣٨ ـ ٥١) .

ان العلم بالقران انما فيه قبل كل شيء الى كونه هدى وعبرة وموعظة على نحو تفسيرنا هذا ، وكذلك السنة ، وما صح من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرته . وينظر في هذا ايضا الى الفرق بين ما تواتر عملا ، وما صح سندا وماليس كذلك .

٢ ـ العلم بحال من توجه الدعوة اليهم : في شؤونهم واستعدادهم ، وطبائع بلادهم واخلاقهم ، او ما يعبر عنه في عرف العصر بحالهم الاجتماعية .

وقد روى ان من اسباب ارتضاء الصحابة بخلافة ابى بكر ، كونه انسب العرب ، وليس معنى كونه اعلم بالانساب انه كان عنده كتاب : " بحر الانساب " يراجع فيه ، وانما معناه انه كان اعلمهم باحوال قبائل العرب وبطونها ، وتاريخ كل قبيلة ، وسابق ايامها واخلاقها ، كالشجاعة ، والجبن ، والامانة ، والخيانة ، ومكانها من الضعف والقوة ، والغنى والفقر ، وما كان اقدامه ـ مع لينه وسهولة خلقه التي يعرفها له كل احد حتى الافرنج ـ على حرب اهل الرده ، الا لهذا العلم الذى كان به على بصيرة ، فلم يهب ولم يخف ، وقد خاف " عمر واحجم على شدته المعروفة على الكافرين والمنافقين . حتى قال ابو بكر : (والله لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم عليه) . فهذه قوة العلم ، لا قوة الجهل .

٣ ـ : مناشيء علم التاريخ العام : ليعرف الفساد في العقائد والاخلاق والعادات فيبنون الدعوة على اصل صحيح ويعرفون كيف تنهض الحجة ويبلغ الكلام غايته من التأثير ، وكيف يمكن نقل هؤلاء المدعوين من حال الى حال . ولهذا كان القران مملوءا بعبر التاريخ .

٤ ـ علم تقويم البلدان : ليعد الدعاة لكل بلاد منها عدتها اذا ارادوا السفر اليها . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم اعلم اهل زمانهم بالتاريخ ، وما يسمى الان : بتقويم البلدان ، وبالجغرافية ، ولذلك اقدموا على الفتوح ومحاربة الامم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل ، فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع

المياه وما يصلح موقعا للقتال منها ، لهلكوا ، وكان الجهل اول اسباب هلاكهم ، ومن قرأ ما حفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها ، ومحاوراتهم في تدبير الاعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان .

ومن الناس من ينفر من التاريخ ، وتقويم البلدان ، الذى هو فرع من فروعه ، وما اضر هؤلاء الا بانفسهم وامتهم فقد قطعوا الصلة بينهم وبين القدوة الصالحة من سلفهم ، حتى صار أكثر المسلمين الا يعرفون مبدأ الاسلام ، ولا كيفية نشأته ، ولا كيف انتسبوا اليه .

فالتاريخ يعرف الانسان بنفسه من حيث هو متدين ان كان له دين ، او من حيث هو انسان ان كان من نبي الانسان .

وما اضر بالفقه شيء كالجهل بالتاريخ ، لاننا لو حفظنا تاريخ الناس ومنه عاداتهم ، وعرفهم ، ومصالحهم في البلاد التي كان فيها المجتهدون الواضعون لهذا الفقه ، لكنا نعرف من اسباب خلافهم ومدارك اقوالهم ما لا نعرفه اليوم ، فما كان ذلك الخلاف جزافا ولا عبثا .

الم تر ان الشافعي رضي الله عنه وضع بعد مجيئه الى مصر مذهبا جديدا غير المذهب القديم الذى كان عليه ايام لم يكن خبيرا بغير الحجاز والعراق ...

وكذلك كان ما خالف به " ابو يوسف " استاذه " ابا حنيفة " مما يرجع الكثير منه الى ما اختبره من حال الناس في مصالحهم وعرفهم ومنافعهم .

فبالله : كيف ينتسب امرؤ الى امام ويشتغل بعلم مذهبه وهو لا يعرف تاريخه وتاريخ عصره .

وجملة القول : ان الجاهل بالتاريخ لا يصلح ان يكون فردا من الامة الداعية الى الاسلام ، الامرة بالمعروف ، الناهية عن المنكر في الامور العامة الذى يرجى قبوله .

٥ — علم النفس : وهو يساوى علم التاريخ في المكانة ، والفائدة .

اى العلم الباحث عن قوى النفس ، وتصرفها في علومها ، وتأثير علومها في اعمالها الادارية .

مثال ذلك ان الاصل ان يكون العمل تابعا للعلم ، ولكن كثيرا من الناس يعتقدون ان عمل كذا ضار ، ويأتونه ، وعمل كذا نافع ، ويتركونه .

فما هو السبب في ذلك ؟ وهل يحسن دعوة هؤلاء الى الخير واقناعهم بترك الشر من لا يعرف لماذا تركوا الخير واقترفوا الشر ؟

فهذه المعرفة هي من علم النفس الذى يؤخذ منه ان من العلم ما يكون صفة للنفس حاكمة على اراداتها ، مصرفة لها في اعمالها ، ومنها ما هو صورة تعرض للذهن لا اثر لها في الارادة ، فلا تبعث على العمل ، وانما يكون مظهره القول احيانا .

ولا تظنوا ان الصحابة لم يكن عندهم شيء من هذا العلم اذ لم يكونوا يدرسونه في الكتب ، ويتلقونه عن المعلمين . فانكم اذا قرأتم التاريخ وعرفتم كيف كانوا يتجادلون في الحرب ، في مواقع الخطب بمجرد الفطرة التي يعبرون عنها امكنكم ان تعرفوا مكانهم منه .

نعم ان الانسان في كل زمن يحتاج الى نوع من طرق التعليم غير ما كان في الزمن الذى قبله ، فالحقيقة واحدة ، قد تختلف طرق العلم بها باختلاف الزمان والمكان والاحوال .

٦ — علم الاخلاق : وهو العلم الذى يبحث في الفضائل وكيفية تربية المرء عليها ، وعن الرذائل ، وطرق توقيه منها ، وهو ضرورى ، وما ورد فيه من الايات والاحاديث ، واثار الصحابة والتابعين يغني بشهرته واستفاضته عن اطالة الكلام فيه .

٧ — علم السياسة : وليس المراد السياسة الشرعية التي كتب فيها ابن تيميـــة وغيره . فهذه على ضرورتها داخلة في علم الكتاب والسنة والاحكام .

وانما المراد العلم بحال دول العصر وعلاقاتها وطرق سعيها ...

والسياسة بهذا المعنى لم تكن في عصر الصحابة .

٨ — العلم بالفنون والعلوم : المتداولة في الامم التي توجه اليها الدعوة ولو بقدر ما يفهم به الدعاة ، وما يورد على الدين من شبهات تلك العلوم ، والجواب عنها يليق بمعارف المخاطبين بالدعوة .

٩ — المعرفة بالملل والنحل ، ومذاهب الامم فيها ، ليتيسر للدعاة ،

بيان ما فيها من الباطل ، فان لم يتبين له بطلان ما هو عليه ، لا يلتفت الى الحق الذى عليه غيره ، وان دعاة اليه .

١٠ ـ العلم بلغات الامم التي تراد دعوتها :

وقد ورد فى صحيح البخارى ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بعض الصحابة ، بتعلم اللغة العبرانية لاجل اليهود ، الذين كانوا مجاورين له على انهم كانوا قد استعربوا .

فما كانت معرفة لغتهم الاصلية الا مزيد كمال في الفهم عنهم ، ومعرفة حقيقة شأنهم .

ولا يقال ان الامة التي تؤلف للدعوة للاسلام يمكنها ان تستغني عن تعلم لغات الامم بالمترجمين من غير المسلمين . فانها ان ظفرت بالمترجم الاجنبي الامين لا يتيسر لها ان تفهمه من حقيقة الدين عند الترجمة ما يفهمه العالم المسلم . وانما يلجأ الى مثل ذلك عند الضرورة اذا امكن تاليف جمعية للدعوة ، فالواجب ان يكون فيها من المسلمين العارفين باللغات ما يكفيها الحاجة الى ترجمة الاجنبي ، كما تفعل جمعيات الدعوة الى النصرانية ، فان افرادا منها يتعلمون لغات جميع الامم .

هـ : ـ تصدع الوحدة الاسـلامية :

==========================

التفرق والاختلاف هما مادة تقويض البناء الاسلامي ، وتصدعه ، بل نسفه من اساسه . لذلك نهى الله تعالى عنهما مباشرة بعد الاية الكريمة السابقة الداعية الى تكوين الامة الداعية الى الخير ، فقال تعالى : " ولا تكونوا كالذين تفرقـوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " . "١"

قال الشيخ محمد عبده : (ان هذه الاية كالدليل على انه يجب ان تكون وجهة الامة الداعية ، الامرة ، الناهية ، واحدة . لان الذين سبقوهم ما افلحوا لعدم وحدتهم ، كأنه يقول : لا يمكن ان تكون فيكم امة للدعوة والامر والنهي الا

---

١ ـ سورة ال عمران ، اية (١٠٥) .

اذا اجتمعت على مقصد واحد • فالترتيب في الايات طبيعي ، اذ من البديهي ان المتفقين في المقصد لا يختلفون اختلافا ضارا ينافيه ، وانما يقع الاختلاف بعد التفرق في المقاصد ، والتباين في الاهواء بذهاب كل الى تأييد مقصده ، وارضاء هواه فيه • والاختلاف في الراى لاجل تاييد المقصد المتفق عليه لا يضر ، بل ينفع وهو طبيعي لا مندوحة عنه) • "١"

وقال الشيخ محمد عبده في شرح قوله تعالى " واولئك لهم عذاب عظيم "•" ٢ "

(اما عذاب الدنيا فهو ان المتفرقين المختلفين الذين اتبعوا اهواءهم ، وحكموا في دينهم اراءهم • يكون بأسهم بينهم شديدا ، فيشقى بعضهم ببعض ثم يبتلون بالامم الطامعة في الضعفاء فتذيقهم الخزى والنكال وتسلبهم عزة الاستقلال • واما عذاب الاخرة فقد بين الله في كتابه انه اشد من عذاب الدنيا وابقى)• "٣"

قال رشيد : وفي هذا المقام اورد الاستاذ الامام هذا السؤال :

هل قام المسلمون بذلك الامر " ولتكن منكم امة " • وانتهوا عن هذا النهي " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا " ؟

وجعل ذلك مجالا لتفكر طلاب العلم •

واما جوابه هو فكما نقلنا لك عن الامام الرازى " ٤ " •

والامر ظاهر في نفسه ، وفي الوعد والوعيد المذكورين آنفا •

---

١ — تفسير المنار (٤ : ٤٨) •

٢ — سورة ال عمران ، اية (١٠٥) •

٣ — تفسير المنار (٤ : ٥١) •

٤ — قال الرازى : ان الله تعالى لما امر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك مما لا يتم الا اذا كان الآمر بالمعروف قادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغالين ، ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين اهل الحق والدين • لاجرم حذرهم تعالى من الفرقة والاختلاف لكي لا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف • وعلى هذا الوجه تكون هذه الاية من تتمة الاية السابقة) • وهي قوله تعالى " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ••• " •
انظر : مجلة المنار المجلد العاشر ، الجزء العاشر ص ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، شوال سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م •

واذا كان لا يزال في علماء اليوم ـ هكذا ـ مثلا من يقول ويعتقد ان المسلمين في فلاح وفوز ، فقد علم سائر المسلمين من جميع الطبقات في اكثر البلاد انهم قد فقدوا عزهم واستقلالهم وانهم معذبون بما فقدوا ، وبما يتوقعون ان يفقدوا مما بقي لهم .

وان اذكياء شعوبهم يسأل بعضهم بعضا على بعد الدار وقربها عن طريق علاج الداء ، قبل الايداء ، والتماس الشفاء ، قبل الاشفاء ، والعلاج بين ايديهم فمتى يبصرون ، والطبيب يناديهم فأنى يسمعون ؟ عسى ان يكون ذلك قريبا . "١"

و : ذم البدع والخرافات :
==================

وجه الشيخ محمد عبده ، نقدا عنيفا الى اصحاب البدع المذمومة ، والاوهام المنشرة . من المسلمين ، خاصة ما استحدث منها في اخريات القرن التاسع عشر .

وهذا موقف احمده للشيخ محمد عبده ، لان الامة الاسلامية بفعل عوامل متعددة منها : الانحطاط الفكري ، والبعد عن القران ، وترك السنة ، انحرفت عن خط سير الاسلام الصحيح ، فانقلبت موازينها ، وتغيرت مفاهيمها وصارت امة على غير امة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولسان حالهم يقول : " انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون " ، "٢" كما ذكر الله في حق المشركين .

يقول الشيخ محمد عبده : (ان الذين يستعينون باصحاب القبور على قضاء حوائجهم ، وتيسير امورهم ، وشفاء امراضهم ، ونماء حرثهم وزرعهم ، وهلاك اعدائهم ، وغير ذلك من المصالح . عن صراط التوحيد ناكبون ، وعن ذكر الله معرضون) . "٣"

---

١ ـ مجلة المنار المجلد العاشر ، الجزء العاشر ص ٧٢٥ ، شوال ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م .
٢ ـ سورة الزخرف ، اية (٢٢) .
٣ ـ تفسير المنار ، الجزء الاول ، عند تفسير اية " اياك نعبد واياك نستعين " .

هذا في حق من يستعين بأهل القبور ، فكيف بغيرهم من اهل البدع او الضلال ؟

يقول : (ولو اردنا ان نسرد ما وقع فيه المسلمون من الضلال في العقائد الاصلية بسبب البدع التي عرضت على دين الاسلام لطال المقام ، واحتيج الى وضع مجلدات في وجوه الضلال ، ومن اشنعها اثرا ، واشدها ضررا خوض رؤساء الفرق منهم في مسائل القضاء والقدر ، والاختيار والجبر ، وتحقيق الوعد والوعيد ، وتهوين مخالفة الله على نفوس العبيد) . "١"

والحق يقال :

ان موقف الشيخ محمد عبده من البدع والخرافات ، والضلال الذى وقع فيه بعض الناس ، من الجهال . شبيه بموقف شيخ الاسلام ابن تيمية من بعض البدع التي انتشرت في عهده — كبدع الصوفية —

لذلك فان الشيخ محمد عبده يكون مع الحركة السلفية التي انتشرت في بعض البلدان العربية ، كالحركة الوهابية في الجزيرة العربية ، والحركة السنوسية التي انتشرت في ليبيا — من المغرب العربي — وهما حركتان اصلاحيتان ، استوحت كل حركة مذهبها الاصلاحي من مواقف وآراء شيخ الاسلام ابن تيمية الذى كان يستمد اقواله من المذهب الحنبلي في معظم احواله . "٢"

وزيادة في الايضاح ، نستمع الى الشيخ محمد عبده ، وهو يتحدث عن المبتدعة في دين الاسلام ...

يقول عند تفسيره " ولا الضالين " من سورة الفاتحة :

(القسم الثالث : من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها ، بدون نظر في ادلتها ولا وقوف على اصولها ، فاتبعوا اهواءهم في فهم ما جاءت به من اصول العقائد ،

---

١ — تفسير المنار (١ : ٧٠) .

٢ — انظر كتاب : اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، للمحتسب ص ١٦٢ .

وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين ، ومنهم المبتدعون في دين الاسلام . وهم المنحرفون في اعتقادهم كما تدل عليه جملة القرآن ، وما كان عليه السلف الصالح واهل الصدر الاول ، ففرقوا الامة الى مشارب ، يغص بمائها الوارد ، ولا يرتوى منها الشارب ، واني اشير الى طرف من اثارهم في الناس :

ياتي الرجل الى دوائر القضاء ، فيستحلف بالله العظيم ، او بالمصحف الكريم ، وهو كلام الله القديم انه ما فعل كذا ، فيحلف ، وعلامة الكذب بادية على وجهه ، فياتيه المستحلف من طريق اخر ويحمله على الحلف بشيخ من المشايخ الذين يعتقد لهم الولاية ، فيتغير لونه ، وتضطرب اركانه ، ثم يرجع في قسمه ويقول الحق ، ويقر بانه ما حلف اولا انه لم يفعله تكريما لاسم ذلك الشيخ وخوفا منه ان يسلب عنه نعمة ، او يحل به نقمة ، اذا حلف باسمه كاذبا .

فهذا ضلال في اصول العقيدة ، يرجع الى الضلال في الايمان بالله تعالى ، وما يجب له من الوحدانية في الافعال) . "١"

ونستمع اليه ايضا وهو يفسر قول الحق تبارك وتعالى : " ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين " . "٢"

لنرى كيف يحمل على العلماء الذين يجارون اهل البدع والاهواء ، ولا ينكرونها عليهم ، وهم المطالبون في الدرجة الاولى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والايمان بالله وحده ، واخلاص العبادة له ، وترك الانداد ، والشركاء .

يقول : (هذا الخطاب بهذا الوعيد لاعلى الناس مقاما عند الله تعالى ، هو اشد وعيدا لغيره ممن يتبع الهوى ، ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم على ما هم

---

١ ـ تفسير المنار (١ : ٧٠) .
٢ ـ سورة البقرة ، اية (١٤٥) .

عليه من الباطل ، فانه افرده بالخطاب مع ان المراد به امته .

تقرأ هذا التشديد والوعيد ، ونسمعه من القارئين ، ولا تزدجر عن اتباع اهواء الناس ، ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم ، حتى انك ترى الذين يشكون من هذه البدع والاهواء ، ويعترفون ببعدها عن الدين ، يجارون اهلها عليها ، ويمازجونهم فيها ، واذا قيل لهم في ذلك ، قالوا : ماذا نعمل ؟ ما في اليد حيلة ، العامة عمى ، اخر الزمان وامثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل تؤيده وتمكنه في الارض حتى يحل باهله البلاء ويكونوا من الهالكين) . "١"

ونختم الكلام بحديث له في موضع اخر من تفسيره ، ينقد فيه اعمال مدعي التصوف مثل : احياء الموالد ، وما يقال فيها ، وما ينفق فيها من اموال في غير سبيل الله ، وما يكون من منكرات ومحظورات ، والعلماء في مقدمة الحضور لا ينكرون من ذلك شيئا ، بل يعتبرون ذلك من الاعمال الشريفة التي تقام باسم صاحب المولد عليه السلام ، وهو عليه السلام منهم ومن اعمالهم براء ...

يقول الشيخ محمد عبده : "٢"

(ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف في هذا الزمان ، وصارت رسومهم اشبه بالمعاصي والاهواء من رسوم الذين افسدوا التصوف من قبلهم . واظهرها في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها " الموالد " .

ومن العجيب ان تبع الفقهاء في استحسانها الاغنياء ، فصاروا يبذلون فيها الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون بها الى الله تعالى ، ولو طلب منهم بعض هذا هذا المال لنشر علم او ازالة منكر او اغاثة منكوب ، لضنوا به وبخلوا ، ولا يرون ما يكون فيها من المنكرات منافيا للتقرب الى الله تعالى ، كأن كرامة الشيخ الذى يحتفلون بمولده تبيح المحظورات ، وتحل للناس التعاون على المنكرات .

---

١ — تفسير المنار (٢ : ١٨) .

٢ — تفسير المنار (٢ : ٧٤ ، وما بعدها) .

فالموالد اسواق الفسوق ، فيها خيام للعواهر ، وحانات للخمور ، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات ، الكاسيات العاريات ، ومواضع اخرى لضروب من الفحش في القول والفعل ، يقصد بها اضحاك الناس ، وبعض هذه الموالد يكون في المقابر ، ويرى كبار مشايخ الازهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الاغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضربونها ، وينصبون فيها الموائد المرفوعة ، ويوقدون الشموع الكثيرة ، احتفالا باسم صاحب المولد ، ويهنيء بعضهم بعضا بهذا العمل الشريف في عرفهم !.

لقد حدث ان بعض كبار الشيوخ في الازهر ، دعوني للعشاء عند احد المحتفلين ، فأبيت اجابة الدعوة في ذلك ، فقلت : انني لا احب ان اكثر سواد الفاسقين . فان هذه الموالد كلها منكرات . ثم قلت لشيخ صديق ، صاحب الدعوة : كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد ؟ قال : ارخمائة جنيه .

قلت : لا شك ان هذا في سبيل الشيطان . فلو كلمت صاحبك ان يجعل ذلك لجماعة من " المجاورين " يذكرونه بخير ، ويدعون له .

فأجاب ذلك الشيخ قائلا : ان الكون يلزم ان يكون فيه من هذا وهذا .

فقلت : هذا الذى اريد ، فان كوننا ليس فيه الا هذه النفقات في الطرق المذمومة فأحب ان ينفق صاحبك على نشر علم الدين ، ليكون بعض الانفاق عندنا في الخير ، ويبقى للموالد اغنياء كثيرون .

فقال الشيخ حينئذ : اما قرأت حكاية " الشعراني " مع " الزمار " . اذ راى شيخا كبيرا ينفخ في الزمار ، والناس يتفرجون عليه ، فاعترض عليه في سره ، فما كان من الشيخ الا ان قال : ياعبد الوهاب : اتريد ان ينقص ملك ربك مزمار ؟ فعلم الشعراني انه من اولياء الله تعالى : ثم تركني المشايخ بعد سرد الحكايـة وذهبوا الى المولد .

فلينظر الناظرون الى اين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد اهله بغير فهم ، ولا مراعاة شرع . اتخذوا الشيوخ اندادا ، وصار يقصد بزيارة القبور والاضرحة قضاء

الحوائج وشفاء المرضى ، وسعة الرزق ، بعد ان كانت للعبرة ، وتذكر القدوة ، وصارت الحكايات الملفقة ناسخة فعلا بما ورد من الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتعاون عن الخير ، ونتيجة ذلك كله ان المسلمين رغبوا عما شرع الله الى ما توهموا انه يرضي غيرهم ممن اتخذوهم اندادا له وصاروا كالاباحيين في الغالب .

فلا عجب اذا عم فيهم الجهل ، واستحوذ عليهم الضعف ، وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر ، لانهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين .

ولم يكن في القرن الاول شيء من هذه التقاليد والاعمال التي نحن عليها ، بل ولا في الثاني ، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة ، وانما سرت الينا بالتقليد او العدوى من الامم الاخرى . اذ رأى قومنا عندهم امثال هذه الاحتفالات فظنوا انهم اذا عملوا مثلها ، يكون لدينهم عظمة ، وشأن في نفوس تلك الامم . فهذا النوع من اتخاذ الانداد كان من اهم اسباب تأخر المسلمين ، وسقوطهم فيما سقطوا فيه .

وهناك نوع اخر لم يكن اثره في الفتك بهم اضعف من اثر الاول ، وهو ترك الاهتداء بالكتاب والسنة ، واستبدال اقوال الناس بهما ، فلو دخل في الاسلام رجل عاقل ، لحار لا يدري من اين يأخذ ، ولا على اي المذاهب والكتب في الاصول والفروع يعتمد ، ولصعب علينا اقناعه بأن هذا هو الدين القيم دون سواه ، أو بأن هذه المذاهب كلها على اختلافها شيء واحد .

ولو وقفنا عند حدود القران وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من الهدى ، لسهل علينا ان نفهم ما الحنيفية السمحة ، التي لا حرج فيها ولا عسر؟ وما الدين الخالص الذي لا عوج فيه ولا خلف ؟ ولكننا اذا نظرنا في اقوال الفقهاء ، وتشعبها ، وخلافاتهم وعللها ، فاننا نحار في ترجيح بعضها على بعض . اذ نجد بعضها يحتج عليه بحديث صحيح ، وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ، ولكنه غير معتمد عندهم ، بل يقولون فيه : المدرك قوي ، ولا يفتى به .

ولماذا ، لان فلانا قال ، فقول رجل من رجال كثيرين جدا نجهل تاريخ اكثرهم

يكفي لترك السنة الصحيحة ، وان ظهر ان المصلحة فيما جاءت به السنة . وبهذا قطعت الصلة بين ما نحن فيه ، وبين اصل الدين وينبوعه .

ونحن لا نطعن في اولئك القائلين ، او المرجحين . سواء منهم من كان تاريخه معروفا لنا ومن كان غير معروف ، بل نحسن فيهم الظن ونقول : انهم قالوا بما وصل اليه علمهم ، ولم يجعلوا انفسهم شارعين ، بل باحثين . وانا نسترشد بكلامهم على انهم دالون ومبينون لا على انهم شارعون ، بل نقول : انه يجب على ذى الدين ان ينظر دائما الى كتابه حتى لا يختلط ولا يشتبه عليه شيء من احكامه ، ولا يجوز لاحد ان يرجع في عقائده وعبادته الا الى الله تعالى ، فان كانت هناك واسطة ، فهي واسطة الدلالة والتبليغ والتبيين لما نزل الله ، وتطبيقه على ما نزل لاجله من حياة الروح والكمال الانساني .

فيجب علينا ان نعتقد بان الحكم لله تعالى وحده ، لا يؤخذ الدين عن غيره كما يجب علينا ان نعتقد بان لا فعل لغيره تعالى ، فلا نطلب شيئا الا منه ، وطلبنا منه يكون بالاخذ بالاسباب التي وضعها وهدانا اليها ، فان جهلنا او عجزنا فاننا نلجأ الى قدرته ، ونستمد عنايته وحده ، وبهذا نكون موحدين مخلصين له الدين كما امرنا في كتابه المبين ، ومن خرج عن هذا كان من متخذى الانداد ، " ومن يضلل الله فما له من هاد ". "١"

---

١ ـ سورة غافر ، اية (٣٣) ، وسورة الرعد ، اية (٣٣) ، وسورة الزمر ، اية (٢٣ ، ٣٦) .

x x x

وفي ختام هذا البحث ، لا ادعي انني اتيت بكل شيء ، او بما عجز عنه غيرى ، ولا ازعم انني قد بلغت فيه مرتبة الكمال ، فالكمال لله وحده ، والنقص صفة البشر وانا من البشر ، فان الانسان قد يرى الراى اليوم فيخالفه غدا ، ويتمنى لو قدم او اخر ، او زاد او انقص ، ...

فكم من قائل يقول : لو انني قدمت هذا لكان احسن ، ولو اخرت هذا لكان افضل ، ولو حذفت ذلك لكان اجمل ، ولو اضفت ذاك لكان اكمل ...

فغاية ما اقول : انني لم ال جهدا ، ولم ادخر وسعا ، فقد بذلت كل ما في وسعي ، وسهرت الليالي الطوال ، وحاولت جهدى باحثا مستقصيا لان اخرج هذا الموضوع على احسن ما يمكن ان يكون عليه .

فان انا وفقت الى ذلك فهو من عند الله ، وهو ما قصدت اليه ، وان قصرت ، فعزائي ان الكمال لله وحده .

وسبحان ربي ، هل كنت الا بشرا ، وعهدا لله ، اطلب العلم ، وفوق كل ذى علم عليم . ...

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالميـــن ...

المراجـــــع

==========

(مرتبة حسب حروف الهجـــــاء)

١ ـ القرآن الكريـــم .

٢ ـ الابانة عن اصول الديانة .

الاشعري ، علي بن اسماعيل بن اسحاق .

مطبوعات الجامعة الاسلامية ، سنة ١٩٧٥م .

٣ ـ ابن حزم وموقفه من الالهيات ، رسالة دكتوراه اعداد الطالب احمد الناصر الحمد ، اشراف الاستاذ عبد العزيز عيد ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ، مطبوعة على الالة الكاتبة .

٤ ـ اتجاهات التفسير في العصر الحديث .

المحتسب ، الدكتور عبد المجيد عبد السلام .

الكتاب الاول ، دار الفكر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م .

٥ ـ الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر .

حسين ، محمد محمد حسين .

القاهرة ، المطبعة النموذجية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨٢هـ .

٦ ـ الاتقان في علوم القرآن .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي .

الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة البابي الحلبي ، ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥١م .

٧ ـ اثار الزعيم سعد زغلول .

الجزيري ، محمد ابراهيم الجزيري .

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧م .

٨ ـ احمد لطفي السيد ، (استاذ الجيل) .
نجار ، الدكتور حسين فوزى النجار .
المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
٩ ـ احياء علوم الدين .
الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالى .
دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ، لبنان .
١٠ـ الاربعين في اصول الدين .
الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد . تحقيق محمد مصطفى ابو العلا ،
يطلب من مكتبة الجندى .
١١ـ الاربعون النووية ضمن مجموعة الحديث النجدية .
النووى ، محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف النووى .
القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٧٥ هـ .
١٢ـ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .
العمادى ، القاضي ، ابي السعود محمد العمادى الحنفي . تحقيق
عبد القادر احمد عطا ، مطبعة السعادة ، مكتبة الرياض الحديثة .
١٣ـ اساس التقديس في علم الكلام .
الرازى : محمد بن عمر الرازى .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥م .
١٤ـ الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية .
تاليف عبد العزيز المحمد السلمان .
من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية
السعودية ، الرياض ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م .
١٥ـ الاسئلة والاجوبة الفقهية المقرونة بالادلة الشرعية .
تأليف عبد العزيز المحمد السلمان .
من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية
السعودية ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

١٦ ـ اسرار الماسونية ، او السر المصون في شيعة الفرمسيون .
للاب لويس شيخو .
دار منشورات البصرى ، ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥م.
١٧ ـ الاسلام والتجديد .
تأليف تشارلز ادمز ، ترجمة عباس محمود .
مطبعة الاعتماد ، ١٣٥٣ هـ ـ ١٩٣٥م.
١٨ ـ الاسلام والحضارة الغربية .
للدكتور محمد محمد حسين .
بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٩م.
١٩ ـ الاصابة في تمييز الصحابة .
العسقلاني ، احمد بن حجر العسقلاني .
مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ ، الناشر مكتبة المثنى ببغداد .
٢٠ ـ اصول الدين .
البغدادى ، عبد القاهر البغدادى .
مطبعة الدولة ، استانبول ، الطبعة الاولى ، ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨م.
٢١ ـ اصول الدين الاسلامي .
لمحمد علي ناصر ، المكتبة المصرية ، صيدا ـ بيروت .
٢٢ ـ اصول السرخسي .
سرخسي ، لابي بكر محمد بن سهل السرخسي ، تحقيق ابو الوفا الافغاني .
مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة ، سنة ١٣٧٢ هـ ، نشر لجنة احياء المعارف النعمانية بحيدر اباد ، الهند .
٢٣ ـ اصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى .
الدكتور محمد فهمي حجازى .
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٤م.

٢٤ ـ اصول الايمان .

تأليف الامام ابي عبد الله محمد بن عبد الوهاب .

موجود ضمن مجموعة الحديث ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة .

٢٥ ـ اضواء البيان في تفسير القران بالقران .

الشنقيطي ، محمد الامين الجكني الشنقيطي .

الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩م .

٢٦ ـ اعجاز القران .

الباقلاني ، الامام القاضي ابي بكر محمد بن الطيب ، شرح وتعليق

محمد عبد المنعم الخفاجي ، الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة

محمد على اصبيح واولاده ، سنة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م .

٢٧ ـ اعجاز القران ، او الاعجاز في دراسات السابقين .

لعبد الكريم الخطيب . الكتاب الاول ، الطبعة الثانية ، دار

المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

٢٨ ـ اعجاز القران ، المسمى معترك الاقران في اعجاز القران .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، تحقيق علي

محمد البجاوي ، دار الفكر العربي .

٢٩ ـ الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق .

للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطيء .

دار المعارف ، بمصر .

٣٠ ـ الاعجاز العددى للقران الكريم .

نوفل ، عبد الرزاق نوفل ، مطبوعات الشعب .

٣١ ـ الاعجاز الغني في القران .

لعمر السلامي . نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله .

٣٢ ـ الاعلام .

الزركلي ، خير الدين الزركلي .

مطبعة كوستا توماس وشركاه ، الظاهر بالقاهرة ١٣٧٣ هـ .

٣٣ ـ اعلام النبوة •

الماوردى ، علي بن محمد ، مراجعة طه عبد الروءوف •

القاهرة مكتبة الكليات الازهرية ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م•

٣٤ ـ الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني •

جمع وتحقيق محمد عمارة •

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر •

٣٥ ـ الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى •

دراسة وتحقيق محمد عمارة •

الموءسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣م•

٣٦ ـ الاعمال الكاملة للاستاذ الامام محمد عبده •

جمعها وحققها وقدم لها محمد عمارة ،

الموءسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت •

٣٧ ـ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان •

تحقيق محمد سيد كيلاني •

مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١م•

٣٨ ـ افراح الروح •

قطب ، سيد قطب • الدار العلمية بيروت •

٣٩ ـ الافصاح عن معاني الصحاح •

ليحيى بن محمد بن هبيرة ، الموءسسة السعيدية بالرياض •

٤٠ ـ الله بين الفطرة والدليل •

بقلم الشيخ محمد حسن ال ياسين •

منشورات المكتب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة

١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م•

٤١ ـ الله في العقيدة الاسلامية •

للشهيد حسن البنا • الطبعة الثانية •

٤٢ ـ الله يتجلى في عصر العلم .

تأليف نخبة من العلماء الاوروبيين ، اشرف على تحريره جون كلوفر ،

ترجمة الدمرداش عبد الحميد سرحان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ،

دار احياء الكتب العربية . ١٩٦١م.

٤٣ ـ الامام محمد عبده .

تأليف عبد الحليم الجندى ، سلسلة اعلام الاسلام ، دار المعارف

بمصر .

٤٤ ـ الانسان ذلك المجهول .

تأليف الكسيس كارل ، تعريب شفيق اسعد فريد ، بيروت ، ١٩٧٤م.

٤٥ ـ الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به .

الباقلاني ، ابو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق زاهد الكوثرى .

الطبعة الثانية ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م.

٤٦ ـ الايمان .

ابن تيمية ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم . تصحيح وتعليق محمد

خليل هراس . دار الطباعة المحمدية .

٤٧ ـ الايمان . اركانه ، حقيقته ، نواقضه .

الدكتور محمد نعيم ياسين .

الطبعة الاولى ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م.

٤٨ ـ الايمان بالملائكة عليهم السلام . ومعه بحث مختصر حول عالم الجن ،

بقلم عبد الله سراج الدين .

الطبعة الاولى ، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٢م.

٤٩ ـ الايمان بين الايات القرانية والحقائق العلمية .

للدكتور عبد السلام داود العبادى .

الطبعة الاولى ، سنة ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م.

٥٠ ـ البحر المحيط . تفسير البحر المحيط .

ابو حيان . محمد بن يوسف . الطبعة الثانية . بيروت دار الفكر
للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .

الناشر مكتبة ومطابع النهضة الحديثة الرياض .

٥١ ـ بحوث كتابية . للاستاذ سليمان دنيا .

لم تنشر بعد .

٥٢ ـ بدائع الفوائــــد .

ابن القيم . محمد بن ابي بكر . المعروف بابن قيم الجوزية .

دار الطباعة المنيرية . بيروت . لبنان .

٥٣ ـ البداية والنهاية .

ابن كثير . ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .

الطبعة الثانية . ١٩٧٧م . مكتبة المعارف . بيروت .

٥٤ ـ البرهان في علوم القران .

الزركشي . محمد بن عبد الله الزركشي .

مطبعة عيسى البابي الحلبي . بمصر .

٥٥ ـ بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز .

الفيروز ابادى . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادى . تحقيق
الاستاذ محمد علي النجار . طبعة القاهرة ١٣٨٣ هـ . يشرف على
اصدارها محمد توفيق عويضة . الناشر نخبة احياء التراث الاسلامي .

٥٦ ـ بلاغة القران .

لمحمد الخضر حسين . اشرف على طبعه ونشره على الرضا التونسي
١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م .

٥٧ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية . او نقض تأسيس الجهمية .

ابن تيمية . احمد بن عبد الحليم . شيخ الاسلام . تصحيح وتكميل
محمد بن عبد الرحمن بن قاسم . مطبعة الحكومة بمكة المكرمة . الطبعة
الاولى ١٣٩١هـ .

٥٨ ـ بينات المعجزة الخالدة •

لحسن ضياء الدين عتر ، دار النصر ، سوريا ، حلب ، الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م •

٥٩ ـ تاج العروس من جواهر القاموس •

الزبيدى ، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدى •

المطبعة الخيرية بمصر • الطبعة الاولى ١٣٠٦ هـ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان •

٦٠ ـ تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده •

تأليف محمد رشيد رضا • الطبعة الاولى ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١م •

٦١ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية •

تأليف كارل بروكلمان ، نقله الى العربية نبيه امين فارس ، ومنير البعلبكي ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت •

٦٢ ـ تاريخ المذاهب الاسلامية •

ابوزهرة ، الشيخ محمد ابو زهرة • دار الفكر العربي •

٦٣ ـ تاريخ مصر في عهد اسماعيل •

تأليف الياس الايوبي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٣م •

٦٤ ـ التبيان في اقسام القران •

ابن القيم ، محمد بن ابي بكر • تصحيح طه يوسف شاهين ، دار الطباعة المحمدية بالازهر الشريف •

٦٥ ـ التبيان في شرح الديوان •

المتنبي ، ابو الطيب ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م •

٦٦ ـ التبيان في علوم القران .

الصابوني ، محمد علي ، الطبعة الثانية .

٦٧ ـ تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي .

دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ٢ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .

٦٨ ـ تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي .

بقلم انور الجندى ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٠م .

٦٩ ـ تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر .

تاليف جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٧٠ ـ تربية المرأة والحجاب .

لمحمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١م .

٧١ ـ ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير واساس البلاغة .

للطاهر احمد الزواوى .

بيروت ، دار الكتب العلمية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م .

٧٢ ـ التصوير الفني في القران .

قطب ، سيد ، طبعة دار الشروق بيروت ، القاهرة .

٧٣ ـ تطور الرواية العربية الحديثة في مصر .

تاليف الدكتور عبد المحسن طه بدر .

دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .

٧٤ ـ تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده .

للشيخ محمد عبده .

٧٥ ـ تفسير الجلالين للقران العظيم .

جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، وجلال الدين محمد بن احمد المحلي .

الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي واولاده بمصر .

٧٦ — تفسير سورة الفاتحة ، وست سور من خواتيم القران .
لرشيد رضا ، مطبعة المنار ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٥٣ هـ .
٧٧ — تفسير القران العظيم ، الشهير بتفسير ابن كثير .
ابو الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .
دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ — ١٩٧٠م .
٧٨ — التفسير الكبير .
الرازى ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الملقب بالفخر الرازى .
الطبعة الاولى ، ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨م . المطبعة البهية المصرية بميدان الازهر ، بمصر .
٧٩ — تفسير المنار .
محمد رشيد رضا . الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠م ، دار المنار .
٨٠ — تفسير النسفي .
ابو حفص ، عمر بن محمد .
دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٨١ — التفسير ورجاله .
تاليف محمد الفاضل بن عاشور .
الطبعة الثانية ، دار الكتب الشرقية ، تونس .
٨٢ — التفسير والمفسرون .
للشيخ محمد حسين الذهبي .
الطبعة الاولى ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢م ، دار الكتب الحديثة .
٨٣ — التفكير الفلسفي في الاسلام .
لعبد الحليم محمود . الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ ، ملتزم الطبع والنشر . المكتبة الانجلو المصرية .

٨٤ ـ تلبيس ابليس ، او نقض العلم والعلماء .

ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزى . تحقيق خير الدين علي .

بيروت ، دار الوعي العربي .

٨٥ ـ التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة .

تاليف عبد الرحمن الناصر السعدى . وعليها منتخبات من تقارير الشيخ عبد العزيز بن باز . نشر عبد الرحمن بن رويشد ، سليمان بن حماد .

٨٦ ـ تهذيب التهذيب .

العسقلاني ، احمد بن محمد بن حجر العسقلاني .

الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ، ١٩٦٦م .

٨٧ ـ التوحيـــد .

الماتريدى ، ابو منصور الماتريدى . تحقيق الدكتور فتح الله خليفة ،

طبعة دار المشرق ، بيروت ، لبنان .

٨٨ ـ تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

الشيباني ، ابن الديبع الشيباني . مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٨٩ ـ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن .

الرماني ، الخطابي ، عبد القاهر الجرجاني . حققها وعلق عليها محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سعد ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م . دار المعارف بمصر .

٩٠ ـ الثقافة الاسلامية .

تاليف نخبة من العلماء المسلمين . تقديم الدكتور راشد بن راجح الشريف .

جامعة ام القرى . مكة المكرمة . المستوى الثاني .

٩١ ـ الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى .

لعبد الرحمن الرافعي .

مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩م .

٩٢ ـ الجامع لاحكام القران .

القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي .

مطبعة دار الكتب المصرية .

٩٣ ـ جامع الاصول في احاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

الجزري ، ابن الاثير الجزري ، تحقيق عبد القادر الارناؤوط .

الطبعة الاولى ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م .

٩٤ ـ جامع البيان عن تاويل القران .

الطبري ، محمد بن جرير ، تحقيق وتخريج محمود شاكر ، دار المعارف بمصر .

وطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان .

٩٥ ـ جذور البلاء .

للاستاذ عبد الله التل ، دار الارشاد بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١م .

٩٦ ـ الجليس الانيس في التحذير عما في كتاب تحرير المراة من التلبيس .

تاليف محمد احمد حسنين البولاقي .

مطبعة المعارف الاهلية ، ١٣١٧ هـ ـ ١٨٩٩م .

٩٧ ـ جمال الدين الافغاني ، تاريخه ورسالته ومبادؤه .

تاليف محمود ابو رية .

اصدار المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

٩٨ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم ، مطابع المجد التجارية .

٩٩ ـ حادى الارواح الى بلاد الافراح .

ابن القيم ، محمد بن ابي بكر ، تصحيح محمود حسن ربيع .

الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م ، مطبعة محمد علي اصبيح واولاده .

١٠٠ ـ حاشية الشهاب على البيضاوى ، المسمى عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوى .
احمد بن محمد الشهاب ، المكتبة الاسلامية ، دار صادر ، بيروت .

١٠١ ـ حاضر العالم الاسلامي .
تاليف لوثروب ستودارد الامريكي ، نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض ، دار الفكر للطباعة والنشر .

١٠٢ ـ حديث عيسى بن هشام .
محمد ابراهيم المويلحي ، مطبعة مصر ، الطبعة الرابعة .

١٠٣ ـ حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر .
تاليف جاك تاجر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٥م .

١٠٤ ـ حول خصائص القران .
تاليف محمد بن علوى المالكي ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١ هـ .

١٠٥ ـ حياة محمد صلى الله عليه وسلم .
لمحمد حسين هيكل ، تقريظ الشيخ محمد مصطفي المراغي .
الطبعة الثالثة عشر ، ١٩٦٨م ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

١٠٦ ـ خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم .
ابو زهرة ، محمد ابو زهرة ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م ، دار الفكر العربي .

١٠٧ ـ خاطرات جمال الدين الافغاني .
تاليف محمد باشا المخزومي ، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

١٠٨ ـ خلق افعال العباد والرد على الجهمية واصحاب التعطيل .
البخارى ، محمد بن اسماعيل البخارى .
مطبعة ومكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٣٨٩ هـ .

١٠٩ ـ دائرة المعارف الاسلامية .
لجماعة من المستشرقين ، نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى .
انتشارات جهان ـ طهران ، بوذر جمهرى .

١١٠ — دستور الاخلاق في القران .

الاستاذ محمد عبد الله دراز ، تعريب وتحقيق وتعليق ، الدكتور

عبد الصبور شاهين ، مراجعة الدكتور السيد محمد بدوى .

١١١ — مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية ، الطبعة الاولى ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.

١١١ — دلائل الاعجاز .

الجرجاني ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق وشرح محمد عبد المنعم

خفاجي .

القاهرة ، مكتبة القاهرة ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦م.

١١٢ — دلائل النبوة .

البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق عبد الرحمن

محمد عثمان .

المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩م.

١١٣ — دواء القلوب والابدان من وساوس الشيطان .

تاليف الشيخ عبد الله بن محمد بن الخليفي ، مكة ١٤٠١ هـ — ١٩٨١م.

١١٤ — الدين — بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان .

دراز ، محمد عبد الله دراز .

مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩م.

١١٥ — الدين الخالص .

السبكي ، محمود خطاب السبكي .

الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤م.

١١٦ — الدين في مواجهة العلم .

خان ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الاسلام خان ، مراجعة

عبد الحليم عويس .

الطبعة الثالثة ، المختار الاسلامي ، القاهرة .

١١٧ ــ رائد الفكر المصرى محمد عبده ٠

تاليف عثمان امين ، الطبعة الثانية ٠

١١٨ ــ الرحيق المختوم ٠

تاليف ، صفي الرحمن المباركفوري ٠

الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠م ، مكة المكرمة ٠

١١٩ ــ الرد على المنطقيين ٠

ابن تيمية ، تقي الدين ابي العباس احمد بن تيمية الحراني ٠

طبعة بومباى ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م ٠

١٢٠ ــ رسائل الدعوة السلفية ، وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين ٠ الرسالة الخامسة ٠ لمحمد ناصر الدين الالباني ٠

١٢١ ــ رسائل الدعوة السلفية ٠ الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ٠ الرسالة الثالثة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ لمحمد ناصر الدين الالباني ٠

١٢٢ ــ الرسالة ٠

الشافعي ، الامام محمد بن ادريس الشافعي ، تحقيق الاستاذ احمد محمد شاكر ٠

طبع مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ ــ ١٩٣٠م ٠

١٢٣ ــ رسالة الارادة والامر ٠

ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ٠

١٢٤ ــ رسالة التوحيد ٠

الامام محمد عبده التركماني ، القاهرة مكتبة الجامعة الازهرية ١٣٨٦ هـ / ١٩٥٦م ٠

١٢٥ ــ الرسالة التدمرية • مجمل اعتقاد السلف •

ابن تيمية • شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم ، تحقيق زهير الشاويش •

المكتب الاسلامي ، بيروت ، دمشق • الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ بيروت •

١٢٦ ــ رسالة القضاء والقدر •

ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، لابن تيمية •

١٢٧ ــ رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته •

تاليف الدكتور احمد الشرباصي •

١٢٨ ــ رفاعة رافع الطهطاوى •

تاليف الدكتور جلال الدين الشيال •

دار المعارف بمصر ، سلسلة نوابغ الفكر العربي ١٩٧٠م •

١٢٩ ــ روح البيان •

البرسوى ، الشيخ اسماعيل حقي البرسوى •

دار سعادت ، مطبعة عثمانية ١٣٣٠ هـ ، مطبعة دار الفكر •

١٣٠ ــ روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني •

الالوسي ، محمود بن عبد الله الالوسي •

دار الطباعة المنيرية ، بيروت ، لبنان •

١٣١ ــ الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية •

لزيد بن عبد العزيز بن فياض ، المطبعة اليوسفية ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨م •

١٣٢ ــ رؤية الله •

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب احمد الناصر الحمد • اشراف الاستاذ عوض الله جاد حجازى • عام ١٣٩٧ هـ • مطبوعة على الالة الكاتبة •

١٣٣ — رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم •
النووى ، الامام الحافظ ابي زكريا محيى الدين يحيى النووى •
تحقيق محيى الدين الجراح •
١٣٤ — زاد المعاد •
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزيه •
المطبعة المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٤ هـ — ١٩٢٨م •
١٣٥ — زعماء الاصلاح في العصر الحديث •
تاليف احمد امين • مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ،
١٩٧٦م •
١٣٦ — سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية •
تاليف عبد الخالق لاشين ، دار المعارف بمصر ١٩٧١م •
١٣٧ — سنن الترمذى ، الجامع الصحيح •
الترمذى ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى • تحقيق
احمد محمد شاكر ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، الطبعة الاولى ١٣٥٦هـ —
١٩٣٧م •
١٣٨ — سنن ابي داود •
الازدى ، سليمان بن الاشعث بن اسحق الازدى • تعليق الشيخ
احمد سعد علي ،
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، الطبعة الاولى •
١٣٩ — سنن ابن ماجه •
القزويني ، الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني •
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، دار احياء الكتب العربية ،
١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢م •

١٤٠ ـ سنن الدارمي .

الدارمي ، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي .

دار احياء السنة النبوية الشريفة .

١٤١ ـ سنن النسائي .

النسائي ، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي .

المطبعة المصرية بالازهر ، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

١٤٢ ـ السنن الكبرى .

البيهقي ، احمد بن الحسين البيهقي .

مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند .

١٤٣ ـ سيد قطب الشهيد الحي .

بقلم صلاح عبد الفتاح الخالدى . الناشر مكتبة الاقصى ـ عمان ـ الاردن ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

١٤٤ ـ سيرة ابن اسحق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازى .

محمد بن اسحق بن يسار ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ، تقديم الاستاذ محمد الفاسي . معهد الدراسات والابحاث للتعريب .

١٤٥ ـ السيرة النبوية .

ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ، تقديم طه عبد الرؤوف .

١٤٦ ـ السيرة النبوية .

ابن كثير ، للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق مصطفى عبد الواحد .

١٤٧ ـ السيرة النبوية .

الندوى ، ابو الحسن الندوى . الطبعة الاولى ، دار الشروق .

١٤٨ ـ السيرة النبوية .

ابو شهبة ، الدكتور محمد محمد ابو شهبة ، دار الطباعة المحمدية ١٩٧٠م.

١٤٩ ـ الشامل في اصول الدين .

الجويني ، ابو محمد ، والد امام الحرمين الجويني ، تحقيق الدكتور علي سامي النشار ، وفيصل بدير عون ، وسهير محمد مختار ، دار المعارف بالاسكندرية .

١٥٠ ـ الشخصية الاسلامية .

النبهاني ، الشيخ تقي الدين النبهاني . الجزء الاول ، مطبعة دار السياسة بيروت .

١٥١ ـ شرح الاصول الخمسة .

للقاضي عبد الجبار بن احمد ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان . الطبعة الاولى ، ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥م مطبعة الاستقلال الكبرى .

١٥٢ ـ شرح حديث النزول .

ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم بن تيمية . المكتب الاسلامي ، الطبعة الخامسة ١٣٩٧، هـ ـ ١٩٧٧م.

١٥٣ ـ شرح البيجوري على الجوهرة . تحفة المريد على جوهرة التوحيد .

البيجوري ، ابراهيم البيجوري ، المطابع الاميرية ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

١٥٤ ـ شرح العقيدة الاصفهانية .

ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي . تقديم حسنين محمد مخلوف ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الاولى .

١٥٥ ـ شرح العقيدة الطحاوية .

الحنفي ، ابن ابي العز علي بن علي الحنفي ، حققها وراجعها جماعة من العلماء ، خرج احاديثها محمد ناصر الدين الالباني . التوضيح بقلم زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي ، الطبعة السادسة، ١٤٠٠ هـ بيروت ـ دمشق .

١٥٦ — شرح العقيدة الواسطية .

ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم بن تيمية . شرح محمد خليل هراس ،

مراجعة الشيخ عبد الرزاق عفيفي .

١٥٧ — شرح قصيدة ابن القيم .

الشرقي ، احمد بن ابراهيم بن عيسى الشرقي ، المكتب الاسلامي ،

الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢م .

١٥٨ — شرح الكوكب المنير ، المسمى بمختصر التحرير ، او المختبر المبتكر

شرح المختصر في اصول الفقه .

تاليف محمد بن احمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي

المعروف بابن النجار ، تحقيق الدكتور محمد الزحيلي ،

والدكتور نزيه حماد .

١٥٩ — شرح المواقف في علم الكلام .

الجرجاني ، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني ،

تحقيق الدكتور احمد المهدى ، مكتبة الازهر ، دار المحامي للطباعة .

١٦٠ — شرح المواهب اللدنية .

الزرقاني ، محمد عبد العظيم الزرقاني .

المطبعة الميرية الازهرية ، بمصر .

١٦١ — شذرات الذهب في اخبار من ذهب .

ابن العماد الحنبلي ، منشورات دار الافاق الجديدة — بيروت ،

لبنان .

١٦٢ — الشفا بتعريف حقوق المصطفى .

للقاضي عياض ، المطبعة العثمانية ١٣١٢ هـ .

١٦٣ — صحيح البخارى .

البخارى ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى .

طبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣م .

١٦٤ — صحيح البخاري بحاشية السندي ٠

المطبعة العثمانية ، الطبعة الاولى ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢م٠

١٦٥ — صحيح مسلم بشرح النووي ٠

النووي ، يحيى بن مرى الحازمي الشافعي النووي ٠

المطبعة المصرية ومكتبتها ، ١٣٤٩ هـ ٠

١٦٦ — صحيح مسلم ٠

النيسابوري ، ابو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ٠

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت — لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٧٥ هـ ٠

١٦٧ — صورة المرأة في الرواية المعاصرة ٠

تاليف الدكتور طه وادى ٠ مركز كتب الشرق الاوسط ، ١٩٧٣م٠

١٦٨ — صيد الخاطر ٠

ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ٠

مراجعة وتعليق الشيخ علي الطنطاوي ، تحقيق ناجي طنطاوي ٠

دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨م٠

١٦٩ — طبقات الحفاظ ٠

السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق علي محمد عمر ٠

مكتبة وهبه ، القاهرة ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣م٠

١٧٠ — طبقات الحنابلة ٠

لابن ابي يعلي ، ابي الحسين ٠ مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ٠

١٧١ — الطب محراب الايمان ٠

جلبي ، خالص جلبي ٠

دار الكتب العربية ، بيروت ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤م٠

١٧٢ — عبقرية العرب في العلم والفلسفة ٠

فروخ ، عمر فروخ ، الطبعة الثانية ، المكتبة العلمية ، بيروت ٠

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢م٠

١٧٣ ـ عبقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده .
المقاد ، عباس محمود العقاد .
دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان .
١٧٤ ـ العدالة الاجتماعية في الاسلام .
قطب ، سيد قطب . دار الشروق ، بيروت ، القاهرة
١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م .
١٧٥ ـ العروة الوثقى .
تاليف جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده .
الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠م ، دار الكتاب العربي ،
بيروت .
١٧٦ ـ العقائد الاسلامية .
سابق ، سيد سابق ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م ،
دار النصر للطباعة .
١٧٧ ـ العقائد النسفية .
النسفي ، عمر بن محمد النسفي . مطبعة ونشر مكتبة المثنى ببغداد .
١٧٨ ـ العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية .
النبهاني ، يوسف بن اسماعيل النبهاني .
١٧٩ ـ العقيدة الاسلامية واسسها .
حبنكة ، الاستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .
الطبعة الثانية ، ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٧٩م ، دار القلم ، دمشق ،
بيروت .
١٨٠ ـ عقيدة المسلم .
الغزالي ، الشيخ محمد الغزالي .
١٨١ ـ على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب .
احمد محمد جمال . الطبعة الثانية ، دار الفكر ـ بيروت .

١٨٢ _ العلمانية نشأتها ، وتطورها ، واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة .
الحوالي ، سفر عبد الرحمن .
دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .
١٨٣ _ العلم يدعو الى الايمان .
تاليف كريس موريسون ، ترجمة محمد صالح فلكي ، تصدير احمد حسن الباقورى .
تقديم احمد زكي ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، نيويورك ،
مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، ١٩٧١م .
١٨٤ _ غاية المرام في علم الكلام .
الامدى ، سيف الدين الامدى ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ،
القاهرة ، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م .
١٨٥ _ الفتح الرباني .
الساعاتي ، احمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي .
الطبعة الاولى ، مطبعة الفتح الرباني .
١٨٦ _ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير .
الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ .
١٨٧ _ الفرق بين الفرق .
البغدادى ، صدر الاسلام الاصولي عبد القادر بن طاهر محمد البغدادي الاسفرائيني .
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، نشر مكتبة ومطبعة محمد علي اصبيح واولاده بميدان الازهر ، مطبعة المدني ، القاهرة .
١٨٨ _ الفصل في الملل والاهواء والنحل .
ابن حزم ، الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهرى .
الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

١٨٩ ـ الفطرة والعقيدة الاسلامية ـ رسالة ماجستير اعداد حافظ محمد الجعبرى

، اشراف الاستاذ محمد يوسف الشيخ جامعة ام القرى ، مكة المكرمة

١٣٦٩هـ ، ١٩٧٩م.

١٩٠ ـ الفقه الاكبر .

ابو حنيفة ، النعمان بن ثابت . بشرح عبد الكريم تتان .

نشروتوزيع مكتبة الغزالي ، ومكتبة ابن الفارض ، حماة .

١٩١ ـ الفقه الاكبر في التوحيد .

الشافعي ، محمد بن ادريس الشافعي . الطبعة الاولى ، المطبعة

الادبية بالازبكية .

١٩٢ ـ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .

البهي ، الدكتور محمد البهي .

الطبعة الخامسة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠م.

١٩٣ ـ الفهرست .

ابن النديم ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ـ

لبنان .

١٩٤ ـ فواتح الرحموت .

للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري ، شرح مسلم

الثبوت للعلامة محب الله بن عبد الشكور . الطبعة الاولى ، بالمطبعة

الاميرية ببولاق ، ١٣٢٢ هـ .

١٩٥ ـ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة .

الغزالي ، ابو حامد الغزالي ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ،

مطبعة البابي الحلبي ١٩٦١م.

١٩٦ ـ في ظلال القران .

قطب ، سيد قطب . الطبعة الخامسة ١٣٨٦ ـ ١٩٧٦م ،

والطبعة الثامنة .

١٩٧ ـ في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ٠

للدكتور محمد احمد خفاجي ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م٠

١٩٨ ـ القادياني والقاديانية ٠

دراسة وتحليل ابو الحسن الندوى ٠

الدار السعودية للنشر ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م٠

١٩٩ ـ قاسم امين ٠

تاليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ٠

٢٠٠ ـ القاموس المحيط ٠

الفيروزابادى ، محمد بن يعقوب الفيروزابادى ٠ مؤسسة الحلبي

وشركاه ، القاهرة ٠

٢٠١ ـ القران العظيم هدايته واعجازه في اقوال المفسرين ٠

عرجون ، محمد الصادق عرجون ٠

دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م ، مكتبة

الكليات الازهرية ٠

٢٠٢ ـ القران الكريم ، دراسة ٠

ابو الخشب ، ابراهيم علي ابو الخشب ، دار الفكر العربي ٠

٢٠٣ ـ القرامطة ٠

ابن الجوزى ، الامام عبد الرحمن بن الجوزى ٠ تحقيق محمد الصباغ ٠

المكتب الاسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م٠

بيروت ، دمشق ٠

٢٠٤ ـ قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقران ٠

الجسر ، الشيخ نديم الجسر ،

المكتب الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ـ لبنان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م٠

٢٠٥ ـ قصة الديانات ٠

مظهر ، سليمان مظهر ، الوطن العربي ٠

٢٠٦ ـ قصص الانبياء • ـ لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ـ
النجار ، عبد الوهاب النجار •
مطبعة المدني القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م ، الناشر
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع •

٢٠٧ ـ قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر •
اعداد ، عادل محمد محفوظ ابو عمشة • اشراف الاستاذ السعيد
السيد عبادة ،
رسالة دكتوراه ، مطبوعة على الالة الكاتبة ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م •

٢٠٨ ـ كبرى اليقينيات الكونية •
البوطي ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي •
الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع •

٢٠٩ ـ كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل •
ابن خزيمة ، محمد بن اسحق بن خزيمة ، راجعه وعلق عليه محمد
خليل هراس • دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، ١٣٩٨هـ ـ
١٩٧٨م •

٢١٠ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه التأويل ، وهو تفسير
القران الكريم •
الزمخشري ، محمود بن عمر الزمخشري •
مطبعة الاستقامة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م •

٢١١ ـ كشف الاسرار عن اصول فخر الاسلام البزدوي •
البخاري ، علاء الدين عبد العزيز بن احمد البخاري •
مطبعة دار سعادت ، باستانبول ، ١٣٠٨هـ •

٢١٢ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخازن •
البغدادي ، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي •
يطلب من المكتبة التجارية بمصر •

٢١٣ ــ لسان العرب •

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور •

طبعة مصورة عن بولاق ، مطابع كونستانس ماس وشركاه ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر •

٢١٤ ــ لسان الميزان •

العسقلاني ، احمد بن حجر العسقلاني ، منشورات الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧١م •

٢١٥ ــ للكون اله •

الشهابي ، عبد العزيز كامل الشهابي •

دار الاعتصام ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨م •

٢١٦ ــ اللمع •

الاشعرى ، علي بن اسماعيل بن اسحق الاشعرى ، صححه وقدم له الدكتور حموده غرابة ، مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ، ١٩٥٥م •

٢١٧ ــ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين •

الندوى ، ابو الحسن الندوى ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، الطبعة العاشرة ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤م •

٢١٨ ــ مباحث في علوم القران •

الدكتور صبحي الصالح ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ، بيروت •

٢١٩ ــ مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا •

دار الشهاب القاهرة •

٢٢٠ ــ مجموعة الرسائل والمسائل •

ابن تيمية ، شيخ الاسلام ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية •

٢٢١ ــ مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية •

ابن تيمية ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم • جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدى الحنبلي ، الطبعة الاولى ١٣٨١هـ •

٢٢٢ ـ محاضرات في مقارنة الاديان •

ابو زهرة ، الامام محمد ابو زهرة ، مطبعة يوسف ، القاهرة •

٢٢٣ ـ المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام •

الجندى ، انور الجندى •

مطبعة الرسالة ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١م •

٢٢٤ ـ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

رضا ، محمد رضا ، مطبعة عيسى البابي الحلبي •

٢٢٥ ـ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين •

تحقيق وتقديم الاستاذ سليمان دنيا • دار احياء الكتب العربية ،

الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨م • عيسى البابي الحلبي وشركاه •

٢٢٦ ـ محيط المحيط •

بستاني ، بطرس البستاني ، لبنان ، مؤسسة جواد للطباعة •

٢٢٧ ـ مختار الصحاح •

الرازى ، محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازى •

دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٦٧م •

٢٢٨ ـ مختصر تفسير ابن كثير •

اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني •

دار القران الكريم ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١هـ •

٢٢٩ ـ مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة • مختصر الموصلي

تحقيق محمد حامد الفقي ، وعبد الرزاق حمزه ، مكة المكرمة ١٣٤٨هـ •

٢٣٠ ـ المختصر في اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل •

ابن اللحام ، علي بن محمد بن علي بن عباس بن شيبان البعلي ثم

الدمشقي الحنبلي ،

علاء الدين " ابو الحسن المعروف بابن اللحام •

حققه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور محمد مظهر بقا ،

١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م •

٢٣١ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين .
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي الشهير
بابن القيم .
دار الفكر العربي ، مطبعة انصار السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م.
٢٣٢ - مذاهب الاسلاميين .
الدكتور عبد الرحمن بدوى ، دار الملايين ، بيروت - لبنان .
٢٣٣ - المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها .
عميرة ، عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.
٢٣٤ - مذكرات قليني فهمي .
الطبعة الثانية ، القاهرة .
٢٣٥ - مذكرات محمد فريد .
حققه الدكتور رؤوف عباس حامد .
مطبعة الجبلاوى ، نشر عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٥م. القسم الاول .
٢٣٦ - مذكراتي في نصف قرن .
تاليف احمد شفيق باشا ، الجزء الاول ، مطبعة مصر ، الطبعة
الاولى ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤م.
٢٣٧ - المرأة المسلمة .
تاليف محمد فريد وجدى ، مطبعة الترقي ، الطبعة الاولى ، ١٣١٩ هـ
- ١٩٠١م.
٢٣٨ - المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم .
حجازى ، عوض الله جاد حجازى .
الطبعة الرابعة ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة .
٢٣٩ - المستدرك .
الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابورى المشهور بالحاكم .
مطابع النصر الحديثة .

٢٤٠ ـ المستصفى من علم الاصول . وبهامشه فواتح الرحموت .
الغزالي ، ابو حامد الغزالي ، محمد بن محمد . الطبعة الاولى
بالمطبعة الاميرية ببولاق ، ١٣٢٢ هـ .
٢٤١ ـ المسرحية في الادب العربي الحديث .
تاليف الدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثانية
١٩٦٧م .
٢٤٢ ـ المسند .
الشيباني ، الامام احمد بن محمد بن حنبل الشيباني .
المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دار صادر بيروت لبنان .
٢٤٣ ـ مشكلات الجيل في ضوء الاسلام .
المجذوب ، محمد المجذوب .
دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .
٢٤٤ ـ المصطلحات الاربعة بين المودودى ومحمد عبده .
الجبرى ، عبد المتعال الجبرى .
دار الاعتصام ، الطبعة الثانية .
٢٤٥ ـ مع المصطفى صلى الله عليه وسلم .
بنت الشاطيء ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن ـ بنت الشاطيء ،
دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٢م .
٢٤٦ ـ مع القران الكريم .
الحوفي ، الدكتور احمد محمد الحوفي ، دار النهضة للطباعة والنشر ،
مصر .
٢٤٧ ـ المعتمد في اصول الدين .
ابو يعلى ، محمد بن الحسين بن خلف الحنبلي ، تحقيق الدكتور
وديع زيدان حداد ، دار المشرق ، بيروت ـ لبنان .

٢٤٨ ـ المعجزة الكبرى القران •

ابو زهرة ، الشيخ محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي •

٢٤٩ ـ المعجم الكبير •

مجمع اللغة العربية ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠م •

٢٥٠ ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى •

رتبه ونظمه جماعة من المستشرقين • (ونسنك) •

مكتبة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٣٦م •

٢٥١ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم •

وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت •

٢٥٢ ـ المعجم الوسيط •

اخراج ابراهيم مصطفى ، اشرف على طبعه عبد السلام هارون •

٢٥٣ ـ المغني في ابواب التوحيد والعدل •

للقاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى حلمي ، والدكتور

ابو الوفا الغنيمي ، المؤسسة المصرية العامه للتأليف والنشر •

٢٥٤ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة •

ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي • ابن قيم

الجوزية •

طبعة القاهرة ١٣٢٣هـ •

٢٥٥ ـ المفردات في غريب القران • او مفردات الراغب •

الاصفهاني ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني •

تحقيق محمد سيد كيلاني ، الناشر مصطفي البابي الحلبي بمصر

١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م •

٢٥٦ ـ مقارنة الاديان •

شلبي ، الدكتور احمد شلبي •

الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢م ، مكتبة النهضة ، القاهرة •

٢٥٧ ـ مقاصد الطالبين ، وشرحه .

التافتازاني ، سعد الدين التافتازاني ، دار الطباعة العامرة ١٢٧٧ هـ .

٢٥٨ ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

الاشعري ، علي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

٢٥٩ ـ مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط .

الدكتور مكي شبيكة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٢ م .

٢٦٠ ـ مقدمة ابن خلدون .

ابن خلدون ، العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .

مطبعة التقدم بمصر ، ١٣٢٩ هـ .

٢٦١ ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث .

ابن الصلاح ، للعلامة ابي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري .

تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢٦٢ ـ الملل والنحل .

الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني .

طبعة دار الاتحاد العربي ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م . الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

٢٦٣ ـ مناقب الامام احمد بن حنبل .

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي .

الطبعة الثانية ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

٢٦٤ ـ مناهج الادلة في عقائد الملة .

ابن رشد ، ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد ، مع مقدمة محمود قاسم وتحقيقه ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية .

٢٦٥ ـ مناهج المفسرين .

تاليف الدكتور منيع عبد الحليم محمود . الطبعة الاولى ، ١٩٧٨ م .

٢٦٦ ــ مناهل العرفان •

الزرقاني ، محمد عبد العظيم الزرقاني •

الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، بمصر •

٢٦٧ ــ من روائع القران ، تأملات علمية وادبية في كتاب الله عز وجل •

البوطي ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي • مكتبة الفارابي •

٢٦٨ ــ من زعماء الاصلاح محمد عبده •

تاليف احمد امين • مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٦٠م •

٢٦٩ ــ منهاج المسلم •

الجزائري ، ابو بكر جابر الجزائري • الطبعة الثامنة •

٢٧٠ ــ منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات •

الشنقيطي ، محمد الامين الجكني الشنقيطي • طبع في مؤسسة مكة

للطباعة والاعلام ، توزيع الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة •

٢٧١ ــ المهدوية في السودان •

تاليف ب • م • هولت ، ترجمة الدكتور جميل عبيد ، دار الفكر العربي •

٢٧٢ ــ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول •

ابن تيمية ، شيخ الاسلام ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية •

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ومحمد حامد الفقي •

مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥١م •

٢٧٣ ــ المواقف •

الايجي ، عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي •

الطبعة الاولى ١٣٢٥هـ ــ ١٩٠٧م ، مطبعة السعادة بجوار محافظة

مصر •

٢٧٤ ــ الموسوعة العربية الميسرة •

ريحاني ، البرت ريحاني ، واخرون من الاساتذة •

دار الشعب ، القاهرة ، ومؤسسة فرنكلين ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م •

٢٧٥ ـ الموطأ •
الامام مالك ، ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر
الاصبحي المدني ، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى
البابي الحلبي وشركاه ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م •

٢٧٦ ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين •
تاليف مصطفى صبري •
المكتبة الاسلامية ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠م •

٢٧٧ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال •
الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد عثمان الذهبي • تحقيق علي
محمد البجاوي •
الطبعة الاولى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣م •
بيروت ـ لبنان •

٢٧٨ ـ النبأ العظيم ـ نظرات جديدة في القرآن •
دراز ، محمد عبد الله دراز •
الطبعة الثالثة ، ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م ، دار القلم ، الكويت •

٢٧٩ ـ النبوات •
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مكتبة الرياض الحديثة •

٢٨٠ ـ نبوة محمد في القران •
عتر ، الدكتور حسن ضياء الدين عتر •
الطبعة الاولى ، دار النصر ، حلب ، سوريا •

٢٨١ ـ النبوة والانبياء •
الصابوني ، الشيخ محمد علي الصابوني • الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ ـ ٩٨٠
١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م •

٢٨٢ ـ النبوة والانبياء في ضوء القران •
الندوي ، ابو الحسن الندوي ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م •
المختار الاسلامي للطباعة والنشر •

٢٨٣ ـ النجاة .

ابن سينا ، ابو علي ، الحسين بن عبد الله بن سينا .

الطبعة الثانية ، ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨م.

٢٨٤ ـ نحو القرآن .

البهي ، الدكتور محمد البهي ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م.

مكتبة وهبة .

٢٨٥ ـ نظرات في القرآن .

الغزالي ، الشيخ محمد الغزالي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٣هـ ـ

١٩٦٣م ، دار الكتب الحديثة .

٢٨٦ ـ نقض اوهام المادية الجدلية (الديالكتيكية) .

البوطي ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٨٧ ـ نقض المنطق .

ابن تيمية ، احمد بن عبد الحليم بن تيمية .

مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.

٢٨٨ ـ النكت في اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن .

الرماني ، ابو الحسن علي الرماني .

٢٨٩ ـ نهاية الاقدام في علم الكلام .

الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني ،

حرره وصححه الفرد خيوم .

٢٩٠ ـ نهج البلاغة .

وهو مجموع ما اختاره الشريف ابي الحسن محمد الرضي ابي الحسن

الموسوى من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب رضي الله

عنه ، شرح الاستاذ محمد عبده ، اشرف على طبعه وزاد في شرحه

عبد العزيز سيد الاهل ، منشورات مكتبة الاندلس ، بيروت ـ لبنان ،

١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤م.

٢٩١ ـ الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب ، او الكلم الطيب والعمل الصالح .
ابن القيم ، محمد ابن ابي بكر بن ايوب . حققه وعلق عليه الشيخ
أسماعيل بن محمد الانصاري ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث والافتاء
والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية . الرياض .

٢٩٢ ـ الوحي المحمدى .
رضا ، محمد رشيد رضا ، الطبعة السادسة ، ١٣٧٥ هـ مطبعة
نهضة مصر .

٢٩٣ ـ الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام .
تاليف المهندس احمد عبد الوهاب ، الطبعة الاولى ، دار النهضة
العربية .

٢٩٤ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان .
ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، تحقيق الدكتور
احسان عباس .
دار صادر بيروت .

قائمة بأسماء الدوريات ومكان صدورها وتاريخه

==========================

٢٩٥ ـ مجلة المنار ، محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ١٨٩٨م ـ ١٣١٥ هـ .

٢٩٦ ـ مجلة فتاة الشرق ، لبيب هاشم ، القاهرة ١٦ ٦ ١٩٠٦م.

٢٩٧ ـ مجلة المجتمع الاسلامي ، تصدرها جمعية الاصلاح الاجتماعي ، الكويت .

٢٩٨ ـ مجلة المقتطف ، يعقوب صروف وفارس النمر ، القاهرة ١٨٧٦م.

٢٩٩ ـ مجلة المصرية ، هدى شعراوي ، القاهرة ١٩٣٧م.

٣٠٠ ـ مجلة الاعتصام ، احمد عيسى عاشور ، القاهرة ١٩٣٩م.

٣٠١ ـ مجلة انيس الجليس ، الكسندرة افرينو ، الاسكندرية ١٨٩٨م.

٣٠٢ ـ مجلة الضياء ، ابراهيم اليازجي ، القاهرة ١٨٩٨م.

٣٠٣ ـ مجلة المؤيد ، الشيخ علي يوسف ، القاهرة ١٨٨٩م.

٣٠٤ ـ مجلة اللواء ، مصطفى كامل ، القاهرة ١٩٠٠م.

========

فهرس الموضوعات

============

رقم الصفحة	الموضوع
=======	========

الباب الثانـــي

==========

(الفصـــل الخامس)

الباب الرابـــــع

=============

=======